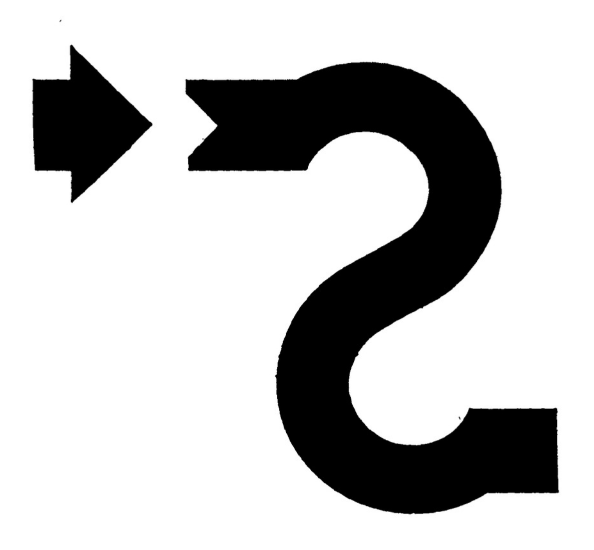


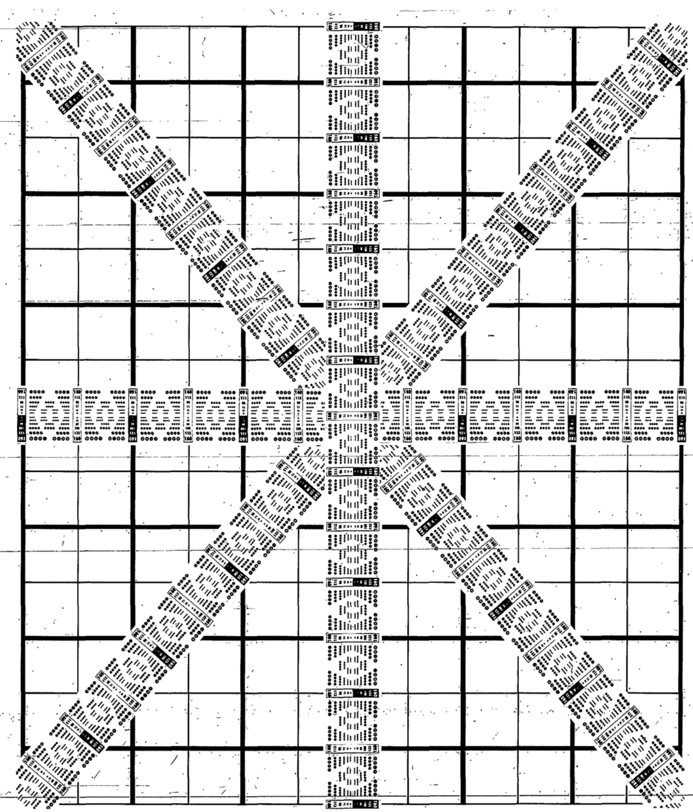
Suite d'une autre bobine

NF Z 43-120-7

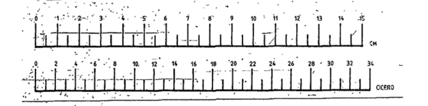

INSTITUT
DU MONDE
ARABE
معهد العالم العربي

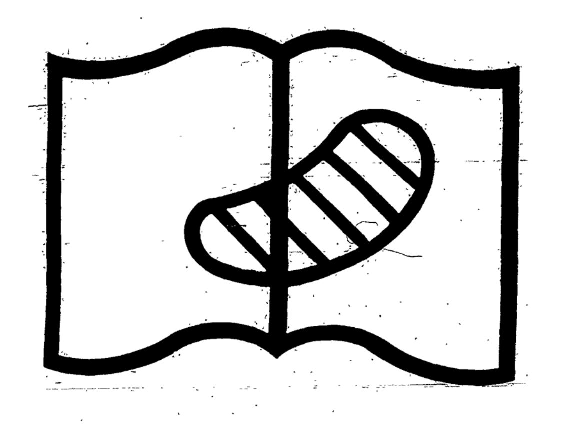
الضّياء

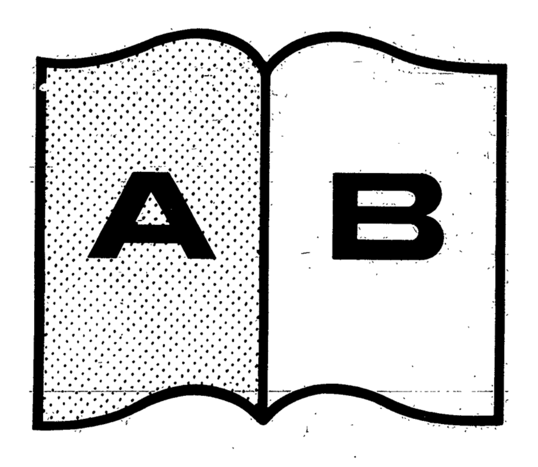
1904
à
1906

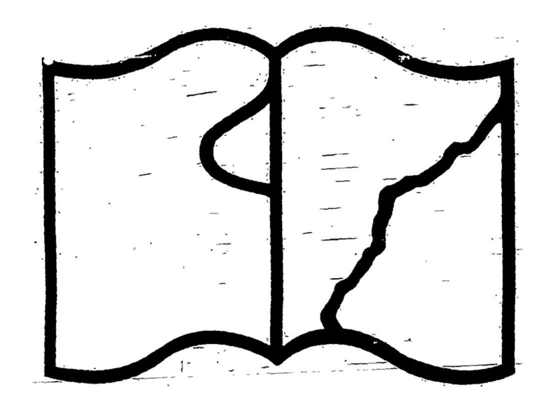


Mire de lisibilité d'après les normes AFNOR NF Z 43-006 et 43-007


0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15
CM
0 2 4 6 8 10 12 14 16 18 20 22 24 26 28 30 32 34
CICERO




A
B



Texte détérioré — reliure défectueuse

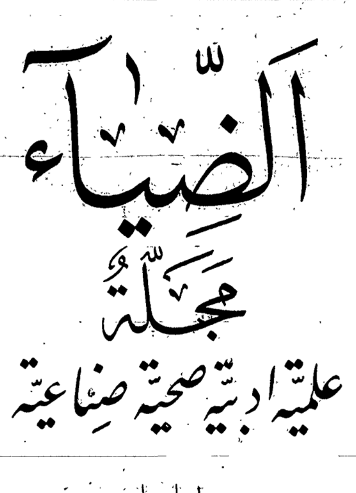
NF Z 43-120-11

SUR TOUT OU PARTIE DE LA COLLECTION

1904

à

1905



لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة السابعة

مصر سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

فهرست المواد

آداب المجالس ٥٨٩
آلة الكتابة ٤٥
آية العصر (ديوان) ٣٠٨
احمد باشا المنشاوي ١٨٠
اختفاء سبري ١٨
ارتفاع سطح البحر الرومي ٨٠
ازالة رائحة البترول ١١٤
اشعر شعرآء الجاهلية واشعر شعرآء الاسلام ٣٣٨
اقدم ساعة ضاربة ٣٠٥
اقرب الموارد ٤٠٣ و ٤٣٤
اكتشاف قمر سادس للمشتري ٢٧٥
اكتشاف قمر سابع للمشتري ٣٧١
اكتشاف قمر عاشر لزحل ٥٣١
الف يوم ويوم (كتاب) ٥٠٠
الانتفاع بالبيض المكسر ٣٩٥ * (١)
اول ظهور النور في اوربا ١١١

بحر آخذ في النضوب ١٤٣
برنامج اخوية القديس مارون ٣٩٤ *
بُوِّيَ جدثهُ وما جرى مجراهُ ٣٣٩
تأثير الالوان في الطباع ٦٢٤
تأثير الضغط على قراضات المعادن ١١٠
تاريخ الادبيات العربية (كتاب) ٩٧ و ١٢٩ و ١٦١
تخميس همزية البوصيري (كتاب) ١٤٦
تذكار المهاجر (ديوان) ٣٧٢
ترياق جديد ٨١
التسمم بغاز الاستصباح ٢٠٥
التسمم بملح الطعام ١٧٦
تصغير حيوان ٤٦٩
تعطير القهوة ١١٤
تفضيض النحاس ٤٠٢
تقسية النحاس ١٧٨

(١) وقع خطأ في ارقام احدى ملازم الجزء الثاني حيث جُعل رقم ٦٥ وما يليهِ الى ٧٢ عوض ٤٩ وما يليهِ الى ٥٦ فجاءَت الارقام المذكورة مكررة مع مثلها في الجزء الثالث وقد اشرنا الى الارقام التي وُضعت خطأً برسم كوكب الى جانبها ليعلم انها من الاعداد المكررة في غير موضعها

تقليل المات في الاطفال ١٠٨
تقويض معتقد قديم ٥٢٣
تلخيص المفتاح (كتاب) ٤٠٤
التلغراف والتلفون في اليابان ٢٦٩
تليين الجلد ١١٤
تهذيب النفس (خطبة) ٧٠*
التولد الذاتي ٥٩٣
التين الشوكي ٢٠٩

ثقل جمهور من الناس ٦٢٢
الثلوج في المدن الكبرى ١٤١

جزيرة الامرآء (قصيدة) ٣٩٤
جواز تملك الاجنبي في مصر ٢٤٧
حديث ليلة (قصيدة) ٤٣٩
حديقة السوسن ٢٦٤ و ٣٢٨ و ٣٦٢
و ٣٨٨ و ٤٢١ و ٤٥٦ و ٤٨٤
و ٥١٦ و ٥٤٨ و ٥٨١ و ٦١٣
الحرب الروسية اليابانية (قصيدة) ٣٣٤
حسان الارض والسماء (قصيدة) ٢٠٨
حلم الهوى (قصيدة) ٢٤٣
حمام الزاجل ٧٦

خبايا الزوايا ٤٥٩

الدفء الطبيعي ٢٧٤
دلالة الاقوال على الصفات والافعال
١١ و ٤٠ و ٧١
دلالة الالوان على الطباع ٦٢٤
دليل الفردوس (كتاب) ٨٦
دليل مصر والسودان (كتاب) ٣٠٩
الدماغ والعقل ٤٢٦ و ٤٥٢ و ٤٩١
دواء البق ٦٧*

ديوان ابي تمام ٥٠٠ و ٥٦٠ و ٥٩٣

ذكرى الهند ١٠٤ و ١٣٦ و ١٦٤
و ١٩٦ و ٢٢٨

ردّ على افتراء ٣٠٦
رزان كبيران ١٧٩
الرسالتان السينية والشينية ٤٩٦ و ٥٢٧
الرق والنخاسة ٢٣٣ و ٢٩٠
الرياض (مجلة) ٣٤٠
الريح والشجر ٤٦٥

زبيب الموز ٤٨

السبيريتسم ٣٣
سفعة الشمس ٣٩٩
السلاسل الذهبية لاتقان الخطوط العربية

والفارسية ٥٦٣

الشاي ٣٢٤
شبان العصر والصحة (خطبة) ٢١٢
الشعر العربي (قصيدة) ٣٠٢
الشيب الصناعي (قصيدة) ٤٦٧

صفة لمنع الارق ٨٢
صنف جديد من البطاطة ٤٣٢
صنف جديد من التفاح ٥٣١

العجوز اليابانية (قصيدة) ١١٢
علاج البول الزلالي ٤٧٢
علة زرقة الجوّ ٣٣٦
العين الصناعية ١٠١

غراماطيق عربي انكليزي ٢١٠
غرائب البصر ٢٣٨ و ٢٩٢ و ٣٦٨

فحم الخشب والسموم ٦٦
فخ للفار ٨٢
فضال النبات ٥٨٦
الفضة ام النحاس ٢٤٠
فهم الحيوان الاعجم ١١٥

القصيدة الطنطرانية ٥٥٦

الكلمات الاسبانيولية والعربية ٦٨
كلمة برتقال ٦٢٣
كلمة بنطالون ٦٢٤
كلمة خديوي ٤٦٩
كلمة المثيني ٤٧٠
الكلية الشرقية ١٥

اللاتين والطوائف الشرقية ١٤٤
اللباس والجسم ٨
اللحن الكتابي ١٣٣ و ١٧٠
لغة الجرائد ١٩٣ و ٢٢٥ و ٢٥٨
و ٢٨٩ و ٣٢٢ و ٣٥٣ و ٣٨٥
و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨٢ و ٥١٣
و ٥٤٥ و ٥٧٨ و ٦٠٩
لفظ الضمة والكسرة ٥٣٢

ما وراء زمن التاريخ ٣٥٦
مآخذ على تعريب الكتاب المقدس ٦٢٦
المآكل اللحمية والنباتية ٦٢٠
مجلة سركيس ٤٧٠
الشيخ محمد عبده ٥٩٧ و ٦٢٧
الشيخ محمد محمود الشنقيطي ٢١٢
محمود باشا سامي البارودي ١٧٩
مرض جديد ٣٠٤

مرض النوم ٢٠٢
المساعد (مجلة) ٥٠٠
مسحوق لتفضيض النحاس ٤٠٢
المشترى ١ و٦٥
مصنوعات من اللبن المجمد ١٤٣
معرض الصغار ١٣٩
مقالة النعمان لكسرى ٤٦٠
ملاعب الطبيعة ٢٠٠
مملكة قديمة بالترنسفال ٨١
مناجاة الارواح ٣٣
المن ٣٩٢

نام نومة عبود ٨٤
نبأ غريب ٥٩٣
نصرانية امرئ القيس ٣٣٨
نظرة في المبارزة (كتاب) ٤٣٥
النوام ٢٠٢

الهدى (مجلة) ٣٧٢
هلال ام هلالان ٢٩٦
هنا العجب ٨٢

وبآء الدجاج ٢٤٦

روايات الضياء

الكولونيل جيرار - ١ -	لنسيب افندي المشعلاني	٢٣
" " - ٢ -	" " "	٧١
" " - ٣ -	" " "	٨٧
" " - ٤ -	" " "	١١٧
" " - ٥ -	" " "	١٤٩
" " - ٦ -	" " "	١٨١
" " - ٧ -	" " "	٢١٣
ليلة الزفاف	" " "	٢٤٩
شرلوك هولمز - البيت المهجور	" " "	٢٧٧
" " - بنّـاء نوروود	" " "	٣١٠
" " - الاشباح الراقصة	" " "	٣٤١
" " - راكبة الدراجة	" " "	٣٧٣
" " - ابن الدوك	" " "	٤٠٥
" " - بطرس الأسود	" " "	٤٣٦
" " - الشرف الرفيع	" " "	٤٧١
" " - تماثيل نابوليون	" " "	٥٠١
" " - التلامذة الثلاثة	" " "	٥٣٤
" " - النظارات الذهبية	" " "	٥٦٤
" " - كؤوس الخمر الثلاث	" " "	٦٠٠
" " - الأثر	" " "	٦٢٨

فهرست اسماء المكاتبين

المطران اثناسيوس نوري	١٠٤ و١٣٦ و١٦٤ و١٩٦ و٢٢٨
الياس افندي الغضبان	٢٤٠ و٤٦٧
سليم بك عنحوري	٢٦٤ و٣٠٢ و٣٢٨ و٣٦٢ و٣٨٨ و٤٢١ و٤٥٦ و٥١٦ و٥٤٨
عيسى افندي المعلوف	١١ و٤٠ و٧١
فريد افندي البرباري	٢٧٥ و٣٧١
فكتور بك خياط	٣٩٤
الشيخ فؤاد الخطيب	١١٢ و٢٤٣
قسطاكي بك الحمصي	٥٨٩
مصطفى صادق افندي الرافعي	٢٠٨
الدكتور نجيب بدورة	٢٠٥ و٢٧٢
نقولا افندي رزق الله	٣٣٤ و٤٣١
يوسف افندي البستاني	٥٢٣



اصلاح خطأ

صفحة	سطر	غلط	صوابهُ
٤٥	٤	المفتنن	المتفنن
٤٥	٦	نحو صنعتم	نحو ما صنعتم
١٤٧	٤	ليغطبوا	ليغبطوا
٢٤٠	٦	عادةُ	عادةً
٢٦١	١٤	مناهصتها	مناهضتها
٢٦٣	٣	تصدر والاوامر	تصدر الاوامر
٣٢٣	١	يينون	يبنون
٣٩٢	١٩	وكدحها	وكدحها لهُ
٤١٩	٢	وخلصلوا	وخلصوا
٤٢٨	١٩	چال	مجال
٤٣٠	١٩	كلامي	كلام
٥٥٩	١٦	قاصرة	قاهرة



مجلة علمية أدبية صحية صناعية

المشتري

اذا نظرت في هذه الايام الى الافق الشرقي في اوائل الليل استوقف بصرك كوكبٌ ساطع الضياء كبير الحجم لا ترى لهُ نظيراً في كل ما حولك من السماء هو المشتري . وهو الكوكب الذي طالما عبده المتقدمون من الامم وعدّوهُ كبير الآلهة وزعيمها وذلك لما رأوا من عظمة بهائه واشراقه وبطء حركته بين الكواكب كانهُ شيخ جليل يخطو خطواً متثاقلاً خلافاً للزُهرة مثلاً فانها مع شدّة لمعانها الى ما يفوق لمعان المشتري غالباً سريعة الحركة والانتقال في فلكها ثم هي لا تظهر الا في جوانب القبّة السماوية ولا ترتفع الا قليلاً . على انهُ بعد اختراع الآلات البصرية ظهر ان المشتري هو على الحقيقة اكبر اجرام العالم الشمسي واعظمها حجماً ومادّةً الى ما لا يدانيه فيه شيءٌ منها بل لو جُمعت تلك الاجرام باسرها من عُطارد الى نبتون وجُعلت جرماً واحداً لم تزد على ثلثي حجمه ولو وُضعت جميعها في كفة ووُضع

هو في كفّة لم تزد على خُمسَي مادّتهِ

وقُطر هذا السيّار ٨٨٠٠٠ ميل اي ما يزيد على احد عشر ضعفاً من



ش ١

قطر الارض بحيث تكون الارض بالقياس اليهِ كالحِمّصة في جْنب نارنجة كبيرة على نحو ما ترى في الرسم امامك وقد مثلنا فيهِ كلاً من هذين الجرمين

بقياسهِ النسبيّ . وهو يدور حول الشمس في فلكٍ هليلجي يبعد عنها نحو خمسة اضعاف من بعد فلك الارض . الا ان هذه المسافة تختلف بالقياس الى موقعهِ من فلكهِ فيكون في اقرب مسافاتهِ عنها على ٤٤٨ الف الف و ٤٥٠ الف ميل وفي ابعدها على ٥٠٠ الف الف و ١٢٤٠ الف ميل . ويتمّ دورتهُ حول الشمس في ٤٣٣٢ يوماً من ايام الارض او في ١١ سنة و ١٠ اشهر و ١٧ يوماً . وهو يجري في فلكهِ بسرعة ٤٧٠ ميلاً في الدقيقة وهي اقلّ من نصف سرعة الارض الا انهُ لسرعة دورانهِ حول محورهِ لا يزيد يومهُ على ١٠ ساعات ولذلك تكون حركتهُ حول الشمس وحركتهُ على نفسهِ متوافقتين بمعنى انهُ يقطع من فلكهِ في كل دورة بقدر محيطهِ فقط بخلاف الارض مثلاً فانها كلما دارت حول نفسها مرةً تقطع من فلكها ما يعدل ٦٤ ضعفاً من قياس محيطها كما ذكرنا تحقيق ذلك في غير هذا الموضع [1] مما لعلنا سنذكر سببهُ في فصلٍ مخصوص ان شاءَ الله .

ثم انهُ لسبب هذه السرعة في دورانهِ حول محورهِ قد اشتدّ تسطُّحهُ من جانب القطبين بحيث ان قطرهُ القطبيّ لا يزيد على ٨٢٦٠٠ ميل فيكون الفرق بين قطريهِ نحو ٥٤٠٠ ميل ومقدار التسطح $\frac{1}{17}$. وقد استُدِلّ من ذلك على ان كثافتهُ لا تزيد على ٠,٢٤٣ من كثافة الارض غير انهُ باعتبار عظم جرمهِ تزن الاشياءُ على سطحهِ ضعفين ونصف ضعف من وزنها على الارض فالرجل الذي وزنهُ عندنا ٦٠ اقة مثلاً اذا نُقل الى المشتري كان وزنهُ ١٥٠ اقة

(١) مجلد السنة الثانية ص ٣٢٦ و ٣٢٧

اما جملة مادّة المشتري فهي تبلغ نحو ٣١٠ اضعاف من مادّة الارض وهو ما يُؤخَذ من سرعة دوران اقماره بالقياس الى دوران قمر الارض . ولذلك فان مركز الجاذبية بينهُ وبين الشمس يقع الى جانب الشمس اي خارج محيطها على نحو ما تراهُ مرسوماً امامك بحيث يقال ان كلاً من هذين

ش ج م

ش ٢

الجرمين يدور حول الآخر . وذلك ان مادّة المشتري تعدل $\frac{1}{1048}$ من مادّة الشمس ومعلوم ان قوة الجاذبية انما تكون بحسب مقدار المادّة في الجسم فاذا اخذنا متوسط المسافة بين الشمس والمشتري وهو ٨٤٥ ٤٧٤ الف ميل وقسمنا هذا العدد على ١٠٤٩ وهو مجموع اضعاف مادة المشتري في الجرمين يخرج ٤٥٣ الف ميل والمسافة بين مركز الشمس ومحيطها لا تزيد على ٤٣٠ الف ميل فيكون موقع نقطة الجاذبية المشتركة بينهما على بعد ٢٣ الف ميل عن محيط الشمس . وعليهِ فاذا فرضنا (ش) في الشكل مركز الشمس و (م) مركز المشتري وقعت نقطة الجاذبية المذكورة عند (ج) فيكونان اشبه بطرفي قبّان يتوازنان على هذه النقطة

اما منظر المشتري فانهُ مع بعدهِ الشاسع اذا وُجّه اليهِ منظار كانت الزاوية التي يُرَى عليها نحواً من ضعفين من زاوية المرّيخ فيكون مرئيّ سطحهِ اربعة اضعاف سطح المرّيخ . واذا كان في الاستقبال وهو على الهاجرة رُؤِي سطحهُ بمقدار $\frac{1}{14}$ من سطح القمر بحيث انهُ اذا نُظِر اليهِ بمنظار يعظّم المرئيّات

اربعين ضعفاً فقط رُؤي في حجم القمر بالعين المجرَّدة

واول ما يستوقف نظر الراصد فيهِ ما يرى على سطحهِ من المناطق المختلفة الالوان ممتدةً على موازاة خطّ الاستواء منها بيضاء ومنها دكناء الى الصفرة او النارنجية يتخللها احياناً بُقَع نيّرة او مظلمة اذا تتبعها الناظر رآها تنتقل من الشرق الى الغرب بحيث انها تقطع سطح السيّار من جانب الى آخر في مدة خمس ساعات . وهذه المناطق والبُقَع تتبدل اشكالها بين وقتٍ وآخر فلا تثبت على منظرٍ واحد وهذا مما يدلّ على انها من جوّ السيّار لا من سطحهِ وانما هي منظر الغيوم المحيطة بهِ وهي تتحرك بحركة السيار على محورهِ الا انها تموج وتنتقل في مواضعها تبعاً لحركات الرياح التي تسوقها من موضع الى آخر على مثال الغيوم السابحة في جوّ الارض . ولذلك فان انتقالها من الشرق الى الغرب ثم رجوعها بنفسها من الشرق بعد ان تقطع الجانب الاعلى من محيط السيار لا يُؤْخَذ دليلاً صادقاً على مدة دوران السيار حول محورهِ لان الريح اذا كانت غربية زادت في سرعة حركتها الى الغرب واذا كانت شرقية ثبّطتها عن مشايعة حركة السيّار واذ ذاك لم يكن بدٌّ لتعيين مدة دوران السيّار على نفسهِ من رصد حركاتها دفعاتٍ كثيرة واخذ متوسط سرعتها . الا ان هنالك امراً آخر يزيد المسئلة إلتباساً وهو ان حركة هذه الغيوم تتفاوت سرعةً وبُطأً بين عرضٍ وآخر من عروض السيّار فان المجاورة منها لخط الاستواء اسرع حركةً من التي تليها الى نواحي القطبين على حدّ ما يُرَى في حركات السُفَع على وجه الشمس . وقد شرع الراصدون في مراقبتها منذ سنة ١٦٦٥ الا انهُ الى الآن لم يكد

اثنان منهم يتفقان على تعيين مدة واحدة لدوران السيار حول محوره . على ان جملة ما هنالك من الفرق لا تتعدى ٦ دقائق من الزمن فان اقل ما خرج لهم في تعيين المدة المذكورة ٩ ساعات و ٥٠ دقيقة وهو ما وجده كاسيني في احد رصوده سنة ١٦٩٢ واكثره ٩ ساعات و ٥٦ دقيقة وهو ما وجده سلفاتيل سنة ١٧٧٣ . وهذا انما هو في الحقيقة تقدير حركة الغيوم على وجه السيار كما قدمناه واما سطح السيار فلا يُرَى

على انهُ في سنة ١٨٧٨ تنبه اصحاب الرصد الى بُقعةٍ كبيرة على وجه السيّار تبين لهم بعد تكرار المراقبة والقياس انها ثابتة في موضعها وهي بقعة حمراء بلون الآجرّ مستطيلة الشكل متجهة من الشرق الى الغرب على نحو ٢٥° من العرض الجنوبي يبلغ طولها نحواً من ٢٨٠٠٠ ميل في عرض ٨٧٠٠ ميل . وقد لبثت تُرَى في مكانٍ واحد وعلى شكل واحد مدة خمس سنين متوالية ثم اخذ يضعف لونها شيئاً فشيئاً وربما تغيّر شكلها بعض الشيء ولكنها لم تزايل موضعها . فاستُدِلّ من ذلك على انها ليست غيوماً سابحة في جوّ السيّار وانما هي شيء متصل بسطح السيار قد يكون جبلاً ناتئاً في ذلك الموضع . ومنذ ذاك انصرف الراصدون الى مراقبتها فلم يكن الفرق بين خارج رصدٍ وآخر الا بضع ثوانٍ بسبب ما ذُكر من تغير شكلها وتزحزح حدودها ولعلّ ذلك ناشئ عن السحب المكتنفة لها بان تمتدّ احياناً على بعض اطرافها وتنحسر عنها احياناً . والذي يؤخذ من جملة رصودهم لها ان دورة هذا السيار على محوره تتم في ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة و ٣٨ ثانية .

ثم ان محور المشتري اشبه بخطٍّ قائم على سطح فلكهِ لان ميلهُ لا يتجاوز

ثلاث درجات ولذلك لا تميز فيه فصول السنة فهو في ربيع دائم والليل والنهار فيه متساويان ابداً غير ان النهار يكون اطول قليلاً بسبب الشفق وكذلك درجة الحرارة في كل عرض من عروضهِ لا تتغير طول السنة . وليس هناك اقاليم ذات بردٍ قارس لان الشمس لا تغيب عن شيء من سطح السيار الا مدة الليل الذي هو اقل من خمس ساعات في جميع عروضهِ على السوآء والمنطقة الحارّة هناك لا تتجاوز ثلاث درجات على كلٍ من جانبي خط الاستواء كما ان الدائرة المتجمدة لا يتعدى قطرها ست درجات حول كلٍ من القطبين

اما ما يصل الى المشتري من حرارة الشمس وضوئها فهو $\frac{1}{27}$ مما يصل الى الارض لان سطحها يُرَى من هناك على مثل هذه النسبة ولذلك كان المتبادر الى الذهن ان جوّهُ ابرد من جوّ الارض. لكن الذي يظهر ان الامر بالخلاف كما يُستدَلّ عليهِ من الابخرة العظيمة المنتشرة حولهُ وكثافة الغيوم التي تحجب جرمهُ وما يحدث فيها من الاضطرابات العظيمة مما يدلّ على ان الجوّ هناك احرّ كثيراً من جوّ الارض . فانهُ بعد ان يلبث احياناً مدة اشهر على غاية السكينة اذ تعصف فيهِ زوابع هائلة على مساحة عظيمة قد تكون اوسع من الارض بأسرها . ومن الغريب أن قد رُصدت بعض الزوابع الثائرة هناك فكانت سرعتها ١١٠٠٠٠ ميل في الساعة اي اكثر من ٣٠ ميلاً في الثانية ومعلوم ان العاصف عندنا اذا بلغت سرعتهُ ١٠٠ ميلٍ في الساعة دمّر كل شيء يمرّ بهِ فما الظنّ بعاصفٍ تبلغ سرعتهُ وشدّتهُ الفاً ومئة ضعف مما ذُكر . وهذا مما يدلّ على ان هذا السيار لا يزال

حارّ السطح لان مثل ما ذُكر لا يمكن ان يكون صادراً عن مجرَّد حرارة الشمس الواصلة الى هناك

اما الخلائق الحيّة على سطح المشتري فما يُستبعَد وجودها الآن الا ان يكون شيءٌ من غريب انواع النبات والحيوان التي يمكن ان تعيش بين تلك الاضطرابات والانقلابات الهائلة على نحو ما كان في الارض في اوائل الازمنة الجيولوجية ولعلهُ لا يبرد سطحهُ ويصير اهلاً لسُكنَى خلائق من مثل ما في الارض الا بعد آلافٍ كثيرة من السنين . وسنعود الى تتمة الكلام في هذا السيّار في احد الاجزآء الآتية ان شآء الله

اللباس والجسم

من المعلوم ان اول غرض يُقصَد من اللباس هو وقاية الجسم من الحرّ والبرد فهو لا بدَّ ان يختلف تبعاً للفصل والاقليم والسنّ بحيث تبقى الحرارة الغريزية على درجةٍ واحدة في الجسم لانها اذا انحطّت او ارتفعت درجةً واحدة عن ميزانها الطبيعي الذي هو ٣٧° من السنتغراد كان الجسم عُرضةً للخطر ولذلك كان اعتدال حرارة الجسم من الشروط التي لا بدّ منها لبقاء الحياة

ولا يخفى ان الجانب الاكبر من الحرارة الغريزية انما يتوزع عن سطح الجسم ولذلك وجب ان يُختار من اللباس ما يقف في طريق انبعاثها وتبدُّدها ولما كان الهوآء من اضعف الموصلات للحرارة كان افضل الملابس اكثرها حبساً للهوآء بحيث يكون الجسم محاطاً بهِ بطبقةٍ منهُ تكفل بحفظ

حرارتهِ عليهِ وتمنع نفوذ البرد اليهِ من الخارج

وقد تكررت مباحث العلماء وتجاربهم لتعيين الملابس الوافية بهذا الغرض وآخر امتحاناتهم ما اجراهُ المسيو رُبْجُونيّاي استاذ العلم الطبيعي في مدرسة الطب بكلية بوردُو فانهُ اتخذ اسطوانة فارغة من النحاس الاحمر بقدر جذع الانسان فملأها ماء جعل حرارتهُ تتجدد على ما يقرب من ٣٧ ووضعها في غرفةٍ باردة تحط حرارتها عن حرارة الاسطوانة ٢٥° ثم البسها ضروباً مختلفة من الثياب وقاس الزمن الذي كانت فيهِ حرارة الاسطوانة تبرد وهي مكسوة بكل واحد من تلك الملابس مع تعيين مقدار البرودة الى ١/١٠ من الدرجة

وكان من خلاصة تجاربهِ ان افضل الأقمصة وقايةً من البرد ما كان متخذاً من الفلانلة القطنية وتليها في ذلك الاقمصة الصوفية المعروفة بالاقمصة الصحّية (وهي المضاعفة النسيج من الصوف الخالص) مع أن ثمنها يفوق ثمن الاولى بثلاثة اضعاف . ودون هذه الاقمصة القطنية ذات النسيج المتباعد . على ان الفلانلة الجديدة افضل وقايةً من العتيقة التي قد تكرر عليها الغسل

اما الدُثُر اي الملابس الخارجية فافضلها الفرآء التي فروها الى الظاهر وبطانتها من جوخ وتليها التي فروها الى الداخل والجوخ من الخارج

ثم ان اعضاء الجسم تتفاوت في الحرارة فلا بد من مراعاة ذلك في اللباس فان الناحية الامامية من الساقين والركبتين والقدمين اقل حرارةً من سائر الجسم لقلة العضلات هناك فلا بد من جعل اللباس على هذه

المواضع وافياً بتدفئتها فان من يجد برداً في رجليهِ انما يكون من قِبَل خفّة الملبوس فيهما . وقد جرت العادة ان نحبسها في الجوارب ونضغط عليهما بالحذاء وهو على الغالب مصبوغ بالسواد اي ملوَّن باشدّ الالوان ايصالاً للحرارة فلا جرم ان ما اصطلحنا عليهِ في كسوة الرجلين يُعَدّ من أعوَن الذرائع على خروج الحرارة وانطلاقها

وذكر غيرهُ شروطاً أُخر لصلاحية اللباس منها ان يكون نسيج الثوب رخواً لانهُ كلما كان أليَن كان المقدار الذي يدّخرهُ من الهوآء اعظم قال ولهذا يكون الصوف المنسوج نسجاً خشناً اشدّ ادفآءً من المنسوج نسجاً دقيقاً ناعماً وتكون الانسجة المخملة اوقى لحرارة الجسم من الملسآء المدمجة

ومنها الوان الملابس فان الانسجة السودآء والمُشرَبة الالوان تكون الحرارة اشدّ نفوذاً لها من الملابس البيضآء والصافية الالوان ومن مقتضى ذلك ان تكون الالبسة السودآء ابرد في الشتآء واحرّ في الصيف من الالبسة البيضآء وفضلاً عن ذلك فقد عُلِم بالتجربة ان الملابس البيضآء ابطأ تشرّباً للروائح وغيرها من الجواهر المنتشرة في الهوآء من كل نوع ولذلك ينبغي ان تُختار في الاماكن التي يُخشَى منها عدوى بعض الامراض

ثم ان اكثر المنسوجات قبولاً لامتصاص الرطوبة هي ابردها وابلغها في ذلك الكتان والقِنَّب لسَعَة المسامّ في اليافهما ويليهما القطن ثم الحرير ثم الصوف ولذلك اذا ترطب الصوف كان ابطأ جفافاً . اما باعتبار الالوان فالابيض على كل حال اقلّ امتصاصاً للرطوبة فهو من جميع الاوجه افضل الالوان واحراها بأن تختار صيفاً وشتآءً . انتهى

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس آداب العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة

لا تحسب الناس سواءً متى تشابهوا فالناس أطوارُ
وانظر الى الاحجار في بعضها ماءٌ وبعضٌ ضمنها نارُ

قرأت في احد اجزآء السنة الماضية من الضيآء استدراكاً شائقاً دبجته يراعة حضرة السري الالمعي عزتلو احمد بك تيمور فذكّرني اقتراح حضرته بما كنت قد بدأت بجمعهِ منذ سنوات من اقوال الكتاب والشعرآء التي تدل على صفات واخلاق قائليها أو تخالفها وحال دون اتمامهِ بعض الشواغل فاخترت مما جمعتهُ ما سأوردهُ في هذه المقالة راجياً ان تنال الزُلفى لدى ادبآئنا الكرام وتمهّد لي من حلمهم عذراً عمَّا لعلني فرَّطتُ فيهِ أو أفرطت

ولقد تضاربت الآرآء في شأن دلالة الاقوال على صفات قائليها واخلاقهم فمن ذاهب الى ايجاب ذلك حتى قال العرب « العلماء تحت سنّ اقلامهم » وقال الفرنسويون « الانشآء هو الانسان » وقال الانكليز « يكون الرجل كما يتكلم » وجاء في الكتاب المقدس « من فضلة القلب يتكلم اللسان » . وكان ابرهيم الخواص من اهل القرن الثالث للهجرة يقول أربع خصال عزيزة « عالمٌ يعمل بعلمهِ وعارفٌ ينطق عن حقيقة فعلهِ ورجلٌ قائمٌ لله بلا سبب ومريدٌ ذهب عنهُ الطمع » الى غير ذلك مما يؤيد هذا الرأي كقول حسَّان بن ثابت

وانما الشعر لبّ المرء يعرضهُ على المجالس ان كيساً وان حمقا
وان اشعر بيتٍ انت قائلهُ بيتٌ يقال اذا انشدتهُ صدقا

ومن ذاهبٍ الى سلب ذلك حتى قال الحافظ ابو الخطّاب بن دحية في الفتح بن خاقان « انهُ كان خليع العذار في دنياهُ ولكن كلامهُ في تآليفهِ كالسحر الحلال والماء الزلال » وانشد دعبل

يا جواد اللسان من غير فعلٍ ليت في راحتيك جود اللسانِ

وسُئل اسحق الموصلي عن سخاء اولاد يحيي بن خالد البرمكي فقال « اما الفضل فيرضيك فعلهُ . واما جعفر فيرضيك قولهُ . واما محمد فيفعل بحسب ما يجد »

ولذلك رأينا ان نقسم الكلام الى ثلاثة ابواب نورد فيها بالاختصار ما يؤيد كل مذهبٍ فنقول

(١) من تدلّ اقوالهم على صفاتهم وافعالهم

نعرف من هؤلاء السموأل بن عادياء الذي تُضرب الامثال بوفائهِ ومن وقف على قصة دروع امرئ القيس المودعة عندهُ وحفظهِ اياها مع تهدد طالبيها بقتل ابنهِ ثم قتلهم اياهُ وهو لم يخفر للعهد ذمة رأى ان قولهُ في قصيدتهِ الشهيرة مرآة نفسهِ واخلاقهِ وكفاهُ فخراً قولهُ منها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكل رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ

واي ضيم اشدّ من قتل ولدهِ بمرأى منهُ ومسمع وهو لم يخلف وعدهُ

ومنهم معن بن زائدة الشيباني من اجواد العرب وهو القائل

دعيني انهب الاموال حتى اعفّ الاكرمين عن اللئام

ومن قرأ حادثة البيت من الشعر الذي كتبهُ الشاعر على خشبة وطرحهُ في القناة التي كان جالساً بجانبها تعجب من كرمهِ وبسط يدهِ في العطآء حتى ان ذلك الشاعر لو لم يسيء الظن بهِ لاستنزف مال معن من درهم ودينار

ومنهم حاتم الطائي الذي وصفهُ ابن الاعرابي بقولهِ « انهُ كان جواداً يشبه جودهُ شعرهُ ويصدّق قولهُ فعلهُ » وشعرهُ كلهُ حثٌّ على الكرم فمنهُ قولهُ يخاطب امرأتهُ

اذا ما منعت الزاد فالتمسي لهُ اكيلاً فاني لستُ آكلهُ وحدي
فاني لَعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فيَّ الاّ تلك من شيمة العبدِ

ولم يكن حاتم يمسك شيئاً ما عدا فرسهُ وسلاحهُ فانهُ كان لا يجود بهما ولكنهُ جاد بفرسهِ في سنة مجدبة

ومنهم الحطيئة الهجّآء الذي طاف الحيّ ليجد من يهجوهُ بعد ان هجا اهل منزلهِ ولما لم يجد احداً رأى وجههُ في بركة مآء فهجاهُ ببيت مشهور

ومنهم محمد بن الجهم من رؤسآء البخلآء قال لمن طلب منهُ علامة استثقالهِ لمجالسيهِ ان علامة ذلك قولي « ياغلام هات الغدآء ». ومن قولهِ الدالّ على بخلهِ « منعُ الجميع ارضى للجميع »

ومنهم ابرهيم بن ادهم العجلي البلخيّ كان مضرب المثل في الزهد فلما قيل لهُ لِمَ تجتنب الناس انشأ يقول

ارضَ بالله صاحبا وذرِ الناسَ جانبا

ومنهم عنترة المشهور بكثيرٍ من الصفات الحسنة تجد في معلّقتهِ وديوانهِ

أثر اخلاقهِ ولا سيما في البسالة فانهُ هو القائل وليس وراء ذلك مذهب لشجاع أو حازم

ان المنيَّة لو تمثَّل شخصها لي في العجاج طعنتُها في الأولِ

واذا حملت على الكريهة لم اقل بعد الكريهة ليتني لم أفعلِ

ومنهم ابو فراس الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة الحمدانيين اشتهر بشجاعتهِ وطيب اعراقهِ وجميل خلالهِ وهو القائل في قصيدتهِ الشهيرة

أراك عصيَّ الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

فأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا واسغب حتى يشبع الذئب والنسرُ

وما حاجتي بالمال أبغي وفورهُ اذا لم يَفِرْ عرضي فلا وَفَر الوفرُ

هو الموت فاْ ختَرْ ما علا لك ذكرُهُ ولم يمت الانسان ما حيَ الذكرُ

ومنهم حميد الأرقط هجَّآء الاضياف المبخَّل يقول واصفاً اكل ضيفهِ

ما بين لقمتهِ الأُولى اذا انحدرت وبين اخرى تليها قِيدُ أُظفورِ

ويقول في محل آخر

تجهزُ كفَّاهُ ويحدر حلقهُ الى الزَورِ ما ضُمَّت عليهِ الانامِلُ

وليس وراء هجاء الضيف مزيدٌ على شدة البخل لأن الاعراب يفتخرون بقرى الاضياف

ومنهم أبو العلآء المعرّي فيلسوف الشعر المشهور بتواضعهِ يقول

دُعيتُ أبا العلآء وذاك مينٌ ولكنَّ الصحيح ابو النزولِ

ومنهم ابن هرمة المشهور بادمانهِ الخمرة يقول

أسأل الله سكرةً قبل موتي وصياح الصبيان يا سكرانُ

ومنهم ابرهيم الرقي وابن السماك العجلي المشهوران بزهدهما كان كلّ كلامهما في الزهد فكأنهُ ذوب صفاتهما ومن كلام ابن السمّاك «من جرَّعتهُ الدنيا حلاوتها بميلها اليهِ جرَّعتهُ الآخرة مرارتها بتجافيها عنهُ»

ومنهم ابن بسَّام حُطيئة عصرهِ الذي لم يسلم احد من لسانهِ هجا والدهُ بقولهِ

هبكَ عُمّرتَ عمر عشرين نسراً أترى انني اموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً لأشقَّنَّ جيب مالك شقَّا

ومنهم ابن ابي رندقة الطرطوشي الاندلسي صاحب كتاب سراج الملوك وهو جالسٌ في مخدعهِ زاهداً متورّعاً يقول

اعمل لمعادك يا رجلُ فالناس لدنياهم عملوا
واذخر لمسيرك زاد تقىً فالقوم بلا زادٍ رحلوا

(ستأتي البقية)

الكليّة الشرقيّة

ما برحت هذه المدرسة آخذةً في الترقي والاتساع سنةً عن سنة كما دلّ على ذلك ما جاء في كتابها السنويّ الذي صدر في اواخر شهر يوليو من السنة الحاليّة وهو ختام سنتها السادسة. ولا غرو فيما بلغت اليهِ من النجاح الباهر في هذه السنوات القليلة مع ما اشتهر من غيرة واهتمام حضرة رئيسها الألمعيّ الخوري بولس الكفوري وما وقف عليها من المثابرة والدأب في التماس كل ما يأول الى جعلها مورداً لطلاّب العلم من جميع آفاق الشرق

ومع ما يبذلهُ حضرات اساتذتها الافاضل من الجهد في صحة التدريس واجرآئهِ على ما يقتضي من الدقة والاخلاص في توخي الفائدة على اتم وجوهها وذلك فضلاً عما هو معلوم من حسن موقعها الصحي مما سبق وصفهُ في هذه المجلة بما يغني عن اعادتهِ في هذا الموضع

والمدرسة تشتمل حالاً على ثلاث دوائر للتعليم وهي الابتدآئية والاعدادية والعلمية ومدة التدريس في الاولى منها سنتان وفي الثانية ثلاث سنوات وفي الثالثة اربع

اما الدروس التي تُتلقَّى في هذه الدوائر فهي من اللغات العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية بآدابها وفروعها مع الانشآء والترجمة من هذه اللغات واليها . ثم الطليانية واليونانية واللاتينية والعبرانية لمن يطلبها . ومن العلوم الرياضيات بانواعها من الحساب والجبر والهندسة والمساحة وما يتصل بها وعلم الحقوق والموسيقى والرسم والتصوير والجغرافية والتاريخ والاقتصاد والهيئة والكيميآء والطبيعيات والحيوان والنبات وطبقات الارض والفلسفة الادبية والعقلية

وفي المدرسة مكتبة حافلة تشتمل على كثير من الكتب والمعجمات والمجلات والجرائد العلمية والادبية والتاريخية في العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية ومعرض يحتوي على كثير من الامثلة البديعة للمعادن والانبتة والحيوانات والاثريات وغيرها

وفيها جمعية علمية تُعقد من متقدمي تلامذتها يُتمرَّن فيها على الخطابة والالقآء والمناظرة في المسائل العلمية والادبية واللغوية والتاريخية وهي تعقد

جلساتها مرةً في كل خمسة عشر يوماً بحضرة رئيس المدرسة ورئيس الجمعية والاساتذة والادبآء وتُلقَى فيها الخُطَب والمباحثات

وقد جآء في لائحة المدرسة انها تنوي احداث ثلاث دوائر أُخر للزراعة والتجارة والصناعة . واذا وُجِد من يطلب الاستعداد للطب او الصيدلة او التجارة في اللغة التركية فهي تكفل لهُ ذلك بشرط ان يكون الطالبون لهُ من خمسة فما فوق

ومما لا بدّ من ذكرهِ هنا ان المدرسة لا تتعرض لمذهبٍ من المذاهب فهي تقبل الطلاب من جميع الطوائف على السوآء وتخرّج الجميع في الفضائل والعلوم وتبثّ فيهم روح الأُلفة والوطنية . وقد ندبت في هذه السنة احد علمآء الاسرائيليين لتدريس اللغة العبرانية لابنآء هذه الطائفة وتلقينهم التعليم الديني وكفى بهذا دليلاً على صحة وطنيتها وعدم تحيزها الى فريق دون فريق

اما المرتَّب السنوي فهو اثنتا عشرة ليرة عثمانية فقط في مقابلة التعليم والطعام وما يتبع ذلك من الخِدَم المدرسية وهي ولا ريب من اقلّ ما يُدفع في سائر المدارس

فنحن نكرر ثنآءنا على منشئي هذه المدرسة من رجال الرهبانية الباسيلية الكريمة لما سمت اليه هِمَمهم من هذه النهضة الشريفة وما يبذلون في هذا السبيل من المال والسعي خدمةً للعلم والوطن ونسأل الله ان يأخذ بايديهم للبلوغ الى غاية ما يقصدون من هذه المأثرة الكريمة والمبرّة العميمة كما نحضّ اهل الوطن العربيّ في القطرين الشامي والمصري ان يقبلوا

على هذه المدرسة بابنآئهم واثقين بانهم سيخرجون منها وهم اهل علم صحيح وتهذيب كامل وأعوان صدق للوطن والوطنيّة وفي يقيننا ان الحكومة السنيّة في ذلك الجانب ستوجّه التفاتها الى هذا المعهد العلمي القائم بتربية الناشئين على ما تقتضيه مصلحتها ومصلحة البلاد واخراجهم رعايا امناآء يخدمون الدولة والوطن بتمام الصدق والاخلاص والله وليّ التوفيق

اختفآء سرّي

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فأثبتناها بحروفها

جآء في احدى الجرائد الفرنسوية التي تُطبَع في هذا القطر تحت العنوان المذكور ما تعريبهُ

«ذكرنا امس ان سرّ اختفآء المسيو توفيق قزح المترجم في المحكمة المختلطة لا بد ان يسفر عن قصد دخوله في الرهبانية فانهُ منذ كان في الرابعة عشرة من العمر عزم على هذا الامر لكن والدهُ مانعهُ ممانعة شديدة. غير ان الفتى ما برح منذ ذاك يكثر من مخالطة الرهبان حتى انه في هذه الايام دُفع بعامل وحي لا يُقهر الى الدخول في احدى الرهبانيات ويقولون الآن انهُ بعد ان قبض راتبهُ يوم السبت (١ اكتوبر) ذهب الى منزله فاعطى والدتهُ مبلغاً منهُ ثم خرج من دون ان يطلع احداً على قصده فجآء المحطة وسافر الى الاسكندرية وهناك ركب في الباخرة كليو بطرا احدى بواخر الشركة النمساوية قاصداً فنيسيا ومنها يصل الى كراكوفيا حيث يوجد دير للابتدآء يخص طغمة الجزويت» .....

ولقد اسفت عند قرآءة هذا النبأ لامرين اولهما اني اعرف المذكور من زمن طويل واعلم ان لهُ امًّا ارملة واختاً غير متزوجة لا عائل لهما سواهُ فتركهما في حالةٍ يرقّ لها كل قلب صخري ما خلا قلوب جماعةٍ لا يهمهم الا تكثير اعوانهم مهما نشأ ورآء ذلك من الشرّ . . . والثاني علمي بانهُ لم يختر الرهبانية الا باغرآء اولئك الآبآء على ما اشتهر من عادتهم وقد كنت اتوقع لهُ ذلك من ايام وجودهِ في مدرستهم لانهم من ذلك الحين كانوا يدورون من حولهِ ويزينون لهُ الدخول في سلكهم كما كانوا يزينون لي وكما تؤيدهُ رواية الجريدة المذكورة . وبلغني انهُ بعد دخولهِ في خدمة الحكومة كان لا يخلو يوم من زيارة احدهم لهُ او من زيارتهِ لهم في ديرهم الى ان اخذوهُ في حبالتهم . على ان هذه ليست اول مرةٍ حدثت فيها مثل هذا من اولئك الذين يسمّون انفسهم مهذبي الشبيبة ولا اعيد على القرآء ما لا يزالون يذكرونهُ من حديث الشاب الذي اختطفوهُ من عهد قريب وأُرغموا على ردّهِ . ولكي يكون اهل التلامذة على بيّنة كاملة مما يفعل اولئك الآبآء اعرّب لهم الفصل الذي يتعلق بذلك من كتاب « تعاليم الجزويت السرّية[1] » وهو هذا مترجماً بالحرف

« الفصل الثالث عشر

في الطرق المؤدية الى اختيار الشبان وقبولهم في الجمعية وكيفية اكتسابهم

١ً يجب العمل بغاية الحزم والتروّي لاختيار شبان من اصحآء العقل

(١) جآء في مقدمة هذا الكتاب ما تعريبه «يجب الحذر الشديد من وقوع هذه التعاليم في ايدي الاجانب لانها تؤدي الى سوء اعتقادهم بنا وان حدث ذلك

والبنية ومن اولاد الاشراف او على الاقلّ من الذين حازوا احدى هاتين الصفتين

٢ً لتسهيل استمالتهم الى جمعيتنا يجب على رؤساء المدارس والمعلمين ان يظهروا لهم محبتهم الخصوصية في غضون التعليم وفي خارج وقت المدرسة ويقنعوهم بعظم مسرّة الله ممن يخصص نفسهُ وكل ما يملكهُ لهُ وخصوصاً اذا كان منتظماً في جمعية ابنهِ (يسوع)

٣ً عند سنوح الفُرَص يجب ان يُستصحَبوا في المدرسة أو في الحديقة أو في التنزهات الخصوصية وان يكونوا مع جماعتنا في اوقات الرياضة والراحة بحيث يمكّنون الالفة بينهم وبينهم بالتدريج لكن يحترزون من ان تؤدّي هذه الألفة الى الاستخفاف

٤ً يجب على جماعتنا ان يجتنبوا معاقبتهم اذا اذنبوا ولا ينزلوهم في الذي يفرضونهُ عليهم منزلة غيرهم من بقية التلاميذ

٥ً ليملكوا قلوبهم بهدايا صغيرة وامتيازات تناسب سنّهم وليجعلوا محادثتهم لهم في الامور الروحية ترغيباً لهم

٦ً ليطبعوا في قلوبهم انهم لم يُختاروا دون سواهم من بين سائر الذين يتردّدون على المدرسة نفسها الاّ لان هناك عنايةً الهيةً خاصةً بهم

٧ً عند سنوح فُرَص اخرى ولا سيما في وقت القاء النصائح والارشاد يجب ان يخوّفوهم بالهلاك الابدي اذا لم يخضعوا للدعوة الالهية

٨ً اذا الحّوا في طلب الانتظام في الجمعية فليؤجّل قبولهم ما داموا على

(لا سمح الله) فلننكر ان تكون هذه اغراض الجمعية . . . . .

ذلك الالحاح واذا ظهر منهم تغيّرٌ عن عزمهم يبادَر الى تلافيهم بكل نوع من وجوه الملاطفة

٩ يجب ان يحذَّروا تحذيراً مشدَّداً من ان يكاشفوا احداً من اصدقآئهم حتى آبآءهم وامهاتهم بما عزموا عليه قبل ان يتم قبولهم في الجمعية . وانهُ اذا سوَّلت لهم انفسهم العدول عن عزمهم فلهم ولرجال الجمعية ان يفعلوا ما شآءوا (؟) . واذا اتفق لهم مثل ذلك بعد الابتدآء او بعد ان ينذروا نذوراً بسيطة وامكن التغلب عليهِ ينبغي ان لا تُترَك فرصةٌ لتنشيط عزمهم بتذكيرهم ما سبق من وعودهم

١٠ لما كانت الصعوبة العظمى في استمالة ابنآء الكبرآء والاشراف واعضآء مجلس الشيوخ لانهم يكونون في حجور آبآئهم وهم يربونهم بقصد ان يخلفوهم في وظائفهم وجب ان يتخذ السبيل لاقناعهم بواسطة اناس من اصدقآئهم لا من رجال الجمعية بان يطلبوا من آبائهم ان يرسلوهم الى اقاليم اخرى او الى مدارس بعيدة من التي يعلّم فيها اناس من جماعتنا. وذلك بعد ان تُرسَل الى اولئك المعلمين الافادات التي تعرّفهم صفات اولئك التلاميذ ودرجتهم لكي يعلموا كيف يكتسبون مودّتهم وميلهم الى الجمعية من اقرب السُبُل واوكدها

١١ ومتى تقدموا شيئاً في السن ينبغي ان يمرّنوهم على بعض الاعمال الروحية فان هذه الواسطة قد افادت كثيراً بين الالمان والپولونيين

١٢ من واجباتهم ايضاً ان يسلُّوهم في همومهم واحزانهم على ما تستدعيهِ حالة كلٍّ منهم ودرجتهُ وان يسردوا عليهم في تلك الحال مواعظ

وارشادات يحذّرونهم بها من سوء استخدام الاموال ومن الإعراض عن سعادة الدعوة الالهية التي من استخف بها كان جزآؤهُ العذابات الجهنمية

١٣ وعلى رجالنا لكي يستميلوا الآبآء والامهات الى موافقة ابنآئهم على دخول جمعيتنا ان يَصِفوا لهم سموّ منزلتها بالنسبة الى بقية الرهبانيات وصلاح اعضآئها وعلمهم وشهرتهم الطائرة في جميع انحآء المعمور وما لهم من رفعة المقام والاعجاب في نفوس جميع البشر من كبير وصغير. وليعدّدوا لهم الامرآء والكبرآء الذين عاشوا في هذه الجمعية وهم على تمام الارتياح سوآء كانوا من الذين ماتوا فيها او الذين لا يزالون على قيد الحياة. ثم ليذكروا لهم مقدار مسرّة الله بالشبان الذين يخصصون انفسهم لهُ ولا سيما في جمعية ابنهِ وانهُ لأفضل من ان يحمل الرجل نير السيّد (لهُ المجد) وهو في سنّ الشباب. واذا احتجّ الاب والام بحداثة ولدهما فليشرحوا لهما سهولة قوانين جمعيتنا وانهُ ليس هناك امرٌ يصعب احتمالهُ ما خلا المحافظة على النذور الثلاثة. وفوق ذلك كلهِ فانهُ ليس شيء من تلك القوانين اذا خُولِف يُحكَم على مخالفهِ بانهُ قد اقترف خطيئةً ولو عرَضية» انتهى

احد المتخرجين في مدارس الجزويت
بالقطر المصري

الاسئلة والآثار الادبية في الجزء الآتي ان شآء الله

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ١ —

كان بين كتائب الجنود الفرنسوية على عهد نابوليون الاول كتيبة من الفرسان تدعى « الهوسار » وكان يقود هذه الكتيبة فتى من اشجع الابطال لا يهاب الموت ولا تروعهُ المهالك يقال لهُ الكولونيل جيرار وقد رافق نابوليون في اكثر غزواتهِ وكان لهُ في كل محل وطئتهُ قدماهُ حادثٌ ذو بال . فلما انقضت الدولة البونابرتية استقال جيرار وكان قد اصبح ذا ثروةٍ صالحةٍ فعزم ان يستريح ما بقي لهُ من العمر بعد التعب الذي قاساهُ في اثناء خدمتهِ تحت امرة ذلك الامبراطور الذي لم يكن يستريح ولا يريح

وجمع الاتفاق ذات يوم الكولونيل جيرار ببعض ضباط الجيش في احد الاندية فدعوهُ لتعاطي شيء من الشراب ولما جلس احاطوا بهِ احاطة الهالة بالكوكب وطلبوا منهُ ان يقصَّ عليهم شيئاً من اخبارهِ الشخصية . وانتبه احدهم الى ان اذنهُ اليمنى كانت مقطوعة فسألهُ عن ذلك . فتبسم جيرار تبسم الكبر والخيلاء وكأنهُ تمثل امامهُ الاخطار التي خاض غمارها ونجا منها فأُعجب ببسالتهِ وشعر في نفسهِ انهُ اشدّ بسالةً من سامعيهِ ففتل شاربيهِ وتصدَّر على كرسيهِ ثم تناول كأساً من الخمر فجرعها مرةً واحدة واجال نظرهُ في وجوه الضباط المحيطين بهِ و بدأ يقص عليهم احدى الحوادث التي اتفقت لهُ فقال

« يصعب عليَّ ايها الاخوان ان اعدد لكم المدن التي زرتها او مررت فيها ولا سيما التي دخلتها دخول المنتصر في مقدمة ثماني مئة فارس يجرون على اثري كأنهم ابالسة الجحيم . وكنا اذا تقدم جيشنا سارت الفرسان في طليعة الجيش العام وسارت

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فرقتي في طليعة الفرسان وسرت انا في طليعة فرقتي فكنت اكون الاول في دخول البلاد والاطلاع على احوالها . ولم يتفق لي ما سآءني من جميع المدن التي زرتها كما استأت من مدينة البندقية (ڤينيسيا) بايطاليا وهي كما تعلمون مبنية على المآء ولذلك لم يسعني ان ادخلها بالفرسان الذين معي فاضطررنا عند دخولها ان تركنا معظم الجيش في كارمون مع المدفعية وفرسان الهوسار وذهب اليها القائد سوشاي فقط بعساكر المشاة وانتدبني مساعداً لهُ وقد عزم ان يشتو بجيشهِ في تلك المدينة وفيها اصابتني الحادثة التي اقصها عليكم الآن .

فلما دخلنا المدينة الفيتها مأوًى لاناس كالاسماك لا يعيشون الا في المياه . اما ابنيتها ففخيمة جدًّا ولا سيما كنائسها ولعظمها كنيسة القديس مرقس التي لم ارَ في جميع سفراتي ما يضاهيها في العظمة والزخرفة والهندسة . ولقد أُعجبت جدًّا بما رأيتهُ في هذه المدينة من بدائع النقوش والصور بيد أني لم اقف عند معرفة اهمية الصور فقط بل عرفت مصوّريها ايضاً . وقد شابهني في حسن الذوق نابوليون نفسهُ لانهُ حالما استولى على المدينة اختار عدةً من صورها البديعة فارسلها الى باريس وفعل فعلهُ كثيرٌ منا . وكانت قسمتي صورتين اخترتهما احداهما صورة العذارى المبغوتات والاخرى صورة القديسة بربارة . ولا انكر ان بعض رجالنا قد اسآءوا بان شوهوا التماثيل ومزقوا الصور فغاظوا بذلك الشعب الذي كان تعلقهُ شديداً بهذه التحف

وكان امام الكنيسة الكبرى دكة عليها تمثال قائم على اربعة من الجياد بديعة الصنعة وهذه ايضاً انزلها جنودنا وارسلوها الى فرنسا فاشتدَّ ذلك على الشعب وبكوا اسفاً وحزناً . ولما كان اليوم الثاني عشر من دخولنا المدينة وجدنا جثثاً من رجالنا طافية على وجه المياه انتقاماً وتشفياً فهاج ذلك غيظ الجنود وعمدوا الى تشويه جميع التماثيل وانزال الصور وتكسير الزجاج الملون الذي تزين بهِ البيوت فازداد بذلك حنق الشعب فكانوا يترصدون الفرص للانتقام من الجنود حيثما استفردوهم وفي اي وقت اتفق لهم الظفر بهم

اما انا فكنت في شاغل عن ذلك لاهتمامي بامور اخرى وكان من طبعي اني

اية بلدة دخلتها اسعى في تعلم لغتها وكنت لهذا السبب ابحث دائماً عن فتاة تروق لي عشرتها فاصرف وقتي معها واتعلم كلامها . لان الاختبار دلني على ان هذه الطريقة هي افضل طريقة لتعلّم اللغات فما بلغت الثلاثين من عمري حتى كنت اتكلم بجميع لغات اوربا تقريباً

وقد وُفقت في البندقية الى وجود معلمة تدعى لوسيا كنت اجالسها واقتبس من كلامها وهي من اسرة شريفة وقد كان جدها دوج المدينة اي رئيس جمهوريتها . اما جمالها فكان رائعاً ومتى قلت عن الجمال انهُ رائع ينبغي ان تعلموا ما اعني اي انهُ لا يفوقهُ جمال . ومن جميع الفتيات اللواتي عرفتهنَّ لم يكن اكثر من عشرين واحدة يمكنني ان اطلق عليها هذا الوصف . وكان سبب معرفتي بها انهُ كان في بيت ابيها عددٌ وافر من الصور البديعة فامر القائد سوشاي بعض رجالهِ ان يأتوهُ بها واتفق ان دخلتُ ذلك القصر فوجدت الجنود يحاولون نزع الصور ورأيت لوسيا ووالديها واقفين يبكون فاثر فيَّ ذلك المنظر وزجرت الجنود عن فعلهم فلم يستطيعوا مخالفة اوامري وخرجوا من القصر بدون ان يأخذوا شيئاً . فشكرني على ذلك الفتاة ووالداها شكراً عظيماً وتمكنت بيننا بعد ذلك صلة الصداقة فاتخذت الفتاة مدرّسةً لي حسب عوائدي واحبتني جداًّ كما احببتها . وكنت اودّ ان اتخذها زوجة كما فعل كثيرون غيري من الضباط ولكن لا يخفى عليكم ان مخاطبكم كان يرى بعينهِ النقادة ما امامهُ من الاسفار والحروب وكان يعلم ان قلبهُ انما خُلق ليحب لا ليتزوج وكيف يمكنني الزواج وانا اعشق سيفي وحصاني وكتيبتي وامبراطوري فضلاً عن حب والدتي التي عليَّ ان اعولها واهتم بها

ذكرت لكم ان القائد سوشاي اختار البندقية لمشتاهُ واختار قصر الدوج دندولو لسكناهُ مدة ذلك الفصل ولما كنت مساعدهُ كان يتعين عليَّ السكنى معهُ . فاتفق لي ليلةً ان حضرت في محل تشخيص مشهور وعدت الى القصر عند منتصف الليل فلم اكد ابلغهُ حتى تصدى لي فتىً دفع اليَّ كتاباً من حبيبتي لوسيا ورأيت قارئاً ينتظرني ففتحت الكتاب واذا بهِ من لوسيا تقول فيهِ « انني في خطر عظيم واطلب

حضورك في الحال » . وتعلمون ايها الاخوان ان الرجل الفرنسوي ليس عندهُ لمثل هذه الدعوة الا جوابٌ واحد فلم اكد اتم تلاوة الكتاب حتى صرت في وسط القارب ودفعهُ الملاح عن الشاطئ فسار بنا في ظلمة تلك القناة . ولما جلست على المقعد الخشبي تأملت في الملاح فالفيتهُ رجلاً طويل القامة واسع الصدر شرس الهيئة خبيث المنظر فكأنهُ لم يبالِ بي فجلس ورآئي وجعل يجذف بمنتهى قوتهِ

وكان من طبعي الاحتراس في أية بلدةٍ غريبة دخلتها غير انني في تلك الليلة لم اكترث بشيء ولم يكن خنجري ولا غدارتي معي بل لم يكن معي من السلاح سوى سيفي الذي لم يفارقني قط . ومع ذلك فقد كنت غير مهتم بشيء بل وليت الملاّح ظهري وانا أتوقع الوصول الى الحبيبة لوسيا واغاثتها من الخطر الذي هي فيهِ . وكانت طريقنا في قناة مظلمة لا ينيرها الا ما ينفذ من مصابيح بعض البيوت وكان اكثرها ضعيفاً صادراً عن الانوار الزيتية التي يوقدونها امام صور القديسين . وكانت الوحدة وصوت المياه يستدعيان الافتكار فطارت بي افكاري الى ماضي حياتي وما مرّ بي من الاهوال والعبر ثم انتقلت الى مناجاة والدتي وتصور سرورها عند ما يبلغها خبر انتصار ولدها وشجاعتهِ ثم انتقلت بتصوراتي الى امبراطورنا العزيز والوطن المحبوب وما عسانا ان نكسبهُ لهُ من الفخر والسؤدد . واني لكذلك واذا بصدمة عنيفة اصابتني فاضاعت جميع افكاري وظننت لاول وهلة ان الملاح قد عثر فسقط عليَّ عن غير قصد ولكنني ما عتمت ان ادركت الحقيقة وهي انهُ كان ينوي مباغتتي لانهُ ترك مجذافهُ بسرعة البرق وانقضَّ عليَّ بجسمهِ الثقيل الكبير فالقاني صريعاً وقبل ان املك روعي كان قد انتزع سيفي عن جانبي وادخل في فمي منديلاً كبيراً ثم ادخل رأسي في كيس من نسيج صفيق ربطهُ عند صدري واوثق يديَّ ورجليَّ وطرحني الى قعر القارب كاحدى رزم البضاعة التي لا صوت لها ولا حركة . وفي الدقيقة الثانية شعرت انهُ عاد الى تجذيفهِ كالاول غير مهتم بما فعل . ولا تسألوا عن غيظي وضيق نفسي في تلك الحالة لانهُ لم يخطر لي قط ان الكولونيل جيرار الشجاع المشهور يتغلب عليهِ فلاح طلياني بهذه الصفة ويتركهُ اسيراً فاقد الارادة والقوة كأنهُ

صندوق بضاعة او قطعة من النسيج . وكنت اعلم من صوت حركة المياه امام القارب وصياح الملاح منبهاً اصحابهُ اننا نسير في جهات مختلفة فتارة الى اليمين وتارة الى الشمال الى ان وقف القارب وسمعت الملاح يقرع بمجذافهِ ثلاثاً على بابٍ حديدي فُتح لهُ للحال وسمعت صوتاً يقول لهُ بالطليانية « هل تمكنت من احضارهِ » فقهقه الملاح ضاحكاً ورفسني برجلهِ وقال ها هو . ولما قال هذا رفعني بيديهِ القويتين ونزل بي سلماً صغيراً ثم طرحني الى ارض يابسة وللحال سمعت صرير الباب الحديدي فعلمت اني اصبحت اسيراً في بيتٍ لا ادري ما هو ولا من يحكم فيهِ . وافادني ما تعلمتهُ من اللغة الطليانية لانني سمعت صوتاً يخاطب الملاح بها قائلاً هل قتلتهُ يا ماتيو . فقال آسري وأي ضرر ينتج من ذلك لو فعلت . فقال الاول ولكنهم ينتظرونهُ على احرّ من الجمر . فاجابهُ ماتيو ان غايتهم اهلاكهُ فهم ولا شك يسرون لو دروا بموتهِ قبل ان يلطخوا ايديهم بدمهِ . فقال الاول اني اراهُ لا حراك لهُ فلا شك انك اعدمتهُ الحياة يا ماتيو . فقال الملاح اذا كنتُ في ريب من كلامي فانظر . ولما قال هذا نزع الكيس الذي كان يغطي رأسي ووضع يدهُ على صدري ليجس ضربات قلبي . وفتحت عينيَّ قليلاً لارى الرجال المحيطين بي فوجدت الملاح ماتيو على ما وصفتهُ من الخشونة والفظاظة وحولهُ ثلاثة من الرجال يشبهونهُ في الخلق والتركيب وادركت ان احدهم وكيل المنزل الذي صرت اليهِ او السجان ان شئتم الحقيقة . فلما رأيتهم ندمت ندماً عظيماً لعدم احضاري خنجري معي ولو فعلت لاستطعت اقتحامهم جميعاً والتخلص منهم بينهم . وكأن السجان شعر مني بتلك الحركة فرفسني برجلهِ وامرني ان اقف امامهم فامتثلت للحال . ولم اكد اقف على رجليَّ حتى سولت لي نفسي الفرار فوثبت وثبةً واحدة اوصلتني الى طرف الغرفة وما رأى ذلك الرجال حتى عدوا في اثري ووجدت امامي باباً فرفستهُ برجلي فانفتح وولجت منهُ فتبعوني وما زلت اثب من غرفة الى اخرى وهم يجدّون في لحاقي حتى قار بني الملاح وخنجرهُ في يدهِ فرفستهُ في بطنهِ فألقيتهُ ممدداً في وسط الغرفة وسقط الخنجر من يدهِ ولكني لم استطع ان اتناولهُ لان الباقين كانوا قد اقتربوا

مني . فتوجهت الى الباب الخارجي وما كدت اضع يديَ على زلاجهِ حتى انفتح فصحت مسروراً مستبشراً بالنجاة ولكنني رأيت للحال ما جعلني ألعن تلك المدينة و بانيها لانهُ كما اسلفت كل بيت من بيوتها جزيرة صغيرة تحيط بها المياه من جميع الجهات . وكان ذلك الباب يوصل الى قناة من المياه عميقة مظلمة ولم اكن احسن السباحة فرجعت مخترقاً لي طريقاً وسط مهاجميَّ وما زلت اعدو الى ان بلغت باباً آخر فتحتهُ فوجدت نفسي في ردهة فسيحة مضاءة بالانوار مكتظة بالرجال المسلحين بالخناجر والحراب واقفين كأن على رؤوسهم الطير امام منصةٍ قد جلس عليها اثنا عشر شخصاً لم استطع تمييز واحد منهم لانهم كانوا مرتدين جباباً سوداء وعلى وجه كل واحد منهم نقاب اسود لا يظهر منهُ الا عيون براقة تشتعل فيها نيران الغيظ والانتقام

ورأيت امام المنصة و بين اولئك الاشقياء فتىً فرنسويًّا عرفتهُ للحال انهُ الملازم اورياي ولم يحجبهُ عني ما كان عليهِ من امتقاع لونهِ وهيئة الارتعاد المرسومة على وجههِ . ولا اقدر ان اصف لكم هيئة الامل التي ظهرت عليه بغتةً عند دخولي ولا امارات اليأس التي عقبتها عند ما رأى ان قدومي كان لاشاركهُ في حتفهِ لا لانقذهُ منهُ . وقرأت بلحظة واحدة علامات الاستغراب على اوجه الجميع لدى دخولي الفجائي ومع ان ثيابي كانت ممزقة وشعري كان مشعثًا والدم يسيل من رأسي وذراعيَّ بسبب محاولتي الفرار فانهُ كان في عينيَّ نظرٌ وفي قامتي استواء جعلاهم يتحققون ان جيرار الداخل عليهم ليس من سوقة القوم الجبناء . فتقدمت بثبات جأش الى امام المنبر ونظرت الى احد الاثني عشر وقد علمت من مركزهِ انهُ رئيس الجلسة فقلت لهُ لعل في امكانك يامولاي ان تخبرني ماهو السبب الذي اوجب القاء القبض عليَّ واحضاري الى هذا المكان . على اني اعلمك اني رجل شريف نظير هذا الرفيق الواقف امامكم واطلب ان تطلقوا سراحنا للحال . فكان جواب كلامي سكوتاً عميقاً برقت فيهِ اعين الرجال تحت البراقع التي تستر وجوههم و بعد هنيهة قال الرجل الذي خاطبتهُ بصوت اجش من يكون هذا الرجل . فاجابهُ الملاح ماتيو وكان قد

تبعني الى باب الردهة هذا هو الكولونيل جيرار يا مولاي

فساد سكوت آخر مدةً ثم نظر الرجل الى ورقة كانت امامهُ وقال لم تجيء نوبتهُ بعد فان امامهُ اثنين قبلهُ فارجعوهُ محفوظاً الى السجن . فقال ماتيو واذا قاومنا كما فعل الآن . قال اغمدوا خناجركم في جسمهِ . ولما قال هذا تقدم ماتيو ورفاقهُ فاخذوني الى خارج الغرفة وحملوني وماتيو بجانبي شاهراً خنجرهُ وهو يود ان يرويهُ من دمي الى ان اوصلوني الى غرفةٍ فتحوا بابها ودفعوني اليها ثم اغلقوا الباب وتركوني في ظلام دامس . ولما كانت النفس عزيزة على صاحبها لم استسلم للقضاء بل جعلت ابحث عن طريقة اتمكن بها من النجاة فابتدأت بفحص سجني فوجدتهُ مبنيًّا بالحجر من جهاتهِ الثلاث اما الجهة الرابعة فكانت فاصلاً خشبيًّا أقيم ليقسم غرفة سجني الى سجنين . و بعد البحث وجدت ان لا امل لي في الخلاص من الجهات الحجرية واني لو خرقت الحاجز الخشبي لوصلت الى سجن آخر نظير سجني وان لا فائدة لي من هذه التجارب . غير اني فضلت العمل على السكون فجعلت اختبر الالواح الخشبية حتى عثرت على اثنين منها غير متينين تمكنت من ادخال يدي تحت احدهما واعملت فيهِ قوتي فتمكنت من رفعهِ ولم اكد انزعهُ تماماً حتى سمعت وقع اقدام تتراكض خارج حجرتي كأن جمعًا يدفعون رجلاً بالرغم منهُ وهو يجاهد في التخلص منهم . فلما بلغوا حجرتي سمعت صوتاً يقول اليَّ يا جيرار فعلمت انهُ الملازم اورياي يقودونهُ الى الهلاك فهاج الدم في رأسي وأسرعت الى باب حجرتي ودفعتهُ بعنفٍ شديد فلم تؤثر فيهِ قوتي وللحال سمعت صوت تأوهٍ وشبه طعنات تلاها سقوط جسم الى المياه ثم سكن الضوضاء فعلمت انهُ قد قُضي على المسكين . ثم سمعت خطوات الجنود راجعة امام حجرتي ففتحوا الحجرة الملاصقة لي واخذوا منها شخصاً وصعدوا بهِ . فلما ابتعدت خطواتهم عدت الى معالجة الالواح الخشبية فرفعتها ودخلت الى الغرفة الثانية فوجدتها كما افتكرت قسماً ثانيًا من سجني ولم اجد فيها شيئاً يدل على معرفة الذي كان رفيقي في الاسر ولاما يفتح لي باب امل في النجاة فعدت الى حجرتي واعدت الالواح الى اماكنها ولبثت انتظر دعوتي لتجرع كاس الموت

وبعد ساعةٍ خلتها عاماً سمعت رجوع الجنود وتوقعت مشهداً آخر كالسابق ؛ لكنهم في هذه المرة عادوا بهدوّ فارجعوا الاسير الى غرفتهِ بسكون وقبل ان اتمكن من رفع الالواح لارى من هو فُتح باب غرفتي وسمعت الملاّح ماتيو يناديني ويقول تعالَ ايها الفرنسوي . ورأيت ان لا فائدة من المقاومة فتبعتهُ الى ان اوصلوني الى ردهة القضاء فدخلتها بجسارة ولسان حالي يقول

واذا لم يكن من الموت بدٌّ　　فمن العجز ان تكون جبانا

ولكنني وجدت القضاة في مباحثة مع واحد منهم وسمعت الرئيس يقول لهُ تنحَّ ايها الاخ فقد صدر الحكم ولابد من تنفيذهِ ، فقال الاخ رحماك يا مولاي اسمح لي ان اطلب رحمتك هذه المرة فقط . فقال الرئيس لا سبيل الى الرحمة فان هذا الحكم اخف ما يمكن . ثم وجّه نظرهُ اليَّ وقال أأنت الكولونيل جيرار . قلتُ نعم . قال وانت مساعد اللص المدعو الجنرال سوشاي احد انصار اللص الاكبر المسمى بونابرت . فلماذا اتيتم بلادنا وما هو غرضكم فيها ان لم يكن السلب والنهب فسترون العقاب العادل الذي سيحل بكم . اما انت فلك ذنب اكبر لا اود ذكرهُ لئلا اثير اشجان هذا الاخ الذي كان يكلمني الآن . ولما قال هذا نهض الاخ المذكور فقال انني لا اقدر ان احتمل ايضاً فاذا كنتم لا ترجعون عن حكمكم فانا استقيل . ولما وجد انهُ لا سبيل الى تغيير الحكم خرج من الردهة كالمجنون لا يلوي على شيء . ثم عاد الرئيس الى مخاطبتي فقال اما ذنبك الاكبر فهو طموح بصرك لعشق ابنة اشرف دوج في البندقية وحبيبة اشرف عظمائها وارث اسرة لوريدان . فخذهُ يا ماتيو الى سجنهِ وامنعوا عنهُ القوت ثلاثة ايام ثم احضروهُ الينا لنختار لهُ ميتةً تليق بمثل هذه الخيانة . وقبل ان اتحقق ما انا فيهِ رفعني ماتيو ورفاقهُ وأخذوني الى سجني والقوني فيهِ . ولما هدأ روعي فكرت ان ازيل الالواح الخشبية لا تعرف بشريكي في البلاء لعلنا نتعاون على الخلاص ففعلت ودخلت الى غرفتهِ فوجدتهُ شبحاً مطروحاً الى جانب الغرفة . فقلت لهُ ثق ايها الرفيق فقد اتاك الكولونيل جيرار ليعزيك . فلما سمع الشبح هذا الاسم نهض بارتعاش وقال جيرار انتَ هنا . وما سمعت هذه

الكلمات حتى علمت بمنتهى العجب ان رفيقي في السجن هو حبيبتي لوسيا فقلت لها ماذا اتى بكِ الى هنا . قالت كتابك . قلت انا لم اكتب اليكِ بل انما اتيت لانكِ كتبتِ اليّ ان احضر . قالت وانا لم اكتب اليك . ثم تنهدت وقالت اذن هذان الكتابان كانا من اعمالهم الشيطانية . فاسمع . ان هؤلآء محكمة سرية تألفت لمعاقبة من يقبضون عليهِ منكم بدون شفقة ولما علموا بمحبتك لي ومحبتي لك احتالوا علينا فاحضرونا الى هنا وقد حكموا عليّ بقطع اذني اليمنى لتبقى علامة ابدية لخيانتي بحب رجل فرنسوي وهم بلا شك سيحكمون عليك بالهلاك . ولا اخفي عنك ان فتى اسمهُ لورنسو لوريدان احبني وكنت احبهُ الى ان عرفتك فانصرفت عنهُ اليك وهو واحد من القضاة وقد دافع عني كثيراً ليخلصني من هذا القصاص فلم يلقَ مجيباً

و بينما انا استغرب هذه القصة وقد أنستني شفقتي على لوسيا افتكاري في الموت اذا بجلبة تتقدم الى جهة سجننا . فقالت لوسيا ها انهم قادمون لتنفيذ الحكم فيَّ . فقلت لها لا تجزعي فانهُ لا يزال لنا امل في الخلاص ثم امرتها ان تطيعني بدون مراجعة فأخذت عبآءتها وارتديتها ثم دفعتها الى حجرتي وارجعت الالواح وجلست مكانها . وللحال فُتح الباب وكان الظلام الحالك يساعدني على التستر فسمعت صوت ماتيو يقول ان القتل وسفك الدمآء شيءٌ تعوّدتهُ غير اني اشعر بشيء من الوجل في قطع اذن هذه الغادة المسكينة . فقال لهُ احد رفقآئهِ انتظر ريثما نأتي لك بالمصباح . فقال لا فربما رجفت يدي اذا رأيت وجهها الجميل فانا اوثر ان اتمم فعلي في الظلام . وكان قد اقترب مني فلم أبدِ اقل معارضة وامسك ماتيو بأذني اليمنى وللحال شعرت بخنجرهِ قد قطع اعلى محارتها (صيوانها) باسرع من البرق . واذ ذاك هممت ان انتشل منهُ الخنجر واغمدهُ في صدرهِ ولكن خشيت العاقبة وفضلت الانتظار ثم اخذت منديلاً وضعتهُ على الجرح وكان دمهُ يسيل بغزارة . وهمّ ماتيو بالخروج فقال لهُ واحد من رفاقهِ اني اعجب من سكوت الفتاة واحتمالها الالم بدون ان تبدي ادنى صوت فاخشى ان تكون ماتت . فقال ماتيو وهل يموت الانسان من جرح اذنهِ . فقال الاول ولكن الافضل ان نتحقق ذلك فقال ماتيو هاتوا مصباحاً وتحققوا . اما انا فكدت

اجن من الغيظ وعلمت انهم ان احضروا النور اكتشفوا حيلتي . ولكنهم ما ابتعدوا قليلاً حتى سمعت ضجة قوية تلاها طعنات متوالية وصياح ارتفع من جميع الجهات يقول ليحيَ الامبراطور . فعلمت ان ذلك صوت رجالنا الامناء وعجبت من وصولهم الى هذا المحل الجهنمي

ثم رأيت شبحاً دخل حجرتي وقال بصوت ملؤهُ الشجن ارأيتِ يا عزيزتي لوسيا مقدار حبي لكِ فمع استيآئي العظيم منكِ لتفضيلكِ ذلك الوغد الفرنسوي عليَّ قد حاولت جهدي ان استبدل الحكم عليكِ بالرأفة ولما لم يستجيبوا طلبي فضلت خيانة وطني ورفاقي على ان يلم بكِ مكروهٌ فتركت المجلس وذهبت توًّا الى المعسكر الفرنسوي واطلعتهم على ما يجري هنا فتبعوني على الاثر وقد استولوا على هذا المكان . فهل يكفيكِ هذا البرهان على ولآئي . ثم سكت هنيهـةً وقال ما لكِ لا تجيبيني ايتها العزيزة . ولما لم يسمع جواباً اخذ عوداً من الثقاب واشعلهُ فما كاد يراني حتى اكفهرَّ وجههُ غيظًا وانتقاماً . ثم رأى اصفرار وجهي ونزف دمي فلانت عريكتهُ وقال ما هذا وماذا جرى لك وقبل ان اجاوبهُ كانت لوسيا قد دفعت الالواح الخشبية واخذت تقص عليهِ احتمالي قطع اذني من اجلها . فابرقت اسرتهُ ومدَّ يدهُ اليَّ مصافحاً وقال اني اصفح عنك ايها الشهم فان مروءتك فاقت باضعافٍ ما افقدتنيهِ

وهكذا وصلت جنودنا الابطال فلم ينجُ من ايديهم واحد من اولئك الطغاة وسررت جدًّا لما رأيت جثة ماتيو لا حراك بها . اما لورنسو فوُجد بعد يومين قتيلاً وقد طعنتهُ يدٌ لم يعرفها احد . وبعد ما اخلينا البندقيـة دخلت لوسيا ديراً ولعلها لا تزال فيهِ الى الآن . ومع مرور السنين الكثيرة على هذه الحوادث فاني لا ازال اذكر الدقائق التي كنا نصرفها معاً وقلبانا يتناجيان بخفقانهما . فقد انقضى الشباب وذهب الحب ولكن اخلاق الشهم لا تتغير وانا افتخر جدًّا بقطع اذني عوضاً عن تشويه خلقة ذلك الملاك الطاهر كما انني اقسم بشرفي اني كنت ابذل لها اذني الاخرى لودعت الحال ان اقوم لها بمثل هذه الخدمة

مناجاة الارواح

او السپيريتسم

نكتب هذا الفصل اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الالبآء نورد فيهِ زبدة اقوال الباحثين من غير ان نتصدَّى لتأييد شيءٍ منها او نقضهِ لان الامر لا يزال الى الآن من ورآء المدارك العلمية والعقلية ولذلك افترقت فيهِ مذاهب اهل العلم فمنهم من انكرهُ بتةً لخفاء وجههِ وبعدهِ عن سَنَن الاحوال الطبيعية ومنهم من اعتقدهُ اعتقاد الحقائق المسلَّمة ذهاباً الى أن في الطبيعة اسراراً لا يَسَع الوجدان انكارها وان لم تقع في حيز المعقول

ومناجاة الارواح من الامور القديمة العهد بل لعلها من اقدم ما ذُكر في تاريخ الانسان وهي شائعة عند جميع امم الأرض حتى عند القبائل الهمجية . وكان المتعارَف الى اواسط القرن التاسع عشر انها تتم اما باستحضار الارواح على ما يفعلهُ اصحاب هذا الشأن واما بحضورها في الحلم ثم انها من ذلك التاريخ انتقلت الى طورٍ آخر اذ اخذ الباحثون في استقرآء ما يحدث فيها من المعاينات والمسموعات والنظر فيما بينها من المناسبات حتى جعلوها علماً قائماً بنفسهِ وصار لها رجالٌ مخصوصون يبحثون في اسرارها وينقطعون للاشتغال بها

والظاهر ان هذا الطور الجديد اول ما ظهر في اميركا وكان ظهورهُ على اثر ما شاع من امر الموائد المتحركة وذلك نحو سنة ١٨٤٣ . وكيفية امر هذه الموائد ان يعمد جماعةٌ الى مائدة مستديرة ذات ثلاث قوائم فيقفون او يجلسون من حولها ويضعون اكفّهم على اطرافها وبعد ان يأتي على ذلك

نحو عشر دقائق الى نصف ساعة يُسمَع من المائدة صوت طرقٍ خفيف ثم تأخذ في حركةٍ نَوَدانية فتميل على احد جوانبها ثم تعود وبعد حين تدور على نفسها وقد يكون دورانها في غاية السرعة . وهم يقولون انها تتحرك كذلك من تلقآء نفسها لا بتحريك ايديهم لها ويزعمون أن هذه الحركة فيها تتمّ بمثل السيّال الذي يحدث عنهُ النوم المغناطيسي

وقد انتشر امر هذه الموائد في المانيا سنة ١٨٤٦ وفي فرنسا سنة ١٨٥٣ الا ان الاميركان لم يكتفوا بكونها تتحرك فحاولوا ان يجعلوا تلك الحركة ذات معنى وبعبارةٍ اخرى ان يجعلوها تتكلم . وذلك انها بعد استوآء الجلوس حولها ووضع ايديهم عليها تميل على اثنتين من قوائمها الثلاث وترفع الثالثة ثم تحطها وتعود فترفعها وهكذا على التعاقب واذ ذاك يعدّد واحدٌ من الحضور حروف الهجآء فتميل المائدة عند ذكر كل حرف حتى اذا بلغ الى احد الحروف تميل ميلةً أعظم وتردّ رجلها بعنف ثم تقف فيقيَّد ذلك الحرف ثم يعاد العمل الى ان يبلغ الى حرفٍ آخر فتفعل كذلك الى ان يتم هجآء الكلمة او الكلمات التي تريد ان تقولها . قالوا ولا بد لحدوث ذلك من وجود شخص بين الواضعين ايديهم على المائدة قد امتاز بقوةٍ خاصة تميل المائدة الى جهتهِ ويزعمون انها انما تتحرك بروحٍ ينبثّ فيها بتوسُّط الشخص المذكور ولذلك يسمَّى عندهم بالوسيط وأن هذا الروح هو الذي يجاوب . وهو يكون على الغالب روح متوفًّى من اقارب احد الحضور وقد يكون روح احد الاحيآء من الغائبين عن الحضرة او روح رجلٍ شهير وربما استخدموا روحاً مجازيًّا كروح الحكمة ونفس الارض وغير ذلك

وهناك امرٌ اغرب مما ذكر وهو أن المائدة على ما زعموا ترتفع احياناً تحت يدي الوسيط حتى لايبقى اتصالٌ بينها وبين الارض . وهذا الارتفاع لايتم غالباً الا بعد ان تنود اي تميل وترجع مراراً كثيرة لكنهُ احياناً يتمّ ابتداءً بحيث انهُ لوكان على المائدة شيءٌ لم يتغير عن وضعهِ . وبعد ارتفاعها تبقى عدة ثوانٍ في الهوآء واذا تُحومِل عليها والحالة هذه تنزل قليلاً ولكنها تعود الى ارتفاعها حالما يُرفَع الضغط عنها حتى كأنها قائمة على نابض (زنبلك) .
ويروون من هذا القبيل اموراً منها ان بعض الاجسام تتحرك او تنتقل من مواضعها دون ان تمسّها يد الوسيط وذلك كأن تنتقل اشياء من المكان المجتمع فيهِ الى خارجهِ او كأن تنتقل بعض قِطَع الاثاث عن مواضعها او يُسمَع صوت آلةٍ موسيقية في المكان دون ان يمسّها احد واشباه ذلك . بل الوسيط نفسهُ على ما يزعمون يرتفع احياناً في الهوآء الى مسافةٍ ما . قالوا وامثال هذه الامور لاتتمّ الا في الظلام .

ومن ذلك ان بعض الموادّ تخترق الحُجُب وذلك كأن يكون شيء في صندوق فيخرج منهُ والصندوق مُقفَل ومختوم وكأن تكون حلقاتٌ متداخلة فينفكّ بعضها من بعض من غير ان يكون فيها انفصام او كتابٌ في خزانة فيخرج منها الى غير ذلك وهذه ايضاً لا تحدث الا في الظلام

ومما ذكروا ان اشيآء رُؤيت طائرةً في الهوآء وهي تتألق نوراً وذلك من نحو ايدٍ او رؤوس او من نحو صورة وجهٍ او طيفٍ وهذا الاخير نادر الحدوث . قالوا وربما ظهر شخص كامل يذهب ويجيء ويتكلم ويمكن لمسهُ وهذه الطيوف تظهر احياناً في الظلمة ولكنها قد تظهر في النور واكثر

ما يكون ظهورها حيث لا يُتوقع فتظهر في حجرة او في الطريق او في الصحرآء والذي يظهر كذلك يكون واحداً من الاموات يتجلى لأحد انسبآئهِ او خلاّنهِ وذلك في حين مفارقتهِ للحياة

ومن ذلك انهم يضعون على مائدة لا تصل اليها يد احد او في ضمن علبة مُقَفَلة قطعة ورق وقلم رصاص وبعد حين يُفتقَد الورق فيوجد مكتوباً . وقد يجلس الوسيط على كرسيّ فلا يلبث ان تستحيل هيئتهُ ويتبدل صوتهُ ولهجتهُ وعلى الجملة يفقد مميزاتهِ الشخصية ثم يتكلم فيكون كأن شخصاً آخر يتكلم فيهِ وبعبارةٍ اخرى كأن روحاً قد استولى على اعضائهِ واستخدمها . فيجيب عن الاسئلة التي تُلَقى عليهِ ويخبر بامورٍ هو يجهلها اصلاً ولكنها تكون من معلومات الروح الذي حلّ مكان روحهِ وقد يكون ذلك الروح طبيباً فيشير على المرضى بما ينفعهم ويذكرون أُناساً قد شُفُوا بهذه الطريقة

واخيراً فانهُ يقال انهم يصوّرون الارواح فاذا جاءهم من يطلب صورة احد المتوفَّين من اهلهِ اجلسهُ المصوّر تجاه الآلة الفوتغرافية واخذ صورتهُ كالعادة ولكن عند كشف الصورة على الصفيحة الزجاجية يُرَى بجانب صورتهِ رأسٌ قد يكون ذا ملامح واضحة هو رأس الروح . قالوا وكثيرٌ من الناس من عرف اباهُ او امهُ او ولدهُ لكن من الناس من لم يثبت لهُ شيءٌ من ذلك

على ان هذا الامر لم يلبث ان ظهر انهُ كان ضرباً من الاحتيال وذلك ان رجلاً من اهل باريز يقال لهُ بوجّاي اعلن نحو سنة ١٨٧٥ انهُ يصوّر

الارواح وعيّن ثمن الصورة ٢٠ فرنكاً فجعل الناس يتواردون عليهِ وكان يفعل كما ذُكر . غير ان الصور كانت تصدق حيناً وتخلف آخر على ما تقدّم فكان ذلك مما نبه العيون اليهِ وآخر الامر تبين انهُ كان عندهُ اشباح يستخدمها لاخذ صور الارواح وهي تماثيل صغيرة من الجصّ لا رؤوس لها ورؤوسٌ من الورق قد قطعها من صور فوتغرافية قديمة . فكان كما حكى عن نفسهِ اذا جاءهُ الطالب ارسلهُ الى صاحبة الصندوق ليؤدي اليها ثمن الصورة فتسألهُ عن غرضهِ وتستدرجهُ لمعرفة شيء من حِلية صاحب الروح الذي يريد تصويرهُ فاذا انهت اليهِ ما علمتهُ من الطالب اخذ احد تلك التماثيل الصغيرة وغطاهُ بنسيج ابيض وجعل فوقهُ رأساً من الرؤوس الفوتغرافية التي عندهُ مما يظن انهُ اقرب شَبَهاً الى الهيئة التي وصفتها لهُ المرأة ثم يعمد الى الطالب فيأخذ صورتهُ على نحو ما تقدّم وقبل أن يكشفها يأخذ صورة التمثال على الزجاجة نفسها فتظهر الصورتان معاً

ولما ظهر امرهُ رُفع الى القضآء فاعترف بصنيعهِ فحُكم عليهِ بالسجن وبعد ان لبث فيهِ مدةً فرّ منهُ وخرج الى بلاد البلجيك وكان اول شيء عملهُ هناك انهُ نشر بياناً ذكر فيهِ قصّتهُ وصرّح بان عملهُ كان احتيالاً ولكن الناس مع جميع ذلك لم تكفّ عنهُ وما برحوا يأتونهُ في طلب تصوير موتاهم فعاد الى ما كان عليهِ . على ان كثيرين غيرهُ يتعاطون الامر نفسهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى هذا اليوم[1]

(١) ذُكر لنا ان واحداً من اكابر عقلآء المصريين كان في صيف هذا العام يسيح في اوربا فافضى بهِ طوافهُ الى احد اولئك المخرقين فاخبر انهُ استحضر لهُ

وقد اشتغل اهل العلم بهذه الامور لشهرتها بين الجمهور وكثرة ما يُروى منها وجزم المشاهدين بصحتها وكان اشدّ الاهتمام بها في انكلترا واميركا فانهم عقدوا لها عدة اجتماعات في مواعيد مختلفة فلم تسفر مباحثهم عن فائدة لان منهم من حكم بنفي صحتها بتاتاً وحمل كل ما يظهر منها على التمويه والاحتيال ومنهم من حكم بصحة جميع تلك المشاهدات على التقريب . ومن الذين تفرغوا لهذا الفحص في انكلترا الكيماوي الشهير وِليَم كرُوكْس فانهُ بحث في هذه المسائل بحثاً دقيقاً وعانى اختبارها بنفسهِ متدرّجاً من اسهلها حلاً الى اشدّها غرابةً واشكالاً فكان يظهر لهُ المشهد بعد المشهد وفي آخر الامر ظهر لهُ روحٌ بمنظر فتاة صغيرة السنّ فحادثها في امورٍ مختلفة ثم تجسمت لهُ الى حدّ انهُ وزن ثقلها وتسمّع الى حركات قلبها ورئتيها

وتألفت بعد ذلك في انكلترا جمعيةٌ مخصوصة لهذا الفحص وقد طُبعت نتيجة فحصها سنة ١٨٨٦ في مجلدين ضخمين نسقت فيهما وصف ما كان يظهر لها من المشاهد فأثبتت صحة اكثرها وعلى الخصوص ظهور الاموات . وممن استقرى هذا البحث المسيو فلاماريون الفلكي المشهور وخصوصاً ما يتعلق بالمسئلة المذكورة اي مسئلة ظهور الاموات فأثبت صحة ذلك بناء على شهادة عددٍ كبير من الناس ممن سمعوا لفظ الميت أو ابصروا ملامحهُ . ومثل ذلك مسئلة المائدة التي ترتفع عن الارض فانها ثبتت لهُ بشهادة اناسٍ لا ريب في صدقهم قال على ان المسئلة لا تحتمل ان تكون من باب التمويه

روح والدتهِ وانهُ كلما فسمع لفظها بعينهِ ثم صوّرها لهُ وكانت الصورة منطبقة على هيئتها تمام الانطباق كانها صُوّرت وهي حية . . .

لرجوعها الى حكم الحسّ الظاهر ولأن التمويه في مثل هذا لا يكون الاّ في موضع مخصوص مُعدّ لهذه الشعوذة . وكذا يقال عن بقية المشاهدات وان اختلف موضعها من اليقين بالقياس الى كثرة حدوثها وقلّتهِ وبالتالي الى عدد الشهود الذين يحضرونها

قال وقد حاول بعض الذين لم يسعهم الا الاقرار بصحة هذه المشاهد ان يعللوها من الطرق المعقولة ولكنهم لم يستطيعوا ردّها الى شيء من القواعد الطبيعية أو قواعد منافع الاعضاء على وجه مُقنِع . وذلك كالمائدة التي تدور وتزحف حول نفسها وقوائمها لاصقةٌ بالارض فانها لا بدّ لها ان تحرك بقوّة شديدة حتى تنتقل هذا الانتقال . وقد امتحنوا هذه القوّة فيها بأن عمدوا الى مائدةٍ خفيفة وضع الوسيط يديهِ عليها وامسكها احد الحضور ليمنعها من الحركة فحدث بينها وبين الذي امسكها مجاذبةٌ عنيفة واخيراً دفعتهُ عنها (كذا) واندفعت في حركتها . فجعلوا مكان الوسيط رجلاً آخر بقصد ان يجعلها تزحف بضغط كفَّيْهِ فكانت كفّاهُ تنزلجان عليها وهي ثابتةٌ في مكانها . فتبيّن ان هناك قوةً غير قوة العَضَل فضلاً عن ان هذه الحركة قد تكون على عكس ما يقتضيهِ الظاهر كما في المائدة التي ترتفع عن الارض والايدي فوقها لا تحتها وكالامور التي تحدث من غير وجود يدٍ تُحدِثها مما يدلّ على ان في بنية الانسان قوةً تفعل في المادّة غير ما تفعلهُ الاعضاء بضغطها الا ان طبيعة هذه القوة لا تزال مجهولةً عندنا

وهناك توجيهاتٌ أُخر لبقية المسائل المذكورة لجأ في اكثرها الى التخرُّص او التمحُّل البعيد فأجتزأنا عن سردها تخفيفاً عن المطالع . وجملة

القول ان الامر لايزال غامضاً حتى على اهل العلم ومن سلّم منهم بصحّتهِ فانما سلّم انقياداً لحكم الحواسّ من غير ان يكون على بيّنةٍ من كيفية حدوثهِ فاكبر العلماء في ذلك والأُمّيّ متساويان لان كلاً منهما لا يرى الا ظواهر الامر والحقيقة محجوبةٌ عن كليهما والله اعلم

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس آداب العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة

(تابع لما في الجزء السابق)

ومنهم ابن درّاج الطُفيلي يتغنّى مفتخراً بصفة التطفّل طالباً لها طول البقاء ليتمتع بها قائلاً

لذةَ التطفيل دومي　　واقيمي لا تريمي
انت تشفين غليلي　　وتسلّين همومي

ومنهم الفضل بن سهل الذي اشتهر ببغضهِ للسعايات اجاب على سعاية ساعٍ بما دلّ على اخلاقهِ وهو قولهُ « نحن نرى ان قبول السعاية شرٌّ من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دلّ على شيءٍ وأخبر بهِ كمن قبلهُ واجازهُ فاتّقوا الساعي فانهُ لو كان في سعايتهِ صادقاً لكان في صدقهِ لئيماً اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة »

ومنهم القائل وقد حرّض على التقدم الى القتال فتأخر جبناً وهلعاً وقال يعتذر

وقالوا تقدم قلت لستُ بفاعلٍ أخاف على فخَّارتي ان تحطَّما

فلو كان لي رأسان اتلفت واحداً ولكنهُ رأسٌ اذا راح اعقما

ولو كان مبتاعاً لدى السوق مثلهُ فعلتُ ولم احفل بأن اتقدَّما

فأُوتِمَ اولاداً وأُرمِلَ نسوةً فكيف على هذا ترون التقدُّما

ومنهم عامر بن الطُفَيل المشهور بانجاز الوعد واخلاف الوعيد يصوّر اخلاقهُ في زجاجة قولهِ

ولا يرهب ابن العمّ ماعشتُ صولتي ويأمن مني سطوة المتهدّدِ

واني وان اوعدتهُ أو وعدتهُ لَيكذبُ ايعادي ويصدق موعدي

ومنهم الطُفَيليّ يخبر عن نفسهِ مظهراً من حرفتهِ ما ليس يدركهُ سواهُ بقولهِ

نحن قومٌ اذا دُعينا أَجبنا ومتى نُنْسَ يدعُنا التطفيلُ

ونَقُلْ علَّنا دُعينا فغبنا وأتانا فلم يجدنا الرسولُ

ومنهم ابن هَنْدُو دُعي الى مجلس شراب عند أبي الفتح بن احمد كاتب قابوس وكان يكره الخمر فكتب يعتذر

قد كفاني من المدام شميمُ صالحتني النُّهى وتاب الغريمُ

هي جهد العقول سُمّي راحاً مثلما قيل للّديغ سليمُ

ان تكن جنَّةَ النعيم ففيها من اذى السكر والخمار جحيمُ

ومنهم يعقوب بن اسحق الكندي الفيلسوف الشهير يظهر بخلهُ بوصاتهِ التي قال منها « والدينار محموم فان صرفتهُ مات والدرهم محبوس فان أخرجتهُ فرَّ والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك »

ومنهم متنبئ الغرب المعروف بابن هانئ وكان متَّهماً بمذهب الفلاسفة فافصح عن مذهبهِ حيث يقول في مدح المعزّ لدين الله مؤلّهاً اياهُ

ماشئتَ لاماشآءَت الاقدارُ   فاحكم فأنت الواحد القهّارُ

ومنهم ابن ابي مَعْقِل الحجازي الرحَّالة لامتهُ زوجتهُ ام نهيك على اسفارهِ فخاطبها بقولهِ

أأمَّ نهيكٍ ارفعي الطَرْف صاعداً   ولا تيأسي أن يُثريَ الدهرَ بائِسُ
سيغنيكِ سيري في البلاد ومطلبي   وبعلُ التي لم تحظَ في الحيّ جالسُ

ومنهم ابن جُبَير الرحَّالة البَلَنْسي فانهُ بعد ان طاف البلدان تزهَّد وأعرض عن الدنيا وجمع المال وفطم نفسهُ عن المطامع ومن قولهِ ينصح المتهالكين على الدنيا

عجبتُ للمرء في دنياهُ تطمِعهُ   في العيش والاجل المحتوم يقطعهُ
ويجمع المال حرصاً لا يفارقهُ   وقد يدرى أنهُ للغير يجمعهُ
تراهُ يُشفِق من تضييع درهمهِ   وليس يشفق من دينٍ يضيّعهُ

ومنهم ابن الجصَّاص الجوهري وكان يُرمَى بالبلَه دخل يوماً منزل ابي اسحق الزجَّاج وقد اجتمع الناس لعزآئهِ لما توفّيت زوجتهُ فقال والله يا ابا اسحق لقد سرَّني هذا . فدهش ابو اسحق والحاضرون وسألهُ بعضهم يا هذا كيف سرَّك غمُّهُ وغمّنا . قال بلغني أنهُ هو الذي مات فلما صحّ عندي انها امرأتهُ سرَّني ذلك فانقلب المأتم الى ضحك

ومنهم المخزومي الشجاع المدرَّب يصوّر للناس تمثال شجاعتهِ واقدامهِ بقولهِ

وما يريد بنو الاغيار من رجلٍ   بالجمر مكتحلٍ بالنبل مشتملِ

لا يشرب الماء الا من قليب دمٍ　　ولا يبيتُ لهُ جارٌ على وجلِ

ومنهم ابن مالك القُشَيريّ من اجواد العرب لامهُ خالهُ لانهُ أَنهبَ الناسَ مالَهُ بعكاظ ثلاث مراتٍ فقال

يا خالِ ذَرْني ومالي ما فعلتُ بهِ　　وخذ نصيبك منهُ انني مُودي

فلن اطيعك الاَّ أن تخلِّدني　　فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي

الحمد لا يُشترَى الا بمكرمةٍ　　ولن اعيش بمالٍ غيرَ محمودِ

ومنهم يحيى بن خالد البرمكي فانهُ يريك صورة الكرم بجهر وصفهِ لهُ قائلاً « اعطِ من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيئاً . وأَعطِ منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيئاً » . وقد أُعجب بهذا القول الحسن بن سهل فقال « للهِ درُّهُ ما أطبعهُ على الكرم وأعلمهُ بالدنيا »

وعكسهُ ابو الأَسوَد الدُؤَلي وهو احد بخلاء العرب الأَربعة المشهورين وقد أيّد ذلك بقولهِ « لو اطعنا المساكين في اموالنا كنا اسوأ حالاً منهم » وبقولهِ

ولا تطمعَنْ في مال جارٍ لقربهِ　　فكلٌّ قريبٍ لا يُنال بعيدُ

ومنهم ابو الاسد الحِمَّاني من شعراء الدولة العباسية رثى ابرهيم الموصلي شيخ المغنين في عصرهِ بما طُبع عليهِ من حبّ اللهو والاسترسال مع الهزل وان لم يكن في المقام ما يناسب هذه الصفة فقال

تولَّى الموصليُّ فقد تولَّت　　بشاشاتُ المزاهر والقيانِ

وايٌّ بشاشةٍ بقيت فتبقى　　حياة الموصليّ على الزمانِ

ستبكيهِ المزاهر والملاهي　　وتُسعدهنَّ عاتقة الدنانِ

ومنهم شيخنا العلاَّمة الشيخ ناصيف اليازجي الطيّب الذكر يقول في خطبة كتابهِ مجمع البحرين « انني قد تطفَّلت على مقام اهل الأدب من أيمَّة العرب بتلفيق احاديث تقتصر من شَبَه مقاماتهم على اللقب » ويقول في موضع آخر « انني تلقيت ما تلقيتهُ من فضلات اولئك القوم » ونحو ذلك مما يدلّ على تواضعهِ وعدم دعواهُ . بل نسمع قولهُ ممثّلاً ما كان عليهِ من حب التمحيص والتثبُّت في العمل والتروّي في الحكم

لا تعطِ حكمك ما بدا لك أمرُهُ　　حتى تقوم على حقيقة أمرهِ

وقولهُ يذكر كراهتهُ للهجاء وهي احدى الصفات الكريمة التي اشتهرت عنهُ وامتاز بها عن اكثر الشعراء

وقد شقَّ نظمُ الشعر عندي لعلَّةٍ　　يشقُّ على قلبي الصبور جحودُها

من الشعر مدحٌ قلَّ من يستحقُّهُ　　وصنعة هجوٍ لستُ ممَّن يُريدُها

ولولا ضيق المقام لأوردنا لك من اقوالهِ ما تمثل بهِ سائر صفاتهِ واخلاقهِ الحسان حتى تستطيع ان تأخذ لهُ منها صورةً كاملة

ومنهم أمير شعراء مصر سعادة محمود باشا سامي البارودي الشهير ينشد قصيدتهُ الفخرية وكأنهُ يصوّر لك خفايا أمرهِ بأشعة رنتجن ويقول منها

أنا ابن قولي وحسبي في الفخار بهِ　　وان غدوتُ كريم العم والخالِ

ولي من الشعر آياتٌ مفصَّلةٌ　　تلوح في وجنة الايام كالخالِ

فانظر لشعري تجد نفسي مصوَّرةً　　فيهِ بحسن مقولي خط تمثالي

الى غير ذلك مما نراهُ في كثيرين مرآة النفس ومجهر الخفايا فان البحتري قد

وُصف باعجابهِ الكثير وعُرف بافتخارهِ بالانشاد حتى انهُ لما انشد المتوكل قصيدتهُ التي قال فيها

عن اي ثغرٍ تبتسم وبأيّ كفٍّ تحتكم

ولى مُغضَباً لتعرض الصيمري لهُ واهانتهِ اياهُ . وليت الكاتب المفتنن امين افندي الحدَّاد اشار في كلامهِ عن البحتري الى مساوئهِ الشعرية لتُجتنَب كما اشار الى محاسنهِ لتُتَّبع على نحو صنعتم حضرتكم في كلامكم عن شعر المتنّبئ لأن ذلك من أهم شروط النقد اليوم

(ستأتي البقية)

آلة الكتابة

نشر بعضهم في احدى المجلاّت الفرنسوية فصلاً مطوّلاً في تأريخ اختراع هذه الآلة وما تدرّجت فيهِ من الاطوار الى ان بلغت ما هي عليهِ في هذه الايام فرأينا ان نقتضب منهُ البيان الآتي لما فيهِ من الفائدة التأريخية قال

اول من خطر لهُ صنع آلة تقوم مقام القلم في الكتابة رجل انكليزي يقال لهُ هَري ملّ وكان تسجيل اختراعهِ في ٧ يناير سنة ١٧١٤. وقد ورد في صورة التسجيل ان هذه الآلة مُعَدَّة لرسم حروف منفصلة يُطبع الواحد بعد الآخر بحيث يمكن ان يُنسَخ بها كل ما يراد على الورق أو على الرقّ فيجيء على كمال النقاوة كما لو كان مطبوعاً في المطبعة . اما وصف هذه الآلة وتركيبها فلم يرد عنهُ كلام . وجآء بعدهُ جُونُوّ من اهل فرنسا فاخترع

آلة اخرى سنة ١٨٢٧ لنقل الكتابة على طريقة الاختزال فجعل لها عشرين مجساً يُضغَط عليها فتطبع على سير من الورق ملفوف بين اسطوانتين. وحروفها رسوم مركبة من نُقَط بعضها مستديرة و بعضها على شكل معيّن[1] اذا ضُمّ بعضها الى بعض دلّت على اللفظ المنقول

و بعد ذلك بسنتين اخترع رجل اميركاني من مشيغان يقال لهُ وِليَم أُوستِن بُرت آلةً سماها بالتيپوغراف الا ان هذه الآلة لم تُصنَع واتفق بعد تسجيلها في واشنطون ان احترق محلّ التسجيل فذهبت رسومها في جملة ما تلف في المحل المذكور. وجاء بعدهُ واحدٌ من اهل مرسيليا يقال لهُ پرُوجّين فاخترع آلةً هي اول آلةٍ مثُلت بالصناعة وسماها بالقلم الكتيپوغرافي وهي تتألف من عدة امخال مرتَّبة بشكل دائرة في طرف كلّ منها حرف وكل مخلٍ يتصل بهِ قضيب معقوف الطرف على شكل محجن يُجذَب من طرفهِ فيحرّك المخل وينطبع الحرف على الورق وتحبَّر الحروف بوقوعها على حشيةٍ من النسيج كالتي تُستعمَل في الختم

وتتابع المخترعون بعد ذلك فتفننوا في هذه الآلة على ضروبٍ شتى حتى اربى عدد الاختراعات على خمسين اختراعاً . واغرب اولئك المخترعين رجلٌ اعمى يقال لهُ پيار فُوكُو كان استاذاً في البكنزڤين وهو ملجأ مشهور للعميان في باريز فانهُ اخترع آلةً تطبع في الورق حروفاً ناتئة تصلح لقرآءة العميان ثم اخترع آلةً اخرى للكتابة المألوفة احرز عليها نوط ذهب

(١) هو شكل ذو اربع اضلاع متساوية اثنتان من زواياهُ حادّتان واثنتان منفرجتان

في معرض لندرا سنة ١٨٥١ . واول آلةٍ صالحة للاستعمال هي التي اخترعها الفْرِد بيْشِ سنة ١٨٥٦ وقد عرضها في معرض لندرا سنة ١٨٥٧ وأُجيز عليها بالنوط الذهبيّ ايضاً لكنها لم تكن سريعة العمل ولا تامّة الإحكام ولذلك لم يشع استعمالها بين الجمهور . وبقي امر هذا الاختراع واقفاً عند هذا الحدّ الى سنة ١٨٧٣ وهي السنة التي اخترع فيها شُولس الاميركاني الآلة المعروفة بهِ فلم يأتِ آخر سنة ١٨٧٤ حتى بيع منها ٤٠٠ آلة وبلغ عدد المستعمل منها سنة ١٨٧٧ ثلاثة آلاف آلة . الا انها لم تكن مستوفيةً كل شروط الكمال في الرسم فأخذ المتفننون من اهل الصناعة يحسّنون فيها حتى بلغت اشكالها نحواً من اربعين شكلاً كلٌّ منها يخالفها في زيادة بعض القِطَع أو تبديل بعضها الى ان بلغت غاية ما في الأمكان من احكام الصنعة وسهولة الاستعمال . انتهى تحصيلاً

اما استخدام هذه الآلة في الكتابة العربية فأول ما رأيناهُ في باريز سنة ١٨٩٥ وكانت الحروف مصنوعةً على شكل الحرف الباريزي المعروف فلم يكن فيها شيءٌ من الحسن . وزاد على ذلك أن الصانع جعل القياس الافقي لجميع الحروف واحداً فكان الحيز الذي تقع فيهِ البآء من كلمة بعض مثلاً هو نفس الحيز الذي تقع فيهِ الضاد وحينئذٍ اضطرّ ان يمطّ البآء الى ما فوق القدر بكثير وان يقصّر الضاد الى حدّ ان تشوّهت صورتها وقس على ذلك بقية الحروف . وقد حاول غير واحدٍ عندنا استنباط طريقةٍ يمكن بها ان تأتي الحروف على ما يقرب من اشكالها المتعارَفة فمنهم من قسمها الى طائفتين ومنهم من قسمها الى ثلاث تجتمع كلٌّ منها تحت قياسٍ

واحد فتقرَّب العمل بذلك من الكمال بحيث لم تبقَ في النفس حاجةٌ من هذا القبيل . لكن بقي ان كثرة الاختلاف في صور الحروف العربية تمنع مجيء الكتابة بالآلة مشابهةً تمام المشابهة لكتابة القلم أو للحرف المطبوع ما لم يزد عدد الحروف الى حدٍّ يصعب معهُ استعمالها وتفوت المزية المقصودة من هذه الآلة وهي سرعة العمل . والظاهر ان هذا الامر لا علاج لهُ الا ان تُرَدّ الحروف في الاستعمال الى ابسط اشكالها وفي ذلك من التسهيل على المطابع ايضاً ما هو اعظم اهميةً مما ذُكر . ولنا في هذا الشأن كلامٌ سنعود اليهِ ان شاء الله

مطالعات

زبيب الموز — لا ريب ان الموز من انفع المآكل وألذّها وافضلها غذاءً للجسم لان تركيبهُ يشتمل على جميع الموادّ اللازمة لقيام البنية ولذلك فان كثيراً من قبائل الزنوج تقتصر عليهِ في غذائها فتستغني بهِ عن سائر انواع الاطعمة . وهو فضلاً عن ذلك من النبات الذي ينمو من تلقاء نفسهِ ويكثر كثرةً عجيبة فترى الالوف منهم يقتاتون بهِ من غير ان يكلفهم ادنى علاج

وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية ان الاميركان اخذوا من عهدٍ قريب يجففونهُ بقصد الادّخار لانهُ اذا كان تامّ الجفاف يحتمل ان يبقى الى ما شاء الله بدون ان يتغير شيءٌ من خواصّهِ . اما طريقة تجفيفهِ فهي انهُ بعد ان يجرَّد من قشرهِ يعرَّض لمجرى هواءٍ حارٍّ خالٍ من الرطوبة مدة ايامٍ متوالية حتى يبقى على نحو عُشر مادّتهِ الاصلية حجماً ووزناً ولا يبقى فيهِ

من المآء الا ما يماثل هذه النسبة . واذ ذاك ينضّد في براميل او صناديق او يهرَّم تهريماً ناعماً ويُجمَع بعضهُ على بعض ويُجعَل في عُلَب مختومة كما تُجعَل بعض اللحوم المقدّدة

وهو يؤكل اما على حالهِ واما بادخالهِ في انواع المخبوزات او غيرها من ضروب الحلوآء فيكون طعاماً صالحاً مرطّباً واذا خُلِط بدقيق الحنطة او شيءٍ من انواع القطانيّ كالذُرَة والحِمَّص وغيرهما كان عنهُ طعامٌ لذيذ ذو حلاوةٍ خفيفة عطريّ الريح قابلٌ لأن يُحفَظ مدةً طويلة

الانتفاع بالبيض المكسَّر — ورد على جمعية الزراعة الالمانية من مكاتبها في بخارست ما يأتي قال

لا يخفى ان النقل في هذه البلاد اكثر ما يكون بواسطة العَجَل تجرّها الجواميس ومن اعظم الحاصلات التي تُرسَل الى الخارج البيض فانهم يجمعونهُ ويأتون بهِ الى مكان المبيع على الطريقة المذكورة بدون مزيد احتياط فيصل وقد تكسّر جانبٌ منهُ فيأخذهُ تجار هذا الصنف بثمن بخس ثم يحتالون في حفظهِ والانتفاع بهِ بما لا ينحطّ عن البيض الصحيح . وذلك انهم يفصلون المُحّ من الآح اي الصفرة من البياض ويجففون كلاً منهما على حِدَتهِ فيرصدون المحّ لأَن يُستخدَم استخدام المُحّ المملوح الذي يُستخرَج من بيض البط الصيني في صنع بعض اصناف الاغذية وتربية جوارح الصيد وطير الاقفاص . واما الآح فيُستعمَل في الصباغ وصنع الحلويات واصناف الكعك وصناعة التصوير الشمسي وغير ذلك مما

يُستعمَل فيهِ عادةً

واما التجفيف فيكون في طواجن تُحمَى الى ٥٠ درجة من الحرارة . ومقدار ما يتحصل من الآح هو نحو ٣٠ كيلغراماً من كل الف بيضة فتَرُدّ بعد التجفيف الى ٣ كيلغرامات من الآح الجامد وما يتحصل من المُحّ هو نحو ١٦ كيلغراماً فيصفو منها بعد الجفاف نحو ٨ كيلغرامات

فوائد

نقل عن الجرائد اليومية الفائدتين الآتيتين لمكانهما من الاهمية وشهادة التجربة بصحتهما وهما بالحرف

جآء في المؤيد الأغر ما يأتي

فحم الخشب ضد عام لسائر السموم

كتب الكولونل ارنولت في مجلة (النور) الباريزية فصلاً تحت هذا العنوان نلخص منهُ ما يفيد حضرات القارئين راجين منهم كما رجا الكولونل من قرّآئهِ ان يعمموا نشر هذه الفائدة الجليلة خدمةً للناس وتخفيفاً لبعض مصائبهم قال ما ملخصهُ

« أُصيب خمسة عشر شخصاً في مدينة تولوز بتسمم فدعوا لهم الطبيب (سيشجرون) فاعطاهم مآء مخلوطاً بفحم وأمرهم بالشرب منهُ ريثما يعالج مصاباً من بينهم كان مشرفاً على الهلاك . وكان أقصى علاجهِ لهُ ان ادخل الى معدتهِ بالآلة مآء مخلوطاً بالفحم فلم يمضِ بضع ساعات حتى شفي

الجميع شفآءً تاماً . فدهشت من مطالعة ذلك الخبر ولم يسعني الا الكتابة لذلك الدكتور لأتحقق من الامر وهو الآن رئيس جرّاحي مستشفيات تولوز فكتب اليّ يؤكد لي الخبر وزادني علماً بان جدّهُ المسيو (تويري) كان عالماً صيدلياً ولهُ في هـذا الموضوع تجارب ثمينة نشرها في رسالة لتتميم فائدتها منها

« مزج المسيو (تويري) امام ثلة من الناس مقداراً من الاستركنين يكفي لقتل جملة أشخاص بمسحوق فحم الخشب وابتلع ذلك المزيج فلم يُصَب باقلّ ضرر »

واعاد هذا الكيماوي هذه التجربة امام لجنة من اعضآء جمعية العلمآء الباريزية

وبنآءً عليهِ فمن خشي على نفسهِ التسمم او الهلاك عقب افراطهِ في شرب الكحول (الاسبرتو) في الاشربة الروحية فليسحق فحم الخشب سحقاً جيداً بواسطة زجاجة يدحرجها عليه بضغط مناسب ثم يتعاطى منهُ كل عشر دقائق ملعقة أكل ويستمرّ على ذلك حتى يحضر الطبيب

(فريد وجدي)

وجآء في جريدة اللوآء الغرآء ما نصهُ

دوآء البق

يشكو الكثيرون من سكان الأحيآء الوطنية وخصوصاً القديمة منها مضار تلك الدويبةّ المسماة بالبق فانها كثيراً ما تعكر صفآءهم وتقلق منامهم

فيهجرون منازلهم فراراً منها

ولقد زرنا بالامس احد اقسام العاصمة فوجدناهُ مستجمعاً كل شروط النظافة غير اننا وجدنا الواحاً من الواح التين الشوكي ملقاةً في جوانب غرفة حضرة المأمور . فعجبنا من وجودها فافهمنا ان هذه الغرفة كانت ملأى بالبق حتى كان الجلوس فيها ليلاً او نهاراً صعباً جدًّا وعند ما وضع الواح التين الشوكي فيها لم يمضِ الا ثلاثة ايام حتى انقطع دابرهُ من الغرفة انقطاعاً كلياً. ثم لما علم بان هذه الدويبة ملأت المنزل الذي يسكنهُ سعادة منسفيلد باشا حكمدار العاصمة عرض على سعادتهِ قبل سفرهِ الى انكلترا فائدة الواح التين الشوكي في قطع دابر البق فبادر سعادتهُ باحضار كمية وافرة من هذه الالواح ووضعها في الغرفة وتحت سرير النوم فلم تمضِ الا ايامٌ قليلة حتى ابقَ البق ولم يعد له أثر

اسئلة واجوبتها

لوسينا (جزائر الفيليبين) — لدى مطالعتي في اللغة الاسبانيولية عثرت على بعض كلمات مشابهة للعربية مثل قولهم Aceite اي زيت وتُلفَظ « أَثَيْتي » و Azaitunas اي زيتون وتُلفَظ « أَثَيْتُوناس » و Almahada اي المخدّة وتُلفَظ « أَلْماهادّا » . فهل هذه الكلمات مستعارة من الاسبانيولية الى العربية ام بالعكس

جرجي سالم

الجواب — لا ريب ان هذه الالفاظ مما اخذهُ الاسبانيول عن

• العرب لانها كانت عند العرب قبل الفتح الاسباني بزمن لا يُدرَى عهده بل منها ما هو مُشترَك بين العربية واخواتها من اللغات السامية حتى تجد لفظة « زيت » بالعبرانية في سفر التكوين الذي هو اقدم كتاب في الارض الا انها هناك بمعنى الزيتون فتصرّفت العرب في مدلولها واشتقّت منها لفظة الزيتون . على ان اللغة الاسبانيولية خليط من لغات شتى منها العربية وقد قدَّر احد علمآئها ان المئة كلمة منها فيها ستون من اللاتينية وعشر من اليونانية وعشر من القوطية وعشر من العربية والعبرانية والعشر الباقية من الطليانية والفرنسوية ولغة الهندَين

آثار ادبيّة

برنامج اخوية القديس مارون — هو عنوان كتاب جليل عُني بتأليفهِ حضرة الاديب المجتهد يوسف افندي خطّار غانم رئيس الاخوية المشار اليها في بيروت توخى فيهِ جمع تراجم المشاهير وذوي الشأن من رجال الطائفة المارونية . وقد رتّبهُ في ثمانية اجزآء كبيرة صَدر الجزء الثاني منها في هذه الايام وهو مخصوص بتراجم الرؤسآء من اساقفة الطائفة المشار اليها . وقد افتتحهُ بترجمة غبطة البطريرك الحالي والتنويه بذكر مآثرهِ الجليلة واردفها بتراجم الاساقفة المعاصرين وعددٍ كبير ممن اتصلت بهِ تراجمهم من الاساقفة الغابرين . فجآء سفراً نفيساً يسفر عن فضل رؤسآء هذه الطائفة وما لهم من المناقب الاثيرة والاعمال الخطيرة وهو يشتمل على ما يقرب من ٤٠٠

صفحة كبيرة وفيهِ من الرسوم ما يزيد على ٦٠ رسماً

فنثني على همة المؤلف بما يستحقهُ هذا العمل الكبير ونحرض سراة هذه الطائفة وكبرآءها على شدّ ساعدهِ لاتمام هذا التأليف الذي هو عنوان مآثرها وسجلّ مفاخرها كما نحرّض الادبآء ومحبّي الآثار التاريخية من عامّة السوريين على مقتنى هذا الاثر الوطنيّ الكريم الذي يحقّ ان يتنافس بهِ جمهور الأُمّة ويأتمّ بهِ كبرآؤها في اكتساب المحامد والذكر المقيم

تهذيب النفس — انتهت الينا نسخةٌ من خطبةٍ بليغة بهذا العنوان لحضرة الرياضيّ الفاضل جرجس افندي همّام احد اساتذة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلَبة المدرسة المشار اليها في الاحتفال السنوي في ١٧ تموز (يوليو) من السنة الحاليّة. وقد تصفحنا الخطبة المذكورة فاذا هي مجموع حِكَم ناصعة ونصائح رائعة نزّلها بمنزلة درسٍ اخير للطلَبة حضّهم فيهِ على المثابرة والجدّ في طلب الكمال والاشتغال بالعلم سحابة الحياة واتّخاذ ما تناولوهُ في حلقات الدرس ذريعةً الى تفهُّم ما وراءهُ من دروس الطبيعة واستشفاف ما تستبطنهُ من الاسرار والحقائق. وذلك بعبارةٍ فصيحة الالفاظ حسنة السبك حريّةٍ بان تكون درساً آخر لهم في البلاغة يحتذون مثالها في الانشاء بعد الاستبصار بما تضمنتهُ من الفوائد

فنثني على حضرة الاستاذ لما جادت بهِ قريحتهُ من الدُرَر الغوال وما يبذلهُ من الدأب في تنشئة العقول مما استحقّ بهِ جميل الشكر في الدنيا وجزيل الاجر في المآل

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ٢ —

ولما رأى جيرار اصحابهُ يعجبون بحديثهِ اشرأبّ وفتل شاربيهِ وقال أمّا وقد سركم سرد حديثي فدونكم حديثاً آخر عما اصابني في مدة الحرب مع الانكليز في البورتوغال فاننا حصرنا الانكليز في تورس ڤيدراس ستة اشهر من اكتوبر سنة ١٨١٠ الى مارس سنة ١٨١١ . وكنت في تلك المدة قد جلت في تلك النواحي وحصلت على رسم وافٍ يمثل مراكز الانكليز وقواتهم فيها فوضعتهُ امام المارشال ماسينا وكنت اودّ ان اقنعهُ بوجوب الهجوم ولكن لسوء الحظ كان مارشالية فرنسا مختلفي الكلمة متنافري القلوب فكان ناي يكره ماسينا وماسينا يكره جينو وهلمَّ جرًّا فسببت هذه الاختلافات تأخير الحرب حتى نفد زادنا وتشتت شمل الفرسان لقلة العلف ولم ينتهِ فصل الشتآء حتى جرّدنا تلك البقعة من كل ما يؤكل ولم يبقَ لنا سوى التقهقر . الا ان ذلك لم يكن بالامر السهل لسببين اولهما ضعف جنودنا واعيآؤهم والثاني قوة العدو ومعرفتهُ محل الضعف فينا . ولم يكن خوفنا من ولنتون البطيء الحركة بل من عصابات اللصوص الذين جعلوا يقتربون منا ويحيطون بنا عند ما تحققوا ضعف خيولنا وقلة المؤونة بين ايدينا فكان اذا وقع واحدٌ منا في ايديهم اهلكوهُ لا محالة . وكان من اشهر اولئك الطغاة رجلٌ خبيث يدعى مانولو يقود زمرةً من القطاع وقد نظمهم بتدريب عسكري ورتب حركاتهم ترتيباً محكماً فكانوا يهابونهُ ويحبونهُ وطار صيتهُ حتى بلغ معسكرنا فكانت الجنود ترتعش من مجرد ذكر اسمهِ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قلت ان انسحابنا من تلك البقعة لم يكن بالامر السهل ومع ذلك فلم يكن لنا سبيل آخر ولذلك صمم المارشال ماسينا على اخلاء تورس نوڤس و بدأ بنقل المؤن والذخائر والمرضى الى كويمبرا . وكان يستحيل اجرآء ذلك سرًّا فعلم بهِ عصابات اللصوص وكانوا يقتربون من معسكرنا ليعارضوا مسيرنا ويجتاحوا ما تصل اليهِ ايديهم . وكانت كتيبة من كتائبنا ومعها فرقة من الفرسان قد عسكرت على بعدٍ منا الى جنوبي نهر تاغوس فصار من الواجب اعلامهم بانسحابنا ليوافونا لئلا يقعوا ضمن دائرة العدو وتنقطع بينهم و بيننا المواصلات . اما انا فاستعظمت الامر واخذت افكر في ما عسى ان تكون الطريقة التي يبتكرها ماسينا لابلاغ الخبر اليهم لان السعاة لا يمكنهم اجتياز تلك المسافة والفرَق الصغيرة لا تنجو من ايدي شراذم اللصوص واذا لم يصل الخبر في وقتهِ يصبح اربعة عشر الفًا من جنودنا غنيمة باردة للاعدآء . ولم يخطر لي قط ان الكولونيل جيرار سيكونُ لهُ الشرف بان يكون هو منقذ اولئك الجنود وانهُ يُتمّ عملاً من اعظم الاعمال المجيدة

وكنت في ذلك الحين من اركان حرب المارشال ماسينا وكان لهُ اثنان سواي على جانب من الشجاعة والذكآء اسم الواحد كورتكس والآخر ديبلسس وكانا اكبر مني عمراً واصغر مني في ما بقي . فقسم لنا ماسينا اعمالنا بالسوية فكان لكلٍ منا يوم للاستكشاف والقيام بالتدبير الذي يرتئيهِ ماسينا . ففي صباح اليوم الذي اخبركم عنهُ كنا نحن الثلاثة نتناول طعام الصباح معاً وكانت نوبة كورتكس في الخدمة فبعد ان فرغ نهض فامتطى صهوة جوادهِ وانطلق فكان آخر العهد بهِ . اما ماسينا فقضى يومهُ وعلامات القلق بادية على وجههِ وعند منتصف الليل كنت واقفاً بجانب خيمتهِ فاقترب مني ووقف ويداهُ على صدرهِ ولبث صامتاً نحو نصف ساعة شاخصاً الى الجهة الشرقية منا كانهُ يخترق الظلام بنظرهِ الحادّ ثم بدت عليهِ علامات القنوط فلعن وشتم ثم حوّل ظهرهُ ودخل الخيمة كما خرج منها

وفي الصباح الثاني كانت نوبة ديبلسس فسار الآخر راكبًا جوادهُ ولكنهُ لم يرجع ايضاً فكانهُ اصابهُ ما اصاب كورتكس . وقضى ماسينا ليلتهُ كالسابقة غير ان

• قلقهُ كان اقوى وغيظهُ اشدّ . ولما لاح فجر اليوم الثالث ناداني فوجدني بقر بهِ ورأيت الدمع يترقرق في مآقيهِ حين قرأ في وجهي استعدادي للموت في طاعتهِ فقال هلمَّ يا عزيزي جيرار . ثم اخذني بلطف من يدي فاوصلني الى نافذة متجهة الى الشرق واشار بيدهِ فتبعت اشارتهُ فرأيت على مقربةٍ منا معسكر المشاة تليهِ الفرسان وثمَّ سهلٌ واسع تتخللهُ الكروم والاشجار وفي نهايتهِ سلسلة جبال لأحدها قمة مرتفعة ويحيط بهذه الجبال غاب كثيف من الاشجار الغضة في وسطها طريق واحدة تنساب في ظلمة الغاب انسياب الافعى . وكان ماسينا يشير الى القمة المرتفعة فقال هذه يا عزيزي قمة جبل سيرا دي مرودال فهل ترى شيئاً في اعلاها . قلت لا . فناولني منظارهُ وقال انظر . فقلت اني ارى شيئًا منضداً كانهُ غرفة صغيرة او بنآء غير تام . فقال هذا ايها العزيز بنآء من الحطب وضعتهُ حين كانت تلك البقعة في ايدينا ولا يزال في مكانهِ بعد ان رجعنا عنها فهذا يا جيرار يجب ان يوقد هذه الليلة . وها قد ذهب اثنان من رفاقك لهذه الغاية ولكن يظهر لسوء الحظ ان لم يبلغ واحد منهما القمة وهذه الليلة نوبتك فعسى ان يصادفك حظ اسعد من رفيقيك . ولم يكد يتمّ كلامهُ حتى حولت ظهري وهممت بالخروج بدون ان اسألهُ زيادة ايضاح فاستوقفني باشارة وقال لا بد ان اطلعك على السبب الذي من اجلهِ اسألك المخاطرة بحياتك . فاعلم ان اربعة عشر الفاً من عساكرنا بقيادة الجنرال كاوزل نازلة على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب منا قرب قمة سيرادوسا وقد اتفقت مع القائد انهُ اذا رأى النار في القمة التي اريتك اياها يرتد للالتحاق بالمعسكر العام ويوقد ناراً على قمة الجبل الذي هو معسكر فيهِ علامة على فهمهِ رسالتي . ولم يعد في طاقتنا البقآء هنا فاذا لم يرحل • سريعاً نضطرّ الى تركهِ فيصبح هو ورجالهُ فريسةً للعدوّ . وتراني حاولت مرتين ان ابلغهُ هذه العلامة وها انا احاول ذلك المرة الثالثة ولعلي هذه المرة انجح على يديك

ولا اقدر ان اصف لكم السرور الذي نالني عند ما علمت اهمية الامر الذي عهد اليَّ في القيام بهِ وعلمت اني ان قضيتهُ وبقيت حيًّا ازيد الى اعمالي الشهيرة عملاً آخر افتخر بهِ وان مت فاكون قد حاولت القيام بامرٍ يفوق تصور العقل

البشري . ومع انني لم اقل شيئاً فان جميع علائم البسالة ظهرت على وجهي ورآه
ماسينا فأخذ بيدي وهزّها وقال دونك القمة والحطب فهما امامك لا يعوق سبيلك
سوى عصابة اللصوص التي تعرفها فافعل ما تراهُ احزم بشرط ان ارى النار تتقد
على تلك القمة عند منتصف الليل . ولما فرغ من كلامهِ رفعت يدي للسلام العسكري
وخرجت وانا لا اكاد أطأ الارض بقدميَّ تيهاً واعجاباً بنفسي . ولما بلغت غرفتي
جلست حيناً افكر في كيفية المسير وقد ظهر لي ان الذي منع رفيقيَّ من الوصول هو
كون الطريق محاطاً باللصوص الشديدي الانتباه . ثم قست المسافة المطلوب اجتيازها
على خريطة امامي فوجدت منها نحو عشرة اميال سهلية قبل الوصول الى حضيض
الجبل ثم نحو اربعة اميال في منتصف الغاب وبعد ذلك منحدر الجبل ومع ان هذا
المنحدر قصير المسافة فانهُ اجرد ليس فيهِ ما يستر اصغر حيوان اذا اجتازهُ . فتقررت
لديَّ هذه المراحل الثلاث وعلمت انني اذا بلغت الغاب سالماً يهون عليَّ قطع المسافة
الباقية تحت ستار الظلام وحسبت انني اذا انتهيت من اجتياز السهل في الساعة الثامنة
فيبقى لديَّ اربع ساعات لتسلق الجبل . ولما تأملت في السهل والطريق البيضاء في
منتصفهِ علمت ان رفيقيَّ ذهبا فيهِ راكبين فكان ذلك سبباً لاهتداء الاعداء اليهما
فاخترت ان يكون مسيري في غير الطريق ومع انني كنت املك ثلاثة من الجياد
تفوق جياد المعسكر جميعهِ آثرت ان اسير راجلاً . ولكي اخفي لباسي ارتديت عباءة
طويلة وجعلت على رأسي قبعة من القبعات العاديَّة . ولما اكملت اهبتي سرت بعد
منتصف النهار فانسللت من بين فرساننا وقد اخذت تحت عباءتي منظاراً وغدارتي
وسيفي ووضعت في جيبي قدّاحةً وصوّاناً وصوفاناً

وسرت اكثر من ثلاثة اميال بين الكروم بدون عائق فاستبشرت بالنجاح
وقلت لا ريب ان مثل هذه المهام يجب ان توكل الى رجل ذي دراية وتبصر
ليعرف كيف يقوم بها فكنت استعمل ذكائي الخارق في اجتياز الكروم متستراً تحت
الاغصان الخضراء حتى اكملت اجتياز خمسة اميال وعلمت اني اصبحت في ارض
العدو . ولما بلغت ذلك الحد رأيت امامي على مسافة قصيرة كوخاً عرفت للحال انهُ

مخصص لعصر العنب ورأيت امامهُ بضعة رجال وعربتي نقل يحمّلونهما براميل فارغة .
فتقدمت ببطء الى ان حاذيت البيت وفحصتهُ بتدقيق ولكنني لم ارَ خطراً يتهددني
هناك فعزمت على مواصلة المسير . ثم القيت بنظري الى المسافة التي عليَّ ان
اجتازها فوجدت ان الكروم تقلّ شيئاً فشيئاً الى ان تنقطع تماماً و يبقى عليَّ السهل
الاجرد . ففحصتهُ بمنظاري فوجدت فيهِ على ابعاد مختلفة حراساً اقامهم اللص الشهير
مانولو يرصدون الطريق بحيث لا يمر القط من هناك بدون ان يروهُ . فاستأت من
وجود هذا المانع الغير المنتظر واسندت رأسي الى كفي مفكراً فلم ارَ افضل من
انتظار الظلام لانساب ملتحفاً بحجابهِ الكثيف . ولكنني علمت انني ان لم اجتز
السهل كلهُ قبل غروب الشمس لم يبقَ لي من الوقت ما يكفيني لبلوغ مكان
الحطب عند منتصف الليل فتحيرت في امري جدًّا وجعلت ابحث ضمن افكاري
لارى الاصوب فيها. ثم نظرت الى البغال التي تجرّ تينك العربتين فرأيت رؤوسها
موجهة الى الشرق فعلمت انها ستسير في الجهة التي اقصدها وللحال خطر لي ان اختفي
ضمن احد تلك البراميل فيحملني الاعداء انفسهم الى حيث اريد فلم اتمالك ان
تبسمت تبسم الاعجاب بنفسي لهذا الاكتشاف . وكان الرجال قد فرغوا من
تحميل العربة الواحدة ووضعوا صفًّا من تلك البراميل في الاخرى ثم دخلوا الى الكوخ
لعلهُ لتناول جرعة من المشروب . وعلمت ان الفرص تمر مر السحاب وعلى الحكيم
ان يغتنمها قبل الفوت فقفزت باسرع من البرق من محل مخبإي الى العربة الثانية
واختفيت في برميل فيها ولكنهُ كان صغيراً على جسمي الضخم فجثوت فيهِ ككاب
ضمن وجارهِ . وما كدت اتم ذلك حتى سمعت الرجال قد عادوا الى عملهم وشعرت
انهم يضعون براميل اخرى فوقي لم اعرف عددها او مقدارها. وافتكرت لحظة في
كيفية الخروج من مخبإي عند بلوغنا منتهى السهل ولكنني تركت حل ذلك الى
وقتهِ معتمداً على ذكائي معتقداً ان الحظ الذي رافقني في الماضي لا يفارقني في
الاستقبال . ولما استوفت العربتان حملهما ساقهما الرجال وسارت العربة التي انا عليها
وكان كلما دارت عجلة من عجلاتها يخفق قلبي سروراً لتيقُّني بلوغ الامنية .

اما الرجال الذين رافقوا العربتين فكانوا ثلاثة فقط وقد علمت ذلك من حديثهم وكانوا يتكلمون بلغة لم افهمها جيداً وانما علمت انهم يقصون احاديث هزلية لانهم لم ينقطعوا عن الضحك دقيقةً واحدة . وعلمت من معدل سير العربتين اننا نقطع ميلين ونصفاً في الساعة فبعد ان مضى علينا ساعتان تحققت اننا انتهينا من اجتياز السهل الخطر واننا بلغنا الغاب الذي يغطي سفح الجبل . فجعلت حينئذٍ اهتم في استنباط طريقة للخروج من مخبإي بدون ملاحظة احد واتباع الخطة التي رسمتها لنفسي من المسير في الغاب حيث تسترني اشجارهُ الغضة ويخفيني الظلام الذي بدأت طلائعهُ تطرد جيوش النهار . ولكنني شعرت حينئذٍ ان العربتين قد وقفتا فجأةً وسمعت اصواتاً كثيرة خشنة تكلم سائقي العربتين فقال واحد « اين . اين » . فاجابهُ آخر « ضمن برميل في هذه العربة » . فقال آخر « ومن هو » . فاجابهُ ذاك « ضابط فرنسوي رأيتهُ من ضمن الخيمة قد وثب من حيث لا ادري كانهُ من ملائكة الجحيم فدخل ضمن البرميل الفارغ ولما خرجنا لم نتعرض لهُ ولم نكلمهُ بل اكملنا عملنا وجئنا بهِ لنسلمكم اياهُ غنيمة باردة وها هو » . ولما قال هذا رفس بنعلهِ الحديدي خشب العربة حيث كنت انا . ولا تسلوا ايها الاخوان عما حلَّ بي في تلك الدقيقة لا من الخوف بل من نظري ذهاب تعبي سدًى وفساد النتيجة التي قدّرتها فوددت من صميم قلبي ان يطلق احدهم غدارتهُ عليَّ لتخترق رصاصتها صدري فاخلص من ذلك الشقاء . ثم سمعت صوت سقوط البراميل التي كانوا يرفعونها عني ولما نظرت وجدت وجهين شرسين ينظران اليَّ وحديدتي بندقيتين موجهتين الى صدري فلم استطع حراكاً . ثم سحبوني من البرميل ولا بد ان هيئتي كانت مضحكة جدًّا لانهم قهقهوا كلهم حتى كادوا يقعون الى الارض . اما انا فملكت روعي شيئاً فشيئاً ونظرت اليهم باحدى نظراتي الحادة ليعلموا انهم ليسوا امام جبان يهاب الموت فاثر ذلك فيهم لانهم توقفوا عن الضحك وجعلوا يتأملون في وجهي . وتمكنت انا ايضاً من فحص آسريَّ فوجدتهم ثمانية اشخاص من عصابات اللصوص كما عرفتهم من لباسهم ولكلٍ منهم بندقية في يدهِ وغدارتان في وسطهِ . وكان

• احدهم قد وضع فوهة بندقيتهِ في اذني وتهددني باطلاقها اذا ابديت اقل حركة ثم اقترب آخر فبحث في جيوبي واخذ منظاري والغدارة والسيف وانكى من ذلك انهُ اخذ الصوانة والقداحة والصوفان فلم يبقَ لي ما اتمكن معهُ من ايقاد النار لو ساعدني القدر و بلغت المحل الذي اقصدهُ

اجل انهُ كان حولي ثمانية من الاشقيآء عدا سائقي العربتين ولكن هل تظنون ايها الاخوان ان الكولونل جيرار قطع الامل او فقد انتباههُ ومهارتهُ . كلا وايم الحق وسأريكم الآن باية طريقة ازدريت بهم جميعاً . فانني وجدت البقعة التي نحن فيها يحيط بها جبلان من جهتين والطريق التي اتينا منها من الجهة الثالثة ومن الجهة الرابعة منحدَر حادٌ . وادركت انني ان هربت من بينهم راكضاً ادركوني بسهولة فانهم معتادون معيشة القفار وتسلق الجبال ثم رأيت برميلاً ملقىً على الارض بجانب المنحدر فوثبت اليهِ وبأسرع من لمح البصر دخلت فيهِ ودفعتهُ بجسمي الى المنحدر فاخذ يتدحرج بسرعة غريبة ولما رآني القوم انجو منهم اطلقوا عليَّ بعض العيارات النارية فلم تصبني . واستمرَّ البرميل يتدحرج بي بتلك السرعة حتى لم اعد اعي شيئاً من كثرة الدوران ومن اللطمات التي اصابت جسمي فرضضتهُ ولم افق على نفسي الا في وهدة مكسوة بالحشيش الاخضر تحتها جدولٌ من المياه دفعت اليها البرميل المتكسر لاوهمهم اني قضيت غرقاً

و بعد ان امتلكت روعي قصدت الغاب جاعلاً وجهتي الى اشدّ اشجارهِ كثافةً وجريت بقدر ما مكنتني اعضآئي المتألمة وزاد في قوتي ما سمعتهُ من مطاردة اعدآئي فجمعت ما بقي لي من القوة واوغلت في الغاب الى ان وصلت الى بقعةٍ • فيـهِ فاستوقفني صوتٌ يقول باللغة الفرنسوية آه يا الهي . فاجفلت ونظرت فاذا بمضجع من اوراق الاشجار عليهِ فتىً مرتدٍ ثياباً مثل ثيابي ورأيت الدم يتدفق من صدرهِ . فنسيت ما انا فيهِ واقتربت اليهِ مدفوعاً بعامل الحنو ولما سمع وقع خطواتي ادار وجههُ اليَّ فعرفتهُ للحال انهُ ديبلسس رفيقي الذي ذهب الى حتفهِ قبلي بيومٍ واحد وعرفت من مجرد النظر اليهِ انهُ مائت . غير انهُ عرفني فصاح بما تبقى لهُ من

القوة آه يا عزيزي جيرار اتركني واذهب فاوقد النار . فقلت لهُ وهل معك صوّانة وقدّاحة . قال هما في جيبي فخذهما واسرع فاني اموت سعيداً الآن بعد ان تحققت انك ستقوم بهذه المهمة واذا عدت سالماً فاخبر مارشالنا المحبوب انني عملت جهدي . فقلت واين كورتكس . قال وقع في ايديهم فمات شر ميتة فاذا وقعت مثلهُ فاخترق صدرك برصاصة ولا تستسلم لهؤلاء الطغاة ولكن اذا قابلت دي بومبال فثق بهِ . وقبل ان استفهم منهُ عن شيء آخر فاضت روحهُ . ورأيت رجلاً من أولئك اللصوص قادماً وبيدهِ الواحدة زجاجة خمر وبالاخرى بندقيتهُ وكأنهُ لم يرَني لانهُ اقترب من جثة رفيقي ثم تنهد وقال وا اسفاه على شبابهِ فقد قضي عليهِ . فقلت لهُ من انت يا هذا . قال انا دي بومبال وقد احببت هذا الفتى فلما اصيب برصاصة من رجالنا سعيت في نقلهِ الى هنا ووسدتهُ هذا المضجع واسرعت لآتيهُ ببعض المنعشات ولكن اراني تأخرت فيا للاسف . فاستغربت كونهُ يشفق على رفيقي وهو من اعدآئنا ولحظ ذلك مني فقال لا تعجب من حالتي فاني احد المقرّبين من مانولو الشهير وانا من اركان حربهِ ولكنني مع ذلك اكرههُ لاعمالهِ الوحشية وانتظر الفرص للتخلص من عبوديتهِ مع عشرة من الرجال الذين يكرهونهُ ايضاً وقد اقسموا لي على الطاعة والانقياد . وقد خانني القدر في تخليص رفيقك هذا ولكنني سأبذل جهدي في مساعدتك انت بشرط ان تعدني بقبولي في معسكركم مع رجالي متى تخلصنا من مانولو . وقبل ان اجيبهُ بكلمة رأيت هيئتهُ قد تغيرت بغتةً فرفع بندقيتهُ وصوّبها الى صدري وصاح بي قف ايها الفرنسوي الملعون ولا تتحرك . ولا شك انكم تتعجبون مثلي من هذا الانقلاب الفجآئي ولكنني ادركت حيلتهُ حالاً عند ما نظرت عدداً من رجالهِ يقتربون الينا من الجهة الاخرى فعلمت انهُ انما يفعل ذلك لكي لا يطلعهم على سرهِ . اما هو فاقترب مني وهمس في اذني قائلاً لا تخف واستسلم لله ولي . وكان الرجال قد اقتربوا فاوثقوني وحملوني ودي بومبال في مقدمتهم الى ان بلغنا محل اقامة زعيمهم مانولو فالفيتهُ رجلاً لم يخلق الله وحشاً ضارياً بهيئة افظع من هيئتهِ ولا جسم اضخم من جسمهِ . واحتال دي بومبال فاقترب مني وقال

مهما سألك الزعيم فاجبهُ صريحاً واصدقهُ المقال ولا تخف فقد آليت على نفسي ان اسعى في خلاصك . اما الزعيم فنظر اليَّ ضاحكاً وقال مرحباً بالكولونيل جيرار فقد شرفنا اعظم اركان حرب المارشال ماسينا اذ زارنا اول امس الجنرال كورتكس ثم تلاهُ الكولونل ديبلسس والآن انت فعسى ان يزورنا غداً المارشال نفسهُ . اما كورتكس فقد سمرناهُ الى شجرة بالقرب من هذا المكان وفتحنا مجرى للدم في صدر ديبلسس وسنرى بماذا نضيفك انت . ولست اعدك بالنجاة لاننا لا نترك اسرانا ابداً ولكن عليك ان تختار الميتة التي تريد ان تموتها فاما ان نميتك حالاً بسهولةٍ او ان نذيقك اصناف العذاب اذا احببت . فقلت لهُ وكيف يكون ذلك باختياري . قال ان هذا الامر يتوقف على اعطآئك اياي المعلومات التي اود الحصول عليها . فقلت لهُ اذاً لا بد من قتلي على كل حال . قال نعم ومن الضروري ان يتم ذلك قبل منتصف الليل . فابرقت اسرتي ولاح لديَّ شيء من الامل فقلت لهُ وهل تقسم لي ان تميتني قبل نصف الليل الميتة التي اختارها . قال ان كلمة الشريف البورتوغالي لا تحتاج الى قسم ومع ذلك فانا اقسم لك . قلتُ كفى فسل ما بدالك . وكانهُ قرأ في وجهي الحزم والصدق فجعل يلقي عليَّ مسائل كثيرة تختص بعدد جنودنا والمارشال ماسينا وكتائبنا وقوتنا وانسحابنا وما شاكل ذلك . فكنت اجيبهُ على كل هذه الاسئلة بصدق ورضى مع انهُ كان اسهل عليَّ لو كنت في غير تلك الحال ان يُسلَّ لساني وتبتر اعضآئي من ان افوه بكلمة غير انني فعلت ذلك رغبة مني في الحصول على غايةٍ اسمى وفائدة اعظم . ولما اتمَّ اسئلتهُ قال اشكرك لاجل ما اخبرتني بهِ وسأبلغ الخبر غداً الى ولنتون . اما انت فما بقي عليك الا اختيار الميتة التي تفضلها فعندنا الصلب والشنق والنشر وبتر الاعضآء والقتل بالرصاص فاية ميتة احب اليك . فقلت اني افضل ميتةً يراها العالم باسرهِ اذا امكن ليعلم الجميع ان الكولونيل جيرار لا يهاب الموت فانا اود ان يُحرق جسدي بالنار على قمة جبل مرودال . فضحك مانولو وقال اراك تود ذلك ليعلم ماسينا كيف تموت جواسيسهُ فليكن لك ما تشآء . قلت اشكرك يا مولاي وانما حسب وعدك لا ينفذ فيَّ الحكم قبل منتصف الليل .

قال وليكن لك ذلك ايضاً ثم نادى دي بومبال وهو من اركان حربهِ وقال خذ الاسير واعتنِ بهِ الى منتصف الليل ثم احملوهُ الى قمة مرودال واحرقوهُ هناك وسأذهب بنفسي لارى كيف يُفعل باوامري . وخذوا معكم جثة ديبلسس فاقذفوها عن منحدر القمة لتتقطع على صخورها لاني لا احب ان تعتاد وحوش هذه البرية اكل لحوم الفرنسويين المضرّة . وللحال وثب اليَّ دي بومبال فشدَّ وثاقي وضغط على يديَّ ليطمئنني ثم اخذوني الى جانبٍ حيث تركوا رجلين لحراستي . ومضت عليَّ ساعتان لم اذق في حياتي امرّ منهما ثم شعرت بشخصٍ يدنو مني وسمعت صوتاً يقول انهض يا جيرار لنضع هذه الجثة مكانك . فتبينت المتكلم واذا بهِ دي بومبال ومعهُ اثنان يحملان جثة ديبلسس الباردة فوضعوها مكاني والقوني على محمل خشبي انطرحت عليهِ وعلمتني الغريزة ان اظهر نفسي ميتاً . وبعد مدة قصيرة عاد دي بومبال ومعهُ عشرة من الرجال فحمل بعضهم جثة ديبلسس وحملني البعض الآخر وساروا بنا الى قمة مرودال فوضعوا الجثة على الحطب المنضد هناك واوقدوا النار فكدت افقد عقلي من شدة السرور . واذ ذاك اقترب مانولو ورجالهُ من الجهة الاخرى يضحكون ويرقصون كانهم في وليمة شائقة . اما دي بومبال ورجالهُ فحملوني وساروا بي الى شفير الوادي ولما بلغناهُ قال لي دي بومبال قد اتممنا مرادك والآن سنهب لك حياتك بشرط ان تأخذنا بصحبتك وتوصلنا بامان الى المعسكر الفرنسوي وتضمن لنا الدخول فيهِ . فاقسمت لهُ على ذلك . فقال اتبعني اذاً وسار امامنا من طريق خفي انحدرنا فيهِ الى حضيض الجبل فلم يشعر بنا احد لانهماكهم بالرقص حول النار . ولما ابتعدنا مسافة عدة اميال نظرت الى القمة فرأيت نارها تخترق الجوّ فطارت نفسي شعاعاً وتيقنت ان المارشال ماسينا كان في تلك الدقيقة يثني على بطلهِ جيرار . ثم حانت مني التفاتة الى جهة الافق الجنوبية فرأيت نوراً يرتفع من قمة جبل سيرادوسا فعلمت ان الجنرال كلوزل قد فهم معنى النور على قمة مرودال فاضرم نيرانهُ علامةً للمارشال ماسينا انهُ وعسكرهُ قد فهموا ما خاطر جيرار بنفسهِ ليبلغهم اياهُ

المشتري

عَوْدٌ على ما في الجزء الاول — ذكرنا فيما تقدم وصف هذا الجرم العظيم على قدر ما تتناول الآلات البصرية من منظرهِ وما يتوصل اليهِ الرصد والحساب من تخطيط فلكهِ وتقدير حجمهِ وكثافتهِ الى غير ذلك . وبقي هنالك من استطلاع ما وراء ظاهرهِ ما لا سبيل الى الوصول اليهِ لدوام احتجابهِ بالغيوم الكثيفة خلافاً لما عليهِ المرّيخ مثلاً فان سطحهُ مكشوفٌ للنظر لا يعترض دونهُ حجاب فترَى من هنا صورة ما عليهِ من البرّ والبحر وما يتخللهُ من البحيرات والجُزُر والتُرَع العجيبة وما يتراكم على قطبيهِ من الثلوج حتى



امكن رسم خريطةٍ لهُ وتسمية كل جزء منهُ ومراقبة ما يحدث على سطحهِ من تبدُّل المناظر وكل ذلك لا يُرَى شيءٌ منهُ في المشتري

الا انك اذا نظرت الى هذا السيّار ولو بمنظار ضعيف انكشف لك مشهدٌ من ابهى المشاهد وابدعها منظراً فانهُ فضلاً عن قرصهِ النيّر البهيج ذي المناطق المختلفة التي وصفناها من قبل يُرَى لهُ اقمارٌ اربعة تتحرك على جانبيهِ فتكون تارةً صفاً واحداً الى شرقيّهِ او غربيّهِ وتارةً يكون بعضها الى الجانب الواحد والبعض الى الجانب الآخر على نحو ما تراهُ في الرسم واذا

عاودت النظر حيناً بعد حين رأيت هذه الاقمار تنتقل من اماكنها وربما خفي بعضها اوكلها ثم تعود الى الظهور . وهي على الحقيقة تدور حول السيار في افلاكٍ شبيهة بفلك القمر حول الارض ولكن لما كان محور المشتري عموداً على فلكهِ الذي في سطحهِ فلك الارض ايضاً وهي تدور حول خطّ استوآئهِ على التقريب ظهرت لنا في السطح نفسهِ كأنها تنتقل من احد جانبيهِ الى الآخر

وافلاك هذه الاقمار بعضها ضمن بعض واقربها يدور حول المشتري على بعد ٢٦٧ الف ميل وهو اكثر من بعد القمر عن الارض قليلاً . والثاني يدور على بعد ٤٢٥ الف ميل والثالث على بعد ٦٧٨ الف ميل والرابع على بعد الف الف ومئة وثمانين الف ميل . واما مُدَدها فالاول يقطع فلكهُ في ٤٢ ساعة او في نحو اربعة ايام من ايام المشتري هي شهر هذا القمر . والثاني يُتمّ دورتهُ في ثمانيــة ايام ونصف والثالث في سبعة عشر يوماً والرابع في اربعين يوماً . فللتوقيت في هذا السيّار اربعة انواع من الشهور تختلف طولاً وقصراً وكذلك الاسابيع على اربعة انواع تبعاً لاوجه كل واحد من تلك الاقمار . واذا اضفنا الى ذلك ان سنة المشتري تتألف من ١٠٤٥٥ يوماً من ايامهِ ازداد الامر غرابةً لان اقلّ ما تشتمل عليهِ السنة نحو ٢٦٠ شهراً وبالتحرير ٢٥٨ شهراً و ٢٤ يوماً وهي عدد دورات القمر الابعد في مدة السنة . واما شهور بقية الاقمار فهي ٦٠٠ شهر للقمر الثالث و ١٢١٦ شهراً للقمر الثاني و ٢٤٤٨ للقمر الاول

واما حجم هذه الاقمار فقُطر الاول وهو اقربها الى السيار ٢٣٦٠ ميلاً

وقطر الثاني ٢١٠٥ اميال وقطر الثالث ٣٦٠٠ ميل وقطر الرابع ٢٧٣٣ ميلاً ٠ فكل واحدٍ منها ما خلا القمر الثاني اكبر من قمر الارض والثالث يقرب قطرهُ من نصف قطر الارض ويقرب حجمهُ من ثلثي حجم المريخ ومن ضعفي حجم عطارد فهو حقيقٌ بان يُعَدّ في جملة السيارات لا في جملة الاقمار ٠ وقد تقدم ان القمر الاول يتمّ دورتهُ حول السيار في ٤٢ ساعة وهي سرعة غريبة فان قطر فلكهِ يبلغ نحو ٦٢٢ الف ميل فيكون محيطهُ نحو الف الف و ٩٥٥ الف ميل وعلى ذلك تكون سرعتهُ نحو ٧٧٨ ميلاً في الدقيقة او ما يقرب من ١٣ ميلاً في الثانية مع ان قمر الارض لا يتجاوز ٣٨ ميلاً في الدقيقة او اقلّ من ثلثي الميل في الثانية

لكن من غريب ما يتفق لهذه الاقمار انها لما كانت افلاكها قليلة الميل على خط استواء السيار مع كبر حجمهِ واستطالة مخروط الظلّ الذي يلقيهِ في الفضاء بسبب بعدهِ عن الشمس فهي كلما ادركت الاستقبال عبرت في الظل نخسفت ولذلك لا يُرَى شيءٌ منها بدراً ما خلا القمر الرابع احياناً لان فلكهُ اميل من افلاك البقية بحيث يقع طريقهُ عند حدود الظل أو يعبر في اطرافهِ فيخسف خسوفاً جزئياً واما الثلاثة الاولى فلا تكمل البتة . وذلك ان مخروط الظل المذكور يبلغ طولهُ ما يزيد على ٥٥ الف الف ميل وهي اكثر من نصف المسافة التي بين الارض والشمس فهو على المسافة التي تجري فيها الاقمار حول السيار لا يكاد ينقص قطرهُ عن قطر السيار نفسهِ . ولذلك يتوالى خسوف هذه الاقمار بحيث انهُ في مدة الشهر الاطول وهو شهر القمر الرابع لا يقع اقلّ من ١٧ الى ١٨ خسوفاً اكثرها للقمر الاول لانهُ يخسف

في كل اربعة ايام مرة . ولما كانت هذه الاقمار تخسف بمرورها في ظل السيار لزم بالضرورة ان تكسف الشمس كلما مرّت بينها و بين السيار فتحجب الشمس في كل المواضع التي تمرّ عليها بحيث انهُ كلما خسف احد الاقمار مرةً كسف الشمس مرة فلا يكاد يخلو يومٌ من خسوف اوكسوف و ربما وقع خسوفان أو كسوفان في اليوم الواحد . وكلٌّ من الخسوف والكسوف يشاهد من هنا فيُرَى القمر عند دخولهِ في مخروط الظل وعند خروجهِ منهُ وذلك قبل استقبال المشتري او بعدهُ ويُرَى ظلّهُ على سطح السيار عند مرورهِ بينهُ و بين الشمس كما ترى صورة ذلك في الجزء الاول (صفحة ٢) وقد رُسم احد الاقمار الى شمال الشكل وظلهُ الى يمينهِ في الوسط

وهنا يعرض للمتأمل ان يسأل هل تشتمل هذه الاجرام الاربعة على كائناتٍ حية اذ لا ريب ان سطوحها قد بردت منذ الوف كثيرة من السنين بخلاف سطح المشتري نفسهِ . والاظهر انهُ لا يمتنع وجود هذه الكائنات فيها لما يغلب على الظن من ان جميع مقوّمات الحياة متوفرة فيها على حدّ غيرها من سائر بنات الشمس اقماراً كانت او سيّارات اللهمَّ الاّ ما فُقد منهُ بعض تلك المقوّمات كقمر الارض مما لا محلّ للافاضة فيهِ هنا ولا وجه لأن يُجعَل قياساً لغيرهِ . وقد تبيّن من تكرار الرصد عليها عند مرورها امام وجه السيار وهو الوقت الذي تكون فيهِ على اقرب مسافاتها من الارض انها لا تخلو من هواءٍ جوّي يحيط بسطوحها وتسبح فيهِ الغيوم فتغيّر من لونها وشكلها ويتفاوت انعكاس النور عنها قوةً وضعفاً بل رُؤِي في بعضها سوادٌ يشبه محو القمر مما لا يبعد في الظن ان يكون بحاراً . ثم ان

•هذه الآثار كلها لا تثبت على منظرٍ واحد ولكنها تتبدل حيناً بعد آخر وتنتقل من اماكنها مما يدل على ان لهذه الاقمار دورةً على محاورها بخلاف قمر الارض

اما منظر السماء من المشتري فما خلا الاقمار المذكورة الدائرة حولهُ لا يختلف في شيءٍ عن منظرها من الارض فكل ما يُرَى هنا من الكواكب والصُوَر يُرَى هناك بلا فرق • وذلك فيما سوى اجرام العالم الشمسي فان الشمس لا يزيد قرصها هناك على ١/٢٧ مما يُرَى عليهِ هنا • وعُطارد والزُهَرة لا يُرَيان من هناك اصلاً لقربهما من الشمس واستتارهما باشعتها • واما الارض فتُلمَح صباحاً او مساءً بقرب الشمس وهي لا تبعد عنها الا ١٢ درجة فقط ولذلك لا تكاد تُرَى بالعين المجرَّدة وتُرَى بالآلات المقرّبة كالقمر في اوان التربيع لانها اذا جاوزت مُعظَم تباينها تغوص في اشعة الشمس فلا تعود تُرَى الا اذا عبرت امام الشمس فتظهر نقطةً سوداء كشامةٍ صغيرة على وجهها • واما المرّيخ فيُرَى هناك كما يُرَى عطارد عندنا بل دون ذلك لانهُ اضعف نوراً واقرب الى الشمس لان معظم بعدهِ عنها لا يتعدى ١٧° حال كون عطارد يبلغ بعدهُ عن الشمس احياناً ٢٩° • واما زُحَل فيظهر من هناك بمنظرٍ بهيج وهو اجمل ما يُرَى في سماء المشتري لان حلقاتهِ يمكن ان تُرَى بالعين المجرَّدة

ومنظر السماء من كل واحدٍ من تلك الاقمار كمنظرها من المشتري لكن يظهر لها المشتري بشكل قمرٍ هائل العِظَم يُرَى من اقربها مالئاً فسحةً من السماء يبلغ قطرها ١٩° و ٤٩َ فيكون قرصهُ بمقدار ١٥٧٤ بدراً من مثل

قمر الارض ويُرَى من أبعدها اعظم من قمر الارض بخمس وسبعين مرة . فهو في نظر سكان تلك الاقمار اعظم الاجرام السماوية على العموم ومنزلتهُ عندهم كمنزلة الشمس عندنا وهي دونهُ بكثير لانهم لا يرونها من هناك الا قرصاً صغيراً حالة كونهِ يُرَى من القمر الاول اعظم من الشمس بخمسة وثلاثين الف ضعف ومن الرابع بنحو الف وتسع مئة ضعف

بقي انهُ قد اكتُشف لهذا السيار قمرٌ خامس اقرب اليهِ من القمر الاول اكتشفهُ المسيو بَرْنَرْد في كاليفُرنيا سنة ١٨٩٢ . وهو يبعد عن سطح السيار ٦٧ الف ميل فلا يزيد بُعدهُ عند معظم تباينهِ على ثلثي قطر السيار ومثل هذا لا يُرَى في شيءٍ من الاجرام السماوية . وتتمّ دورتهُ على هذا البعد في ١١ ساعة و ٥٧ دقيقة و ٢٣ ثانية فيقطع فلكهُ بسرعة ٩٨٤ ميلاً في الدقيقة او نحو ١٦ ميلاً في الثانية وهي تزيد على سرعة القمر الاول نحو الثلث بحيث ان دورانهُ يقرب من سرعة دوران المشتري حول محورهِ ويتأخر عنهُ في الدورة الكاملة نحو ساعتين فقط ولذلك لا تكاد تُرَى لهُ حركة لناظرٍ اليهِ من سطح المشتري ولا يقطع فلكهُ بالقياس الى الناظر اليهِ من هناك الا في ستة ايام يكون ثلاثةً منها فوق الافق وثلاثةً تحتهُ

وجرم هذا القمر في غاية الصغر فان قطرهُ لا يزيد على ١٠٠ ميل ولصغر حجمهِ وفرط قربهِ من السيار لا يُرَى الا عند معظم تباينهِ ولا يظهر الاَّ بأقوى الآلات . وقد كان لاكتشافهِ اغرب وقع عند علماء الهيئة لانهُ كان قد رسخ في عقيدة اكثرهم ان اقمار المشتري لا ينبغي ان تتجاوز الاربعة جرياً على قاعدة التضعيف في عدد الاقمار بين سيّارٍ والذي يليهِ . وذلك ان

الارض لها قمرٌ واحد والمرّيخ لهُ قمران وكان المعروف ان المشتري لهُ اربعة اقمار وزُحَل لهُ ثمانية ولذلك كانوا يقدّرون انهُ ينبغي ان يكون لاورانس ستة عشر قمراً ولنبتون اثنان وثلاثون وهو ما لم يتحقق شيءٌ منهُ الى الآن . على انهُ قد اكتُشِف لزُحَل ايضاً قمرٌ تاسع وهو يقرب من قمر المشتري في الحجم الا ان فلكهُ ورآء ابعد اقمار زحل فهو وقمر المشتري على طرفي نقيض . وهو يبعد عن السيار مسافة ٧٤٥٠٠٠٠ ميل مع ان القمر الابعد لا تزيد مسافتهُ عن السيار على ٢٤٥٠٠٠٠ ميل فبينهُ وبين القمر الابعد نحو ٥٠٠٠٠٠٠ ميل وهي خمسة اضعاف المسافة التي بين القمر الابعد والذي يليهِ ولذلك شُكَّ في كونهِ قمراً وفي رأي بعضهم انهُ نيزكٌ عظيم اعتقلهُ السيار وهو شاردٌ في عُرض الفضآء فدار من حولهِ والله اعلم

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف

(تابع لما قبل)

(٢) من تخالف اقوالهم صفاتهم وافعالهم

من هؤلآء حسَّان بن ثابت فانهُ كان جباناً كما روى الابشيهي في المستطرف ومع ذلك هو الذي قال يعيّر الحارث بن هشام بفرارهِ يوم بدرٍ

ان كنتِ كاذبة الذي حدَّثتِني فنجوتُ منجى الحارث بن هشامِ
ترك الاحبَّة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طِمرَّةٍ ولجامِ

مع انَّ الحارث المذكور يعتذر عن فرارهِ بقولهِ

والله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري باشقر مزبدِ
فصرفت عنهم والاحبةُ فيهمِ طمعاً لهم بعقاب يومٍ اسودِ

ومنهم عبَّاد بن المرزَّق هجا ابن النطَّاح الحنفي على بخلهِ بقولهِ

من يشتري مني أبا وائلٍ بكر بن نطّاحٍ بفلسينِ
كأنما الآكل من خبزهِ يأكلهُ من شحمة العينِ

وابن النطاح هذا هو القائل

ولو لم يكن في كفّهِ غير نفسهِ لجاد بها فليتَّق الله سائله

ومنهم ابو عمرو بن رهبون الدَّستُميسَاني الف كتاباً في مدح البخل واهداهُ الى الحسن بن سهل فوقَّع لهُ بقولهِ « لقد مدحت ما ذمَّ الله وحسَّنتَ ما قبَّح وما يقوم لفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثوابك قبول قولك فما نعطيك شيئاً » . وابن رهبون هذا هو القائل من قصيدة

فما العزُّ الاَّ أن تجودَ بنائلٍ ولا الأخُ الآمن بهِ الخُلق الغالي

ومنهم ابن أرطاة المشهور بمعاقرتهِ للخمرة مثَل امام سعيد بن العاص أمير المدينة فقال لهُ ألستَ انت القائل

سبيّةٌ من قُرَى بيروت صافيةٌ أو التي سُبيت من أرض بيسانِ
انّا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايلَ وسنانٌ بوسنانِ

فانكر ابن ارطاة نظمهُ وقال « معاذ أن اشربها وانعتها »

ومنهم ابن الدهان الذي مات شاباً ولم يحنِ الكبر ظهرهُ يقول

وعهدي بالصّبا زمناً وقدّي حكى ألف ابن مقلة في الكتابِ
فصرتُ الآن منحنياً كأني افتّش في التراب على شبابي

ومنهم يعقوب بن السكّيت سأله المتوكل ايما أحب اليك ابناي هذان أم الحسن والحسين فقال « والله ان قنبراً خادم علي بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ابنيك » فأمر بسلّ لسانهِ . مع انهُ قبل ذلك بقليل انشد المتوكل وهو منصرف عن مجلسهِ

يصاب الفتى من عثرةٍ بلسانهِ　　وليس يصاب المرء من عثرة الرجلِ
فعثرتهُ في القول تذهب رأسهُ　　وعثرتهُ بالرجل تبرا على مهلِ

فأجازهُ على البيتين بخمسين ألف درهم ثم لم يلبث ان امر بسلّ لسانهِ لما خالف بين قولهِ وفعلهِ

ومنهم ابن زُمرُك الاندلسي سعى بقتل استاذهِ لسان الدين بن الخطيب المشهور فلم يخف الله كما قال

لقد علم الله اني امرؤٌ　　أجرّر ذيل العفاف القشيبْ
وقيلَ رقيبك في غفلةٍ　　فقلتُ أخاف الاله الرقيبْ

ولم يراعِ عهد الحب كما قال

معاذ الهوى ان اصحب القلب سالياً　　وان يشغل اللوّامُ بالعذل باليا
دعانيَ اعطي الحبَّ فضل مقادتي　　ويقضي عليَّ الوجد ما كان قاضيا

فعُوقب بان قُتل بين اهلهِ مع ولدين لهُ وهو يطالع في احدى الليالي

ومنهم ابو الاسود الدُؤَلي وقد خاطب امرأتهُ بعد ان طلَّقها بقولهِ

أُريتُ امرءًا كنت لم أبلُهُ　　أتاني فقال اتّخذني خليلا
وألفيتُهُ حين جرَّبتُهُ　　كذوب الحديث سروقاً بخيلا
ألستُ حقيقاً بتوديعهِ　　وإتباع ذلك صَرْماً طويلا

وهو المشهور ببخلهِ كما مرَّ بك قُبيل هذا بل هو القائل في ابياتهِ المشهورة

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلهُ　　عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

ومنهم أبو العتاهية فانهُ كان يتظاهر مع طمعهِ بالقناعة حتى قيل انهُ اشعر الناس واصدقهم بقولهِ

ألم ترَ أن الفقر يُرجَى لهُ الغنى　　وأن الغنى يُخشَى عليهِ من الفقرِ

ومنهم ابو الطيب المتنبي اذا صحّ ما نسب اليهِ من خوفهِ من عمامتهِ وهو قد ملأ ديوانهُ بمدح الشجاعة ووصف الابطال المجرَّبين وهو الذي يقول

أمثلي تأخذ النكبات منهُ　　ويجزع من ملاقاة الحِمامِ

ولو برز الزمانُ اليَّ شخصاً　　لخضَّب شعر مفرقهِ حسامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني　　فويلٌ في التيقُّظ والمنامِ

وقد رأينا مادحهُ واقفاً أمامهُ وهو يسألهُ كم أمَّلت منا على مدحك . قال عشرة دنانير . فقال لهُ «والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السمآء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقاً» . ورأيناهُ يزن عشرة آلاف درهم نالها جائزة على قصيدة ويضعها في كيس ختمهُ واودعهُ خزانتهُ وبينما هو عائد الى مجلسهِ رأى بين الحصير قطعةً مقدار ربع درهم فعالجها بأظافيرهِ وهو ينشد قول ابن الحطيم

تبدَّت لنا كالشمس تحت غمامةٍ　　بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجبِ

الى أن اخرجها فأعاد الكيس وفضّ ختمهُ ووضعها فيهِ . كلّ ذلك بمرأى ومسمع من جماعةٍ يعرف انهم يذمُّونهُ مع أنهُ هو القائل

كفانيَ الذمَّ اني رجلٌ　　اكرمُ مالٍ ملكتهُ الكرَمُ

يجني الغنى للئام لو عقلوا   ما ليس يجني عليهم العُدُمُ
همُ لاموالهم ولسنَ لهم   والعار يبقى والجرحُ يلتئمُ

وكأنهُ مهدّ لنفسهِ العذر بقولهِ

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ   ولا كلٌّ على بخلٍ يُلامُ

(٣) من تدلّ اقوالهم على صفاتهم وافعالهم مرة وتخالفها أخرى

هذا أبو العلآء المعرّي نراهُ يتردّد في صحة البعث اذ يقول

ألا لا أترك الصهباء نقداً   لما وعدوهُ من لبنٍ وخمرِ
حياةٌ ثم موتٌ ثم حشرٌ   حديث خرافةٍ يا أُمَّ عمرِو

ثم نراهُ يقطع بصحتهِ وهو يرثي أباهُ من قصيدة يخاطبهُ فيها بقولهِ

لعلك في يوم القيامة ذاكري   فتسأل ربي ان يخفّف من إثمي

ويصرّح بذلك ايضاً في مرثيتهِ المشهورة اذ يقول

خُلِق الناس للبقآء فضلّت   أُمةٌ يحسبونها للنفادِ
انما يُنقلون من دار أعمالٍ م   الى دار شقوةٍ أو رشادِ

ثم يعود الى الانكار في قولهِ

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً   وحُقَّ لسكّان البريّة ان يبكوا
وتحطمنا الايام حتى كأننا   زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سبكُ

فلما سمع هذا ابن كدية القيرواني ردّ عليهِ بقولهِ

كذبتَ وبيتِ الله حَلْفةَ صادق   سيسبكنا بعدَ الثرى من لهُ الملكُ
ونرجع اجساماً صحاحاً سليمةً   نعارف في الفردوس ما عندنا شكٌّ

وكذلك ابن جُبير الرحّالة البَلَنسيّ المشهور قال حاثّاً على الاسفار والاقدام

بنفسك صادم كلَّ أمرٍ تريدهُ　　فليس مضاءُ السيف الاَّ بحدّهِ
وعزمك جرّدْ عند كل مهمَّةٍ　　فما نافعٌ مكث الحسام بغمدهِ

ولما كان في بغداد اقتطع غصناً نضيراً من بساتينها فذوى في يدهِ فقال

لا تغترب عن وطنٍ　　واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا　　ما فارق الاصل ذوى

هذا ما سمح لي بهِ ضيق الوقت أعدت فيهِ نظرة التحقيق وعرضتهُ على القرآء الكرام غير خارج في كلامي عما اشار اليهِ كلٌّ من حضرة صاحب العزة اللوذعي احمد بك تيمور المومأ اليهِ من قبل والكاتبين المتفننين رزق الله افندي عبود في كلامهِ عن ابن مامية الرومي وامين افندي الحدَّاد في كلامهِ الاخير عن البحتري ولعلي اصبت المرمى والله اعلم . انتهى

حمام الزاجل

تقدم لنا في مجلد السنة الاولى من هذه المجلة كلامٌ موجز في كيفية تربية هذا الحمام وتأديبهِ وقد عثرنا اليوم في بعض المجلات العلمية على كلامٍ آخر لا يخلو نقلهُ من فائدة فخصّلنا منهُ ما ياتي

تُقدَّر المسافة التي يقطعها الحمام عادةً بستين الى خمسة وسبعين كيلومتراً في الساعة ولكنهُ كثيراً ما يتجاوز المسافة المذكورة فيبلغ ٩٠ كيلومتراً وربما بلغ ١٠٠ الى ١٢٠ في الاسفار القريبة مع موافقة الحالة الجوّية . واذا كان سفرهُ فوق البحر فقد يبلغ الى ١٥٠ كيلومتراً في الساعة بشرط ان يصادفهُ هبوب ريح شديدة من خلفهِ تدفعهُ الى الامام فيكون مثلهُ والحالة هذه

مثل المنطاد اذا ساقتهُ الريح في جهة هبوبها . اما اذا كان الجوّ ساكناً فمعظم ما يبلغهُ في طيرانهِ ١٠٨ كيلومترات واذا بعدت المسافة الى حدّ يومٍ كامل لم يتجاوز ١٠٠ كيلومتر في الساعة

وعلى الجملة فاطول مسافةٍ يستطيع الحمام قطعها من الفجر الى الشفق في يوم من ايام الصيف هي ١٠٠٠ كيلومتر وهي المسافة التي يمكن ان يجتازها بسرعتهِ المعتادة على غير عنآء . فاذا كانت ١٥٠٠ كيلومتر لم يقطعها في اقل من خمسة عشر يوماً واذا زادت الى ٢٠٠٠ كيلومتر لم يستطع قطعها الا في ثلاثين يوماً . وعلى كل حال فغاية ما يمكنهُ قطعهُ ٢٢٠٠ كيلو متر واما اذا زادت المسافة على ذلك ايضاً فلا يؤمل عودهُ لانهُ يتعرض لكثيرٍ من الاخطار في مبيتهِ ليلاً وان لم يتفق لهُ مثل ذلك ادركهُ الاعيآء والعجز عن الطيران

ولا يخفى ما يقتضيهِ قطع هذه المسافات الطويلة من الجهد العظيم والعمل المتواصل . على ان من تفقد تكوين اعضآء الحمام وتركيب بنيتهِ عرف ما هو عليهِ من الاستعداد لتحمُّل هذه الاسفار الشاقّة فان ريشهُ خفيف متين واجنحتهُ سبطة شديدة العصب وزِمكّاهُ (ذنبهُ) قليلة العرض وثيقة مَرِنة وسائر جسمهِ قويٌّ في خفّة جرم وتوازُنٍ تام

اما طبائع هذا الطائر ففيه الحنوّ والانعطاف الشديد ولذلك يكون شديد التعلق بانثاهُ وفراخهِ وقد يظهر فيه شيءٌ من النباهة والذكآء . واعجب ما فيهِ اهتدآؤهُ في الفلوات وفوق البحار على مسافات شاسعة من مثل ما ذُكر مما لا يهتدي فيهِ الانسان الا بالأعلام والسُبُل او بالنجم

والمغناطيس وهو الامر الذي حيّر افكار الباحثين حتى قال بعضهم انهُ من المسائل التي يعجز عن حلها اعظم رجال الندوات العلمية . على ان مثل هذا قد يكون في غير الحمام ايضاً كقواطع الطير والسمك غير ان هذه انما تفعل ذلك بعد ان تختار الوجهة التي تقصدها وبخلاف ذلك الحمام فانهُ اذا اريد حملهُ على السفر بين موضعين نُقل من موطنهِ الى الموضع الآخر في شريجةٍ يُسدّ عليه فيها ويُنقَل في سكك الحديد في اماكن مُقفلَة فلا يرى الطريق التي يجتازها ولكنهُ اذا أُطلِق من المكان الذي يُنقل اليهِ لم يُخطئ الرجوع الى الموضع الذي أُخِذ منهُ . وهذا لا يختصّ بالحمام الذي يُدرَّب على الانتقال في طريق معيّن ولكن الظاهر انهُ طبيعةٌ في الحمام فقد ذُكر ان فرخاً أُخذ مرةً خطأً ونُقِل الى مدى ٢٠٠ كيلومتر وكان لم يخرج قبل ذلك من برجهِ فلما أُفرج عنهُ في الموضع الذي نُقِل اليهِ كرّ عائداً الى موطنهِ الاول

وقد تعددت الآرآء في قوة هذه الهداية في الحمام فمن قائلٍ انها ترجع الى حدّة بصرهِ وبُعد مداهُ الا ان هذا انما يجوز في المسافات القريبة التي يمكن ان يتناولها البصر ولكن كيف يُعقَل انهُ بعد ان يبعد مسافة ٢٠٠ كيلومتر يستطيع ان يبصر المكان الذي نُقِل منهُ ومثل هذه المسافة لا يمكن ان يتخطاها بصرهُ ما لم يحلّق في الهوآء مسافة ٣٠٠٠ متر او فوقها مع انهُ لا يرتفع في طيرانهِ اكثر من ١٠٠ الى ٢٠٠ متر

ومن قائلٍ انهُ يهتدي بطبيعة الجوّ وتمييزهِ بين كيفيات مهابّ الرياح فانهُ في فرنسا مثلاً يعرف ان الشمال بارد والجنوب حارّ والشرق يابس والغرب رطب ولا يلزمهُ زيادةٌ على هذا لمعرفة الجهات فالحمامة اذا نُقلت

من الشمال الى الجنوب تشعر بتغيُّر درجة الحرارة فاذا ارادت الرجوع قصدت الشمال توًّا . وهذا ايضاً من المستبعَدات لان حالة الجوّ دائمة التقلُّب والاختلاف فلا تثبت على ميزانٍ واحد

وقال آخرون ان الحمام يقدّر الساعات فيعيّن الجهة التي يقصدها بالقياس الى موضع الشمس . ويَرِد على هذا انهُ لو عُكِست الجهة التي يسيَّر اليها بان تكون الى غير جهة الشمس لاهتدى ايضاً كما يهتدي في الجهة الاخرى

وذهب غيرهم الى انهُ يهتدي بالمجاري المغناطيسية المنبثّة في الجوّ ذاهبةً في كل وجه فاذا أُطلِق الطائر في موضع يجهلهُ يرتفع في الجوّ ويبحث في المجاري حتى يصادف المجرى الذي يعرفهُ فيجعلهُ وِجهتهُ وبُعد هذا القول لا يخفى

وقال آخرون ان الحمام في اثناء انتقالهِ في القطار الحديدي يستعين بقوة الشمّ على تعيين معالم الطريق اذ لا يخلو كل مكان من رائحة خاصة بهِ فاذا اراد الرجوع تتبّع الروائح التي مرّ بها فاستقراها على عكس ترتيبها الاول . وهذا لا يقلّ غرابةً عما قبلهُ واقلّ ما يَرِد عليهِ ان الحمام كثيراً ما يسافر فوق البحار ولا يُعقَل ان يكون لكل قطعةٍ من البحر رائحةٌ خاصّة يتتبعها

وهناك اقوالٌ اخر اغرب مما ذكر اضربنا عن نقلها خوف الملل والحاصل ان المسئلة لا تزال محلاًّ للحيرة وهي اخت مسئلة انقلاب الهرّ في الهوآء مما استفرغ جهد علمآء الطبيعة ووظائف الاعضآء ولم يقفوا منها على طائل

مطالعات

ارتفاع سطح البحر الرومي — رفع المسيو ثجريس عدة مذكرات الى ندوة العلوم الفرنسوية تُثبت كلها ان ماء هذا البحر قد ارتفع وبعبارةٍ اخرى ان قعر البحر قد انخفض فغمر الماء اطراف الشطوط والجُزر . وقد راقب ذلك في عدة اماكن منها جزيرة لوكاد فان هناك جسراً رومانياً طولهُ ١٠٠٠ متر كان يُعبَر عليهِ من الجزيرة الى البرّ اصبح اليوم مغموراً تحت الماء ولم يبقَ منهُ فوق الماء الا مواضع من الحِجار[1] اي السور الذي على جانبيهِ وقد قدّر ان الماء ارتفع هناك مترين وستين سنتيمتراً

ثم انهُ اذا أُخِذ من الجزيرة المذكورة الى جهة ايتيا وُجِد قُبالة هذه الجزيرة بين جزيرتين هناك تُعرَف احداهما بجزيرة القديس اثناسيوس والاخرى بجزيرة القديس قسطنطين رصيف من الحجارة المبنيّة قد غاص ثلاثة امتار تحت الماء . وهو لا بدّ ان يكون قد بُني اعلى من سطح البحر بنصف متر على الاقلّ فيكون البحر قد ارتفع في هذا الموضع ثلاثة امتار ونصفاً

وقد راقب مثل ذلك في مواضع أُخَر من الجُزُر والشطوط المجاورة فوجد ان منها ما ارتفع الماء فيها زيادةً على ثلاثة امتار وهي القديمة ومنها ما ارتفع فيها مترين وستين سنتيمتراً وهي ما كانت من ابنية الرومان اي من نحو الفي سنة

---

(١) من حجار السطح وهو الحائط القصير يبنى حولهُ يمنع من السقوط

مملكة قديمة بالترنسفال — ذكرت جريدة الفيجارو ان احد علماء العاديّات اكتشف في تلك الديار بقايا معابد وقصور فخيمة وجد عليها نقوشاً تدلّ على انها بُنيت في عهد السلائل الاولى من فراعنة مصر وان ملكهم كان ممتدًّا الى ما وراء نهر زمباز . وفيما ظهر لهُ ان احد تلك المعابد بُني قبل الميلاد بالف ومئتي سنة

فوائد

ترياق جديد — ذكرت مجلة الكيمياء الصناعية الفرنسوية الفائدة الآتية قالت دُعي احد البياطرة (اطباء الدوابّ) لمعالجة خيل قد تسممت بالحامض الفينيك فوصف لها على سبيل الامتحان ان تُسقى زيت الزيتون فشُفيت . لكن تبيّن بعد الفحص ان الذي أُعطي لها انما كان زيت التربنتينا خطأً فكان هو الترياق الشافي من السمّ المذكور . واتفق بعد ذلك ان حدّاداً اراد ان يشرب كأساً من الجعة (البيرة) فغلط عن زجاجة الجعة الى زجاجة كان فيها حامض كربوليك . فجرّعهُ البيطار مقداراً من زيت التربنتينا وكان الحدّاد قد دخل في غيبوبة من فعل السمّ فأفاق في اقلّ من ساعة وعاد صحيحاً

قالت ولا يبعد ان يكون زيت التربنتينا نافعاً في غير هذين النوعين من الموادّ السامّة فلا بأس بتجربتهِ في كل حالٍ من احوال التسمم

صفة لمنع الأَرَق — وصف لذلك بعض الاطباء ان يؤخذ ملاءة ويُبَلّ نصفها بالماء البارد ويُجعَل النصف المبلول على القفا ثم يُثنى النصف الجافّ فوق المبلول منعاً لسرعة تبخُّر الماء فيُشعَر من ذلك بارتياح ويبرد الدماغ ولا يبطئ النوم ان يدبّ

فخّ للفأر — افضل فخّ للفأر ان يؤخذ اناء من الفخّار ويُملأ الى نصفهِ ماءً ثم تؤخذ قطعة من رَقّ الورق ويُشَقّ في وسطها شقّان متقاطعان على شكل صليب وتُشَدّ على فم الاناء كما يُغطّى بوقال المربّيات ويُبسَط فوقهُ شيءٌ من السكّر او الدقيق او غيرهما فاذا تسلّقت الفأرة الاناء لتأكل ما عليهِ سقطت في الحال الى باطن الاناء فتختنق لا محالة

ههنا العجب

وردنا من احد وكلائنا بالديار الشامية ما يستفاد منهُ ان بعض المتحمسين من آبائنا كهنة الروم الكاثوليك غير راضين عن الضياء لنشرهِ الرسالة المتعلقة بقضية الجزويت المشهورة مع المسمى توفيق القزح[1] لانهم عدّوا ما فيها من اظهار بعض مفاسد الجزويت قدحاً في العقائد الدينية (كذا ...) . فوقفنا عند تلاوة هذا القول ونحن بين الاستغراب تارةً لمبلغ فهم اولئك الافاضل والاسف طوراً لما آلت اليهِ حال بعض الطوائف الشرقية في هذه الايام بفضل رعاتها ومدبّريها . ولو أن اولئك المنكرين

(١) انظر الجزء الاول من هذه السنة صفحة ١٨ وما يليها

علينا نشر الرسالة المذكورة اطّلعوا على منشور البابا لاون الثالث عشر الصادر سنة ١٨٩٤ لعلموا ان الذي كان يجب عليهم ان يفعلوهُ غير تلك الفهاهة التي بُلّغناها عنهم والتي لم نسطرها هنا الّا بمداد الخجل حتى من الجزويت انفسهم لان الشخص الذي اقتنصوهُ من بين ايديهم والذي عليهِ مدار الكلام في تلك الرسالة هو من طائفة الروم الكاثوليك نفسها ...

ولكي يكونوا على بيّنةٍ مما نشير اليهِ ننقل لهم الكلام المتعلق بهذه المسئلة وامثالها في المنشور وهو هذا بالحرف

« المادة الاولى — كل مرسلٍ لاتيني سواءٌ كان من الاكليروس العالمي او القانوني يسوق احد الشرقيين بمشورتهِ او بمساعدتهِ الى اعتناق الطقس اللاتيني فبمجرّد الفعل نفسهِ لا يصير فقط مربوطاً عن ممارسة الالهيّات ويقع في سائر العقوبات التي توجبها الرسالة « Demandatam » [1] بل يجرَّد ويُطرَد من وظيفتهِ . وحتى يبقى هذا الرسم ثابتاً ووطيداً نأمر ان تُعلن منهُ نسخة باللغة العامّية في كل كنيسة من كنائس اللاتين

« المادة العاشرة — لا يجوز لجمعية رهبان او راهبات ذات طقس لاتيني ان تقبل بين اعضائها احداً من الشرقيين ما لم يكن مستصحباً رسالة شهادة من اسقفهِ » انتهى

ولا حاجة لان نزيد على ايراد هذه النصوص وهي كافية لان تعرّفهم ايٌّ غريمَيهم أَبرُّ بالدين وبهم والسلام على من اتّبع الهدى

---

(١) هو عنوان منشور سابق بالمعنى نفسهِ للبابا بناديكتوس الرابع عشر

اسئلة واجوبتها

سملاي – ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) كنت بالامس اطالع في حياة الحيوان للدميري فوجدتهُ يقول في صفحة ١٩ من الجزء الاول ان الارنب يكون عاماً ذكراً وعاماً انثى فكيف ذلك

(٢) يقال نام فلان نومة عبُّود فما معنى هذا المثل　　طه موسى

الجواب – اما المسئلة الاولى فمن تخاليط الدميري على عادتهِ وكم لهُ مثلها بل اغرب منها في الكتاب . واما المثل فقيل اصلهُ ان رجلاً يقال لهُ عبُّود قال لقومهِ اندبوني لاعلم كيف تندبوني اذا متّ ثم نام فلم يقم من نومتهِ . وقيل هو عبدٌ اسود كان حطّاباً فعبر في محتطَبِهِ اسبوعاً لم ينم ثم انصرف فبقي اسبوعاً نائماً فضُرِب بهِ المثل . وقيل غير ذلك مما لا فائدة من نقلهِ

آثار ادبيّة

تاريخ السودان – هو مؤلَّفٌ جليل عُني بوضعهِ حضرة الفاضل الالمعيّ عزتلو نعوم بك شقير رئيس قلم وكالة الحكومة السودانية بمصر استوفى فيهِ الكلام على جغرافية هذا القطر ووصف تربتهِ ومعادنهِ ونباتهِ وحيوانهِ وطبائع اهلهِ وانسابهم ولغاتهم واديانهم واخلاقهم وعاداتهم وكل ما يتعلق بهم الى ما لم يسبقهُ اليهِ سابقٌ من كتّاب العرب ولم يستوفهِ احدٌ

من كتّاب الاعاجم. وقد تتبّع تاريخ هذه البلاد ومن استوطنها من الاجيال من اقدم عهد وما تقلّب عليها من الدول واختلف عليها من الاطوار في عصرٍ عصرٍ الى هذا اليوم

والكتاب ينقسم الى ثلاثة اجزآء الاول في جغرافية السودان والثاني في تاريخ السودان القديم والثالث في تاريخ السودان الحديث وفي هذا الاخير تاريخ الفتح المصري والثورة المهدوية وسياقة ما كان من الحوادث منذ سنة ١٨٢١ على عهد المغفور لهُ محمد علي باشا الى سنة ١٩٠٤ الحاليّة . وقد حقق كل ما ذكرهُ فيهِ من الوقائع بنفسهِ ايام كان في السودان مرافقاً للجيش المصري وقد شهد اكثر تلك الوقائع وصحب الجيش الى ان تمّ لهُ آخر فتحٍ من فتوح السودان ومازج اهل تلك البلاد واختبر عاداتهم واخلاقهم واخذ عن ثقاتهم ما علموهُ من تاريخ بلادهم بحيث كان هذا الكتاب نهاية ما تتطلبهُ ثقة المطالع

اما لغتهُ ففي غاية السهولة والسلاسة بيّنة المنهج واضحة المغازي جرى فيها على اللغة العصرية مع اختيار اجزل الالفاظ وافصح التراكيب بحيث لا ترتفع عن فهم العامّة ولا تحطّ الى ركاكة بعض الكتاب المعاصرين . وقد ضمّنهُ كثيراً من الاقاصيص والنوادر التاريخية والتقليدية مما يرتاح اليهِ المطالع وفيهِ فضلاً عن ذلك كثيرٌ من التحقيقات العلمية في المباحث الجغرافية والتاريخية من وصف ضروب النبات والحيوان ثم الكلام على العشائر المختلفة المؤلفة منها قبائل السودان وبيان اصل كلٍّ منها ووصف ملامحها وقواها العقلية الى غير ذلك . وعلى الجملة فان هذا المؤلَّف من اجلّ

ما كُتِب في هذا العهد واوسعهِ فائدةً واثبتهِ اثراً

والكتاب حسن الطبع جيّد الورق يقع في نحو ١٢٣٠ صفحة كبيرة وفيهِ ما يقرب من ٥٠ رسماً من صُوَر الاعيان ووقائع الحرب وغيرها . وقد شفعهُ بفهرسين احدهما مُجمَلٌ يتضمن سرد الفصول على ترتيبها في الكتاب والآخر مفصَّلٌ ذكر فيهِ كل ما يمكن ان يُبحَث عنهُ في اثناء الفصول مرتباً على حروف المعجم

ولا يخفى ارتباط السودان بمصر اليوم بعد ما خفقت عليهِ اعلام الامن واصبحت ارضهُ ممهدةً للاستيطان والاستعمار والطُرُق اليهِ آهلةً بالمسافرين بحيث صار مما يهمّ كل مصريٍّ الوقوف على جغرافيتهِ وتاريخهِ واخلاق اهلهِ وما فيهِ من نباتٍ وحيوان ومعدن وغير ذلك

فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل بما هو اهلٌ لهُ ونحضّ المطالعين على اقتنائهِ وهو يباع في مكتبة المعارف وسائر المكاتب المشهورة بالقاهرة وثمنهُ ستون غرشاً مصرياً واجرة البريد الى الخارج ثمانية غروش

دليل الفردوس — هو عنوان كتابٍ جليل تأليف حضرة الاب الفاضل الخوري افرام الابيض اودعهُ طائفةً مما انشأهُ من الخُطَب والمواعظ وهو ينطوي على نحو ثلاثين خطبةً مطوَّلةً افرغها في احسن قالبٍ من الفصاحة وضمَّنها ابلغ النصائح لمن يبتغي السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة . فنثني على حضرتهِ اطيب الثناء لما تجشمهُ في وضع هذا الكتاب ونرجو لهُ تحقيق ما توخى بهِ من النفع وايلاءهُ جزيل الثواب

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

- ٣ -

وعاد جيرار الى تتمة حديثهِ فقال

ان ما قصصتهُ عليكم ايها الاخوان لا يوازي ما سأخبركم بهِ الآن عن عمل خطير قمت بهِ يرغبني في تلاوتهِ عليكم ما اراهُ في وجوهكم من علامات الاصغاء والارتياح ولكني اشعر في نفسي بانقباض عند ما اقابل حياتي الجندية الماضية المملوءة من المخاطر والاعمال المجيدة بحياتي الحاضرة الساكنة الهادئة . ومما ذكرني ذلك الاستعراض الذي شهدتهُ اليوم في ساحة المدينة فان شريطة الوسام التي ترونها على صدري سهلت لي الدخول الى افضل محل ومنهُ اشرفت على جميع الكتائب والفرق . وقد استحسنت مسير المشاة وهجومهم فلم اتمالك ان رفعت قبعتي لهم ثم اتت رجال المدفعية فحييتهم ايضاً ثم المهندسون فالفرسان فرجال الحراب فالمدرَّعون الى آخر الجيش . وكنت ارفع قبعتي لكل فرقةٍ واشعر ان قلبي يرتفع ايضاً من مقرّهِ كانهُ يود ان يفارق جسمي الذي اضعفتهُ السنون ويلحق بامثالهِ من قلوب اولئك البواسل . ومما زاد في تأثري مرور فرقة الهوسار وهي نفس فرقتي القديمة التي كانت تخوض غمار الموت وراءَ كولونيلها الفتى فما وقعت عيني على نظامها وهجومها حتى شعرت ان السنوات العديدة التي مرت بي قد طارت فجأةً عن عاتقي وتخيلت نفسي على ما كنت عليهِ قبل اربعين سنة فلم اعد ارى شيئاً امامي ورفعت عصايَ وناديت باعلى صوتي ندآئي الحربي المعتاد « الى الامام — اتبعوني — ليحيَ الامبراطور »

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولكن يا للاسف ان صوتي الذي كان يرعد من اول الكتيبة الى آخرها لم يكد يُسمع اليوم ويدي التي كانت اعصابها من فولاذ ونار اصبحت لا تكاد تحمل ثقل العصا . ورأى رجالي حماستي فهتفوا لي هتاف السرور حتى ان الامبراطور نفسهُ ابتسم وحنى رأسهُ مسلماً . اما انا فلم اغترّ بهذه المجاملة فحزنت على شبابي الغابر وقوتي المتفانية وبقيت نهاري كئيباً كاسف البال . ولكن لاداعي لازعاجكم بما يؤلمني فاسمحوا لي بزجاجة خمر برغندي فاني احوج اليها الآن من نبيذ بوردو لتزيل انقباضي وتنير وجهي

ولما حضرت الزجاجة افرغ جيرار نصفها في كأسهِ وتجرعهُ دفعة واحدة ثم مص شاربيهِ وأوقد لفافةً واخذ في حديثهِ فقال

لما عادت جنودنا من موسكو بعد تلك الحادثة المشهورة كان مجرد النظر الى سيرها يفتت الاكباد ويذيب الجماد لانهُ لم يبقَ من تلك الجيوش الكثيفة سوى كتائب قليلة متفرقة تسير افرادها الواحد بعد الآخر حانياً ظهرهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض آسفاً على الانتصار العظيم الذي منعتهُ من الحصول عليهِ الطبيعة والعناصر والاقدار . وكانت طريقهم في وسط السهول الواسعة المكسوة بالثلج لا يرون فيها الابقع الدماء والاعضاء المبتورة ومخلفات الحرب وكأن تلك الحالة نزعت كل سرور من قلوب الجنود فلم يكن فيهم من ينبس ببنت شفة وساد السكوت على تلك البقعة حتى ان الثلج اخفى صوت وقع الاقدام ودوس الحوافر . وكان يظهر على جوانب الخط من حين الى آخر كتائب من فرسان القوزاق فيلبثون ماضين في طريقهم وربما تتعجبون من عدم هجومهم على تلك الشراذم الباقية من رجالنا ليفنوهم دفعةً واحدة ولكن لا يخفى عليكم ان زمهرير البرد القارص وثلوج روسيا لم تكن لتطفئ الحرارة المضطرمة في قلوب الفرنسويين ولا سيما لان معهم المارشال ناي ذلك البطل الملقب بالاسد الذي كانت جيوش القوزاق ترتعب من مجرَّد نظرهِ والذي كان صوتهُ يفوق دوي المدافع وطلقات البنادق وقد كانت قبعتهُ في ذلك الحين هي العلم الذي تجتمع اليهِ جميع ابطال فرنسا

اما انا وفرقتي الهوسار فلم نذهب مع الجيش الى موسكو ولكنهم تركونا في مدينة بورودينو للمحافظة على خط الرجوع . ولم افهم كيف استطاع الامبراطور ان يتقدم الى موسكو بدوننا وقد دلني عملهُ هذا على ان الاضطراب كان قد بدأ يؤثر في دماغهِ وان نجم سعادتهِ اصبح على وشك الافول . ولما كان اهم واجبات الجندي الطاعة بقيت في بورودينو وانقطعت الى ترتيب الفرقة واعدادها بمؤونتها وذخائرها وخيولها . فلما عاد ناي بالشراذم التي ذكرتها كانت فرقتي من اتمّ الفرسان اهبةً فانضممنا الى ناي . ولما رآني صافحني وقال . . . ولكن ما الفائدة من اعادة ما وجَّه اليَّ من كلمات الاطراء والمديح فاكتفي بأن اقول انهُ وكل اليَّ حراسة جيشهِ وكف شر القوزاق الذين كانوا يتبعوننا كالذئاب منتظرين الفرص للايقاع بمن يتخلف منا على طول خط مسيرنا

واشتدّ علينا الضيق بين ويلنا وسمولنسك فاننا قاومنا البرد وتحامينا القوزاق اما الجوع فلم يعد في امكاننا دفع شرهِ .واذ ذاك استدعاني المارشال ناي اليهِ فوجدتهُ في عربة كان ينام فيها فلما شعر بقدومي نظر اليَّ بوجهٍ عليهِ علامات القلق والكمد وقال ايها الكولونيل جيرار ان الرجال يتضورون جوعاً فيجب ان نقوتهم . فقلت على الفور دونك الخيول يا مولاي . قال لم يبقَ منها سوى خيول فرقتك وهذه لا يمكننا الاستغناء عنها . فقلت خذ خيول رجال الموسيقى لان هؤلاء لا يحاربون ويمكننا المسير بدونهم . فتبسم واخذ يديَّ فهزها وقال عافاك الله يا جيرار فأنت مثلي لا تعرف معنًى لكلمة اليأس . ثم تناول صحيفةً فتحها امامي وقال انظر . وكانت الصحيفة خريطةً دانى بأصبعهِ على نقطةٍ فيها وقال هذه مدينة منسك وقد بلغني من جاسوس روسي ان بهذه المدينة مخازن عديدة مملوءة قمحاً فأودّ منك ان تذهب بالعدد الذي تراهُ موافقاً من الرجال وتحضر لنا ما تيسر من القمح فتقابلنا قرب سمولنسك فاذا حبط سعيكم لم يكن فيهِ زيادةٌ على خسارة بعض افراد واذا نجحتم فانكم تأتون بحياة جديدة للجيش كلهِ . وعلمت انهُ يقول ذلك على خلاف اعتقادهِ لانهُ كان يعد خسارة الجيش بأسرهِ اهون عليهِ من خسارتي وخسارة رجالي ولكني لم

اقف عند ذلك وانصرف فكري الى خطورة المهمة التي كلفنيها والشرف الذي انالهُ اذا قضيتها فأجبتهُ بكلام جعلهُ يضمني الى صدرهِ اعجاباً ببسالتي واقدامي وقال اذهب ايها الحبيب لا عدمتك من رفيق

وقد رأيت الاحزم ان استصحب معي بعض الرجال الاشدآء واجعل اعتمادي على القوة لا على الكثرة فاخذت كتيبة من رجالي وثلاثين فارساً بولونيًّا وخرجنا من المعسكر في نفس تلك الليلة ووجهتنا الجنوب الى منسك . ولحسن حظنا كان القمر في المحاق فانسللنا تحت ستار الظلام وكنا نرى عن بعدٍ نيران فصائل من القوزاق فمال رجالي الى ان يوقعوا بهم وكدت اجاريهم في ذلك لولا رغبتي في الرجوع العاجل قبل ان يضر الجوع بالجيش . فتابعنا المسير وادركنا الفجر امام غابةٍ دخلناها للاستراحة وجعلت اتفقد الموضع الذي بلغناهُ فوجدت اولاً اننا بعيدون عن كل خطر من جهة الجيوش الروسية التي اجتزنا حدودها بدون ان يُشعَر بنا . ثم رأيت بالقرب منا قرية صغيرة في اولها بيت كبير والى جنوبيها على مسافة غير بعيدة مدينة مكتظة بقبب الكنائس عرفتها انها منسك . فاخبرت رجالي بغرضنا وموقعنا وحالتنا فلم يتمالكوا ان صاحوا فرحاً وطرباً . ولما اقتربنا من البيت الذي في اول القرية رأيت امام بابهِ جواداً مسرجاً وقبل ان ابلغ اليهِ اندفع من البيت رجل فامتطى صهوتهُ باسرع من لمح البصر واخذ يعدو في ذلك السهل بسرعة جعلت قطع الثلج تتطاير تحت حوافر الجواد كانها شرر الكير . وتبينت الراكب فعرفت من لباسهِ انهُ ضابط روسي وادركت للحال انهُ اذا نجا منا لا بد ان ينبه كل تلك المقاطعات فتعرقل مسعانا . فاعملت في خاصرتي فرسي المهماز وكنت راكباً احدى كرائم خيولي واسمها ڤيوليت وتحققت انني ان لم ادركهُ انا فلن يقدر سواي على ذلك . وما زلت مجدًّا في اثرهِ حتى قاربتهُ وكان يلتفت الى جهتي مرةً بعد مرة كانهُ يستشير افكارهُ في امر ثم اخذ من منطقتهِ غدارةً واطلقها عليَّ فمرت رصاصتها قرب رأسي . وقبل ان يتمكن من اخذ سيفهِ كنت قد صرت بحذآئهِ فامسكتهُ من عنقهِ بيد حديدية وجذبتهُ اليَّ فمر جوادهُ من تحتهِ وسقط الى الارض وكنت قد وقفت فرسي فوثبت

عنها وانا لا ازال قابضاً على عنقهِ . ثم ادركتني جنودي البواسل ورأى ان لا مناص لهُ منا فاخذ من جيبهِ ورقة صغيرة مطوية وضعها في فيهِ بقصد ابتلاعها ولكن نسي المسكين ان عين جيرار لا يخفى عليها مثل هذه الامور فزدت الضغط على عنقهِ واخرج بعض الجنود سكيناً ادخلهُ بين اسنان الاسير فاجبرناهُ على فتح فمهِ واخذت الورقة وقد تحقق لي انها رسالة يهمنا امرها . فكاد يجن غيظاً واسفاً ولكنهُ تمالك وقال ما كنت اظن ان رجال الفرنسيس تهتم بالاطلاع على رسالة من عاشق الى عشيقتهِ . فتبسمت وقلت لهُ اعذرنا على فعلنا ايها الشجاع وتيقن انني اذا لم ارَ في الرسالة ما يهم جنودنا اعدتها اليك بمزيد الاكرام وكتمت ما فيها حتى عن نفسي . ولما رأيت رجالي قد تولوا المحافظة عليهِ فتحت الرسالة فرأيت فيها سطراً واحداً باللغة الروسية لم اتمكن من قرآءتهِ وادرتها على رفاقي فلم يوجد بينهم من يستطيع ان يفهم منها سوى انها موجهة الى الجنرال بلاتوف . ثم سألت الاسير عن اسمهِ فقال الكسيس باراكوف واخبرني انهُ كان في زيارة حبيبتهِ في القرية وهو عائد الى منسك . فقلت لهُ اننا قاصدون تلك المدينة ايضاً فنتشرف بصحبتك بعد ان تستريح هنيهة في القرية . فتململ الضابط ثم هدأ روعهُ فمشى معنا ذليلاً . ودخلنا اول بيت صادفناهُ فوجدنا فيهِ رجلاً قبيح الخلقة لم يستقبلني بما ينبغي من الادب وكان لهُ ابنة وحيدة هي عكسهُ في الصورة وحسن الخُلق حنطية اللون ناعمة الجلد سودآء الشعر ولها عينان لم انظر اجمل منهما في حياتي . ولما وقع نظري عليها علمت للحال انها اصبحت لي . ولم يكن الموقف موقف غرام غير اني كنت جائعاً فاحضرت لي زاداً وبينما كنت آكلهُ وقفت تحادثني فعلمت ان اسمها صوفيا وعلمتها ان تناديني باسمي . ورأيتها حزينة النفس فاجتهدت في تسليتها وتعزيتها وضممتها الى صدري فمسحت بوجهي الدموع التي بدأت تتساقط من مقلتيها . وسألتها عن سبب بكآئها فقالت اني ابكي لحالة اسيركم هذا فانهُ اذا كانت جنودكم انفسها تتضور جوعاً فلا شك انهُ سيلاقي عندكم شر ميتةٍ من الجوع والبرد ولقد رأيت في وجهك اثراً للشفقة والحنو افلا تهب لي هذا الاسير . فتبسمت وقد لاح لي امرٌ عزمت على اتمامهِ وقلت لها حبًّا وكرامةً .

ثم نظرت الى الاسير فقلت لهُ اني اطلق سراحك اكراماً لهذه الفتاة بشرط ان لا تغادر هذا البيت قبل اربع وعشرين ساعة . فوعدني بذلك وقد امتلأ فمهُ بالشكر لي فقلت لهُ اذهب راشداً ولا تشكرني على ما فعلت بل اظهر عرفانك لهذه المنة لاول جندي فرنسوي تراهُ يحتاج الى مساعدتك . ولما خرج من امامي ابرقت اسرة صوفيا ونظرت اليَّ شاكرةً فقلت لها قد وهبت لكِ ما سألتِ فأودّ منكِ في مقابلة ذلك ان تعلميني شيئاً من لغتكم . قالت افعل ذلك بكل سرور . قلت فلنبتدئ بقرآءة هذه الوُرَيقة واخرجت من جيبي الرسالة التي اخذتها من الضابط . فلما وقع نظرها عليها وكانت لا تزال مسرورة باطلاق الاسير قرأتها بدون تروٍّ وقالت معناها « اذا بلغ الفرنسويون منسك خسرنا كل شيء » . وما كادت تتم العبارة حتى امتقع لونها فصاحت آه ماذا فعلت فقد خنت وطني . اما انا فتبسمت وقلت لا يشقّ ذلك عليكِ فلستِ بأول شخص امتلكهُ جيرار . ولم يكن الوقت يسمح لي بأن اغازلها فتركتها وناديت رجالي للتقدم الى منسك وقد تحققت من الرسالة ان منسك لا حامية فيها وايقنت ببلوغ المرام . ولما بلغنا المدينة توجهنا رأساً الى دار بلديتها حيث القمح المخزون فتركت جنودي خارجاً ودخلت مع اثنين من الضباط فقط . ولكن لم تطأ اقدامنا داخل البناية حتى ظهرت امامنا فرقة من الجنود الروسية قابلتنا للحال بطلق ناري من بنادقهم فسقط رفيقايَ الى الارض ودخلت رصاصتان في ردآئي واخرى في قبعتي . فصحت بجنودي وقد ارتددت اليهم لكنني لم أبلغهم حتى رأيت ابواب البناية تفتح ويخرج من جميع جهاتها كتائب من القوزاق سدوا علينا المنافذ وحاولنا اختراق الطريق فلم نفلح لكثرة عددهم وما كدت اصل الى فرسي حتى اجتمع عليَّ بعض جنودهم فألقوني في الارض واخذ احدهم رأسي بين يديهِ فضرب بهِ الارض مراراً حتى عدمت رشدي . ولما أفقت وجدت نفسي أسيراً في ايديهم ورأيت اكثر من نصف رجالي مطرَّحين على الثرى والباقين محاطين بالجنود الروسية فوددت أن انتحر لو كان بيدي سلاح تخلصاً من تلك الاهانة التي نزلت بي . وتذكرت المارشال ناي واعتمادهُ عليَّ ثم سقوطي في هذا الفخ بدون تروٍّ فانحدرت

دمعةٌ محرقة على وجنتي ورآها آسري وكان وحشاً ضارياً بصورة انسان قبيح المنظر فقهقه ضاحكاً وقال لم اكن أظن ان ذلك القائد الكرسكي يأتي ليفتتح بلادنا بصبيان كبار يبكون عند الشدة . فتململت تأثراً ونظرت اليهِ باحتقار وقلت لو ساعدني الحظ لمقابلتك شخصيًّا ونحن متساويان كنت أجيبك على كلامك هذا . فقال لا أمل لك في ذلك لان رئيسنا لا يبقيك هنا الى الصباح . ولما قال ذلك صدرت الاوامر فأحاطوا بالاسرى واركبوني على فرسي ڤيوليت وكأنها عرفت ما أصابني فظهر عليها الانكسار الشديد وقادونا الى خارج المدينة . فسرنا في ذلك السهل الثلجي بمنتهى الحزن وزاد على ذلك تصرف الضابط الفظ فانهُ كان يرفع سوطهُ احيانًا ويضرب من تخلف من عساكرنا كأ نهُ يقود قطيعاً من الحيوانات العجم . وأفضى بنا المسير عند منتهى النهار الى قريةٍ علمت انهم ينوون المبيت فيها ومررنا امام بيتٍ عرفتهُ للحال انهُ بيت صوفيا الذي جئتهُ في الصباح ظافراً وفي المسآء أسيراً فأظلمت الدنيا في وجهي . غير ان حالة الجندي لا تكون الا كذلك فيوماً ينتصر ويوماً ينكسر ويكون يوماً في نعيم ويوماً في جحيم وتارةً أميراً وطوراً أسيراً فهو في تقلبٍ دائم لا يثبت فيهِ سوى الشجاعة والشرف

وترجلت الجنود الروسية فامرهم الضابط ان يتفرقوا بالاسرى في المنازل واصدر الاوامر المشددة بالمحافظة عليهم لكي لا ينجو احد . وكان اهل القرية قد تألبوا علينا وهم يرقصون ويعزفون سروراً لفوز جنودهم ورأيت بينهم صوفيا ووالدها . فلما وقع نظرها عليَّ كتمت سرورها ثم اقتربت من الضابط وكلمتهُ بكلام لم اسمعهُ فنظر اليَّ ثم هزّ رأسهُ بما يشير الى الاباء . ولما ألحت عليهِ كثيراً اقترب مني وقال هذه الفتاة تطلب ان تبيت الليلة في دارها وكنت اوثر ان تبيت في الصحرآء لكي تعتاد منذ الآن مناخ سيبيريا ولكني سأجيب طلبها بشرط ان يكون سجنك دهليزاً في اسفل البيت وان تعدني بشرفك ان لا تحاول الهرب . قلت لا اقبل لك منةً فلا اعدك شيئاً . قال ستنام اذاً هنا على الطريق وعسى ان ترى في سريرك الثلجي ما يريحك في نومك . وقبل ان يبتعد عني عادت صوفيا الى التوسل والالحاح ثم

قالت لهُ ان هذا الرجل قد اسر اليوم في بيتنا الضابط باراكوف ثم اطلقهُ كرماً منهُ فلا اود ان يكون للفرنسويين فضلٌ علينا ولا اقل من دهليز نحرسهُ فيهِ يقيهِ قرص البرد والموت . ثم ظهر من البيت باراكوف نفسهُ وكان لا يزال فيهِ حسب وعدهِ لي في الصباح فأيد كلام الفتاة وساعدها في الالحاح على الضابط حتى اقنعاهُ ولكنهُ اصرّ على ان اعدهُ بعدم محاولتي الفرار فابيت . فتقدمت الفتاة ونظرت اليَّ بغنج وقالت عدني انا بذلك . فقلت لكِ ما تريدين واقسمت لها اني لا احاول الفرار . فصفقت سروراً وسارت امامي مع والدها فتبعتها مع الضابط الى ان دخلنا البيت فنزلنا سلماً اوصلنا الى قبوٍ بارد تحت الارض قد نُضّدت فيهِ الاخشاب والحطب وبقي في وسطهِ فسحة صغيرة اقاموني فيها واخذ الضابط مصباحاً تفقد بنورهِ جوانب القبو ثم قال لي اتمنى لك نوماً سعيداً في هذا الفندق الذي هو احسن ما يمكننا تقديمهُ لكم وعسى في غارتكم الثانية ان تلاقوا بلاداً تستقبلكم باحسن من استقبالنا . ولما قال هذا خرج بعد ان اوصى الفتاة ووالدها بان لا يكلماني ولا يقدّما لي شيئاً من المأكول والمشروب

ولما اقفل عليَّ باب سجني وقفت حزيناً لحبوط مسعاي وقد تمثل لي حال الجيش الذي تركتهُ وهو على شرف الهلاك من عدم القوت ثم اخذت افكر اذا اوصلوني في الغد الى القائد العام وارسلني الى سيبيريا فماذا يحل بوالدتي . وما زلت كذلك الى ان شعرت بوقع اقدامٍ تقترب مني ثم سمعت صوتاً يقول خذ كل واشرب وتقوَّ وابقَ مستيقظاً مستعدًّا . فتبيّنت المتكلم بنور المصباح الضعيف فاذا بهِ باراكوف الذي اطلقت سراحهُ في الصباح . وقبل ان استفسر معنى كلامهِ ترك لي شيئاً واختفى فاقتربت مما اتى بهِ فوجدتهُ طعاماً فاخراً من اللحم وزجاجة من الخمر وكنت جائعاً جدًّا فالتهمت الطعام وجرعت الشراب فعادت اليَّ قوايَ . وجلست أتفكر فيما قالهُ لي ان ابقى مستيقظاً حتى مضى القسم الاعظم من الليل فنبهني صرير المفتاح في القفل ثم فُتح الباب فدخل منهُ شخص واقفلهُ ثانيةً ولما اقترب مني وجدتهُ صوفيا فسررت بقدومها . أما هي فاقتربت بتأنٍ ثم قالت لي

هل صفحت عني يا كولونيل . فقلت كيف اصفح عمن لا أدري لهُ ذنباً . قالت ربما لم تعرف ذنبي فاعلم ان الرسالة التي ترجمتها لك كانت على عكس ما قرأتهُ تماماً اذ كان مكتوباً فيها « دعوا الفرنسويين يأتون الى منسك فنحن في انتظارهم » فلو ترجمتها لك بنصها لنجوتم ولكني عكست لك المعنى فأصابكم ما انتم فيهِ الآن . اما أنا فما سمعت منها ذلك حتى استشطت غيظاً وهممت بأن اقول أو افعل شيئاً لكنها قاطعتني قائلة لا شك انك محب لوطنك وانك تحترم كل من يحب وطنهُ وأتيقن انك تطنب بمدح فعلتي هذه وتسرّ جدًّا اذا فعلت النسآء الفرنسويات ما فعلتهُ لو اتفق لهنَّ مثل هذه الحال . ثم ألحت عليَّ طالبة الصفح فلم يمكني الا الاعجاب بذكائها فصفحت عنها . ثم ناولتني مفتاحاً وقالت يوجد ورآء هذه الاخشاب باب فافتحهُ بعد خروجي واخرج منهُ وورآءهُ ممرّ طويل ينتهي بك الى حيث ينتظرك باراكوف بفرسك وسيفك فاركب وسر بحفظ الله بلّغك الله وجهتك سالماً . وكنت كمن يحلم فلم اكد أصدق ما سمعت ولكنني رميت بالمفتاح الى الارض وقلت لا . لا يمكنني الهرب . قالت ولماذا . قلت لاني اقسمت ان لا افرّ . قالت ولمن اقسمت . قلت لكِ . قالت فانا احلك من قسمك هذا فاذهب واياك التأخر فقد قربنا من اواخر الليل . ولما الحت عليَّ اخذت المفتاح ثم ضممت صوفيا الى صدري مودعاً وخرجت فما بلغت آخر الممر حتى رأيت باراكوف ينتظرني فناولني سيفي وساعدني على الركوب ثم قال قد اطلقتَ سراحي في صباح امس وطلبت مني ان اظهر عرفاني لهذه المنة لاول فرنسوي يحتاج الى مساعدتي فلا أحقَّ منك بذلك فاذهب بسلام واذكر اني قد برئت مما لك عليَّ . ولم يمهلني لاشكرهُ فاغتنمت الفرصة واطلقت لڤيوليت العنان وكأنها علمت ما انا فيهِ وسرّها اني نجوت فكانت تطير بي على تلك السهول الثلجية . واجتزت مراراً على بعض رجال الحرس فاعطيتهم الشعار (كلمة المرور) وكان قد القاهُ اليَّ باراكوف فلم يعترضني احد وما زلت سائراً حتى بلغت مأمني

وما كدت اتحقق النجاة حتى سمعت وقع حوافر جواد ورآئي وصوتاً يناديني

فوقفت انتظر القادم حتى انتهى اليَّ فاذا بهِ الضابط الذي اسرني فلم اهتم بالفرار من امامهِ . ولما حاذاني قال لقد خطر لي ان الفرنسويين لا يعبأون بالشرف وعلمت انك ستنكث وعدك بعدم محاولة الفرار فبقيت مستيقظاً لاعلم ماذا تفعل واشكر الله انني تبعتك وقد عرفت كيف احرسك بعد الآن . قلت اقصر كلامك ايها الوغد واعلم ان الشرف لا يكون الا في الدم الفرنسوي فأنا لم اعدك بما ذكرت . قال ولكنك وعدت الفتاة التي أضافتك في بيتها . قلت نعم فهي التي لها الحق ان تطالبني بوعدي . ولما قلت ذلك جردت سيفي في وجههِ فصاح آه من الخائنة فانها هي التي أطلقت سراحك فسنرى بماذا تجيب غداً وهي سائرة الى سيبيريا . ولم اسمع تلك الكلمة حتى اقشعرّ جسمي فكان جوابي ان طعنتهُ بسيفي في شعر لحيتهِ الكثيف فخرج نصل السيف من ظهرهِ وسقط الى الارض وألقيت بنفسي وراءهُ فوجدتهُ قد اسلم الروح

وبعد يومين من تلك الحادثة بلغت سمولنسك وانضممت الى بقية ذلك الجيش وقد كان يسير بين الثلوج تاركاً وراءهُ خطًّا متصلاً من الدم والجثث وعُدَد الحرب فاقشعرَّ جسمي من ذلك المنظر الذي يفتت الفؤاد وهو الى الآن لا يفارق عينيَّ ولا يزال يتابعني في احلامي .

ولما بلغنا وارزوف كنا قد تركنا خلفنا كل مدافعنا وادوات النقل وثلاثة ارباع جيشنا ولكن شرف جيرار لم يتخلف . وقد قال بعضهم انني نقضت وعدي في الفرار من اسري فليحذر الذين يقولون ذلك امامي لان الحقيقة كما قلتها لكم الآن وليست كما يرويها بعض ذوي الاهواء وليعلم الجميع ان جيرار مع تقدمهِ في السن لا يزال لهُ ساعدٌ يقوى على حمل السيف وانامل تستطيع الضغط على زند الغدارة في وجه الذي يتجاسر على تكذيبهِ أو اهانتهِ

تاريخ الادبيات العربية

المراد بالادبيات هنا كل ما يتعلق بعلوم الادب من كتابة وشعر وتأليف وعلى الجملة كل اثرٍ من آثار اللسان والقلم. وقد وقفنا على مؤلَّفٍ حديث في هذا المعنى ظهر سنة ١٩٠٢ باللغة الفرنسوية للاستاذ هُوار احد المدرّسين في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز جمع فيهِ من الكلام على تلك الآثار واربابها ما لم يُجمَع في كتابٍ قبلهُ بحيث تتبّع مرويات هذه اللغة من اقدم ما يؤثر منها الى هذا اليوم. ولا يخفى ما يقتضي ذلك من ثبات العزم وقوة الجَلَد على المطالعة والتعليق ولا سيما لمن كان اجنبيّ اللسان

على ان المؤلف يعترف بانهُ استعان بكتب الذين تقدموهُ من جماعتهِ وعلى الخصوص بمؤلَّف الاستاذ برُوكلمان من اساتذة المدرسة الجامعة في برِسلُو من بلاد ألمانيا وهو اكثر تلك الكتب احاطةً لكن ذكر ان جلّ ما فيهِ ينصرف الى تعريف فحوى المؤلفات العربية ولذلك كان بأن يُعَدّ برنامج كتب احرى من ان يُعَدّ تاريخاً للكتّاب

وقد بدأ المؤلّف كتابهُ بذكر الشعر قبل الاسلام ثم بما كان من حال الآداب لعصر الامويين ثم العباسيين ثم ما كان منذ فتح بغداد (في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد) الى آخر القرن الثامن عشر ثم ما كان في القرن التاسع عشر. وقد استقرى الشعرآء والكتّاب في هذه القرون كلها في قبيلةٍ قبيلةٍ من قبائل العرب وفي بلدٍ بلدٍ من الممالك الاسلامية فذكر ما اشتهر لكلٍّ منهم مع الالمام بتراجم بعضهم وبيان منزلتهم من الادب. فكان

هذا الكتاب ولا جرَم من اجلّ ما أُلّف في العرب وبيان فضلهم وما بلغوا اليهِ في ابّان حضارتهم . وقد تجاوز علوم الادب الى غيرها من مثل الكيمياء وعلم النجوم والجغرافية والطب والرياضيات والتاريخ والفلسفة والفقه وتكلم على لغة العرب وما كان للحضارة التي طرأت عليهم من التأثير في اخلاقهم وعاداتهم وبالتالي في لسانهم . فجمع في هذا السفر من اسماء الشعراء والخطباء والكتّاب والعلماء واصحاب التآليف المتنوعة ما يجدر بكل عربيٍّ ان يطّلع عليهِ ليكون على بيّنةٍ من اوّليتهِ وسَلَفهِ مما لا وجود للكثير منهُ بين ايدينا وكأنّ هذا الرجل يقول للعرب خذوا تأريخكم من رجلٍ اعجميّ

على انّا لا ننكر ان في ادبآئنا من انتدب لتأليف كتابٍ جامع من هذا القبيل تتبَّع فيهِ آداب اللغة عصراً بعد عصر ونعني بهِ حضرة الفاضل محمد بك دياب من مفتشي اللغة العربية في المدارس المصرية فانهُ قد وضع في ذلك مؤلَّفاً سماهُ تاريخ آداب العرب جمع فيهِ من اثير الفوائد ونادرها ما يعزّ الوقوف عليهِ في سواهُ ولا يُدرَك الا بتصفُّح المئات من الاسفار . الا انهُ اقتصر في جُلّهِ على تاريخ وضع علوم الادب وسرد اسماء الذين ألّفوا فيها مع ذكر اشهر مؤلفاتهم ولم يكد يذكر غير هذه الطبقة ممن لهُ اثرٌ في شعرٍ او انشاء او تأليفٍ في شيءٍ من العلوم وعلى الخصوص شعراء الجاهلية فانهُ اقتصر على ذكر أسماء اصحاب الدواوين منهم ولم يذكر شيئاً من تراجمهم ولا تكلم على شعرهم فكان كتابهُ اشبه بما وصفهُ المؤلف عن كتاب بروكلمان . على انهُ معذورٌ في الاقتصار على ذلك لفقد ما يستعان بهِ عندنا على معرفة تراجم المؤلفين والشعراء في كل عصر من اعصار الدولة العلمية

في العرب والوقوف على كل ما كان عندهم من العلوم وما كتبوا فيها من المؤلفات فوقف عند ما ارشدتهُ اليهِ معارفهُ الشخصية وما عندنا من العدد القليل من كتب القوم . ولذلك فقد وددنا لوانهُ ألحق كتابهُ بذكر افراد الشعرآء والمصنفين وغيرهم ممن ذُكروا في المؤلَّف الذي نحن في صددهِ على ان يصحح ما فرط فيهِ من الاوهام ويورد شواهدهُ من كلامهم باصلهِ العربيّ ولو بالتماسهِ من مواضعهِ في المكاتب الاوربية

ونحن على إعظامنا المؤلَّف المذكور واعترافنا بمنزلة صاحبهِ من سَعة الاطّلاع والتضلُّع من العربية الى حدٍّ لم نجدهُ لغيرهِ من اولئك المستعربين لايسعنا الا ان نشير الى بعض ما شذّ فيهِ قلمهُ عن الصواب لا بقصد التنديد ولا التسوئة ولكن على امل ان يصححهُ في الطبعات الآتية ليكون الآخذ عنهُ على ثقةٍ من مضمونهِ

فمن اوهامهِ في هذا الكتاب انهُ لما ذكر زُهَير بن ابي سُلمَى المُزَنيّ احد اصحاب المعلقات (صفحة ١٤) ذكر انهُ من عشيرةٍ كانوا كلهم يقولون الشعر ومنهم اختاهُ سُلمَى والخنسآء . ثم قال في صفحة ١٥ ما تعريبهُ « وقد قضى سوء الحظ على الخنسآء ان تجعل شعرها في رثآء اخيها » . فالتبس عليهِ التمييز بين الخنسآء اخت زهير بن ابي سلمى والخنسآء اخت صخر ابن عمرو بن الشريد وشتّان ما بينهما فان هذه من بني سُلَيم وتلك من بني مُزَينة

وذكر في صفحة ٢٧ انها سميت بالخنسآء اي البقرة الوحشية التي في انفها خَنَس . وانما اللفظ بأحد المعنيين لان الخنسآء مؤنث الأخنس وهو الذي تقدمت جبهتهُ وادبر أنفهُ مع بروز الارنبة وأُطلقت على البقرة

الوحشية لانها لا تكون الا كذلك كما سُمي الاسد بالأخثم وهو العريض الانف والضَبُع بالعرجآء لانها تعرج في مشيها وما اشبه ذلك من الصفات التي تُستعمَل خلفاً عن موصوفاتها

ومن ذلك ما رواهُ عن عبيد بن الابرص (ص ٢٢) انهُ كان يقود سرح اختهِ ماوية الى المآء فطردهُ رجلٌ كان هناك وضربهُ على جبهتهِ فعاد منكسراً ونام في ظل اشجار فانتبه شاعراً وذلك ان جنّياً جآءهُ وهو نائم ووضع في فيهِ كُبّة شِعر (poésie) اه . وصحة هذه القصة ما ذكرهُ صاحب الاغاني قال كان من حديث عبيد بن الابرص أنهُ كان رجلاً محتاجاً ولم يكن لهُ مال فأقبل ذات يوم ومعهُ غُنَيمة لهُ (تصغير غَنَم) ومعهُ اختهُ ماوية ليوردا غنمهما فمنعهُ رجلٌ من بني مالك بن ثعلبة وجَبَههُ فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع بهِ المالكيّ حتى اتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنّ فنام هو واختهُ . فزعموا ان المالكيّ نظر اليهِ واختهُ الى جنبهِ فقال

ذاك عبيدٌ قد اصاب ميّا　　يا ليتهُ أَلقحها صبيّاً
فحملَت فوَضَعَت ضاويّا

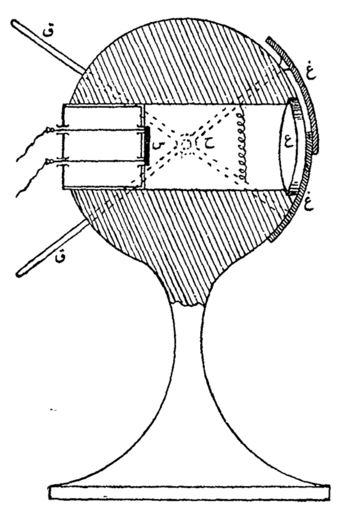
فسمعهُ عبيد فرفع يديهِ ثم ابتهل فقال اللهمَّ ان كان فلانٌ ظلمني ورماني بالبهتان فأَدِلني منهُ اي اجعل لي منهُ دولةً وانصرني عليهِ . ووضع رأسهُ ونام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فذكر انهُ اتاهُ آتٍ في المنام بكُبّةٍ من شَعر حتى أَلقاها في فيهِ ثم قال قم فقام وهو يرتجز شعراً في بني مالك ثم استمرّ بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني اسد غير مُدافَع . انتهى . ففسر قولهُ « جَبَههُ » بمعنى ضربهُ على جبهتهِ وما ننكر ان هذا اصل المعنى في

هذه اللفظة لكن المقصود هنا غير ذلك فانهُ يقال جَبَهَهُ اي ردّهُ عن حاجتهِ واستقبلهُ بما يكره. فكأنهُ صكّ جبهتهُ وهو مجاز كما يقال غلّ يدهُ وقطع لسانهُ وارغم انفهُ وهو كثيرٌ في اللغة وكلهُ لا يراد منهُ حقيقة معناهُ كما لا يخفى . وقرأ قولهُ « كُبة شَعر » بكسر الشين وترجم كذلك لانهُ لم يخطر لهُ وجه المناسبة بين الشَعر والشِعر ولم يفطن لما بينهما من المجانسة اللفظية التي كثيراً ما يعتمد عليها معبرو الاحلام واصحاب الفأل كما يأوّلون الحيّة احياناً بالحياة ويصرفون نعيب الغراب الى الغربة وما اشبه ذلك　　　(ستأتي البقية)

العين الصناعية

من المعلوم ان ادراك المرئيّات يتمّ بانعكاس النور عنها الى شبكية العين وانتقال التأثير الحاصل عنهُ الى الدماغ بواسطة الالياف العصبية فيحدث هناك شعورٌ خاص هو ادراك ذلك النور . لكن الذي عُلم بتكرار المراقبة ومزاولة التجارب ان هذا الادراك غير مختصٍّ بتأثير النور على الشبكية ولكن كل اثرٍ يصل الى الالياف المذكورة يستحيل في الدماغ الى ادراكٍ بَصَريّ . ولذلك اذا اصيبت العين بلطمةٍ شديدة رُؤي الوفٌ من الشرر وهذا ما يعبّر عنهُ الافرنج بقولهم « رأى ستة وثلاثين الف شمعة » ولعلهُ هو المقصود في قول عامّتنا اراهُ نجوم الظهر . قالوا واذا جُرحت الشبكية لا يشعر المجروح بألم ولكن يرى شبه برق شديد واذا قُطع عصب البصر قطعاً فجائياً كما يحدث احياناً في الاعمال الجراحية صحبهُ ظهور نورٍ متألق

وهذه الرؤية تحدث عند كل ضغط على المقلة او اهتزازٍ عنيف حتى عند العطاس احياناً . ومن المجرَّبات في ذلك انهُ اذا كان الانسان في موضع مظلم وضغط على جفنهِ بفلكة دبّوس (وهي الهنة الصغيرة في اعلاهُ) بحيث يصل اثر الضغط الى المقلة رأى دائرةً من نور وقد تكون ملوَّنة . وهذه الدائرة تُرَى كانها في خارج العين واذا كان الضغط على شمال العين ظهرت الى جهة اليمين منها او على اليمين ظهرت الى الشمال وكذا اذا كان الضغط من اعلاها ظهرت الى الاسفل وبالعكس



ولتعليل عمل النور في الشبكية والعصب البصري اخترع الدكتور وَرنَر سِيمِنْس الالماني آلةً غريبة وهي عينٌ صناعية تشعر بالنور كما تشعر عين الحيوان . وذلك انهُ اتخذ كرةً جوفاً ء من الزجاج هي المرسومة في الشكل وخرقها من جهتين متقابلتين خرقاً مستديراً وركَّب في احدى الجهتين عدسيّة محدَّبة الوجهين (ع) وادخل في الجهة الثانية سدادةً من الفلّين

الصق بطرفها الداخلي قرصاً من السيلينيوم (س) جعل صلةً بينهُ وبين رصيفٍ كهربآئي يتصل بهِ كلڤانومتر (وهو آلةٌ تقاس بها قوة الكهربآئية بواسطة ابرةٍ مغناطيسية توضع فيهِ وضعاً مخصوصاً فاذا تمشّت فيهِ الكهربآئية انحرفت الابرة فاستُدِلّ بمقدار انحرافها على قوة المجرى) . فكانت الكرة الزجاجية بمنزلة المقلة من العين وقطعة السيلينيوم بمنزلة الشبكية والعدسية بمنزلة الرطوبة البلورية . وجعل على الجهة المقدّمة غطآءين من معدن (غ وغ) هما بمنزلة جفنين ينطبقان على العين ويُفتحان بواسطة مقبضين (ق وق) يدوران حول محور في وسط الكرة (ح) وبينهما نابض (زنبلك) من سلك ملفوف لفًّا لولبيًّا يطبق احدهما على الآخر اذا تُرِكَ المقبضان

ثم ان السيلينيوم معدن يشبه الكبريت والفصفور وهو غير موصل للكهربآئية لكن من خصائصهِ انهُ اذا أُحمِي بعد التبلوُر الى ٢٠٠° من الحرارة اصبح بحيث اذا عُرِّض للنور كان من اصلح الموصلات للكهربآئية وهذا هو السرّ في عمل هذه الآلة فانهُ اذا أُرسل عليها شعاعٌ من النور وفُتح الغطآءان القائمان مقام الجفنين حتى ينفذ النور الى قطعة السيلينيوم انتشرت الكهربآئية في الكلڤانومتر المتصل بها وانحرفت الابرة للحال . ومقدار انحرافها يختلف تبعاً للون النور فهو فيما ورآء البنفسجي ١٣٩ وفي البنفسجي ١٤٨ وفي الازرق ١٥٨ وفي الاصفر ١٧٨ وفي الاحمر ١٨٨ وفيما ورآءِ الاحمر ١٨٠ . واذا كان النور ضعيفاً كما بين المغرب والعشآء فلا تنحرف الابرة الا بما لا يكاد يُشعَر بهِ

فيُرَى مما ذُكر ان العين الصناعية تشعر بالنور كالعين الطبيعية وتميز

بين لونٍ وآخر الى حدّ انهُ يمكن ان يُعرَف لون النور الواقع عليها ومقدار شدّتهِ من مجرَّد النظر الى حركة الابرة ولو لم يُرَ بالعين . وفضلاً عن ذلك فان هذه العين اذا طال تعرُّضها للنور ضعف تأثيرها على ابرة الكلفانومتر فلا بدّ لبقائها على قوّتها من حجب النور عنها حيناً بعد حين وهو تمام الشبه بينها وبين العين الطبيعية فانها تتعب كما تتعب تلك وتحتاج مثلها الى الراحة والجمام

وعليهِ فلا ريب انهُ لو كانت التموجات الكهربائية في السيلينيوم تؤثر في العصب البصري كما تؤثر في الكلفانومتر لأمكن ان يُتوصل بهِ الى جعل الاعمى يدرك الالوان ويميّز طبقات النور واشكال الاشباح لما تقدم من ان كل تهيُّج للعصب البصري يتحول الى نور وان ادراك هذا النور انما هو ادراكٌ لشيءٍ في الشخص المُدرِك لا في الصورة المُدرَكة والله اعلم

ذِكرى الهند

نقتضب ما يأتي من رسالةٍ خطّية بهذا العنوان لسيادة العلاّمة المطران اثناسيوس نوري رئيس اساقفة بغداد على السريان الكاثوليك وصف فيها رحلتهُ إلى بلاد الهند فذكر كل ما شاهدهُ في حلّهِ وترحالهِ من المناظر والحوادث وضمنّها كثيراً من الفوائد التاريخية والجغرافيّة وغرائب الاخلاق والعادات والاديان وغير ذلك مما يحسن وقعهُ عند المطالع . فرأينا ان نستأذن سيادتهُ في نقل ملخَّص تلك الرسالة نجعلهُ طرفةً لقرّاء الضياء لما فيهِ من طُلاوة الجديد وتبصرة المستفيد . قال أعزّهُ الله بعد الديباجة

ركبنا من بغداد في ٢٩ ايلول (ستمبر) سنة ١٨٩٩ في احدى البواخر الانكليزية التي تسير في نهر دجلة وتتردد بين البصرة و بغداد فبلغنا البصرة في صباح اليوم الرابع من شهر تشرين الاول (اكتوبر) . وكانت يومئذٍ راسيةً هناك عدة بواخر تجارية من اوربا واميركا والهند لتشحن تمراً وعدا هذه البواخر كان كثير من السفن الشراعية آتيةً من جزيرة العرب وزنجبار والبحرين وملابار وغيرها لتبتاع التمر . وقد قدَّر بعضهم ما يصدر من البصرة وضواحيها من هذا النوع بخمسة وعشرين مليون اقة كل سنة الى اوربا ومثل ذلك الى بلاد العرب والهند خلا ما يُنفَق منهُ في البصرة واطرافها وهو يبلغ مقدار ما يرسل الى اوربا . وهذه التمور هي مورد ثروة اهل البصرة حتى يقدَّر دخل بعضهم بزُهآء مئتي الف فرنك سنوياً . وقد اثرى اهل البصرة بعد فتح خليج السويس فانهُ قبل فتح هذا الخليج كان جريب النخل يباع بعشر ليرات فاصبح اليوم لا يباع بأقل من مئتي ليرة

وهذه المدينة قائمة على شطّ العرب وهو مجتمع الفرات ودجلة ومكانها على بعد ٥٢٠ كيلومتراً من الجنوب الشرقي من بغداد و ٨٨ كيلومتراً عن شمال الخليج الفارسي وهي من المدن الاسلامية اختطّها عمر بن الخطاب سنة ١٤ للهجرة (٦٣٦ م) لتكون محطةً للغزاة من العرب . وكانت تنزل بها قوافل العراق والعجم وما بين النهرين وسورية وترسو امامها سفن الهند وخليج فارس وفيها كان جامع علي المشهور . وقد بلغت البصرة في صدر الاسلام شأواً عظيماً وكان سكانها زُهآء ٥٠٠٠٠٠ نسمة ثم لما تعددت الحروب بين دولة المماليك والعرب والفرس وتوالت عليها الاوبئة فتكت

باهلها فتكاً ذريعاً اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً الى ان كادت تندرس فلما فُتح خليج السويس انتعشت من كبوتها وكان سكانها قبل ذلك لا يزيدون على عشرة آلاف نسمة فاصبحوا اليوم اكثر من ثلاثين الفاً وهي تزداد عمراناً مع الايام

وكان موعد سفر الباخرة القاصدة بمباي في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول فركبنا وسارت بنا الباخرة حتى القت مرساتها في بندر ابي شهر فلبثت هناك بياض يوم ثم اقلعت الى جزيرة البحرين فما كادت ترسو هناك حتى وفدت عليها القوارب مشحونةً بالاموال والخيل العربية وكان فيمن وفد اليها جماعةٌ من تجار الهنود الوثنيين المعروفين بالبانيان ومع كل واحد منهم رزمة او رزمتان فا كثر من اللؤلؤ الذي ابتاعوهُ من الجزيرة المذكورة لان اللؤلؤ يكثر في مياهها فسلّم كلٌّ منهم ما معهُ من الرِزَم الى ربّان الباخرة وأخذ بهِ وصولاً

وهنا لا بأس ان نذكر شيئاً عن هؤلآء الهنود مما شاهدناهُ رأي العين وكانوا نحواً من عشرين رجلاً كلهم من البانيان . وهم يعلمون جباههم بعلامةٍ فارقة تميزهم عن بقية الهنود فيلتطخون بالزرقون وهو صِبغٌ احمر يتخذ من الأُسرُب المحرق ويسمَّى بالسيلقون والسَرَنْج فمنهم من يجعل اللطخة بشكل نجم وغيرهم يجعلها كنصف دائرة أو دائرة واكثرهم يجعلونها ثلاثة خطوط . وليس لهم من الكسوة الا مئزر يشدونهُ في وسطهم وفي ايام البرد يلتحفون بقطعةٍ من نسيج رقيق . وهم يذهبون الى التقمُّص وهو انتقال الارواح بعد الموت الى اجسامٍ أُخر من الاحيآء بشراً كانت أو من

الحيوان الاعجم ولذلك يحرّمون على انفسهم اكل اللحوم على الاطلاق مخافة ان يكون قد حلّ فيها روح احدٍ من اسلافهم . ولا يحلّ لهم ان يأكلوا من طعام غير ملّتهم كما يحرم عليهم ان يأكلوا من نفس طعامهم اذا نظر اليهِ من كان على غير دينهم وكأن الضرورة حلّتهم من ناموسهم هذه المرة فأكلوا وشربوا على مرأًى منا ومن سائر الذين كانوا في الباخرة . وهم لا يتأنقون في المآكل بل ان معيشتهم في غاية البساطة ويكتفون من الطعام بالقدر اليسير وكان زعيمهم يوزع عليهم كل صباح قبضةً من اللوز والسكَّر وقبل الظهر يجتمعون كلهم ويُعِدّون غدآءهم فيعجنون دقيقاً بدهن النارجيل اي الجوز الهندي ويتخذون منهُ اقراصاً يقلونها بالدهن ثم يقلون شيئاً من الخضراوات وبعدئذٍ يقسم الزعيم عليهم الاقراص والخضراوات واضعاً اياها على ورق من الشجر الهندي فيأخذ كلٌّ نصيبهُ ويلقمهُ بثلاث اصابعهِ

اما مآؤهم فكانوا يحتفظون عليهِ جدًّا فيضعونهُ في جرار من نحاس يغلّفونها بأكياس مربوطة ومتى شآء احدهم مآءً جآء بانآءٍ صغير وحلّ فم الكيس وانزل الانآء في الجرّة وملأهُ ثم ربط الكيس وبعد ذلك يصبّ على يديهِ قطراتٍ من الانآء الصغير ثم يشرب منهُ . وهم شديدو القذارة والنتن حتى تقززت انفسنا من رؤيتهم وامست الباخرة ذات رائحةٍ كريهة مدة اقامتهم فيها ولم نرَ احداً منهم استعمل الصابون . وهم مع ذلك اغنيآء تقدَّر ثروة بعضهم بسبعمائة الى ثمانمائة الف فرنك وقد اخذوا كلهم غُرَفاً في الدرجة الاولى من الباخرة (ستأتي البقية)

مطالعات

تقليل الموت في الاطفال — نشر الدكتور ڤاريُو طبيب مستشفى الاطفال في باريز فصلاً جزيل الفائدة شرح فيهِ نتيجة بحثهِ عن سبب موت الاطفال في فرنسا وأَلمانيا وانكلترا بعد ان استقرى الاحصاءات في ذلك مدة العشرين سنة الاخيرة فرأينا ان نذكر مجمل ما توصل اليهِ في هذا الشأن تبصرةً للقرآء قال

عُلِم من تقرير سنة ١٨٨٠ ان عدد الاطفال الذين ماتوا في باريز من عمر يوم الى سنة بلغ ١٠ ٥١٠ وكانت المواليد في تلك السنة ٥٦ ٦٥٢ فيكون عدد الذين ماتوا ١٨،٧٥ في المئة . وفي سنة ١٨٩٠ كان عدد الاموات في السنّ المذكورة ٨ ٥٥٧ من ٥٥ ٩٢٧ اي على نسبة ١٥ في المئة . وفي سنة ١٩٠١ هبط عدد الوفيات الى ٦٨٦٤ من ٥٦ ٥٦٩ فكانوا على نسبة ١٢ في المئة . وعليهِ فيكون معدَّل الذين سلموا في باريز في هذه العشرين سنة لا اقلّ من ٤٠٠٠ نفس كل سنة

اما الذين هلكوا بالتهاب المعدة والامعاء على الخصوص ففي سنة ١٨٨٠ كانوا ٤ ٢٧٤ وفي سنة ١٩٠١ هبط عددهم الى ٢ ١٥٧ اي نقصوا نحو النصف . وهذا العدد ليس امراً اتفاقياً جاء كذلك في هذين التاريخين ولكنهُ نتيجة تدريجٍ متتابع مدة العشرين سنة المذكورة

والذي يظهر من هذا الاحصاء ان عدداً كبيراً من أُولئك الاطفال كانوا يموتون بالاسهال والتهاب المعدة والامعاء واذا تتبعنا تاريخ هذا

النقص في عدد الوفيات منهم وجدناهُ قد بدأ من تاريخ الشروع في اتخاذ اللبن المعقَّم في الارضاع الصناعي وفي هذه المدة كلها لم يحدث تبديلٌ في طريقة الارضاع غير ما ذُكر يمكن ان يُحمَل عليهِ هذا النقص الكبير في عدد الذين يموتون بالسبب المذكور

على ان اكثر الذين انتفعوا بهذه الطريقة في الارضاع هم اهل الطبقة السافلة من الاهالي لان اكثر ما كان يحدث هذا الموت في الاطفال بين سكان الضواحي لرداءة اللبن الذي كانوا يتخذونهُ للارضاع الصناعي . اما اليوم فقد اصبح تعقيم اللبن اجبارياً في جميع محاضن الاطفال[1] تحت مشارفة الحكومة وبامدادها اقيم اطبآء اختصاصيون للاطفال في دُور النِفاس[2] يستشارون عند الحاجة وقُرّر توزيع اللبن المعقَّم على المستشفيات المخصوصة بمعالجة الاطفال

وهذه المنشآت فضلاً عن نفعها الخاص فانها تكون مواضع درس وارشاد للامهات الحديثات العهد بالامومة وبسببها نقصت وفيات الاطفال في باريز في العشر السنوات الاخيرة نحو الربع . على ان اكثر ما يحدث من ذلك مرجعهُ جهل الامهات بطريقة الارضاع ولذلك اخذ ذوو الشأن في جميع المالك من انكلترا والبلجيك وايطاليا وغيرها يهتمّون بأن يفرضوا لهذه المسئلة درساً مخصوصاً يجعلونهُ في رأس الدروس التي تُلقَى في المدارس الانثوية

(١) جمع محضن وهو مكان خيريّ تودع فيهِ اطفال الفقرآء ممن تضطرّ امهاتهم الى السعي في طلب المعاش فيحتفظ بهم مدة غيابهنّ مجاناً أو بأجر يسير . معرب Crèche

(٢) هي اماكن أخر من مثل ما ذكر يتولى فيها امر النفاس . تعريب Maternités

تأثير الضغط على قُراضات المعادن — وقفنا في احدى المجلات العلمية على امتحانٍ غريب اجراهُ البروفسور هُوف من اهل وستفاليا بأن عرّض قُراضات بعض المعادن المنطرقة للضغط فتوصل الى ما لا يخلو من نفع في الصناعة . وذلك انهُ عمد اولاً الى خُراطة نوعٍ من المعدن مركب من ٨٣ جزءًا من القصدير و ١١ من الانتيمون و ٦ من النحاس الاحمر فاخذ نحو ٢٥٠ غراماً من هـذه الخراطة وجعلها في اسطوانةٍ من الفولاذ قطرها الداخل ٥٠ ميليمتراً ثم ضغطها ضغطاً تدريجيًّا الى ان بلغ ٥٠ وسقاً (طنًّا) . وكانت اجزآء الخراطة الى ضغط عشرة اوساق متميزة بعضها من بعض ثم اخذت تتضامّ وتتلاحم حتى بلغ الضغط عليها ٥٠ وسقاً فتلاصقت اجزآؤها تلاصقاً تامًّا بحيث اصبحت جسماً واحداً وامتنع انفكاك بعضها عن بعض

ثم امتحن ذلك في خُراطة الفولاذ والنحاس والشَبَه فخرجت كلها اجساماً صلبة صقيلة الجوانب الى حدّ انهُ يمكن ان تلبَّس بالنِكل مباشرةً اي بدون ان يُتكلف كشطها وتنعيمها . ولا يخفى ما في هذا الاكتشاف من الفائدة لاهل الصناعة لانهُ يمكن بهذه الطريقة ان يصاغ كثيرٌ من الادوات بالضغط فتخرج مصقولةً من نفسها بخلاف ما لو كانت مفرَغةً بالسبك فانها تخرج خشنة ولا تستغني عن معاناة التنعيم والصقل وفيها ما يصعب صقلهُ كباطن الثقوب التي تدور فيها المحاور والادوات التي في سطوحها نتوءات واغوار من نقشٍ او غيرهِ

اول ظهور النَوَر في اوربا — ننقل هذا الفصل عن النشرة الاسبوعية الغرآء باختصارٍ وتصرفٍ يسير قالت

اتفق منذ ٤٥٠ سنة ان طرق ابواب مدينة لنبرغ على الالپ زمرة غريبة من الرعاع لم يعهد احد من الجرمانيين مثلها ولم تنظر عينهُ مثل وجوهها . وكانت تلك الزمرة نحو ثلاث مئة نفس من الرجال والنسآء ومعهم كثيرون من الاولاد وكانوا جميعاً سُمْر اللون سود الشعور والعيون واثوابهم غريبة الشكل والاقذار تغطّي ابدانهم واثوابهم كأن المآء لم يمسهم منذ خُلِقوا ومعهم خيل وحمير وعجلات . وكان كل ما سألوهُ من حاكم المدينة ان يسمح لهم بالنزول في بعض ارباض المدينة . فلما شاع امرهم خرج بعض اهل لنبرغ لمشاهدتهم فوجدوا انهم يعرفون اللغة الجرمانية ويتكلمون بلغة لا يعرفها احد من الجرمانيين . ولما سألوهم عن امرهم اجابوهم بقصةّ اخترعوها وكانت تلك القصة مما يناسب احوالهم ويحرّك الشفقة عليهم فزعموا انهم جماعة من مسيحيي مصر اضطهدتهم الامم كثيراً فهربوا واتوا رومية وسألوا البابا ان يباركهم ويقبلهم في الكنيسة فاجابهم الى ذلك ووعدهم بأن يردّهم الى اوطانهم وان يسعى في رفع الاضطهاد عنهم وردّ املاكهم اليهم بعد ان يجولوا في اوربا سبع سنين تُعرَف بها توبتهم وايمانهم . فرقّ لهم الحاكم وسأل اهل المدينة ان يرفقوا بهم ويحسنوا اليهم فأذنوا لهم ان ينزلوا في ضاحية المدينة فضربوا خيامهم السودآء ووضعوا قدورهم النحاسية على النار واضطجعوا عراةً الا ما يستر العورة على الاعشاب وتفرّقت افراسهم وحميرهم حولهم فعجب اهل المدينة لذلك المشهد الغريب . ثم في

صباح الغد تفرّقوا في المدينة وخرجوا منها بعد الغروب الى خيامهم ففقد كثيرون من الناس اشياآء لهم من دنيء المتاع ۰ و بعد ايام قلّ الدجاج وغلا البيض ثم شاع ان كثيرين سُرقت اكياس دراهمهم وسُرق كثير من الآنية الفضيّة والذهبية ۰ ولما تفاقم شرهم وانكشف امرهم اخذ الناس ينظرون في طريقة للتخلص من اذاهم حتى اذا اصبحوا في احد الايام اذا ضيوفهم قد رحلوا ولم يروا سوى رماد ما كانوا يسرقونهُ من الحطب ۰ انتهى

العجوز اليابانية

من نظم حضرة الاستاذ البارع الشيخ فؤاد الخطيب احد المدرسين في المدرسة الداخلية الاميركانية بمدينة صيداء

لا تقولوا بلغ السيل الرُبى　　نحن مزّقنا العدى ايدي سبا
حركتنا غيرةٌ شرقيةٌ　　كاد منها الغرب ان يلتهبا
هزّت الدنيا فمادت كلها　　واضطراباً رقصت لا طَرَبا
ادبتنا الحرب فيما قد مضى　　بخطوبٍ حار فيها الخُطَبا
فعرفنا حلوها من مرّها　　وأَمِنّا شرَّها والنُوَبا
كل فردٍ خاض لجّات الوغى　　وهو لا يخشى لديها العطبا
يحسب البارود صوتاً مطرباً　　ويرى سوق المنايا ملعبا
نحن سيفٌ قاطعٌ لكنهُ　　مغمدٌ يحسبهُ الاعمى نبا
ان نكن صفراً فماذا ضرّنا　　هل يعيب الإصفرار الذهبا

٭٭٭

هل سمعتم بعجوزٍ اظهرت همةً شمّاً وحبًّا عجبا
ما لها الاّ وحيدٌ هو في زهرة العمر وريعان الصبا
قدَّمتهُ للوغى اذ انهُ لم يزل ليثاً هَصوراً اغلبا
ما تصبتّهُ الغواني في الهوى انما للطعن والضرب صبا
ادهشتنا فحسبنا انها مزحت او عقلها قد سُلبا
فأجبناها وقد لجّت بما تبتغي وهي تعيد الطلبا
ان ابناء الايامى دأبهم خدمة الأمّ فعودي للخبا
ما لنا في اخذهِ من مأربٍ قد رضيتِ انتِ والعدلُ ابى

* * *

عند هذا نظرت في حنقٍ ثم ولَّت ظهرها المحدودبا
ونأت عنا سريعاً وهي من خيبة المسعى تَلظّى غضبا
وانبرت تلثم وجنات الفتى وانهمال الدمع يحكي السُحُبا
ثم قالت يا بُنَيَّ اذهب وكن رجلاً يلقى المنايا طرِبا
ايهِ انا قد بذلنا النفس عن طيبةٍ حين القتال انتشبا
افترضى صفقةً خاسرةً تجعل الذلَّ لنا منقلبا
شرف الاوطان لا نتركهُ فعلينا صونهُ قد وجبا
مرحباً بالنعش والقبر اذا نلتُ يوماً من عدوي المأربا
فهما احلى من العيش وما عيش قومٍ عزُّهم قد ذهبا
علمَ الغرب الذي استصغرنا ان ذاك العزم فينا ما خبا
قد قضى الميكادُ ان ارجعَ عن مطلبي بل عزَّ هذا مطلبا

ان يكن يبغي ليَ العيشَ فلا ذُقتُ يوماً مطعماً او مشربا
فعلى الدنيا سلامٌ انها ما حوت الاّ الشقا والكُرَبا

* * *

ثم لما فرغت من قولها اعملت في صدرها عَضْب الشبا
وقضَت في الحال كي يبقى الفتى لا يلاقي لقعودٍ سببا
هكذا من كَرِهَ الذلَّ غدا عندهُ وِرد الردى مستعذَبا

فوائد

تعطير القهوة — يمكن تعطير القهوة بدون ان يتغير شيء من خواصّها وذلك بان يضاف الى الحبّ عند التحميص شيء من كبش القرنفل يحمَّص معهُ فانهُ يطيّب رائحة القهوة ويحسّن طعمها

ازالة رائحة البترول — افضل ما وُصف لذلك ان يُمزَج ٤ او ٥ ألتار من البترول بمقدار ١٠٠ غرام من كلورور الكلس ويُهزّ الوعاء هزًّا عنيفاً ثم يُصبّ المزيج في اناءٍ فيهِ كلس غير مُطفأ ويُهزّ ايضاً حتى يمتص الكلس الكلور ويُترك الى ان يرسب ثم يصفَّى فلا يكون لهُ رائحة البتة ويبقى نور البترول على قوتهِ

تليين الجلد — وصف بعضهم لتليين الجلد ولا سيما جلد الاحذية ان يُفرَك بالبترول فركاً شديداً فانهُ يلين حتى يصير اشبه بجلد القفافيز ويمتنع ما يحدث فيهِ عادةً من التقشُّر او التشقُّق

اسئلة واجوبتها

لوسينا (جزائر الفيليبين) — وقفت في احدى المجلات الاسبانيولية على حكاية قرد من النوع المسمى بالاوران كان عند امرأةٍ تحترف بعرض السباع والحيوانات البرية فاتخذت لهُ ثوباً رسمياً مع القميص المكوي والفراك وعلمتهُ ان يلبسهُ ويخلعهُ بنفسهِ وان يجلس الى المائدة ويأكل بالملعقة والسكين والشوكة الى ما شاكل ذلك وقد علمتهُ ايضاً ان يقول «ماما» و«نعم» و«لا» فما قولكم في هذا الحيوان جرجي سالم

الجواب — اما كون القرد يحكي احياناً افعال الانسان من نحو لبس الثوب وخلعهِ واستعمال آلات الطعام وامثال ذلك فهو شيءٌ مألوف بل في الحيوان ما يفعل اعجب منهُ والحكايات في ذلك عن القرود والكلاب كثيرة شائعة . واما انهُ تعلم النطق ببعض الالفاظ فمن المستبعدات لان ذلك خارجٌ عن طوقهِ لفقد آلات النطق منهُ بخلاف الببغاء والزاغ مثلاً فانهما يحاكيان نطق الانسان تمام المحاكاة وان لم يكن فيهما ذكاء القرد

على ان ما ذكرتموهُ ليس بالامر العجب في جنب ما لهجت بهِ بعض جرائد اوربا في هذا العهد من امر الحصان الذي ذكروا انهُ يميز صُوَر الحروف الهجائيـة ويفهم معنى ما يكتب لهُ وما يخاطَب بهِ ويجيب عن مسائل حسابية الى آخر ما رووا عنهُ واثبتوهُ بشهادة كثيرين ممن يصعب تكذيبهم . وقد كثر حديث الناس في هذا الحيوان واختلفت الاقاويل في حقيقة امرهِ والى الآن لم يتوصلوا الى قولٍ يصح الاجماع عليهِ

بيدأنا شهدنا مرةً مثل ذلك منذ خمس وثلاثين سنة في طائرٍ صغير كان احد المشعوذين قد جآء بهِ الى مدينة بيروت ليعرضهُ في جملة ألعابهِ فاخذ علبةً مستطيلة من خشب قد صف فيها قطعاً مربعة من المقوّى (الكرتون) قد كُتِب في كل واحدةٍ منها حرفٌ من حروف الهجآء اورقمٌ من آحاد العدد وهي واقفة على حروفها والواحدة منها لصيقة الاخرى وجهاً الى وجه بحيث لا يرى الناظر منها الا اطرافها العليا . ثم جآء بالقفص الذي فيهِ العصفور وفتح بابهُ فخرج العصفور واخذ يتمشى على العلبة ذهاباً واياباً . فعرض على الحضور ان يقترحوا كلماتٍ يجمع العصفور حروفها من الاوراق التي امامهُ فطلب احدهم ان يتهجأ لهُ كلمة « «Amora» » فنظر الى العصفور واخذ يذكر لهُ احرف هذه الكلمة واحداً واحداً وكلما سمى لهُ حرفاً يعمد الى العلبة بمنقارهِ فيعالج الورقة التي فيها الحرف المطلوب حتى ينتزعها من بين اخواتها ويلقيها على العلبة فيأخذها المشعوذ ويعرضها على الحضور وهكذا حتى اتمّ الكلمة . ثم سألهُ آخر ان يُخرج عدد السنة واليوم من الشهر فاخرج الاوراق التي فيها الارقام المطلوبة والمشعوذ يعرضها على الحضور حتى لبثوا في اشدّ حالات الدهش لما عاينوا من امر هذا الطائر

اما كيف يحصل ذلك فهو من الاسرار التي لم يُهتدَ الى كشفها واقوى ما قيل فيهِ انهُ من قبيل ما يُفعَل في التنويم المغناطيسي من حكم المنوّم على حركات النائم وافعالهِ وتوجيهها في الوجهة التي يريدها وذلك مع وجود علاماتٍ يعرف بها المشعوذ كل واحدةٍ من تلك الاوراق فيوجه منقار الطائر اليها والله اعلم

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ٢ —

بعد ما فرغ الكولونيل جيرار من حديثهِ السابق لبث هنيهةً صامتاً وقد اثرت فيهِ ذكرى تلك الحوادث ثم استأنف حديثهُ فقال

اقسم لكم بشرف الجندية الفرنسوية ايها الرفاق انني لم استلّ سيفي في معمعة من حروب امبراطورنا الا كانت جنودنا الظافرة . ولا انكر اني كنت موجوداً في معركة واترلو ولكني لم اخض غمارها ولذلك فشلنا في تلك الموقعة التي اودت بعزّ فرنسا وسطوتها . وقد كنت في ذلك الحين موفداً من قبل الامبراطور لابلاغ الرسائل الى الجيوش المتفرقة فكأن يد التقادير الغير المنظورة حكمت ان لا اقتحم بفرقتي غبار تلك الحرب وان يكون ذلك سبباً لسقوط الدولة . اما انا فقد وُفّقت الى اكتساب غار النصر في انسحابي من بولونيا الى ڤينا فان ما فعلتهُ في ليل الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨١٥ يفوق كل اعمالي المجيدة فتعزيني ذكراهُ و يسرّني تردادهُ . وقد سمعتم ولا شك سيرة ذلك مراراً ولكن لا من فمي لان شروط الآداب اقتضت ان لا امدح نفسي اما الآن فلا بأس من اعادة ذلك على مسامعكم واطلاعكم على حقائق الامر كما حصلت

لم يجمع نابوليون في جميع وقائعهِ جيشاً اشدّ اجساماً واجمل منظراً من جيشهِ سنة ١٨١٣ وذلك لانهُ كان قد نهك فرنسا واخذ منها كل الجنود المحاربة ثم كتب الى الامبراطورة ماري لويز يقول انهُ في حاجة الى جنود فجعلت تستعمل نفوذها

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وتمليقها حتى الّفت جيشاً عرمرماً من الفتيان لم يبلغ اكبرهم العشرين من سنيهِ ودُعي هذا الجيش ماري لويز باسمها . ولكنهم ما لبثوا ان فرّقهم نابوليون فترك قسماً منهم بين ثلوج روسيا وقسماً في سجون مراكب انكلترا والقسم الآخر في أنفاق اسبانيا . وعاد هؤلآء للانضمام تحت راية الامبراطور في سنة ١٨١٥ بعد ان خشنتهم المصائب وحنكتهم التجارب ووضعت الحروب في اجسامهم دمآء حارة وقلوباً صوانية . فكانوا يحيطون بالامبراطور وقد بلغ حبهُ من افئدتهم حتى كادوا يعبدونهُ ولم يكن بينهم من يضنّ بروحهِ لو سألهُ بذلها في خدمتهِ . وكان الناظر الى اولئك الابطال يرى في وجوههم شدة العزم والشجاعة ونيران الانتقام فلا يشك في انتصارهم اينما توجهوا . واعتقدت فرنسا عموماً ان مسير اولئك البواسل سيكون الضربة القاضية على الامة الانكليزية فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة

وكان نابوليون قد جمع كل قواتهِ واسرع بي وبمئة وثلاثين الفاً من ابطالهِ الى الحدود الشمالية للايقاع بالالمان والانكليز . فلما كان السادس عشر من شهر يونيو شغل المارشال ناي الانكليز في كاتربرا وكنا نحن قد اشتبكنا مع الالمان في ليني . ولا اصف لكم انتصاري الباهر في تلك الواقعة فان فرقتي الهوسار حملت من غار الفوز ما اثقل كواهلها وتركنا ثمانية آلاف الماني موسدين الثرى . وبعد ذلك وجّه نابوليون المارشال جروشي لمطاردة الباقين منهم وليقطع عليهم خط الاتصال مع الجنود الانكليزية وارتدّ هو بنفسهِ على الانكليز ومعهُ ثمانون الفاً من الشجعان تتقد في صدورهم نيران الحماسة تحت قيادة امبراطورنا المحبوب

وكان مع ولنتون سبعة وستون الف جندي اكثرهم من الدنمرك والبلجيك لا يضمرون لنا سوءا ولم يكن بين ذلك الجيش اكثر من خمسين الفاً يطلق عليهم لقب ابطال . فلما وجد ولنتون نفسهُ امام نابوليون وجهاً لوجه خارت عزائمهُ ولم يعد يقوى على الحركة ولبثت الجنود الانكليزية في ساحة واترلو كالارنب التي تهجم عليها الافعى فيملكها الدهش والفرق . وكان نابوليون قد فقد احد اركان حربهِ في ليني وامرني ان آخذ مكانهُ فسلمت قيادة فرقتي الى الماجور فكتور وانضممت الى

حاشية الامبراطور وفي صباح الثامن عشر من الشهر المذكور كنت بجانبهِ حين خرج ليستطلع المكان ويرسم خطوط الواقعة . واشرقت الشمس بعد ليلةٍ كان مطرها غزيراً فوقعت اشعتها على كتائبنا فاذا هي كنهرٍ من الفولاذ وقد انعكست اشعتها عن حراب المشاة وسيوف الفرسان وخوَذ المدرَّعين فكانت الجنود الفرنسوية كأنها ارواح نارية . ولم املك نفسي عند مشاهدتي هذا المنظر البهيج فرفعت قبعتي وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور فردد دعآئي هذا كل فرد من الجيش وارتفعت على اثر ذلك جلبة عالية دامت حتى خالها الانكليز الرعد المتواصل وكأنهم سُحروا في اماكنهم فذابت قلوبهم وايقنوا بحلول اجلهم . ولو اصدر نابوليون امرهُ بالهجوم في تلك الدقيقة لكنا محونا الانكليز عن وجه الارض وتغيرت صفحات التاريخ لانهُ فضلاً عن الشجاعة والحماسة التي كانت فينا اكثر منهم كان عددنا اكثر وجنودنا اوفر تجربةً وقوادنا امهر . غير ان امبراطورنا احب ان نكون على نظامٍ فانتظر ريثما تجف الارض ليتمكن من تسيير مدافعهِ الثقيلة فخسرنا في ذلك الانتظار ثلاث ساعات كان خسرانها سبب هلاكنا وسقوط مجد فرنسا

وبعد الساعة الحادية عشرة سمعنا دويّ مدافع جيروم بونابرت الى يسارنا فعلمنا ان القتال قد ابتدأ واذ ذاك زحفت فرقة ارلون الى اليمين لنشغل الانكليز في الجناحين . وكان نابوليون قابضاً على منظارهِ فاشار الى شيء امامهُ وقال هل تعرفون ما هذا فوجهنا ابصارنا الى الجهة التي اشار اليها وكان امامنا غابان كثيفان بينهما منحدر اجرد فرأينا على المنحدر شيئاً اسود لم يمكّنا البعد من معرفتهِ . اما نابوليون فقال لا ريب ان هذا جيش جروشي وقد سددنا على الانكليز جميع الطرق فهم في قبضة يدي الآن وسأسحقهم سحقاً . ثم اجال نظرهُ فينا ولما بصر بي قال هوذا ملك الرسُل فهل جوادك مستريح يا كولونيل جيرار . قلت ان تحتي فرسي ڤيوليت يا مولاي وكفى بذكر اسمها تعريفاً . قال فأسرع اذاً لملاقاة المارشال جروشي وقل لهُ ليهاجم مؤخر الجيش الانكليزي الايسر بينما نحن نغير على مقدمتهم فلا ينجو واحد منهم . وما تلقيت الامر حتى اعملت المهماز في خاصرتي فرسي فاندفعت بي اندفاع السيل

وكان نبضان قلبي اسرع من وقع حوافرها لسبب السرور الذي نالني بتفويض الامبراطور اليّ امراً مهمًّا كهذا . وخطر لي من شدة الفرح ان اخترق لي طريقًا في وسط ميسرة الانكليز لأبلغ رسالتي بلا تأخير غير انني خشيت ان يختلّ ترتيب الامبراطور اذا اصابني عائق فسرت من طريقٍ اخرى ولو كانت اطول ومررت مرور السهم امام كتائبنا الذين كانوا باسرهم يودعوني بانظارهم ويعجبون بشجاعتي . وما بعدت كثيراً حتى ابتدأت المعمعة واطبقت الجيوش بعضها على بعض وكانت المدافع تصب كراتها من الجهات الاربع . والتفتُّ فرأيت فرقتين من الفرسان قد اشتكبتا تحت خيمة من نصال السيوف فطارت نفسي شعاعاً ووددت ان اعود واهجم بفرقتي معها لانني لا احب ان تقع ملحمة كتلك ولا اكون في وسطها ولذلك اسرعت المسير على امل ان ابلغ رسالتي الى جروشي واعود الى النزال . وما زلت اجد المسير حتى بلغت الغاب الاول وصرت اتوقع الالتقآء بالجيش فلم اسمع ما يدل على اقترابهِ . وبقيت متبعاً الطريق بين الاشجار الملتفة فلم اصادف سوى الحانات الصغيرة التي فتحها اربابها لمتشردي الجنود والفعلة . ولما قاربت اجتياز بقية الغاب وقفت فرسي امام احد تلك الحوانيت واصغيت فقرع اذني صوت الطبل ثم نظرت من خلال الشجر فرأيت في السهل جيشاً عرمرماً يسير بانتظام فاستبشرت ببلوغ المرام وايقنت ان جروشي سيكون في مقدمة الجيش فاقابلهُ حالاً واعود الى جانب امبراطوري . ولكن استوقفني ما رأيتهُ في لباس الجنود من الاختلاف وبينما كنت استوضحهم بنظري شعرت بيدٍ لمستني فنظرت واذا بصاحب الحانوت يقول لي بصوتٍ خافت ماذا تفعل هنا ايها الفاقد العقل . قلت ابحث عن المارشال جروشي . فقال عجّل بالهرب لانك الآن في وسط جيش الماني . قلت ذلك من المحال لان الامبراطور ارسلني لمواجهة جروشي فلا بدّ من الوصول اليهِ . قال قلت لك ان هذا جيش الماني وجروشي ورآءهُ فاذا كان لا بد لك من لقآء جروشي فتعال اخفيك الى ان يمرّ الجيش ثم تعود الى اتمام مسيرك . وقبل ان اصمم على شيء قادني الرجل الى امام الحانة وانزلني عن فرسي فاخذها الى اصطبلٍ ورآء البنآء وجرّني الى داخل

المكان . فرأيت فيهِ امرأة قصيرة القامة حمرآء اللون تطبخ الطعام فلما رأتنا جعلت تجيل نظرها فينا ثم قالت لزوجها ما هذا ومن احضرت معك . قال ضابط فرنسوي اود ان لا يقع في ايدي الالمان . قالت وماذا يهمك من امرهِ . قال الم اكن من قبل متجنداً في جيش نابوليون فكيف اتخلى عن مساعدة رصيفي في الجندية . قالت كنت في جيش نابوليون حين كانت بلجكا تحت سلطانهِ اما الآن فلا ارى في فعلك هذا شيئًا من الصواب لانهُ اذا شعر الالمان بامرك احرقوا البيت علينا لا محالة فاخرجهُ للحال . فوقف زوجها وقد اخذتهُ الحيرة وعلمت ان المرأة لم تفعل ذلك الا خوفًا على نفسها وعلى بيتها فنظرت اليها بحدة وقلت اعلمي ايتها السيدة ان نابوليون يهزم الآن الانكليز وسيكون هنا قبل غروب الشمس فاذا احسنتم معاملتي صادفتم خيراً جزيلاً والا فستقطَّع جثثكم وتحرق ضمن هـذا البنآء . ثم تحولت الى اللين فقلت واني لأعجب من سيدة لطيفة نظيرك لا تدفعها رقة قلبها الى حماية ضابط باسل لجأ اليها . وكانت تتفرس في وجهي وعارضيَّ فظهرت عليها ملامح اللطف والرقة وباقل من خمس دقائق تصافينا وتحابينا حتى ان زوجها تهددني بافشآء امري اذا لم اكف عن مداعبة زوجتهِ . ثم قال لي اسرع اسرع الى المختبأ فقد اقترب الالمـان ودفعني الاثنان الى سلم اوصلني الى سقف الغرفة وكان هناك بابٌ خفيٌّ دفعتهُ فانفتح ودخلت فأغلقهُ ورآئي . ولم اكد افعل حتى سمعت قرعاً على باب الحـانة تبعهُ كلام بعض الجنود الالمانية في الداخل . وكان المحل الذي دخلتهُ بين سقف البنآء والآجرّ اتخذوهُ لخزن بعض موجوداتهم فرأيت فيهِ عدداً من القناني الفارغة وكومة من الحشيش اليابس لعلف البهائم . فجلست على كومة الحشيش افكر في ما يجب عملهُ فرأيت الافضل ان انتظر الى ان اتمكن من الخروج لملاقاة جروشي وتبليغهِ رسالتي . وخالفت عوائدي هذه المرة باجتناب الاخطار لانني علمت ان مستقبل فرنسا متوقف على دراية ملاك الرسل كما لقبني الامبراطور .

ونظرت من خلال الالواح الخشبية الى اسفل فوجدت ان الالمان الذين دخلوا بعدي جرّاح احضر بعض المجاريح وكان يهتم بتضميد جراحاتهم . ثم

سمعتهُ يسأل صاحبة المكان عن فراش ولو من الحشيش فانكرت وجودهُ . فقال لا بد ان يكون عندكم شيء من الحشيش اليابس فوق وهمَّ بارتقاء السلم فجعلت تمانعهُ وتغلب عليها اخيراً فصعد وفتح الباب فاسرعتُ ووقفت ورآءهُ حتى اطبقهُ بعدهُ ثم تقدمت اليهِ والسيف مصلتٌ بيدي . فلما رآني ارتعشت اعصابهُ وقال من انت قلت لا يهمك امري فانا قاتلك اذا تكلمت او صديقك اذا صمتَّ . قال انا طبيب لا شأن لي في القتل فاذا تركتني آخذ شيئاً من هذا الحشيش اعدك اني انسى وجودك حالما اخرج من هنا . ورأيت في هيئتهِ ما دلني على صدق قولهِ فسمحت لهُ وتأبط شيئاً من الحشيش ونزل فبقيت اراقبهُ الى ان وصل الى رفاقهِ وعاد الى مداواتهم بدون ان يذكر شيئاً . وبعد حينٍ ظننت ان الجيش الالماني قد مرَّ كلهُ فنظرت من مخبإِي الى الخارج فرأيت جيشاً آخر يقترب تابعاً الاول وظننتهُ لاول وهلة جيش جروشي ولكن سآء فألي فانهُ لم يكن الا جيشاً المانيًّا ثانياً يتبعهُ جيشٌ ثالث عن بعد . فاسودَّت الدنيا في وجهي وعلمت انهُ لا يمكنني مغادرة المكان في ذلك اليوم فماذا يحل بتدبير الامبراطور اذا لم تصل الرسالة في وقتها . ولم ادرِ ان التقادير قد عرقلت مسعاي وسجنتني هناك لغاية اسمى ونهايةٍ اهمّ لانهُ ما اقترب الجيش الثاني حتى انفرد منهُ رجلان احدهما قد وخطهُ الشيب والآخر فتى فدخلا الحانة وجلسا الى مائدة بسطا عليها خريطة وجعلا يقيسان ابعادها ويتكلمان كلاماً لم اسمعهُ . وبعد هنيهةٍ دُفع الباب ودخل رسول انكليزي قد سال دمهُ وانتهكت قواهُ وخار عزمهُ ولكنهُ تمالك وقال اين الجنرال بلوخر . فقال اكبر الاثنين هآءنذا. فقال الرسول قد اوفدني الدوق ولنتون لابلغك ان الجيش الانكليزي يستطيع الثبات طويلاً ويسألك الاسراع في الزحف للتضييق على الفرنسويين من الجانبين . ولم يكد يتم رسالتهُ حتى سقط الى الارض فاقد القوى . فنظر بلوخر الى رفيقهِ الفتى وقال سنفعل كذلك فأوفد يا جنيسنو رسولاً الى ولنتون يعلمهُ بقيامنا وها انا ذاهب لاعجل مسير الجيش . ولما خرج نادى جنيسنو فارساً وقال لهُ اختر لك عشرة رفقآء من الاشدآء نظيرك واسرعوا الى ما بين كنابٌ وشارلروا فانني موقن بانكسار الفرنسيس

ولا بد من رجوع نابوليون بدون حرس من تلك الطريق فتقبضون عليهِ لاننا اذا كسرناهم وبقي هو مطلقاً لا يلبث ان يجمع جيشاً آخر. ويعود الى مضايقتنا. فاذا اسرناهُ انهينا شرورهُ وارحنا العالم باسرهِ . وانا افوض هذا الامر اليك لما فيهِ من الشرف الذي اذا حصلت عليهِ ردَّد التاريخ اسمك الى الابد

وكان الفارس يسمع الامر بسكون فتفرست فيهِ وعرفت انهُ من الاشخاص الذين يخشى بأسهم . ثم رأيتهُ خرج فانتخب عشرة فوارس اسرَّ اليهم كلاماً وانطلقوا جميعاً انطلاق الرياح . واذ ذاك لم اعد املك صبري فنسيت جروشي ومهمتي وكل شيء الا سلامة الامبراطور فعزمت ان اتخلص من ذلك المكان بأي وجهٍ امكن وابذل جهدي للاجتماع بنابوليون فأسهر عليهِ وانقذهُ من كل خطر مفاجئ وقوَّى عزمي على هذا الامر ما سمعتهُ من كلام الجنود عن تقهقر الجيوش الفرنسوية وهلاك كتيبتين من الفرسان فأيقنت انهُ لو كان امبراطورنا نفسهُ مكاني لرأى ان رجوعي الى المعسكر احزم وافضل من متابعتي السير لملاقاة جروشي ولا سيما لانهُ لم يعد في امكاني الوصول اليهِ قبل اليوم الثاني فتكون المعركة قد انتهت

وبعد ذلك عدت الى نافذة السطح اراقب منها الجيش الالماني فرأيت ان قسمهُ الثاني قد مرَّ وسمعت اطلاق مدافعهِ مما دلني على انهُ قد بدأ بالهجوم بدون تأخير ورأيت القسم الثالث لا يزال بعيداً . فقررت ما يجب عملهُ في الحال وفتحت باب محبسي ونزلت السلم غير مبالٍ بأحد . وكان في الغرفة بعض الجرحى ممن ذكرتهم قبلاً لا يقوون على الحركة والجرَّاح والرسول الانكليزي. فلما صرت بينهم حاول الرسول المذكور ان ينهض لمقاومتي وهو يصرُّ بأسنانهِ فجرَّدت سيفي في وجههِ وتهددتهُ بالموت العاجل فسكن . ثم اقتربت الى عباءتهِ وكانت ملقاةً الى جانب وقلت اني لن اضركم بشيء انما احتاج الى هذه العباءة فهل تسمح لي بها . فقال بحنق خذها ولكن اعطني الصندوق الذي في جيبها . قلت معاذ الله ان اسلبك من محتوياتها شيئاً وكنت قد اخرجت من جيوبها منظاراً وصندوقاً صغيراً فدفعتهما اليهِ وقبل ان انقل خطوةً واحدة فتح الصندوق واخرج منهُ غدارةً صوَّبها الى صدري

فاختطفتها من يدهِ بأسرع من النسيم ثم رفستهُ برجلي فسقط الى الارض وللحال قفزت الى الخارج وما بلغت الاصطبل حتى امتطيت فرسي وجعلت انهب الارض نهباً . وتحقق لي وجود الامبراطور في ارتباك لانني سمعت دوي المدافع الالمانيـة يبتعد عني وكان ينبغي ان يقرب الى جهتي لو انكسروا وخشيت على الامبراطور ان يجبر على الفرار ويقع في ايدي الكمين قبل ان اصل اليهِ فاضطررت ان اخاطر بحياتي وامرّ بين الجيوش الالمانية لانني لو ذهبت من طريق اخرى لفاتني الوقت . وكانت العباءة التي اخذتها من الرسول الانكليزي تستر كل جسمي فصار من السهل مروري بينهم ولكن لو كلموني لعرفوا للحال من لهجتي حقيقة امري فانني مع كوني في اثناء حروبنا قد تعلمت اللغة الانكليزية من الفتيات حسب عادتي لم اكن احسن لفظها جيداً . وبلغت ساقة الجيش الالمـاني فلم يخطر لهم قطّ ان الكولونيل جيرار يفعل مثل هذا الجنون وعدُّوني من رسل اركان الحرب فأوسعوا لي طريقاً بين صفوفهم اخترقتهُ كمرور السهم ودخلت في قلب الجيش فرأيت عيون الجميع متجهة اليَّ وحاول بعضهم ان يستوقفني ليسألني عن مهمتي فخطر لي للحال ان صحت بالالمانية اين الجنرال بلوخر . وكأنَّ هذه الكلمة كانت طلسماً فتح لي الطريق وصرت كلما رأيت جنوداً في طريقي اقول الجنرال بلوخر فينفرجون من امامي . وبعد ان قطعت مسافة ميلين تقريباً تقدم جندي فأخذ بعنان فرسي وقال ها هو الجنرال بلوخر الى يمينك . فنظرت واذا ببلوخر حقيقةً بالقرب مني فطـار رشدي وايقنت بالهلاك ولكن قوة عقلي وذاكرتي لم تفارقني فتذكرت للحال ما سمعتهُ في الحانة من ان الجنرال بيلو في مقدمة الجيش فقلت للجندي انما رسالتيَ الى الجنرال بيلو . فرفع يدهُ وقال اذاً اسرع الى المقدمة يا صاح وليكن الله معك . وما صدقت ان سمعت منهُ ذلك حتى اسرعت وجعلت اصيح بأعلى صوتي الجنرال بيلو الجنرال بيلو كلما رأيت امامي جنودا وبقيت على هذه الحالة حتى بلغت مقدمة الجيش وانا لا اصدق انني فعلت ذلك . فلما رأت صفوفهم الامامية في تقدمي ما يدعو الى الارتياب اسرع اثنان منهم لتعقبي فتخلصت منهما بأن طعنت الاول بسيفي فألقيتهُ صريعاً واطلقت

غدارتي على الآخر فألحقتهُ بصاحبهِ ثم طرحت عني العبآءة ليظهر من تحتها الكولونيل جيرار وليعلم الالمان ايّ طريدةٍ قد تخلصت من بين ايدي ستين الفاً منهم

ولم يعد عليّ سوى اجتياز ذلك السهل فطابت نفسي ولكن وا اسفاه فان المنظر الذي رأيتهُ حينئذٍ نزع كل ما بقي فيَّ من الامل فاني رأيت كتيبة الحرس الامبراطوري تتقهقر وقد بانت عليها علائم الانكسار والهلاك . وكنت اعلم ان الامبراطور لا يستعمل الحرس الا عند آخر الشدة والاضطرار فايقنت انهُ لم يعد من املٍ لفرنسا في تلك الواقعة . ثم رأيت الجنود الانكليزية قد رفعت قبعاتها وصاحت صياح الانتصار وهي هاجمة من جميع الجهات تطارد كتائبنا فأجبرت على السير معهم وهم مندفعون كالسيل الجارف ورأيت بين الفرسان من بقي من فرساني الهوسار فكسرت فؤادي حالتهم وكانوا قد فقدوا في الواقعة قائدهم وسبعة ضباط وخمس مئة قتيل . فلما رأوني تألبوا حولي ولم ينطقوا بكلمة فاعدت نظامهم واخبرتهم ان لا بد لي من مفارقتهم الى حين وامرتهم ان ينجوا بنفوسهم وينتظروني في سانت اوناي حيث اوافيهم بعد قضآء مهمتي . ولما سنحت لي اول فرصة فصلت عن الجيش وسرت في عرض البيدآء لاقتفآء الامبراطور بعد ان استدللت على الجهة التي ذهب فيها . فمررت بين القتلى والجرحى وكانوا منتشرين في السهل على مسافة ميل طولاً ونصف ميل عرضاً وهو منظرٌ لن انساهُ طول حياتي . ورأيت في جملة ما رأيتهُ ضابطاً كسرت رجلهُ كان يستغيث بالجنود كي لا يدوسوهُ ولكن لم ينتبهوا لصراخهِ وآخر قطعت يدهُ وكان الدم يتدفق من صدرهِ بغزارة وفارساً تهشم جسدهُ فاطلق غدارةً على جوادهِ فاماتهُ وافرغ الاخرى في رأسهِ فسقط فوقهُ . ثم رأيت رجلاً مكشوف الرأس وقد تغطى وجههُ بسواد البارود وتمزقت ثيابهُ وهو يطفر ويصيح تعالوا انظروا كيف تموت مارشالية فرنسا وعرفتهُ للحال انهُ المارشال ناي . ولقد صدق القائل ان الفرنسويين في الهجوم فوق البشر وفي الانهزام اضعف من النسآء . ثم مررت على كوكبة من فرسان الحرس الخاص وقد احاطت بها المدافع الانكليزية وجعلت تفتك بها فتكاً ذريعاً فسألتهم لماذا لا يبادلونهم اطلاق النار

فقال قائدهم لان بارودنا قد نفد . قلت ولماذا لا تفوزون بالنجاة . قال اننا نقف هنا لنعوق هؤلآء الملاعين عن اتباع الامبراطور . فتأثرت من هذه التضحية وسرت وانا امسح دموعي . وما زلت مجدًّا حتى اجتزت كناب ّ فرأيت الامبراطور ممتطياً جوادهُ وعلى وجههِ امارات اليأس الشديد ومثلهُ من كان معهُ من الفرسان وهم سولت وبرتران ولوبو ودروو وخمسة فوارس من الحرس وكانوا جميعهم في منتهى البؤس والضنك . ولما قارَبتهم قال الامبراطور مَن القادم . قال سولت هو الكولونيل جيرار يا مولاي . قال هل قابلت جروشي . قلت لا يا مولاي . فقال لم يعد يهمني شيء . ثم عطف رأس جوادهِ وهمّ بالرجوع الى ساحة القتال وحدهُ لو لم يحط بهِ الرجال ويرجعوهُ قسراً فاستسلم لارادتهم وسرنا لا ينبس احدنا ببنت شفة طول الليل حتى لاح لنا الفجر على بعد ثلاثين ميلاً من واترلو واشرفنا على شارلروا وكانت عربة الامبراطور تنتظرنا في جانب الطريق فترجلنا جميعاً . وكنت انتظر ان ينضم الينا بعض الجنود المتفرقة فلا نعود نخشى الكمين الراصد لنا في طريقنا فلم يأتنا احد . وبينا بلغنا المكان ما عتمت ان رأيت عن بعدٍ فرساناً يجرون الى جهتنا فتحققت انهم الكمين ورأيت انهُ ليس فينا من يستطيع المقاومة سواي وآخر من الحرس اما الباقون فلم يكن فيهم ولا في خيولهم شيء من القوة فصحت بجزع اواه قد جآء الالمان . وكان الامبراطور اذا استآء من احدٍ اهانهُ بكلام قاسٍ جدًّا فكأنهُ اغتاظ من انبآئي فنظر اليَّ شزراً وقال اخرس ايها المهذار ثم قال انك جننت قبل ان تقول ان الالمان تأتي الينا من جهة فرنسا . فأثرت كلماتهُ فيَّ ولا طعن الحراب ولكنني صمتُّ وقد سامحت نابوليون من كل قلبي لا بل انتقمت منهُ على ذلك بعد فترةٍ قصيرة جدًّا . لانهُ ما كاد يتم كلامهُ حتى قال سولت حقًّا انهم المان يا مولاي وقد هلكنا لانهُ ليس بيننا من يستطيع الدفاع ولا تقدر خيولنا ان تحملنا بعد . ورأيت لاول مرةٍ في حياتي وجه نابوليون قد جمد كالصخر فوضع رجلهُ الواحدة على سلم العربة ووقف كأنهُ نسي العالم اجمع . اما انا فأدركت خطر الموقف وبأقل من لمح البصر وثبت الى جانبهِ وقلت لهُ هات دثارك وقبعتك يا مولاي وقبل ان ينزعها

هو أو يعلم كيف يفعل كنت قد انتشلت قبعتهُ فوضعتها على رأسي وارتديت دثارهُ ثم امتطيت جوادهُ المشهور بعد ان دفعت نابوليون الى داخل العربة . وكأن الجواد عرف قصدي قبلهم فانطلق بي كوميض البرق . وكان غرضي ان احول انظار الالمان عن الامبراطور واجعلهم يتبعوني ظانين انني هو فمثّلتهُ باللباس والركوب ونجحت حيلتي لانني ما ابعدت عنهم حتى رأيت الالمان قد حولوا وجهتهم تاركين جماعتنا وساعين في ادراكي . ولا تسلوا عن سروري بذلك حتى لو ادركوني وقطعوني بسيوفهم لكنت متُّ مسروراً لانني اكون قد انقذت الامبراطور وانتقمت منهُ عما قال لي . وبلغت رابيةً فاختلست النظر واذا بالالمان يطاردونني على بعد نحو مئتي متر فقط وكان عددهم تسعة فوارس ثم نظرت الى جهة الامبراطور فوجدت ان عربتهُ قد ابتعدت الى الجهة الاخرى يحف بها المارشالية الذين ذكرتهم وتخيل لي اني اسمع كلامهم واعجابهم بشجاعتي وعملي الذي انقذهم من الاسر والهلاك فتبسمت وتجددت فيَّ القوة فأحببت ان أري مطارديَّ ايضاً شيئاً يجعلهم لاينسون الكولونيل جيرار ابداً . وكنت قد اتقنت في ركوبي هذا تقليد نابوليون جيداً حتى انني دليت رأسي بين كتفيَّ كما كانت عادتهُ اذا ركب . وساعدني جوادهُ في الوثوب فوق الصخور والجدران غير ان خيول مطارديَّ كانت ايضاً قوية فبقيت على نفس البعد مني الى ان بلغنا ساقية مآء دفعتُ اليها جوادي فخاضها بدون توقف. ولما بلغوها هم وقفت الخيول فجأة فسقط ثلاثة من الفرسان الى الارض ولم اعد اراهم بعد ذلك اما الستة الباقون فوصلوا الى وسط المياه حين كنت قد بلغت الشاطئ الثاني. فاهويت بيدي الى سرج الجواد لآخذ غدارةً فلم اجد ثم الى سيفي فوجدت انني قد تركتهُ معلقاً في سرج فرسي ڤيوليت ولكن وجدت عوضاً عنهُ سيف الامبراطور وهو احدب قصير فاضطررت الى الاكتفاء بهِ . ولما ابتعدت قليلاً رأيت ان مطارديَّ قد اصبحوا خمسةً فقط فان احدهم كان قد سقط عن جوادهِ في المياه فابتلعتهُ . وتبعني الخمسة بحماسة الا ان احدهم سبق رفاقهُ مسافةً فتباطأت في المسير قصداً حتى كاد يحاذيني فانثنيت اليهِ بسرعة البرق وضربتهُ بسيف الامبراطور

فأطرت رأسهُ و بقيت جثتهُ واقفة على ظهر الجواد الشارد بضع دقائق . فصاح الاربعة الباقون صياح الغيظ والحقد واجتهدوا في لحاقي للانتقام مني وكان احدهم ينادي باعلى صوتهِ قائلاً سلِّم أيها الامبراطور فالتسليم اولى . اما انا فضحكت منهُ وهززت سيفي الصغير في وجههِ غير مبالٍ بشيء . ثم احتلت على آخر فأذقتهُ ما أذقت الذي قبلهُ غير انهُ في هذه المرة دخل نصل السيف في أضلاعهِ فلم أستطع نزعهُ بالسرعة اللازمة وكاد يدركني الباقون فتركت السيف وفزت بنفسي مكتفياً بانهُ لم يبقَ من مطاردي الا ثلاثة فقط ولكنهم كانوا قد اقتربوا مني كثيراً وهم محاذون بعضهم لبعض فوجدت من الحماقة ان اقابلهم معاً وانا بلا سلاح . ثم سمعت طلقاً نارياً ورآئي واذا بجوادي قد جثا الى الارض ولكنهُ نهض بسرعة فائقة وتابع جريهُ فشعرت ان الدم يسيل من فخذهِ اليسرى وكان قد أصيب . فعلمت اذ ذاك انني في خطر جسيم وصرت اود الوصول الى محل امين والتخلص من اولئك الملاعين . ثم مرت رصاصة اخرى فمسحت شعر رأسي فطار رشدي ولم اعد اهتمّ بشيء الا بالاسراع حتى بانت لي عن بعد قريةٌ صغيرة ورأيت قبة كنيستها فعرفتها للحال انها سانت اوناي حيث امرت فرقتي الهوسار ان توافيني . وبينما كنت افكر فيما اذا كانوا قد بلغوها اذا ببعض فرساني قد اقبلوا فما صدقت ان رأيتهم حتى صحت بهم مستغيثاً فوقفوا مبهوتين وقد ظنوني الامبراطور كما اخبروني بذلك فيما بعد . أما أنا فما بلغتهم حتى سقطت مع الجواد الى الحضيض من شدة الاعياء . ولما صرت بينهم ورأى مطاردي ذلك حرقوا بأسنانهم ونكصوا على أعقابهم فتبعهم بعض فرساني مسافةً ولكن ارجعهم التعب والضنك . وهكذا نجوت بعد ان اشتريت شرف نابوليون ولكن يا للاسف فانهُ لم تطل المدة بعد ذلك اكثر من ثلاثة اسابيع حتى أخذهُ الانكليز بعد ان سلم نفسهُ اليهم فأرسلوهُ الى جزيرة القديسة هيلانة . ولكن كفى فاني لا اذكر هذا الاسم الا وأشعر ان دم الشباب قد دب في عروقي فأودّ لو أجند جيشاً فلا أبقي من أولئك الملاعين الظلمة اكلة لحم البقر واحداً

تاريخ الادبيات العربية

(تابع لما في الجزء السابق)

ومن ذلك ما ذكرهُ في ترجمة البحتري (ص ٨٤) من ان ابا العلآء المعرّي كان يقول ان ابا تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحتري . وهذا القول انما هو للمتنبي نفسهِ لا للمعرّي كما ذكرهُ البديعي في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي قال « وعلمآء الادب مختلفون في شعرهِ فمنهم من يرجّحهُ على أبي تمّام والبحتري ومنهم من يرجّحها عليهِ ومنهم من يرجح ابا تمام ومنهم من يرجح البحتري . وقيل سُئل المتنبي عن مثل ذلك فقال انا وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري . يريد انهما قد ذهبا في شعرهما مذهب الحكمآء في ارسال الامثال وايراد الحِكَم والبحتري اخذ مأخذ الشعرآء في رقة الغزَل وانسجام العبارات» . انتهى

وذكر بعد ذلك (ص ٩٢) انهُ حدثت مناقشة بين المتنبي وخالويه اللغوي . وصوابهُ ابن خالويه . وعكس هذا قولهُ في صفحة ١٠١ ابن كشاجم وانما هو كُشاجِم وهو لقبٌ لهُ قيل رُكِّب من اوائل كلماتٍ كان يوصف بها فأُخذت الكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من جميل والميم من مغنٍّ . على انهُ كثيراً ما يغلط في تحرير الاسمآء كضبطهِ علقمة بن علاثة (ص ٢٥) بفتح العين من علاثة وتشديد اللام وانما هو عُلاَثة بضم اولهِ وتخفيف اللام بوزن ثُمامة . ومثلهُ ضبطهُ بني عمير قبل ذلك بفتح العين وكسر الميم وضبطهُ قريظة (ص ٢٧) بالوزن نفسهِ وصوابهما عُمَير وقُرَيظة بضمّ ففتح فيهما

ثم ذكر ان كافوراً الاسود وانوجور كانا وزيرين للاخشيد والصحيح ان كافوراً كان عبداً عند الاخشيد وقد كان من خبرهِ ما ذكرهُ صاحب الصبح المنبي قال «كان هذا الأسوَد لقوم من اهل مصر يُعرَفون ببني عيّاش يستخدمونهُ في حوائج السوق وكان مولاهُ يربط في رأسهِ حبلاً اذا اراد النوم فاذا اراد منهُ حاجةً يجذبهُ بالحبل لانهُ لم يكن ينتبه بالصياح . وكان غلمان ابن طغج (اي الاخشيد) يصفعونهُ في الاسواق كلما رأوهُ فيضحك فقالوا ان هذا الاسود خفيف الروح . وكلم ابو بكر بن طغج صاحبهُ في بيعهِ فوهبهُ لهُ فاقامهُ على وظيفة الخدمة» . انتهى المقصود منهُ . وقال الذهبي «اشتراهُ الاخشيد بثمانية عشر ديناراً ثم تقدم عندهُ لعقلهِ ورأيهِ الى ان صار من كبار القواد» . اهـ . واما انوجور فقد كان ابن الاخشيد لا وزيرهُ وهو الذي قُلّد الملك بعد ابيهِ بامر الخليفة المطيع لله العباسي . قال ابن الاثير «وفي هذه السنة (اي سنة اربع وثلاثين وثلاث مئة) مات الاخشيد ابو بكر محمد بن طغج صاحب ديار مصر ووُلّي الامر بعدهُ ابنهُ ابو القاسم انوجور فاستولى على الامر كافور الخادم الاسود وهو من خدَم الاخشيد وكان ابو القاسم صغيراً وكان كافور اتابكهُ » . انتهى ببعض اختصار

ثم تعرّض للكلام على شعر المتنبي فترجم بيتاً من قصيدتهِ في سيف الدولة التي مطلعها « الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ » وهو قولهُ

في جحفلٍ ستر العيونَ غبارُهُ فكانما يبصِرنَ بالآذانِ

فقال في ترجمتهِ ما معناهُ « ان ممدوحهُ كان يمشي في رأس جيشٍ ثار غبارهُ حتى اظلمت العيون فكان الجنود كانهم يبصرون بآذانهم » . فجعل

الضمير من قولهِ « يبصرنَ » للجيش كانهُ توهم انهُ يعود على الجحفل المذكور في صدر البيت وهو معذورٌ في ذلك لمكانهِ من العجمة وان كان حاصل المعنى واحداً . وانما الضمير للجياد التي ذكرها قبل ذلك في قولهِ

قاد الجياد الى الطعان ولم يَقُد　　الا الى العادات والاوطانِ

واراد بذلك وصف ما كانت عليهِ تلك الجياد من معرفة آداب الحرب لا وصف المسافة وشدّة غبارها لانهُ يقول قبل البيت المذكور

ان خُلّيت رُبطت بآداب الوغى　　فدُعاؤها يُغني عن الأرسانِ

اي انها لتأدُّبها بتلك الآدابِ اذا خُلّيت لم تبرح من مكانها فكأنها مربوطة واذا دُعيت انقادت بالصوت كما تنقاد بالرسن ولا يخفى ما في هذا الوصف من الابداع . قال « بيد أن هذه الاختراعات السمجة للنبيّ الكذاب (يعني المتنبي) ومعاصريهِ راجت اعظم رواج حتى غلبت على الشعر العربي فلذلك كان لا يزداد الا اغراقاً في الغلوّ والمجاز المستكرَه » . اه قلنا ما كان اغناهُ عن هذا الانتقاد في مثل هذا البيت بعد ما علمت من غرض المتنبي فيهِ وان المنتقد لم يدرك منهُ الا ما تبادر اليهِ من ظاهرهِ . اجل لا ننكر ان للمتنبي وغيرهِ من شعرآء المولَّدين مبالغاتٍ مُنكَرة كما نبّهنا عليهِ في هذه المجلة في كلامنا على الشعر ولو انهُ اخذ عليهِ مثل قولهِ يصف خيلاً

عقدت سنابكُها عليها عِثْيَراً　　لو تبتغي عَنَقاً عليهِ لأمكنا

يعني ان حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غباراً كثيفاً لو شآءت ان تركض فوقهُ لكان ذلك الغبار يحملها كما تحملها الارض . أو مثل قولهِ يصف خيلاً اخرى

يُقبِلُهم وجهَ كل سابحةٍ　　أربعُها قبل طرْفها تَصِلُ

يريد انها لشدة سرعتها تقع قوائمها وراء منتهى بصرها لكان لكلامهِ موضعٌ من الاصابة لان مثل هذا يتعدى طور الامكان ولا يجوز مثلهُ في المقامات الجدّية كالمدح والرثاء ولا سيما مدح الملوك والكبراء ولكنهُ اليق بباب الهزؤ والسخرية كما في قول بعضهم في خطيبٍ كبير الانف

لك انفٌ يا ابن حربٍ　　أَنِفت منـهُ الانوفُ

انت في القدس تصلي　　وهو في البيت يطوفُ

وقول الآخر يصف امرأةً

أُنبئتُ ان فتاةً كنت اخطبها　　عرقوبها مثل شهر الصوم في الطولِ

عرقوبها مؤخَّر قدمها . قيل ان ابن سيرين كان يتمثل بهذا البيت فيضحك حتى يسيل لعابهُ . وربما استُحسِن مثل هذا في مقام الاستعطاف أو التهويل أو ما اشبه ذلك مما يراد بهِ تجسيم الخيال وتعظيم وقعهِ في النفوس كقول أبي تمّام

دَنِفٌ يجود بنفسهِ حتى لقد　　امسى ضعيفاً أن يجود بنفسهِ

وقول الآخر

اذا ما غضبنا غَضبـةً مُضَريةً　　هتكنا حجاب الشمس او مَطَرَتْ دَما

ولكنك اذا تأملت بيت المتنبي لم تجد فيهِ شيئاً من ذلك لان الغبار اذا كثر وتلبد حجب ما وراءهُ بالضرورة فلا يبقى الا ان يُهتدَى فيهِ بالصوت فيُعرَف بهِ مكان الصائت وحينئذٍ يكون السمع قد ناب عن البصر وكل ذلك تصويرٌ للواقع ليس فيهِ شيءٌ من الغرابة ولا الغلوّ كما ترى

(ستأتي البقية)

اللحن الكتابيّ

هو ضربٌ من لحن القول وهو ان يقول القائل كلاماً يشير فيهِ الى غرضهِ اشارةً خفية بحيث يفهمهُ المخاطَب دون غيرهِ. قال الشاعر

ولقد لحنتُ لكم لكيما تفهموا　　　واللحنُ يفهمهُ ذوو الألبابِ

الا ان اللحن الكتابيّ يكون بالخطّ دون اللفظ وهو ان يُكتَب الكلام في صورةٍ مبهمة على اصطلاحٍ مخصوص بين الكاتب والمكتوب اليهِ بحيث لا يفهمهُ غيرهما. ويُعرَف في اللغات الاوربية بالكرِپتوغرافية اي الكتابة الخفيّة ويسمى ايضاً بالپوليغرافية اي كتابة اسرار المملكة. وهذا الفن قديمٌ جدًّا كان معروفاً عند اهل اسبرطة وكانوا يستعملونهُ في مكاتبة قوّادهم ايام الحرب حتى اذا وقعت الكتابة في ايدي العدوّ لا يفهم ما فيها. وكانت طريقتهم فيهِ ان يتخذوا مِخصَرتَين اي عَصَوين قصيرتين مستويتي الغلظ والطول احداهما تكون عند القائد والاخرى في خزانة سجلات المملكة فاذا ارادوا ان يبلّغوا القائد امراً اخذ الكتّاب مخصرتهم ولفّوا عليها سيراً من جلد لفًّا لولبيًّا يبتدئ من احد طرفيها وكتبوا عليهِ ما شآءوا اسطاراً مؤازيةً لطول المخصرة من الطرف الى الطرف ثم يحلّون السير ويرسلونهُ. وهو على صورتهِ تلك اذا نظر اليهِ الناظر لا يرى الا كلمات ناقصة لا يفهم منها معنى فاذا انتهى الى القائد لفّهُ على المخصرة التي عندهُ وقرأَ الاسطر كما كُتبت. وكان قيصر واوغسطس يستخدمان طريقةً اخرى في مكاتباتهما السرّية فكان قيصر يضع مكان كل حرفٍ الحرف الثالث مما يليهِ في ترتيب حروف الهجآء فيعبّر عن الالف مثلاً بالتآء وعن البآء بالثآء وهلمّ جرًّا.

واصطلح اوغسطس على الثواني فكان يعبّر عن الالف بالبآء وعن البآء بالتآء وهكذا الى آخر الحروف . وقد تفننوا بعد ذلك في هذه الكتابة على انحآءٍ شتى الى ان اصطلحوا في القرن الخامس عشر وما يليهِ على الكتابة بالارقام ولا يزال هـذا الاصطلاح جارياً الى اليوم . وربما دفع الحرص بعض الكبرآء الى الجمع بين الارقام والحروف على اصطلاح تنحصر معرفتهُ بين المتكاتَبين كما كان يفعل ريشليُوّ. وكان الكُنت فُرْجَنّ لعهد لويس السادس عشر يستخدم الحروف الهجآئية نفسها فيكتب غير ما يريدهُ لكن يدلّ على المراد بلون الصحيفة وشكلها وربما زاد على ذلك نقوشاً هي في ظاهرها زينة ولكنها في الباطن ذات معنى

اما الكتابة السرّية المستعملة اليوم فذات طرائق مختلفة فنها ما يكون بعلاماتٍ يُتواطأ عليها بين المتراسلَين من حروف وارقام ونُقَط وخطوط وغير ذلك وهو الاكثر. ومنها ما يكون بكلمات وجُمَل يراد بها عكس معناها وربما أُدخِل بينها كلماتٌ لا معنى لها بقصد التعمية . ومنهم من يعبّر عن عن الحروف بأرقام تتبدل للحرف الواحد حتى اذا عُرِف بعضها في بعض الكلمات التبس في غيرها فلا يمكن حلها . ولهذه الاصطلاحات نوعٌ من المعجمات يشيرون فيهِ الى الكلم المستعملة في غير معانيها فيسردون الالفاظ المصطلح عليها ويفسرونها بما اريد بها من الالفاظ الوضعية ثم يسردون الالفاظ الوضعية ويجعلون بازآء كلٍّ منها اللفظة الاصطلاحية . وكذلك يفعلون في الحروف والارقام وهي تكون ذات مفتاحين احدها يدل على الرقم الذي يراد بهِ دائماً حرفٌ بعينهِ والآخر يدل على الارقام التي يختلف

الحرف المراد بها بين كلمةٍ واخرى

وهناك نوعٌ آخر من الكتابة السرّية سهل الاستعمال . تؤخذ قطعةٌ من المقوّى تسمّى بالشبكة تخرَّم فيها مواضع الاسطر تخريماً متفرقاً على طول السطر وعند الكتابة توضع على الورق ويُكتَب ما يراد في مواضع التخريم وبعد ذلك تُرفَع الشبكة عن الورقة وتُملأ فيها مواضع التخريج اي الفُسَح التي لا كتابة فيها بكلماتٍ أُخَر يمكن ان يكون لها مع الكلمات الاولى معنى من المعاني بحيث لا يُشكّ ان الكتابة الاولى والثانية عبارة واحدة . فاذا انتهت الرسالة الى المرسل اليهِ وضع على الورقة شبكة مثل الشبكة المذكورة وقرأ الكتابة المقصودة . وتُستعمَل هذه الشبكة على طريقة اخرى وهي انها تُقطَع مربّعةً وتخرَّم على ترتيبٍ مخصوص بحيث انهُ كيفما وُضِعت يكون التخريم موافقاً للاسطر عينها لكن تكون مواضع الفراغ متخالفة فلا يقع تخريمان على موضع واحد . فتوضع على الورق ويُكتَب في التخريم الذي يتخللها ثم تدار على وضع آخر وتعاد الكتابة وهكذا حتى تدور على الجهات الاربع فتمتلئ الاسطر لكن تأتي الكلمات متداخلة لا رابط بينها ولا يُفهَم لها معنى . ويكون عند المُرسَل اليهِ شبكة بالشكل نفسهِ فيفعل في قرآءة الكلمات كما فعل الكاتب عند كتابتها بعد ان يكون قد أُشعِر بالجهة التي بدأ منها والجهة التي ادارها عليها

واما المراسلة التلغرافية على هذه الطريقة فسنعود الى ذكرها في احد الاجزاء الآتية ان شاء الله

ذكرى الهند

(تابع لما في الجزء السابق)

اما سكان جزيرة البحرين فكلهم من العرب وهم سمر الالوان عليهم سيمآء عرب البادية وهم اهل ثروة ومعظم تجارتهم في اللؤلؤ الذي يستخرجونهُ من تلك الناحية ويؤدون منهُ رسماً الى حاكم مسقط . وفي هذه الجزيرة اشجار النخل والبرتقال والنومي والرمان . وقد كانت يوماً في حوزة البرتوغال ثم خرجت من ايديهم على اثر انسلاخ الهند عن ملكهم . وفي اواسط الجزيرة بقايا قلعة عظيمة للمذكورين قد صارت اليوم الى الخراب

وفي مسآء ذلك اليوم اقلعت الباخرة متجهة نحو بندر عباس وهو بلدة حقيرة من بلاد العجم على خليج فارس . وبعد ان رست هناك ساعاتٍ قليلة سارت قاصدة مسقط وهي حاضرة بلاد عُمان يحكم فيها شيخ من شيوخ العرب من عشيرة شيوخ زنجبار اي بني سعيد ونسبهم ينتهي فيما يقال الى بني اسد ويسمَّى الحاكم منهم بالسلطان والامام وهو اليوم السلطان فيصل بن تركي

وبلدة مسقط يحيط بها من جهاتها الثلاث جبال قاحلة جردآء ويشتدّ فيها الحرّ الى حدٍ يأخذ بالانفاس وقد كان في صباح ١٣ من تشرين الاول (اكتوبر) على ٣٥° من السنتغراد ومع ذلك فان السكان كانوا يعدّون ذلك اليوم كأنهُ من ايام النوروز لان الحرّ يبلغ عندهم في ايام القيظ الى ٤٥° فما فوق

اما اللغة الشائعة في هذه الحاضرة فهي العربية وتليها الهندية والبلوخستانية واكثر من نصف سكانها من الزنوج لان تجارة الرقيق لا تزال رائجة فيها مع تشديد الحكومة الانكليزية والفرنسوية في منعها . وكنا عند نزولنا الى البلدة قد زرنا قنصل فرنسا فيها وهو يحسن التكلم بالعربية فاستقبلنا احسن استقبال واخبرنا انهُ منذ مدة قريبة كان عندهُ نحو ثلاثين فتًى من العبيد الزنوج استخلصتهم الحكومة الانكليزية من ايدي النخاسين وانهُ سلمهم الى احد المرسلين الاميركان المستركانتين ليتولى تعليمهم وتهذيبهم . وكنا نعرف هذا المرسل لانهُ كان قبل ذلك في البصرة فزرناهُ فرحَّب بنا ورأينا عندهُ اثني عشر فتى من الزنوج المذكورين وكلهم متأزرون بالمآزر البيضآء ولغتهم البمباسية فعلَّمهم المرسل المشار اليهِ الانكليزية وبها كان يخاطبهم

وكنا في اثنآء ذلك قد بعثنا احد يسقجيــة القنصلية الفرنسوية الى السلطان فيصل نستأذنهُ في زيارتنا لهُ فاظهر سرورهُ لذلك وضرب لنا موعداً فسرنا اليهِ وامامنا اثنان من يسقجية القنصلية المشار اليها . ولما وصلنا الى باب القصر رأينا شرذمة من البلوش واقفين على اقدامهم وبايديهم البنادق وفي اوساطهم الخناجر ذات المقابض المفضضة واذ دخلنا الدار وجدناها غاصَّةً بالعبيد الزنوج والخدَم . ثم رقينا السلَّم فلما بلغنا اعلاهُ اذا بالسلطان خارجٌ من ردهة الاستقبال لملاقاتنا فحيَّيتهُ تحيّة العرب فحيّاني باحسن منها واخذ بيدي فادخلني ردهة الاستقبال وكانت مكتظّة بكبار القوم فعرّفهم بي وذكر لهم اني عربيٌّ اتكلم بالعربية فرحّبوا بي ترحيباً عظيماً . وبعد ان جلست عندهُ ساعةً طويلة تجاذبنا فيها اطراف الحديث استأذنت في الانصراف فخرج

معي من ردهة الاستقبال وشيعني الى اعلى الدَرَج كما استقبلني . وقد شاهدت من رقة هذا السلطان وكرم شمائلهِ وحسن مجاملتهِ ما أُعجبت بهِ غاية الاعجاب وهو اسمر اللون ذو لحيةٍ خفيفة رشيق الحركة وعمرهُ بين الثلاثين والثلاث والثلاثين

وبعد ان اتمّت الباخرة شحنها من التمر وغيرهِ اقلعت بنا من مسقط فمرّت على عدّة بلدان الى ان القت مرساتها في مياه بمباي مساء الخميس ١٩ من تشرين الاول اي بعد عشرين يوماً من خروجنا من بغداد . وفي صباح اليوم التالي خرجنا الى البرّ فزرت بعض الكنائس والمدارس الاوربية ثم قصدت زيارة البستان العمومي المعروف ببستان فكتوريا وفيهِ معرض وطني لانواع الحيوان والنبات وهو ذو طبقتين وجدرانهُ مزينة باجمل النقوش وقد قام بنفقتهِ داود ساسون البغدادي الاسرائيلي المثري الشهير . ولهذا الرجل آثار شريفة في هذه المدينة منها المدرسة المعروفة بدار القرآءة انشأها بمالهِ وقد رأينا تمثالهُ في صحن هذه الدار وهو من رخام ابيض نقي يمثلهُ بالهيئة البغدادية اليهودية من الطربوش والجبة والرداء والمداس وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦٢ . اما المعرض المذكور ففيهِ انواع الحيوانات الهندية من الداجنة والآبدة كالجاموس البرّي والنمر والغزال والافاعي والطيور والاسماك وكلها محنَّطة وفي جملتها سمكة بحرية يبلغ طولها عشرة امتار . وكذلك انواع المزروعات ومنسوجات البلاد والاخشاب المصنوعة وغير ذلك مما يطول سردهُ وكلها مرتبة ترتيباً متقناً وابواب هذا المعرض مفتوحة كل حين للزوار وعلى الابواب حرّاس يحرسون ومنهم من يطوف مع المتفرجين

واتفق في اثناء وجودنا في بمباي حلول رأس السنة عند الهنود الوثنيين وقد كان في ٢ تشرين الثاني وهم يحتفلون بهِ ثلاثة ايام فيزينون حوانيتهم ودورهم ولا سيما في الليل فيوقدون الوفاً من المصابيح والشموع ويجول المطربون واصحاب الآلات الموسيقية في الشوارع · وفي هذه الايام الثلاثة يبدّلون الآلهة فيطرحون العتيقة في البحر ويتخذون بدلها آلهةً جديدة ويجددون دفاترهم التجارية وينشرون اعلانات جديدة عن بضائعهم وتعطَّل المعاملات الرسمية في الحكومة والمصارف (البنوك) لان هذا العيد معروف رسمياً عند الحكومة

وشوارع بمباي وطرقاتها فسيحة وتُرَشّ صباحاً ومساءً وفي اكثر طرق المدينة يسير الترامواي وهو في غاية اللطافة والنظافة· واكثر دور المدينة ذات ثلاث طبقات ومنها ما هي ذات اربع وخمس طبقات ومعظم عمارتها من اللَّبِن المطبوخ واما الاساسات فمن الحجارة السوداء　(ستأتي البقية)

معرض الصغار

من غريب الذرائع التي يتخذها الغربيون لإرهاف اذهان الاحداث وتوسيع مداركهم ما قرأناهُ آخراً في احدى المجلات العلمية عن معرض الصغار الذي أُنشئ في واشنطون . وهو معرض للمواليد الثلاثة اي لانواع الجماد والنبات والحيوان سمَّوهُ بغرفة الصبيان (Children's room) جمعوا فيهِ كل ما يحسن وقعهُ في عين الصغير ويدعوهُ الى التثبُّت في شكلهِ ولونهِ والاستفهام عن صفاتهِ وخصائصهِ وغير ذلك من المعلومات التي يُولَع الصغار

بالاستخبار عنها مما ينشئهم على حب البحث والميل الى العلميات ويُطلِعهم صغاراً على ما يكفيهم مؤونة البحث عنهُ كباراً

فاذا دخل الزائر هذا المعرض وجد عند المدخل بيتاً صغيراً من الزجاج فيهِ انواعٌ من النبات المتسلق وضروبٌ من الجَنْبة (النبات بين الشجر والبقل) تتنقل عليها العصافير ذوات الريش البديع المختلف الالوان . وفي السقف في وسط الغرفة اربعة اقفاص معلَّقة مُذهبة الجوانب فيها عدَّةٌ من اجمل الطير الذي يغرّد ويتكلم قد جُلبت من جميع انحاء المعمور . وتحت هذه الاقفاص حياضٌ بعضها للماء العذب وبعضها لماء البحر قد بُثّت فيها انواعٌ من السمك السريع الحركة مع السلاحف التي تزحف في القرار

وعلى جوانب الردهة خزائن زجاجية فيها المعروضات الصامتة من المعادن والنباتات والحيوانات المحنطة منها خزانة لجوارح الطير بين كبيرها وصغيرها من نحو النسر والباشق والرُخّ والبومة . وتليها خزانة للاطيار ذات الخلق البديع النادر من ذوات التاج ومما ذنبهُ كالمروحة الى ما شاكل ذلك

وبجانب هذه خزانةٌ للاطيار ذات الاعشاش الغريبة الصنع كالاعشاش المعلقة وما جرى مجراها وبينها عشٌّ غريب وجد في جمجمة ميت . ويتبع هذه البيض المختلف الحجم من بيض النعام وما هو اكبر منهُ الى بيض الصَعْو . وبعد ذلك تأتي ضروب الهوام الشبيهة بأوراق النبات مما اذا تسلقت شجرة لم تُفرَق عن ورقةٍ من اوراقها ومثلها الاعشاش التي تُبنَى على شكل لا يميَّز من شكل الشجرة التي تُبنَى فيها . ثم ضروب الصَدَف والفراش القُزَحية الالوان البديعة النقش ثم انواع المعادن تُقابَل فيها قطعة الصُلَّبيّ

(حجر المسنّ) الضخمة بحجر الالماس الى غير ذلك مما يطول بيانهُ . وكل واحدٍ من المعروضات المذكورة قد كُتِب اسمهُ الى جانبهِ بحيث يستطيع الغلام ان يعرف كل ما في هذا المعرض بنفسهِ من غير مرشد. فاذا قضى زيارتهُ خرج ونفسهُ ممتلئةٌ سروراً وارتياحاً بما رأى وعلم ثم لا يلبث ان يعود الى زيارة ذلك المكان ويستصحب معهُ غيرهُ من رصفائهِ واترابهِ فيكون قد نشأ لهُ ولوعٌ بالعلميات حتى تكون هي اعظم ملاهيهِ والذّها

هكذا يربّي الغربيون صغارهم وبمثل هذا يأخذونهم منذ الحداثة الاولى حتى يصير ملكةً فيهم يستمرّون عليها الى آخر الحياة. واما الشرقيّ فمن اراد ان يعلم كيف يربّي بنيهِ فليطُف في شوارعنا نهاراً ان شآء أو بعد منتصف الليل ان احبّ أو فليزر الحانات واماكن الميسر وما شاكلها يظهر لهُ السبب في تأخرنا وتقدمهم والله يهدي من يشآء ويُضِلّ من يشآء

الثلوج في المدن الكبرى

لا يخفى حال الثلوج في الاقاليم الشمالية وما يحدث عن تراكمها ولا سيما في الطرق من تقييد حركات الاعمال والسعي اذ تتغطى الازقة والساحات برُكام عظيم من الثلج يسدّ المسالك على المارّة ويقف سُدًّا امام ابواب المنازل والمحترَفات ثم انهُ يَحُل شيءٌ من اطرافهِ واعاليهِ ويسيح مآؤهُ متخللاً اجزآءهُ ثم يتجلد ذلك المآء ويتجلد الثلج معهُ فيصبح كأنهُ قطعةٌ واحدة من الزجاج منبسطة على تلك المسافات . فيُضطرّ حينئذٍ الى تكسيرهِ بالمعاول والفؤوس وتكويمهِ او نقلهِ الى احد الانهر وطرحهِ فيهِ . ويُذكَر انهُ في اواخر سنة

١٨٧٩ كثر سقوط الثلج في باريز حتى غطاها بجملتها وتضايق اهلها تضايقاً شديداً فاستأجرت الحكومة عدداً كبيراً من الناس لجرفهِ عن الطرق والارصفة وجمعهِ على الجوانب واُعمِل في ذلك من عربات النقل واشباهها ما يقرب من عشرة آلاف عربة في المدينة كلها فكانت تحملهُ وتلقيهِ في المصارف وفي نهر السين ثم كانوا كلما كسحوهُ من موضع لا يلبث ان يعود حتى وجدوا في ذلك جهداً عظيماً . وآخر الامر استخدموا لهُ الملح يذرّونهُ في الشوارع مدة سقوط الثلج وبعدهُ فكان بهذه الطريقة يحلّ ويمتنع تجلُّد الماء الذي يسيح منهُ . وقد تبين لهم انهُ يلزم ان يلقوا في المتر المربع نحو ٢٠٠ غرام من الملح لاذابة طبقة من الثلج تكون ثخانتها ٥ سنتيمترات واذا كانت من ١٥ الى ٢٠ سنتيمتراً لزم ان تُقرَع بالملح مرتين واذا زادت ثخانتها على ذلك لزم تكسيرها قبل وضع الملح لان فعلهُ بدون ذلك يكون شديد البطء فارتفع سعر الملح في ذلك الحين حتى بلغ ثمن مئة الكيلغرام منهُ ٢٢ فرنكاً

وقد أُقيم مراقبون مخصوصون لحالة الجوّ في زمن البرد فاذا رأوا اول جالحةٍ من الثلج نبهوا الموكلين بامر الملح فتجهزوا لهُ ولا يمضي نصف ساعة حتى يكون الملح قد طُرِح على الثلج . فيجتمع العمّال اثنين اثنين يدفع احدهما العربة التي يكون عليها الملح ويكون في يد الآخر رفش يغترف بهِ الملح عن العربة ويذرّهُ مستديراً فلا يلبث الثلج ان يذوب . وتنفق باريز كل سنة من الملح ما يبلغ اربعة ملايين كيلغرام ومن المال ما يزيد على مئتي الف فرنك

مطالعات

بحر آخذ في النضوب — جآء في احدى المجلات الاوربية ان بحر أزوف قد اخذ منذ سنواتٍ يهبط سطحهُ هبوطاً سريعاً حتى انكشف من شواطئهِ ما تبلغ مساحتهُ ١٢٠ كيلو متراً مربعاً انحسر المآء عنها فاصبحت ارضاً مستنقعة وامتنع الوصول الى بعض فُرَضهِ التي كانت مطروقةً من قبل . ومن المعلوم ان هذا البحر يستمدّ جانباً من مآئهِ من نهر دون وهو اعظم انهار روسيا ويصل بينهُ وبين البحر الاسود خليج ضيق يسمى خليج كِرْتش يتسرب المآء منهُ الى البحر الاسود . وقد ارتأت الحكومة الروسية ان تقيم سَدًّا على فم هذا الخليج لتمنع خروج المآء منهُ وتزداد مياههُ مع الايام بما ينصبّ فيهِ من النهر المذكور . وسطح أزوف الآن يرتفع عن سطح البحر الاسود نحو مترين فيؤمَّل انهُ بعد انشآء السدّ المذكور يزداد ارتفاعهُ الى ثلاثة امتار . ويقدّرون ان نفقة هذا العمل لا تكون اقلّ من ٢٥ مليون فرنك

*

مصنوعات من اللبن المجمَّد — كان في جملة ما عُرِض في المعرض الصحّي للَّبن في همبور وفي المعرض الاهلي لهذا الصنف في ڤينّا عدة ادوات غريبة لا يقع في ظن احد ان لها تعلقاً بصناعة اللبن . وذلك كالملاعق وشوكات الطعام ومقابض العالات (الشمسيات) وقِطَع الدومنو وكُرات البليار وفصوص النرد (زهر الطاولة) والحَلَق والصفائح المختلفة الاتساع

والثخانة الى غير ذلك . وقد صُنِعت هذه الاشيآء من المادّة الجبنية في اللبن المعروفة بالكازيين وهي مادّة رخيصة الثمن يُصنَع منها الجبن وتتخذ لغـذآء الحيوانات ولا سيما الخنازير والعجول • ولصنع هذه الادوات منها يحلّونها في مآء الصابون وهي طريئة ويضيفون الى محلولها مقداراً من الاملاح المعدنية فيرسب هناك راسب فيجففونهُ ويعالجونهُ بطرائق اخرى لا تزال مكتومة فيصير اشبه بمادّة القرن ويصنعون منهُ كل ما يُصنَع من القرن والعاج وما اشبههما

اللاتين والطوائف الشرقية

وردتنا الرسالة الآتية من احد الادبآء في مدينة حيفا تتضمن شرح بعض ما يجري في تلك الناحيـة من تعدّي الفِرَق اللاتينية على حقوق الطوائف الشرقية ولا سيما الروم الكاثوليك التي هي اكثر الطوائف عدداً في تلك الانحآء فرأينا ان ننشرها لما فيها من التنبيه والتذكرة• قال المكاتب

قرأت في الجزء الاول من ضيآئكم المنـير ما نشرتموهُ من قضية الجزويت واغرآئهم احد تلامذتهم المسمى توفيق القزح بالدخول في رهبانيتهم حالة كون ذلك مخالفاً لمنطوق الاوامر المصرَّح بها في منشور البابا لاون الثالث عشر على ما نقلتموهُ بحرفهِ في الجزء الثالث• وقد احسنتم في نشرهِ غاية الاحسان عسى ان يكون منبهاً لرؤسآئنا الى الدفاع عمّا لهم من الحقوق التي لا يمكن ان تُسلَب منهم والتي اهملوها غفلةً منهم أو تغافلاً ...

على ان ما اوردتموهُ من القضيةَ المذكورة ما زال دأب اولئك الاقوام

من الجزويت وغيرهم اينما حلّوا من البلاد المشرقية وحسبي ان اذكر لكم ما كان منهم في هذه البلدة ونواحيها مما اقصّهُ عليكم بالاختصار . وذلك ان هذه الطائفة اي طائفة الروم الكاثوليك لم يكن لها من قبل مدرسةٌ خاصة لان اساقفة عكآء الذين اليهم امر الطائفة في هذه الناحية لم يكونوا يسمحون بانشاء مدارس وطنية لمآرب لا نذكرها . . . فاضطرّت الطائفة ان تلجأ بأبنآئها الى مدارس اللاتين المقامة هنا لبعض الرهبان والراهبات فكان اولئك المهذبون يبثون في عقول التلامذة احتقار اللغة والوطن والاستخفاف بكل ما هو وطنيّ حتى الطقوس الدينية وبذلك تمكنوا من استمالتهم اليهم وادخال بعضهم في سلك جماعتهم وقد ادخلت الراهبات منهم على ما علمت خمساً من البنات الوطنيات في رهبانيتهنّ على غير رضى آبآئهنّ . اما الذين يغرونهم بالانضمام الى كنيستهم فكثيرون وقد كانوا في السنة الاخيرة نحو ٢٥٠ تلميذاً من ذكور واناث جرّوهم الى دير الكرمل وهو يبعد نحو نصف ساعة عن البلد فأشركوهم في طقسهم ثم عادوا بهم باحتفال عظيم كما يعود احد الجيوش المنتصرة

وقد استآء الوطنيون من هذا الصنيع ورفعوا شكاويهم الى ذوي المقامات العالية من لاتين ووطنيين فلم يصادفوا آذاناً صاغية واذ ذاك لم يبقَ لهم الا ان يتولوا امرهم بانفسهم فنهضوا لبنآء مدرسة وطنيــة تعاونوا على اتمامها فلم تمضِ مدة شهرين حتى كانت ابوابها مفتوحةً للطالبين . وبذلك استحق اولئك الرهبان جزيل الشكر على صنيعهم لانهم كانوا سبباً في هذه النهضة الوطنية الشريفة

والمدرسة مؤلفة من سبع غُرَف فسيحة حسنة الهندسة ومحل للاستقبال وقد جيء بالمعلمين من بيروت ومن هنا ومن اول تشرين الاول الى اليوم بلغ عدد التلامذة فيها ما ينيف على المئتين . وقد قاوم كهنة اللاتين هذا العمل بكل استطاعتهم وكتبوا الى مقامات عديدة فلم يفلحوا وبلغ من وقاحتهم اخيراً أن وفد اثنان من كبار رؤسآئهم على القسوس الوطنيين وانذروهم انهم اذا لم يقفلوا المدرسة في ذلك اليوم ويردّوا التلامذة اليهم يرفعون شكواهم الى المقام البابوي فاجابوهما ان المدرسة خارجة عن ولايتهم لانها مدرسة اهلية شادتها الطائفة لنفسها فذهب الرئيسان وهما يزبدان غضباً

اما ما يعلَّم في المدرسة الآن فهو العربية والفرنسوية وسائر العلوم الاولية من حساب وجغرافية وخط وغير ذلك وفي نية القائمين بهذا الامر احضار معلمين للانكليزية والتركية . وقد كان في عزمهم انشآء مدرسة اخرى للاناث لتحريرهنَّ من ربقة الاجانب ولكن منعهم من اتمام ذلك الآن ما يقتضيه من النفقات مع ضيق ذات اليد لان اكثرهم ليسوا من ارباب السعة . ولذلك فهم يتوقعون من ذوي الغيرة والحماسة الوطنية في القطرين السوري والمصري ان يمدّوهم بما يبلّغهم هذه الامنية التي فيها تعزيز شأن الملة وتنشئة ابنآئها على الآداب الوطنية الصحيحة والله لا يضع اجر المحسنين

آثار ادبيّة

تخميس همزية الامام البوصيري — اهديت لنا نسخةٌ من هذا التخميس لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد حلاوة المرصفي وهو ديوان كبير يبلغ ما يزيد

علي ١٣٠ صفحة • وقد تصفحنا بعضهُ لنقرّظهُ بما هو اهلهُ فعثرنا في آخرهِ على تقريظ «من الامام الكبير اللغوي الشهير الاستاذ السيد الشريف (؟) الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) العلوم العربية بالمدارس الاميرية » فاكتفينا بايراد التقريظ المذكور نزفهُ الى قرآء مجلتنا ليغطبوا «العلوم العربية» بمصر على ما انتهت اليهِ في هذا العصر. وهذا هو التقريظ بحرفهِ ورسمهِ

هاك تقريظ التخميس يا شيخ العلم والادب ويلمعي لسان العرب تلوت نظيمك في تخميس الهمزية ولا اطيل عليك بانهُ نظيم وانني انست منهُ شعرا ازرى بالجوزآء والشعرى الى غير ذلك من كليات محفوظات للتقريظات ملها السمع ومجها الطبع بل اقول انني كنت اظن سابقيك اليهِ قد نزفوا مادته لكثرة ما تشدقوا فاذاهم انما تحذلقوا وتلهوقوا واذا بحره الطامي

لم ينزفوا منهُ الا قدر ما نزفت   تلك العمانية الخرقا من المـآء

نعم فقد اجدت في تخميسك هذا حتى كاد يشككني في الاصل لولا سابقة علوقه بالحافظة واذكرني مهما اخفيت وجدك بالحضرة الممدوحة قول سكينة عليها السلام للامام عروة بن اذينة لما سجلت عليهِ انهُ القائل . —

اذا وجدت اوار الحب في كبدي   ذهبت نحو سقـآء الحي ابترد
هبني ببرد المـآء ظاهرهُ (كذا)   فمن لنـار على الاحشآء تتقـد

هنّ حرائر لجوار كنّ حولها ان كان هذا خرج من قلب سليم نعم واذكرني قولك في مقدمته ووفدت بمدح اوصافك عليك لتكون الوسيلة منك اليك قولِ السيد الشريف قدس سره في حاشية المطالع على قول المتن في ان نصلي على سيدنا محمد سيد المرسلين وآلهِ ما نصهُ ممزوجاً بالشرح

من القضايا البديهية المذكورة في براهين العلوم الحقيقية التي لا تتغير بتبدل الملل والاديان ان استفادة القابل من المبدأ تتوقف على مناسبة بينهما واظال في مثل لذلك منها المزاج وانهُ كلما كان اعدل والى الحقيقة أميل كانت النفس الفائضة عليهِ بمبدأها اشبه وكالنفوس الفلكية والروح الحيواني وكالعالم والمتعلم كلما كانت المناسبة بينهما اقوى كانت استفادة المتعلم منهُ اكثر وكالنار والحطب كلما كان ايبس كان اقرب للاحتراق للمناسبة في اليبوسة وكالادوية الحارة في الابدان المتسخنة الى ان قل ولما كانت النفس الانسانية في الاغلب منغمسة في العلائق البدنية مكدرة بالكدورات الطبيعية الناشئة من القوة الشهوانية الغضبية وكانت ذات المفيض عز اسمهُ في غاية التنزه عنها وبذا لامناسبة يترتب عليها فيضان كمال لاجرم وجبت الاستعانة بمتوسط ذي جهتين التجرد والتعلق ليناسب بذلك كل واحد من طرفيهِ باعتبار فيتصل الفيض من المبدأ الفياض بتلك الجهة الروحانية التجردية وتقبل النفس من الفيض بهذه الجهة الجثمانية التعلقية فلذلك وقع من المصنف التوسل في استحصال الكمالات العلمية والعملية الى المؤيد بالرياستين الدينية والدنيوية مالك ازمة الامور في الجهتين التجردية والتعلقية والى اتباعهِ الذين قاموا مقامهُ في ذلك بأفضل الوسائل اي الصلاة عليهِ اصالة وعليهم تبعاً ثم قال قدس سره ان قلت هذا التوسل انما يتصور اذا كانوا متعلقين بالابدان قلنا يكفي انهم كانوا متعلقين بها متوجهين الى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فان اثر ذلك باق ولذا كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان انوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهدهُ اصحاب البصائر ويشهدون بهِ فقد ظهر بما قررناهُ ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة عقلا كما هي واجبة شرعا انتهى بحروفه ملخصا

فاللهم نحمدك ان جعلتنا من مؤمني الامة الامية التي هي كالمطر مكتنف بالخير اولها وآخرها واسألك بجاه الممدوح صلى الله تعالى عليه وسلم وآله تمام الامال وحسن عاقبة الحال آمين ٠ انتهى

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ٥ —

لما فرغ الكولونيل جيرار من قصتهِ نظر الى الضباط فرأى على وجوههم بعض الانقباض فقال لاشك اني قدغممتكم بما اسمعتكم من الاحاديث المحزنة ولكني سأقصّ عليكم الآن حديثاً آخر من وقائعي الخاصة لا يتضمن شيئاً من تلك التذكارات فألقوا سمعاً

تتذكرون ولا شك ما قصصتهُ عليكم مراراً عن مباراتي للانكليز في صيد الثعلب وكيف سبقت كلاب الصيد جميعها حتى ادركتهُ وقطعتهُ بسيفي. ولا تعجبوا من رجوعي الى ذكر مثل هذهِ الالعاب الرياضية فانها بالحقيقة ذات لذة فائقة ويفتخر الانسان بذكر فوزهِ فيها اكثر من انتصارهِ في الحروب لانهُ في المواقع الحربية يكسب الفخر بمساعدة جنودهِ ومدافعهِ وخيولهِ واما في الالعاب الرياضية فينال الفائز غار الانتصار بجدّهِ الخاص من غير ان يعتمد على مساعد ولا عضد . ولا يوجد في الارض من يقدر هذه الالعاب حق قدرها اكثر من الامة الانكليزية التي فاقتنا كثيراً في هذا الباب وربما فعلت ذلك واشتهرت دون سواها لكونها اما اغنى او اكسل من سواها من الامم . وقد اختبرت الامر بنفسي ايام كنت اسيراً في تلك البلاد فوجدت ان الجواد السريع الركض والديك الذي يقاتل الادياك والكلب الذي يصطاد الجرذان والرجل الذي يحسن الملاكمة هو الذي يجلونهُ ويتباهون بهِ اكثر مما نتباهى نحن بمفاخر امبراطورنا

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

لما اسرني الانكليز وعلمت ذلك فرنسا سعت في فكاكي فاستبدلتني ببعض الاسرى الذين اسرتهم من الانكليز ولما أُطلق سراحي لبثت بضعة اشهر قبل ان تيسر لي الرجوع الى الوطن وكنت كل تلك المدة ضيفاً على اللرد رفتون في قصرهِ الجميل شمالي دارتمور . اما خبر معرفتي هذا اللرد فهو انهُ لما سعى البوليس الانكليزي في امساكي في برنستون كان اللرد معهم فشعر نحوي بالانعطاف الذي كنت اشعر بهِ انا لو رأيت في بلادي جنديًّا شريفاً شجاعاً يقاد صاغراً بدون رفيق او صديق . فلما أُفرج عني اخذني الى قصرهِ وقدم لي طعاماً ولباساً وعاملني معاملة اخ . ولا انكر ان الانكليز لهم هذه المزية الحسنة وهي ملاطفة اعدآئهم وملاينتهم حتى في ابان الحرب . والشيء بالشيء يذكر فان الاسبانيول في الحرب المشهورة لما دنونا منهم اشرعوا في وجوهنا بنادقهم اما الانكليز فلما ارتددنا اليهم قابلونا بزجاجات الوسكي . ولكن كل ما يذكر عن ملاطفة الانكليز وكرم اخلاقهم لا يكفي لوصف مضيفي وحسن شمائلهِ . ولا اذكر تلك الضيافة الا ويعود الى مخيلتي تذكار الالعاب واسباب السرور التي حصلت عليها هناك فان اللرد كان مولعاً بتلك الرياضات واتقنها جميعها وقد شاركتهم في كلها وفقتهم في بعضها مع انني لم اتمرن عليها من قبل . وكان ورآء القصر غاب كثيف من الاشجار الباسقة يألفهُ طير السمانى وكان من جملة ملاهي اللرد ان يقصدهُ يوميًّا لاصطياد طيورهِ فيرسل خدمهُ الى الجهة الاخرى من الغاب ويجتهدون في سوق الطيور الى جهة القصر حيث يتربص اللرد واصحابهُ فكلما مرَّ بهم طائر اطلقوا عليهِ بنادقهم وربما اصابهُ بعضهم فاسقطهُ . فلما اختبرت طبائع ذلك الطير ذهبت يوماً عند المسآء فرأيت الطيور تعود للمبيت فجعلت اصطادها ببندقيتي ولم اطلقها مرةً الا ويسقط طائر . ونبه صوت البارود البستاني فجآءني راجياً ان لا افني تلك الطيور فتوقفت واخذت ما اصطدتهُ فلما وضعتهُ على مائدة اللرد لم يصدق لاول وهلة انني اصطدت ذلك وحدي في يوم واحد وسرَّ سروراً عظيماً حتى كادت تنحدر دموعهُ من شدة الضحك وهو يقول ان طال مكثك هنا يا جيرار لا يبقى في الغاب ريشة واحدة

وعندهم لعبة صيفية يدعونها كريكت وهي انهم ينصبون اوتاداً خشبية يضربونها

ثلاثةً ثلاثة في جهات مختلفة من ساحة اللعب فيقف كل من اللاعبين في جهة ويأخذ كرة خشبية يضرب بها خصمهُ بمنتهى القوة فيدفعها ذاك عنهُ بواسطة عصاً خشبية. وكان اللرد و بستانيُّهُ يحسنان اللعب بها جدًّا فلما تعلمتها طلب مني اللرد ان ألعبها مع البستاني ووقف هو يتفرج علينا فوقفنــا في مراكزنا وابتدأ البستاني فأخذ الكرة ورشقني بها. ولا يخطر لكم ايها الاعزآء انها لعبة صبيانية فانها أهم مما تتصورون وانا جيرار الذي خاض غمار الحروب وصافح الموت مراراً بلا وجل لم املك نفسي من الارتعاش ولوني من الاصفرار حين مرَّت الكرة بجانب وجهي مرور القنبـلة بسرعةٍ لم اتمكن معها من رفع يدي بالعصا الخشبية ولولم تخطئني الكرة لسقطت الى الارض . فلمــا ملكت روعي وكانت قد جآءت نوبتي في الضرب اخذت كرةً اخرى وتذكرت ايام صبايَ حين كنت ارشق الحجارة على الطيور فظننت انني سأصيب البستاني من اول مرة . فضربتهُ بالكرة فاندفعت من يدي كالرصاصة ولكنها لم تكد تصل اليهِ حتى تلقاها بعصاهُ فتغيرت وجهتها وارتفعت في الهوآء نحو عشرة امتار . اما الكرة الثانية التي رشقتها فكانت اهم ومسحت شعر رأسهِ حتى رأيتهُ قد امتقع لونهُ كما أصابني في المرة الاولى. غير ان الكرة الثالثة كانت غار النصرة لي فانني صوبتها الى صدرتهِ الحمرآء ودفعتها بما لي من القوة فرأيتها للحال قد اصابت صدرهُ فسقطت العصا من يدهِ وترنح خطوتين ثم سقط مع الكرة والاوتاد الى الارض. فوقف اللرد يضحك مصفقاً بيديهِ ويقول لا شلت يمينك يا جيرار. فعجبت من قساوة قلوب الانكليز في الالعاب مع لينها في غير ذلك واسرعت الى خصمي فرفعتهُ وجعلت اعتذر اليهِ . ولكنهُ بقي بضعة ايام يشكو ألماً في جنبهِ وكان استيآؤهُ من الغلب اعظم من استيآئهِ من السقطة

وربما تهزأون الآن بشيخٍ نظيري يقص عليكم اعمالهُ الصبيانية ولكن لا شيء في حياة الانسان الذّ من ذكر ايام الصبى والشهرة التي يتركها من بعدها لانهُ بعد خمس سنوات من زيارتي هذه لانكلترا قابلت اللرد رفتون في باريس فصافحني وحقق لي انهم لايزالون يذكرون جميع اعمالي ولا سيما ملاكمتي لواحدٍ من اصحابهم

اسمهُ بلدوك • ولا بأس ان اقصّ ذلك عليكم وهو ولا شك مما تسرون بهِ

اعتاد اللرد رفتون ان يجمع في قصرهِ مساء كل يوم عدداً من اصدقائهِ بينهم اللرد والسير والشريف وغيرهم من اصحاب الالقاب العالية فعرّفهم اللرد بي وعرّفني بهم وكنا نصرف الليالي معاً • وقد اختبرت اخلاقهم فوجدتهم منصبين على الملاهي والملذات لا شغل لهم سوى السكر والمقامرة واللعب والاعجاب بخيولهم وكلابهم وصيدهم وما شاكل ذلك • وكان بينهم المسمى بالشريف بلدوك وهو فتى في مقتبل الشباب ممتلئ الجسم قويّ البنية اشتهر بمهارتهِ في الملاكمة غير انهُ كان كثيراً ما يتكلم عن الفرنسويين ويهزأ بهم مما اثار غضبي حتى جافيتهُ في الكلام وتوصل الامر بيننا الى ان طلبتهُ للملاكمة قاصداً تعليمهُ درساً لا ينساهُ وكسر انفهِ بنفس القوة التي اشتهر بها • ولا انكر انني تسرعت في ذلك لانني لم اجرب الملاكمة قط حالة كونهِ هو قد اعتادها من صغرهِ غير ان دم الشباب دفعني الى محاربتهِ بسلاحهِ لاريهُ على الاقل ان الفرنسوي اذا لم يكن عالماً يكون شجاعاً . فمانع اللرد رفتون في ذلك كثيراً ولكن الباقين نهضوا فقالوا لا بد من اتمام الملاكمة ولا بأس من استعمال القفاز فيؤمن شرها والحوا على مضيفي فقبل . فاحضروا القفاز ولم اكن اعرفهُ من قبل فاذا هو قطع من الجلد الصفيق مبطّناً بالمطّاط يطبق الملاكم يديهِ فيلفونهما بذلك الجلد ويربطونهما ربطاً محكماً عند المعصم بحيث تصير ايدي المتلاكمين كالكرة ويُتَّقى شر الاصابع وتأثير العظم . فخلعنا بعض اثوابنا والبسونا القفافيز ووقفت تجاه بلدوك استعداداً للنزال ثم اعطى احد الحضور الاشارة فاطبق بعضنا على بعض . ولا انكر اني شعرت بقشعريرة اصابتني في تلك الدقيقة لم اشعر بها قط في جميع اصناف المبارزة التي دخلت فيها مدة حياتي لانهُ لو كان في يدي سيف او غدارة لعلمت كيف استعملها واما ان تربط يداي ويطلب مني ان اصرع انكليزياً كبير الجسم كالبرميل فان ذلك فوق ما كنت انتظر ولا سيما وان اللرد رفتون قال لي ان الرفس ممنوع في الملاكمة والا لكنت برفسةٍ واحدة من حذائي المحدَّد تغلبتُ عليهِ . وتأملت خصمي فوجدت لهُ اذنين طويلتين فتمنيت ان تكون اصابعي غير مقيدة

لاقبض عليهما والقيهُ الى الارض . ولما أُعطيت الاشارة ابتدأنا بالملاكمة فكانت ضرباتهُ تقع على اضلعي وكتفي ورأسي فلم اهتم بألمها لانهُ لم يكن شديداً ولكن تعلمت منهُ اين يجب ان يكون الضرب فهاجمتهُ وضايقتهُ وسنحت لي منهُ فرصة اغتنمتها للحال فألقيتهُ بلكمةٍ الى الارض وجثوت على صدرهِ . فارتفع صياح الاعجاب بين الحضور وجعلوا يراهنون على فوزي . ولما نهض بلدوك رأيت في عينيهِ نيران الغيظ فتبسمت واظهرت اللطف والاستخفاف لان الرجل الفرنسوي يحارب ولا يحقد . ثم استأنفنا العراك فتمكن من القبض على عنقي بذراعهِ اليسرى واخذ يلكمني بيمناهُ حتى تضايقت فرفعت رأسي بجدة واستعنت عليهِ بلكمةٍ في جنبهِ الايسر دفعتها بقوة فارتفع بلدوك عن الارض وسقط عند قدمي اللرد رفتون ولم ينهض حتى كان قد انتهى الوقت المعين للملاكمة وهنأني الجميع على انتصاري

وكان للُّرد رفتون شقيقة تدعى اللادي جان داكر تسكن معهُ في القصر وتلاحظ شؤونهُ • وكانت تشعر بالوحدة وتتضايق من عشرآء اخيها الى ان جئت انا وتعرفت بها فأنست بي وكانت جميلة المنظر رقيقة الشعور تصبو الى كل ما هو سامٍ وعظيم • وزاد اعتبارها لي بعد تلك الملاكمة فكانت تزيد في مؤانستي وسرني ان ابقى بصحبتها اكثر من رفقآء اخيها لاني لم اتعود شرب ثلاث زجاجات من الوسكي بعد العشآء نظيرهم فكنت اتملص منهم واختلف الى غرفتها فنصرف ساعات تمر مر الدقائق اذ تجلس هي الى البيانو أو القيثار فتضرب بعض الاغاني الفرنسوية واغنيها أنا • وكنت ارى في حديثي معها ما يسليني عن فرقتي الهوسار التي كانت لا تفارق افكاري كل مدة اسري ولا سيما عند ما كنت اقرأ في الجرائد الانكليزية عن الحرب القائمة في البرتوغال والحدود الاسبانية والتي بكل اسف لم اتمكن من الوجود فيها بعد ان سقطت غنيمةً في يدي ولنتون • واذ اخبرتكم انني صرت صديقاً للادي داكر فقد صار من السهل عليكم ان تدركوا الباقي فاني تصرفت تصرف الشريف الفرنسوي وحافظت في معاشرتها على الادب فلم أظهر لها اقل ميل وامتلكت كل عواطفي كما يليق بالضيف في دار مضيفهِ • غير ان نظرات عينيَّ وحركات

اصابعي اذا وضعتها على كتاب الموسيقى كانت تفضح سرّي ولا اشك في انها عرفت ذلك لان للنساء قدرة غريبة على مثل هذه الاكتشافات ولكنها لم تقل كلمة واحدة بل كثيراً ما كانت تجلس في غرفتها سابحةً في بحار التأمل والافتكار فاجلس الى جانبٍ اراقب هيئتها واعجب بجمالها فاذا تكلمتُ اراها تنتبه برعشةٍ كانها لم تكن تظنني موجوداً معها . وكم تمنيت ان اتمكن من الجثوّ امامها واطلاعها على حبي فردَّني عن ذلك ما بيننا من الاختلاف في المقام وكوني طريداً في بيتهـا غير انني كنت اترقب الفرص لخدمتها بكل استطاعتي

وفي صباح يومٍ رق هوآؤهُ خرجت اللادي داكر في عربةٍ لتتنزه في احدى جهات دارتمور فخطر لي ان اسير الى تلك الناحية فارقب رجوعها وانال نظرة من وجهها الجميل فضلاً عن انتفاعي بالمشي في ذلك الصباح البارد . فخرجت اجد السير حتى بلغت ربوةً في تلك الطريق وادركني التعب فجلست على صخرٍ هناك وغرقت في تأملاتي . ولم يمضِ عليَّ اكثر من نصف ساعة حتى قرع اذني صوت عربة وصياح استغاثة فنظرت فاذا باللادي داكر تسوق جوادها وتحثهُ على السرعة بكل قدرتها وهي تلتفت الى ورآئها فعلمت انهُ يوجد من يتبعها ولكنني لم ارَ التابع من مكاني لانهُ كان محجوباً عني ورآء الرابية ولكنهُ ما عتم ان ظهر ممتطياً جوادهُ ومجدًّا في اثرها وهو يحاول ان يكلمها فلا تجيب

ولا تسألوا عن خفقان قلبي وسروري حينئذٍ ليس لانني رأيت اللادي داكر في ضيق بل لانني وجدت فرصةً اخدمها فيها فوثبت للحال من مكاني واندفعت اعدو الى جهة العربة ورأتني اللادي داكر فآنسها وجودي واستوقفت الجواد حالما صرت بالقرب منها . ونظرت الى الرجل فاذا بهِ في مقتبلِ الشباب حسن الهيئة فنظر اليَّ لحظةً وعاد الى مكالمة اللادي داكر بصوت منخفض و بسرعة كما يفعل الانكليز عموماً اذا كان لحديثهم اهمية . فقال قد قلت لكِ يا جان انكِ الوحيدة التي احبها فانسي ما مضى وتعالي اليَّ . قالت لا يا جورج ان هذا من المحال . فقال وقد صعد الدم الى وجههِ اماحان لكِ ان تصفحي عني . قالت كلا فانني لا اقدر ان انسى

الماضي . فقبض على معصمها بيدٍ حديدية وقال بلهجة التهديد قد مضى وقت التوسل وحان وقت الوعيد فيجب ان تصغي الى كلامي . واذ ذاك رفعت قبعتي وخاطبتها قائلاً هل يزعجكِ حضوري ايتهـا السيدة ام تسمحين لي ان اخدمكِ بشيء . فذهبت كلماتي ادراج الرياح لانهما لم ينتبها اليَّ بل كانت نظراتهما مشتبكة اشتباكاً شديداً ثم قال الرجل لا بدّ من الحصول على مطلبي بعد هذا الانتظار الطويل . قالت كلا لن يكون لك ذلك . فقال اهذا هو الجواب الاخير . قالت نعم . فترك يدها وصرَّ باسنانهِ وهو يردد بعض الشتائم ثم قال سنرى ما يكون

أما انا فلم اطق احتمال ذلك بل اخذت بعنـان جوادهِ وقلت لهُ اسمح لي بكلمة يا هذا . فنظر اليَّ نظرة حادّة وقال اغرب ايها اللعين الى جهنم ثم وخز جوادهُ فطار بهِ كالبرق وابتعد عنا فوقفت كالحيران . أما اللادي داكر فتبسمت ثم مدت يدها وقالت اشكرك يا كولونيل جيرار على حسن قصدك . قلت وانا ارجو منكِ ان تعطيني اسم وعنوان هذا الوغد . قالت اياك وذلك فلا ينبغي ان يعرف احد بما جرى . قلتُ حاشا يا مولاتي ان يذكر اسمكِ في ما اقصد ان افعلهُ فان ارسالهُ اياي الى جهنم سبب كافٍ لان ادعوهُ الى المبارزة . قالت وانا اتوسل اليك ان تنسى كل ما جرى بحضورك وتقسم لي بشرفك ان لا يخطر في بالك شيء ضد هذا الرجل وتعالَ معي الآن الى القصر فأحدثك عن هذا الامر . ولما رقيت العربة وجلست الى جانبها قالت ربما لا تعلم يا صديقي انني متزوجة فهذا الفارس هو زوجي اللرد جورج داكر . وقد كان من امرهِ انهُ بعد زواجنا بسنتين ساءني باعمالٍ لا مقتضي لذكرها فتركتهُ واتيت الى بيت اخي اللرد رفتون فبقيت فيـهِ الى اليوم ولذلك لا أحب ان يعلم اخي شيئاً عن هذه المقابلة لئلا يحدث بينهما ما لا أحب ان يكون . فقلت واذا نبتُ أنا عن اخيكِ في مبارزتهِ . قالت قد سألتك ان لا تذكر شيئاً من ذلك واعيد الحاحي الآن . فوعدتها بذلك وانا اردد تلك الحادثة في فكري وأود لو سمحت لي بأن اضع رصاصة في صدر ذلك الوحش لانهُ لا يليق ان يكون زوجاً لتلك الحمامة الوديعة وتمنيت ان لا اكون وعدتها بذلك . ثم خطر

لي انني سأُرسَل بعد اسبوع الى بليموث لابحر منها الى فرنسا فأنسى كل ذلك ولم يخطر لي قط انني سأحضر نهاية تلك الرواية واشخص فيها دوراً مهمًّا

وبعد تلك الحادثة بثلاثة ايام دخل اللرد رفتون الى غرفتي وقد بانت عليهِ ملامح الغيظ والانزعاج فقال هل رأيت اللادي جان يا جيرار . قلت لم ارَها الا في الصباح ونحن على الطعام . قال قد حدثت جناية في قصري يا جيرار فقد اخبرني احد رجال الشرطة انهُ رأى عربة يجرها جوادان كأنها تطير على الطريق وانهُ سمع منها صياح امرأة تستغيث وقد ارتفع صوتها على قعقعة الدواليب وفرقعة السوط وعلمت بعد هذا الخبر باختفاء شقيقتي جان فلا بد ان اللعين داكر قد اختطفها . ثم توقف بغتةً فقرع جرساً ولما حضر الخادم قال لهُ احضر جوادين في هذه اللحظة . ثم التفت اليَّ وقال تعال معي يا جيرار وهات غداريتك فاما ان ترجع جان معي الليلة او ان يستولي على هذا القصر سيدٌ سواي

وفي بضع دقائق كنت راكباً الى جانب اللرد نحث جوادينا لانقاذ تلك السيدة وقصدنا جهة البلدة التي يقطنها اللرد جورج داكر فكنا كلما اقتربنا نسمع خبر العربة المسرعة وصوت الاستغاثة . واحبَّ اللرد رفتون ان يسلي نفسهُ فجعل يقص عليَّ حديث صهرهِ فاعلمني انهُ من اسرةٍ شريفة عريقة في النسب القديم ولكنهُ كان منغمساً في كافة اصناف الرذائل كالمسكر والمقامرة وما شاكل ذلك ثم اظهر توبةً واهتداءً فاقترن باللادي جان ولكنهُ ما ابطأ ان رجع الى عوائدهِ القديمة واعتاض عنها بعشيقةٍ فتركتهُ وعادت اليَّ وبقيت عندي الى اليوم . وتدل قرائن الاحوال انهُ احتال عليها فاختطفها أفلا ترى من العدل ان نتبعهُ ونخلص هذه الفريسة الطاهرة من يدي ذلك الوحش الضاري . وقبل ان اجيبهُ صاح بي قائلاً هوذا بيت هذا اللعين امامنا في وسط تلك الحديقة فسنترك جوادينا عند بابها ثم وخز جوادهُ واقتفيت اثرهُ فما عتمنا ان بلغنا سور الحديقة فترجلنا وربطنا الجوادين وراء جدار هناك ثم انسللنا بين الاشجار الى ان قاربنا البيت فوقفنا نتأمل في ما يجب عملهُ وكيف نتمكن من مواجهة الاسيرة واطلاعها على وجودنا وقصدنا . وبعد قليل فُتح الباب

وخرج منهُ رجل عرفناهُ للحال انهُ اللرد داكر فتقدم خطوتين وصاح قائلاً تعال يا لرد رفتون ولا تختبئ ورآء الاشجار لئلا يظنك البستاني لصاً ويطلق عليك النار . فعجبنا من معرفتهِ بوجودنا وتقدم رفتون فتبعتهُ ورفعت قبعتي وحييت اللرد داكر فقال اهلاً بالفرنسوي ومرحباً فان لي معك ايضاً حساباً فتعاليا واتبعاني الى الداخل فننظر في حساباتنا بطريقة رسمية . ولما قال هذا سار امامنا فلم نتأخر عن اتباعهِ حتى دخلنا غرفة فسيحة . فقال داكر مخاطباً رفتون اظن يا عزيزي انهُ يجب قضآء الامور الاهلية بدون وجود اجانب فما شأن هـذا الفرنسوي وما دخلهُ في امر شقيقتك زوجتي . وقبل ان يجيبهُ رفتون قلت لهُ ليس الامر مما يختص بالزوجة والشقيقة فقط بل انني لحسن الحظ صديقٌ للسيدة المذكورة وعندي من الدم الفرنسوي الشريف ما يقضي عليَّ بان اساعدها اذا وقعت في ضيق واحميها من اعمال التوحش وان كان لا يرضيك هذا الكلام فدونك . ولما قلت هذا نزعت قفازي من يدي ورميتهُ بهِ . فتبسم تبسماً منكراً واخذ القفاز علامة قبولهِ المبارزة . ثم نظر الى رفتون وقال لهُ اراك اتيتني بوكيلٍ يدافع عنك وكنت اظنك آتياً لمناقشتي الحساب بنفسك فلا بأس . فقال رفتون هذا ما اتيت لاجلهِ وان يكن سبقني هذا الصديق فدونك قفازي ايضاً . فاخذهُ اللرد داكر وقال لا اتأخر عن مبارزتك بعد ان اقتل هذا اللعين فلن يترك احدنا هذه الغرفة الا محمولاً . ولما قال هذا فتح صندوقاً نحاسياً واخرج منهُ غدارتين وضعهما امامي وقال اختر لنفسك واحدة منهما فكلتاهما محشوتان واطلق انت اولاً واجتهد في قتلي لانك ان لم تفعل فانت مائت لا محالة . وكان في الغرفة مائدة كبيرة وقفت الى جانبها ووقف اللرد داكر الى الجانب المقابل . وخطر لي اذ ذاك امران شددا عزمي اولهما ان اللادي جان كانت تحاذر دخول اخيها في المبارزة والثاني حقدي على ذلك الوحش الضاري فعلمت انني ان قتلتهُ اكون قد قدمت اعظم خدمةٍ لمضيفي . غير ان اللرد رفتون كان يحاول ان يمنعنا عن المبارزة ليبتدئ بها هو ولما رأى ان محاولتهُ لا تجدي نفعاً قالَ لداكر اذا كان لا بد من المبارزة فابقياها الى صباح الغد واحضرا الشهود لانهُ اذا قُتل احدكما ورآء هذه المائدة بدون شهود

للطرفين يعد عملكما مخالفاً للشريعة ويحسب القاتل متعمداً فلا ينجو من حكم الشريعة . اما نحن فكان قد بلغ التحمس منا حدهُ ولم يبقَ سبيلٌ الى كفّنا عما عزمنا عليهِ فقلنا لهُ اننا قابلان المبارزة كما هي وعلى علاتها فلا فائدة من الالحاح . ثم طلب منهُ اللرد داكر ان يعطينا العلامة لاطلاق الرصاص فابى قائلاً ما دامت المبارزة غير مستوفية الشروط فلا ادخل فيها لئلا اكون شريكاً للقاتل . فتأفف اللرد داكر وضغط على زر الجرس فدخل الخادم فقال لهُ ادعُ لي ضيفي الكولونيل بركلي للحال . وما خرج الخادم حتى دخل الغرفة رجل طويل القامة نحيف الجسم لهُ شاربان لم ارَ في كل انكلترا اكبر منهما الا بين فرسان الهوسار وكان عاضًا على لفافةٍ سوداء كبيرة برزت من بين شعر شاربيهِ الكثيف بروز ساق الشجرة من بين العشب الملتفّ . فلما صار بيننا اطلعهُ اللرد داكر على سبب دعوتهِ فهز رأسهُ علامة الفهم . فقال لهُ اللرد رفتون اعلم يا حضرة الكولونيل ان شروط المبارزة غير متوفرة وانت المكلف باعطاء العلامة فاذا فعلت كنت انت المسؤول عما يحدث . فقال الكولونيل بالرزانة المشهورة ان الحالة الحاضرة غير عادية ولكنها طريقة غير شاذة ولا ارى ما يمنع حدوثها فانا مستعد لاكون مسؤولاً اذا دعت الحال الى ذلك

ولما اعيت اللرد رفتون الحيل قطب حاجبيهِ وانزوى في بعض جهات الغرفة . فتقدم الكولونيل وفحص الغدارتين ثم اخذت احداهما واخذ داكر الاخرى ووقفنا على طرفي المائدة وبيننا ثماني اقدام ووقف الكولونيل الى جانب وهو ممسكٌ لفافتهُ بيسراهُ ورافعٌ يمناهُ بمنديلٍ فقال متى اسقطت هذا المنديل فعلى كلٍّ ان ينحني فيلتقط غدارتهُ ويطلقها للحال افأنتما مستعدّان . فأجبناهُ نعم . وللحال فتح يدهُ فسقط المنديل الى الارض وانحنينا لنأخذ الغدارتين وكانتا موضوعتين على وسط المائدة ومن غرائب الاتفاق ان اللرد داكر كان اطول مني قامةً فسبقني ببضع ثوان وتمكن من اخذ الغدارة واطلاقها قبل ان انتصبت تماماً فمرت الرصاصة فوق رأسي ولامست شعري . فحمدتُ الله على قصر قامتي الذي لولاهُ لكنت من زمنٍ بعيد مدفوناً في تلك الارض الباردة وحرمتم سماع هذه القصة

ولما تحققت ذلك رفعت يدي لاطلق في نوبتي واذا بالباب قد فتح بسرعة البرق وشعرت بذراعين التفّتا على يديّ بشدة فمنعتاني الاتيان بحركة . ونظرت فاذا باللادي جان نفسها تتوسل اليّ ان لا اطلق الغدارة وهي تقول ارحموني ففي الامر عدم تبصر وسوء فهم فان هذا الرجل أعزّ عزيز لي وهو زوجي المحبوب فلن افارقهُ بعد الآن . ولما قالت هذا قبضت على غدارتي فتركتها لها مدهوشاً . اما اللرد رفتون فنظر اليها وقال يا جان يا شقيقتي العزيزة تعالي معنا لانهُ لا يليق بكِ البقاء هنا . قالت عدوني بالشرف و بكل عزيز عندكم انكم لا تدعون الكولونيل جيرار يطلق غدارتهُ . فقال اللرد داكر اتركيهِ يا عزيزتي جان يتمم المبارزة لانهُ ثبت امام طلق غدارتي كرجل فيجب عليّ الثبوت امامهُ لتحصل المساواة مهما كلفني الامر . وكنت قد اشرت الى اللادي جان بطرفٍ خفي ففهمت مرادي وتركت لي الغدارة قائلةً اني اترك حياة زوجي وسعادتي العظمى تحت تصرف الكولونيل جيرار

أما انا فصوبت غدارتي الى اللرد داكر معجباً بذكاء جان وقدرتها على فهم معناي وثبوت زوجها ومقابلتهِ الرصاص بشجاعة . والحّ عليّ اللرد داكر ان انجز عملي حالاً اما انا فكنت قد صممت على ان لا اصيبهُ بأذى ولكن احببت ان اريهم مهارتي في اطلاق الرصاص فحولت نظري الى الغرفة لارى غرضاً ارميهِ امامهم فرأيت اللفافة في فم الكولونيل بركلي وقد ادار وجههُ الى جهة خصمي فاغتنمت الفرصة وبأسرع من لمح البصر صوبت الغدارة واطلقتها قائلاً اسمح يا حضرة الكولونيل ان انزع لك الرماد من لفافتك . واصابت الرصاصة اللفافة فأطارت رمادها ونحو قيراطٍ من طرف اللفافة . اما هو فارتعش شديداً ثم تمالك وكأنهُ غاظهُ فعلي فاندفع بكلامٍ قبيح لم انتظر سماعهُ حتى قال لهُ اللرد داكر اقصر يا حضرة الكولونيل عن هذا الكلام ولا تنسَ ان في الغرفة سيدة لا يليق التفوه بهذا الكلام امامها . فخجل الرجل ثم نظر الى اللادي جان فقال اسألكِ يا مولاتي مغادرة الغرفة فلي كلامٌ اقولهُ لهذا الفرنسوي الجهنمي . أما انا فأدركت ان لا بد من المداخلة فقلت لهُ اني اعتذر اليك يا سيدي عما سببتهُ لك من الارتعاش ولكنني علمت اني ان لم

اطلق غدارتي اكون قد احتقرت شرف اللرد داكر وان اطلقتها عليهِ فلا بد من قتلهِ وهذا ما نهتني عنهُ زوجتهُ فنظرت في الغرفة لاجد غرضاً ارميهِ فأريكم مهارتي واجتنب اهانة اللرد واهانتي فرأيت لفافتك وقد علاها الرماد فنزعتهُ برصاصتي وانا آسف ان الغدارة قد خانتني هذه المرة فأخذت معها قسماً من اللفافة ايضاً . اما وقد اوضحت لك الامر فأنت حرٌّ في ان تعذرني أو ان تطلب مني الترضية التي لا اتأخر عن تقديمها

وكانت كلماتي والهيئة التي قلتها فيها قد غيرت طبائع الجميع فتبسموا معجبين بي وتقدم اللرد داكر فصافحني قائلاً لم يخطر لي قط ان احب فرنسويًّا كما صرت احبك الآن . اما اللرد رفتون فكان في ضغطهِ على يدي ما يغني عن الكلام حتى ان الكولونيل بركلي نفسهُ اثنى عليَّ ووعد انهُ لا يستاء من خسارة لفافتهِ . اما اللادي جان فانها نظرت اليَّ بعيون ملؤها الشكر والاعجاب

وكان قد حان وقت الطعام فدعوني لتناولهِ معهم فرفضت بالضرورة لانهُ لم يكن يليق ان ابقى هناك لا أنا ولا اللرد رفتون لان الزوجين اللذين قد تصالحا يجب ان يبقيا منفردين . وعلمت بعد ذلك ان اللرد داكر لما اختطف زوجتهُ اقنعها في الطريق بتوبتهِ التامة وقدم لها البراهين الاكيدة على حبهِ واخلاصهِ . وهكذا انتهت تلك الحادثة بوفاقهم وسرورهم وقد سمعت بعد ذلك بسنين ان قصر اللرد داكر اصبح اسعد واهنأ قصر في انكلترا للوفاق التام بين اللرد وزوجتهِ

وفي الوقت المعين لي عدت الى فرنسا وانا غير ناسٍ ما صادفني في تلك الضيافة كما اعتقدت ان اللادي جان لم تنسَ جيرار وانها بقيت الى الممات حافظةً لهُ محلاً صغيراً في بعض زوايا قلبها . ولكن ما لي ولكشف اسرار السيدات فان اللادي جان قد توفيت من امدٍ بعيد ولعلَّ كل اولئك الاصحاب قد تفرقوا ولم يبقَ للادي جان ذكر الاَّ ما حفظهُ في قلبهِ هذا الشخص الواقف امامكم والذي لن ينساهُ ابداً

تاريخ الادبيات العربية

(تتمة ما سبق)

ولقد كنا نودّ ان نستقري هذا الكتاب الى آخرهِ ونتابع الكلام على كل ما يتفق لنا العثور عليهِ من الاوهام ولكننا لم نملك من الوقت ما يتسع لذلك لان الكتاب يقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة فتخطينا القديم الى الحديث لنقف على موضع كلامهِ من وصف الحقائق العصرية . على ان الذي يؤخذ من مقدّمة المؤلف انهُ لم يعتمد في هذا الفصل الاخير على شيء من التآليف التي سبقت كتابهُ فهو مما انفرد فيهِ بنفسهِ وقد يكون استعان ببعض المكاتبين من اخوانهِ في هذه الآفاق وعلى كل حال فالفصل لا يخرج عن كونهِ تأليفاً فرنسويًّا محضاً . . .

وهذا الفصل مخصوصٌ بمن جآء من الادبآء في القرن التاسع عشر على ما تقدمت الاشارة الى ذلك في صدر هذا المقال . وقد ذكر جماعةً منهم ممن كان لهم اتصالٌ بالحملة الفرنسوية المشهورة في مصر في اوائل القرن المذكور كميخائيل الصبّاغ واليوس بقطر ونقولا الترك وقد ذكر عن هذا الاخير (ص ٤٠٦) أن الامير بشيراً الشهابيّ اوفدهُ الى مصر ليتجسس لهُ مقاصد الفرنسيس (كذا) . ومما ذكرهُ في هذا الموضع ان الامير بشيراً المشار اليهِ كان درزيًّا وما نحسب هذا القول منهُ الا رجماً بالغيب فان الرجل كان مسيحيًّا كسائر أُسرتهِ وذراريّهِ الباقية الى اليوم في جبل لبنان . على ان هذه العشيرة ليس فيها درزيٌّ ولم تكن قطّ من الدروز وانما هي في

الاصل عشيرةٌ مسلمة كما يُعلَم ممن بقي منها على دين الاسلام في وادي التيم

ثم انتقل الى ذكر المرحوم والد صاحب هذه المجلة (ص ٤٠٧) فخبط في الكلام عليهِ خبطاً عجيباً حتى لم يكد يذكر عنهُ شيئاً صحيحاً . فاول ما ذكر انهُ توفي في ٥ فبراير سنة ١٨٧١ والصحيح ان وفاتهُ كانت في ٨ منهُ . ثم ذكر انهُ كان استاذاً يدرّس عند مرسلي الاميركان في بيروت والآخر ايضاً غير صحيح فانهُ كان يصحح كتبهم وعلى الخصوص تعريب الاسفار المقدسة من كتب العهدين على ما هو مشهور . وانتقل بعد ذلك الى سرد مؤلفاتهِ فذكر انهُ الف مجموع نُخَب شعرية سماهُ مجموع الادب وكأنهُ اخذ ذلك من معنى تسمية الكتاب فتوهم انهُ مجموع نخب شعرية او مقالات ادبية وانما هو اسمٌ جامع لكتابي عقد الجمان في علم البيان ونقطة الدائرة في علمي العروض والقافية . ثم ذكر كتابهُ العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب وهو شرح ديوان المتنبي المشهور وذكر هناك ما يستفاد منهُ ان هذا من مؤلفاتهِ التي سبقت تأليف مقاماتهِ المعروفة بمجمع البحرين والصحيح ان هذا الكتاب لم يظهر الا بعد وفاتهِ بخمس عشرة سنة وكان رحمهُ الله قد شرع في تأليفهِ فعلّق اشياء على بعض مشكل ابياتهِ وغامضها و بعد وفاتهِ اتمّهُ كاتب هذه السطور كما تجد ذلك صريحاً في تذييل الكتاب . وذكر بعد ذلك كتاب عقد الجمان المشار اليهِ قُبَيل هذا فقال انهُ في علم العَرُوض وقد قدّمنا انهُ في علم البيان . ثم ذكر من مؤلفاتهِ الكتاب المسمى باللامعة في شرح الجامعة وهي ارجوزة مطوَّلة في علمي العروض والقافية وانما الشرح للمرحوم حبيب شقيق صاحب هذه المجلة والذي للمرحوم الوالد هو

المتن اي الارجوزة . ونسب اليهِ الكتاب المسمى بعقود الدُرَر في شرح شواهد المختصر وهو الشرح الذي وضعهُ حضرة الاستاذ شاهين افندي عطية لابيات الشواهد الواردة في مختصر نار القرى لصاحب هذه المجلة . على انهُ ذكر قبل ذلك كتاب نار القرى ولم يبيّن ما هو ولا عرَّف المختصر . وذكر من دواوينهِ النبذة الاولى وثالث القمرين ولم يذكر نفحة الريحان مع ان في تسمية ثالث القمرين ما يشير اليها

وذكر بعد ذلك (ص ٤٠٩) المرحوم المعلم بطرس البستاني فقال ان من مؤلفاتهِ محيط المحيط وهو تذييل او تكملة لقاموس الفيروزابادي قال وقد استعان بهِ دُوزي في تأليف معجمهِ الذي جعلهُ تكملة المعجمات العربية[1] (راجع انتقادنا لهذا الكتاب في مجلة الطبيب تحت العنوان المذكور) . وانما محيط المحيط معجمٌ كامل للُّغة ضمَّنهُ كل ما في قاموس الفيروزابادي وزاد عليهِ ما وصلت اليهِ يدهُ من غيرهِ فجآء اوسع منهُ كثيراً ولذلك سماهُ محيط المحيط

ثم ذكر المطران يوسف الدبس (ص ٤١٢) فزعم انهُ نظم اشعاراً عاميّة اي تتناشدها العامّة وهو ما لم نسمع بهِ من غيرهِ . وذكر بعدهُ المرحوم نقولا النقاش فقال انهُ وُلد في صيدا سنة ١٨١٧ وتوفي في طرسوس

---

(١) دوزي رجل هولندي من مشاهير علمآء المشرقيات ولد في ليدن سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٨٢ وكان معظم اشتغالهِ بالعربية ولهُ فيها تصانيف اشهرها كتاب الملابس عند العرب والمعجم المشار اليهِ هنا ذكر فيهِ كل ما لم يجد لهُ ذكراً في المعجمات العربية وهو كتابٌ كبير يقع فيما ينيف على ١٧٠٠ صفحة

سنة ١٨٥٥ وانهُ ألّف كتاب ارزة لبنان نخلط بين المرحوم نقولا النقاش واخيهِ المرحوم مارون . وذكر بعد ذلك (ص ٤٣٢) مجلة انيس الجليس وفسّر انيس الجليس بالرفيق الامين (Le Compagnon fidèle) ونسبها الى السيّدتين الكسندرا افيرينو ولبيبة هاشم وهو عجيب مع ظهور هذه المجلة كل شهر وفي صدرها اسم صاحبتها بالعربية وعلى الجانب الآخر اسمها بالفرنسوية ...

وقد بقي هناك اشيآء أُخر اجتزأنا عن ذكرها خوف الملل وفي مأمولنا ان المؤلف اذا وقف على هذه المآخذ وجد من حرصهِ على تقرير الحقائق ما يدعوهُ الى تلقّيها بالصدر الرحب وينبّههُ الى مراجعة رأيهِ في سائر الكتاب وفي رأينا انهُ لا غضاضة عليهِ ان يستعين باحد ابنآء هذه اللغة في تسديد ما يكتبهُ عن ذويها فان صاحب البيت ادرى بما فيهِ والله الهادي الى سواء السبيل

ذكرى الهند

(تابع لما قبل)

وبعد ان اقمنا في بمباي اياماً ركبنا القطار الحديدي فسرنا الى بونا المشهورة بطيب هوآئها فبتنا فيها ليلةً ثم سرنا منها الى حيدر اباد الدكن . ومن غريب ما شاهدناهُ في طريقنا بعد خروجنا منها اننا رأينا فلاّحاً يحرث الارض بثمانية ثيران والسكة واحدة . وبلغنا حيدر اباد في مسآء الغد فاقمت هناك اياماً قضيت فيها عدة زيارات وكان ممن زرتهم ناظر المالية السيد علي بلكرامي الرجل الشهير بالمعارف في الهند فهو يعرف السنسكريتية والفارسية

ثمانية يزعم الهنود ان هذا الحوض كان يُملأ بمآء الورد فينزل الملك في قارب ويجول فيه

وعلى مسافة ميلين من القلعة قبور سلاطين المغول وغيرهم وعليها قباب شامخة الارتفاع ذات هندسة بديعة وقد قرأنا على احد القبور ما صورتهُ « هذا قبر الحرة الفاضلة ام عبدالله مولاة السلطان الاجل يحيي بن السداد الموفق الثغري الاسلامي توفيت في آخر رمضان سنة ٥٦٣ »

ومدينة حيدر اباد مؤلفة من اربع محلّات (جمع محلّة) وهي اسكندر اباد وتومكري و بولارم وحيدر اباد و يطلق على الكل حيدر اباد من باب تسمية الكل باسم البعض. وسكان هذه المحلات يبلغون زهآء خمس مئة الف نسمة منهم ثلاث مئة الف مسلمون واكثرهم على مذهب السُنّة والباقون من الهنود الوثنيين والفرس عَبَدة النار والشمس واما المسيحيون فلا يزيدون على الفي نفس

والعسكر الوطني مؤلف من المسلمين والهنود والمسيحيين . وفي كل مدرسة ضابط او اثنان تعينهما الحكومة لتعليم فن العسكرية للطلبة باجمعهم حتى الصغار . وفي المدينة فرقة من الخيالة تطوف الازقة والشوارع كل حين وفي ايديهم المزاريق للمحافظة على الراحة العمومية

وقد زرنا يوماً المكتبة الملكية فرأينا فيها كثيراً من دواوين عربية وفارسية وكتب دينية اسلامية منها بخط اليد ومنها مطبوعة وفيها شيء كثير باللغة الانكليزية وابواب هذه المكتبة مفتوحة ليلاً ونهاراً لمن شآء المطالعة في الكتب او الجرائد المحلية او الاجنبية

ولبثنا في حيدر اباد الى اليوم الخامس من كانون الاول وفي السادس منهُ ركبنا القطار قاصدين كلكتّا فقطعنا بلاداً واسعة كلها مخصبة خضرآء كثيرة الاحراج والمزارع والمياه الى ان بلغنا كلكتا بعد ٤٨ ساعة فنزلنا من القطار وسرنا الى دار رئيس اساقفة كلكتا السيد بولس غولتاز . فجزنا فوق جسر حديدي امام المدينة طولهُ ١٢٤٠ قدماً انكليزية او ما يقرب من ٤٠٠ متر ويُفتَح هذا الجسر لمرور البواخر البحرية الكبرى ولمرور القطار الحديدي من جانبهِ الشرقي

وبعد ان اقمنا بهذه المدينة اياماً زرنا مها راجا تاكور (والراجا اسمٌ كانت تلقب بهِ ملوك الهند قبل استيلآء الانكليز على البلاد) ولما بلغنا القصر اذا جنديان شاكيا السلاح واقفان على باب القصر ولكل راجا انعام من لدن الحكومة الانكليزية ان يتخذ خمسة وعشرين جندياً لحراستهِ . وفي مدخل القصر غرفة معلق على جدرانها مئات من السيوف والمكاحل (البواريد) والخناجر والتروس . ثم رقينا الدَرَج فلما بلغنا اعلاهُ استقبلنا ابنهُ الاكبر فمشى امامنا حتى افضى بنا الى ردهة فسيحة مفروشة بالرياش الثمين والاخشاب الهندية البديعة الصنعة . وهناك تلقانا الراجا فوجدنا فيهِ انساً ولطفاً وعلماً وهو مولع بفنّ الموسيقى وقد الّف فيهِ كتاباً ضخماً وربط الغنآء الهندي بعلامات كعلامات الغنآء الاوربي

وفي كلكتا دارٌ للآثار والمعروضات وهي بنآءٌ فخيم من اعظم ابنية الهند واقع في اجمل مكان من المدينة وامامهُ الساحة العمومية . وقد ذهبنا لزيارتهِ فوجدنا فيهِ معارض لكل نوع من الحيوان من طير ودوابّ وهوام واسماك

بين حيّ ومحنَّط ورأينا فيهِ بعض هياكل الحيوانات المنقرضة . ومعارض اخرى للنبات والحبوب وغيرها للمعادن والاسلحة والاصنام الهندية ومعرضاً لصنائع الهند كالصياغة والنجارة والنساجة والتصوير وغير ذلك . وفي جملة المعروضات هناك تماثيل كبيرة تشخّص اصناف البشر بتركيبها وهيئاتها والوانها فترى القوقاسي والاوربي والهندي والصيني والافريقي والزنجي الاميركاني والاعرابي والكردي والتركي وكلها متقنة الصنع وعلى قدمي كل تمثال لوحٌ مكتوبٌ عليهِ اسم الجيل الذي هو منهُ . وقد رأينا جثة انسان محنَّطة أُتي بها من مصر وكذلك بعض عاديّات من آثار بابل مكتوبة بالحرف المسماري اي الاشوري

اما الاصنام المجموعة من اطراف الهند فكثيرة ومتنوعة لكن لا اتقان فيها وهي شنيعة المنظر لا تناسُب في تمثيل اعضائها بعضها من حجر سماقي وبعضها من حجر اسود او ابيض وبعضها من رخام

وفي مدة وجودنا هناك كان بعض النجارين من الصينيين والهنود يشتغلون في الدار المذكورة بصنع هيكل جسيم من الخشب يمثل معابد وثنيي الهند يبلغ ارتفاعهُ اثني عشر متراً عليهِ تصاوير بديعة ونقوش مجسَّمة وكان القصد منهُ ان يُرسَل الى معرض باريز الذي فُتح في ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠

(ستأتي البقية)

من كلام الشاطبيّ اشتغالك بوقتٍ لم يأتِ تضييعٌ للوقت الذي انت فيهِ

اللحن الكتابيّ

(عودٌ على ما في الجزء السابق)

ذكرنا قبلاً ما يتعلق بهذا الفن وأبنّا طريقة اصطلاحهم في كتابة الرسائل القلمية وبقي الكلام في المراسلات البرقية وهي ترجع في الاكثر الى الطرائق المتقدمة. لكن لما كان كثيرٌ مما ذُكر كالشبكة والرسوم الرمزية لا سبيل الى استخدامهِ فيها لم يكن بدٌّ من حصر الاصطلاح في الحروف الهجائية والارقام الهندية فتُجعَل الارقام مكان الحروف على نحو ما سبق في المراسلات القلمية او يوضع بعض الحروف مكان بعض على طريقةٍ يُتواطأ عليها بين الطرفين. وذلك بان تُرسَم الحروف في دائرتين متّحدتي المركز احداهما تُنسَق فيها الحروف على ترتيبها المتعارَف والثانية يُخالَف فيها في ترتيبها على غير قاعدةٍ ولا اصطلاحٍ معلوم كما ترى في الرسم. فان الحروف التي في الدائرة الخارجية مرتبة على النسق المعروف من الالف الى الياء والتي في الدائرة الداخلية موزَّعة على ما اتفق من غير مراعاة ترتيب. وعند الكتابة يؤخذ عوض كل حرف من الدائرة الخارجية الحرف الذي يقابلهُ في الداخلية وهي طريقة واضحة سهلة الكتابة والحلّ مع وجود الرسم المتواطأ عليهِ عند الفريقين غير انهُ لا يؤمن والحالة هذه ان يُهتدَى الى اكتشاف السرّ في هذه

الطريقة وحينئذٍ فلا بدّ ان يُخالف في استعمالها الى ما يضلّل فكر المكتشف ويسدّ عليهِ طريق الحلّ وذلك بان تُنقَل احدى الدائرتين عند كل حرف حتى يؤخذ عوض الحرف المقابل الحرف الذي يليهِ على ما سنوضحهُ . وقد اصطلحوا لذلك على ان تُرسَم كلٌّ من الدائرتين مستقلةً عن الاخرى بان يُقطَع قرصان من المقوّى مستديران احدهما اكبر من الآخر وتُرسَم الحروف على محيط كلٍ منهما بحسب ما ذُكر ثم يوضع الاصغر فوق الاكبر ويُغرَز نحو مسمار او دبّوس في الوسط بحيث يمكن ان يدار كلٌّ منهما وحدهُ وبذلك يسهل نقل كل حرفٍ من الدائرة الخارجية الى محاذاة كل حرفٍ من الداخلية . غير انهُ لا بد عند رسم الحرف الاول من الرسالة ان يؤخذ مقابلهُ بعينهِ حتى يكون مبدأً للحل ثم يقع النقل فيما يليهِ

وعليهِ فاذا شئنا ان نرسم كلمة « مصر » مثلاً عمدنا الى حرف الميم من الدائرة الخارجية في الرسم المتقدم ونظرنا ما يقابلهُ من الداخلية وهو الضاد فنأخذهُ بعينهِ . ثم نعمد الى الصاد فننقل الدائرة الخارجية حرفاً واحداً من اليمين الى الشمال كما يشير اليهِ السهم المرسوم بجانبها فتقع الصاد مقابلةً للتاء . ثم عند رسم الراء ننقل الدائرة الخارجية حرفاً آخر فتقع مقابلةً للقاف فنكتب مصر هكذا «ض ت ق » او « ضتق » اي بوصل الاحرف للتمييز بين كلمة وكلمة عند الحلّ . واذا اردنا ان نرسم « مصر القاهرة » كتبنا مصر كما سبق ثم تتبعنا بقية الحروف مع نقل الدائرة الخارجية عند كل حرف مسافة حرفٍ واحد فيأتي مجموع الكلمتين هكذا « ض ت ق ي غ ف ا ث ب ا » وقس على ذلك .

وهناك اصطلاحٌ اسهل وهو ان تؤخذ الحروف على ترتيبها المعتاد لكن تُقسَم نصفين يُبدأ من ثانيهما فيعبّر عن الالف بالضاد وعن البآء بالطآء وهكذا الى الصاد المهملة فيعبّر عنها بالياء ثم يعبّر عن الضاد المعجمة بالالف وعن الطآء بالبآء وهلمّ جرًّا. وهذه الطريقة لا يُحتاج فيها الى دوائر مرسومة ولكن يكفي ان تُكتَب الحروف سطراً مستقيماً ومتى عُرِف الحرف المقابل للألف منها يُجعَل مبدأً ثم تُتتبَّع بقية الحروف على ترتيبها

وتُستعمَل هذه الطريقة على وجهٍ آخر هو بنفس السهولة ولكنهُ صعب الحلّ وهو ان تُستخدَم عدة سلاسل للحروف الهجآئية يختلف مبدأ كلٍّ منها تُبنَى على مفتاح مخصوص يتواطأ عليهِ المتراسلان . وذلك كأن يتّفقا على ان يكون مبدأ كل سلسلة حرفاً من كلمتي « كتاب الاغاني » مثلاً فيؤخذ الحرف الاول من سلسلة تُبدأ بالكاف والثاني من سلسلة تُبدأ بالتآء وهلمّ جرًّا واذا فرغت حروف المفتاح تُستأنَف مرةً اخرى على الترتيب نفسهِ . وعليهِ فاذا شئنا ان نرسم « مصر القاهرة » بمقتضى المفتاح المذكور جآء الرسم هكذا « ظ ط ر ب ل ض ا ط ر ك » واذا اردنا التعبير عن كلمتي المفتاح نفسهِ وهما « كتاب الاغاني » جآء رسمها هكذا « ص ج ا ت ا ظ ا ذ ا ق و »

ومن الناس من يتخذ طريقةً غير ما ذُكر وهي ان يتفق المتراسلان على كتابٍ معلوم من الكتب المشهورة وتُتفقّد في تضاعيفهِ الكلمات المراد التخاطب بها ثم يشار الى موضع كل كلمة بثلاثة ارقام يُدَلّ باحدها على الصفحة من الكتاب وبالثاني على السطر وبالثالث على الكلمة وهي اصعب

هذه الطرائق على الكاتب واشدّها غموضاً على من يريد اكتشافها على ان اكثر الكتابات السرية تلغرافية كانت او غيرها يمكن حلها بعد ممارسة هذا الفن ومزاولة رموزهِ وذلك اما باكتشاف الطريقة التي اصطلح عليها المتكاتبان واما بالحدس فيها من طريقٍ آخر مما لا مُتَّسَع للافاضة فيهِ هنا . وقد ذُكر انهُ في القرن السادس عشر كان زعماء الاسپنيول يتراسلون بضربٍ من اللحن شديد الغموض يتألف من اكثر من خمسين علامة كانوا يبدّلون مفتاحهُ حيناً بعد حين مغالطةً لمن يزاول اكتشافهُ وكان في فرنسا رجلٌ من علماء الهندسة يقال لهُ ڤيّات فكان يقرأ كل ما يقع في يدهِ من تلك المراسلات ويتتبع كل ما يطرأ فيها من التبديل حتى شاع بين رجال الحكومة في مدريد ان بلاط فرنسا يستخدم الشياطين

اما اللحن الكتابيّ عند العرب فكان قليل الاستعمال وما نُقل الينا منهُ لم يكن مبنيًّا على قاعدةٍ ولا سبق تواطؤ وانما كان ينوب فيهِ عن التواطؤ ذكاء الفطرة وحدّة الذهن . فمن ذلك ما حكي عن بعض الملوك انهُ عزم على قصد عدوّ لهُ فارسل رجلاً خبيراً يتجسس لهُ فلما دخل الرجل بلد العدوّ وجدهُ في غاية التحصن والقوّة وشعر بهِ الملك فقبض عليهِ وامرهُ ان يكتب كتاباً الى مرسلهِ يذكر لهُ انهُ وجد القوم ضعفاء ويطمعهُ فيهم ويزيّن لهُ الخروج من محلهِ وتهدّدهُ بالقتل ان لم يفعل فلم يستطع الا الامتثال فكتب اليهِ بما صورتهُ

« اما بعد فقد احطت علماً بالقوم واصبحت مستريحاً من السعي في تعرُّف احوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم . وقد كنت اعهد من

اخلاق الملك المهلة في الامور والنظر في العاقبة ولكن ليس هذا وقت النظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله وقد رأيت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك نصحتُ فدَع ريبك ودَع مهلك والسلام

فلما انتهى الكتاب الى الملك قرأهُ على رجالهِ فطالت اعناقهم وقويت قلوبهم ثم ان الملك خلا بكبرآئهِ وقال اريد ان تتأملوا هذا الكتاب فاني شعرت منهُ بامر واني غير سائر حتى انظر في امري . فقال بعضهم ما الذي لحظ الملك في الكتاب فقال ان فلاناً من الرجال ذوي الحصافة والرأي وقد انكرت ظاهر لفظهِ فتأملت فحواهُ فوجدت في باطنهِ خلاف ما يوهم الظاهر . وذلك في قولهِ اصبحت مستريحاً من السعي فيريد انهُ محبوس . وقولهِ استضعفتهم بالنسبة اليكم يريد انهم ضعفنا لكثرتهم . وقولهِ انكم الفئة الغالبة باذن الله يشير الى قولهِ تعالى وكم فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرةً باذن الله . وقولهِ رأيت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك فاني تأملت ما بعدهُ فوجدت انهُ يريد بالقلب العكس لان الجملة الآتية مما يوهم ذلك فقلبت الجملة وهي قولهُ « نصحت فدع ريبك ودع مهلك » فاذا مقلوبها « كلُّهم عدوٌّ كبير عُدْ فتحصَّن » . اهـ

وكانوا احياناً يتلاحنون بالتصحيف وهو تبديل النقط في الخط ومن امثلة ذلك ما ذكرهُ صاحب نفح الطيب قال ان المعتمد مرَّ مع وزيرهِ ابن عمار ببعض ارجآء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيهِ الحيآء . وكان ذلك بموضع الجبّاسين الذين يصنعون الجِبس والجيّارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع

الجيّارين وقال يا ابن عمّار الجيّارين . ففهم مرادهُ وقال في الحال يا مولاي والجبّاسين . فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمّار فقال لهُ المعتمد لا تبعها منهم الاغالية . وذلك ان المعتمد صحّف «الحيا زَين» بقوله «الجيّارين» اشارةً الى ان تلك المرأة لو كان لها حيآء لازدانت فقال لهُ « والجباسين » وتصحيفهُ «والخنا شَين» اي هي وان كانت جميلة لكن الخنا شانها وهذا شأوٌ لا يُلحَق . اه

وربما استعملوا اللحن في غير لفظٍ ولا خطّ وذلك كما جآء في ديوان الصبابة لابن ابي حجلة قال ومن احسن ما سمعتهُ في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حُكي عن الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين انهُ كان في ايام ابيهِ احبّ قينةً وشُغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعهُ من صحبتها ومنعها منهُ ومضى على ذلك مدة ايام فسيّرت اليهِ مع خادم كُرَة عنبر فكسرها فوجد فيها زرّ ذهب فلم يفهم مرادها وجآء القاضي الفاضل فعرّفهُ الصورة فقال في الحال

اهدت لك العنبر في وسطهِ　　　زرٌّ من التبر دقيق اللحامْ
فالزرُّ في العنبر تفسيرهُ　　　زُرْ هكذا مستتراً في الظلامْ

اه . واخذ قولهُ « زُرْ » من اسم الزرّ ومعنى الظلام من لون العنبر . ومن تفقد كتب الادب وجد غير ما ذكر ولكننا اقتصرنا على هذا القدر حب الاختصار

التسمم بملح الطعام

نشر بعض الاميركان منذ مدة ان الاكثار من الملح يعصم من الامراض ويكون سبباً في تقوية الدم واطالة الحياة وقد شاع هذا القول وتناقلتهُ الجرائد والمجلات وربما اغترّ بهِ بعض الحِراص على الحياة فاخذ يستفّ الملح استفافاً. وقد وردتنا عدة اسئلة في استثبات هذا الامر فرأينا افضل جوابٍ على ذلك ان نعرّب فصلاً قرأناهُ في احدى المجلات العلمية للدكتور مُنار قال

ان اسلم الاطعمة في بادي الرأي قد يكون مؤذياً لبعض اجزاء البنية كما ان من الموادّ التي اشتهر انها من اقتل السموم ما لا تتمّ وظائفها بدونهِ . فان الزرنيخ مثلاً على ما أثبتهُ المسيو أرمان جُوتيّاي يدخل في تركيب بعض كُرَيّات الجسم دخولاً ذاتيًّا فيوجد في كُرَيّات البشرة والشعر ويتجمع على الخصوص في الغدة الدرقية . وهو كثير الانتشار في الطبيعة ويمكن ان يُستخرَج من بعض الخضراوات ولا سيما الكرنب . وعلى الجملة فان هذا السمّ الذُعاف لا يخلو منهُ غذآؤنا اليومي ولكن المقدار الذي يدخل اجسامنا منهُ لازمٌ لقيام انسجة البنية بما لا يقلّ لزوماً عما يدخلها من بعض الاملاح المعدنية

على ان الزرنيخ الذي يخالط الاطعمة انما يدخل البنية اجزآءً من الف من الميلغرام وهو اذا لم يتجاوز بضعة ميلغرامات كان في جملة الادوية ولكنهُ اذا بلغ بضعة سنتغرامات لم يؤمن خطرهُ . وكذلك الاملاح المعدنية المذكورة فانهُ مع ما يسبق الى الذهن من صلاحيتها اذا كثرت مخالطتها

للغذآء اليومي الى حدّ الافراط لم تكن سليمة العاقبة

واشهر ما يمثَّل بهِ على ذلك ملح الطعام او كلورور الصوديوم فإنهُ ما زال في كل زمنٍ يُعَدّ من الموادّ التي لا بدّ منها للغذآء وليس من امةٍ في الارض الا تستعملهُ حتى ان سكان اواسط افريقيا يبتاعونهُ باغلى الاثمان ويأتيهم محمولاً مع القوافل لخلوّ تلك الارض منهُ . ومع ذلك فانهُ قد يكون من السموم لبعض انسجة الجسم بل للجسم كلهِ اذا أُفرِط في استعمالهِ الى ما ورآء الاعتدال

ولبيان ذلك نقول ان الاطبآء اخذوا منذ بضع سنين يعالجون المصابين بفقر الدم بمحلول ملح الطعام في المآء المقطر وهو المعروف بالمصل الصناعي يحقنونهُ تحت الجلد بقصد التقوية فكان لهذا الحقن فائدة لا تُنكر لكن وُجد انهُ احياناً يُحدِث تورُّماً. ثم ان التورُّم الذي يصحب علل الكليتين و بعض العلل القلبية يُعالَج عادةً باللبن مع المنع عن سائر انواع الاطعمة وقد علم ان هذا العلاج انما يفيد لانهُ بقَصر العليل على اللبن وحدهُ يُصرَف عنهُ جانبٌ كبير من الملح الذي يخالط الموادّ الغذآئية لا لأن في اللبن خاصّيةً تمنع ارتشاح مصل الدم الذي يحدث التورم عنهُ اذ قد ثبت بالتجربة انهُ لو أُعطِي العليل عوض اللبن طعاماً آخر خالياً من الملح سوآء كان من اللحم او الخضراوات او الخبز لحصل النفع عينهُ واذا اعطي اللبن بعد ذلك مضافاً اليهِ عشرة غرامات من الملح في اليوم عاد الورم

وسبب التورم المذكور على ما ذكرهُ الدكتور آشار ان الملح اذا زاد عن المقدار اللازم للبنيــة او ضعفت الانسجة عن افراز الملح الواصل اليها

بجملتهِ حتى يبقى جانبٌ منهُ مخزوناً فيها فان هذا الباقي منهُ يطلب المآء اللازم لحلّهِ على ما هو شأن جميع المواد المُختزَنة في الجسم ولا سيما الاملاح . وبقاء هذا الملح في خلال الانسجة لا يقتصر ضررهُ على امساك المآء في البنية ولكنهُ يؤذي الغشآء المستبطن للكايتين ايضاً كما ثبت ذلك بالامتحان في الحيوانات

جملة الامر ان الملح من المواد اللازمة للتغذية فقد وُجِد بالاختبار ان الحيوانات اذا غُذِيت بخبزٍ لا ملح فيهِ عرض لها البول الآحيّ (الزلالي) لما يحدث بسبب ذلك من التمزُّق في الغشآء المذكور للكايتين وكذلك الانسان اذا تناول مقداراً كبيراً من الملح مُني بالامر نفسهِ اذا لم تكن الكايتان صحيحتين او لم يتمّ افراز الملح بجملتهِ وهذا هو السبب في ان اصحاب الاورام المشار اليها تفيدهم الاغذية التي لا ملح فيها لان انسجتهم يكون قد تجمع فيها ملحٌ كثير

هذا مجمل ما ثبت بالاختبار وبهِ عُلِم ان اسلم الموادّ الغذآئية الذي هو الملح مع كونهِ مما لا بدّ منهُ لقيام البنية فانهُ اذا جاوز الحدّ في المقدار كان سمّاً لا محالة . اه ببعض تصرُّف

فوائد

تقسية النحاس — كان الاوّلون يعرفون طريقة لسقي النحاس وتقسيتهِ حتى تتخذ منهُ الاسلحة والآلات وهو المعروف في اصطلاح الصاغة بنحاس الجان ولكن سرّ تقسيتهِ لا يزال مكتوماً في صدر الايام وقد اجتهد اناس

من اهل الصناعة للوصول اليهِ فادركوا منهُ بعض الشيء ولكن لم يبلغوا غايتهُ

وقد قرأنا في هذه الايام في احدى المجلات العلمية ان بعض الالمان قد وُفّق الى طريقةٍ يقسّي بها النحاس الى مثل الغاية المذكورة . وذلك انهُ بعد ان يُصاغ منـهُ الشيء المراد من آلةٍ او غيرها يُحمَى على نار الفحم النباتي الى ان يبلغ درجةً عالية من الحرارة ثم يُذَرّ عليهِ وعلى الفحم المحيط بهِ مسحوق الكبريت حتى يتغطى كلاهما تمـاماً ولا ينبغي ان يُفعَل ذلك الا حين يبلغ المعدن معظم ما يحتملهُ من الحرارة . ثم يُترَك على النـار حيناً ما الى ان تفعل فيهِ ابخرة الكبريت و بعد ذلك يُرفَع ويُغمَس وهو حارٌّ في مغطس من الشبّ الازرق (كبريتات النحاس) فيُترَك هناك هنيهةً ثم يُرَدّ الى النار فيُحمَى و بعد ذلك يُترَك الى ان يبرد من نفسهِ فيكون بالغـاً اشدّ الصلابة . قيل ويبقى مع ذلك قابلاً للطرق والسحب

قالت وهذه الطريقة نفسها تُستعمَل في امزجة النحاس ايضاً ولا سيما النحاس الاصفر الممزوج بالقصدير فتتصلب كما يتصلب النحاس اﻫ . قلنا فعسى ان يوجد في اهل الصناعة عندنا من ينشط لامتحان هـذا الامر وهو امتحان سهل لا يكلف عناءً ولا نفقةً فانهُ ان صحّ كان عنهُ ولا ريب فوائد لا تُنكَر

رزآن كبيران

كان هذا الشهر على القطر المصري شهراً خيّمت فيهِ ظُلَم الاحزان واستطارت انبآؤهُ الى سائر الاقطار العربية بما انقبضت لهُ الصدور واستكّت

الآذان تقوّض فيهِ ركناان من اعظم اركان الفخر والوطنيّة بل هوى فيهِ كوكبان طالما سطعت اشعتّهما في سمآء الفضل والانسانية احدهما المرحوم محمود باشا سامي البارودي متنبي هذا العصر ورئيس ديوان البلاغة في فنَّي النظم والنثر بل الوزير الذي طالما جمعت يداهُ بين الصوارم والاقلام وجمعت اقلامهُ بين تصريف الاحكام وتثقيف الاحلام قضى رحمهُ الله في الثالث عشر من هذا الشهر عن سبع وستين سنة كانت حرباً سجالاً بينهُ و بين الدهر الى ان طوتهُ حفرتهُ وذكرهُ حيٌّ بين الافواه والاسماع واقوالهُ متناقلة على أَسَلات الألسنة واطراف اليراع

والثاني المرحوم احمد باشا المنشاوي صاحب المبرّات التي عمّت جوانب القُطر وفكّت عن المعوزين من اهلهِ أغلال العُسر وفاضت يداهُ على معاهد العلم والصناعة بما لاينقطع مَعينهُ على تمادي الايام وما يستدرّ المراحم على تلك النفس الكريمة ما توالت العصور والاعوام وقد لبّى دعوة ربّهِ في التاسع عشر من الشهر وهو في حدود السبعين من العمر فذهب مزوَّداً بالقلوب والاكباد مشيَّعاً باماني قوم قد ضرب القنوط ورآءها بالأَسداد على حين كان من همّهِ ان يبني مدرسةً جامعة تنهض بالوطن الى قمّة الفلاح لو لم يعاجلهُ القَدَر الذي قضى على الشرق ان لا يُراش لهُ جناح فاستقبل وجه البقآء تاركاً لاغنيآء البلاد بعدَه ان يفعلوا كلهم ما فعلهُ هو وحدَه جزاهُ الله من واسع فضلهِ ما يكون كِفآء احسانهِ وعوّض القطر من هذين الراحلين خيراً وجعل مقرّهما نعيم جنانهِ

*

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

٦

وعاد الكولونيل جيرار الى حديثهِ في الجيش فقال

قد اخبرتكم كثيراً من الحوادث التي حصلت لي ولكن لا اظنني قصصت عليكم كيفية التحاقي بفرقة الهوسار وما اجريتهُ في ذلك الحين في حصار سيراقوسة فاذا لم اتلُ عليكم هذه القصة فكأنني لم اخبركم شيئاً فاسمعوا لي باصغاء لانهُ لا يوجد من يعرف هذا التاريخ الا اثنان او ثلاثة من اصدقائي

كنت في بداءة امري ملازماً اول في فرقة شمبران وكان لي من العمر خمس وعشرون سنة ولكن كان لي قلبٌ لا يهاب الموت ونفس لاتعرف الخوف . وحدث ان هدأت الحرب التي كنا فيها في المانيا وكانت لا تزال تهيج براكينها في اسبانيا فاراد الامبراطور ان يرسل نجدةً الى ساحة القتال فرقاني الى رتبة قائد مئةٍ وامرني بالالحاق بفرقة الهوسار وكانت في ذلك الحين تابعة لكتيبة الجيش الخامسة تحت قيادة المارشال لانّ . فلما تلقيت اوامر الامبراطور امتطيت صهوة جوادي في برلين ووجهت رأسهُ جهة البيريني فلم اضيّع ساعةً سدى وجعلت اصل السير بالسرى حتى بلغت جيش المارشال لانّ وهو محاصر مدينة سيراقوسة ودخلت معسكر فرقة الهوسار التي تعينت فيها . وقد كانت حالة الحصار هناك من اصعب ما يتصور لان المدينة كانت مشحونة بالاسبانيول من جنود وكهنة وغيرهم وقد صمموا جميعهم على ان يتجرعوا كؤوس الموت ولا يسلموا . ولم تكن المدينة ذات سور او حصن واحد

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بل كانت جميع مساكنها واديارها قلاعاً منيعة وحصوناً راسية ضخمة الجدران كأنها الباستيل فلم يكن لنا بدّ ان نحاصر كل بيتٍ على حدةٍ

ولما كانت الفرسان قليلة الفائدة في اوقات الحصار فقد كانت فرقة الهوسار موكلة بحراسة جنوبي المدينة لتمنع وصول نجدات الاسبانيول اليها . اما كولونيل تلك الفرقة فلم يكن جندياً مدرباً كما يجب ولذلك كانت الفرقة مختلة النظام ولم يكن فيها شيء من الترتيب والجمال والابهة التي صارت اليها بعد ما توليت قيادتها انا . وفي مساء وصولي تناولت العشاء مع ضباط الفرقة وكانوا ستة وعشرين ضابطاً فلم اتمالك ان كلمتهم بحرّية وانتقدت عدم تدريبهم وذكرت لهم البون الشاسع بين نظامهم ونظام الفرقة التي تركتها في المانيا . ومعلوم ان الحقيقة تجرح فلما سمعوا ذلك مني ظهر على وجوههم الغيظ ورأيتهم يتغامزون عليّ ولا سيما الكولونيل وضابطٌ آخر يقال لهُ اوليفياي كانوا يدعونهُ جليات الفرقة . ولما فرغنا من الطعام قام الكولونيل وبعض الضباط الى غرفةٍ اخرى وبقي منا نحو الاثني عشر وكان امامنا قربة من الخمر الاسبانيولية فجلسنا نشرب ونتسامر وكان الضابط اوليفياي يسألني عن الجنود في المانيا وعن اعمالي حين كنت هناك . فلما رأيت منهم الاصغاء التام دفعتني الحماسة مع ما دار في رأسي من نشوة الشراب فجعلت اقص عليهم ما قمت به من الاعمال المجيدة التي فعلتها مما برهن لهم انني امهر من امتشق حساماً وانني لا اُبارَى في ركوب الخيل ولا اعرف للخوف معنى . وكنت مستغرقاً في الحديث فلم اشاهد لاول وهلة ما ارتسم على اوجه رفاقي من العلامات التي دلتني على انهم لم يكونوا يجهلونني فقط ولكنهم صاروا يكرهونني كراهةً شديدة . وكان يجب عليَّ اذ ذاك ان اعرّفهم بنفسي انني لست ضابطاً كالضباط بل انني جيرار الشهير بطل راتسبون وفاتح جينا ومشتّت شمل المربّع في استرلتز ولكنني لم اشأ ان امدح نفسي امامهم بهذه الصراحة بل جعلت اتلو عليهم من اخبار وقائعي ما يجعلهم يعرفون تلك الحقيقة بانفسهم واخبرتهم عن قيادتي الجيش وقت عبور نهر الدانوب . وما بلغت هذا الحد حتى قهقهوا جميعاً بضحكٍ اصمَّ اذنيّ ثم التفت اوليفياي الى ضابط آخر وقال لهُ

سائلاً هل في معلومك ان المارشال لانّ باقٍ في المعسكر . قال اظنهُ باقياً فيهِ . فقال اوليڤياي يا للعجب واي لزوم لبقآئهِ هنا بعد وصول حضرة الملازم جيرار . فاجابهُ الجميع بضحك عالٍ أوقد فيَّ نار الحدة والانفة فوقفت امامهم كتمثال الانتقام ثم التفتُّ الى اوليڤياي فقلت هل لك ان تخبرني يا سيدي في اية ساعة يتم عرض الفرقة كل صباح . فقال هازئاً عسى ان لا يكون في فكرك ان تغير اوقاتنا عما هي يا حضرة الملازم جيرار. فقابلهُ الجميع بضحك الاستحسان ولكنهُ لم يطل ضحكهم عند ما رأوا هيئتي الجدّية. فحولت نظري الى ضابطٍ آخر وسألتهُ نفس السؤال وكأنهُ اراد ان يجيبني بسخريةٍ اخرى فمنعهُ ما رآهُ في وجهي وقال في الساعة السادسة ايها الرفيق . فشكرتهُ بلطف وقد جال في خاطري ان انازلهم جميعاً في الغد بعد الفراغ من العرض وعددتهم فوجدتهم اثني عشر ضابطاً فحدجتهم جميعاً بنظرٍ احدّ من نظر النسر وخاطبتهم قائلاً انني لا اكون فرنسويًّا ولا استحق الانضمام الى فرقتكم هذه ان لم احاسبكم افراداً واجمالاً على القحة والفظاظة التي قابلتموني بها كما انكم لا تكونون انتم فرنسويين ولا تستحقون ان تدعوا رجالاً اذا رفضتم طلبي . فقال اوليڤياي لابد من اجابتك يا هذا فانا مستعد لمبارزتك عن نفسي وباسم ضباط الهوسار الموجودين هنا. فقلت اشكرك يا مولاي ولكن لابد من مناقشة الحساب لهؤلآء الباقين ايضاً الذين كان لهم النصيب الاكبر في الازدرآء بي فلابد من مبارزة الجميع ليؤدي كل واحدٍ حساباً عن نفسهِ . ولما قلت هذا بدت علامات التبسم على وجوههم ثم انزووا الى جانب الغرفة فسمعتهم يتكلمون فيما بينهم كلاماً لم استوضحهُ ثم عادوا اليَّ فقال اوليڤياي قد اتفقنا على اعطآئك سؤلك وتركنا لك الخيار في تعيين السلاح ووقت المبارزة وسائر شروطها . قلت اما المبارزة فبالسيف واما الوقت ففي الساعة الخامسة من صباح الغد واخصص لكل منكم خمس دقائق فلا تصير الساعة السادسة حتى اكون قد انهيت عملي معكم في الوقت الموافق لميعاد العرض . واما مكان المبارزة فاتركهُ لكم فانني لا ازال غريباً عن هذه الديار لا اعرف الامكنة الموافقة فيها . وكانت كلماتي الصادرة عن تأثرٍ وبرود قد نبهتهم الى ان جيرار لم يكن لعبةً في ايديهم

فامسكوا عن الضحك و بانت عليهم دلائل الاهتمام . فقال اوليفياي ان في آخر هذا الشارع حديقة مسوّرة غير مطروقة كثيراً واظنها في غاية الملآءمة فغداً في الساعة الخامسة صباحاً ننتظرك فيها يا حضرة الرفيق . فحاولت ان اجيبهُ شاكراً واخبرهُ انهم سيأتون لموافاتي لا لانتظاري ولكن قبل ان انطق باول كلمة فُتح باب الغرفة فجأة وظهر منهُ الكولونيل مذعوراً مصفرًا فقال ايها الشجعان يلزمني من بينكم متطوعٌ ارسلهُ في مهمة سرية محفوفة باشد الاخطار الممكنة فمن يتطوع منكم لاقتحام هذا الخطر بشرط ان لا يكون متزوجاً . وما اتم كلامهُ حتى تقدم كل الضباط غير المتزوجين فنظر اليهم الكولونيل بحيرةٍ لم تخفَ عليَّ لانني قرأت افكارهُ فعلمت انهُ يود ارسال احدهم واحدٍ فيهم وفي نفس الوقت يود ابقآء الاهم فيهم بقربهِ . فنهضت اذ ذاك وقلت اسمح لي يا مولاي ان اقدم نفسي لهذه المهمة فانها حقٌّ لي لانني الاقدم بين قواد المئة في الفرقة وانا اولى بها من غيري لانني لا ازال غريباً عنكم ولا يهم الفرقة غيابي . فانفرجت اسرَّة الكولونيل وقال متبسماً لقد اصبت كبد الحقيقة يا عزيزي جيرار فتعالَ معي لاعطيك المعلومات اللازمة . وقبل ان اخرج نظرت الى الضباط وقلت لهم انني لا ازال على وعدي من مقابلتهم في الصباح ثم خرجت وقد رأيت في وجوههم تغيراً يدل على انهم ابتدأوا يقدرونني حق قدري . وخرج الكولونيل فسار امامي وانا اتبعهُ حتى اجتزنا المعسكر ولم نزل سائرين مسافة طويلة حتى بلغنا آخر الحدود الواقف فيها حرس فرقتنا فقادني الكولونيل الى منزلٍ قد تهدمت بعض جدرانهِ ثم رقي بي الى سطحهِ فوجدت امامنا رجلين بين يديهما طبلٌ عليهِ خريطة كبيرة وهما جاثيان امامها يفحصانها على نور مصباح ضعيف . وكان احدهما حليق اللحية مدمج العضل عرفتهُ للحال انهُ المارشال لانَّ اما الآخر فكان الجنرال رازو رئيس المهندسين . فلما صرنا امامهما قال الكولونيل مخاطباً المارشال قد تطوَّع القائد جيرار لقضآء المهمة التي تريدها يا مولاي وها هو . فانتصب المارشال باسماً ثم اخذ يدي مصافحاً وقال اهنئك ايها الصديق على شجاعتك وهمتك ودليلاً على معرفتي قدر هذه الشجاعة فيك اهدي لك هذه الزجاجة المحتوية على سائلٍ اذا

شربت منهُ نقطة واحدة تموت للحال وربما يلزمك في السفرة التي سأوجهك فيها .
ولم تكن هذه التحية مما انتظر سماعهُ فشعرت برجفةٍ في اعضآئي وان شعري قد وقف على رأسي ولكنني تجلدت وقلت اسمح لي يا مولاي ببيان المهمة التي تروم مني قضآءها لانني لم اعلم ما هي بعد . فدهش المارشال وقال للكولونيل وكيف اتيت بهِ اذاً وهو يجهل ما يطلب منهُ والمخاطر التي تتهدد حياتهُ . فقاطعتـــهُ قائلاً انهُ مهما عظمت الاخطار عظم المجد والشرف فلا ارجع عن تطوعي الا اذا رأيت رسالتي سهلةً لاخطر فيها . فنظر اليَّ نظرةً دلت على اعتبارهِ العظيم لي وتقديرهِ شجاعتي ثم التفت الى الجنرال رازو وقال لهُ تكرم باعلام جيرار ما يطلب منهُ . فنهض الجنرال وقادني بيدي الى الباب ثم اشار الى سورٍ بعيد وقال هذا السور هو خط دفاع الاعدآء وهو سور دير العذرآء فاذا تمكنا من اختراق هذا السور انتهى عملنا وفزنا بالنصر العاجل غير ان الجدران كثيفة لا تؤثر فيها مدافعنا وهي محاطة بالغام يصعب اجتيازها ولكننا علمنا انهُ يوجد في اسفل السور مخازن بارود فاذا تمكنا من اشعالها نابت عنا في هدم السور من اساسهِ وفتحت لنا طريقاً لدخول المدينة . ولا اخفي عنك انهُ يوجد لنا صديقٌ في المدينة يدعى هوبرت وعدنا باشعال تلك المخازن ونحن في انتظارهِ منذ يومين والى الآن لم يتمم وعدهُ ولا بلغنا من جهتهِ شيء جديد ولا نستطيع القيـام بعملٍ ما قبل ان نعلم ما حل بهِ تماماً . وهذه خريطة المدينة مفصلةً ترى فيها عدة اديار بينها شوارع متفرعة من ساحة عمومية فاذا بلغت تلك الساحة تجد كنيسة الى يمناك على ناحية شارع يدعى توليدو ومتى دخلت ذاك الشارع تجد فيهِ مخزناً للالبسة وبجانبهِ بائع خمر وبينهما بيت صغير يسكنهُ هوبرت . فالذي يُطلب منك الآن هو ان تصل الى البيت المذكور وتقابل هوبرت وتعلم منهُ هل هو باقٍ على وعدهِ او لا . وقد احضرنا لك هذا اللباس وهو لباس راهب فرنسيسكاني فستراهُ احسن طريقة تتنكر بها فلا يشك فيك احد

اما انا فكنت اسمع باصغآء وسرور حتى سمعت كلمة التنكر فانقلبت سحنتي وقلت كلا يا مولاي لا اتنكر لانني لست جاسوساً ولكن اذهب بلباسي العسكري .

فقال ضاحكاً اعلم يا هذا انهُ يستحيل عليك اجتياز شوارع المدينة بغير تنكر لان الاسبانيول لا يرضون لاسراهم بالاسر فقط بل يذيقونهم اصناف البلآء والتنكيل حالما يقبضون عليهم . وبعد مباحثة قليلة اقنعني الجنرال فلبست ثياب الراهب وقلت لهُ هآءنذا مستعدٌّ للرحيل . قال وهل معك سلاح . قلت معي سيفي . قال ربما سمعوا قعقعتهُ او رأوهُ فاتركهُ واستعض عنهُ بهذا الخنجر وستقابل حال خروجك جنديًّا يريك الطريق التي تسير فيها لتبلغ السور بدون تأخير فاذهب مزوداً بدعاَئنا ان ينجح الله مسعاك

فخرجت وقابلت الجندي ثم نزعت قبعتي واخفيت رأسي تحت قبعة ثوب الراهب وحبكت ازرارهُ وسرت ورآء قائدي بحذرٍ وانتباه . ولم نزل نتسلّ بين الخرَب على جانب السور الى ان بلغنا شجرة كبيرة محاذيةً لهُ فوقف الدليل وقال تسلق هذه الشجرة ايها الرفيق ومتى بلغت اعلاها تجد غصناً اذا تدليت منهُ تبلغ سطح هذا البيت الذي على السور فمتى وصلت اليهِ فاعتمد على ملكك الحارس في ما بقي عليك لانهُ يستحيل عليَّ ان ارافقك اكثر . فلففت ثوبي عليَّ وتسلقت الشجرة حتى قاربت اعلاها ولم يبقَ عليَّ الا خطوة واحدة لابلغ السطح فقرع اذنيَّ صوت وقع اقدام فالتصقت بالغصن واجتهدت ان اخفي نفسي بظلهِ لان القمر كان في ربعهِ الاول ورأيت بعد التحديق رجلاً يقترب على السطح ببطء وحذر وبيدهِ بندقية مصوبة وكان يقف من وقت الى آخر ويصغي بتأنٍّ الى ان بلغ طرف السطح على بعد بضع خطوات مني فرأيتهُ قد جثا ثم صوب بندقيتهُ واطلقها . فمرّت الرصاصة بالقرب مني ثم سمعت انيناً فعلمت ان الذي اصيب لم يكن الا دليلي وكان قد بقي ليرى ماذا سيحدث لي فرآهُ الحارس ورماهُ بالرصاص . ثم رأيت الحارس يختلس النظر الى اسفل وبعد ان التفت يميناً وشمالاً ولم يرَ احداً وضع بندقيتهُ على الارض واقترب من الشجرة يريد النزول فعلمت انهُ راغبٌ في الوصول الى الدليل اما ليجهز عليهِ او يسلب ما ربما يجدهُ في جيوبهِ . ولكنهُ ما كاد يبلغ الغصن المستند انا عليهِ حتى اغمدت خنجري في صدرهِ فهوى الى الارض وكان لسقوطهِ صوتٌ

عظيم بين الاغصان الملتفة . ومنعني الظلام من مشاهدة ما حصل غير انني سمعت بعض كلمات فرنسوية من دليلي عرفت منها انهُ لم يطل انتظارهُ للانتقام من عدوه . اما انا فبقيت بضع دقائق لا اجسر على الحركة مخافة ان يكون صوت سقوط الحارس قد نبه احداً ولما تيقنت السكون التام وثبت الى سطح البيت واخذت اهتم بوجود طريقةٍ اتمكن بها من الوصول الى داخل المدينة . فخطر لي ان ابحث عن الطريق التي اتى منها الحارس وقبل ان انقل قدمي رأيت باباً خفيًّا اشبه بالفخ قد فتح في سطح البيت وظهر لي منهُ وجه رجل يغطيهِ الشعر الكثيف وكان ينادي الحارس باسم مانولو ولما لم يجبهُ احد صعد الى السطح وتبعهُ ثلاثة مثلهُ وجميعهم مدججون بالسلاح . اما انا فانزويت قرب الحائط حيث يسترني الظلام وجعلت اراقب حركاتهم فبعد ان اعادوا النداَء للحارس ولم يكن مجيب قال احدهم لا بد انهُ ذهب الى المركز الاخر ثم اتجهوا الى تلك الناحية . فما صدقت ان ابتعدوا حتى اقتربت من ذلك الباب بمزيد الاحتراس فوجدت سلماً نزلتهُ وانا اكاد امنع تنفسي فوجدت البيت خالياً خاوياً وبلغت بابهُ فخرجت منهُ الى زقاقٍ مقفرٍ فسرت فيهِ ايضاً حتى بلغت الشارع فرأيت فيهِ نيراناً موقدة وحول كل نار عدد من الاشخاص يصطلون او يأكلون ووجدت عدداً من الرهبان يجولون بين تلك الجموع . فتشجعت وسرت نظيرهم حتى انتهيت الى الساحة العمومية فوجدتها مكتظة بالجنود وقد كثر في جهاتها ايقاد النيران فلم التفت يميناً ولا شمالاً حتى اجتزت الكنيسة وسرت في الشارع الذي وُصف لي حتى وصلت الى مخزن الالبسة ودكان بائع الخمر ووجدت بينهما البيت الذي قيل لي عنهُ ولكن كان بابهُ مقفلاً ولا نور فيهِ . فدفعت الباب بلطفٍ واحتراسٍ زائد فانفتح ولم اكن اعلم ما سأصادفهُ فيهِ غير انهُ لم يكن لي بد من دخولهِ فخاطرت بنفسي ودخلت . وكانت تخيم في الداخل ظلمة حالكة السواد زادت عند ما اقفلت الباب ورآئي فجعلت اتلمس طريقي حتى وقعت يدي على طرف مائدة فاستندت اليها واخذت اناجي نفسي في كيفية الوصول الى مقابلة هوبرت لانني علمت ان اقل غلطةٍ ارتكبها يكون فيها خسارة حياتي

وضياع المقصود من رسالتي . واذ ذاك سمعتُ صوتاً بالقرب مني يقول بتنهدٍ يجرح الفؤاد « آه يا الهي » فجمد الدم في عروقي ولا سيما وان تلك الكلمات قيلت باللغة الفرنسوية فاستنجدت قواي وهمستُ في الظلام قائلاً مَن انت يا هذا ألعلك هوبرت . فاجاب بصوت ضعيف نعم انا هو فالمآء المآء بربك هات لي قليلاً من المآء . واقتربت من الجهة التي اتى منها الصوت فبلغت الحائط ولم اعثر على احد . ثم انتبهت الى تنهدٍ ثانٍ منهُ فتحققت ان الصوت فوق رأسي فرفعت يدي واخذت اتلمس في الظلمة حتى وقعت يدي على رجل عارية على علوٍ يوازي قامتي . فوقف شعر رأسي واخرجت من جيبي ثقاباً اوقدتهُ فوقعت عيني على منظر ارعد فرائصي وسقط الثقاب الى الارض فانطفأ . وبعد قليل ملكت روعي فاوقدت ثقاباً آخر وتأملت في المسكين هوبرت وكان مسمَّراً على الحائط كما تسمر التماسيح على ابواب البيوت وقد أُدخلت شظايا الحديد الثخين في يديهِ ورجليهِ وكان على آخر رمق فسقط رأسهُ على كتفهِ . وكان المهُ من العطش اكثر من تألمهِ من الجراح ولزيادة عذابهِ وضع اولئك القساة زجاجة خمر على المائدة امامهُ وهو على تلك الحال فتناولتها لفوري وجرّعتهُ منها بقدر استطاعتهِ فعاد الى عينيهِ شيءٌ من النور وتمكن من الكلام فقال هل انت فرنسوي . قلت نعم وموفدٌ للسوأال عنك والبحث عما جرى لك . فقال بتأسفٍ قد انكشف امري لاولئك الملاعين ففعلوا بي ما ترى ولكن اسمع لاخبرك قبل انقضآء اجلي بما تهمك معرفتهُ . ان البارود مخزون في غرفة رئيسة دير الراهبات غير ان الجدار مثقوب وتتصل نهايتهُ بغرفة الاخت أنجلا قرب الكنيسة . والآن فان آلامي لا تطاق ولا امل في نجاتي فارغب اليك بل استحلفك ان تغمد خنجرك في صدري وتريحني من هذا العذاب

ورأيت المسكين حقيقةً في النزع الاخير وان احسن ما يفعل لهُ هو تقصير مدة آلامهِ فوددت ان اجيب طلبهُ فلم تطاوعني يدي ثم تذكرت زجاجة السم التي اعطانيها المارشال لانّ فأخذتها للحال وافرغت منها شيئاً في قدح الخمر وقبل ان اناولهُ للمسكين هوبرت سمعت قعقعة سلاح خارج الغرفة فتركت القدح ووثبت

الى نافذة في الغرفة مغطاة بالستائر الثقيلة فاختفيت ورآءها . وفي اللحظة التالية دخل جنديان من الاسبانيول ببنادقها و بيد احدهما مصباح . وكنت اراقبهما من خلل الستائر فلاحظت انهما اتيا ليجهزا على المسكين أو ليزيدا في آلامهِ فكانا ينظران اليهِ ويتبسمان تبسماً شيطانيًّا . ثم وقع نظر احدهما على قدح الخمر فأخذهُ بيدهِ وقدمهُ الى هوبرت فمد ذاك رأسهُ ليبتلع منهُ شيئاً فاعادهُ الجندي اليهِ ساخراً بهِ وابتلع منه قليلاً فما استقر في جوفهِ المشروب حتى صرخ صراخاً شديداً وتشنجت اعصابهُ فسقط الى الارض ميتاً . ورأى رفيقهُ ذلك فكاد يموت معهُ من الخوف واصابتهُ نوبة جنون فكان يصرخ ويجري حتى خرج لا يلوي على شيء . وخرجت من مخبإِي على نور المصباح الذي تركهُ الجنديان فوجدت ان هوبرت ايضاً قد فاضت روحهُ فخرجت الى الشارع وانا كالمأخوذ فلم انتبه الى نفسي حتى قرعت ساعة الكنيسة ضربتين فعلمت اني بجانبها وانهُ لم يبقَ لي الا ساعتان للعمل

وكانت الكنيسة منارة وفيها جموع تدخل وتخرج فدخلت عالماً ان لا احد ينتبه اليَّ فأنفرد هناك لاجمع قواي العقلية واتبصر في ما يجب عملهُ . ولما دخلت وجدت ان الكنيسة قد تحولت الى مستشفى ملآن بالجرحى والمرضى وكلٌّ مشغول بنفسهِ ورأيت البعض جاثين يصلون فجثوت بالقرب منهم وتضرعت الى القادر على كل شيء ان يقويني على القيام بما فرض عليَّ لكي اشهر اسمي في اسبانيا كما اشتهر في المانيا . وبقيت على تلك الحالة الى ان قرعت الساعة ثلاثاً فخرجت وتوجهت الى دير الراهبات . وكان يمكنني الرجوع الى المعسكر لأعلم المارشال ان هوبرت قد مات واتركهُ يفكر في طريقة اخرى لافتتاح المدينة ولكن جيرار لا يقف عند الخطر ولا يترك عملاً قبل اتمامهِ فصممت ان اقوم انا بما نوى هوبرت ان يقوم بهِ

وسرت بدون معارضة حتى بلغت الدير وكان مبنيًّا في وسط حديقة فسيحة ملأى بالجنود المسلحين ولديهم آلات الدفاع بتمامها ولذلك لم يكن دخول الدير بالامر السهل فسرت حول الحديقة حتى بلغت نافذةً زجاجها ملوَّن وعليها رسوم علمت للحال انها نافذة الكنيسة . وكنت قد علمت من هوبرت ان غرفة الرئيسة

المخزون فيها البارود بقرب الكنيسة وان الثقب الممكن الوصول منهُ في الغرفة المحاذية فصار من اللازم ان ادخل الدير باية طريقة كانت . ورأيت حارساً على الباب فعلمت انه لا بد ان يسألني عن غرضي من الدخول ثم وقع نظري على بئر في وسط الحديقة وبقربها دلاء فاسرعت وملأت منها دلوين حملتهما بيديَّ ودخلت بشجاعةٍ فلم يكلمني الحارس وفتح لي طريقاً سرت فيهِ في دار مباطة متجهاً نحو الكنيسة . ولما بلغت آخر الممرّ رأيت غرفةً عرفتها انها مخزن البارود لاني رأيت امام بابها كمية من البارود مبعثرة على الارض . اما الباب فكان مغلقاً وعليهِ اثنان يحرسانهِ شرسا الهيئة لم ارَ افظع من منظرهما . وتقدمت الى الامام فرأيت غرفة اخرى ظننتها غرفة الراهبة أنجلا ووجدت بابها مفتوحاً فتركت الدلوين على الارض ودخلت الغرفة فرأيت في صدرها مذبحاً قد جثت امامهُ ثلاث من الراهبات . فلما شعرنَ بدخولي نهضنَ ونظرن اليَّ كمن يطلب الايضاح . ولم تفارقني سرعة الخاطر قطّ فخطر لي ان هؤلاء لم يتركنَ الدير مع ما هو فيه من الخطر الشديد الا لانهنَّ مأمورات وانهنَّ ينتظرنَ امراً ليخرجنَ فاشرت اليهنَّ ان يتبعنني وسرت امامهن الى جهة الباب . اما الرئيسة فحاولت ان تستوضح الامر ببعض الاسئلة فلم اجبها واظهرت علامات الضجر والقلق واشرت اليهنَّ ثانيةً بوجوب الاسراع في اتباعي . ولما رأينَ ذلك مني سرنَ في اثري فقدتهنَّ الى الكنيسة الى الجهة القصوى من مخزن البارود وتركتهنَّ امام المذبح وعدت وقلبي يخفق سروراً وقد تحققت نجاح مسعاي وزوال كل ما يمكن ان يعترض في سبيل مقصدي

خذوا ايها الاصحاب هذا الدرس مني وايا كم التهاون بأصغر الامور . فانني لما تركت الراهبات وعدت نظرت فاذا بالرئيسة تتبعني بنظر حادٍ يدل على الشك والظن وتتبعت نظرها فرأيتها تنقلهُ من قطرتي دمٍ كانتا على يدي اليمنى من دم الحارس الذي طعنتهُ في الشجرة الى خاتم ثمين كان في يدي اليسرى وكانت القوانين تقضي بأن لا يلبس الرهبان شيئاً من الحلى . ولم يخفَ عليَّ ظن الرئيسة ولا سيما عندما رأيتها تتبعني فأسرعت ركضاً الى ان بلغت باب الكنيسة وولجت منهُ

الممرّ فلما لم تستطع اللحاق بي صاحت بالحرس فهبوا على صوتها ولما رأيتهم جعلت اصيح مثلها واشير الى ممرٍ آخر ولم اترك لهم فرصةً للاستفهام فاندفعوا بأجمعهم الى ذلك الممرّ واغتنمت الفرصة فدخلت الغرفة واقفلت بابها من الداخل وقد اصبحت في حصن منيع . وحاول القوم فتح الباب بعد ان اخبرتهم رئيسة الدير بظنها بي فلم يستطيعوا واطلق بعضهم بنادقهم على الباب فاخترقهُ الرصاص ولكن بدون جدوى. اما انا فكان اهتمامي بالاهتداء الى الثقب الذي قال لي عنهُ هوبرت وكنت قد فهمت منهُ ان في هذا الثقب باروداً يتصل بشكل خيطٍ دقيق حتى يصل الى مخزن البارود فاذا اشعل اتصلت النار بالمخزن وانفجر . فبحثت في الغرفة وزواياها فلم اعثر على شيء وكاد يدركني اليأس واخيراً حانت مني التفاتة فرأيت تمثالاً لبعض القديسين محاطة قاعدتهُ بالزهور الصناعية فاقتربت منـهُ وفرقت تلك الزهور ولا تسلوا عن سروري حين رأيت البارود مذروراً شبه خيط دقيق الى ان يبلغ ثقباً وراء التمثال وبأسرع من لمح البصر تناولت شمعةً موقدة كانت امام التمثال فأدنيتها من البارود والقيت بنفسي الى الارض . فلم تكن لحظةٌ حتى سمعت قصفاً كقصف الرعود وشعرت بارتجاج الجدران وسقوط السقف وبلغ اذني بعد هنيهةٍ عويل الاسبانيول وهتاف الجيوش الفرنسوية ثم غبت عن الوجود

. . . .

ولما افقت وجدت نفسي بين جنديين فرنسويين يعتنيان بي فشددت عزيمتي ولم اكن اصدق اني لا ازال حيًّا. وقد وجدت ان انفجار البارود لم يؤثر كثيراً في جدران الدير الضخمة بل زعزعها واوقع شيئاً منها ومن السقوف فقط غير ان هول الانفجار ألقى الرعب في قلوب الاسبانيول فتركوا اماكنهم ولاذوا بالفرار ودخلت جيوشنا الفرنسوية بدون مقاومة تذكر . ثم سرت مع رفيقيَّ ولما بلغت باب الدير وجدت المارشال لانّ داخلاً فصافحني بسرور وسمع حديثي باصغاء واعجاب فلما انتهيت قال احسنت يا جيرار وسأخبر الامبراطور بكل ذلك . قلت لا تنسَ يا مولاي انني لم اقم الا باتمام ما بدأ بهِ هوبرت . قال وسوف لا ننسى جميل هذا

الرجل الذي مات من اجل فرنسا . والآن فانك لابد ان تكون جائعاً وسأتناول طعام الصباح مع اركان حربي في ساحة المدينة فادعوك لتشرفنا بحضورك . قلت اشكرك يا مولاي لكن ارجو ان تسمح لي بغيبة قصيرة ثم اتبعك . قال وما يمنعك من اتباعي الان . قلت لا بد لي من مقابلة ضباط فرقتي الساعة وسأتبعك حالاً بعد مشاهدتهم . قال حسنٌ فلا تطل الغياب . وما سمعت كلمتهُ هذه حتى اسرعت فخرجت من باب السور وتوجهت توًّا الى غرفتي في الفرقة فنزعت ثوب الراهب وامتشقت سيفي واسرعت كما انا الى المحل المعين للمبارزة فوجدت الاثني عشر ضابطاً بانتظاري وقد وقفوا صفًّا واحداً . فلما اقتربت منهم ورأوا وجهي المسودّ من دخان البارود والدمآء التي سالت من بعض جراح خفيفة في وجهي وجسمي لا شك انهم ندموا على تصرفهم في الليلة السابقة . اما انا فالقيت عليهم السلام واعتذرت عن تأخري بضع دقائق بحكم الوقت والمهمة التي قضيتها ورأيت انهم يخفون عني شيئاً لم اعرفهُ . ثم قلت لهم انني اتوسل اليكم ان تمنحوني طلبةً واحدة لانني لا اقدر ان اتأخر كثيراً فقد دعاني المارشال لتناول الطعام معهُ فلا ينبغي ان ينتظرني كثيراً . فقال اوليفياي وما الذي تطلبهُ . قلت كنت وعدتكم ان اخصص خمس دقائق لمبارزة كل منكم اما الان فاودّ ان تلقوني جميعاً دفعةً واحدةً . ولما قلت هذا اخذت موقف الدفاع ورفعت سيفي منتظراً هجومهم . ولكن ما كان اشد تلك الساعة على عواطفي لانني رأيتهم عوضاً عن مهاجمتي قد وقفوا الوقفة العسكرية وبصوتٍ واحد اخرجوا سيوفهم ورفعوها لي امام وجوههم بالتحية العسكرية . فلما رأيت ذلك رجعت خطوتين الى الورآء مدهوشاً وانا لا اكاد اصدق نظري ثم رميت سيفي الى الارض وقلت ايها الرفاق الاعزآء . . . . ومنعتني عبرات التأثر عن اتمام الكلام . فوثب اوليفياي وصافحني وضمني الى صدرهِ ثم هجم الباقون فاخذ بعضهم رأسي وغيرهُ يدي فما كنت ارى الا وجوهاً تنظر اليَّ بحبٍ واعجاب وألسنةً تعتذر اليَّ وتشكرني وهكذا كان دخولي في فرقة الهوسار وامتلاكي قلوب رجالها

لغة الجرائد

نعود الى الكلام في هذا الصدد اجابةً لاقتراح كثيرين من مشتركينا الادبآء سألونا المزيد منهُ لما يترتب عليهِ من عموم الفائدة بين الكتّاب والدارسين اذ لا يخفى ان المقصود منهُ لا ينحصر في الجرائد دون غيرها من كتابات العصر وانما خصصناها بالذكر لانها اعمّ تلك الكتابات انتشاراً واكثرها على الالسنة تكراراً حتى تجد الفاظها واساليبها قد انتقشت في اذهان القرّآء واصبحت لغتها هي لغة جمهور الكتّاب من ايّ طبقةٍ كانوا وفي ايّ معنًى كتبوا وسوآءٌ كانوا في الديار المصرية ام الشامية ام في غيرها من بلاد الهجرة

ولا يخفى ان تتبُّع كل وَهَم يقع في اللغة لعهدنا هذا مما يطول استقرآؤهُ مع ظهور الجرائد عندنا بالمئات وغالبها يومية ومع كثرة التآليف في هذه الايام من موضوعةٍ ومعرَّبة حالة كون اكثر الكتاب من الذين يتناولون اللغة بالتقليد على ما سبقت لنا الاشارة اليهِ فاذا زلّ احدهم زلّ الباقون على اثرهِ ولا سيما اذا كان مظنّـةً للثقة . ولذلك فانا نحثّ ارباب الاقلام وعلى الخصوص الطبقة العالية منهم ان يتحرَّوا في استخدام الفاظ اللغة ما استطاعوا ولا يلقوا الكلام على عواهنهِ علماً منهم بان كل ما تخطّهُ اقلامهم يتناولهُ اصاغر الكتّاب بلا نكير واذا تمادى الامر على ذلك تبدَّل اكثر اللغة وضعاً واستعمالاً ولم يبقَ وجهٌ لفهمها وفيما اوردناهُ من ذلك من قبل وما سنوردهُ في هذا الفصل عبرةٌ كافية

فمن ذلك انهم يقولون بين كان زيدٌ في الدار دخل عمرٌو فيضيفون بين

الى الجملة وهي لا تضاف الا الى المفرد لان الاضافة الى الجُمَل مخصوصة بظروف الزمان نحو يومَ هم بارزون وهذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم وما اشبه ذلك . فاذا لزم ادخال بين على الجملة فُصِل بينهما بما لتكفّها عن الاضافة فيقال بينما كان في الدار او أُشبعت فتحة نونها حتى يتولد عنها أَلِفٌ فيقال بينا كان في الدار . ومن الاول قول الشاعر

بينما نحن بالعقيق معاً　　اذ أتى راكبٌ على جَمَلِهْ

ومن الثاني قول الآخر

فبينا نحن نرقبهُ أتانا　　معلّقَ وَفْضةٍ وزنادِ راعِ

ويقولون اقسم بان يفعل كذا فيُعَدّون اقسم في هذا التركيب بالباء وانما الباء تدخل على ما تجعلهُ مورداً لقَسَمك تقول اقسمتُ بالله وحلفتُ بكل عزيزٍ عندي . واما الشيء الذي يُجعَل القَسَم توكيداً لهُ فيُجَرّ بعلى تقول اقسمتُ على ان افعل واقسمت بالله على ان افعل . وهذا كما تقول عاهدتهُ على الامر وعاقدتهُ على ان افعل وفي الحديث نحن نازلون بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر اي تحالفوا عليهِ

ويقولون هو كفوٌ لهذا الامر اي اهلٌ لهُ او قوّامٌ بهِ وهو من ذوي الكفاءة بالهمز وانما الكفؤ النظير تقول هو كفوٌ لفلان اي معادلٌ له والكَفاءة المصدر من ذلك تقول لا كفاءة بيننا . واما المعنى الذي يريدونهُ فهو من معاني كفى المعتلّ يقال استكفيتهُ امر كذا اي كلفتهُ القيام بهِ فكفانيهِ وهو كافٍ لهذا الامر وكفيٌّ لهُ اي قوّامٌ بهِ وهو من اهل الكفاية

ويقولون بينهما شراكة يعنون شَرِكة ولم يُسمَع الشراكة في كلامهم وانما

هي من الفاظ العامّة جروا فيها مجرى الوكالة والكفالة وما اشبههما من الفاظ المعاملات .

ومثلها قولهم فعل ذلك خدامةً لفلان ولهُ قبلهُ خدامات كثيرة ولم ترد الخدامة من هذه المادّة ولا هي مما يحتملهُ القياس انما يقال فعله خِدمةً لفلان وهي الخِدَم بكسر ففتح مثل سِدرة وسِدَر

و يقولون بات القوم يشكون فداحة الضرائب اي ثقلها كانهم يتوهمون هـذا الحرف من المصادر اللازمة على حدّ الفظاعة والسماجة ونحوهما وانما الفعل من هذه المادّة متعدٍّ يقال فَدَحهُ الحمل والامر فَدْحاً مثل قَطَعهُ قطعاً اذا شقّ عليهِ وأثقلهُ لم يُسمَع على غير ذلك

ويقولون عثر بالشيء اي اطّلع عليهِ وعلم بهِ وانما يقال بهذا المعنى عثر عليهِ واما عثر بهِ فمن عثار الرجل اذا اصطدمت بحجرٍ ونحوهِ

و يقولون خصوصاً وان الامر كذا وكذا فيزيدون واواً بعد خصوصاً ولا وجه لها في هذا الموضع . وكانهم يفعلون ذلك قياساً على لا سيما في مثل قولنا يعجبني زيدٌ ولا سيما وهو يتكلم او ولا سيما وانهُ يحبّ العلم وهي ههنا واو الحال اي ولا مثل هذه الحال من احوالهِ . وهذا لا يتأتى اعتبارهُ بعد خصوصاً فالصواب اسقاط الواو على ان ما بعدها مفعول بهِ لخصوصاً او معمول لمقدَّر حيث يحتملهُ وذلك كما اذا قلت احبّ القوم وخصوصاً زيداً اي واخصّ من بينهم زيداً او وعلى الخصوص احبّ زيداً ونصب خصوصاً في هذا التقدير الاخير على الحال

(ستأتي البقية)

ذكرى الهند

(تابع لما قبل)

وبعد ذلك زرنا حديقة الحيوانات في كلكتا وهي واقعة في غربيّ المدينة شرقيّ نهر الهوكلي وقد غُرست فيها الاشجار الباسقة وزُيّنت بالازهار البديعة وفُرشت ارضها بالنبات الاخضر وكل ذلك على ابدع شكل والطف ترتيب وأُقيم بين كل فسحةٍ واخرى عرائن وأوجرة واوكار لاكثر انواع الحيوان . وقد شاهدنا فيها كل اصناف القرود من الصيني والهندي والافريقي وهي كثيرة العدد بين كبير الجثة وصغيرها . ثم مررنا على مكان الوحوش المفترسة من الاسود والنمورة والفهود والذئاب والدِبَبة والافيال والثعالب وغيرها ثم مكان الافاعي وفيهِ اكثر اصنافها وقد وُضعت كل واحدة منها في مكان يوافق غريزتها وبيئتها الطبيعية فجُعل بعضها بين الصخور الوعرة وغيرها بين الهشيم اليابس او العشب الاخضر وبعضها في احواض المآء . وقد رأينا بينها حيّة سودآء ضخمة جدًّا تبلغ مترين طولاً ومحيط جسمها نحو اربعين سنتيمتراً . ثم اتجهنا نحو اعشاش الطيور فرأينا هناك كل ما يأخذ بالبصر حسناً وينطق بتمجيد الخالق عزّ وعلا فمنها البلبل والكناري والهدهد والقُمريّ والطاووس والنسر والبازي والقطا مئاتٍ عديدة وغالبها من اطراف المعمور من الصين وافريقيا والهند واميركا واوربا . ففي هذه الحديقة يُسمَع التغريد والمناغاة والصفير والهدير والزُقآء والنعيق والصرصرة والعندلة والسجع والزئير والنئيم والفحيح وغير ذلك كلٌّ يعطي الصوت الذي خصهُ بهِ المبدع .

وفي هذه الحديقة رأينا لاول مرة الكركدّن اي وحيد القرن وهو مولود في هذه الحديقة نفسها منذ اربع عشرة سنة ورأينا فيها التمساح وهو موضوع في حوض مآء ويبلغ طولهُ زهآء مترين . وفي الحديقة بحيرة فيها قوارب صغيرة لمن شآء الركوب والجولان في البحيرة وفيها اسماك متنوعة

وفي اثنآء ذلك زرنا اللورد كرزن الحاكم العام على الهند الانكليزية بعد ان استأذنّاهُ بواسطة كاتب اسرارهِ المستر وُلتا لورنس فركبنا في اليوم المعيّن للزيارة حتى اقبلنا على دار الحكومة حيث يسكن الحاكم . ولما دخلنا باب القصر كان على الباب جنديّان قائمان فرفعا بنادقهما تحيةً لنا ولما بلغنا الباب الداخلي استقبلنا احد الخدم فدفعنا اليهِ بطاقة الزيارة فاوصلها الى كاتب الاسرار المشار اليهِ فما عتم ان ارسل احد الحجّاب يدعونا اليهِ في الطبقة العليا فسرنا حتى دخلنا غرفتهُ وجلسنا عندهُ هنيهةً نتجاذب اطراف الحديث وهو يتكلم بالعربية وقد تعلمها في مصر . وكان قد بعث بالبطاقة الى سعادة اللورد فما لبث ان جآء حاجبهُ الخاص يدعونا الى الدخول على سعادتهِ ومشى امامنا الى الردهة التي هو فيها . فلما دخلنا عليهِ نهض واقفاً واستقبلنا بكل انس واجلسنا بالقرب منهُ فلبثنا عندهُ نحو خمس عشرة دقيقة. ثم قمنا للانصراف فودّعنا كما استقبلنا وقد رأينا من لطفهِ وسعة صدرهِ ما اطلق لساننا بمدحهِ والثنآء على محاسن اخلاقهِ . وقد كان لهذه الزيارة ذكرٌ في جميع انحآء كلكتا لندور مثلها وفي اليوم التالي لها ظهرت جريدة « الانجلش مَان » (الرجل الانكليزي) فجآء في اخبارها المحلية « ان رئيس اساقفة بغداد نزيل كلكتا حالاً قد أُذِن لهُ في مواجهة سرية لسموّ الحاكم العام بعد ظهر امس »

وفي اليوم الثالث من تلك الزيارة اتتنا دعوة من الراجا دربانكا يذكر فيها ان اللورد كرزن وعقيلتهُ سيشرفان منزلهُ في ليلة الثاني عشر من ذلك الشهر وهو شهر شباط (فبراير) ويدعونا الى مشاركة الحضور في تلك الزيارة. فلما كان الموعد المضروب وهو منتصف الساعة العاشرة من تلك الليلة ركبنا الى دار الراجا المشار اليهِ ولما قربنا منها رأينا على الجدار المحاذي للطريق الوفاً من المصابيح الغازيّة ولما دخلنا الدار رأينا مئات من كبار القوم رجالاً ونساءً وقد ضُرب سرادقٌ عظيم نُصب فيهِ عرش للّورد كرزن وقرينتهِ وأُنيرت الدار كلها بالمصابيح والانوار الباهرة وعُلّق شيءٌ كثير منها في الاشجار وعلى الجدران فكان هناك ما ينيف على عشرة آلاف مصباح تشقّ رداَء الليل وتلقي عليهِ بهجة النهار وقد فُرشت الطرق والابواب بالازهار والرياحين. وكان عدد المدعوين نحواً من الفي نسمة وكان الراجا المذكور يقابل الجميع ببشاشة وهو قد لبس حلة مزركشة وفي عنقهِ قلادة نفيسة فيها حجارة ألماس نادرة وكذا في خنصرهِ خاتم الماس بديع لم أرَ مثلهُ البتة وعلى رأسهِ كُمّة مرصعة لها طرّة (شرابة) من اللؤلؤ كبيرة الحجم . ولما رآنا داخلين اقبل نحونا فسلمنا عليهِ بالانكليزية فردّ السلام مرحباً بنا . وفي الساعة العاشرة اقبل اللورد وعقيلتهُ فاستقبلهما الراجا ولما صارا على مقربة من المحفل وقف جميع الحاضرين فحنى رأسهُ مسلماً على الجميع ففعلوا هم كذلك واستلّ عسكر الراجا الواقفون الى اليمين واليسار سيوفهم ورفعوها مسلمين وكانوا عشرة . واذ ذاك جلس اللورد وجلست عقيلتهُ عن شمالهِ والراجا عن يمينهِ ثم وقف عشرٌ من الفتيات الهنديات المغنيات فرحّبت احداهنّ باللورد وعقيلتهِ

باللغة الهندية ثم اخذنَ جميعاً في انشودةٍ هندية بصيغة قدّ من قدود الغنآء وكانت نغمتها من لحن ابي طاهر المشهور في ما بين النهرين بالطوراني وكان ثلاثة من الهنود يلعبون ببعض آلات الطرب مثل العود والكمنجة والطنبور

وكان الراجا قد سبق فهيّأ في كل غرفةٍ من قصرهِ الفسيح الارجآء نوعاً من لُعَب الهنود الغريبة فشاهدنا في احدى تلك الغُرَف امرأة عجوزاً قد تناولت طاساً وصبّت فيهِ مآءً ثم غطّتهُ بمنديل ومدّت يدها بين الطاس والمنديل وشرعت تدمدم وما مضت فترة وجيزة حتى رفعت المنديل فظهر في الطاس اربع سمكات سود

وفي غرفةٍ اخرى شاهدنا رجلاً قد اقام بين يديهِ فتاةً لها من العمر نحو عشر سنوات وكان يتكلم فيخيَّل للسامعين ان آخَر يجاوبهُ تارةً من سقف الحجرة وطوراً من تحت الارض . ثم مدَّد الفتاة معترضةً على رأس عمود دقيق من الخشب فمكثت كذلك نحو ربع ساعة دون حراك واخيراً انزلها عن العمود فوجد انها قد اغمي عليها فحملها الى الخارج ليعرّضها للهوآء

وشاهدنا في احدى الغرف هنديًّا قد وضع امامهُ سبع عشرة كأساً من الفرفوري صفّها على شكل نصف دائرة . وكانت الاولى التي عن يمناهُ بحجم فنجان القهوة وما بعدها اكبر فاكبر حتى الاخيرة وقد جعل في كلٍّ منها نحو نصفها مآءً . ثم تناول خشبتين دقيقتين في يديهِ طول الواحدة نحو عشرين سنتيمتراً واخذ ينقر على افواه الكؤوس بخفة فكانت تعطي صوتاً مطرباً اشبه باصوات آلات الاوتار

(ستأتي البقية)

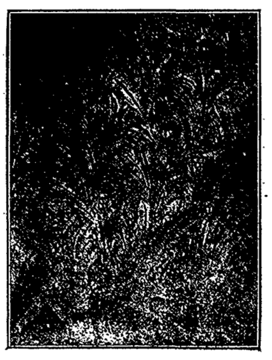
ملاعب الطبيعة

كيفما التفت الانسان حولهُ يرى من افعال الطبيعة ما يستوقف نظرهُ وفكرهُ ويريهِ من اسرارها وعجائبها ما لا يدرك لهُ حلاً ولا يدري الى ايّ ناموسٍ يردّهُ

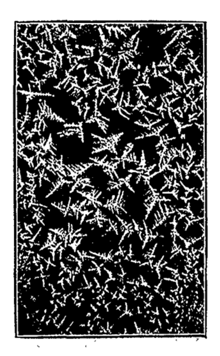
على ان كل ما في الكون عجيب وجُلّ ما يعلمهُ الانسان من اسرار الموجودات انهُ تنبّه لبعض صفاتها واعراضها وما لها من آثار وانفعالات مما استطاع بهِ ان يعرّفها ويميز بعضها من بعض . لكن هناك كثيراً مما لا يتنبه لهُ الا قليلٌ من الناس او لا يتنبه لهُ الانسان حتى ينبَّه فيقف لديهِ حائراً الى ان يتكرر عليهِ فيردّهُ الى افعال الطبيعة واذ ذاك يبطل استغرابهُ لهُ لِما استقرّ في بديهتهِ من ان الطبيعة امّ العجائب . لكن يبقى عليهِ ان يبحث عن الناموس الذي يمكن ردّهُ اليهِ ليجمعهُ الى امثالهِ لان ذلك جُلّ ما يستطيع البلوغ اليهِ بعلمهِ وان كان ذلك الناموس من الاسرار التي لا يدركها

وقد راقب بعضهم مسئلةً هي مما يحدث كل يومٍ في البلاد الباردة الا انها كانت موضع حيرةٍ لاهل العلم ولم يجدوا لها ناموساً من النواميس المعروفة يردّونها اليهِ . وذلك انهُ في اوقات البرد الشديد يتكون على اغصان النبات وغيرها ضربٌ من الندى المتجمد هو المسمَّى بالصقيع وهذا الندى كثيراً ما يتكون على زجاج النوافذ فيظهر باشكالٍ غريبة مختلفة الهيئات منها ما يشبه النبات الناعم الملتفّ ومنها ما يشبه زغب ريش الطائر او غير ذلك على نحو ما ترى في الشكلين المرسومين هنا وقد اخذناهما من عدة رسوم كلها على

ما ترى من الدقّـة والاحكام الى ما يعجز ابرع المصوّرين ان يأتي باجمل منهُ . لكن الغرابة في انفراد كل واحدٍ من تلك الرسوم عن غيرهِ بحيث لا تجد بينها مجانسةً ولا شبهاً وهي قد تنفرد في اللوح الواحد من الواح الزجاج وقد تجتمع فيكون كل واحدٍ منها في فسحةٍ منهُ مستقلاًّ عن الآخر



اما كلامهم في هذه المسئلة فلم يتعدّوا فيهِ كيفية تكوُّن الصقيع نفسهِ . وذلك على ما ذكروا ان كل قطرةٍ من المآء تتكوّن عن تكاثف البخار تحت الصفر تكون بالضرورة سائلةً وان كانت الدرجة درجة الجمود . وفي هذه الحال اذا صادفت موضعاً خشناً تعلقت عليهِ بشكل بلورةٍ مجهرية (مكرسكوبية) من الجليد الا انهـا مُشبَعَة بالبخار فاذا اتفق اذ ذاك ان تهبط درجة الحرارة هبوطاً فجآئياً تجمَّد ذلك البخار فيها فصارت صقيعاً .



وبخلاف ذلك ما اذا هبطت درجة الحرارة بالتدريج والهوآء مُشبَعٌ بالبخار

فان ما يكون فيهِ من البخار يرسب على سطح الارض او على ما جاور سطحها من الاشياء فيصير نَدًى و بعد ذلك اذا تجمد هذا الندى كان على شكلٍ مخالفٍ كل الخلاف لشكل الصقيع وكان مؤلفاً من حُبَيباتٍ من الجليد شفّافة وغير ذات شكلٍ قياسي . ولهم في ذلك اقوالٌ أُخر اضربنا عن ذكرها لقلة فائدتها

وقد تكلف بعضهم تعليلاً لتكوُّن الصقيع على الهيئات المذكورة فزعم انهُ مسببٌ عن طبيعة الزجاج فانهُ من اضعف الموصلات للحرارة على اختلافٍ في درجات ضعفهِ بين موضعٍ وآخر فهو يقاوم حدوث التبلوُر بعض المقاومة . قال وهذا السبب كافٍ عند رسوب البخار على الزجاج لان يُحدِث هذه الرسوم المختلفة والله اعلم

النُوام

(او مرض النوم)

ذكرنا في مقالةٍ سابقة[1] ملخص فصلٍ نشرهُ الدكتور بُوردآ في وصف هذا المرض الغريب واسبابهِ واعراضهِ . وقد وقفنا بعد ذلك على تقريرٍ مطوَّل رُفع الى ندوة الطب الفرنسوية يتضمن بيان ما انتهت اليهِ مباحث عدةٍ من اكابر الاطباء وفيهِ مزيد ايضاحٍ لما قدّمناهُ فرأينا ان نورد خلاصتهُ في هذا الموضع زيادةً في الفائدة

وحصَّل ما ذكروا ان سبب هذا المرض جراثيم عضوية من احدى

(١) مجلد السنة السادسة صفحة ٤٨٤

رُتَب النقاعيات المجهرية على ما نقلناهُ هناك . وهذه الجراثيم تتألف من نواةٍ تكون في مؤخَّرها ويتصل بها من جهة المقدَّم شبه سيرٍ دقيق وهي تنتقل بين كُريّات الدم الحمرآء وتدور على نفسها بسرعةٍ غريبة

اما كيفية توالُدها فان الواحدة منها يظهر فيها اولاً نواةٌ ثانية ثم تنفصل عن الاولى فتصبح جرثومةً مستقلة ثم ان كل واحدةٍ من الجرثومتين تنقسم كذلك وهلمّ جرًّا حتى ان الجرثومة الواحدة تنقسم مئة مرة في اليوم

وهي تدخل الجسم بواسطة الذباب المسمى تسّي تسّي واول ما شُوهِد فعلها المَرَضيّ في الدوابّ والبقر والإبل . فاذا دخلت جسم الحيوان منها اخذتهُ حُمَّى ثم يتورم وتدمع عيناهُ وبعد ذلك يذهب لون اغشيتهِ المخاطية ثم يأخذهُ هزال شديد ويسقط ما عليهِ من شعر او وَبَر ولا يعود يستطيع المشي الا بجهدٍ ومشقّة وتلازمهُ الحمَّى من اول الاصابة فلا تفارقهُ حتى اذا لم يبقَ منهُ الا الجلد والعظام يرزح في مكانهِ ويموت وقد نقصت الكُريّات الحمرآء في دمهِ الربع أو الثلث

وهناك مرضٌ آخر يعرض للخيل فيظهر فيها شللٌ في القسم المؤخَّر وتتقفع ارساغها اي تلتوي حتى يتعذر عليها المشي وتستمرّ على ذلك مدة اربعة الى ستة اشهر واذا كُشف عن النخاع الشوكي وُجد انهُ على طول اربعة او خمسة سنتيمترات قد تحوّل الى مادّة عسليّة حمرآء . ومنها ما يصيبهُ شللٌ في الصُلب فلا يعيش بعد ذلك الا ثمانية ايام اذا كان جيّد الغذآء

وقد امتحنوا الحقن بهذه الجراثيم في انواعٍ شتى من كبار الحيوان وصغارهِ فاختلف فعلها بين نوعٍ وآخر وكان اشدُّهُ في الفئران والهِرَرة بحيث

لم يأتِ عليها الا ايامٌ قلائل حتى صارت هذه الجراثيم في اجسامها بعدد الكُريّات الحمرآء وماتت بعد سبعة او ثمانية ايام

ثم انهُ قبل السنتين الاخيرتين كان يُظَنّ ان الانسان غير معرَّضٍ لهذا النوع من الجراثيم ولكن عند فحص المصابين بالحمَّى الأَجَميّة ظهرت في دمآئهم ثم تبيَّن من فحص الذين يموتون بمرض النوم انها فضلاً عن وجودها في الدم منتشرة في السائل الدماغي الشوكي . فعُلِم من ثَمَّ ان هذين المرضين اي الحمَّى الأَجَميّة والنُوَام يرجعان الى سببٍ واحد وبالتالي انهما مرضٌ واحد لكن تختلف اعراضهُ ومفعولهُ تبعاً لمقرّ تلك الجراثيم من جسم المريض .
فاذا بقيت محصورةً في الدم ولم تتعدَّ الى الدماغ حدثت عنها الحمَّى وهي تبتدئ بتورُّم الوجه والمصاب بها قد يُشفَى ولا سيما اذا تُدورِكَ من اول العلة وقد يموت ولكن بدون ان يبدو عليهِ شيءٌ من اعراض النُوَام . ولكن اذا نفذت الى تلافيف الدماغ لم تلبث ان تظهر اعراض النُوام وكان موت العليل امراً محتّماً

وهذا المرض شائعٌ في جنوبيّ افريقيا وما يليهِ الى النواحي الاستوآئية منها ولكن الظاهر انهُ غير خاصٍّ بالزنوج فان امرأةً اوربية هي زوجة احد المبشرين بالكنغو أُصيبت اولاً بالحمَّى الأَجَمية حتى اذا اوشكت ان تبرأ منها ظهرت عليها اعراض النوام وماتت . وكذلك تبيَّن انهُ لا يصاب بهِ من الزنوج الا زنوج افريقيا حتى ان بعضاً منهم هاجروا الى جزُر الانتيل وكان هناك اناسٌ من زنوج افريقيا قد جآءوا تلك البلاد منذ سبع سنين فنقلوا اليهم عدوى المرض وماتوا بهِ واما سائر الزنوج الذين لم يكونوا في افريقيا فلم

يُصَب منهم احد

وقد تقدم ان هذا المرض ينتقل بواسطة النوع المذكور من الذباب وهو يتميز من الذباب العاديّ بانهُ اذا كان واقعاً لا يكون جناحاهُ على شكل مثلَّث ولكن ينطبقان على الجسم انطباقاً تامًّا وهو ذو خطمٍ مستطيل يمتدّ في جهة امتداد الجسم ولهُ صوتٌ خاصٌّ بهِ يحكي « تسّي تسّي » ومنهُ أُخذ اسمهُ . وهو يوجد في الجهات الغَمَقيّة بقرب مجاري المياه واكثر ما يكون لسعهُ في وقت المسآء واما في الليل فلا يلسع الا في ضوء القمر

اما الوقاية من هذا المرض فلا سبيل اليها الا باستئصال الذباب الذي ينقل جراثيمهُ وهو من المحال وقد اصطلح بعضهم في وقاية الدوابّ على تغطيتها بالألبسة المانعة من نفوذهِ الى جلودها وهذا مع ما فيهِ من الصعوبة لا يغني تمام الغنآء ولكن افضل طريقةٍ لمن يسافر في النواحي المنتشرة فيها هذه الآفة ان لا يسافر الا ليلاً

على انهُ يمكن منعهُ في الجزائر منعاً باتًّا وذلك بان يُقتل كل حيوانٍ مصابٍ بهِ من الحيوانات المجلوبة على حدّ ما كان من رأي پستُور في قطع دابر الكَلَب وهي الطريقة التي امكن بها استئصال الوبآء البقري في جزيرة ياوا . انتهى تحصيلاً

التسمّم بغاز الاستصباح

بقلم حضرة النطاسي الفاضل الدكتور نجيب افندي بدورة

لم تبقَ جريدة الا ذكرت حادثة تسمّم المسيو سِفتُون بغاز الاستصباح

ولم تزل المحاكم والأندية السياسية في باريس تتابع بحثها لتعرف هل كانت ثمّت جريمة ام انتحار ام عارض بقضآء وقدر

ولما كانت طريقة التنوير بالغاز قد سرت الى قطرينا المصري والسوري وعمّا قليل ستعمّ رأيت من الواجب إتحاف قرآء هـذه المجلة الغرآء ببعض الفوائد نقلاً عن بعض المجلات الطبية

وليست حادثة المسيو سِفتُون وحيدة في بابها فقد سبقها حوادث مثلها عدَّدها المسيو اتيان مرتيل في مقالةٍ لهُ نشرها في جريدة ليون الطبية منها ان أُسرة بكمالها وُجدت يوماً ما مسمّمة في مسكنها بغاز الاستصباح لكن لم يمتْ من هذه الأسرة سوى الوالد . ولدى الفحص التشريحي شوهد ان دمهُ يحتوي على كمية وافرة من اكسيد الكربون وقد أسفرت التحقيقات عن تسرّب غاز الاستصباح الى المسكن المذكور بواسطة افلات مجرى غازيّ قريب . ولما كان هذا الغاز في ليون يشتمل على ٨ الى ١٢ في المئة من اكسيد الكربون لم يصعب تعليل التسمّم المذكور

وكلٌّ يعلم كيف قضى الروآئي الشهير اميل زُولا وكيف وُجِد ميتاً في غرفتهِ وقد قدّر جمهور الاطبآء حينئذٍ انهُ سقط عن سريرهِ الى ارض الغرفة فوُجِد غائصاً في طبقةٍ من الهوآء مشبَعَة بأكسيد الكربون فقضى مسمَّماً بهِ . وقد ترجحت صحة هذا التقدير من رواية رواها المسيو وُلف من درْسْد وهي انهُ وجد يوماً في اسطبل جنديًّا وجوادين تعوّدا ان يبيتا في هذا الاسطبل امواتاً في حين انهُ وُجِد في الاسطبل نفسهِ وفي الوقت عينـهِ جوادان غريبان واقفان لم يُصابا بضرر البتة . فبحث عن سبب موت

الجندي والجوادين فوجدهُ مسبباً عن افلات مدخنة غاز قريبة ونسب عدم موت الجوادين الغريبين الى ان الجواد اذا بات في غير اسطبلهِ يقضي ليلهُ واقفاً بخلاف الجواد الذي يبيت في اسطبلهِ فانهُ ينام مضطجعاً فلم يبقَ ثمّت ريب في ان الجوادين اللذين بقيا واقفين لم تبلغ اليهما طبقة الهوآء المسمَّم باكسيد الكربون المنبعث من المدخنة المذكورة .

وقد ارتأى بعضهم ان يزيل الرائحة من غاز الاستصباح بحجة انها مزعجة فقامت علمآء الصحة ضد هذا الرأي وقالت ان هذه الرائحة المزعجة التي تنبعث من الغاز المذكور مفيدة بمعنى انها تنبّه الى إفلات الغاز . هذا اذا كان الافلات سريعاً وقوياً فيُنتبَه حينئذٍ اليهِ اما اذا كان بطيئاً وخفيفاً بحيث لا يُشعَر بهِ فانهُ يحدث التسمّم تدريجياً كما جرى ذلك لاحد اطبآء باريس فانهُ بينما كان في غرفتهِ وفيها مستدفأ غاز يتّصل بهِ انبوب مطّاط شَعَر بثقلٍ في دماغهِ ونعاسٍ غالب في جفونهِ وفقدان قوّة في رجليهِ فسقط على الارض وغاب عن الرشد . غير انهُ في سقطتهِ هذه ولحسن حظّهِ لطم زجاج نافذةٍ قريبة منهُ فانكسر وانبعث منهُ الغاز السامّ وبهذه الواسطة نجا الطبيب من موت اكيد .

والحوادث من هذا القبيل عديدة وفي اعتقاد المسيو مرتّين ان عدداً ليس بيسير من حوادث الموت الفجائي المنسوبة غالباً الى الخثرة الدموية (embolus) والانفجار الدماغي وانقطاع الشرايين ليس الاّ حوادث تسمم باكسيد الكربون المنبعث من غاز الاستصباح وغيرهِ .

ولما كان الاستصباح بالغاز يزداد يوماً فيوماً في قطرنا وجب الانتباه

الكلي والحذر التام من ان تُترَك حنفيتهُ مفتوحةً ولو قليلاً فان تركها مفتوحة فتحاً تاماً خير من ان تُقفَل اقفالاً ناقصاً لان الرائحة المزعجة التي تنبعث من الحنفية متى كانت مفتوحة فتحاً تاماً تُنبّه الى ذلك ويُستدرَك الضرر واما اذا كان سدّ الحنفية غير محكم فان الغاز يتسرب خفيفاً بحيث لا يُشعَر بهِ فيُشْبَع هوآء الغرفة باكسيد الكربون ويحدث التسمم تدريجاً

حسان الارض والسمآء

من نظم حضرة الشاعر المتفنن مصطفى صادق افندي الرافعي

أُنبئتُ أن الحور في الفرقـدِ فقلت للقلب اليها اصعـدِ
وللضلوع انفرجي ساعـةً وللجفون انتظري واُسهَدي
وقلت يا صدري تنفَّسْ بما طويتَ من دهري ومن حُسَّدي
فـلم يَرُعْ قلـبي سوى زفرةٍ طارت بهِ للأُفُقِ الأَبعَـدِ

* * *

يا هـذه الحورآءُ رفقـاً فما قلبيَ من طينٍ ولا جلمـدِ
القلب ذوب الروح لكن متى تمسَّهُ نار الهوى يُعقَـدِ
تالله ما الوردةُ قـد اصبحت ترشف من ريق السمآء الندي
واختبـأت ما بين أوراقها ريحٌ كنفح الزمن الأرغَـدِ
وما العيون النُجل قـد كُحّلت من إثمِـد الحسن بلا مِرْوَدِ
وانبعثت ما بين أجفـانها أسرار حد الصارم المُغمَدِ
ولا شفاه الغيـد قد أُطبقت على ابتسامٍ كان عن موعدِ

واحتبس الوجدُ بها قبلةً　　لولا الحيا قد نالها المجتدي
ما كل ذا مُشبِهُ قلبي وما　　أُظهرَ ما في القلب من مقصدِ

* * *

قالت ليَ الحُورُ أما في الدُّنى　　من لا ترى مثلك من سيّدِ
تهواك او ترضيك عند الهوى　　او تستر الحسن ولا تعتدي
نراك ظمآنَ ألمّا تجد　　على مياه الأرض من موردِ

* * *

هيهات قد أصبح معنى الهوى　　بين الغواني نحو « سَوّرْيدي »
يا ربِّ من طينٍ خلقتَ الورى　　من بات في عدمٍ وفي سُؤدُدِ
فما لحور الارض يهجرننا　　ان لم نكن من طينة العسجدِ

اسئلة واجوبتها

دمشق — ذكرتم في الجزء الثاني من هذه السنة (ص ٦٨) عن احدى الجرائد ان التين الشوكي يُذهِب البق فما المراد بالتين الشوكي

احد المشتركين

الجواب — هو المسمى في البلاد السورية بالصبَّير أو الصبر ويسميهِ الافرنج بتين الهند وتين البربر وتين اسپانيا لمشابهة ثمرهِ لثمر التين ومنهم من يسميهِ بالمِشقة (cardasse) وهي الآلة ذات الاسنان يُمشَق بها الكتان ونحوه سُمّيَ بذلك لمكان شوكهِ والتسمية المصرية تتناول المعنيين

آثار ادبيّة

غراما طيق عربي انكليزي — أُهديت لنا نسخةٌ من مؤلَّفٍ جديد في قواعد صرف العربيـة ونحوها باللغة الانكليزية لحضرة القسّ الفاضل الدكتور روبرت استرلِنْجْ في غزّة جمع فيهِ مهمّات هذين العلمين ونسق قواعدها على طريقة مؤلفي العرب ولعلهُ اول كتابٍ باللغات الاوربية التُزمت فيهِ هذه الطريقة وهي ولا ريب افضل كثيراً من الطريقة التي اعتادوها من الجري على النسق اللاتيني لانها تسهّل على الدارس البحث في كتب العرب وطلب جزئيات المسائل في ابوابها

وقد تصفحنا جانباً كبيراً من الـكتاب فوجدناهُ حسن الترتيب واضح التعبير وفيهِ كثيرٌ من الجداول الصرفية واللغوية رتّبها على صِيَغ مزيدات الافعال الثلاثية ومشتقّات الاسمآء واوزان المصادر والجموع المكسَّرة فِاستوفى فيها قسماً كبيراً من الفاظ اللغة لا يقل عن ٢٤٠٠ كلمة مع ترجمتها الى الانكليزية وفي ذلك من اتّساع فائدة هذا الـكتاب ما لا يخفى

الا اننا عثرنا في اثنآء مطالعتهِ على مواضع لم نجد بدًّا من الاشارة الى بعضها على سبيل التنبيـه . وذلك كما ورد لهُ في الكلام على لفظ الظآء (صفحة ٤) حيث ذكر ان نسبتها الى الطآء كنسبة الثآء الى الذال ولا يخفى البعد بين النسبتين ولعل الصواب كنسبة الذال الى التآء

وكعدّهِ احرف الحلق (ص ٦) تسعةً ذكر منها الستة المشهورة وزاد عليها القاف والـكاف واليآء مع ان القاف والـكاف مخرجهما من بين مؤخر

اللسان وما يحاذيهِ من اعلى الحنك واليآء مخرجها من وسط اللسان

وكما ذكر (ص ٣٠) من ان اصل تَغْزِين تَغْزِيين بيآءين والصواب تَغْزُوين لان الفعل واويٌّ من حدّ نصر

وكترجمتهِ الأَزْر (ص ٤٩) بلفظ Waist اي إزار والصحيح ان الأَزْر بمعنى الظهر واشتقاق آزَرَ اي عاوَن من هذا المعنى لا من معنى الإزار على حدّ اشتقاق ظاهرَ من الظهر

وكعدّهِ العُرْس بالضمّ في باب ما يذكَّر ويؤنَّث وقد ترجمهُ بلفظ Wedding وانما الذي يذكَّر ويؤنث العِرْس بالكسر بمعنى احد الزوجين يُستعمَل للرجل والمرأة واما العُرْس بالضم فمذكرٌ لا غير

وكقولهِ (ص١٠١) بيتُ لحمٍ ٠٠ بيتُ إيلٍ ٠٠ باعراب اللفظين اعراب المتضايفين مع انهما اعجميّا الوضع والتركيب ٠ والوجه فيما كان كذلك ان يركَّب تركيباً مزجيّاً فيُبنَى الاول على الفتح اذا كان صحيحاً ويجري على الثاني اعراب ما لا ينصرف على حدّ بعلَبَكّ ومارَسرجس ونحوهما

وهنالك اشيآء أُخَر لا نطيل باستيفآئها بعضها من قبيل القواعد وهو قليل وبعضها من قبيل الضبط اللغُويّ او النحويّ وهو ايسر خطباً ٠ على ان كل ذلك لا يُسقط شيئاً من مزيّة الكتاب وانما اوردناهُ تذكرةً لحضرة مؤلفهِ الفاضل رجآء ان يُعيد عليهِ نظرةً صادقة بحيث لا يترك فيهِ ما ينغّص موردهُ على المستفيد ونحن نثني على حضرتهِ اطيب الثنآء لما يخدم بهِ هذه اللغة بين قومهِ ونرجو لمؤلَّفهِ مزيد النفع والرواج

شبان العصر والصحة — هو عنوان خطابٍ نفيس القاهُ حضرة الفاضل جرجي افندي نقولا باز في جمعية حفظ الصحة العمومية في الكلية السورية في بيروت عدّد فيهِ آفات الشبان في هذا العصر وما هم فيهِ من الايغال في مذاهب الترف والتهافت على ضروب الشهوات واودعهُ من النصائح الحكيمة والعِبَر الزاجرة ما يخلق بكل واحدٍ منهم ان يستضيء بمشكاتهِ ويجعلهُ نجيّ خلواتهِ ورفيق خطواتهِ . فنثني على حضرتهِ ثناءً نا على الجمعية القائمة بهذا المقصد الحميد ونرجو ان يكون لخطابهِ بين شبان العصر ما توخى من الاثر المفيد

هو الباقي

رُزئت اللغة العربية بوفاة الاستاذ الكبير العالم المحقق الشيخ محمد محمود التُركُزي الشنقيطي الشهير وقد اتمّ انفاسهُ في الحادي والثلاثين من الشهر الغابر عن ثمانين سنةً كان فيها مهوى افئدة المُريدين ومرمى ابصار المستفيدين . وكان رحمهُ الله من رجال الزهد والورع قضى حياتهُ منقطعاً في منزلهِ للمطالعة والتوقيف وكان آيةً في سعة المحفوظ عارفاً باخبار العرب وانسابها واشعارها وامثالها مضطلعاً بالغريب من لغتها الى ما كان فيهِ نسيج وحدهِ وما يعزّ ان يخلفهُ فيهِ احدٌ من بعدهِ الا انهُ لم يترك اثراً يُذكر بهِ سوى ما كان من تصحيحهِ لبعض كتب اللغة واهمّها كتاب المخصّص لابن سيده ولهُ عليهِ تعليقات تدلّ على سعة روايتهِ وبُعد غورهِ تغمّدهُ الله بفضلهِ واحسانهِ وافرغ عليهِ سحائب لطفهِ ورضوانهِ

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ٧ —

ولما فرغ الكولونيل جيرار من قصتهِ توقف عن الكلام واطرق الى الارض ساعةً يتفكر ثم رفع رأسهُ فتنفس تنفساً طويلاً وعاد الى حديثهِ فقال

يخطر لي الآن ايها الاعزاء ان اقص عليكم آخر الحوادث التي صادفتني واني لا افكر في ذلك الا اشعر بانقباضٍ في صدري وحزن في نفسي فلا اكاد املك عواطفي ولا اقوى على امساك عبراتي فان كل ما قصصتهُ عليكم من الوقائع والاخبار لم يكن الا موصلاً الى هذا التاريخ الاخير الذي يملأُ النفس من الشعور المحزن . ولقد صدق القائل ان الانسان كالارنب يركض في دائرةٍ حتى اذا انتهى الى حيث ابتدأَ يقع فيموت ويُنسى . وانني شاعرٌ بما وصلت اليهِ بعد ما لقيتهُ من المهالك وما قاسيتهُ من الاخطار واسمع صوتاً خفيًّا يدعوني للرجوع الى غسقونيا مسقط رأسي لانضم الى رفات آبآئي فلا يبقى بعدي من يروي حوادث تلك الاعصر التي كانت فيها فرنسا عرش مملكة العالم وامبراطورنا المحبوب المالك الوحيد المتسلط على عامة الكرة الارضية . فلا تحزنوا ايها الاخوان اذا ودعتكم ولم تروا وجهي بعد الآن فلكل شيءٍ نهاية ولا بد للانسان مهما عُمّر ان يصل بعد مسيرهِ الى ذلك المنعطف الذي يفضي بهِ الى عالم الابدية وقد سار امامي على تلك الطريق امبراطورنا المحبوب وتبعتهُ مارشاليتهُ فعلامَ ابقى انا . غير اني اودّ قبل مفارقتي اياكم ان اقص عليكم حادثاً ليس من الوقائع الخاصة التي حصلت لي بل هو

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

تاريخٌ سرّيٌّ ختمت شفتيَّ عليهِ كل هذه المدة الماضية اما الان وقد مضى كل شيء فلم يعد من مانع يمنع ان ابوح بهِ ولا سيما لانهُ يجب تدوينهُ على صفحات التاريخ فاذا دُفن جيرار ودُفن هذا السر معهُ حرم العالم اجمع معرفة حقيقةٍ راهنة ذات اهمية عظيمة

لا بد من العودة معي الى سنة ١٨٢١ وهي السنة السادسة لأفول نجم امبراطورنا المحبوب واحتجابهِ عن عيوننا . ولقد كنا نحن معشر انصارهِ ومريديهِ منذ غاب عنا لا نشعر بشيء من السرور بل كانت افئدتنا رازحةً تحت اعباء الهموم والاحزان لدى تصورنا تلك النفس الابية والعزة السامية في منفاها البعيد تقترب شيئاً فشيئاً الى القبر . ولم تفارقنا افكارنا هذه لا ليلاً ولا نهاراً بل كنا نود من كل قلوبنا ان نسفك آخر قطرةٍ من دمآئنا في سبيل اعادة مجدهِ وسرورهِ وحريتهِ . ولكننا لم نكن نستطيع سوى مساعدتهِ بالفكر فقط والجلوس طول الايام في الاندية نحسب الاميال التي تفصل بيننا ولعلنا لم نكن تقدر على غير ذلك لكوننا فرسان مواقع ولسنا من ابطال البحار . وكان يزيد حزننا وجودنا بدون عمل وآمالنا في العودة الى مراكزنا العسكرية لو عاد نابوليون لاننا لم نكن نرغب في خدمة البوربون ولا بذل يمين الطاعة لهم لئلا يجبرنا ذلك على مناوأة الشخص الذي نعبدهُ والذي نحن لهُ . فبقينا بدون عمل ولا مال نختلف الى مجتمعاتنا فنتبادل الحسرات والتنهدات . وكنا نروي غليلنا بعض الاحيان بمقاتلة بعض افرآد الحرس الملكي فاذا قتلناهُ عدنا مسرورين معتقدين اننا انما فعلنا ذلك اخذاً بثأر امبراطورنا العزيز المبعد عنا وعن وطنهِ

وكان لنا نادٍ نختلف اليهِ نحن جماعة الضباط الباقين على ولآء نابوليون فنقضي النهار في الحديث والليل في السمر متوقعين رجوع نابوليون لنسير في ركابهِ ونوصلهُ الى عرشهِ ولاسيما بعد ان طُرد البوربون ثالث مرةٍ من فرنسا . فلما كنا في احدى الليالي من شهر فبراير فتح باب النادي ودخل منهُ رجل نحيف البنية قصير القامة عريض المنكبين لهُ رأسٌ كبير وعلى وجههِ آثار الجراح العديدة يسترها شعر لحيتهِ

الخفيف المرخى كشعور النوتية . وكان في اذنيهِ قرطان من الذهب وكفاهُ منقوشتان بالوشم مما دلنا على انهُ من رجال البحرية قبل ان يعرّفنا بنفسهِ انهُ الربان فورنو من بحرية الامبراطور . ولما استقر بهِ الجلوس قدم كتابَي توصية لاثنين منا وكنا جميعنا قد اعجبنا ببراعتهِ وتحققنا اخلاصهُ لما سمعناهُ منهُ وعنهُ مما ابداهُ في كثير من المعارك ولا سيما في المعركة البحرية الاخيرة المعروفة بواقعة النيل حين أُحرقت المدرعة اوريان ولم يتركها حتى نسفت ثم غابت في اللجج . وبعد ان تم التعارف بيننا وبينهُ انفرد في جانب الغرفة يسمع حديثنا ولا ينبس ببنت شفة وكان يراقب حركاتنا ويصغي الى حديثنا بتمام الانتباه . وبقي بعد ذلك يتردد علينا في كل مسآء ونحن لا نسمع منهُ شيئاً ولا نرى لهُ الا نظراتٍ احدّ من السيف تجول من الواحد الى الآخر وكانها اسهم تخترق صدورنا لتطلع على ما فيها

وفي ذات ليلةٍ خرجت من النادي ولم ابتعد عنهُ حتى شعرت بيد قبضت على ذراعي فنظرت واذا بالربان فورنو وكان قد تبعني فقادني وسرنا صامتين الى ان ابتعدنا مسافةً ووصلنا الى محل اقامتهِ فقال تفضل وادخل معي يا صاح فان لي كلاماً اقولهُ لك . فتبعتهُ طائعاً ورقينا سلماً اوصلنا الى غرفتهِ فانار مصباحاً ودفع اليّ بطاقةً علمت من تلاوتها انها كتبت منذ بضعة اشهر من قصر شونبرون في فينا وفيها ما يأتي

« ان الربان فورنو ساعٍ في قضآء اهم مصالح الامبراطور نابوليون فعلى الذين يحبون الامبراطور ان يطيعوهُ طاعة عميآء ويساعدوهُ بدون سؤال »

« ماري لويز »

وكنت اعرف توقيع الامبراطورة جيداً فلم اشك في صحة الكتابة انها منها . ثم قال لي الربان هل انت واثقٌ بي . قلت كل الثقة . قال وهل انت مستعدٌّ لتتلقى اوامري وتقوم بها قلت نعم . قال سمعتك تقول في النادي انك تعرف الانكليزية فهل تقدر ان تقول لي عبارة في تلك اللغة . فقدحت زناد الفكرة وكلمتهُ فيها بما يدل على رغبتي في خدمة الامبراطور وسفك دمي من اجلهِ . فتبسم عند ما سمع لفظي

وتعبيري ثم قال هذا الكلام لا يسمى انكليزيًّا ولكنهُ على كل حال احسن من لا شيء . اما انا فانني اتكلم بهذه اللغة كابنآئها تماماً لانني قضيت ست سنوات في سجون انكلترا . اما الغرض من مجيئي الى باريس فهو ان اجد مساعداً يمكن الاتكال عليهِ لقضاء امر يهم الامبراطور جدًّا وقد قيل لي ان نخبة رجال ذلك الرجل العظيم يجتمعون في النادي فزرتكم وقضيت اياماً افحصكم جميعاً فوجدتك دون سواك الرجل الوحيد اللائق للقيام بمطلوبي . فشكرت تجمله وقلت لهُ هل لك ان تعلمني ماذا يُطلب مني . قال اني بعد ان أُطلق سراحي في انكلترا لبثت مقيماً بها وتزوجت فتاة انكليزية ثم جمعت مالاً واشتريت بهِ سفينة تجارية انكليزية توليت تسييرها بين سوثمبثون وشواطئ غينيا وصرت معدوداً بين ذلك الشعب كواحدٍ منهُ . وان حبي للامبراطور لم ينزع من صدري فانا اقضي اكثر اوقاتي وهو لا يغيب عن فكري واحب ان يكون لي رفيقٌ يشاطرني تلك الافكار ولا سيما في عزلة البحر ووحدتهِ فاطلب منك ان تصاحبني بضعة اشهر وسأشاطرك غرفتي وأوكد لك اننا سنسرّ جدًّا بتسلية احدنا الآخر . وكان يقول ذلك وهو يرمقني بنظرٍ كانهُ مصباح كهربآئي يدفعهُ الى اعماق صدري ليقرأ ما يجول في فكري . ثم اخرج من جيبهِ كيساً ثقيلاً من النقود وضعهُ امامي وقال في هذا الكيس مئة قطعة ذهبية أعدد بها ما يلزمك من حوائج السفر وان سمعت نصحي فلا تبتع شيئاً الا في سوثمبثون ولا تنسَ ان مركبي يدعى الاوزّة السودآء . اما انا فسأرجع الى سوثمبثون غداً وانتظرك الى اواسط الاسبوع القادم لنقلع من هناك . قلت سمعاً وطاعةً ولكن هل لك ان تفيدني عن الوجهة التي سنقصدها . قال اظنني اعلمتك اننا نقصد شواطئ غينيا الافريقية . قلت وكيف يتعلق سفرنا هذا بما يهم الامبراطور . قال يهم الامبراطور جدًّا ان لا تسألني عن امور لا يمكنني ان اجيبك عنها . ولما قال هذا حوّل ظهرهُ فعلمت ان المقابلة قد انتهت فخرجت وسرت الى غرفتي وانا متعجب مما حصل ولو لم اشعر بثقل كيس النقود وأرَ ذهبهُ الوهاج لم اكذّب انني كنت في حلم

لا اظنكم تجهلون اقدامي على تجشم المشاق ورغبتي في اقتفآء اثر الحوادث وقد

رأيت في ما ذكرت دافعاً يجبرني على تتبع الامر الى آخرهِ ولا سيما وان فيه شيئاً يتعلق بالامبراطور فلم البث ان تأهبت للسفر وتركت باريس في الاسبوع التالي فبلغت سانت ما لو وابحرت منها الى سوثمبثون . ولم اصادف صعوبة في معرفة الاوزّة السوداء فذهبت اليها ووجدت على ظهرها عدة نوتية ضخام الاجسام يعدونها للسفر وقد وقف الربان فورنو يلقنهم الاوامر ويلاحظ اعمالهم . فلما رآني قابلني مصافحاً ثم اخذني الى غرفتهِ الخصوصية وقال لي يجب ان تكون من الآن المسيو جيرار لا الكولونيل وان تجتهد في نسيان حركاتك العسكرية ويحسن بك ان تقصر شاربيك وتطيل لحيتك تمثلاً برجال البحر . فاستأت من كلامهِ الاخير جدًّا ولكنني عدت فافتكرت انهُ لا يكون معنا في هذا السفر احد من ربات الجنس اللطيف فلا بأس من تشويه منظري بتقصير شاربيَّ . ثم قرع جرساً فاتاهُ فتى قوي البنية تدل هيئتهُ على الاقدام والجسارة فقال لي هذا وكيلي غستاف وكاتم اسراري فثق بهِ ثم اشار اليَّ وخاطب غستاف قائلاً ان صديقي المسيو جيرار يرافقنا في هذه السياحة فحافظ عليهِ كشخصي تماماً . وبعد ذلك قادوني الى غرفتي بجانب غرفة الربان فألفيتها في غاية الرحب والاتقان ولا تنقص عن تلك الا في نفاسة فرشها فعلمت ان الربان مترفه جدًّا لما رأيت في غرفتهِ من المفروشات الحريرية والاثاث الثمين الذي يضاهي ما كنت اراهُ في اللوفر . فعجبت جدًّا وبهرت مما رأيتهُ فيها من الآنية الفضية والذهبية واستكبرت ذلك على ربان مركب تجاري ولكنني كنت اعي كل ما ارى واسمع في صدري فانظر نظر المنتقد المحترس . وعلمت انهُ يوجد على ظهر المركب الربان وثانيهِ وثالثهُ وتسعة من النوتية بينهم فتًى ومنهم ثلاثة بصفة سائحين نظيري . ولم يخفَ عليَّ استغراب ثاني الربان لسفري لانهُ قابلني مرةً فقال لي ما غرضك من المجيء معنا قلت هو مجرد السياحة . قال وهل سافرت الى الشواطئ الغربية قبل الآن قلت لا . فقال متبسماً ولا اظنك تعود الى ذلك مدى العمر

وبعد ثلاثة ايام من وصولي الى سوثمثون اقلعت بنا السفينة فما بلغت بنا عرض

البحر حتى شعرت بدوارٍ لاني لم اعتد ركوبهُ فلزمت غرفتي الى اليوم الخامس حتى الفت حركة السفينة وخف عني الدوار فخرجت من غرفتي الى ظهر المركب وهب في وجهي نسيمٌ عليل اعادني الى صحتي العادية . وكان شعر وجهي قد اخذ في النمو فكنت اجول بين النوتية واساعدهم ولا اشك انني كنت اكون بحريًّا ماهراً لو دخلت في تلك الخدمة من اول حياتي لان الربان فورنو نفسهُ شهد لي وأُعجب ببراعتي في سحب الشراع وادارة السكان (الدفة) واعمال المجاذيف . اما اكثر اوقاتي فكنت اصرفها في غرفة الربان حيث اشاركهُ في تقطيع الوقت بالالعاب ورأيت لزوم وجودي معهُ لانهُ لم يكن في جميع رجالهِ من يحسن القرآءة او الكتابة فكان يخطر لي انهُ لو مات ذلك الربان لتهنا في الاوقيانوس الواسع ولم يوجد من يعرف اين نحن ولا الى اين نسير . وكان في غرفتهِ خريطة يرسم عليها كل يوم النقطة التي بلغناها فكنا نعرف منها كيف نسير واين نحن . وقد استغربت جدًّا مهارتهُ في معرفة ذلك ونحن بين المآء والسمآء لا جبال يستدَلّ منها ولا سهول تُستقرَى فيها الآثار ومع ذلك فانهُ تنبأ لي في ذات صباح فقال اننا سنمر امام الرأس الاخضر بعد غروب الشمس فكان كذلك وما اظلمت الدنيا حتى رأينا انوار ذلك الرأس الى يسارنا . ولكننا ما اصبحنا حتى كنا قد ابتعدنا عنهُ وعدنا الى التيه فوق سطح اليم واعلمني ثاني الربان اننا لا نرى البر بعد ذلك الا متى وصلنا الى خليج بيافرا الذي نقصدهُ لمشترى زيت النخل مقايضةً بما تشحن السفينة من الانسجة المصبوغة والاسلحة القديمة والخرز الذي يتاجر بهِ المتوحشون . واتفق ان هدأت الريح فكنا نحمل على غارب الامواج متقدمين الى الجنوب ونحن لا ندري عن محلّ وجودنا الا ما كان يرسمهُ فورنو على الخريطة المتقدم ذكرها

وبعد نحو ثلاثة ايام رأيت ثاني الربان قد بانت عليهِ علائم القلق واشتغال البال فكان ينتقل من فحص الخريطة الى النظر في الافق وهو كالمأخوذ . وفي ذلك المسآء كنت مع الربان في غرفتهِ نلعب بالورق فاذا بهِ قد دخل فجأةً وعلى وجههِ امارات الغيظ فقال للربان هل تعرف الجهة التي نسير فيها . فقال الربان بدون انتباه

نحن سائرون الى الجنوب يا صاح . قال ولكن كان يجب ان نتجه شرقاً لانني اعرف الطريق تماماً وقد سلكتها مذ كنت فتًى وأعلم الآن اننا لسنا في الخط الذي يجب اتباعهُ . فرمى الربان بورقهِ الى المائدة ونهض اليهِ فقال لهُ تعال اريك الخط الذي نحن سائرون فيهِ على الخريطة فتبعهُ ذاك ووقف الاثنان ينظران اليها . فقال الربان هذا هو الشاطئ الذي تقصدهُ وهذا هو المحل الذي نحن فيهِ وهذا هو الرجل الذي يحكم مركبهُ حكماً لا ينازَع فيهِ . ولما قال هذا قبض على عنق الرجل بكلتا يديهِ حتى لم يستطع ذاك ان ينطق ببنت شفة فسقط الى الارض فاقد الرشد . ودخل في تلك الدقيقة وكيل الربان غستاف فشد وثاقهُ وسد فاهُ بمنديل حتى اصبح المسكين بين ايديهما كقطعةٍ من خشب لا ارادة لهُ ولا حراك . وكان بودهما ان يلقياهُ في البحر فلم احتمل مثل ذلك الظلم وتداخلت في امرهِ فاذعن لي الربان وبعد ان تحقق وثاقهُ بنفسهِ نقلهُ بمساعدة وكيلهِ الى احد مخازن المركب والقاهُ بين صناديق البضاعة . ولما فرغا من هذه المهمة قال الربان لوكيلهِ غستاف لا ينبغي ان نترك العمل بعد ان بدأنا بهِ فارسل لي الربان الثالث في الحال . وبعد بضع دقائق دخل الشخص المطلوب وما كاد يبلغ منتصف الغرفة حتى اطبق عليهِ الربان وغستاف ففعلا بهِ كما فعلا بالاول وبعد ان اوثقاهُ وثاقاً شديداً القياهُ في المخزن الى جانب رفيقهِ . ثم عاد اليَّ فورنو فقال انهُ لم يكن بدٌّ من هذا العمل ولكنني كنت اوثر تأخيرهُ لو لم تقضِ بهِ الضرورة . ثم نظر الى غستاف وقال لهُ خذ برميلاً من البرندي للنوتية وقل لهم يشربوا على صحة ربانهم فبذلك نأمن شرهم . اما رجالنا فاجمعهم الى غرفتك لنكون على ثقة من عزمهم على العمل ولا تؤاخذني يا حضرة العزيز جيرار على ما حصل وتعالَ نتمم اللعب

وعجبت جدًّا عند ما رأيت هذا الرجل الحديدي قد عاد الى اللعب بتمام السكينة كأنهُ لم يحصل شيء البتة فعدنا الى ما كنا عليهِ وكنا نسمع ضجيج النوتية على اثر المشروب الذي ارسلهُ لهم فورنو . وما زلنا سائرين والريح تدفع مركبنا ببطء الى الهزيع الرابع من الليل فنهض فورنو وقال اظن ان النوتية قد اصبحوا في حالة توافق

غرضنا فهلمَّ بنا . ولما قال هذا فتح صندوقاً اخرج منهُ مسدسين ناولني واحداً منهما وسار امامي فتبعتهُ الى حيث كان النوتية فلم نلقَ بينهم اقل مقاومة لان الانكليزي اذا كان صاحياً فهو اسدٌ لا يغلب ولكن اذا وضعت امامهُ الشراب ابى الاكتفاء منهُ وتناولهُ بشرهٍ قد يفضي بهِ الى الموت . ولما دخلنا الغرفة المجموعين فيها وجدنا خمسة منهم قد اصبحوا كالاموات واثنين في نهاية السكر يصيحان و يغنيان كالمجانين . وكان غستاف قد اعد حبالاً فاندفعنا على الثلاثة وبمساعدة اثنين من النوتية الذين كانوا سائحين نظيري تمكنا من ايثاق جميع النوتية في وقت قصير والقيناهم الى الغرفة لا يبدون حراكاً ولا ينطقون بكلمة ووكانا غستاف بهم وهكذا اصبح المركب بكل ما فيهِ تحت امرتنا بدون ادنى معارض . ولو صادفنا هياجٌ في البحر لافتقرنا الى مساعدين بالرغم عنا ولكن الاحوال ساعدتنا وكان البحر هادئاً فكان المركب يمخر بنا بسهولةٍ كالغادة في ساحة المخاصرة . وما زلنا على هذه الحالة الى اليوم الثالث فصعدت من غرفتي الى ظهر المركب فوجدت الربان فورنو ينظر الى الافق عن جانب المركب ولما شعر بي ناداني وقال هل ترى شيئاً يا عزيزي جيرار . فحدقت ببصري فرأيت شيئاً يظهر عند حد البحر كغيمةٍ مرتفعة من المياه فقلت لهُ ارى شيئاً ولا اعلم ما هو . قال هذا هو البر الذي نقصدهُ . قلت واي برٍّ تعني . قال ارض جزيرة القديسة هيلانة

وما قرعت اذنيَّ كلماتهُ وفهمت ذلك الاسم حتى شعرت بقوة كهربائية اصابني مجراها فاهتزَّ لها جسمي وتصورت الجزيرة قفصاً قد حبسوا فيهِ نسرنا الفرنسوي وان كل تلك المسافة والاميال البحرية لم تمنع جيرار من الاقتراب الى مولاهُ الذي يحبهُ . فشعرت ان عينيَّ تودّان الخروج من وجهي لتطيرا الى تلك الجزيرة ورفعت ذراعيَّ الى الهواء كانني اود ان ادفع المركب ليصل بسرعة فاقابل نابوليون المحبوب واخبرهُ انهُ لم يُنسَ وانهُ بعد ذلك الغياب الطويل قد تبعهُ احد عبيدهِ الامناء واشدهم اخلاصاً . ولم اعد استطيع تحويل نظري عن تلك الجهة حتى غابت الشمس واشتدّ الظلام فلم اعد ارى شيئاً فجثوت على ظهر المركب موجهاً نظري الى تلك الناحية

يخترق الظلام الدامس حيث ترآءى لي اني ارى امبراطوري المحبوب . ومرَّت عليَّ ساعاتٌ وانا على تلك الحالة فرأيت نوراً ضعيفاً ينبعث من ذلك البعد فمددت ذراعيَّ اللتين وان كانتا ذراعي الكولونيل جيرار فهما تنوبان عن فرنسا باسرها

وكان الربان فورنو قد امر فاطفأوا جميع مصابيح المركب وشد النوتية حبل الشراع الاوسط فوقف مسيرنا ثم ناداني فورنو الى غرفتهِ واقفل بابهُ . ولما جلسنا بدأ بحديثهِ فقال لا شك انك ادركت كل شيء يا عزيزي جيرار وارجو منك المعذرة على اني لم اطلعك على الحقيقة منذ البدآءة لانني في المهام الضرورية لا اعتمد على ثقة احد . فاعلم انني من زمن مديد اسعى في انقاذ امبراطورنا العزيز ولم يكن بقآئي في انكلترا ومخالطتي شعبها الا تسهيلاً لادراك هذه الغاية وقد تم كل ذلك حتى الآن على ما اريد . وكنت قد استحضرت غستاف والنوتية الثلاثة الذين من حزبنا بعد طول الاختبار والفحص . اما احضاري اياك فلم يكن الا لاعتمد على بطل مجرب لو صادفنا ما لم يكن في الحسبان وليكون للامبراطور رفيقاً يليق بهِ في رجوعهِ الى الوطن . ولم ازيّن غرفتي بهذه المفروشات والمعدات الا لاستقبالهِ ولي الامل الوطيد انهُ لا تبزغ شمس الصباح حتى يكون جلالتهُ في هذه الغرفة ويكون المركب بعيداً عن هذه الجزيرة

ولا اصف لكم ما تردد في فكري من الشعور والعواطف عند سماعي ذلك فعانقت فورنو مليًّا حتى كدت اوقعهُ الى الارض. ثم سألتهُ عن الطريقة التي يرجو مساعدتي لهُ فيها فقال انني افوض اليك كل شيء وكنت اود ان اكون انا الاول في تقديم اخلاصي لجلالتهِ ولكن ليس من الصواب ان اترك مركزي هنا لان دلائل الجوّ تشير الى امكان حصول زوبعة شديدة بعد قليل . وفوق ذلك فان على جانبينا ثلاث طرادات انكليزية ونخشى ان تطبق علينا فجأةً فمن الواجب ان ابقى على حراسة مركبي ريثما تأتي انت بالامبراطور . فأثرت فيَّ هذه الكلمات حتى ترنحت كالسكران وصحت قائلاً فما الذي ينبغي لي ان اصنعهُ الآن . قال قد انزلنا قارباً صغيراً تركب فيهِ ولكنني لا اقدر ان استغني الا عن نوتي واحد يوصلك

الى الشاطئ وينتظر عودتك فاذا بلغت الشاطئ فاقصد ذلك النور الذي تراهُ امامنا فهو نور البيت الموجود فيهِ نابوليون وكل من فيهِ من اصفيآئنا الذين يُعتمد على مساعدتهم في خلاصهِ . ويعترض طريقك حاجز من الحرس ولكنهُ بعيد عن البيت فاذا اخترقته وبلغت محل قصدك فاطلع الامبراطور على خطتنا وسر بهِ الى القارب واحضرهُ الى هنا

وكنت اتلقى اوامر صديقي فورنو بسرور واعجاب لان نابوليون نفسهُ لم يكن يعطي اوامرهُ باكثر منهُ اختصاراً ووضوحاً . ورأيت انهُ يجب ان لا نضيع دقيقة واحدة وكان القارب والنوتي في انتظاري فوثبت الى القارب فاندفع بنا فوق تلك المياه المظلمة وهو كريشةٍ في مهب الريح . وكان نظري الشاخص الى النور المنبعث من البيت المذكور قد منعني من الافتكار بغير ذلك فلم انتبه الى نفسي الا عند ما لامس القارب البر . وكانت تلك الناحية مقفرة لم نسمع فيها حركة فتركت القارب لحراسة النوتي واخذت في تسلق الرابية الصخرية . وكانت المواشي التي ترعى في تلك الناحية قد تركت لها طريقاً هناك اهتديت بهِ وتبعتهُ حتى بلغت باباً لم يكن عليهِ حرس فولجتهُ فافضى بي الى باب آخر دخلتهُ ايضاً وانا اعجب من عدم مصادفتي الحرس الذين ذكرهم فورنو . ثم ابرق لي النور ثانيةً فطارت نفسي شعاعاً واجتهدت في التستر ما امكن وأعرت اذناً صاغية فلم اسمع اقل حركة . ثم تقدمت ببطءٍ فظهر لي البيت فوجدتهُ منخفضاً مستطيلاً لهُ رواق ورأيت رجلاً يسير ذهاباً واياباً امام المدخل فانسللت بخفةٍ لأتبينهُ وقد ظننتهُ ذلك اللعين هدسن لو حاكم الجزيرة وكنت مسروراً بمجرد افتكاري في خلاص الامبراطور والانتقام لهُ . ولكنني ما عتمت ان رأيت ذلك الشبح قد وقف امام نافذةٍ ينبعث منها النور فوجدتهُ راهباً فعجبت من وجودهِ هناك في الساعة الثانية بعد نصف الليل وددت لو اعلم هل هو فرنسويّ ام انكليزي وهل هو من اصفيآئنا الذين ذكرهم فورنو . ثم تقدمت ايضاً وفي تلك الدقيقة فتح الكاهن باباً ودخل الغرفة وكانت منوَّرة فعلمت ان ساعة العمل قد ازفت ولا ينبغي اضاعتها فانحنيت واسرعت حتى بلغت النافذة

ورفعت رأسي واسترقت النظر الى الداخل فوقعت عيني على الامبراطور متوسداً سريرهُ وقد فارق الحياة

وتوقف جيرار عن الكلام هنيهةً ريثما مسح دموعهُ ثم قال اعذروني ايها الاعزآء فانني لا ازال اشعر بتلك الضربة التي زعزعت جسدي الحديدي ولما رأيت ذلك المنظر سقطت الى الارض كأن رصاصةً اخترقت صدري ورأسي وانا متعجب من وجودي حيًّا بعد تلك الساعة. ولكنني لبثت منطرحاً على الارض نحو نصف ساعة ثم نهضت بارتعاش وكانت اسناني تصطكّ وعيناي الغائرتان شاخصتين كعيون المجانين الى غرفة الموت . وكان بطلنا المحبوب ملقىً على نعش في وسط الغرفة وقد ارتسمت على وجههِ امارات الهدو والسكون والعظمة فلم تفقد هيئتهُ تلك القوة الفائقة التي كانت تنفخ في قلوبنا نار القوة ابان الحرب . وكانت شفتاهُ قد انفتحتا بتبسمٍ لطيف وعيناهُ لم تكونا مطبقتين تماماً فظهرتا كأنهما تنظران اليَّ . اما جسمهُ فكان اسمن مما رأيتهُ آخر مرة في واترلو وبالاجمال فقد كان مثال الهيبة والوقار . وكان على جانبي النعش شموعٌ موقدة وهي التي ظهر لنا نورها في عرض البحر وكان دليلنا اليهِ وحسبناهُ نجم السعادة والامل

ولما بدأت املك رشدي رأيت اشخاصاً كثيرين جاثين في غرفة الميت وتبينتهم فاذا هم رجال بلاطهِ الصغير في ذلك السجن المميت وبينهم برتران وزوجتهُ والكاهن ومنتولون وغيرهم . وخطر لي ان ادخل فاجثو بجانبهم واصلي عن تلك الروح الشريفة غير ان دعة الصلاة لم ترافقني في ذلك الموقف وعلمت انهُ يجب عليَّ الاسراع في الرجوع ولكن كيف ارجع ولا اترك علامة تدل على وجودي . ولما خطر لي ذلك لم اعد اهتم بالحاضرين فانتصبت امام قائدي الميت واقفاً الوقفة العسكرية ورفعت يدي الى رأسي محيياً التحية العسكرية الاخيرة ثم حوّلت ظهري وسرت تخفيني الظلمة وقد رُسم على شبكية عيني ذلك الوجه المصفرّ والشفتان المبتسمتان والعينان الحزينتان

وبلغت البحر وانا اظن انني لم اغب الا بضع دقائق فلم انتبه الى تضجر النوتي من طول غيابي . ولما ركبنا القارب كانت قد هبت ريح عاصفة رفعت امواج اليم

لمقاومتنا فكنا كلما اجتهدنا في الابتعاد عن الشاطئ ترجعنا اليهِ الامواج و بعد المحاولة مراراً رفعتنا موجة فالقتنا على صخرٍ ثقب قعر القارب فدخلتهُ المياه واضطررنا الى الانتظار بجانبهِ على ذلك الصخر الى ان لاح الفجر فلم نقف للسفينة على اثر . فعدت الى تسلق الصخور الشاهقة لعلي اعرف ما صارت اليـهِ فلم يظهر لي ادنى اثر على سطح ذلك الاوقيانوس المتسع ولم اعلم هل غرقت او تمكن نوتيتها الانكليز من قطع قيودهم وامتلكوها وكان ذلك آخر عهدي بها و بالربان فورنو الذي كنت اشتهي جدًّا ان اقابلهُ لاطلعهُ على ما كان من امر مهمتي . ولما قطعنا الامل من النجاة سلمت نفسي ورفيقي الى الانكليز بحجة اننا كنا مسافرين وانكسرت سفينتنا ولم ينجُ منها احد سوانا فقبلونا باكرامهم المعتاد واضافونا بكرم عظيم ولكنهُ لم يتسنَّ لي ترك الجزيرة في الحال بل اضطررت الى البقآء فيها عدة اشهر قبل ان تيسر لي مركب اقلني الى الارض التي لا يرى الفرنسوي سعادة وسروراً الا فيها

والآن ايها الاعزآء قد اخبرتكم كيف ودعت مولاي الوداع الاخير فيجب ان اودعكم ايضاً شاكراً اصغآءكم لحديثي وشعوركم مع جندي قديم كسير القلب . واراكم صحبتموني الى روسيا وايطاليا والمانيا واسبانيا والبرتوغال وانكلترا ورأيتم معي ما رأيت وما قاسيت وعلمتم شيئاً عن ابطال تلك الايام الذين كانت تهتز الارض لوقع اقدامهم فاحفظوا هذه الذكرى و بلغوها لبنيكم بعدكم فان ذكرى تلك الاعصر لاعظم كنزٍ يفاخر بهِ الجندي و يتركهُ كاعظم ارثٍ لبنيهِ . وسأفارقكم الآن عائداً الى غسقونيا مسقط رأسي غير انني اترك لكم كلماتي هذه وانا متعزٍّ بانهُ متى مات الكولونيل جيرار وفقد تنفسهُ وصوتهُ واشاراتهُ فلا تزال اعمالهُ تتلى بينكم وذكراهُ تعاد في اجتماعاتكم فعلى هذا الامل و بهذا الرجآء يقف الكولونيل جيرار الجندي القديم امامكم ايها الاصحاب ليقول لكم استودعكم الله

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون هذا الامر لا يتيسر في كل آونة اي في كل حين فيضيفون كل الى آونة على توهم انها اسم مفرد على وزن فاعلة لان كل لا تضاف الى الجمع المنكَّر وانما الآونة جمع أَوان واصلها أأْوِنة بهمزتين على وزن أَفعِلة مثل زَمان وأَزْمِنة

ويقولون الم تفعل كذا وألم تفعل كذا فيقدمون الواو على الهمزة وهو ممتنع في كلامهم لان الهمزة تتقدم على العاطف دائماً فيقال أوَلم تفعل أوَ كان الامر كذا ومنهُ أوَلم ينظروا في ملكوت السماوات والارض أفلم يسيروا في الارض أثُمَّ اذا ما وقع آمنتم بهِ وقس على ذلك

ويقولون هم الصُيَّاغ والسوُّاح فيعكسون في اللفظين والصواب الصُوَّاغ بالواو لانهُ من صاغ يصوغ والسُيَّاح بالياء لانهُ من ساح يسيح

ويقولون شَرَع ان يتكلم فينقضون احد طرفي الكلام بالآخر لان قولهم شرع يدل على ان مضمون الخبر بعدهُ اي التكلم حاصلٌ في الحال وادخال أنْ على يتكلم يدل على انهُ مُنتظَر لان النواصب كلها تفيد الاستقبال فالصواب حذف أن

ويقولون نظرت المحكمة قضية فلان فيعَدّون الفعل في هذا المعنى بنفسهِ وهو انما يتعدى كذلك اذا كان المقصود بهِ تأمُّل الشيء بالعين واما اذا كان المراد النظر العقلي وتدبُّر الشيء بالفكر فيعدَّى بفي يقال نظرت في الامر

ومثلهُ قولهم ظهر بعد رؤية الدعوى ان الامر كذا وكذا وليس هذا الموضع مما يصحّ فيهِ استعمال لفظ الرؤية لانها لا تكون الا بالعين والصواب بعد النظر في الدعوى

ويقولون هو من اهل الحماس اي الشجاعة لا يكادون يستعملون هذه اللفظة الا كذا وهو عجيب مع ان العامة كلهم يقولون الحماسة بالتاء وهو الصواب

ويقولون نفذ ما في يدهِ من المال اي فرغ وصوابه نَفِد بالدال المهملة

ويقولون جهّز لهذا العمل الوقود الكافية فيؤنثون الوقود على توهم انهُ جمع والصواب تذكيرهُ لانهُ اسمٌ مفرَد ووزنهُ فَعُول بفتح الفآء

ومثلهُ قولهم الرفات البالية وعند فلان رياش ثمينة وانما الرُفات مفرَد على حدّ الحُطام والفُتات والصحيح في الرياش انهُ مفرَد ايضاً بمنزلة اللباس والدِثار والفراش وما اشبه ذلك وهو المشهور في الاستعمال

ويقولون طعامٌ مفتخَر واثاثٌ مفتخَر اي فاخر ويلفظونه بفتح الخاء وهو استعمالٌ عاميٌّ ومنهُ القطار المفتخَر من قُطُر سكة الحديد . وانما الافتخار التمدّح بالمزايا والاحساب ولا معنى لهُ هنا كما انهُ لا وجه لفتح الخآء لان الفعل لازم

ويقولون طلب اليهِ ان يخيط لهُ ثوباً وساومهُ في ثمن السلعة فطلب اليهِ كذا وكذا وانما يقال طلب اليهِ بمعنى رَغِب اليهِ اي سألهُ بضراعة والوجه طلب منهُ

ويقولون دخلت فاذا زيدٌ خرج فيستعملون الماضي بعد اذا الفجائية بدون قد وهي لازمة لهُ لان اذا لا يقع الفعل بعدها الا حالاً فاذا جيء

بعدها بالماضي قُرِن بقد ليتقرب من زمان الحال ولذلك يُقرن الماضي بقد في الجملة الحاليّة ايضاً كما تقرّر كل ذلك في مواضعهِ

ويقولون تكتّمت الخبر فيجعلون تكتَّم متعدياً وهو لا يكون الا لازماً يقال تكتّم فلانٌ اذا كتم نفسهُ او امرهُ كما يقال تستّر وتحجب ونحو ذلك

ويقولون ميناء امينة فيؤنثون لفظ الميناء وهو مذكرٌ في استعمالهم ووزنهُ مفعال لافِعْلاء قالوا واشتقاقهُ من الونى لان السفن تَني فيهِ اي تفتر عن جريها

ويقولون هل هذا الامر يعجبك فيقدمون الاسم على الفعل بعد هل وهو ممتنع لان هل اذا دخلت على جملةٍ خبرها فعل وجب تقديم الفعل فيقال هل يعجبك هذا الامر واذا لزم تقديم الاسم لغرضٍ بياني جيءَ مكانها بالهمزة فيقال أهذا الامر يعجبك وتعليل ذلك في اماكنهِ من كتب النحاة

ويقولون انا في هذا الامر مثل فلان سوآء بسوآء ولا يكاد يتحصل معنى لهذا التركيب والصواب اسقاط بسوآء ونصب سوآء الاول على انهُ حالٌ مؤكدة لعاملها وهو ما تقدمها من معنى التشبيه

ويقولون قَطْر الركاب وقَطْر البضاعة ويلفظون القطر بفتح فسكون فيحرّفون هذه اللفظة عن وضعها لانها انما نُقلت من قِطار الابل وهو ما قُطِر منها اي جُعل بعضهُ تالياً لبعض فحرّفتها العامة ثم تبعتها الكتّاب وهو غريب . ويقولون في جمعها قطورات وكانهُ محرّف عن قُطُرات بضم القاف والطاء وهي جمع قُطُر جمع قطار على حدّ طُرُق وطُرُقات

ويقولون يوم الثلاث ويوم الاربع وهو من متابعة العامة ايضاً والصواب

الثلاثاء والاربعاء بالالف الممدودة فيهما ولفظ الاول بضمّ اوله ولفظ الثاني على مثال أذكياء

ويقولون اطّرد خطّتهُ في امر كذا اي مضى على خطّتهِ واستمرَّ على طريقتهِ فيستعملون هذا الفعل متعدياً وهو لا يُستعمَل الا لازماً يقال اطّرد الماء اذا تتابع سيلانهُ واطّردت الاشياء اذا تبع بعضها بعضاً واطّرد الامر اذا استقام على جهتهِ وأصل كل ذلك من الطرد بُني على افتعل لمعنى المشاركة كأن الشيء يطرد بعضهُ بعضاً على حد قولك ازدحم القوم واستبقت الخيل وما جرى هذا المجرى

ويقولون فعل ذلك لكي اذا لقي زيداً يشكرهُ فيفصلون بين كي وفعلها باذا وجملتها وهو ممتنع لان كي من الموصولات الحرفية والموصول وصلتهُ كالكلمة الواحدة فلا يجوز فصل احدهما عن الآخر . والصواب في هذا التركيب ان يقال لكي يشكرهُ زيدٌ اذا لقيهُ او حتى اذا لقي زيدًا يشكرهُ وحتى في هذا الموضع حرف ابتداء　　　(ستأتي البقية)

ذكرى الهند

(تتمة ما سبق)

وفي كلكتا مكتبة عمومية انشأتها الحكومة المحلية وقد زرناها فصادفنا فيها مدرّس اللغة العربية رزق الله افندي عزّو البغدادي فادخلنا المكتبة واخذ يرينا الكتب العربية الخطّية والمطبوعة وهي شيءٌ كثير وفيها من الكتب الانكليزية واللاتينية والفارسية والسريانية ما لا يُحصَى عددهُ وكلها

مرتبة ترتيباً حسناً ولها فهرست يدلّ على اماكنها وقد خصصت لها الحكومة
مبلغاً من المال كل سنة ليشتري بهِ قيّمها ما يرى لهُ لزوماً من الكتب
العربية . وطول ردهة المكتبة يبلغ خمسة وعشرين متراً في عرض عشرة
امتار . وبينما كنا نتفقد ما هناك من الكتب اقبل قيم المكتبة الدكتور
رنكي فسلم علينا بالعربية والرجل بين الخمسين والخامسة والخمسين من العمر
انكليزي المحتد يحسن العربية والفارسية واللاتينية والسنسكريتية وهو من
كبار الاطباء ولهُ شهرة واسعة في هذه البلاد. وكان مشتغلاً بترجمة تاريخ
ابن المقدسي من العربية الى الانكليزية مع تعليق بعض حواشٍ واضافات.
وفي هذه المكتبة يجري كل سنةٍ امتحان طلبة اللغة العربية او الفارسية
او الاردوية وهؤلاء الطلبة هم ضباط العسكر لان القانون الانكليزي يقضي
على جميع الضباط ان يتعلموا احدى هذه اللغات الثلاث

ومن الاماكن التي زرناها في هذه المدينة ميدان المنارة وهو موضع
فسيح يبلغ عدة اميال طولاً وعرضاً والى جنوبيّهِ اخر قصور المدينة وأنزالها
وارضهُ مكسوّة بنباتٍ غض يُعرَف بالثيّل لا تزول خضرتهُ في الفصول
الاربعة ويتخللهُ كثيرٌ من الاشجار الغنّاء الضخمة . وقد نُصبت فيهِ عدة
تماثيل لمشاهير رجال الانكليز رأينا في جملتها تمثال روبرتس القائد الكبير
الذي أُرسل الى الترنسفال في الحرب الانكليزية الاخيرة وهو موضوع على
دكةٍ عالية مرتفعة نحو خمسة امتار . وقد اتفق مدة وجودنا هناك ورود
خبر تلغرافي يبشر برفع الحصار عن مدينة لادي سميث بالترنسفال فرأينا
الناس في ذلك اليوم يتقاطرون نحو التمثال المذكور وفي ايديهم اكاليل

الورود فوضعوها على التمثال وقد تجاوزت المئات

وفي هذه المدينة كثير من الحواة والعرّافين والمشعوذين من الهنود عَبَدة الوثن والمسلمين وهم يجولون في الازقة والشوارع ويخدعون الجهلآء ويستنزفون اموالهم واكثرهم يمشون وفي ايديهم كتب خزعبلاتهم وقد لا يعرفون حرفاً من حروف الهجآء وينادون على بضاعتهم فيقبل الناس عليهم افواجاً . اما الحواة فيحملون اكياساً مملوءة من اصناف الحيات ويعلّقون بعضها على اكتافهم ويمسكون بعضها بايديهم ويطوفون بين البيوت ويدخلون على من يدعوهم اليهِ فيلاعبون الحيات وربما اظهروا بعضها بغتةً كانهم ينادونها من وكرها فتُقبِل عليهم . وقد اتفق لنا ان رأيناهم مرة فكانوا يزمرون للحيّة وكانهُ يطيب لها سماع صوت المزمار فتنتصب وتميل برأسها ذات اليمين وذات الشمال فاذا كفّ الحاوي عن الزمر تثبطت واذا اعاد العزف عادت الى ما كانت عليهِ

اما الدين في الهند فاغلب اهلها على الوثنية وهم يبلغون زُهآء مئتين وثمانين مليوناً منهم نحو ستين مليوناً مسلمون ما بين سنّية وشيعية من مذاهب شتى الا ان اكثرهم جَهَلة اغبيآء لا يعرفون من الاسلام الا الشهادة ولا يكاد يوجد من يعرف شيئاً من الدين الا نفرٌ معدود في عاصمة حيدر اباد . وهم جميعاً متعصبون اشدّ التعصب وبين السنّية منهم والشيعية عداوةٌ وبغض ما ورآءهُ بغض ولولا تيقظ الحكومة وسهرها على الراحة العمومية لما كانت تكفّ من بينهم الدمآء . والسنيون منهم يجلّون دولة الاتراك ومن ينتمي اليها والشيعيون يعظمون دولة العجم . وبقية الهنود يعبدون الانهار

والبحار والمنحوتات والاشجار وبعض انواع الحيوان ولا سيما اناث البقر . ومنهم من يعبد الشمس والنار وأصل هؤلاء من بلاد الفرس هاجروا الى الهند من عهدٍ غير بعيد وقيل انهم لما دخلوا الهند لم يقبلهم اهلها الا بشرط ان لا يأكلوا لحماً ولا يؤذوا حيواناً وان يضعوا على رؤوسهم نعالاً تكون علامةً لهم تميزهم عن اهل البلاد فرضوا بهذا الاشتراط واستوطنوا البلاد ومعظمهم يسكنون في بمباي . وهم اصحاب جدّ ونشاط ولذلك تقدموا على الهنود في كل شيء ولا سيما الوظائف في دوائر الحكومة وكثيرٌ منهم تلقّوا العلوم في مدارس عالية في لندرة . ولهؤلاء الفرس جمعيات خيرية ومنتديات علمية وملاهٍ ومجتمعات خاصة بهم ودأبهم معاضدة بعضهم لبعض واغاثة البائس منهم ولهذا قل ان يوجد بينهم فقير . ويلبس رجالهم ونسآؤهم زيّ المتمدنين وملامحهم لا تزال متميزة تشير الى انهم غير وطنيين ولونهم اقلّ سواداً من الهنود مع ما كرّ عليهم هناك من الزمن وهم يبلغون نحواً من مئة الف نسمة

اما مذاهب الهنود الاصليين فلا تكاد تُحصَى واكثرها شيوعاً بينهم البوذية وعبادة اناث البقر وهم يلتطخون بروثها ولا سيما سدنتهم فانهم يلطخون بهِ رؤوسهم ووجوههم كلها واما الباقون فيَسِمون بالروث جباههم فقط ويغسلون وجوههم ببولها . وهم يجلون البقرة ولا يستخدمونها في اعمالهم واما الثيران فيكدّونها نهاراً وليلاً ويحمّلونها أثقل الاحمال ولا يشفقون عليها وقد نسوا انها من نتاج البقرة سيّدتهم وحبيبتهم . وهم فضلاً عن اكرامهم لإناث البقر على العموم فان كل واحد منهم يختصّ لنفسهِ بقرةً يميزها بفرط

عنايتهِ واعزازهِ . وهذه البقر تسرح في الطرق وتجول في الازقة مارحةً فلا يمسّها احد الا للتبرُّك بها واذا مرّت على حانوت واكلت من طبق البيّاع شيئاً عدّ صاحب الحانوت نفسهُ سعيداً مرضياً عنهُ

اما النصرانية فلا يتجاوز اهلها في الهند اربعة ملايين نصفهم من الكاثوليك والنصف الآخر من البروتسطان . وفي المَلَبار زهاء ثلاثمائة الف نفس من السريان اليعاقبة دخلوا الهند منذ بضعة قرون وكانوا من قبل على مذهب النساطرة ثم نبذوا القول بالاقنومين وانحازوا الى مذهب اصحاب الطبيعة الواحدة واتخذوا الطقس السرياني . وهم يلفظون السريانية على مذهب الغربيين ويسوسهم اليوم خمسة اساقفة يعاقبة ولهم ولع بتعلم اللغة السريانية ولهم مطبعة تطبع بهذه اللغة

وبعد ان قضينا سياحتنا في تلك الديار ضممنا رحلنا للعودة الى الوطن فودعنا من لنا هناك من الاحباب ومن تعرفنا بهِ من الوطنيين والنزلاء وركبنا السفينة في ١٨ من شهر نيسان فمخرت بنا مارّةً بالبنادر نفسها وبلغنا البصرة في ثاني شهر ايار وبعد ان لبثنا عشرة ايام في محجر البصرة واقمنا اياماً أُخر بالمدينة استتممنا طريقنا الى بغداد فبلغناها في الرابع والعشرين من هذا الشهر فكانت مدة غيبتنا كلها ثمانية اشهر وقد مضت هذه الايام كما تمضي الدقائق من الزمن او كما ينقضي الحلم في الوسن فسبحان الدائم القائم فوق مرّ الحوادث وكرّ العصور ولهُ الحمد والتسبيح الى ابد الدهور

الرق والنخاسة

خُلِق الانسان ليعيش حرًّا لانهُ سيّد المخلوقات الارضية وليس فوقهُ مخلوقٌ آخر يتسلط عليهِ ويحتبسهُ على خدمتهِ وحمل اثقالهِ وتكاليفهِ وانما استعبدهُ اخوهُ الانسان بغياً واستطالةً فانزلهُ من مقام الانسان الى مقام الحيوان الاعجم . على ان الرقّ انما كان في اصلهِ اثراً من آثار الحرب والشرُّ لا يلد الا مثلهُ فكان كل من وقع في ربقة الاسر يصير عبداً للآسر . غير أن الناس اخذوا بعد ذلك يتفننون في طرق الاستعباد على ما شآءت مطامعهم وما بلغت اليهِ مقدرتهم بحيث ازداد الامر فظاعةً وشرًّا الى ما لا يُذكَر معهُ استعباد الاولين

والامم على اختلافٍ في معاملة الرقيق فالاسرائيليون مثلاً كانوا كسائر اهل المشرق ذوي رفقٍ بالارقآء يعاملونهم بالرأفة والاحسان وينزلونهم منزلة ذويهم كما نجد ذلك في اخبار السلف القديم منهم كابرهيم واسحق وكما جآء مفصلاً في شريعة موسى مما لا حاجة الى سردهِ لشهرتهِ

واما اليونان فكان الارقآء عندهم على ضربين احدهما اهل البلاد التي يفتتحونها عنوةً ويبسطون ملكهم عليها فانهم كانوا يستعبدونهم ويستأثرون بما يملكونهُ من عقارٍ وغيرهِ ويستعملونهم في حراثة الارض ويضربون عليهم جزيةً سنوية يؤديها كل واحدٍ منهم عن رأسهِ ويستصحبونهم في مواقع الحروب وهؤلآء لا يجوز لهم ان يبيعوهم الى غير بلادهم ولا ان يفرّقوا بينهم وبين عيالهم وكانوا لا يُمنعون من حق التملك . والضرب الآخر الارقآء

المشترَون بالدرهم من الاجانب عن اهل البلاد فانهم كانوا ملكاً لمواليهم يتصرفون فيهم تصرفهم في كل ما يملكونهُ من سِلَع وعقار وغير ذلك حتى كانوا يرهنونهم اذا دعت الحال . غير انهم مع ذلك كانوا في حالةٍ احسن من حال العبيد عند الرومان ولا سيما في اثينا فكانوا من الاعزاز بحيث اذا اشترى احد السادات عبداً اقيمت الافراح في منزلهِ ووُزّعت الحلوآء كما يُفعل في الاعراس . وكان اذا اعتدى عليهم معتدٍ بضرب او غيرهِ يقتصّ لهم القضآء من المعتدي ولا يُقتل عبدٌ الا بموجب حكم قضآئي واذا عاملهم مواليهم بالعنف فلهم هيكلٌ يلتجئون اليهِ ويطالبون ان يباعوا لموالٍ آخرين . بيد انهم لم تكن لهم كل حقوق الاحرار فكانوا يُعاقَبون في ابدانهم ولا تُقبل شهادتهم في القضآء واذا اشتُشهدوا على امرٍ لم تصدَّق شهادتهم الا بعد التعذيب

اما عند الرومان فكان الامر اشدّ من ذلك كثيراً وكان غالب العبيد عندهم من الاسرى ومع كثرة حروب الرومان وغاراتهم كان عددهم احياناً يفوت الاحصآء فكانوا تارةً يبيعونهم ويردّون اثمانهم على خزينة المملكة وتارةً يوزعونهم على الجند في جملة الغنائم . وكان العبد منهم اذا اذنب يُعاقَب بشدّة بالغة الى ما لم يُسمع بمثلهِ فيُضرب بمقامع الحديد او يُجلد بسياطٍ ذات ثمرٍ من حديد على شكل مخالب محدَّدة او اقراص ذات اسنانٍ كالمسامير ومنهم من كانوا يسجنونهم في المطابق وهي سجون مظلمة تحت الارض فلا يخرجونهم الا في النهار للعمل في الحقول وفي ارجلهم القيود وفي اعناقهم السلاسل واذا سرق العبد او أبق قبضوا عليهِ وكووهُ في جبهتهِ بالحديد المُحمَى . واذا عجز احدهم لعاهة او هرم او مرض مرضاً ثقيلاً يرسلهُ

مولاهُ تفادياً من نفقتهِ الى جزيرةٍ في التيبر تسمى جزيرة اسكولاب وهو اسم اله الطب عند اليونان ويتركهُ هناك فاما ان يقضي نحبهُ واما ان يشفى فيستردّهُ للخدمة . وكان اذا قُتل ربّ بيتٍ في بيتهِ ولم يُعرَف قاتلهُ يُقتل كل من عندهُ من العبيد حتى رُوي انهُ لما قُتل بّديانُس سّكُنْدُس في منزلهِ على عهد نيرون كان عندهُ اربع مئة عبد فذُبحوا عن آخرهم

ولم تكن نسآء الرومان بارحم من رجالهم فانهنّ كنَّ يتخذنَ من نسآء اولئك العبيد وصائف لهنَّ يصلحنَ من شعورهنَّ وملابسهنَّ فاذا اخطأت احداهنّ في ضفيرةٍ من الشعر لم تعقصها كما ينبغي او جآءت احدى طيات ثوبها على غير ما تهوى سيدتها فاقلّ عقابٍ لها ان تعمد الى مدراتها وهي مسلّة طويلة تكون في يدها تسوّي بها شعرها وتغرزها في يد تلك المسكينة

وكانوا يعتبرون استرقاق اسرى الحرب حقًّا شرعيًّا لان من حقوق الغالب ان يقتل كل اسيرٍ يقع في قبضتهِ وهذا الحقّ ثابتٌ لهُ سوآءٌ عجّل انفاذهُ او أرجأهُ الى حين فيكون الاسير محبوساً عندهُ على ذلك . وبهذا الاعتبار اي باعتبار كونهِ ميتاً حكماً وان ما مُدَّ لهُ من حبل الحياة انما هو منّةٌ خالصة من عند آسرهِ فهو ما بقي حيًّا يكون ملكاً للآسر ويخرج عن حدّ الانسان الى حدّ السلعة ويكون لآسرهِ ان يفعل بهِ ما شآء فيبيعهُ ويعذّبهُ او يميتهُ . على ان عواطف الرحمة التي لا يخلو منها انسان مهما قسا قلبهُ مع تجدُّد الاواصر بين العبد وسيّدهِ مدة خدمتهِ لهُ كانت ولا جرم تلطّف من غلاظة الموالي على العبيد ومع ذلك فلم تبرح معاملة اكثرهم لهم بالغةً اقصى مبلغ من القسوة حتى اضطُرّت ملوك الرومان ان تعرض في هـذا الامر

وتسنّ الشرائع لمعاملة العبيد وكف الجور عن عواتقهم فوضع اوغسطس قانوناً يمنع من القآء العبيد الى الضواري ووضع كلوديوس قانوناً آخر من مقتضاهُ ان المولى اذا اهمل عبدهُ لعاهةٍ او عجز خرج عن الرقّ واذا قتلهُ لمثل ذلك بدل ان يسرّحهُ يطالب بدمهِ كما يطالب سائر القتلة الى غير ذلك

على ان الشرع الروماني لم يكن يعتبر للعبيد زواجاً شرعيًّا ولا قرابةً صحيحة وانما كانوا يعتبرون زواجهم بمنزلة مجرّد أُلفة ومساكنة بين الرجل والمرأة ولم يكن للعبد حقّ التملك ولكن كل ما يكون في حوزتهِ مدة حياتهِ يعود بعد موتهِ الى المالك

ولما اصبح الرقيق سلعةً تباع وتشترى تنبه لهُ اصحاب المطامع وطلّاب المكاسب ونشأت على اثر ذلك حرفة النخاسة وهي التجارة بالعبيد واتسعت شيئاً فشيئاً حتى تعدّت اسرى الحرب الى كل من يقع في حبائلهم وعلى الخصوص اهل البلاد الهمجية ممن لا ناصر لهم ولا ملك يجمعهم ٠ فكانت تتألف عصابات من اولئك النخاسين يركبون السفن جماعاتٍ كثيرة من جهات شتى ويقصدون الاطراف البحرية من افريقيا فيغيرون على قبائل الزنوج ويأسرون منهم او يكمنون في الغابات والادغال فيخطفون من يصادفونهُ من الرعاة وعابري السبيل ويحملون من يقع في ايديهم الى البلاد الاوربية اوغيرها فيبيعونهم ٠ واصبح لهذه التجارة معاهد معلومة يقصدها البائع والمشترى وقد اشتهرت بذلك في الزمن القديم مصر وقبرس وامتدّت هذه التجارة الى بعض جزائر بحر ايجي وكان لها اناسٌ في صور وصيدآء وغيرها من السواحل الشامية ٠ ومن الغريب ان الزنوج انفسهم كان يغير بعضهم على بعض

وتأسر كل قبيلة من الاخرى ويبيعون اسراهم لاولئك التجار

ولما انتشر اقتنآء الرقيق في اوربا وصار ذلك عادةً عند ارباب الثرآء تكاثر الطلب عليهِ فكانت السفن تذهب من اوربا بالمئات الى سواحل افريقيا فتختطف مئات الالوف من الزنوج وقد بلغ عدد الجلَب سنة ١٧٦٨ مئة الف واربعة آلاف عبد وبلغ مثل هذا العدد في السنوات الخمس التالية ثم تناقص الجلب في زمن الحرب الاميركية وعاد بعد ذلك الى ما كان عليهِ فكان عدد العبيد الذين جُلبوا سنة ١٧٨٦ مئة الف وعدد السفن التي جآءت بهم ثلاث مئة وخمسين سفينة . وكثيراً ما كانوا يقتنصون العبيد بالحيلة فكانوا يحملون معهم مقادير عظيمة من المسكر فيسقونها للزنوج فاذا صرعهم الشراب اخذوهم الى سفنهم . وفضلاً عن ذلك كان لهم عملاء من الزنوج انفسهم منبثّون على شواطئ افريقيا ولهؤلآء عملآء ايضاً في كل ناحية من داخل البلاد ولهم محطّات عديدة يُنقَل العبيد الى الواحدة منها بعد الاخرى حتى يبلغوا الساحل بعد ان يقطعوا ٣٠٠ ميل فما فوق وقد ازدادت هذه التجارة امتداداً سنةً بعد سنة بحيث لم يمضِ زمنٌ حتى كانت كل سواحل افريقيا من لدن السَنَغال الى انكولا سوقاً للنخاسة ينتابها تجّار اوربا واميركا . ثم اخذوا يعاملون حكام تلك الاطراف فكانوا يبيعونهم أسراهم واحياناً اناساً من رعاياهم واقاربهم طمعاً فيما ينالونهُ من اثمانهم وان هي الا بعض أسقاطٍ من الاثاث وبراميل من رديء العرق

(ستأتي البقية)

غرائب البصر

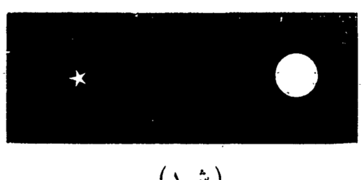
وقفنا على مقالة مطوَّلة في هذا المعنى لبعض اكابر الاطباءِ فرأينا ان نعرّب منها الشيء بعد الشيء لما فيها من الفائدة العلمية في قالب الفكاهة قال

من المعلوم ان اهمّ الاغشية الداخلة في بنية العين هو الشبكية لانها هي التي تشعر بتموّجات الضوء بما فيها من الاطراف العصبية الخاصّة . وهي كثيرة الاجزاءِ يُعَدّ فيها من عشر طبقات الى اثنتي عشرة لكن حَسْبُنا هنا ان نذكر انها مركبة من ألياف تنفذ في وسطها ألياف العصب البصري الآتي من الدماغ بعد انفراجها في داخل المقلة فان كل واحدٍ من هذه الالياف يمتدّ في جدار الشبكية امتداداً مؤازياً لسطحها ثم يرتدّ في اتجاهٍ عمودي من الباطن الى الظاهر حتى ينتهي عند الطبقة الملونة من المشيمية بخلايا بصرية بعضها بشكل عُصَيّات عمودية وبعضها بشكل اطرافٍ هَرَميّة نسميها بالجُزَيرات (جمع جُزَيرة تصغير جَزَرة) . وهذه العُصَيّات والجُزَيرات هي الاجزاءُ التي تتأثر بالضوء دون سواها وتتألف منها طبقة تعرف بغشاءِ يعقوب

ثم ان النقطة التي ينفذ منها العصب البصري الى المقلة لا تكون الالياف عندها قد انتشرت الى باطن الشبكية فلا يكون فيها عُصَيّات ولا جُزَيرات وبالتالي فان هذه النقطة لا يكون فيها شيءٌ من قوة الشعور البصري ولذلك تسمَّى بالنقطة العمياءِ ويتحقق وجودها بالامتحان الآتي

اجعل عينيك قبالة الرسم الذي هنا (ش ١) وأَدنِهما منهُ ما استطعت ثم اغمض العين اليُسرَى وانظر باليمنى الى الكوكب الصغير الابيض فانك

ترى اولاً الكوكب والقُرص جميعاً . ثم باعد رأسك عن الرسم شيئاً فشيئاً وعينك على الكوكب فتصل الى حدٍّ لا ترى فيهِ القرص اصلاً وذلك عند ما يبلغ البعد نحو ١٥ سنتيمتراً . وسببهُ ان الاشعة الآتية عن القرص الى العين تنحرف شيئاً بعد شيء كلما تباعدت عنهُ حتى تقع صورتهُ على النقطة العميآء . ولكنك اذا لبثت تتباعد ايضاً يجوز القرص النقطة المذكورة فتعود الى رؤيتهِ كالاول



(ش ١)

ثم انهُ لما كان غشآء يعقوب مؤلفاً مما ذُكر فمن السهل ان يُدرَك السبب في عدم تمييزنا احدى النقطتين من الاخرى او احد الخطَّين من الآخر اذا كانت زاوية المسافة الفاصلة بينهما صغيرةً جدًّا بحيث تكون اقلّ من ثانيتين او ثلاث . وذلك ان صورة هاتين النقطتين او الاجزآء المتقابلة من الخطين عند وقوعها على الشبكية لا يزيد قطر الفاصل الذي يتوسطها على جزءين من الف من المليمتر وحينئذٍ فالنقطتان او الجزآن المتقابلان من الخطين يقعان على جوهرٍ واحد من جواهر الشبكية او على جوهرين متلاصقين فلا يُرَى هناك الا شيءٌ واحد

ويمكن ان يُتَّخذ من هذا مقياسٌ تُمتَحن بهِ حدّة البصر وذلك بان

يُرسَم على قطعة ورق اربعة مربعات سوداء كالمرسومة هنا (ش ٢) كلٌّ منها بثلاث اضلاع عرض الضلع منها ٥ ميليمترات وعرض البياض في وسطها



(ش ٢)

كذلك . ثم يوضع هذا الرسم في نورٍ مشرق امام الناظر ويُجعَل بينهما اطول مسافة يستطيع منها ان يميّز الضلع الناقصة تمام التمييز ثم تقاس تلك المسافة فتكون هي القياس النسبيّ لقوّة بصرهِ . وهذه المسافة تكون عادةً ما بين ١٥ و١٨ متراً

الفضة ام النحاس

(بقلم حضرة الاديب الياس افندي الغضبان)

لهجت الجرائد والمجلات في هذه الايام بخبر اكتشافٍ جديد حاصله ان واحداً من العلماء اسمهُ الدكتور مور ظهر لهُ ان النحاس اقتل السموم للمكروب ولو كان مقدارهُ في منتهى القلة مثل قمحة واحدة في خمس مئة رطل من الماء . ثم ابان العالم المذكور ان النحاس المعدني غير سامٍّ ولكن يتركب منهُ املاح سامة ولهذا اصطلح الناس على طلي الآنية النحاسية بالقصدير منعاً لتركُّب تلك الاملاح منهُ ومن الحوامض التي تدخل الطعام . على ان تلك الاملاح لا تضر الانسان الا اذا كانت ذات مقدار كبير بخلاف المكروب فان اقل شيء منها يكفي لقتلهِ ولذلك تجد الناس بعد زوال

القصدير عن الآنية لا يزالون يستعملونها ولا يصيبهم منها ضرر وذلك لقلة الاملاح التي تتركب منها. على ان العلماء لم يكونوا يجهلون ان املاح النحاس تفعل بالمكروبات هذا الفعل لكنهم كانوا يحتسبون ان المقدار الكافي منها لاماتة المكروب يضرّ الاجسام ايضا ويسمّها اما الآن فقد ثبت لهم ان ذلك المقدار القليل لا يؤثر على التركيب الانساني بل انهُ يتلف المكروب ويمنع عن الانسان ضررهُ وهذا مجمل هذا الاكتشاف الجديد

وقد ذكر الدكتور مور صاحب هذا الاكتشاف جملة تجارب تثبت هذا القول وذلك بواسطة الشب الازرق الذي هو اشهر املاح النحاس اذ كان يحل منهُ قمحة واحدة في مقدار من الماء المستنقع الكثير المكروب فلا يلبث ذلك الماء قليلاً من الزمن حتى يموت ما فيهِ من الجراثيم ويصبح صالحاً للشرب

واخيراً استطرد الى الكلام على قِطَع المسكوكات المتداولة بين ايدي الناس فذكر انهُ وجد كثيراً من المكروبات على النقود الذهبية والفضية ولم يجد شيئاً على المسكوكات النحاسية . وزاد على ذلك ان اهل الصين لا تنتشر بينهم الكوليرة لانهم يستقون الماء في آنية نحاسية وكذلك النحاسون لا يصابون بالكوليرة ولو انتشرت بين مجاوريهم

فلما وقفت على ما تقدم خطر لي ما كنت نقلتهُ لقرآء الضياء في الجزء الخامس عشر من سنتهِ الخامسة عن الدكتور فنسان احد الاطباء العسكريين في فرنسا من انهُ ظهر لهُ ان الفضة تقتل المكروب وتميتهُ وانهُ بينما كان يفحص انواع المسكوكات فحصاً مجهريًّا وجد ان المكروب اكثر ما يتجمع

على القطع النحاسية منها ثم على القطع الذهبية واقل ما يوجد على القطع الفضية . وقد ذكر انهُ فحص قطعة من ذوات العشرة سنتيمات (وهي من النحاس كما يعلم) فوجد عليها ١١٠٠٠ مكروب ثم فحص قطعة ذهبية فوجد عليها نحو ٣٠٠٠ ولم يجد على قطعة الفرنك الفضية زيادة على ٥٠٠ مكروب واكد ما ذكرهُ بجملة تجارب أُخر من هـذا النوع فليراجعها في محلها من يروم الوقوف على تفصيلها

ثم زاد على ذلك بقولهِ ان الفضة سمٌّ قتال للجراثيم المرضية وانهُ يمكن ادخال هذا المعدن في جملة المواد الدوآئية وذكر من هذا القبيل ان الدكتور فُولاّي في باريز لاحظ ان الجراح التي تخاط باسلاك من الفضة كانت اسرع برءًا من غيرها وقد ادّاهُ البحث اخيراً الى امتحان الحقن بالفضة في عدة امراض الى آخر ما هنالك

ولا يخفى ما بين تجارب الدكتور مور وتجارب الدكتور فنسان من الاختلاف والتناقض الواضح ولا سيما في فحص المسكوكات اذ يزعم الدكتور فنسان انهُ وجد ١١٠٠٠ مكروب على القطعة النحاسية حالة كون الدكتور مور ينفي وجود المكروب بتاتاً على القطع التي من نوعها وفضلاً عما تقدم فان كلاًّ من الاثنين يؤيد اكتشافهُ بما اوردهُ من الادلة والبراهين

ولما لم اكن من الاطباء وليس لديَّ من الوسائل ما يمكنني ان اختبر المسئلة بنفسي رأيت ان استدعي انتباه ذوي العلم الراسخ من نخبة اطبائنا الافاضل الى هذين الاكتشافين المتناقضين عسى ان يوجد فيهم من ينتدب لتحقيق هذه المسئلة الخطيرة وبيان الصحيح من القولين لما يترتب على ذلك من

المصلحة الكبرى في اهمّ امرٍ ألا وهو الصحة العمومية ولا ازيدهم علماً بما في ذلك من جليل الفخر وجميل الذكر وايذان اهل الغرب بان في الشرق اناساً يجرّدون الحقائق من نقابها ويفصلون بين خطأ الامور وصوابها وبالله الهداية والتوفيق

حلم الهوى

من نظم حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب من اساتذة مدرسة الاميركان الداخلية بمدينة صيدآء وهي حادثة غرامية وقعت لولي عهد الالمان مع احدى غانيات الاميركان قال

لا تلوموا مُولعاً مضطربا كلما عنَّفهُ الناس صبا
انهُ عن غيّهِ لا يرعوي هكذا الحب عليه كتَبا
قذف الحظُّ بهِ في مكتبٍ لا اعزَّ الله ذاك المكتبا
ضرب الجهل بهِ اطنابهُ فلقد عقّ بنوهُ الأَدَبا
لم يجد من ربقة الذلّ لهُ مخرجاً فاختار عنهُ الهربا
فتولى قاصداً دار التي وهبَ الحسنُ لها ما وهبا
بثها الوجدَ الذي قد مضّهُ وغدا يشكو لديها النُوَبا
قال يا ذات البها لي جَدَّةٌ حينما ادركتُ رَيعان الصبا
وهبتني خاتماً من ذهبٍ فيهِ كلُّ الغمّ عني ذهبا
ثم اوصتني بان ابذلَهُ للتي اخطبها بين الظِبا
فخُذيهِ اليوم مني واعلمي انهُ عن غايتي قد اعربا

ختم القـول لهـا في قبـلةٍ ثم للـصرح الفخـيم انقلبـا

* * *

بسط الأُفقُ لثاماً حالكاً وبهِ الكون الرحيب انتقبا
انما ذاك المعنَّى كلما حاولَ النومَ يرى الطَرْفَ أبى
قال اني يا مليـك الليـل من طول سهدي كدتُ احصي الشُهُبا
لستُ ادري أفؤادي خافقٌ في ضلوعي جزعاً ام طـربا
فهـو لا يفـترُ عن ضَرْباتـهِ ان نأى محبـوبهُ او قَـرُبا
قد جعلتُ الحبَّ لي ديناً وان متُّ لا اترك هـذا المذهبا
انا لا اعتـدُّ بالمُلك ولا اتولى رتبـةً أو منصبـا
قد هجرتُ التاج والعـرش فلي في الهوى تاجٌ وعرشٌ نُصِبا
فاذا نلتُ من الحِبِّ المُنَى كل ما في الكون عندي كالهبا
ايهِ اني ملكٌ والحُبُّ لي ملكٌ اعظـم من انْ يُغلبَا
يطلبُ الجـزيةَ قلبـاً طائعاً فهـو يأبى فضـةً او ذهبـا
سيفهُ اللحظُ الذي يفري الحشا ولعمـري فهـو سيفٌ ما نبـا
ذاك امـرٌ ليس يدري كنهَـهُ احـدٌ الا الذي قد جـرّبا

* * *

ثم لما انبلـج الفجـر انبرى من كراهُ قَلِقاً مكتئبـا
لم يَعُدْ يعـذُبُ مـن درسٍ لهُ فعَذاب الحب امسى أعـذَبا
ركـبَ البَحـرَ الى اوطـانهِ ليبثَّ الامـرَ أمـاً وأبا
عـللَ النفسَ بادراكِ المُنَى فاذا وجـه الاماني قطّبـا

فأبوهُ استاءَ منهُ حاسباً　　انهُ غاوٍ يروم اللَعِبا
وبسجن القصر حالاً زجَّهُ　　وغدا يرنو اليهِ غضبا
ومن الإبنةِ مع مندوبهِ　　طلب الخاتمَ لكن خُيِّبا
هبَّت الاشرافُ تبغي قسرها　　وعليها حكموا ان يُجلبا
فاجابت لست أعطي خاتمي　　لا ولو قطّعتموني بالظُبى
قد تشبثتُ باهداب الهوى　　وبهِ ارضى البلا والكُرَبا
والهوى يرفع اهليهِ اذا　　كان مع طيب الخلال اصطحبا
انا يكفيني عفافي انني　　افتن العجمَ بهِ والعربا
وجمال النفس يكفيني فلا　　ابتغي لي في سواهُ مطلبا
وبآدابي تشرفتُ فلا　　اتمنى حسباً او نسبا

* * *

انا لا اهجر من اهوى ولا　　اتناسى منهُ عهداً ضُربا
لم يَرُمْ منيَ عزًّا او غنىً　　بل بآدابي وحسني جُذِبا
ترك الدنيا لاجلي كلها　　افأنساهُ وابقى في الخبا
لا وربي فسأقفو إِثْرَهُ　　لست ابغي عنهُ لي مُنقلَبا
فابسموا او فاعبسوا لي انني　　لا ابالي رَغَباً او رَهَبا
لي قوامٌ لا تظنوا انهُ　　غُصُنٌ تقصفهُ ايدي الصَبا
فهو رمحٌ اطعن الخصمَ بهِ　　واريهِ باقتداري العجبا
وبناني الرخصُ اذ يدهمني　　حادثٌ يسمو على ماضي الشَبا
أوثر الموت على العيشِ اذا　　لم يكن عيشي لذيذاً طيّبا

فتحاموا قربها اذ انها　　اقسمت ألاّ تجيب الطلبا

* * *

واخيراً جآء « هنري » عمَّ من　　فيهِ هامت وحباها ما حبا
نفرت من قربهِ لكنما　　حِذْقُهُ مهّد ما قد صَعُبا
مادرت غادتنا الاَّ ومن　　يدها خاتمها قد سلبا
لطمت لكن بلا جدوى وما　　كَسَبَتْ الاّ الضَنَى والوَصَبا
وانقضى حلم الهوى والحبُّ ما　　زال بين الناس برقاً خُلّبا

وبآء الدجاج

قد انتشر هذا الوبآء في القطر منذ سنتين فا لاثر ففتك بالدجاج فتكاً ذريعاً وأتلف من هذا الطائر ما لا يُحصَى عددهُ وكان من ورآئهِ خسرانٌ عظيم هو وان لم يبلغ الخسران الناشئ عن وبآء البقر فانهُ ولا ريب يُعَدّ ضربةً كبيرة على الفلاّح وآفةً جآءتهُ في هذه الايام ضغثاً على ابالة . ولا نزيد المطالع الخبير علماً بأهمية هذا الصنف في البلاد فقد ورد في التقريرات الرسمية ان الصادر من بيضهِ في السنة يقارب مئة مليون بيضة يبلغ ثمنها لا اقل من اربعة الى خمسة ملايين من الفرنكات وذلك فضلاً عمّا يُستهلك منهُ في القطر وفضلاً عما يُباع من الطائر نفسهِ مما يفوق ما ذُكر باضعافٍ كثيرة

ذكرنا هذه المقدّمة لنقفّي ورآءها بذكر علاجٍ رواهُ لنا احد الثقات ممن تحققوهُ بالمشاهدة العيانيّة وهو نتيجة تجارب متعددة زاولتها ربّة منزلهِ على وجوهٍ متباينة حتى ظفرت بالعلاج الشافي . وذلك انها متى رأت اول

ظهور العلة في الطائر (وعلامتها ان يكون برازهُ مادةً بيضآء ، ثم ينقطع عن الاكل لموادّ لزجة تعترض في حلقهِ حتى يتعذر عليهِ البلع) فاول ما تفعل انها تتناول ريشةً وتدخلها في حلقهِ وتحركها ذهاباً واياباً حتى تعلق بها تلك المادة اللازجة ثم تخرجها و بعد ان تحقق ان حلقهُ قد بلغ تمام النظافة تسقيهِ ملعقةً من زيت الزيتون حتى تمشي امعآؤهُ ثم تأخذ شيئاً من البابونج فتغليهِ وتسقي الطائر منهُ وهو فاتر و بعد ذلك تجعل المـآء الذي يشرب منهُ من غلاَية البابونج ايضاً فلا يأتي عليهِ الا يومان او ثلاثة حتى يُشفَى تمام الشفآء

هذا كل ما تستعملهُ من العلاج وقد اكّد لنا المخبر ان هذا الامتحان قد تكرر للسيدة المشار اليها مراراً كثيرة فكان كل مرةٍ يعقبهُ الشفآء بحيث انهُ بعد ان اهتدت اليهِ لم يُفقَد لها طائر

وامتحان هذا العلاج من الامور السهلة المزاولة والتي لا تتطلب نفقةً ولا عنآء فعلى الذين عندهم من صنف هذا الطائر ان يمتحنوهُ حتى اذا وجدوهُ نافعاً ولا نشكّ انهُ كذلك نشروا نتيجة امتحانهم على صفحات الجرائد لتعميم منفعتهِ بين اهل القطر عسى ان يخفّف عنهُ ولو واحدة من الضربات المتسلطة عليهِ

اسئلة واجوبتها

سان پاولو (البرازيل) — هل تجيز الشرائع المصرية تملك الاجنبي

انطونيوس يافث

الجواب — نعم كالوطني بلا فرق

فكاهات

ليلة الزفاف [1]

حدَّث بعضهم الحديث الغريب الآتي قال

جمعتني وبعض السيدات ليلة انس قضيناها في الحديث والسمر فكنا نتجاذب اطراف الكلام الى ان افضى بنا الحديث الى ذكر الزواج والمعيشة البيتية والفرق العظيم بين حياة الوحدة وحياة الاجتماع وكيف تكون آمال الانسان قبل الزواج وكيف تصير بعده ٠ وكان بين الحضور فتاةٌ في غاية الرقة واللطف جميلة المنظر تلوح عليها سمات الوقار والادب وكأن حديثنا اثار فيها بعض الخواطر فتبسمت عن دررٍ احاط بها الياقوت وقالت قد ذكرني هذا الحديث ليلة زفافي وما وقع لي فيها فان شئتم قصصت عليكم ذلك ولا اشك في انكم تتعجبون مما صادفني من غرائب الاتفاق . وما كادت تتم قولها حتى صحنا بها جميعنا هاتي حديثكِ فكلنا آذان تسمع ثم لم نلبث ان تألبنا حولها وشخصنا اليها فعلت وجنتيها حمرةٌ زادتها بهاءً وهيبةً ثم تغلبت على ما خامرها من الخجل وبدأت بالحديث فقالت

وُلدت في مدينة لندن من ابوين موسرين لم يرزقهما الله من البنين الا اياي وشقيقةً اصغر مني تدعى اوجيني . وكانت اشغال والدي الكثيرة تمنعهُ من ملاعبتنا وقضاء الاوقات معنا فلم تكن لنا عليهِ دالة كبيرة وكنا نخافهُ جدًّا وعلى الخصوص عند ما بنى لنا بيتاً في ضواحي المدينة فسكنَّاهُ وكان هو يخرج في الصباح الى شغلهِ ولا يعود الا مساءً وبذلك حرمنا الالفة الوالدية . ولما بلغت السابعة عشرة من عمري وكنت قد اتقنت دروسي صار يسمح لي بمرافقة والدتي في زياراتها ومقابلة

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ضيوفها وكان يزورنا احياناً فتى ينتسب الى والدتي يدعى جورج فاحببتهُ واحبني وزاد تردده في توثيق عرى المحبة بيننا الى ان اعترف لي بحبهِ واطلع والدتي على رغبتهِ في الاقتران بي فسرَّت هي وسررت انا وكان هو أشدّنا سروراً ولكننا كنا نخاف عدم رضى والدي لما نعهد فيهِ من جفآء الطبع وانقطاعهِ الى عملهِ الخصوصي وعدم اكتراثهِ بامورنا البيتية

ولما لم يكن بد من اطلاعهِ على ذلك عقدت ووالدتي جلسات عديدة تباحثنا فيها عن كيفية ابلاغهِ الامر واسفرت النتيجة عن وجوب اعترافي لهُ بذلك واخذ رضاهُ. فلما كان المسآء وتناولنا الطعام دخل والدي مكتبتهُ كالعادة واخذ في مراجعة دفاترهِ واوراقهِ وكانت تلك الفرصة الوحيدة التي يمكنني فيها الاقتراب منهُ فقصدتهُ وانا اقدم رجلاً واؤخر اخرى حتى بلغت الباب فخانتني قواي وكدت اعود لو لم ينتصب امامي شبح حبيبي جورج وخشيت ان يتهمني بالجبن فدفعت الباب بعنفٍ ووثبت الى ان صرت امام مائدة والدي . فرفع نظرهُ اليَّ ثم عاد الى قرآءتهِ كانهُ نسي وجودي . فاستجمعت قواي وكلمتهُ فقلت عندي شيء اقولهُ لك يا ابي . فقال وما هو . قلت انت تعرف جورج ... قال نعم اعرفهُ جيداً وماذا يهمني امرهُ . قلت انهُ يحبني واحبهُ ويريد الاقتران بي . فنظر الي شزراً وقال انا لا اريد ان يقاطعني احد ويشغلني عن عملي ليروي لي خزعبلات صبيانية فاذهبي الآن وعودي اليَّ بهذا السؤال بعد ثماني سنوات اذا كنت لا تزالين على هـذا الفكر فحينئذٍ اجيبكِ . وكان في هيئتهِ وحركتهِ ما اراني ان المقابلة قد انتهت وانهُ لا فائدة من العودة اليهِ في هذا المعنى فتركتهُ وعدت الى غرفتي وانا اتأمل في حالتي وبعد طول الفكرة رأيت ان لا اسأل عن والدٍ لا يهتم باهل بيتهِ وان اتولى بنفسي قضآء اموري

وبعد ذلك باسبوع خطبني جورج الى والدتي ومضت على خطبتنا ستة اشهر ولم يدرِ والدي بشيءٍ . ولما قرب موعد الزفاف اعطاني جورج ورقةً مالية بقيمة مئة ليرة وقال هذه جزء من هديتي اقدمها لكِ قبل الوقت لتستعيني بها على تجهيز ما لعلهُ بقي عليكِ من اللوازم . ولما خرج اخذت الورقة وجعلت استشير فكري في

هل انفق قيمتها ام ابقيهـا وانفق من مالي الخاص . وانني لكذلك واذا بوالدي داخل كعادتهِ وكان كما ذكرت لا ينتبه الى شيء خلا ما يتعلق بالاشغال والاموال وقبل ان اتمكن من اخفآء الورقة في جيبي كان قد ابصرها وعرف انها حوالة فتقدم اليّ وقبض على يدي وقال ما هذا يا اڤلين • قلت ورقة مالية بمئة ليرة • قال ومن اين لكِ هذه • قلت من خطيبي جورج وقد اعطاني اياها لتجهيز لوازم الزفاف • ولما قلت ذلك نظرت اليهِ لارى تأثير هذا الخبر ولكن ظهر لي ان وجود المال كان اعظم مقنع لهُ فتبسم وقال اذاً صحيح ما قلتهِ لي منذ ستة اشهر فاذا كنتما قد اتفقتما على ارتكاب هذا الشطط العظيم الدال على سخافة العقل فلست برادعٍ لكما عنهُ ولكن قولي لي هل مرادكِ حقيقةً انفاق هذا المبلغ • قلت ربما لا يلزمني ان انفقهُ كلهُ ولكنني اود ان تكون حفلة زفافي كاحسن الحفلات التي حضرتها • قال يا لكِ من غبية تضيعين المال في الترهات الفارغة فانهُ لا داعي الى كل ذلك ولكن يكفي ان تركبي عربتكِ مع والديكِ وشقيقتكِ ويركب جورج بجانب السائق فنذهب الى اقرب مسجل يقيد اسميكما وينتهي الامر • وكنت قد ملكت شيئاً من الجسارة لما رأيت رضاهُ عن زواجنا فقلت اني كنت اودّ ان افعل كما تقول ولكن ما ذكرتهُ لك هو مراد جورج وهذا المال هو منهُ وقد خصصهُ لذلك فلا بدّ من انفاذ قصدهِ ولذلك فاني سأبذل جهدي في جعل يوم الزفاف يوماً مشهوداً ولا اتحاشى شيئاً من اسباب الزينة والبهآء • فقطب والدي حاجبيهِ ودخل غرفتهُ من غير ان يجيبني بشيء

واجتمعت بوالدتي لنقرر ما يجب عملهُ فكتبنا جريدة باسمآء المدعوين فبلغوا نحو المئتين ثم عينا العربات اللازمة لنقلهم من الكنيسة الى البيت واوصينا الطباخة بما يجب اعدادهُ من الوان الطعام للمأدبة التي سنقيمها بعد الاكليل وعينت اربع فتيات من صاحباتي ليكنَّ فتيات شرف ويسرنَ بجانبي واوصيت اشهر خياطة بعمل لباس العرس وفوضت اليها ان تنفق كل ما يلزم لاتقانهِ بدون شفقة ولا توفير. ولم اغفل عن ترتيب وتدبير كل شيء حتى وضع الزهور وكيفية المسير وكتبت الى اسقف الناحية ليتولى بنفسهِ عقد الاكليل وعينا الاحتفال بهِ في ظهر يوم الخميس

من الاسبوع القادم . وكنت اظن انا قد اطلنا الموعد غير ان اشغالي في الترتيب والتدبير جعلت الايام تمر بسرعة فلم اشعر الا ونحن في مسآء يوم الابعآء وانهُ لم يبقَ لي من حياة الوحدة الا ساعات قلائل . وبعد ان تناولنا العشآء وحان وقت النوم ذهبت الى غرفتي وكلي آمال فما صدقت ان خلعت اثوابي وتوسدت سريري وجعلت افتكر في الغد واذا بشقيقتي اوجيني قد دخلت اليَّ فجلست الى جانب فراشي واخذت تحادثني وتودعني وهي تأسف لمفارقتي حتى ملأ اليأس قلبي وحزنت على مفارقتها وكانت توصيني ان لا انساها وان استقبلها بسرور حينما تأتي تزورني مما جعلني افتكر انني سأصير غريبة عن البيت وانقطع عن تلك الاسرة المحبوبة . وقضينا في مثل هذا الكلام نحو ساعتين حتى ضاقت نفسي وشعرت بثقل في صدري وما صدقت ان قبلتني شقيقتي وذهبت لتنام . فحولت وجهي الى الحائط واخذت اتأمل في ما وصات اليهِ فشعرت بيدٍ قد وُضعت على كتفي وسمعت صوتاً يناديني باسمي فالتفتُّ واذا بوالدتي فأُجبرت على النهوض والتكلم معها وكان كلامها كلهُ وصايا وارشادات ثم ذرفت دموعاً سخية ترجمت عن حزنها لمفارقتي حتى ظهر لي زواجي في صورة كلها همٌّ وكرب وجال في خاطري ان افسخ عهودي مع جورج وامتنع عن الزواج بتاتاً . ولما رأت والدتي تأثري الشديد نهضت وتركتني عرضةً للافكار والتصورات ثم اخذتني سنة النوم فنمت ولم اعد اعي شيئاً

وابى القدر الاَّ ان يتركني اسيرة الهواجس والوساوس فكان نومي مزعجاً في الغاية وتصورت امامي حالة والدتي وشقيقتي بعد غيابي وكيفية تركي البيت الذي ربيت فيه وانني لكذلك واذا بصوتٍ خافتٍ يناديني باسمي فنهضت مذعورة فرأيت شقيقتي اوجيني فسألتها عن مرادها فقالت انها شعرت بحركةٍ غريبة في ردهة الاستقبال التي عرضت فيها هدايا عرسي وخافت ان يكون هناك لصوص طمعوا في سرقة تلك الجواهر والحلي . فلما سمعت ذلك اضطرب فؤادي ونهضت مسرعةً الى الباب ففتحتهُ ونزلت السلم مسرعةً وكانت شقيقتي تتبعني على الاثر فبلغت الردهة وفتحت بابها فوجدتها مظلمة وسمعت الحركة التي اخبرتني عنها اوجيني

فصرخت باعلى صوتي من هذا • فلم يكن الجواب الا سقوط بعض الاشيآء الى الارض ثم سمعت فتح النافذة وشعرت بان شخصاً قدوثب منها الى الخارج فاسرعت الى النافذة فرأيت رجلاً يعدو في الحديقة فجعلت اصيح واستنجد الخدم والحرس ولكنهم لم يسمعوني حتى كان اللص قد بلغ جدار الحديقة فوثب منهُ الى الشارع واخفاهُ الظلام • ولما جآء الخدم واحضروا المصابيح وجدت ان هدايا عرسي قد سرق اكثرها واثمنها وكان من المفقود خاتمٌ ثمين اهدتهُ اليَّ عمتي وقراطيس مالية ومصوغات شتى جآءتني من اهلي واصدقآئي • وبينما نحن في ذلك الموقف دخل احد رجال الشحنة وقد استجلبهُ الصراخ فجعل يستنطقنا بالتفصيل ثم اخذ بياناً في الاشيآء المسروقة وخرج واعداً انهُ سيبذل الجهد في الكشف عن السارق واعادة المسروق

وشقَّ عليَّ ذلك الحادث شديداً غير انني صبرت نفسي واعدةً اياها بالامل في رجوع تلك الهدايا وانا اثق بهمة رجال الشحنة . اما والدتي فكانت تقويني وتسليني ثم الحّت عليَّ ان اعود وانام وقادتني الى غرفتي فدخلتها بالرغم عني . وقبل ان اعود الى سريري تذكرت ان ثوب عرسي لم يأت بعد وكنت قدجربتهُ ثلاث مرات ووجدت فيهِ نقصاً فأعدتهُ الى الخياطة لاصلاحهِ . فاستغرقت هذه الافكار ساعةً اخرى من ذلك الليل المشؤوم ثم تغلبت على خواطري فاغمضت عينيَّ على امل ان اجد في راحة المنام ما ينسيني تلك الكوارث ونمت نوماً هنيئاً ولكنهُ لم يطل كثيراً لانني انتبهت منهُ حالاً على صوت شقيقتي وكأن التقادير قد استخدمتها تلك الليلة لتكون نذير السوء . فسألتها عما بها فقالت ان رسولاً بالباب جآء يقول ان واحدة من فتيات الشرف اللواتي عينتهنَّ للمسير بجانبي قد اصابتها الحمى فلا تستطيع الحضور وان الثانية منهنَّ كانت نائمة عند تلك فسرت اليها عدوى الحمى وامست الاثنتان طريحتي الفراش وقد ارسلتا تعلمانني بذلك لاكون على بصيرة . ولما اتمت شقيقتي كلامها كدت اثب الى عنقها لشدة ما نالني من الغيظ لانني كنت قد صممت ان يكون لي اربع فتيات شرف فرايتهنَّ قد فقدنَ اثنتين وسآء فالي في جعل عرسي من ابهى الحفلات واجملها • واذ ذاك لم استطع ان املك دموعي

من الانحدار بسخاء فجعلت شقيقتي تعزيني بكلام لم استطع احتماله فقلت لها اسكتي بالله يا اوجيني فحسبي ما انا فيهِ بل اذا كنتِ شقيقة محبة فاخبريني ماذا يجب ان افعل . فقالت بازدراء لا اجد طريقةً الا السؤال في مخازن البلدة لعلنا نجد فتيات شرف برسم الاجرة فنستأجر اثنتين لحفلة الغد . فساءني تهكمها حتى كدت اذوب حزناً وقبل ان اجيبها بكلمة فتح باب غرفتي ودخلت والدتي فرأيت في وجهها ما دلني على خبر آخر سيء ولكنني تجلدت وانتظرت فتقدمت مني بسكون وجلست الى جانبي وقالت خففي عنكِ يا حبيبتي اڤلين ولا تستسلمي للحزن والوجد ولو جئتك بخبر يثقل عليك سماعهُ . قلت قد تعاقبت عليَّ المصائب في هذه الليلة ولكن لا بأس فهاتي اخباركِ يا والدتي ودعيني اسمع جميع الاخبار السيئة هذه الليلة لأتفرغ غداً للسرور والصفاء . فقالت والدتي يصعب عليَّ يا اڤلين ان اخبركِ ان والدكِ مسافرٌ الى لندن وقد الححت عليهِ بالاقلاع عن ذلك ولكنهُ يقول ان اشغالاً في غاية الاهمية تقضي عليهِ بالسفر بدون تأخير . وما سمعت ذلك حتى ضاق صدري واظلمت الدنيا امام وجهي فقلت كلا ان يكون ذلك ولا بد من حضور والدي غداً في الكنيسة ليسلم يدي الى يدجورج وانا ذاهبة اليهِ الآن لاقنعهُ بوجوب بقائهِ مهما كلفهُ ذلك . ولما قلت ذلك نهضت وسرت الى جهة الباب فاستوقفتني والدتي وقالت لا فائدة من ذهابكِ يا اڤلين لان اباكِ قد سافر منذ نصف ساعة ولكنهُ وعد ان يعود غداً في قطار الساعة الحادية عشرة فيصل في الوقت المعين لذهابنا الى الكنيسة . غير انني اعرف والدكِ وعدم محافظتهِ على المواعيد فانا اشك كثيراً في قيامهِ بوعدهِ . اما انا فشعرت ان جدران الغرفة تدور بي وكدت اسقط الى الارض ولكنني ملكت قواي وقلت ان الاقدار تعاندني بكل قوتها ولكنني سأتمم عرسي على اي حالة كانت فلا يهمني غياب والدي وساريهِ ان من ليس يسأل عني فلست اسأل عنهُ .

وما كدت أتم كلامي حتى دخلت شقيقتي بخبر آخر فاعلمتنا ان الطباخة قد عزمت على ترك الخدمة في تلك الدقيقة بعد خصام قام بينها و بين الخادمة وذلك ان خادمتنا قد اتهمت الطباخة بان لها عشيقاً وانهُ هو الذي يسرق هدايا عرسي فاستاءت تلك

واقسمت انها لن تبقى في ذلك البيت . ولم يكن تأثير ذلك الخبر عليَّ اشد من تأثيرهِ على والدتي فنهضت مسرعة لتتحقق الخبر بنفسها وتسعى في اصلاح الامر اما نحن فغلب علينا ذهولٌ عظيم لم نفق منهُ الاَّ عند بزوغ نور النهار وبروز الغزالة وقدوم خادمي وقد احضر معهُ شاياً وخبزاً لاتناول طعام الصباح فطردتهُ من امامي وقد عزمت ان لا اذوق طعاماً البتة . ثم خطر لي ان ثوب اكليلي لم يحضر بعد فكدت اجن واستوقفت الخادم وامرتهُ بالذهاب للحال الى بيت الخياطة ليحضر الثوب سوآءٌ كان قد تمّ اصلاحهُ ام لم يتمّ • وقبل ان يخرج من باب غرفتي رأيت رجلاً داخلاً عرفتهُ انهُ احد رجال الشحنة وقد جآء للاستفهام عن حادثة الامس فأخذ يسألنا عن الاشيآء المسروقة وكيفية السرقة وعمن نظن ان يكون السارق الى غير ذلك مما جعلني اكره الحياة وضاقت الدنيا في وجهي فصحت بهِ انني افضل سرقة بقية الهدايا على محادثتهِ في تلك الساعة وكدت اطردهُ طرداً لو لم تدخل والدتي. وتتوسل اليهِ ان يتوسط في امر الطباخة والخادمة ويأمرها بالبقآء في خدمتنا ذلك اليوم على الاقل الى ان تنتهي حفلة الزفاف • اما هو فهز كتفيهِ باستخفاف وقال واجباتي يا سيدتي ان اسعى في رد المسروق والقآء القبض على السارق لا ان اتداخل في الامور البيتية فانا آسف لعدم استطاعتي مساعدتكم في ما يختص بامور الخدم

وفي تلك الدقيقة دخلت الطباخة من الباب الواحد والخادمة من الباب الآخر وقد تأبطت كل واحدة منهما اشيآءها وصممتا على مغادرتنا فلم تجدِ توسلاتنا شيئاً ولم تغنِ تهديداتنا فتيلاً وخرجت الاثنتان لا تلويان على شيء لان الطباخة تقول انها اهينت واهين عشيقها والخادمة تقول ان والدتي قد اهانتها لانها سببت غيظ الطباخة في ذلك الوقت الذي نحتاج اليها فيهِ

اما انا فلما رأيت كل تلك الموانع الحائلة دون اتمام رغبتي ايقنت ان لا امل بعد ذلك في القيام بالحفلة التي كنت اودّها ورأيت نفسي مضطرة ان اكتفي ببركة الاكليل فقط ولكن اين ثوب الزفاف فانهُ لم يكن قد حضر بعد فبلغ مني الكمد ان جلست على سريري واستخرطت في البكآء المر لانني لم اعد اقوى على

مصادمة كل تلك الضربات • ودبت الشفقة في قلب شقيقتي القاسي حتى انها عرضت ان تذهب بنفسها الى الخياطة وتحضر لي ثوب العرس وقرنت قولها بالفعل فسرني جدًّا خروجها ووعدت النفس بالحصول على امرٍ واحد في الاقل مما اريد

وفي تلك الساعة اخذت تتوارد المركبات لنقل المدعوين فكان دوران عجلاتها كخناجر تخترق صدري واوصيت البواب ان يأمرها بالعودة اذ لم تبقَ لنا بها حاجة . وبينما انا آكلهُ في ذلك رأيت شقيقتي اوجيني قد عادت ومعها الخادم وفتاة من عند الخياطة تحمل صندوقاً لم اشك في انهُ يحتوي على ثيابي التي انتظرها فما دخلت الفتاة الغرفة حتى اسرعت فانتزعت الصندوق من يدها وفتحتهُ وانا لا اصدق ان احصل على ثوبي • ولكن يا لله من الدهر اذا مال الى معاندة الانسان فانني وجدت ثوباً من الحرير الملون كالذي ترتديهِ المشخصات في محلات التمثيل . فاندفع من صدري صوت كحشرجة الميت وادركت الفتاة السبب الذي لاجلهِ فعلت ذلك فصفقت بيديها وقالت آه يا ويلاه ان مولاتي كانت منهمكة في انجاز ثوبكِ وثوبٍ آخر لسيدةٍ تدعى مسس ماركهام اوصتها بعملهِ لتلبسهُ في مقصفٍ قد دعيت اليهِ ويظهر انهُ حدث خطأ في ارسال الثوبين فقد ارسلت ثوب العرس الى تلك السيدة واعطتني ثوب المخاصرة لكِ • فصحت بها والغيظ يكاد يخنقني ويلكِ يا هذه فارجعي بهذا الثوب حالاً وهاتي لي ثوبي وخذي عربةً تنهب خيلها الارض نهباً لان ساعة الزفاف قد ازفت ولا يسعني التأخر عنها • فقالت الفتاة وقد خنقتها العبرة يستحيل ذلك يا مولاتي لان الثوب الآخر قد ارسلناهُ منذ ساعتين بالسكة الحديدية الى مسس ماركهام وليس من طريقة ارضية ترجعهُ الى هنا قبل الغد فلا بد من الانتظار . فكان جوابي ان امسكت بشعرها ودفعتها الى الباب ثم اتبعتها بالصندوق فنزل الاثنان يتدحرجان على سلم البيت

ولم استسلم لليأس بعد كل تلك النكبات بل قويت عزمي وقلت لن ادع التقادير تقوى عليَّ فلا بدَّ من الذهاب الى الكنيسة ولو بثياب البيت العادية فعمدت الى غرفتي وارتديت ثوباً كنت البسهُ كل يوم وكان جورج يستحسنهُ

ووضعت على رأسي قبعةً واخذت قفازاً اسود بدأت بأدخال يدي فيهِ واذا بوقع اقدام على السلم فلم احفل بها لانهُ لم يعد شيء يهمني واذا بشاب يدعى الفونس كان جورج قد عينهُ اشبيناً لهُ فدخل مسرعاً وهو لا يقوى على الكلام من التعب غير انهُ قال لي بكلمات متقطعة ما بالكِ يا اڤلين باقية هنا ولم كل هذا التأخر ٠ وكنت لم انتبه للوقت فسألتهُ عن الساعة فقال انها قد صارت واحدة بعد الظهر وان جورج والمدعوين والاسقف ينتظرون في الكنيسة منذ الظهر حتى ضاقت صدورهم وقد اوفدني جورج لارى ما الخبر . ولا تسلوا عما حلَّ بي عند ذلك فوثبت كمن فقدت رشدها وامسكت بذراع الفونس وقلت هيا بنا وجررتهُ قسراً تاركةً والدتي وشقيقتي في حيرة ودهشة عظيمتين وقلت لهما لتتبعاني متى شاءتا ٠ ولما بلغنا الحديقة رأيت مركبة فوثبت اليها مع الفونس والهبت ظهر الجواد بالسوط وكنت في الطريق اقص عليهِ ما اصابني حتى تأثر جداً ومسح دموعهُ مراراً ٠ ولم يكن قد انقطع حبل مصائبي بعد لاننا تقابلنا في طريقنا بسيارةٍ لم يتمكن سائقها من كبح جماحها فاصابت عربتنا واوقعتها فسقطت الى الارض غائبة عن الرشد . ولما افقت وجدت الفونس ووالدي يجهدان في مساعدتي على الوقوف وللحال صعدنا الى مركبةٍ أخرى أوصلتنا الى الكنيسة بدون ان يعرض في طريقنا شيء آخر فوجدنا ان جميع المدعوين قد انصرفوا ولم يبقَ في الكنيسة الاَّ جورج واقفاً على بابها . وكان الاسقف قد استدعي لحضور جنازة لم يمكنهُ تأخيرها واناب عنهُ كاهناً بسيطاً فاخذت بيد جورج وسرنا الى امام المذبح و بدأ الكاهن بتلاوة العقد . ولما انتهينا من كل ذلك خرجنا من الكنيسة وكان جورج قد اعد كل شيء لنذهب فنقضي شهر العسل في باريس فودعت والدي وشقيقتي وركبت وجورج قطاراً اوصلنا الى الشاطئ فركبنا البحر واتممنا سفرنا بغاية السرور وانا اقص حديثي على جورج فتارةً نبكي وتارةً نضحك وكأن تلك الليلة المشؤومة كانت آخر مصاعب العزوبة لاني منذ اقتراني الى الان لم يعد يصادفني ما يسوءني بل انا وجورج في سرور ونعيم وسعادة انستنا كل ما سبقها من الكوارث

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون فلانٌ كلما عَظُم قدرهُ كلما تواضع فيكررون كلما مع كل واحدٍ من الفعلين وحينئذٍ يختلّ المعنى والتركيب جميعاً لبقاء كل واحدةٍ من المكررتين بلا جواب وانقلاب الكلام الى جملتين ناقصتين كلٌّ منهما مُقتضبَة بنفسها . وذلك ان كلما هنا في معنى الظرف لاضافتها الى ما المصدرية الزمانية وصلتها ولا بدَّ لها والحالة هذه من شيء تتعلق بهِ وهو جوابها فيكون قولك كلما زارني فلان اكرمهُ في تأويل كل اوقات زيارتهِ لي اكرمهُ . فاذا كرَّرت كلما مع الجواب وقلت كلما زارني كلما اكرمتهُ كان التأويل كل اوقات زيارتهِ لي كل اوقات اكرامي لهُ فتأمّلهُ

ويقولون مما لا خلاف فيهِ هو ان الامر كذا وكذا وهو تركيبٌ فاسد لوقوع ضمير الغائب فيهِ بلا مرجع لان ما قبلهُ لا يصلح لعود الضمير اليهِ . والصواب اسقاط هذا الضمير ليكون ما قبلهُ خبراً عن المصدر المتأوَّل مما بعدهُ على حدّ قولك في الدار زيدٌ ونحو ذلك

ويقولون حظوت برؤيا فلان اي فزت برؤيتهِ فيضعون الرؤيا مكان الرؤية والاشهر فيها انها مصدر رأى الحلمية واما رأى البَصَرية فيقال في مصدرها الرؤية كما ان رأى العقلية يقال في مصدرها الرأي . وقولهم حظوت فيهِ غلطٌ في اللفظ والمعنى اما في اللفظ فلأن هذا الفعل من باب عَلِمَ لا من باب نَصَرَ فيقال فيهِ حَظِيت بالياء مع كسر الظاء واما في المعنى فلأن الحُظوة

— وهم يقولون فيها الحَظْوَى — معناها المكانة والمنزلة يقال حظي فلان عند الامير وحظيت المرأة عند زوجها ولا يقال حظي بالشيء بمعنى ظفر بهِ انما هذا من استعمال العامة كما سبق لنا التنبيه عليهِ في غير هذا الموضع

ويقولون تزوج فلان ولم يلد لهُ بنون فيستعملون ولد لازماً وربما عدَّاهُ بعضهم بالهمزة فيقول أولَد كذا بنين مع انهم يقولون للأب والد وللابن مولود ولم يرد في كلامهم مُولِد ولا مُولَد فكأن هذا الاستعمال مخصوصٌ عندهم بالفعل وهو غريب . على انهم يقولون في ماضي يلد بالمعنى المذكور وَلِدَ بكسر اللام وهو ولا ريب من استدراج العامة لانهم يحرّفون مجهول الثلاثي بكسر اولهِ وحينئذٍ يلتبس باللازم من باب عَلِمَ لانهم في هذا الباب ايضاً يكسرون فآء الفعل فيستوي اللفظان ومن هذا قولهم من غُلِب المجهول غَلْبان ومن عُدِم عَدْمان كما يقال من عَطِش عطشان ومن شَبِع شبعان وما اشبه ذلك . والصواب ان يقال لم يُولَد لهُ بنون بالمجهول و وَلَدَ فلان كذا بنين بصيغة الثلاثي

ومن هذا القبيل قولهم شيءٌ فاقد اي مفقود ويقولون في فعلهِ فَقَد من باب علم وانما الفاقد اسم فاعل من فَقَدتُ الشيء وقد فُقِد الشيء بصيغة المجهول

ويقولون هذا الامر للأسف كذا وكذا وجآء الامر للأسف على غير ما نريد يعنون يا للأسف فيحذفون يا وهي لا تحذف في مثل هذا المقام وانما يجوز حذفها في الندآء الصريح على شروطٍ ليس هذا محل ذكرها

ويقولون بلغ ايراد فلان كذا وكذا اي دَخْلهُ و بلغ ايراد هذه الارض

كذا وكذا اي ريعها وغلتها وكلاهما استعمالٌ عاميّ

ويقولون لفلان في هذا الامر الباع الطُولى فيؤنثون الباع والصواب تذكيرهُ

ويقولون فلان يأنف هذه الخطّة اي يستنكف منها ويستكبر وانما يقال من هذا أَنِف من الشيء واما أَنِفَهُ فبمعنى كَرِهَهُ تقول أُنِفتُ طعام كذا وأَنِفت المقام بهذا البلد

ويقولون حضرنا خطوبة فلان يعنون مصدر خطب المرأة ولم ترد الخطوبة في شيءٍ من اللغة وانما هي من الفاظ العامة والصواب الخِطبة بالكسر

ومثل ذلك قولهم خصوبة الارض وهي عاميّةٌ ايضاً وصوابها الخِصب ايضاً بالكسر

ويقولون هو ظريف المعشر يريدون العِشرة الاسم من اعتشر القوم اي تعاشروا وتخالطوا ولا يجيء المعشر بهذا المعنى ولا وجه لهُ في الاشتقاق انما هو بمعنى الجماعة امرها واحد يقال معشر الكتّاب ومعشر التجار ومعشر الرجل اهلهُ

ويقولون يلزم عليهِ ان يفعل كذا اي يجب عليهِ ولا يعدّى هذا الفعل بعلى والصواب يلزمهُ ان يفعل

ويقولون حدث بالوباء كذا كذا وفية يعنون واحدة الوفيات ويقرأونها وَفْية بوزن رحمة ومنهم من يقرأها وفيَّة بتشديد الياء وكلتاهما غلط والصواب وَفاة وزان فَتاة وجمعها وَفَيات بفتح الفاء وتخفيف الياء .

ومن هذا القبيل قولهم طعنهُ بمدّية ويلفظونها بوزن هَدِيَّة وربما

جآءت في بعض الكتب مشددة بالرسم وصوابها مُدْية بضمّ فسكون

وعكس هذا ما أُولعوا بهِ في هذه الايام من استعمال لفظ الرقي بمعنى الارتقآء فلا تكاد تقرأ صحيفة حتى ترى هذه اللفظة مكرَّرةً فيها مراراً لكنهم يغلطون فيها احياناً فيلفظون يآءها الفاً يقولون هذا من اسباب حضارة الامم ورقاها وانما هي الرُقيّ بيآءٍ مشدَّدة آخرها مثال عتيّ وأصلها رُقُوْيٌ على فُعول ثم قلبت واوها يآءً وأُدغمت

ويقولون فعل فلان كذا وثمَّ فعل كذا فيدخلون عاطفاً على عاطف وربما قال بعضهم وثمَّ فان الامر كذا كما تقول وبعدُ فان الامر كذا مثلاً وهو اغرب

ويقولون وعدهُ بالامر شرطاً ان يفعل كذا اي بشرط ان يفعل وهو من غريب التراكيب ولعل هذا الشرط من شروط لغة الدواوين ...

ويقولون اخذ هذا الشيء باكلهِ ولا معنى لصيغة التفضيل هنا والمشهور في هذا التعبير اخذهُ بكمالهِ ومنهُ في لسان العرب « الجملة جماعة كل شيءٍ بكمالهِ » . وتقول اخذهُ بتمامهِ وبرُمّتهِ وبجملتهِ وباجمعهِ وبأَسرهِ

(ستأتي البقية)

الرق والنخاسة

(تتمة ما في الجزء السابق)

وقد كان اكتشاف اميركا من أعظم المهيّئات لاتّساع تجارة الرقيق واقبال النخاسين على طلبهِ من كل اوب والتماسهِ بكل ذريعة وذلك على اثر

ما كان من جور الاسپنيول على سكان جزائر الأنتيل بعد احتلالهم لها حتى اوشكوا ان ينقرضوا عن بكرة ابيهم بحيث احوج الامر الى اناسٍ يحلون محلهم في عمل الارض فكانت سفنهم ترتاد سواحل افريقيا وتشحن الالوف من اهلها وتذهب بهم فتنزلهم هناك . ثم كان في سائر املاكهم في القارّة ما كان في الجزر المذكورة فكانوا يرسلونهم الى تلك الاملاك ايضاً وحذا غيرهم في ذلك حذوهم حتى انتشر الرقيق في جميع الآفاق الاميركية . وكانت النخاسة في اول الامر انما تجيزها الحكومات من طريق التسامح فلم تلبث بعد ذلك ان صيرها شرلكان من التجارات الجائزة من الطريق الرسمي اذ أباح لاحد الموالي من الفلامان سنة ١٥١٧ ان يشحن اربعة آلاف رقيق الى جزائر الانتيل . ومذ ذاك انتشرت هذه التجارة جهاراً بين جميع امم اوربا ممن لهم املاك في اميركا وزادت الحكومات على ما صنعهُ شرلكان بأن كانت تعيّن جوائز للنخاسين حتى ذُكر ان الجوائز في فرنسا كانت تبلغ كل سنة ما تزيد قيمتهُ على مليوني فرنك

على ان النخاسة لم تعدم في كل عصرٍ من يمقتها ويجهد في مناهضتها ومنعها ولا سيما بعد انتشار شرائع الدين المسيحي وما تندب اليهِ من الرحمة وتوجبهُ من المساواة والنَصَفة . وقد كان اشدّ ما ثار عليها من النكير في القرن الخامس عشر وما بعدهُ حين بلغت مُعظَم استفحالها واسرف الموالي في العسف والجور على الارقّآء الى ما لم تحتملهُ نفوس ارباب المروءة والعواطف الدينية . واول من جهر بالغآء الرقّ الطائفة المعروفة بالكويكَر في اميركا الشمالية سنة ١٧٥١ فانهم اوجبوا منعهُ على كل فردٍ من جماعتهم وابطال كل حقٍ فيهِ مهما

كانت جهتهُ فلم يأتِ على ذلك ثلاث سنين حتى كان اكثر اصحاب هذه الفرقة قد أعتقوا عبيدهم واستمرّ العتق بعد ذلك الى سنة ١٧٨٩ فلم يبقَ في جميع الكوَيكَر من يملك عبداً

وكثر بعد ذلك انصار العبيد في اميركا واوربا فأُبطِل الرقّ في ولاية ڤرجينيا من الولايات المتحدة الاميركانية سنة ١٧٧٨ وفي ولاية بنسلڤانيا سنة ١٧٨٠ وتتابعت على ذلك عدة ولاياتٍ اخر . ثم انهُ كان من السُنن القديمة في فرنسا ان كل من يطأ ارضها يصبح حرًّا فوضعت انكلترا سنة ١٧٧٢ مثل هذه السُنَّة في حقّ ارقاء طوارئها[1] . وفي سنة ١٧٨٧ انشئت في انكلترا جمعيةٌ لتحرير العبيد ثم انشئت في السنة نفسها جمعيةٌ اخرى في فرنسا للغرض نفسهِ كان من اعضائها لافاييّت وميرابُوّ وغيرهما من اكابر رجالها . وفي سنة ١٧٩٢ اصدر ملك الدنمرك امراً بالغاء الرقّ من جميع طوارئهِ ابتداءً من سنة ١٨٠٣ وتبعتهُ في ذلك حكومة فرنسا سنة ١٧٩٤ وحكومة انكلترا سنة ١٨٠٧ فنشأ على اثر ذلك مقاوماتٌ عنيفة من قِبَل اصحاب الاملاك في الطوارئ لما يترتب على هذا العتق من تعطيل اراضيهم وسألوا امهالهم في انفاذ تلك الاوامر الى ان يتسنى لهم الاستغناء عن العبيد . وفي اثناء ذلك اخذوا يستميلون اولي الامر من الوزراء حتى انقلبوا الى حزبهم ولما اشتدّ ساعدهم بهم صبّوا نقمتهم على العبيد وساموهم من ضروب العسف

(١) جمع طارئة والمراد بها القوم يطرأون على المكان اي يأتونهُ من بلدٍ آخر او من مكانٍ بعيد وهم الطرّاء وتطلق الطارئة على الارض التي يطرأون اليها . معرَّب colonie

والنكال ما لم يعهد له مثيل من قبل حتى انه في مدة سبع سنوات هلك منهم خمسون الف نفس .

ولبثت بعد ذلك تصدر والاوامر تلو الاوامر والجمعيات والافراد في هياج مستمرّ الى ان اتفقت فرنسا وانكلترا سنة ١٨١٥ على وجوب منع النخاسة منعاً باتًّا من تلك السنة وسنّتا حكماً من مضمونه الحجر على كل سفينة تتعاطى هذه التجارة واقامة سفن مراقبة تجول حول سواحل افريقيا لتتعقب النخاسين ووافقهما على ذلك سفرآء بقية الدول . غير ان كل ذلك لم يغن في قطع دابر النخاسة وما برح تجار خشب الابنوس وهو اللفظ الذي كانوا يطلقونه على اولئك العبيد يجدون مجالاً واسعاً لترويج تجارتهم في الطوارئ الاسپنيولية والبرتوغالية وفي جنوبيّ الولايات المتحدة من اميركا . واذ ذاك اقترحت عدة من الجمعيات ان يباح لسفن كل مملكة ان تفحص سفن الممالك الاخر للاستيثاق من خلوّها من الرقيق فوافقت انكلترا على هذا الاقتراح وعرضته على بقية الحكومات فقبلته الا حكومة الولايات المتحدة فانها امتنعت من قبوله

على انه مع إلغآء الاتّجار بالرقيق في اكثر الممالك فان الرقّ نفسه لم يمتنع لان كل من كان رقيقاً او وُلد من رقيق كان باقياً في الرقّ على عهده ولذلك كان من همّ انكلترا وفرنسا وهما اشدّ الدُوَل انتصاراً للانسانية ان تُبطلا الرق من اصله فقرَّرت حكومة انكلترا في ١٤ مايو سنة ١٨٣٣ مبلغ ٥٠٠ مليون فرنك فكاكاً للعبيد الذين في طوارئها وامهلت اربابهم في ذلك مدة خمس سنين فلم يأتِ اول اغسطس من سنة ١٨٣٨ حتى كان جميع

الارقآء في الطوارئ الانكليزية قد خرجوا الى الحرّية وكان عددهم ٦٧٠ الف نفس . واما في فرنسا فلم يكن شيءٌ دون الثورة التي حدثت في سنة ١٨٤٨ كافياً للفوز بهذا الامر الكبير فلما كان يوم ٢٧ من ابريل في تلك السنة صدر امر الحكومة التي اقيمت اذ ذاك بابطال الرق دفعةً واحدة في جميع الطوارئ الفرنسوية فحُرّر نحو ٢٦٠ الف رقيق . ثم تبع ذلك تحرير الارقاء في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ وفي البرازيل سنة ١٨٧١ ولم يبقَ للرق وجودٌ في الزمن الحاليّ الا في بعض الطوارئ الاسپنيولية والپرتوغالية

حديقة السَوْسَن

أو كلام في المرأة

بقلم حضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي نزيل مصر حالاً

تمهيد

لقد اختلف الناس منذ نشأتهم التاريخيّة في تقدير ماهية المرأة والحكم على حقيقة صفاتها وطباعها وكيف يجب ان تكون منزلتها في عالَم الاجتماع اختلافاً كبيراً . فتشعَّبت في هذا المخلوق العجيب آرآؤهم وتباينت مذاهبهم واتسعت دائرة مناقشاتهم حتى اختلط الحابل بالنابل واصبحوا من الحيرة والجهل في ظلماتٍ بعضها فوق بعضٍ لا يهتدون

قال بعضهم انها قمر الرجل تنعش فؤادهُ بحسن تكوينها البديع . وتبدّد ظلمات اشجانهِ ببهجة نورها الرائع السنيع . فهي تدور حولهُ دوران القمر حول الارض وتتبعهُ اتباع الظلّ لتكون لهُ رفيق خيرٍ وسمير سلوانٍ

وعشير انس . وانما هو قوّامٌ عليها بما لهُ من افضليّة القوة ومزيّة الرجولية فلا تبرح تابعةً وهو المتبوع

وذهب آخرون الى انها صنوهُ وشريكهُ ورفيقةُ ومعينةُ تضارعهُ — لولا استبدادهُ بها وحجرهُ عليها — بالقوى والمدارك والاخلاق وتماثلهُ بالمنزلة والتصرف والحقوق . ينجذب اليها بعامل الميل الجنسي كما تنجذب اليهِ ليتمّ كلٌّ منهما نقص الآخر وليؤلفا من كليهما معاً انساناً كاملاً يقوى على حفظ النوع بما لهُ من مزية الإثمار . فلا هيَ إذَنْ تابعٌ ولا هوَ متبوع بل هو هي وهيَ هو لهُ ما لها وعليهِ ما عليها بلا تفريق ولا تمييز كأنهما واحدٌ لا اثنان

« انا مَن اهوى ومَن اهوى انا » نحن روحٌ قد حللنا بدَنَينْ
كلٌّ من جزأَينا نحسبهُ جاهلاً والعلمُ للعاقل زَينْ

وارتأى اقوامٌ انها للرجل اداة تسلية وانآء ذرّية فهي لهُ بمنزلة سائر الحيوان والمتاع يُكثِرُ منها او يُقلُّ كما يشآء وتدعوهُ الاهوآء . لاحرمة لها ولا حقوق الا ما خوَّلها الحبّ واطلقهُ الولوع بحسب الدواعي والظروف . فهي على هذا خادمٌ او مملوكٌ والرجل المخدوم المالك تُسام الذلَّ والخسف والامتهان . وتُشتَم وتُضرَب[1] وتهان . وليس لها ان تبوح بشكوى . او تنطق

(١) ورد في اقوال دبومنوار « انهُ يوجد في العصور المتوسطة قانون من جملة احكامهِ هذه الفقرة « يحق للرجل ان يضرب زوجتهُ على شرط الرفق »

وقال ليكوفه « ما برحتُ اذكر ان حوذيًّا (سائق عربة) قال امامي مشيراً الى سوطٍ بيدهِ هذا كفيل السلام في بيتي . فقلتُ اتضرب زوجتك . قال لا شبهة ولا ريب . قلتُ علامَ . قال هذا فرسي اسوطهُ اذا لم يجرِ كما أريد وان

بنجوى. بل تباع وتُشرَى وتُسبى وتُمتلك كالعبيد او كالبهائم صابرة على البلوى ولنا على ذلك أمثلة كثيرة مما نراهُ من حالة النسآء بين سكان الخيام ورعاة الانعام المنتشرين في شبه جزيرة العرب وصحاري افريقيا واواسط آسيا ومتحضّري حوران والبلقآء وغيرهم من الهمج العائشين في اكناف العراقين وسورية والصعيد والمغرب

واعتقدَت أمم [1] انها مخلوقٌ لئيمٌ سافل ينحطُّ إدراكاً عن الرجل فهي شيطانهُ المطبوع على الحيلة والريآء والمكر. وعدوُّهُ المورث لهُ الويل والشقآء والقهر. شأنها العهر. وشعارها الخبث والغدر. ولقد جرى على شاكلة هؤلآء

جمح ادميتُ ظهرهُ . قلت وهل تقاس المرأة بالفرس . قال لا وابيك انما الفرس اكثر منها انقياداً وهي اشدُّ منهُ عناداً . قلتُ دع اللجاج أليس من الجهل ان تثور غضباً على امرأةٍ. قال تمهَّل يا سيدي انني اضربها ولا يمسني غضبٌ

وقد اباح الدين عند بعض الامم ضرب الزوجات اذا نشزنَ ولا يبرح الكثيرون من الرجال حتى في البلاد المتمدنة لا يشفون غيظهم من نسآئهم الّا بالعصا . ويعجبني قول بعض ذوي العقول

رأيتُ رجالاً يضربون نسآءهم فشلَّت يميني يومَ اضربُ زينبا

(١) الصينيون في جملة تلك الامم التي تقبّح اخلاق النسآء وقد ملأ حكمآؤهم المجلدات والاسفار تصريحاً بعيوبهنَّ الفطرية ومساوئهنَّ الغريزية. من جملة ذلك قولهم « صلاح المرأة مثل شجاعة الجبان . في كل عشر نسآء تسعٌ حواسد . اذا كانت المرأة فتاةً فهي الاهةٌ فاذا شاخت مُسخت قرداً . لا يُعدُّ ناب الافعى وحمة الزنبور شيئاً في جنب السمّ المكنون في قلب المرأة . ثلاثة اعشار جمال النسآء جمال حقيقي والسبعة الاعشار الباقية تبرُّجٌ ولباس . قد ترتقي المرأة الى المناصب ولكنها تلبث امرأةً »

العربُ قال شاعرهم

رأيتُ الشرَّ في الدنيا كثيراً　　واكثر ما يكون من النسآء

فلا تأمن زمانك غدر انثى　　ولو هبطت عليك من السمآء

وقال الآخر

اعصِ النسآء فتلك الطاعة الحَسَنَهْ　　فلن يفوزَ فتىً اعطى النسا رَسَنَهْ

يَعُقنَهُ عن كمالٍ في فضائلهِ　　ولو سعى طالباً للعلم الف سَنَهْ

وورد على لسان (منتسيكو) في القرن الثامن عشر على ما ترجمهُ صاحب الدُرَر «ان الطبيعة ميَّزت الرجل بالقوة والعقل فليس لسلطتهِ من حدٍّ سوى تلك القوة وذلك العقل وخصَّت المرأة بالبهجة والرونق والجمال فسطوتها تزول بزوالها » فكأنهُ يقول ان النسآء اللواتي لم يُقسَم لهنَّ من الملاحة نصيب لا سطوة لهنَّ بتاتاً واما الحسان فيتمتَّعنَ بالسطوة بين الخامسة عشرة والثلاثين من اعوامهنَّ فقط لان الحسنآء قبل سنّ الإعصار لا تتوفَّر لها جواذب الجمال وقلما يمكنها المحافظة عليها بعد زوال غضاضة العمرِ ونضارة الصبا فكأنها إذَنْ موجودة « لانتظار موعود ورثآء مفقود » ليس الا وهو رأيٌ من الغرابة بمكان

ولقد قال (ليكوفه) مما عرَّبهُ صاحب الدُرَر ايضاً « ان الأُمم الغابرة وان تشعَّبت مذاهبهم وتضاربت اقوالهم في بيان حقيقة المرأة فهم من حيث — عدم المساواة — على وفاقٍ واجماع وكلهم يرمون الى غرضٍ واحد نفصح عنهُ بما معناهُ « ان في السمآء كواكب ثانويَّة تابعة ليس لها من شأن سوى الدوران حول كواكب اسمى منها على سبيل الخفارة كما هو شأن

القمر حول الارض . فالمرأة على رأي القدمآء قمر الرجل وقد يكون للكوكب الواحد جملة اقمار كما للسيّار المعروف بالمشتري » وعلى هذا تكون المرأة في عرفهم كائناً عاقلاً — منخفض الرتبة موجوداً بالنسبة — وهو تعريفٌ لا يرضى بهِ بل يخجل عند ايرادهِ متنوّرو العصر الذين وضعوا مسألة النسآء موضع البحث في الملاعب والمكاتب والمنابر والمحاضر بل في كل مكان حتى ان ندوة العلمآء الفرنسوية (الاكاديمي) فرضت مبلغاً من النقد جائزةً لمن تهيأ لهُ الاجادة في هذا المطلب العسير

ولقد قال روسو « ان المرأة انما وُجدت لترضي الرجل فاذا تعيَّن عليه ارضآؤها فهذا الارضآء هو دون ذاك ويكفيها منهُ لترضى مجرَّد كونهِ قويًّا » وهذا القول ادعى الى التزييف والاستهجان وغاية ما عُلِمَ من احوال الغابرين ان المرأة عندهم ملحقٌ للرجل « حاوي خير » واما عند القبائل المتوحشة حتى اليوم فهي تتقلد السلاح للكفاح وتحمل الاثقال وتنهض بفادح الاعمال فهي فيهم بل في غيرهم من الأُمم الشرقية التي يُطلَق عليها اسم نصف متمدّنة بمثابة عبد الرجل او حمارهِ . ومما يُضحِك ويُبكي ان سائلاً سأل في محشدٍ من الرؤسآء في القرون المتوسطة قائلاً « هل للمرأة من نفسٍ » ... ويُرجَّح ان اليهود في هذه الايام ينكرون على المرأة النفس الخالدة

واذا رجعنا الى الفلاسفة والشعرآء رأينا بعضهم يقولون « المرأة شيطانٌ رجيم » والبعض الآخر يقول « هي مَلَكٌ كريم » ولعلهم جميعاً مصيبون

حسب المرأةَ قومٌ آفةً　　من يدانيها من الناس هَلَكْ

ورآها بعضهم امنيةً　　فاز بالنعمة فيها مَن ملكْ

وصواب القول لا يجهلهُ　　حاكمٌ في مذهب الحق سلكْ
انما المرأة مرآةٌ بها　　كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتها　　واذا اصلحتها فهي مَلَكْ (*)

(ستأتي البقية)

التلغراف والتلفون في اليابان

قرأنا تحت هذا العنوان فصلاً في احدى المجلات الفرنسوية لمكاتب لها باليابان فأحببنا تعريبهُ لما فيهِ من بيان منزلة هذه الامة من قوة الذكاء وتيقظ الفطن والاستعداد الفطريّ لتلقّي دقائق العلم والصناعة قال

منذ نحو ثلاثين سنة نزعت اليابان الى الائتمام بالحضارة الغربية وقد آنست منها ما شاقها وحبَّب اليها الخطو الى جانب تلك الامم الراقية فبعثت الى ممالك اوربا والولايات المتحدة باميركا تستدعي نفراً من اهل العلم والصناعة تستعين بهم على ادراك امنيّتها واختارت من اذكياء فتيانها من يتلقى عنهم فلم يأتِ على اولئك الطلَبة الا بضع سنواتٍ حتى خرجوا عن حدّ التلمذة ووجدوا من انفسهم القدرة على الاستقلال فألقوا حبل اساتذتهم على غاربهم وانفردوا في تمة ما شرعوا فيهِ وقد اصبح كلٌّ منهم استاذ نفسهِ

ولم يكن ذلك منهم مقصوراً على القواعد العلمية والمدارك النظرية ولكنهم كانوا على الحدّ نفسهِ في الامور العملية ايضاً وحَسْبُنا ان نورد من ذلك ما كان من تاريخ انشاء التلغراف والتلفون في هذه البلاد

(*) اديب اسحق

وذلك انهُ في سنة١٨٦٨ ارسلت دولة اليابان الى انكلترا تطلب مهندسين يشرعون في مدّ الاسلاك التلغرافية في بلادها وكان اول خطٍّ انشأوهُ بين طوكيو ويوكوهاما وفرغوا منهُ سنة ١٨٦٩ . غير انهُ من ذلك التاريخ الى سنة ١٨٧٧ لم يُظهِر التجار ولا الحكومة احتفالاً بهذا التلغراف حتى اذا شبّت ثورة الجنوب الغربي المعروفة بثورة سَتْسُوما في السنة المذكورة عرف اكابر رؤساء الحرب منفعة التلغراف بحيث انهُ في سنة١٨٧٨ لم يبقَ مكتبٌ من مكاتب التلغراف ـ وكانت قد اصبحت عديدةً ـ الاّ فُتِح للمراسلة بين العاصمة وسائر جزُر اليابان . وفي السنة التالية انضمّت اليابان الى الجامعة التلغرافية ثم تكاثرت الخطوط فيها ولم يمضِ الا قليل زمن حتى مُدّت الى جميع اطراف المملكة بحيث انهُ في سنة ١٨٨٤ لم تبقَ مدينةٌ ولو من صُغرَى المدن الا وُجد فيها بريدٌ تلغرافي. وبعد ذلك أُخذ في زيادة عدد الاسلاك على كل خط وأُنشئت خطوطٌ تحت البحر تجمع بين جزائر المملكة وابتيعت الخطوط التي مدّتها الشركة الدنمركية بين اليابان وكوريا

وكانت الخطوط التي أُنشئت من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٧ من صنع المهندسين المذكورين وفي أثناء هذه المدة كان الذين يعملون تحت ايديهم من الوطنيين قد احكموا العمل وصاروا بحيث يستطيعون ان يتولوهُ بانفسهم . ثم ان الحكومة كانت قد انشأت مدرسة للهندسة وخرج منها عدة شبان فاقامتهم مهندسين للاعمال الاميرية وفي سنة ١٨٧٩ استغنت الحكومة اليابانية بمن عندها من الوطنيين فصرفت الاجانب ولم تُبقِ لديها منهم الا بضعةً من المهندسين ليتولوا تركيب الاسلاك فلبثوا عندها

الى سنة ١٨٩٠ واذ ذاك استغنت عن هؤلاء ايضاً فانقلبوا الى اوطانهم

اما الموادّ التي تُصنَع منها آلات التلغراف في اليابان فهي نفس المواد المستعملة في غيرها فالاساطين تتخذ من شجر الشربين وقبل ان تُنصَب تُنقَع مدةً طويلة في محلول كبريتات النحاس صيانةً لها من التعفن . والكؤوس العازلة تتخذ من الصيني الابيض وهي من صنعة البلاد نفسها . واما الاجهزة فكان المهندسون الانكليز قد استصحبوا بعضاً منها عند ورودهم على اليابان سنة ١٨٦٨ من طريقة برِيجِّيت . ثم انهُ في السنة نفسها اهدت حكومة النمسا الى الميكادو جهازين من طريقة مُورْس لقصدٍ لا يخفى فاختار اليابانيون جهاز مورس وعهدوا في صنعهِ الى أناسٍ منهم وفي سنة ١٨٧٣ انشأوا معملاً لهذه الصنعة فلم يأتِ عليهم خمس سنين بعد ذلك حتى كانوا يجهزون حاجة المراكز باسرها . والآن فان كل الادوات التلغرافية وفيها الاسلاك والآلات الدقيقة تخرج من المعامل اليابانية

وفي اليابان اليوم نحو ٢٫٥٠٠ مركز تلغرافي و ٣٠٫٥٠٠ كيلومتر من الخطوط تبلغ الاسلاك المستخدمة فيها نحو ١٣٥٫٠٠٠ كيلومتر وعدد الاجهزة العاملة ٤٫٥٠٠ جهاز . وقد وُجد ان المُرسَل في سنة ١٩٠٢ كان ١٨٫٠٢٧٫٨٠٦ تلغرافات بين داخل البلاد وخارجها مع ان ايطاليا وهي من الممالك الكبيرة في اوربا لم تزد التلغرافات فيها في السنة المذكورة على ١٢٫٧٦٩٫٤٩٨ وكان مجموع التلغرافات في فرنسا في السنة نفسها ٥١٫٤٦٣٫٤٩٠ .

واما التلفون فلم تهتمّ بهِ حكومة اليابان الا في سنة ١٨٩٠ فمدّت في تلك السنة خطاً منهُ بين طوكيو ويوكوهاما غير انهُ لم يكن لهُ من الوقع في

اول الامر زيادةً على ما كان للتلغراف عند اول انشآئهِ ولذلك مرت بضع سنين ولم يكن من الاهالي من يطلب ان يصلهُ بمنزلهِ الاعددٌ قليل ولكن من سنة ١٨٩٥ تكاثر الطلب عليهِ الى حدّ ان الادارة لم تستطع ان تلبي الطالبين كلهم الا بعد ان لجأت الى اكتتابٍ استعانت بهِ على نفقات العمل

واحدث احصآء تلفوني وقفنا عليهِ لليابان هو لسنة ١٩٠١ وفيهِ انهُ في آخر هذه السنة كان الموجود من الخطوط يبلغ ٢٣٧١ كيلومتراً في داخل المدن قد مُدَّ فيها ١٢٨٣٨٧ كيلومتراً من الاسلاك و ٦٦ خطاً بين المدن فيها من الاسلاك ١٠٠٤٧ كيلومتراً . وعدد المشتركين ٢٥٦٠٣ وعدد المخاطبات في داخل المدن ٨٠٣٤٦٠١٠ وبين المدن ٨٩٢٣٣١ . وكان المتحصل من الدخل ٤٣٦٠٦٠٤ فرنكات ومبلغ النفقات ٧٤٥٨٩٢٥ فرنكاً

فمن هذا البيان الموجز في هذين الامرين يُستدَلّ على الشوط البعيد الذي خطاهُ اليابان في هذه الثلاثين سنةً الاخيرة وعليهِ يقاس ما بلغوا اليهِ في سائر احوال المدنية والعمران .　انتهى

علاج البول الزلالي

بقلم حضرة النطاسي الفاضل الدكتور نجيب افندي بدورة

في خلال السنة الغابرة رفع الاستاذ رّينُو الشهير الى الندوة الطبية في باريس تقريراً مطوّلاً ذكر فيهِ معالجتهُ للبول الزلالي بنُقاعة كُلْية الخنزير ووصف النتائج الحسنة التي نجمت عن استعمال هذه الطريقة . فاخذت العلمآء بعد ذلك تمتحن هذا العلاج لتتحقق فوائدهُ وقد اطلَّعت مؤخراً على

مقالةٍ بهذا المعنى للاستاذين موريس باج وداردلين ذكرا فيها نتيجة ابحاثهما فرأيت ان انقل خلاصة ذلك لقرآء الضياء ، لما فيهِ من الفائدة

ان الاستاذين المذكورين عالجا ثمانية عشر شخصاً مصابين بالبول الزلالي بنقاعة كلية الخنزير فشفي منهم ستة عشر شفآءً تاماً بحيث انهُ بعد مضي عشرة ايام من استعمال العلاج المذكور لم يبقَ أثر للزلال في البول وزالت جميع الاعراض المصاحبة لهذه العلة . اما الاثنان الباقيان فتحسنت حالتهما ولكنهما لم ينالا تمام الشفآء

والطريقة التي جرى عليها الاستاذان المذكوران هي نفس الطريقة التي ذكرها المسيو رينو وهي ان تؤخذ كلية خنزير مذبوح حديثاً وتقطَّع قطعاً صغيرة وتُغْسَل حتى تزول منها بقايا البول ثم تُدَقّ وتوضع في محلول مركّب من ثلاثمائة غرام مآء مضافٍ اليها غرامان ونصف من ملح الطعام وتُترك في هذا المحلول مدة ثلاث ساعات . ثم يُسقى العليل هذه النقاعة على ثلاث مرات في النهار فيشرب كل مرة ثلث الكمية وتكرر هذه المعالجة مدة عشرة ايام متتابعة لا يتناول العليل في خلالها سوى اللبن الحليب وبعض الخضراوات

ويجب ان تكون النقاعة مجهزة في نفس يوم استعمالها لا من قبل لانها اذا باتت تختمر

وقد ذكر الاستاذان المشار اليهما انهما استعملا هذا العلاج في كل انواع البول الزلالي حتى المستعصي منهُ والمسبب عن تصلّب الشرايين المزمن فكانت النتيجة في كل ذلك مدهشة لسرعة الشفآء وثباتهِ . قالا وقد شاهدنا

بعضاً من المرضى الذين عالجناهم بهذه الطريقة بعد ثمانية اشهر من شفآئهم وفحصنا بولهم فلم نجد اثراً للزلال فيهِ

وقد شرحنا في المقالة التي نحن بصددها حال الثمانية عشر شخصاً المذكورين كل واحدٍ بمفردهِ مع ذكر عمر المريض ونوع العلة والادوية التي استُعملت لهُ قبلاً بدون فائدة واخيراً شفآء العلة شفآءً تامًّا بنقاعة كلية الخنزير ولولا ضيق المقام لسردنا هذه الحوادث بالحرف الواحد

فيظهر اذاً مما تقدّم ان نقاعة كلية الخنزير انجع علاجٍ للبول الزلالي الى الآن كما قال الاستاذ رينو وان فاتنا تعليل فوائد هذه الطريقة . فان شفآء ستة عشر شخصاً من ثمانية عشر مبتلَين بهذه العلة لهو من النتائج التي لا يمكن الاّ الاقرار بها وان تعذّر تعليلها

على انهُ لا يُنكر ان ستة عشر حادثة قد لا تكون كافية للجزم بفوائد هذه الطريقة انما لا نرى مانعاً من استعمالها في كل الحوادث التي تقع تحت نظر الطبيب فاذا لم تصدق في كل مرةٍ فلا اقل من ان تصدق في بعض حوادث هذا الدآء الذي اصبح كثير الحدوث في قطرينا المصري والسوري والله الشافي

مطالعات

الدفء الطبيعي — جآءَ في احدى المجلات الاميركانية ما محصَّلهُ ان مدينة بواز من ولاية ايداهو احدى الولايات المتحدة وهي تشتمل على ١٥٠٠٠ ساكن يُستمَدّ دِفؤها كلهُ من الينابيع الحارّة . وذلك ان تلك الناحيـة

يكثر فيها سقوط الثلج و يبلغ البرد فيها في فصل الشتآء الى ٣٠ْ و ٣٥ْ تحت الصفر بحيث ان نفقات الوقود تكون عبأً ثقيلاً على السكان . نخطر لواحدٍ من اهلها يقال لهُ الكولونيل هنري دُمنّج ان يستعاض عن الحرارة الصناعية بحرارة باطن الارض فاحتفروا عدة آبارٍ عميقة بلغوا باحداها ٣٠٠ متر نخرج منها مآءٌ على ٥٠ْ من الحرارة ثم حفروا بئراً اخرى ابلغوها الى ٣٧٥ متراً فكانت حرارة مآئها على ٦٢،٥ْ وابلغوا غيرها الى ٤٥٠ متراً فكانت حرارة مآئها على ٧٠ْ واخيراً حفروا بئراً هبطوا فيها الى عمق ٦١٠ امتار نخرج منها مآءٌ على ١٠٤،٦ْ اي فوق درجة الغليان بقليل

فكانوا يجمعون المآء الخارج من تلك الآبار في حياضٍ كبيرة ثم يرسلونهُ في قنواتٍ تمرّ في الابنية العمومية والمخازن والمنازل الخصوصية فيسخن الهوآء الداخلي في هذه الاماكن جميعها بحرارة متعادلة . ثم خصصوا جانباً من هذا المآء لنضح الطرق فنشأ عن ذلك ان الشجر المغروس فيها كان يخرج ورقهُ منذ شهر مارس . وقد وجدوا ان نفقة هذا الدفء الطبيعي لا تزيد على الخُمس من نفقة الدفء الصناعي

اكتشاف قمر سادس للمشتري — بينما كان المسيو پرّين يفحص الزجاجات الفوتغرافية المأخوذة من ٣ دسمبر سنة ١٩٠٤ الى ٤ يناير سنة ١٩٠٥ ظهر لهُ ان للمشتري قمراً سادساً. وهو صغير جدًّا يُعدّ من القدر الرابع عشر ونورهُ اضعف من نور القمر الخامس الذي اكتشفهُ المسيو برنار في ٩ ستمبر سنة ١٨٩٢ ويعد من القدر الثالث عشر . وقد امكن رصد هذا القمر الجديد من ٤ يناير وكان اذ ذاك على ٤٥َ من السيار وهو يقرب اليهِ ٤٥ً في اليوم

فريد البرباري

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

جرأنا القرآء باستحسانهم سلسلة روايات الكولونيل جيرار على نشر مثل تلك السلسلة وقد اخترنا لذلك روايات من وضع المؤلف الشهير والكاتب البليغ والروآئي الذائع الصيت السير كونان دويل في وصفهِ اعمال شرلوك هولمز وقد جسد فيهِ مهارة وذكاء رجال الشحنة في كشفهم المخبآت وتخليصهم الحقائق مهما حال دونها من العقبات . ومما يدل على شهرة تلك الروايات انها ترجمت الى لغات عديدة ووُضعت في قالب تمثيلي ولا تزال تمثل في انكلترا واميركا وقد كافأت الحكومة الانكليزية كاتبها المذكور بلقب سير ايذاناً بفضله

ولا بد لنا من تعريف بطل الرواية وذكر وصفهِ وحالتهِ مرة واحدة ليسهل فهم وتناول الروايات المتعلقة بهِ . فالرجل يدعى شرلوك هولمز وهو طويل القامة واسع الجبهة طويل الانف مستطيل الوجه حادّ النظر لهُ منكبان عريضان وصدر متسع مولع بالتدخين . اما صفاتهُ العقلية فانهُ رجل لا يعرف للخوف معنًى حادّ الذهن سريع الادراك شديد الاقدام لا يثنيهِ شيء عن ادراك غايتهِ . وكان شغلهُ كشف مخبآت الجرائم وحل معضلات الاسرار لحسابهِ الخاص واشتهر امرهُ حتى صار يرجع اليهِ رجال الشحنة السرية في كثير من امورهم ويستفتونهُ في ما يستبهم عليهم من الامور . واستصحب شرلوك هولمز رجلاً طبيباً يدعى وطسن كان يرافقهُ في جميع اعمالهِ ويساعدهُ في قضآء المهمات وكان وطسن كاتباً فجعل يدوّن ما يتفق لهما من الاعمال وهو يعجب بمهارة رفيقهِ شرلوك وقد تمكنت بينهما روابط الوداد . فحدث انهُ وُجد في بلاد الانكليز عصبة اشقيآء لم يرقَ لهم وقوف

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

شرلوك بالمرصاد فعملوا على قتلهِ . واتفق يوماً ان ذهب شرلوك الى جهات سويسرا لتبديل الهوآء وقابلهُ رئيس تلك العصابة واسمهُ موريارتي فاضمر كلٌّ منهما الانتقام من الآخر وتقابلا على منحدر عالٍ في اواسط تلك الجبال وتحتهما وادٍ عميق في سفحهِ نهر جارٍ فتعاركا وتقاتلا وآخر ما عُرف عنهما انهما سقطا في تلك الهوة العميقة فتهشما وكان آخر العهد بهما . ولما بلغ ذلك وطسن حزن على رفيقهِ حزناً شديداً وقضى ايامهُ بعد ذلك في العزلة والانفراد يكتب ما يعن لهُ عن رواياتهما الغريبة . وقد كتب التاريخ الآتي عن نفسهِ قال

شرلوك هولمز

— ١ —

﴿ البيت المهجور ﴾

ضجَّت مدينة لندن في ربيع سنة ١٨٩٤ لخبر مقتل الشريف رونالد أدير ولا سيما لان هيئة القتل كانت عجيبةً سرية فلم يبلغ الجرائد منها الا ما ذكر في دائرة المحاكم وبقي من تلك الاسرار شيءٌ كثير تحت ستار الاهمال لانهُ لم يلزم لمحاكمة المتهم . وكنت بعد معاشرتي اليف صباي شرلوك هولمز قد نشأ عندي ميلٌ شديد الى البحث في مثل تلك الحوادث فتتبعت خبر القتل الى ان وقفت على تفاصيلهِ في ذلك الوقت ولكني لم اكن حرًّا في نشرها اما الآن فقد أُطلق قيد لساني ولذلك اقص حديثاً في منتهى الغرابة ولا سيما للنتيجة الفائقة التصور التي وصلت اليها والتي لا ازال اشعر بارتعاش جسمي كلما تفكرت فيها

قلت انني بعد فقد صديقي شرلوك هولمز انقطعت الى حياة الانفراد وكان قد تولد فيَّ الميل الى تتبع حوادث الجنايات واعمال الشحنة وكنت بعض الاحيان استعمل الخطة التي رسمها لي صديقي على امل ان اتوفق مثلهُ الى كشف القناع عن بعض المبهمات التي لم يقوَ الغير على كشفها . فلما قُتل رونالد ادير وقرأت ذلك في الجرائد وجدت في الامر سرًّا شاقني حلهُ وشعرت بالخسارة الفادحة التي المَّت برجال الشحنة بعد فقد شرلوك المذكور

وكان القتيل رونالد ادير ابن الارل مينوث حاكم احدى المستعمرات الاسترالية وكانت زوجة الارل قد اصيبت بمرض في عينيها فجآءت انكلترا للاستشفآء منهُ واحضرت معها ابنها المذكور رونالد وابنتها هيلدا فسكنوا في شارع شهير من شوارع لندن . اما رونالد فكان لا يعاشر الا نخبة القوم ولم يكن لهُ عدوٌّ لان كل صفاتهِ كانت مستحسنة وكان شريف الطبع جميل المسلك لطيفاً مسالماً محبوباً عند الجميع . غير ان تلك الصفات الحسنة لم تعصمهُ من تجرع كاس المنون على غير انتظار فقضى مقتولاً بين الساعة العاشرة والحادية عشرة من ليل ٣٠ مارس سنة ١٨٩٤

وكان رونالد يتردد في اوقات الفراغ على بعض المنتديات فيصرف اوقاتهُ بلعب الورق ولكنهُ لم يكن مولعاً بهِ قط وشهد الكثيرون من اعضآء تلك المنتديات انهُ كان يلعب للتسلية فقط وانهُ كان شديد التحذر فاذا خسر لا يخسر الا مبلغاً زهيداً لا يزيد على اربع او خمس ليرات مما لا يؤثر في ثروتهِ الطائلة وانهُ كان اغلب الاحيان يقوم عن مائدة اللعب بربح يعادل تلك القيمة الا مرةً واحدة لعب فيها بشركة رجلٍ يدعى الكولونيل موران فربحا ربحاً عظيماً اصاب رونالد منهُ اربع مئة وعشرين ليرة استرلينية

وعاد رونالد الى البيت في مسآء مصرعهِ من المنتدى عند الساعة العاشرة وكانت امهُ وشقيقتهُ قد خرجتا لعيادة بعض الاصحاب وعُرف بعد ذلك من خادمتهِ انها سمعتهُ قد دخل غرفتهُ وكانت قد اعدت فيها ناراً وتركت نافذتها مفتوحة فلم تعد تسمع صوتاً الى ما بعد الساعة الحادية عشرة عند رجوع اللادي مينوث وابنتها . وكان من عادة الام ان تدخل فتقبل ابنها قبل النوم فلما ذهبت الى غرفتهِ وجدت الباب مقفلاً من الداخل فقرعتهُ شديداً بدون فائدة ثم استدعت الخدم فكسروا الباب فوجدوا ذلك المسكين ملقى على الارض وقد شُجَّ رأسهُ من حيث خرجت رصاصة المسدس . ولما بحثوا في الغرفة لم يجدوا فيها سلاحاً البتة بل كان على المائدة ورقتا بنك قيمة كلٍ منهما عشر ليرات والى جانبهما قيمة سبع عشرة

ليرة ونصف من النقود الذهبية والفضية مرصوصة بكميات مختلفة القيمة وامام ذلك مذكرة عليها اسماء رفاقهِ في اللعب و بعض الارقام مما دلّ لاول وهلة ان رونالد كان يحسب ارباحهُ وخسائرهُ قبل حصول تلك الفاجعة

ولم يكن بحث الشحنة وتدقيقهم بعد زيارتهم تلك الغرفة الا ليزيد سر القتل غموضاً فانهم وجدوا ان الباب كان مقفلاً من الداخل ولم يكن من سبب يوجب اقفالهُ الا ان يكون القاتل قد فعل ذلك ليمنع دخول احد قبل هربهِ . وانهُ لم يكن للقاتل منفذٌ يهرب منهُ الا نافذة الغرفة وهي تعلو عن الارض نحو عشرين قدماً وتحتها في ارض الحديقة نباتات من الورود والرياحين لم يظهر فيها أثر اقدام ولم يكسر شيء من اغصانها وزهورها فثبت اذاً ان القاتل لم يخرج من هنالك . وعلى فرض ان القاتل اطلق عيارهُ عن بعدٍ فلا بد انهُ كان على مسافة لا يستطيع احدٌ اصابة غرضهِ منها فضلاً عن ان النافذة المذكورة متجهة الى شارع مطروق فيهِ موقف للعربات ولدى الفحص الدقيق لم يذكر احدٌ هنالك انهُ سمع طلقاً ناريًّا او رأى من يرتاب بهِ في تلك الفاجعة . وجملة الامر ان القتل حصل حقيقةً ولكن سببهُ لم يمكن الوصول الى معرفتهِ ولا سيما وقد ثبت انهُ لم يكن لرونالد المذكور عدوٌّ ولا خصم ولا من يرغب في اذيتهِ

اما انا فبقيت يومي اردد تلك الامور في خاطري واجتهد في تعليلها فلم ازدد الا اعتقاداً بوجود سرٍّ عظيم يتعلق بمقتل ذلك الفتى وزادت بي الهواجس حتى خرجت على غير هدًى وتوجهت الى البيت الذي حصل فيهِ القتل لعلي ارى في فحص الطريق والحديقة والنافذة ما يسهل لي التكهن على كيفية حدوث الجريمة . ولما بلغت منتهى الشارع الموصل الى المكان المذكور وجدت جمهوراً واقفاً ينظر الى النافذة مصغياً الى حديث رجل طويل القامة ظننتهُ لاول وهلة من الشحنة السريين ولكنني ما سمعت حديثهُ حتى علمت ان فكري في غير محلهِ فرجعت الى استتمام فحصي وفيما حوّلت ظهري صدمت رجلاً احدب الظهر يحمل كمية من الكتب القديمة فوقعت كتبهُ وتبعثرت على الارض . ولا انسى ما شعرت بهِ لدي

مشاهدة ذلك الرجل المسكين فاسرعت الى مساعدتهِ في جمع كتبهِ والاعتذار اليهِ . اما هو فما صدّق ان حمل كتبهُ حتى ادار ظهرهُ واختفى بين الجموع . وعدت الى فحص الجهة فوجدت ان البيت ضمن حديقة فسيحة يحيط بها جدار مرتفع لا يتعذر تسلقهُ وانما يتعذر الوصول الى النافذة لارتفاعها وعدم وجود ما يسهل التسلق اليها. ولم تجدِ نفعاً ابحاثي فعدت الى غرفتي وانا اشدّ حيرةً مما كنت سابقاً فلم يستقرّ بي الجلوس الى مكتبتي حتى دخلت الخادمة واعلمتني ان بالباب رجلاً يروم مقابلتي. وقبل ان آذن لها في ادخالهِ كان الرجل قد صار في وسط الغرفة وزاد تعجبي عندما رايت انهُ هو نفس حامل الكتب الذي ذكرتهُ . ولما خرجت الخادمة واغلقت الباب تفرست فيهِ فوجدتهُ شيخاً ذا لحيةٍ بيضآء يحمل ما لا يقل عن العشرين مجلداً . وبعد ان حيّا قال اظنك استغربت دخولي عليك يا مولاي . قلت نعم ولا انكر ذلك العلهُ لم يكفك اعتذاري اليك . قال كلا بل انني رايتك داخلاً الى هــذا البيت فعلمت انك جارٌ لي واحببت ان اتعرف بك واشكرك على اهتمامك في جمع كتبي التي سقطت مني الى الارض ولاعلمك انني كتبيٌّ في آخر هذا الشارع وارى على مكتبتك بعض المجلدات القديمة مما يدل انك تحب قرآءة مثل هذه الاوراق فاذا شئت فانك ترى محلي مستعدًّا في كل دقيقة لقبولك . وفضلاً عن ذلك فانني ارى الآن هذه المجلدات الضخمة قد علاها الغبار فاذا اذنت لي اجيء يوماً لانظفها لك وارتبها في اماكنها . فادرت وجهي لارى الكتب التي يشير اليها ولما اعدت نظري وجدت امامي شرلوك هولمز بنفسهِ . فوثبت عن الكرسي وبقيت مدة جاحظ العينين فاغر الفم ثم سقطت غائباً عن الوجود وقد مرت امام عينيَّ ضبابة كثيفة اعمت بصري . ولما افقت وجدت نفسي ملقى على سريري وقد حلت ازرار ثوبي ووقف شرلوك الى جانبي يجرعني شيئاً من زجاجة كانت بيدهِ . فقال العفو يا عزيزي وطسن فانهُ لم يخطر ببــالي قط ان حضوري سيؤثر فيك الى هذا الحد . فاخذت بيدهِ وقلت آه يا عزيزي هولمز وهل انت حقيقةً امامي ام ان روحك قد جآءت تعودني . ولما شعرت بجسمهِ وتاكد لي وجود شخصهِ حقيقةً قلت اخبرني

بر بك كيف عدت من بين الاموات وكيف رجعت من تلك الهوة التي سقطت فيها . فتبسم ثم جلس بازآئي واشعل لفافة حسب عادتهِ وكان قد نزع الشعر الابيض الذي كان متستراً بهِ والقى كتبهُ الى الارض فمدّ رجليه وقال اني قد اضطررت الى التنكر بالزي الذي رايتني فيهِ لاسبابٍ اذكرها لك وقد تعبت كثيراً من تقصير قامتي فانا سعيد الآن لتمتعي بالراحة . اما سؤالك عن عودتي من تلك الهوة فانني لم اقع فيها قط ولكن حين قابلت موريارتي اللعين في ذلك الموضع قرأت في عينيهِ انهُ يودّ الانتقام مني غير اني لبثت سائراً في طريقي فتبعني وما سرنا كثيراً حتى بلغنا اضيق مسلك على ذلك المنحدر وشعرت بيدي موريارتي قد قبضتا عليّ . وكان ما تعلمتهُ من المصارعة اثنآء سياحتي في اليابان قد افادني كثيراً فتملصت منهُ ودفعتهُ بعنفٍ فهوى الى المنحدر وقد رأيتهُ ساقطاً حتى التطم بصخر بارز هشمهُ تهشيماً ثم اندفع عنهُ الى اسفل وغاصت جثتهُ في المياه . اما انا فوقفت لحظة اعجب من حسن حظي وعلمت ان موريارتي لم يكن وحدهُ العدو المخيف الذي اقسم على اهلاكي بل ان رفاقهُ سيزيد حنقهم وطلبهم للانتقام بعد موت رئيسهم فوجدت الافضل ان اشهر موتي ليتحقق ذلك كل احد فيكفّ اعدآئي عن طلبي واكون اذ ذاك في سعةٍ لابحث عنهم واتخلص منهم وبعد ذلك اعود الى عالم الاحيآء واعيش مطمئنًّا . وقد قرأت بعد ذلك ما كتبتهُ في الجرائد عن موتي ووصفك ذلك المنحدر المخيف فضحكت كثيراً على تأبينك صديقاً لا يزال حيًّا يرزق . وكان للمنحدر نُقَرٌ صغيرة تكفي لوضع القدم فعزمت ان اتسلقها واجد لي طريقاً منها كي لا يبدو اثر اقدامي على الطريق التي جئنا منها وبذلك أؤكد للجميع انني سقطت مع موريارتي الى الهوة . فاخذت في التسلق مستعيناً بتلك النقر ولا انكر انني اقدمت بذلك على خطر جسيم لانهُ لو زلت قدمي للحقت بموريارتي بدون شك . ولكن ابى القدر الا ان يحرس حياتي فوصلت الى شبه كهف في منتصف المنحدر جلست فيهِ ريثما استريح . ولما اتيتم مع رجال الشحنة لاقتفآء اثري وفحصتم الطريق ومحل الحادثة وقررتم انني سقطت مع موريارتي وانا هلكنا معاً كنت اسمع كلامكم

واضحك . فلما ابتعدتم وكنت قد اخذت شيئاً من الراحة عزمت على اتمام المسير ولكنني ما كدت اخطو في ذلك العلو الشاهق خطوتي الاولى حتى سمعت صوتاً غريباً ورأيت صخراً كبيراً يتدحرج فوقي فمرّ بجانبي ولو اصابني لسقطت واياهُ الى الحضيض . فلبثت دقيقتين كانني على صفيحة كهربائية ثم جعلت اعجب من سبب سقوط ذلك الصخر واذا بصخر آخر اكبر من الاول يتدحرج بعدهُ . فتحققت اذ ذاك ان واحداً من عصابة موريارتي كان مراقباً حركاتنا من البدآءة وانهُ لم يجسر على مقابلتي وجهاً لوجه فصعد الى قمة المنحدر وجعل يدحرج تلك الصخور لتصيبني وتدفعني بنزولها الى الهلاك المحتم . ورأيت بأسرع من لمح البصر شبح ذلك الشخص واقفاً وبين يديهِ صخرٌ آخر فعلمت انني هالك لا محالة ولكن النفس عزيزة والانسان بين ويلين يختار اسهلهما فاسرعت بتسلق النقر الباقية لي وبلغت شبه طريق للمعزى جعلت اسير فيهِ بمنتهى قوتي الباقية مسافة نحو عشرة اميال . وكان الظلام قد سدل جلبابهُ فاخفاني واستعنت بهِ على تغيير خطة مسيري . وبعد سبعة ايام من تلك الحادثة بلغت فلورنسا وانا واثقٌ انهُ لا يعلم بي احد وان العالم باسرهِ سيتحقق انقطاعي من بين الاحياء

ولست انكر ايها العزيز وطسن انني قد اسأت في عدم كتابتي اليك وابلاغك الحقيقة ولكنني اضطررت الى الاختفاء ولو فعلت ذلك لما امكنك ان تكتب ما كتبت مما يؤيد خبر موتي ويمنع اعدآئي من متابعتي . وكان يخطر لي كثيراً في مدة هذه الثلاث السنوات ان اكتب اليك مدفوعاً بعامل الشوق ولكنني خفت ان يؤثر فيك الفرح فيدفعك الى كشف امري قبل ان يتم مقصدي . ولذلك ايضاً ابتعدت عنك اليوم حين صدمتني واوقعت كتبي لانني كنت لا ازال في خطر ولو ظهر منك اقل حركة تدل على معرفتي لهلكت لا محالة . ولذلك كتمت سر وجودي عن كل مخلوق الا عن اخي ميكروفت لانني لم اجد بدًّا من تسليم سري اليهِ لآخذ منهُ ما يلزمني من النفقة . وكنت اراقب من مخبإي ما يجري في لندن وعلمت ان الحكومة تأثرت عصابة موريارتي وكفت الناس شرهم ولكنها

غفلت عن اثنين منهم من اكبر اعدآئي واشدهم غائلةً فشاغلت نفسي بالسياحة مدة سنتين زرت فيهما الصين والعجم ومصر وكتبت مقالات نشرت في جرائد انكلترا تحت اسم مستعار وعدت الى فرنسا فجعلت اشتغل بالكيميآء الى ان بلغني من عهد قريب خبر وفاة احد العدوَّين ثم بلغني ايضاً خبر مقتل رونالد المسكين فاسرعت بالمجيء مدفوعاً بما لهذا القتل من الغرابة وباسباب اخرى شخصية . ولما وصلت الى بيتي ودخلت غرفتي وجدتها كما تركتها تماماً وكان اخي قد ابقى كل شيء على ما كان عليهِ فلما رأتني الخادمة كادت تجن فوكلت اخي بها وجلست الى كرسي القديم لا ينقصني الا ان يكون عزيزي وطسن كعادتهِ بازآئي

وكنت اسمع حديث صديقي شرلوك وانا بين الدهش والسرور وقد جعلت لا احول نظري عنهُ . ثم قال لي انني قضيت ثلاث سنوات بدون عمل فانا اشعر بتعب الكسل وامامنا الليلة عمل عظيم كبير الاهمية ولا اظنك تتأخر عن مرافقتي كالعادة . فاظهرت لهُ رغبتي في عدم مفارقتي لهُ بعد تلك الدقيقة وسألتهُ عن العمل الذي ينويهِ فقال متى حان اجل الافشآء أفشيت اما الآن فاتبعني صامتاً

وبعد ان استرحنا ساعةً ركبنا عربةً وكنت ارى في وجهه علامات الاهتمام الشديد فظهرت لي خطورة ما ينويه ولم افه ببنت شفةٍ وكان يأمر السائق بالانتقال بنا من شارع الى آخر وهو يحترس ان لا يراهُ احد. وبلغنا نقطة استوقف فيها العربة وسرنا ماشيين بين اخربة وازقة ثم في منعطفٍ ضيق انتهى بنا الى باب خشبي دفعهُ شرلوك بلطف وولجناهُ ثم رقينا سلماً في اعلاهُ باب آخر فتحهُ بمفتاح كان في جيبهِ ودخلناهُ فاقفلهُ من الداخل ولبثنا في ظلمة حالكة . ثم اخذ شرلوك بيدي فقادني في دهليزٍ ثم في فسحة ثم في سلم انتهى بنا الى غرفةٍ فسيحة كان ينبعث اليها شيء قليل من انوار الشارع . وعلمت ان البيت مهجور لعدم وجود رياش او اثاث فيهِ ولتراكم الغبار على جدرانهِ التي كنت استند اليها . ووقف شرلوك في الردهة التي بلغناها ثم همس في اذني قائلاً اتعرف اين نحن الآن . قلت لا . قال نحن في بيت يشرف على محل سكناي من الجهة الثانية . واذا شئت ان ترى غرفتي

من هنا فاقترب من تلك النافذة باحتراس تام وتفرس فيما ترى وقل لي ألا يزال صديقك يعدُّ لك عجائب

فاقتربت من النافذة ونظرت الى الجهة التي اشار اليها وللحال اعترتني هزة واندفع من صدري صوت كحشرجة المحتضر فانني رأيت غرفة صديقي امامنا ونافذتهُ مفتوحة وكانت الغرفة منارة فظهر لي من النافذة رجل جالس على كرسي لم اشك في انهُ نفس شرلوك هولمز . فمددت يدي لاتحقق هل هو باقٍ بجانبي ام حُمل بروح خفية الى غرفتهِ فوقعت يدي عليهِ وشعرت باهتزاز جسمهِ من الضحك . وبينما انا في دهشة وحيرة عظيمتين قال لي كيف رأيت هذا الشبه . قلت لم اشك في انك انت هو فقل لي بربك من هذا وما هو المقصود من جلوسهِ هناك . قال الرأس الذي تراهُ ليس سوى مثال من الشمع عملهُ لي احد صناع التماثيل في ايطاليا واما بقية الجسم فمن صنعي انا وان هي الا اخشابٌ البستها ثيابي وقد فعلت ذلك بقصد ان يظن بعض الناس انني انا جالسٌ في غرفتي حقيقةً . ولا اكتمك ايها العزيز ان عدوي الوحيد الباقي من عصابة مورياتي قد علم بوجودي في لندن وهو يسعى في قتلي وقد تحققت انهُ سيبذل جهدهُ في هذه الليلة كي فوضعت شبهي في غرفتي ليغتر بهِ فيهتم باغتيالهِ ونهتم نحن بالاطلاع عليهِ وامساكهِ . وبانت لي الخطة التي رسمها صديقي فعلمت انهُ وضع مثالهُ في النافذة شركاً لعدوهِ وانا نحن سنكون في الحقيقة الصيادين . ثم امسك شرلوك عن الكلام ورأيتهُ قد اصغى مليًّا وجعل يراقب الطريق باحتراس تام . واعدت نظري الى النافذة فوجدت المثال قد تحرك فزاد تعجبي ولحظ ذلك صديقي مني فتبسم وقال اراك تعجبت من حركة ذلك الشبح الذي لا روح فيهِ وهل تظنني ابقيه بدون حركة لكي يعلم اعدآئي انهُ ليس اياي فقد اوصيت الخادمة ان تحركهُ من حين الى آخر بخيط خفيّ ينتهي الى الخارج بحيث يخيَّل لمن يراقبهُ عن بعد انهُ شخص حقيقي ذو نفسٍ حية

وكان شرلوك يفهمني ذلك همساً وهو لا يحيد نظرهُ عن مراقبة الطريق الفاصل بيننا وبين نافذة غرفتهِ وقد اعار اذناً صاغية . فرأيتهُ قد توقف بغتة عن الكلام

و بدت عليهِ علامات الاضطراب ثم قادني بيدي الى منتهى الغرفة واشد اقسامها ظلمةً فوضع يدهُ على فمي علامة للصمت التام ولبثنا لا نكاد نسمح لآنافنا باخراج تنفسنا . ولما كنت اجهل ما نحن بصددهِ وضعت يدي على مسدسي وجعلت انتظر فقرع اذنيَّ صوت فتح باب واقفالهِ بسكون ثم لاح لي في تلك الظلمة على نور النافذة شبحٌ قد دخل بتمام الاحتراس وبعد ان وقف قليلاً دخل بجرأة واقدام مارًّا على بعد خطوتين منا مما اكد لي انهُ لم يشعر بوجودنا و بلغ النافذة فجثا امامها تاركاً وجههُ فقط مطلاًّ عليها. ووقع عليهِ النور من الخارج فتأملتهُ جليًّا فاذا هو كهلٌ ذو انفٍ دقيق اقنى وعينين يتطاير منهما الشرر وكان يحمل عصاً القاها الى الارض بجانبهِ فسمعت لهـا صكةً ظهر لي منها انها مصنوعة من بعض المعادن . ثم اخرج من جيبهِ شيئاً لم ارهُ ولكنهُ اخذ يعالجهُ ثم قطعهُ واخذ العصا فادخلهُ فيها وسمعت صوتاً آخر حقق لي ان ما ظننتهُ عصاً لم يكن الا بندقية . ثم رفعها الى كتفهِ واسند رأسهُ الى جانبها وتنفس طويلاً كمن بلغ اربهُ وتطاولتُ لارى غرضهُ فوجدتهُ قد صوب البندقية الى الشبح الموجود في نافذة شرلوك هولمز وهو يظنهُ اياهُ وللحال ضغط باصبعه على الزند فصدر صوت كحفيف الريح اشبه بالصفير وانطلقت الرصاصة الى النافذة فكسرت زجاجها واصابت مثال صديقي . وفي تلك اللحظة وثب شرلوك من مكمنهِ كالاسد المفترس فامسك بعنق ذلك القاتل والقاهُ الى الارض ولكنهُ ما عتم ان وقف واوشك ان يصرع شرلوك لو لم ابادرهُ بضربتين على رأسهِ افقدتاهُ رشدهُ فسقط ثانية . واقترب شرلوك من الباب فصفر صفيراً مخصوصاً وللحال فتح الباب وسمعنا وقع اقدام تقترب منا واذا اثنان من رجال الشحنة السريين ووراءهما واحد من رؤساء الشحنة اسمهُ لسترايد . فلما قابلهُ شرلوك ترحب بهِ فقال الرئيس لما بلغتني تذكرتك ايها العزيز شرلوك لم اكد اصدق نظري في تلاوتها ووددت ان احقق بعثك بنفسي فجئت مع هذين الرجلين وعسى ان تكون قد احضرت لنا شيئاً جديداً من عالم الاموات . فقال شرلوك بُعثت ايها العزيز لاساعدكم في القاء القبض على هذا الرجل فانهُ اخبث اشرار البلاد واسمح لي

ان اعرفكم بهِ فهو الكولونيل موران من جيش جلالة الملكة سابقاً وافتك القتلة وامهرهم الآن . فلما سمعنا ذلك تراجعنا الى الورآء متعجبين لاننا كنا نعهد الكولونيل موران من جماعة الشرفآء وخطر لي للحال ان الكولونيل نفسهُ كان رفيق القتيل رونالد في اللعب . اما الكولونيل فلما سمع كلام شرلوك واشتمّ منهُ الهزء والسخرية اضطرب ووثب كانمر الهائج قاصداً الفتك بشرلوك ولكنهُ لم يستطع التقدم لان رجال الشحنة كانوا قد اوثقوا ذراعيهِ بالحديد . واخذ شرلوك يتفقد البندقية التي كانت مع القاتل فبعد ان قلبها في يديهِ ضحك وقال انني من زمن طويل اشتاق الى فحص هذه الآلة الجهنمية فانها وحيدة في الدنيا وقد صنعها رجل الماني لموريارتي الشهير بموجب وصفهِ لهُ فهي آلة فتكٍ سرية ينطلق رصاصها بدون صوت وقلما يخطئ فريستهُ فدونكها يا لسترايد وخذ رصاصتها فانها تلزمكم للمحاكمة . فقال لسترايد انا في غنى عن البراهين بعد ان شهدنا جميعنا محاولة هذا الخبيث قتلك مغترًّا بالصورة الوهمية التي وضعتها لهُ . فقال شرلوك اياك ايها العزيز ان تتهمه بذلك فاني لا اريد ان تظهر ادنى علاقة لاسمي في هذا الامر بل ابقِ الفخر لك في امساك الكولونيل موران الذي قتل الشريف رونالد ادير في ليلة ٣٠ من الشهر الماضي . وبينما نحن نستغرب ذلك اسرَّ شرلوك بعض كلمات في اذني لسترايد ثم اخذ بيدي وقال تعال معي الى غرفتي فقد صار يحق لنا ان نستريح قليلاً بعد اعمال اليوم . فتبعتهُ كما يتبع الولد مربيهُ الى ان بلغنا بيتهُ ودخلنا غرفتهُ فوجدتها كما فارقتها آخر مرة كنت معهُ منذ ثلاث سنوات ورأيت فيها خادمة شرلوك والمثال الذي شخّص ذات شرلوك في تلك الحادثة ووجدنا ان الرصاصة التي اطلقت عليه قد اصابت الرأس من الورآء وخرجت من الجبهة المصنوعة من الشمع الى الحائط

ولما استقر بنا المقام صرف شرلوك الخادمة ثم اشعل لفافةً واخذ كتاباً من مكتبتهِ وقال قد جمعتِ في هذا الكتاب اسمآء وصفات جميع اصحاب الشبهات في انكلترا وسميتهُ كتاب الشخصيات فخذ واقرأ ما كتبتهُ عن هذا الخبيث . فاخذت الكتاب ونظرت حيث ارشدني فوجدت اسم الكولونيل سبستيان موران وقد كتب

شرلوك امامهُ ما يأتي « هو ثاني شرير يخشى بأسهُ في هذه المملكة . خالٍ من الخدمة الآن وكان من فرقة البنكالور سابقاً . ابن السير اوغسطس موران الذي كان سفير انكلترا في العجم . تعلم في مدارس ايتون واكسفرد . حضر عدة مواقع وابلى فيها البلآء الحسن . مؤلف عدة كتب وعضو في جملة من منتديات الشرفآء » . فقلت يا للعجب ان كل ذلك يدل على صفات حسنة وخلق حميد . فقال شرلوك لا انكر ذلك وقد كان اول سير الكولونيل محموداً ولكنهُ ما عتم ان بلغ درجةً انحط فيها الى اعمال الشر بمهارة غريبة فترك الخدمة في بلاد الهند وجآء انكلترا فاستقبلهُ موريارتي وادخلهُ في عداد رجالهِ وعهد اليهِ في قضآء عدة امور اتمها بذكآء وحسن تدبير يعجز عنهُ امهر اللصوص والقتلة . وقد عرفت انهُ كانت لهُ اليد الطولى في عدة حوادث قتل وسلب عجز عنها رجال الشحنة ولكنني لم استطع اثبات امرهِ لانهُ اخفى بمهارتهِ الغريبة كل ما يدل على اشتراكهِ في تلك الجرائم . وقد علمت من زمن طويل انهُ وموريارتي يقتنيان تلك البندقية الغريبة الصنع ولذلك كنت احترس دائماً من التعرض لمواقع رصاصها . ولما قتل موريارتي على شفير ذلك المنحدر في سويسرا واجتهدت انا في الهرب كان هذا اللعين بنفسهِ يرميني بالصخور ليتبعني باستاذهِ ولكن ابت التقادير الا ان تساعدني على الاقتصاص منهُ . ولما عدت الى فرنسا وعلمت انهُ لا يزال حيًّا لم اجسر على القدوم الى انكلترا لعلمي انهُ لا يتأخر عن قتلي ولم اكن استطيع قتلهُ لئلا أُعدَّ قاتلاً ولا ينفعني ان اشكوهُ الى الحكومة لانها لا تقتصّ منهُ لمجرد وهمي وظني بدون تقديم البينات . فجعلت اراقب الجرائد وانا موقنٌ انهُ لا بد ان تحدثهُ نفسهُ بارتكاب جريمة واذ ذاك تسنح لي الفرصة التي ابتغيها . وما صدقت ان قرأت في الجرائد عن مقتل رونالد ادير وقد تحقق عندي ان قاتلهُ هو نفس موران لانهُ كان يلعب معهُ دائماً في المنتديات ولانهُ رافقهُ ليلة القتل الى بيتهِ . فجئت اذا ذاك الى لندن تحت ستار التخفي ولكنني لم انتبه تمام الانتباه لان جاسوساً من قبل موران علم بقدومي فاخبرهُ بهِ وتحققت اذ ذاك ان موران سيهتم جدًّا بمجيئي بعد ارتكابهِ تلك الجريمة وانهُ

لا يتأخر عن قتلي في اول فرصة . فاخترعت لهُ الشبح الذي وضعتهُ في نافذتي واتقنت صنعهُ وحركتهُ كما رأيت فجازت حيلتي هذه على موران وصدق ظني وجاء كما رأيت الليلة ليقتلني فكان جزآؤهُ ان القي عليهِ القبض وانتهى امرهُ . فهل ادركت سري ايها العزيز وطسن وهل بقي شيء غير واضح من حديثي . قلت لم توضح لي السبب الذي دفع موران الى قتل ذلك المسكين وهو رفيقهُ في اللعب كما ظهر . فقال آه ايها العزيز وطسن ان آفة الانسان ظنهُ والعالم باسره يلهو بالظن عن الحقيقة وقد ظن الجميع مثلك ان موران رفيق رونالد فلا يمكن ان يكون قاتلهُ . اما الحقيقة فهي ان ذلك المسكين لم يكن يعلم شيئاً عن موران الا ما ظهر للجميع من صفاتهِ الخارجية . وكان موران يشاركهُ في اللعب معتمداً على نقودهِ . وكان خائناً في لعبهِ غشاشاً ولم يفطن له احد وقد ربح في ذات ليلةٍ مع القتيل مبلغاً عظيماً كما ظهر في تقرير المحكمة . وحدث في ليلة القتل ان رونالد المسكين لاحظ ما يأتيهِ موران من الغش في اللعب فكلمهُ سرًّا والحّ عليهِ بوجوب ردّ الاموال المأخوذة بتلك الطريقة الى اصحابها وان ينقطع موران عن تلك المنتديات والا كشف امرهُ للجميع . فلم يهن على موران ان يفضح امرهُ فتى مثل رونالد ولم يشأ ان ينقطع عن اللعب فيخسر الاموال التي يعيش من كسبها بالغش والاحتيال فرأى ان اسهل واسطة للتخلص من ذلك ان يسكت رونالد الى الابد فتبعهُ الى جهة البيت . ولما دخل رونالد غرفتهُ اخذ المبلغ وجعل يقسمهُ ليرجعهُ الى اصحابهِ واقفل بابهُ من الداخل لئلا تفاجئهُ والدتهُ وتسألهُ عما يفعل . واغتنم موران اللعين فرصتهُ فارسل الى رأس الفتى تلك الرصاصة القاضية كما كان يود ان يرسلها الى رأسي . اما الآن فقد امنَّا الخطر فان بقية جند الشر قد اصبح في يد العدالة وهيهات ان ينجو منها والبندقية التي كنا نخاف شرها في حرزٍ حريز في دار الشحنة ولم يعد من مانع يمنع ظهور شرلوك هولمز بعد الآن ولا ما يقف دون تداخلهِ كالسابق في غوامض الامور وكشف المخبآت

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون سوّلت لهُ نفسهُ بفعل كذا فيزيدون باآء على مفعول سوّل والصواب سوّلت لهُ فعل كذا

ويقولون رجع بالثاني يريدون مُطلَق الرجوع فيزيدون قولهم بالثاني ولا معنى لهذه الزيادة بل هي مفسدة للمعنى لانها توهم ان الرجوع كان مرّتين . على انهُ مع ارادة هذا المعنى ايضاً فالتركيب غير صحيح لانك لا تقول فعلت كذا بالثالث وفعلتهُ بالرابع وكأن الذي استدرجهم اليهِ قولنا فعلتهُ في الاول الان الاول هنا اسمٌ يراد بهِ ما يقابل الآخر لا الرتبة العددية والصواب رجع ثانياً او ثانيةً اي رجوعاً ثانياً او مرةً ثانية وكذا فيما يليهِ

ويقولون لبث بموضع كذا الى غاية شهر اكتوبر مثلاً يعنون الى ان دخل شهر اكتوبر لكنهم يزيدون لفظ الغاية مضافاً الى الشهر فينقلب المراد عن جهتهِ ويكون المعنى انهُ لبث الى آخر شهر اكتوبر لان غاية الشيء بمعنى آخرهِ ونهايتهِ . والصواب اسقاط لفظ الغاية والاكتفآء بلفظ الى وهي تدلّ على الغاية التي يريدون التعبير عنها الا انها تكون لما قبلها اي لمدة اللبث لا لما بعدها وبذلك يستقيم المعنى

ويقولون من الاسف ان الامر كذا وكذا يريدون من دواعي الاسف مثلاً فيجعلون الامر نفسهُ من الاسف وهو غريب

ويقولون يجب عليهِ مهما يكن من امرهِ ان يفعل كذا فيأتون بالفعل

بعد مهما في مثل هذا التركيب مضارعاً وهو ممنوع في افعال الشرط اذا كان الجواب او ما في معناهُ متقدماً على اداة الشرط لما يلزم عنهُ من إعمال الاداة في الشرط حالة كونها غير عاملة في الجواب . فالصواب في مثل هذا العدول في فعل الشرط الى الماضي لان اثر الجزم لا يظهر فيهِ لفظاً فتقول اكرم زيداً متى زارك ولا تقول اكرمهُ متى يَزُرْك

ويقولون هذا افضل من ذاك نوعاً وتحسَّن الامر نوعاً يريدون افضل قليلاً وتحسَّن شيئاً او من بعض الوجوه مثلاً فيعبّرون بلفظ النوع ولا معنى لهُ في هذا الموضع

ويقولون هذه السلعة تعلَّق فلان اي ملكهُ وهو استعمالٌ عاميٌّ ولعلهُ من لغة الدواوين

ويقولون سيصير الشروع في الامر وصار بيع السلعة بالمزاد اي سيُشرَع في الامر وبيعت السلعة فيعدلون الى هذا التركيب الركيك وهو من لغة الدواوين ايضاً

ويقولون هذه الخصلة من احسن الخصائل وانما الخصائل جمع خصيلة وهي كل عصبة فيها لحمٌ غليظ . والصواب في جمع الخصلة خِصال بالكسر وهو القياس

ويقولون فلان من ذوي الشطارة والمهارة يريدون بالشطارة معنى المهارة كما تقولهُ العامة وانما الشطارة في اللغة صفة الشاطر وهو الذي اعيا اهلهُ خبثاً

ويقولون ارضٌ قحلاء اي مجدبة ولم يُحكَ الوصف من هذه المادة

على أَفعَل وانما يقال شيء قاحل اي يابس

ويقولون هل ستفعل كذا يريدون النصّ على الاستقبال في الفعل فيأتون بالسين بعد هل وهو خطأ لان هل اذا دخلت على المضارع خصّصتهُ للاستقبال مثل السين وحينئذٍ يجتمع حرفان لمعنى واحد فالصواب حذف السين

ويقولون فعل هذا بغير رضآءٍ في فيمدّون الرِضَى وهو مقصورٌ في الاشهر واما الرضآء بالمدّ فهو بمعنى المراضاة مصدر راضاهُ مثل القتال من قاتَل

ويقولون تحرَّى عن الامر اي بحث ونقّب ولذلك يُعَدّونهُ بعن وانما تحرَّى بمعنى طلب الأَحرَى تقول تحرَّيت الشيء اي تعمدتهُ وخصصتهُ بالطلب وانا اتحرَّى بهذا الامر مرضاتك اي اقصدها واتوخاها

ويقولون اعتنق دين كذا اي صبأ اليهِ ودان بهِ وهو من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية واللفظ العربيّ في هذا المعنى انتحل دين كذا اي اتخذهُ ديناً لهُ وهو نِحلتهُ بالكسر

ويقولون في جمع القهوة قهاوي وهذا مثل قولهم في جمع الكسوة كساوي وقد تقدّم ذكرهُ في غير هذا الموضع وكلاهما متابعةٌ للعامّة والصواب قهوات

ويقولون ولَّى فلانٌ الادبار ويقرأونهُ الإِدبار بكسر الهمزة على انهُ مصدر ادبر وهو من التراكيب التي لا تصحّ لان المصدر الموكّد لا يعرَّف بأل . وانما اصل هذا التعبير ان يقال ولَّى القومُ الأَدبار وولّوا أَدبارهم بفتح الهمزة اي جعلوا ظهورهم تلي عدوَّهم كنايةً عن انهزامهم لان المنهزم يطلب

الجهة المخالفة لموقف عدوّهِ فيوليّهِ قفاهُ

ويقولون سعى في ايجاد مطلوبهِ اي في ان يجدهُ فيستعملون المصدر من أوجَد الرباعيّ مع انهم يقولون في الفعل وَجَد مطلوبهُ بصيغة الثلاثي وشتان ما بين الصيغتين في المعنى وقد مرّ مثل هذا قريباً . والصواب سعى في وِجدان مطلوبهِ

ومثلهُ قولهم انا قليل الإعباء بهذا الامر اي قليل المبالاة بهِ مع انهم يقولون في الفعل هذا امرٌ لا اعبأ بهِ بصيغة المجرَّد . على ان مصدر هذا الفعل وهو العبْء مهجورٌ في الاستعمال فالاولى العدول عنهُ الى المبالاة او الاكتراث او الاحتفال او غير ذلك والالفاظ بهذا المعنى كثيرة

(ستأتي البقية)

غرائب البصر (١)

ذكرنا فيما تقدم ان حسّ البصر متوقف على العُصيّات والجُزَيرات لكن ظهر بعد الاغراق في البحث ان لكلٍّ من هاتين الطائفتين وظيفةً في ادراك المُبصَرات ليست للأُخرَى فان العُصَيّات تشعر بقوّة النور مجرَّدةً فترتسم عليها اشكال الاشباح بحدودها وما عليها من مواقع الضوء والظلّ لكنها لا تُدرِك الوانها ولكن ادراك الالوان من خصائص الجُزَيرات المنبثّة بينها . وعلى هذا بنى بعضهم ان شبكية الحيوانات الليلية كالخفّاش والبومة لا جُزَيرات فيها

(١) انظر صفحة ٢٣٨

وهذا عينهُ يُرَى في بعض الناس ممن يميّزون اشباح المُبصَرات ولا يفرقون بين بعض الوانها وهي الآفة المعروفة بالدَلتونِسْم او الدلتونية نسبةً الى عالمٍ انكليزي من علمآء الطبيعة يسمى دَلتُون كان مبتلًى بالآفة نفسها . واصحاب هذه الآفة قد تكون فيهم كلّية بمعنى انهم لا يميزون شيئاً من الالوان على الاطلاق وهو قليل وقد تكون جزئية بحيث يدركون بعض الالوان دون بعض وهو الغالب . واشدّ الالوان خفآءً عليهم البنفسجي فانهم لا يفرقون بينهُ وبين الاحمر فيكون اللونان عندهم شيئاً واحداً . وقد اثبت الاختبار ان نحو ثلث الدلتونيين لا يميزون الازرق من الاخضر ومنهم من يخلط بين الاحمر والاخضر فيراهما لوناً واحداً ومثل هؤلآء لا يميزون الكَرَز الناضج مثلاً من الفِجّ كما لا يميزون لون ورق الورد من لون زهرهِ اذ كلاهما عندهم احمر اوكلاهما اخضر . ولا يخفى ان من كان كذلك لا يجوز استخدامهُ في بعض الوظائف كتولي الاشارات في سكك الحديد والسفن لما يترتب على الاخلال في ذلك من الخطر العظيم . ولما كان اصحاب هذه الآفة يكتمونها في الغالب لم يكن بدٌّ لمن يطلب الدخول في مثل الوظائف المذكورة ان يُمتحَن قبل اتخاذهِ لها ليُوثَق ببرآءتهِ من الآفة المذكورة . اما طريقة الامتحان فهي هذه على ما رسمهُ المسيو سَنْدُرْف

تُبسَط قِطَعٌ من نسيج الصوف مختلفة الالوان على ملآءةٍ بيضآء في يومٍ صافٍ ثم تُختار منها قطعةٌ خضرآء صافيةٌ جدًّا بحيث لا تضرب الى الصُفرة ولا الى الزُرقة فتوضع الى جانب ثم يكلَّف الممتحَن ان يضع بجانبها جميع القطع التي من لونها بدون ان يسمَّى لهُ اللون الذي اختير

لامتحانهِ . فاذا خلط بين الالوان بان يضع بجانب الاخضر الرمادي او نحوهُ من الالوان الصافية عُلِم انهُ مكفوف البصر عن الالوان وان وُجِد متردداً في بعض الالوان فلا يتخيرها الا بعد توقُّف وحيرة عُلم ان قوة ادراك الالوان في بصره لا تخلو من آفة

على ان الخلط في ادراك الالوان قد يكون لغير آفةٍ في عضو البصر وذلك ان الشبكية ينطبع فيها لون المبصرات كما تنطبع فيها اشكالها . ومعلومٌ ان الالوان قد تكون بسيطةً كألوان الطيف وقد تكون مركبةً فان الاخضر مثلاً يمكن ان يركَّب من الاصفر والازرق . وكذلك البنفسجي فانهُ يركَّب من الاحمر والازرق والنارنجي فانهُ يركب من الاحمر والاصفر . وعليهِ فاذا عمدنا الى دائرةٍ وقسَّمناها اقساماً وجعلنا لكل قسم منها لوناً ثم ادرناها بسرعةٍ فان هذه الالوان تنطبع كلها على الشبكية في وقتٍ واحد على التقريب ويختلط بعضها ببعض فيكون المُدرَك منها في البصر اللون الناشئ عن مجموعها . فاذا كان بعض هذه الاقسام اصفر وبعضها ازرق ظهرت لنا في حال الدوران خضراء واذا كان بعضها احمر وبعضها ازرق ظهرت بنفسجية وهكذا . واذا جعلنا لكلٍّ من الاقسام المذكورة لوناً من الوان الطيف السبعة تراكبت تلك الالوان على الشبكية فلا يتميز شيء منها بنفسهِ ولكن يُرى مجموعها الذي هو النور الابيض

وهناك امرٌ آخر وهو ان الشبكية كما تتعب اذا طال تأثرها بالنور الابيض فانها تتعب اذا طال تأثُّرها باحد الالوان على خصوصهِ واذ ذاك لا تعود تشعر بذلك اللون ولكن شعورها ينقلب الى متمّمهِ وهو اللون الذي

اذا اجتمع معهُ نشأ عن اجتماعها اللون الابيض. وذلك كما اذا اطلت نظرك الى الشمس عند الغروب وهي حمرآء ثم نظرت الى جهةٍ اخرى من السمآء فانك ترى صورة الشمس على نحو ما ارتسمت في الشبكية الا انها خضرآء وكذا اذا كتبت حيناً بالحبر الاحمر ثم كتبت بعدهُ بالاسود فانك تراهُ اخضر. بل قد يحدث مثل ذلك بدون سبق تأثُّر للبصر باحد الالوان وذلك كما اذا نظرت في الوقت الواحد الى رقعتين احداهما بجانب الاخرى وهما متخالفتان في اللون فان كل واحدة منهما تظهر كانها تستمد شيئاً من متمّ لون الاخرى فاذا كانت احداهما حمرآء والاخرى صفرآء فالحمرآء تضرب الى اللون الازرق الذي هو متمّ لون الاصفر والصفرآء تضرب الى اللون الاخضر. اه

قلنا بل هناك امرٌ اغرب واظهر وهو انك اذا اخذت صحيفة خضرآء وكتبت عليها بالسواد ثم غطيتها بورقةٍ رقيقةٍ تامة البياض بحيث تشفّ عما تحتها رأيت لون الكتابة احمر واذا كان لون الصحيفة احمر ظهرت الكتابة خضرآء او كان لونها اصفر ظهرت الكتابة زرقآء وهلم جرًّا وكلما كان لون الصحيفة اشرق ظهر لون متمّهِ اوضح وهذا ما لم نجد من تنبه لهُ والله اعلم

دخل زياد بن ابيهِ على عمر بن الخطاب فاجلسهُ احسن مجلس وبينما هو جالس عندهُ دعا بكاتبهِ فاسرّ اليهِ بما يكتبهُ فشرع يكتب فقال زياد انهُ كتب غير ما أُمر بهِ . فقال عمر وانى لك هذا . فقال اني رأيت حركة قلمهِ لا توافق حركة شفتيك . فاخذ عمر الكتاب ونظر فيهِ فاذا هو على غير ما أملى كما قال زياد

هلالٌ ام هلالان

— ١ —

نشر الاب شيخو اليسوعي في العدد الرابع والعشرين من مجلد السنة الثانية لمشرقهِ الأغرّ مقالةً للقيم بن هلال الصابئ في « الضوء وحقيقتهِ » نقلها عن كتب أرسطوطاليس حنين بن اسحاق العِبَاديّ الشهير[1] وقد استهلّها حضرة الاب بتوطئةٍ جاء في ختامها ما نصّهُ (المشرق ٢ : ١١٠٨) :

ولعلّ قائلاً يقول ما معنى عنوان هذه الرسالة انها « للقيّم بن هلال

(١) توفّي حنين المذكور سنة ٢٦٠ ﻫ (٨٧٤ م) وكان طبيباً ماهراً وفصيحاً لسناً شاعراً . وهو اشهر من نقل كتب اليونان الى العربية . كان يعرف من اللغات العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقلهُ في غايةٍ من الجودة . (راجع ترجمتهُ وقائمة كتبهِ في تاريخ ابن خلكان (١ : ١٦٧) وتاريخ ابن ابي اصيبعة (١ : ١٨٤) وتاريخ ابن العبري ص٢٥٠ وتاريخ سورية للعلاّمة المفضال المطران يوسف الدبس (٥ : ٣٣٤) — وقد ذكر ابن خلكان (١ : ٦٧) في ترجمة ولدهِ اسحاق بن حنين اصل تسميتهِ بالعِبَاديّ فقال ما نصهُ :

« والعباديّ بكسر العين المهملة وفتح البآء الموحدة و بعد الالف دالٌ مهملة هذه النسبة الى عباد الحيرة وهم عدّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب اليهم خلق كثير منهم عدي بن زيد العبادي الشاعر المشهور وغيرهُ . قال الثعلبي في تفسيرهِ في سورة المؤمنين في قولهِ تعالى : « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون » اي مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان لملكٍ عابداً لهُ . ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا اهل طاعة لملوك العجم » انتهى . وقال الشاعر

يسقيكها من بني العباد رشاً   منتسبٌ عبدهُ الى الاحدِ

الصابئ » . (نقول) ان المراد بذلك ان جامع هذه الرسالة وهو حنين صنّفها باللغة السريانية ثم نقلها بعدهُ الى العربيّة القيم بن هلال . ونظن ان ابن ابي أُصيبعة وابن النديم لم يذكرا هذه الرسالة لان صاحبها وضعها باللسان السرياني . ومن المحتمل ان القيّم المذكور نقّحها وهذّبها فقط . والله اعلم

واما القيّم بن هلال الصابئ المذكور فاننا لم نجد لاسمهِ ذكراً على هذه الصورة . والمرجّح انهُ هلال ابن ابي هلال الحمصي الذي ذكرهُ ابو الفرج بن النديم في الفهرست (ص ٢٤٤ و٢٦٧) وانهُ ابن اخت الكاتب الشهير ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ (راجع تاريخ ابن العبري ص ٢٩٥)[1] . وقد اشتهر كلاهما في القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر للمسيح » انتهى

فمن أجال في هذا الكلام طرف التدقيق وسبرهُ بمسبار النقد والتحقيق وراجع النصوص التي استند اليها الاب شيخو في كلامهِ عن هلال الحمصي وقابل بين ما كتبهُ عنهُ هنا وما كتبهُ عنهُ في غير هذا الموضع من مشرقهِ الاغرّ يرى في تلك الاقوال من التناقض والاختلاف ما يدل على ان حضرة الاب مرتكب متن الخطإِ والخلط . وجارٍ على سنن المجازفة والخبط . واليك بيان ذلك :

جآء في تاريخ ابن العبري المذكور (طبعة الاب صالحاني ص ٢٩٦) ما يأتي :

---

(١) كذا والصواب صفحة ٢٩٦

« وكان في ايام المطيع لله وفي امارة الاقطع معزّ الدولة احمد ابن بويه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وكان بارعاً في الطب عالماً باصوله فكّاكاً للمشكلات من الكتب ... وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب (والصواب ما كتب كاتبٌ) في التاريخ اكثر مما كتبهُ وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين الى حين وفاته في (احد) شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وعليهِ ذيل ابن اختهِ (والصواب لابن اختهِ) هلال ولولاهما لجُهِل شيء كثير من التاريخ في المدتين » انتهى

فالمفهوم مما ذكرهُ ابن العبري ان لثابت بن سنان الصابئ ابن اخت اسمهُ « هلال » . واما هل هو هلال الحمصي كما زعم الاب شيخو او هلال غيرهُ فلا يتكلم عن ذلك شيئاً

وجاء في مجلة المشرق للاب شيخو نفسهِ (٣ : ٩١١) ما يأتي :

« (هلال بن ابي هلال الحمصي) اما هلال بن ابي هلال فهو احد الاطباء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربيّة . قال في حقهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٤) : « كان صحيح النقل ولم يكن عندهُ فصاحة ولا بلاغة في اللفظ » . اشتهر في ايام المأمون وخدم بين يدي محمد بن موسى الفلكي الشهير . ومن نقلهِ كتاب المخروطات لابلنيوس من برغا » . انتهى

فلا يكاد القارئ اللبيب يُنهي قراءة هذه الشذرة حتى يشعر معنا بشطط حضرة الاب عن مهيع الصواب . ويرى من تخليطهِ في اقوالهِ المتضاربة ما يقضي بالعجب العجاب . فانهُ قال في مقدمة مقالة الضوء (المشرق ٢ : ١١٠٨) « ان هلالاً الحمصيّ اشتهر في القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر

للمسيح . » . وقال هنا المشرق ٣ : ١ : ٩) : « انهُ اشتهر في ايام المأمون »
وهو قد ولي الخلافة من سنة ١٩٨ الى سنة ٢١٨ هـ (٨١٣ — ٨٣٣ م)[١]
اي في اوائل القرن الثالث للهجرة الموافق للقرن التاسع للمسيح . والفرق بين
القولين كما ترى قرن واحد من الزمان (فقط . . .)

كذلك زعم « ان هلالاً الحمصيّ ابن اخت ثابت بن سنان » . وقد
رأيت مما او ردناهُ من نص ابن العبري — الذي استند حضرتهُ اليهِ — ان
ثابتاً المذكور « كان في عهد المطيع العباسي » وهو قد ولي الخلافة من سنة
٣٣٤ الى سنة ٣٦٣ هـ (٩٤٦ — ٩٧٤ م)[٢] اي في اواسط القرن الرابع
للهجرة والعاشر للمسيح . واما هلال فقد قال حضرتهُ انهُ « كان في عهد
المأمون » اي قبل الزمان الذي عاش ثابت فيهِ بقرنٍ ونيف . . . فكيف
يمكن اذن ان يكون ابن اختهِ وهو اكبر من خالهِ بمئة سنة و زيادة ؟ . . .
أوَلا يجب لاصلاح هذه « الهدرة الشيخوتية » ان يُنسئ الله في عمر الجد
ويجعلهُ قرنين من الزمان ؟ . . . بل ألاَ يُستنتج من كل ذلك ان هلالاً ابن
اخت ثابت بن سنان هو غير هلالٍ الحمصيّ . وان حضرة الآب قد خلط
بينهما و زعم انهما شخص واحد جرياً على عادتهِ في التخليط بين المتشابهات .
(راجع مقالاتنا الماضية في هذه المجلّة ٥ : ٢٧٢ و٦٢٣ و٦ : ١٨٠)

— ٢ —

ولعلّ قائلاً يقول : فمن هو اذن هلال ابن اخت ثابت الذي خلط

---

(١) راجع مجاني الادب للاب شيخو (٥ : ٣٠٩)
(٢) مجاني الادب ٥ : ٣١٥

حضرة الاب بينهُ وبين هلال الحمصي . فنجيبهُ : جاء في كتاب عيون الانبآء في طبقات الاطبآء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٢٦) ما نصهُ : « وكان ثابت بن سنان خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ الكاتب البليغ ». وقد اورد ابن خلكان في تاريخهِ (٢ : ٢٠٢) ترجمة مختصرة لهلال هذا نذكر هنا خلاصتها مع ما اتصل بنا من اخبارهِ المتفرقة في كتب التاريخ :

هو ابو الحسن — وقيل ابو الحسين[١] — هلال بن المحسن بن ابي اسحاق ابرهيم بن هلال بن ابرهيم بن زهرون بن حيّون الصابئ الحرّاني الكاتب حفيد ابي اسحاق الصابئ المشهور رئيس ديوان الرسائل ببغداد الذي كان اوحد الزمان في البلاغة وفريد الدهر في الكتابة . وُلد هلال سنة ٣٥٩ هـ (٩٧١م) ولما نشأ وشبّ تثقّف وتدرَّب وتخرَّج على جدهِ المذكور وورثهُ في رئاسة ديوان الرسائل وجلائل الامور . وكان من كبار العلمآء وافاضل الادبآء ولهُ عدة تآليف ذُكرت في الاسفار التاريخية ولكن يد الحدثان قد ذهبت باكثرها واشهر تآليفهِ ذيلهُ على تاريخ خالهِ ثابت بن سنان وهو الكتاب الذي اشار اليهِ ابن العبري في الكلام الذي نقلناهُ عنهُ سابقاً وقد ضمّنهُ تاريخ الحوادث الى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) . وقد ذكرهُ ونقل عنهُ ابن خلكان في تاريخهِ (٢ : ٣٥١) . وقد اعتنى بهذا التاريخ جماعة من اكابر العلمآء وذيّلوهُ . وأوّلهم محمد بن هلال المذكور المدعو « غرس النعمة »[١] . ومنهم ابو يعلى حمزة بن اسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي[٢] . ومنهم ابن الهمذاني وابو الحسن الزاغوني والعفيف

(١) ابن خلكان ٢ : ٢٠٢　　(٢) ابن خلكان ٢ : ٣٧٨

صدقة بن الحداد وابو الفرج بن الجوزي وابن القادسيّ الذي اوصلهُ الى سنة ٦١٦ ه (١٢١٩ م)[١]

وكان هلال في اول امرهِ صابئاً على دين اجدادهِ ولكنهُ أسلم في آخر عمرهِ وتوفي سنة ٤٤٨ ه (١٠٦٠ م)

— ٣ —

بقي علينا ان ننظر في هل نسبة مقالة الضوء وحقيقتهِ الى هلال الحمصي صحيحة ام لا . والذي نراهُ ان حضرة الاب مرتكب في نسبتها اليهِ غلطاً مبيناً . وذلك لعدة اسباب اهمُّها :

(١) ان صاحبها هو القيّم « بن هلال » وليس هلالاً

(٢) انها منسوبة الى رجل صابئ وهلال الحمصيّ لم يكن صابئاً

(٣) قد ذكر حضرة الاب ان حنيناً صنفها بالسريانية وان ابن هلال ترجمها بالعربية . مع ان هلالاً الحمصيّ — الذي يعزوها اليهِ — لم يُروَ عنهُ انهُ كان يحسن الترجمة عن السريانية بدليل قول الاب نفسهِ (المشرق ٣ : ٩١١) : « انهُ احد الاطباء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربية » ولم يقل « كتب السريان » راجع ايضاً تاريخ ابن ابي أصيبعة (١ : ٢٠٣ و ٢٠٤)

ولعلّ حضرة الاب يغيّر رأيهُ هذا ويعزو المقالة الى هلال الصابئ . فنجيبهُ انهُ لم يُصب ولا بهذه النسبة ايضاً للسبب الاول الذي قدمناهُ وهو انها منسوبة الى « ابن هلال » وليس الى « هلال » .

اما اذا سئلنا عن رأينا في هذه المسئلة فنقول ان الاحرى عندنا نسبة

(١) راجع كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ٢ : ١٢٣

المقالة الى ولده غرس النعمة محمد بن هلال الذي ذكرناهُ آنفاً . وهاك ما قالهُ في حقهِ ابن خلكان في ترجمة ابيهِ هلال :

« وكان ولدهُ غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سمّاهُ « الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البادرة من المغفلين الملحوظين » جمّع فيهِ كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب »

وقد علمت مما مرّ ان والدهُ هلالا كان رئيساً لديوان الرسائل فلا يبعد ان يكون ولدهُ المذكور قد خلفهُ في منصبهِ . واما تسميتهُ في صدر مقالة الضوء « بالقيّم » (وهو في اللغة المتولّي على الامر) فلانهُ كان قائماً برئاسة الديوان . هذا هو الرأي الذي نراهُ اقرب الى الصواب . والله اعلم

احد القرّاء بحمص

الشعر العربيُّ

من نظم حضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي الشاعر المشهور

الشعرُ درٌّ والخيال بحورُ ... والفكر فُلكٌ في العُباب يَمُورُ
ما كلُّ غوّاصٍ اقاصي لجّةٍ ... يبدو لديهِ اللؤلؤ المذخورُ
حاز الفرائد كلَّ عصرٍ بضعةٌ ... مع انَّ رهط الغائصين كبيرُ
ما كلُّ من ركبَ الصوافنَ فارسٌ ... يأوي الدِحالَ الليثُ واليعفورُ
لو كلُّ من يسعى لمجدٍ نالهُ ... ما كان بين العالمين خطيرُ
او كلُّ من نظَمَ القريض اجادهُ ... ما قيل ذا فحلٌ وذا شعرورُ

بعضُ القرائح نفحةٌ عُلويّةٌ والبعضُ ريحٌ بالهباءِ تثورُ
من تلك يُبعثُ للصدور نسائمٌ تحيي ومن هذي قذًى وكدورُ
يا مَن يظن الشعرَما وَزَنَ الفتى نظماً لانتَ الجاهل المغرورُ
كم من نظامٍ لم يكن شعراً وكم شعرٍ يقال ولفظهُ منثورُ
فالشعرُ ما أبتكر الذكاءُ مولداً معنًى لهُ يرتاح منكَ شعورُ
فاذا أتى نظماً فتلك صناعةٌ أخرى جلاها الطبع والتحريرُ

***

لهجت بهِ الاعرابُ دون تصنّعٍ فيهِ لجآءٍ وحسنهُ مفطورُ
يَلج القلوب بلا حجابٍ قبل ان يلج المسامعَ لفظهُ المأثورُ
شعرٌ كما انتظم الحباب ودونهُ لذوي الحصافه نشوةٌ وحبورُ
هو في الوغى فخرٌ وفي حال الهوى سحرٌ وفي وقت الصفا شحرورُ
جلست بهِ الشعرآءُ في دَسْت العلى يعنو لهم ملكٌ سما ووزيرُ
ويهابهم في الحَرب كل سميذعٍ ويثيبهم زمنَ السلام اميرُ
فهمُ الملوكُ على الملوكِ رضاهمُ غنمٌ وسُخْطُهُمُ اسًى وثبورُ

***

ولقد غدا من بعد ذلك حرفةً لهمُ بها يسترزق المعسورُ
يتكلفون بهِ ثناءً كاذباً مع ان حبل الكاذبين قصيرُ
اضحى سجلاًّ للمديح وللرثا ولسرد وصفٍ جُلُّهُ تزويرُ
وسطا على المعنى الجناسُ فلم يزل ينقاد بين يديهِ وهو نَفُورُ
سلكوا بهِ عكس المراد جهالةً فجرى بضيعة مجدهِ المقدورُ

هدموا بسوء صنيعهم اركانهُ　　فبدا خراباً بيتهُ المعمورُ

٭٭٭

ولقد اتاح لهُ الزمان اليوم مَن　　يحلو لهُ الابدال والتغييرُ
نهضت بهِ بعد السقوط قرائحٌ　　بأشعَّة العلم الصحيح تسيرُ
لم تتخذهُ ذريعةً لمغانم　　يوليكها الممدوح وهو حقيرُ
لبس القريض بها طرازاً معلماً　　ما إن حكاهُ عسجدٌ وحريرُ
قد عاد رونقهُ القديم مجدَّداً　　وانجاب عن ارجآئهِ الديجورُ
وزكت منابتهُ واخصب روضهُ　　وجلا المحاسن رَقُّهُ المنشورُ
فلتنظم الاقلام فيهِ قلائداً　　منها يفيض على المدارك نورُ
فبهِ غدا هومير بعد مماتهِ　　حيًّا تصوغ لهُ الفخار عصورُ

مطالعات

مرض جديد — من غريب ما حدث في لندرا بين عمال السكك الحديدية الكهربآئية تحت الارض مرضٌ لم يكن معروفاً من قبل مسببٌ عن الهوآء المضغوط الذي يُرسَل في الأنفاق ليتنفس منهُ العمال

واعراض هذا المرض تظهر احياناً بما يشبه اعراض التسمم بالاشربة الروحية فيشعر المصاب بآلام ممِضَّة فان ضغط الهوآء البالغ ثلاثة اضعاف من ضغط الهوآء الجوّي او نحو ٣،٣ كيلغرامات على السنتيمتر المربع يشقّ غشآء الاذن وكثيراً ما حدث عنهُ الفالج وربما سبب الموت . وعلى الجملة فان اكثر العمال يشكون الماً في الآذان والاسنان وجميعهم يشكون آلاماً في

في مفاصل الركبتين وتشتدّ تلك الآلام حتى ان اجلد الرجال لا يملكون انفسهم من الصياح . وقد اصيب في اثناء العمل في نفق باكرستريت وسكة حديد واترلو تحت التاميز ٤٧ عاملاً بهذا المرض من ١٢٠ عاملاً في اثناء ستة اشهر . وهذا مع مزيد عناية الطبيب الذي لم يبرح ملازماً للعمال وكان لا يأذن لاحد في دخول النفق اذا لم يكن قلبهُ سليماً من كل آفة او اذا كان من المعاقرين

وكان العمال كلما بُدّلوا يعوَّدون الرجوع الى الهوآء الخارجي شيئاً فشيئاً ومن الغريب في تلك الحال انهُ كان عند اطلاق الهوآء المحبوس وانتشارهِ فوق النهر يجيش ماء النهر كانهُ مرجلٌ عظيم حتى كان يصعب على السفن ان تجري فيهِ

اقدم ساعة ضاربة — اقدم ضوارب الساعات التي لم تزل مستعملة ساعة كنيسة بيتربوروف الكبرى صنعت سنة ١٣٢٠ وصانعها احد الرهبان وهي تمتاز عن سائر الساعات بأنها تدور بدولاب من الخشب محيطهُ اثنتا عشرة قدماً فيلتف عليهِ حبلٌ طولهُ نحو ثلاث مئة قدم منوط بهِ ثقل من الرصاص وزنهُ نحو ٣٥ اقة ويُلَفّ ذلك الحبل على الدولاب بادارتهِ كل يوم ولها جرس عالي الرنين ثقلهُ نحو ٦٠٠ اقة يضرب كل ساعة بمضربٍ ثقلهُ ٢٨ اقة ومجال حركة الرقاص بضع اذرع　　(النشرة الاسبوعية)

نظر سليمان بن وَهْب وزير المهتدي يوماً في المرآة فرأى شيباً كثيراً فقال عيبٌ لا عدمناهُ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لما قرّظتم خطاب « المرأة في الشعر » للدكتور نقولا فيّاض البيروتي في ضيآئكم الأغرّ تاقت النفس الى تلاوتهِ فطالعتهُ واذا في الصحيفة الحادية والعشرين منهُ الفقرة الآتية

« واني اذكر في هذا العرض نكتة عن اليازجي كبير شعرآئنا رواها لي ابي وكان كثير التردد عليهِ . قال كان الشيخ اذا ضاقت قريحتهُ ينادي يا أُمّ حبيبٍ فتأتي زوجتهُ وتقف امامهُ حيناً ثم يبتسم لها ويصرفها فيعود الى نظمهِ الشائق وقد فُتح عليه »

فهل ما رواهُ ابو الخطيب صحيح وان لم يكن صحيحاً كما أُرجح فكيف وقع نظركم على رواية مثل هذه ولم تفنّدوها تفنيداً مع انكم اخذتم على الخطيب في عرض التقريظ جملة امور رأيتموها تستحقّ المؤاخذة . فارجوكم تعليق سؤالي مع جوابهِ في الضيآء الأغرّ جلآءً للريب ثم استلفتكم الى الجملة الواردة بعد تلك الفقرة من ذلك الخطاب وبيان رأيكم فيها فانهُ حجّة لدينا في مثل هذا المقام كما هو في غيرهِ من سائر فنون الادب وكفى

سليم عنحوري

الجواب — اما ما رواهُ ابو الخطيب وبعبارةٍ اخرى ما نسبهُ الخطيب الى ابيهِ من تلك الرواية السمجة فهو من التقوُّلات التي لا يُعقَل صدقها . واول دليلٍ على اختلاقهِ استظهارهُ على صحة هذه الحكاية بان اباهُ « كان كثير التردد عليهِ » اي على والد صاحب هذه المجلة يعني ان ما ذكرهُ كان

مما جرى بحضرتهِ وشهدهُ بنفسهِ . ولا يلزمنا لتكذيب هذه المقالة الا ان نعرّفهُ ان الشاعر ليس بنجّارٍ يضرب بقَدُومهِ او خيّاطٍ يغرز ابرتهُ حتى يعمل عملهُ بحضرة زوّارهِ وهم بين يديهِ يحادثونهُ ويحادثهم بل كثيرٌ من ارباب الصنائع الدقيقة يتوقفون عن العمل في مثل تلك الحال مخافة ان يفسد عليهم عملهم فما الظن بشاعرٍ يصرف ذهنهُ الى خلق المعاني ويغوص بخواطرهِ على بعيد التصورات ويهتمّ بتخيُّر الالفاظ والتراكيب وينظر لكل بيتٍ القافية التي تنزل منهُ منزلها وهل يكون ذلك الا وهو خالٍ بنفسهِ لا يشاغل حسّهُ مشاغل ولا يحول بينهُ وبين خواطرهِ حائل

على ان دعواهُ ان اباهُ كان كثير التردد عليهِ لا صحة لها لضعف الجامعة بين الفريقين اذ لم يكن ابوهُ من اهل العلم ولا من اهل الشعر انما كان من بعض معارفهِ الذين يزورونهُ في الاعياد والدواعي الكبيرة . وفضلاً عن ذلك فان المعرفة بينهما لم تكن الا في اواخر حياة المرحوم اي حين كان ابن ستين سنة وكانت « ام حبيب » فوق الخمسين وانظر اي صبوةٍ كانت تنشأ في فؤاد مثل هذا الشابّ الغيساني عند نظرهِ الى تلك الكاعب الهيفآء ... واغرب من هذا ما صوّرهُ بعد ذلك من تمام هذه الرواية حيث ذكر انهُ كان بعد ان تقف امامهُ يبتسم لها ثم يصرفها فهل رأيت ابلد من هذا التمثيل واقلّ معنى منهُ وهل هذا كلهُ الا اختلاقٌ ظاهر يدل على ذهنٍ فاترٍ وتصورٍ قاصر

هذا اذا كان الخطيب يقصد مما ذكرهُ الجدّ وان اباهُ حقيقةً روى لهُ تلك الرواية وهو مما نشكّ في صحتهِ لما عرفنا في ابيهِ من الرصانة والكمال

وصدق اللسان والترفع عن مثل هذا السُخف المَعيب الذي اراد ولدهُ ان يلصقهُ بهِ فاعتدى بذلك على حرمة شيخين جليلَين نائمين في اكفانهما احدهما والدهُ والآخر لا يقلّ فضلهُ عليهِ عن فضل والدهِ الا وهو الذي في كتبهِ تعلَّم وعلى كلامهِ تخرَّج ومن الفاظهِ اقتبس فلم يزد على ان جعل كليهما مورداً لما اخترعهُ من تلك المُلحة الصبيانية

واما اننا لم نفنّد هذه الرواية عند تقريظنا للخطاب فلأننا لم نتتبَّع كل سطرٍ فيهِ لما نحن فيهِ من ضيق الوقت وتزاحم الاشغال فضلاً عن انهُ ليس بكتابٍ علمي يتعين علينا ان نستقري كل ما فيهِ ولكننا تصفحناهُ تصفحاً مجملاً وتكلمنا عليهِ كذلك فكانت هذه الرواية مما زلّ عنهُ البصر وكانها شعرت من نفسها بما لم يشعر بهِ قائلها فاستترت عنا بين اضعاف السطور...

واما ما ورد لهُ بعد ذلك من الكلام على الشعر والشعرآء فما لو شئنا التفرغ لمثلهِ للزمنا ان نقصر القلم عليهِ وان نملأ صفحات الضيآء بانتقاد مثل تلك السخافات ولاسيما مع ما هو معلوم من فوضى الاقلام في هذه الايام والله المسؤول ان يعرّفنا من اقدارنا ما يكفينا معرّة الافتضاح وان يلهمنا من الادب ما يكبح السنتنا عن الجماح ولا حول ولا قوة الا بالله

آثار ادبيّة

آية العصر — هو عنوان نبذةٍ من ديوان السريّ الالمعيّ الشاعر المطبوع صاحب السعادة سليم بك العنحوري جمع فيها المنظومات التي جادت بها قريحتهُ سنة ١٩٠٤ وهي النبذة الخامسة من شعرهِ . وقد تفنن فيها ما

شآء بين وصفٍ رائق　وادبٍ فائق　وغزَلٍ شائق　الى اغراضٍ اخر مما انطوى على كل معنًى دقيقَ　في اللفظ الرشيق　فلا زال مصدراً للمحاسن يجلو علينا كل خريدةٍ من بنات افكارهِ　ولا زلنا نتمتع بما يُطرِفنا بهِ الحين بعد الحين من بدائع اشعارهِ

دليل مصر والسودان — عُني حضرة الاديبين الامثلين « ثابت وانطاكي » بوضع دليلٍ مفصَّل لهذين القطرين التزما فيهِ ذكر كل ما تهمّ معرفتهُ من احوالهما وبيان ما فيهما من طبقات السكان على اصنافهم فسردا اسمآء موظفي الحكومة ومعتمدي الدول والرؤسآء الروحيين واعيان البلاد والمحامين والاطبآء والتجار واصحاب الصنائع وغيرهم من كل من لهُ علاقةٌ بالمجتمَع مع تعيين مقرّ كل واحدٍ منهم . وافتتحا الكتاب بملخص تاريخ مصر في عصرٍ بعد عصر من اول عهدها الى الزمن الحاضر والحقاهُ بتراجم عدةٍ كبيرة من اعيان القطر المصري ومشاهيرهِ مع رسومهم فجآء كتاباً وافياً بهذه المطالب كلها حرياً بان يعتمدهُ اصحاب المصالح في كل ما يرومون الوقوف عليهِ من المعلومات المشار اليها . وقد عينا ثمن النسخة منهُ اربعين غرشاً اميرياً وهو ثمنٌ قليل بالقياس الى ما يقتضيهِ مثل هذا العمل الكبير من العناية والبحث . فنأمل من جمهور المطالعين الاقبال عليهِ بما يُنهِض من همة مؤلفيهِ الفاضلين ليزيداهُ تحسيناً في السنين المقبلة ويبلغا بهِ الى غاية ما في الامنية من هذا التأليف المفيد

فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ٢ —

بناء نورووود

قال الدكتور وطسن ولقد سرّني جدًّا عودة صديقي العزيز شرلوك هولمز الى عالم الاحياء فانقطعت اليهِ وعدت الى سابق عادتي معهُ عن ملاحظة الامور الخفية والسعي في كشف المعميات حسبما اتفقنا عليهِ اخيراً . ولكن عاندتنا الظروف فلبثنا مدة طويلة لم يحدث فيها ما يدعو الى انتباهنا وسعينا حتى ضجر صديقي وقال لي يوماً ارى يا عزيزي وطسن انهُ بعد ان مات موريارتي لم يعد يحدث في لندن ما يستحق ان نهتمّ بالبحث عنهُ . قلت بل الحوادث لا تنقطع ولكنك ايها العزيز قد غدوت لا تهتم الا بعويص المسائل وهذه لا ينتظر حدوثها في كل يوم . ثم غير شرلوك حديثهُ فقال وما فعلت ايها العزيز وطسن بمحل عيادتك . قلت بعتهُ لطبيبٍ يدعى ڤرنر وقد دفع لي ثمنهُ مبلغاً جسيماً لم اكن اظن قط انني سأحصل عليهِ . فتبسم شرلوك وعلمت بعد ذلك ان الطبيب المذكور كان من انسباء صديقي وانهُ هو اقرضهُ المبلغ ليشتري مني محل عيادتي كيما اتفرغ لمرافقتهِ والعمل معهُ بعد ما حصل في ما كتبتهُ سابقاً عن البيت المهجور

وحدث بعد ذلك انهُ بينا كنا في احد الايام معاً وقد فرغنا من طعام الغداة وانحاز شرلوك بكرسيهِ الى جانب يطالع جريدة الصباح اذا بقرعٍ عنيف على باب البيت الخارجي ولم يكد الباب ينفتح حتى سمعنا وقع اقدام مسرعة جدًّا تصعد السلم

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الى الغرفة التي نحن فيها . وفي اقل من دقيقة فُتح باب الغرفة واندفع منهُ الى الداخل فتًى في مقتبل الشباب اصفر اللون قد بانت في عينيهِ وملامحهِ علامات الجنون والاضطراب الشديد وقد انتشر شعرهُ واسرع نَفَسهُ فوقف امامنا واجال نظرهُ في كلٍ منا وكانهُ افاق على نفسهِ وشعر انهُ دخل فجأة بدون استئذان فنظر الى صديقي شرلوك وقال اعذرني يا مولاي ولا تلمني على ما ظهر مني فاني أكاد اجن وان شئت ان تعرف اسمي فانا الشقي التعِس يوحنا هكتور مكفرلين . وكانهُ ظن ان مجرد ذكر اسمهِ يوضح قصتهُ بتمامها فاختلست النظر الى صديقي فوجدتهُ مثلي لم يستفد كثيراً من سماعهِ ذلك الاسم. ولكنهُ تبسم في وجه الزائر وقال لهُ تفضل ايها العزيز مكفرلين وخذ هذا الكرسي فينظر صديقي الدكتور وطسن في حالتك ولعلهُ يصف لك دواءً يخفف عنك فان الحرّ الشديد في هذين اليومين قد اثر على كثيرين مثلك . ولكن لعلك الآن تتمكن من الجلوس واخبارنا بالتفصيل عن الامر الذي جئت فيهِ لانهُ لم يسبق لي ان رأيتك قبل الآن ولسوء الحظ لا اعرف عنك شيئاً . فقال الزائر اني اشقى واتعس انسان الآن في هذه المدينة العظيمة وقد جئت لاستحلفك بمروءتك وشرفك ان لا تتركني قبل ان اطلعك على حديثي بتمامهِ وان لا تسلمني الى رجال الشحنة قبل ان اشرح لك جميع حالتي فانني اكون مسروراً ضمن سجني اذا علمت انك عارف بامري وانك تجتهد في العمل لخلاصي من الجنود الذين يسعون الآن في القآء القبض عليَّ

فقال شرلوك وقد تهلل وجههُ بشراً لشعورهِ بوجود امرٍ يقتضي انتباههُ . يسعون في القآء القبض عليك ؟ حقًّا ان هذا ليسرّ . . . ليسوءني جدًّا فبأي شيء انت متهم . قال الفتى اني متهم بقتل المستر جوناس اولداكر من نوروود . فبانت على وجه شرلوك علامات التأسف ممزوجة بدلائل الاستبشار عند سماعهِ بوجود ما ربما يستلزم مساعدتهُ واستشارتهُ في العمل . فقال انني كنت الآن اخاطب صديقي وطسن في هذا المعنى واتأسف لخلو لندن من الحوادث التي تستدعي تداخلنا . فاشرأب الزائر بعنقهِ ورمق الجريدة التي في يد شرلوك ولما

عرفها قال اذا قرأت الصفحة الثانية من هذه الجريدة يا مولاي تعرف الحامل لي على المجيء اليك الآن . والمقالة عنوانها الخطب السرّي في نورووود وفيها ذكر اختفاء بنّاء شهير وحصر الشبهة في متهمٍ هو انا وان رجال الشحنة تجد في اثري . وكنت قد اغتنمت الفرصة لفحص ملامح الرجل وسائر حليتهِ فرأيتهُ اشقر الشعر ازرق العينين جميل المنظر حليق اللحية غير متجاوز السابعة والعشرين من سنيهِ تلوح عليهِ امارات الاستقامة والشرف وقد بانت من جيبهِ عدة اوراق تدل على انهُ محامٍ . فقال شرلوك وقد ناولني الجريدة خذ يا عزيزي وطسن واقرأ لي المقالة التي يذكرها ضيفنا . فاخذت الجريدة ونظرت حيث ارشدني فقرأت ما يأتي

« حدث في الليل الغابر امرٌ هو من الجنايات الفظيعة وذلك ان رجلاً يدعى جون اولداكر بنّاءً معروفاً في نورووود لهُ من العمر ثنتان وخمسون سنة وهو غير متزوج اعتزل الاشغال بعد ان جمع ثروة عظيمة وانقطع الى قصر فخيم بناهُ لنفسهِ والى جانب قصرهِ مخزن للاخشاب . ففي الليل الماضي شبّت النار في ذلك المخزن واسرعت اليهِ رجال المطافئ ولكنها لم تتمكن من اخماد النيران الا بعد ان التهمت المخزن برمتهِ . وبعد اجراء البحث لمعرفة سبب شبوب النار وُجد ان صاحب القصر غير موجود ولدى دخول رجال الشحنة الى غرفتهِ وجدوا سريرهُ في غاية الترتيب مما يدل على انهُ لم ينم فيهِ وان خزانتهُ الحديدية مفتوحة وجملة من الاوراق المهمة مبعثرة في وسط الغرفة . وظهر لهم ما يدل حصول خصام ومنازعة وبعض بقع دم ولا سيما على عصا بجانب الباب . ولدى استنطاق خادمة المستر اولداكر عُلم ان زائراً جاء في المساء الى البيت وهو فتًى محامٍ يدعى جون مكفرلين . ويؤكد رجال الشحنة ان في الامر جناية فظيعة يسعون في كشف حقيقتها »

وما كدت اتم قراءة ذلك حتى انتزع مكفرلين الجريدة من يدي ثم بحث عن محلٍ آخر فيها وقال اقرأ هذه ايضاً . فقرأت

« علمنا بعد كتابة ما مضى ان الشحنة اتهمت المدعو مكفرلين بقتل المستر اولداكر واصدرت امراً بالقبض عليهِ . وقد اظهر البحث المدقق ان نافذة الغرفة

فتحت وظهر عليها اثر سحب جسم ثقيل فان القاتل بعد ان اجهز على ذلك المسكين جرّهُ من النافذة الى مخزن الخشب ثم احرق المخزن ليخفي اثمهُ لانهُ ظهر في رماد الحريقة بعض العظام المحترقة و بقايا الجثة . وقد وُضع الامر في يدي مفتش الشحنة الشهير المستر لستريد ليكشف معماهُ بحذقهِ المعهود ومهارتهِ العجيبة »

وكان شرلوك يسمع باصغآء تام فلما انتهيت نظر الى الزائر وقال لهُ وكيف اراك هنا يا صاح مع صدور الامر بالقآء القبض عليك . فقال انا يا مولاي قاطن في بلاك هيث مع والديّ . في المسآء الماضي دعتني اشغال مهمة الى مقابلة المستر اولداكر فاتيت الى نوروود وعند رجوعي وجدت اني قد تأخرت عن موعد القطار فذهبت الى نزل في تلك البلدة و بتُّ فيهِ ولم اعلم شيئاً مما حصل الى هذا الصباح حين ركبت القطار عائداً الى محلي فابتعت الجريدة ووقع نظري على ما كتب فيها فكدت اجن وعلمت انني ان بلغت محل شغلي وجدت الشرطة بانتظاري فاتيت توًّا اليك لعلمي انهُ ليس في امكان غيرك ان ينقذني من هذه الورطة . وقد لاحظت رجلاً يتبعني في مسيري اليك و .....

وقطع حديث الرجل قرع الباب ثم ظهر على باب الغرفة المفتش لستريد وورآءهُ اثنان من الشرطة . ولما رآنا لستريد قال بتبسم ايها المستر مكفرلين انني باسم الحكومة القي عليك القبض لقتلك المسكين جون اولداكر في نوروود . فجحظت عينا الفتى واصفرّ وجههُ ثم نظر الينا نظرة اليأس وسقط الى كرسيٍّ بجانبهِ

فقال شرلوك قد بدأ المتهم يقصُّ حديثهُ علينا ايها العزيز لستريد قبل دخولك فهل لك ان تسمح لهُ باتمامهِ فلعلنا نجد ما يكشف القناع عن هذه الجريمة واذا تاخرت نصف ساعة عن اخذه فلا يضرُّك ذلك . فقال لستريد لا امنعك شيئاً ايها العزيز شرلوك ولا سيما لاننا نقرّ جميعاً بفضلك ومساعدتك لنا في امور كثيرة فانا اسمح للسجين ان يتم حديثهُ ولكن يجب ان ابقى معهُ . وامتلك الفتى روعهُ فقال

انني لا اعرف المستر اولداكر الا بالاسم فقط . وقد كان من اصدقآء والديّ قديماً . ففي الامس كنت في مكتبي واذا بهِ داخل فعرّفني بنفسهِ فتعجبت من

مجيئهِ اليَّ ولكن زاد عجبي جدًّا عند ما علمت غايتهُ من المجيء . فانهُ جلس بقربي وطرح امامي عدة اوراق مذكرات لا تزال معي وقال لي هذه ايها المحامي وصيتي فارغب اليك ان تكتبها لي بالطريقة القانونية . فاخذت الاوراق و بدأت بالعمل فكدت افقد عقلي لما وجدت انهُ في تلك الوصية قد ترك كل املاكهِ واموالهِ ومقتنياتهِ لي انا . فنظرت اليهِ مستغرباً فتبسم وقال لا تتعجب من ذلك ايها العزيز فانا غير متزوج وليس لي انسباء وقد عرفت والديك من زمن طويل وسمعت عن مهارتك وحسن سيرتك فعلمت ان ثروتي اذا وصلت اليك تزيدك نفعاً و يسرني انها تكون في يدي من يقدرها حق قدرها . فشكرتهُ كما يليق وعدت الى الكتابة فاتممت الوصية وامضاها وطلب من كاتبي ان يشهد عليها ففعل وها هي المذكرات الاصلية التي نقلت عنها . ولما انتهينا طلب مني ان اجيء اليهِ في المسآء الى نورووود ليسلمني بعض صكوك وحجج وان ابقى عنده للعشآء والحَّ عليَّ ان لا اخبر احداً بالامر وعلى الخصوص والديَّ قبل ان يتم كل شيء فوعدتهُ بذلك . واذ ذاك ارسلت الى والديَّ بالبرق انني لست بعائدٍ الى البيت تلك الليلة لاشغال تمنعني وجئت نورووود فبحثت عن بيت الرجل حتى اهتديت اليهِ ودخلت ... فقاطعهُ شرلوك قائلاً ومن فتح لك الباب . قال امرأة في منتصف العمر اظنها خادمتهُ فادخلتني الى غرفة رأيت فيها مائدة الطعام . و بعد ذلك اخذني المستر اولداكر الى غرفتهِ وفتح خزائنهُ الحديدية فاخرج منها اوراقاً عديدة وجعلنا نتلوها معاً الى نصف الليل ولما هممت بالانصراف امرني ان اخرج من النافذة لانهُ لا يحب ان يزعج خادمتهُ بفتح الابواب واقفالها . فخرجت من النافذة ونسيت عصايَ فسألتهُ ان يعطيني اياها فقال لا بأس من تركها هنا لتكون رهناً لمجيئك ثانية لاني اود ان اراك كثيراً بعد الليلة . فانصرفت وكان قد فاتني القطار فبت في النزل ولم اعلم شيئاً مما حصل بعد ذلك

ولما فرغ مكفرلين من سرد حديثهِ قال لستريد أيمكنني اخذ سجيني الآن ايها العزيز شرلوك ام لديك مسائل اخرى تريد القآءها . قال لم يعد لي شيء اسأل

عنهُ قبل ان ازور بلاك هيث . فقال لستريد اظنك تعني زيارة نوروود حيث حصلت الجناية . فتبسم شرلوك وقال ربما غلطت في ذكر الاسم . فالتفت لستريد الى الشرطيين وقال خذا السجين وانتظراني خارجاً لاني اود ان اكلم صديقنا شرلوك على انفراد . ففعلا كما أُمرا والقى علينا مكفرلين قبل خروجهِ نظراً ترجم عما يكنهُ صدرهُ من الحزن وتعليق الامل بنا . وكان شرلوك قد اخذ الاوراق المكتوبة فيها الوصية فقال للستريد ماذا تستنتج من هذه الاوراق . فقال بعد ان رمقها بنظرهِ ان بعضها مكتوب بخط جيد وبعضها تصعب قرآءتهُ وبعضها لا يمكنني تفسيرهُ ولكنني لا اعلم سبب ذلك . فقال شرلوك ذلك يدل على انها كتبت في اثنآء السفر فالواضحة منها كتبت في المحطات والبقية كتب بعضها عند اول سير القطار وبعضها عند اشتداد سيرهِ . فقال لستريد ولكن ماذا يهمنا من معرفة ذلك فلا فرق عندي كتبت الوصية في القطار او في البيت . فقال شرلوك اما انا فان ذلك يهمني كثيراً لانني علمت اولاً ان اولداكر كتب الوصية في القطار وثانياً انهُ كتبها بعد خروجهِ من زيارة في بلاك هيث وهو عائد الى لندن . فقال لستريد ومن اين تنبأت عن ذلك . فقال من عدد المحطات فان كل كتابة واضحة تدل كما اسلفنا على انها كتبت في احدى المحطات ومجموع الاسطر الواضحة كتابتها يوافق عدد المحطات التي يقف فيها القطار ولا يوجد خط يقف فيهِ القطار على ما يناسب تخميننا هذا الا الخط الممتد من نوروود الى بلاك هيث فلندن . فقال لستريد لا ارى في كل ذلك ما يتعلق بما نحن فيهِ فانهُ من المؤكد ان مكفرلين هو القاتل وهي حقيقة واضحة فانهُ لما علم بان ثروةً تتصل اليه بعد وفاة اولداكر اراد ان يعجل في الحصول عليها فاتاهُ الى بيتهِ وقتلهُ ثم جرَّهُ الى مستودع الخشب فاحرقهُ ليخفي الجثة ويخفي فعلتهُ

فقال شرلوك لا اظنك تتمسك كثيراً بهذا الوهم ايها العزيز لستريد لانهُ لا يُحتمل ان رجلاً يقتل غنيًّا ليستولي على مالهِ بعد ان يكون ذلك المال قد صار ملكاً لهُ بموجب الوصية . ثم اذا فرضنا ذلك فلا اظن من المحتمل ان يقع القتل

في نفس اليوم الذي كتبت فيهِ الوصية ولا في نفس بيت الموصي ولا بعد ان يُعرَف ان الموصَى لهُ قد دخل بيت الموصي . واخيراً لا اظن ان القاتل يجهد نفسهُ باخذ الجثة لاحراقها وكتم امرها ويترك عصاهُ في البيت لتكون شاهداً على جريمتهِ . فقال لستريد ليس هذا بالبرهان يا شرلوك لانهُ كثيراً ما يعرض للقتلة ان يغفلوا عن اشياء صغيرة كهذه فهل لك برهانٌ غير ذاك . قال عندي براهين كثيرة ولكن ما لنا ولذكرها فانني مع وجود كل الادلة على جريمة مكفرلين لا اجزم بصحة ذلك قبل تحقيقهِ تماماً فمن الجائز ان يكون ما ذكرهُ المتهم صحيحاً وان يكون القاتل لصاً غريباً مرَّ فرأى من النافذة الخزانة المفتوحة والاوراق فانتظر خروج المحامي ودخل فقتل الرجل طمعاً في مالهِ ولما لم يجد الا اوراقاً تركها لانها لا تنفعهُ . فقال لستريد بتهكم انا ذاهب الآن لاتمام عملي واسعَ انت ايها العزيز شرلوك في القاء القبض على اللص الذي تدعي وجودهُ وعساك ان تظفر بهِ قبل ان ينفذ حكم القتل على مكفرلين . ولما قال ذلك حنى رأسهُ مودعاً وخرج

ولما خلونا نهض شرلوك هولمز وجعل يستعد للخروج وقال لي سأذهب ايها العزيز وطسن الى بلاك هيث . فقلت ولمَ لا الى نوروود . قال اراك كرجال الشحنة تبدأ بالعمل من آخرهِ فان مبدأ الامر كان من بلاك هيث واولداكر لم يفكر في كتابة الوصية الا بعد خروجهِ من هناك . ولا ارى لزوماً لان تتبعني فاني سأعود سريعاً

ولما عاد شرلوك وكنت انتظرهُ بكل شوق رأيتهُ مشرَّد الفكر وبعد ما استراح قليلاً سألتهُ عما بدا لهُ فقال قد تحققت ما داخلني من الريب . فان اولداكر ذهب الى بلاك هيث قبل كتابة الوصية وزار فيها والدة مكفرلين وقد علمت انهُ كان يحبها شديداً ووعدها بان يتزوجها ثم نكث عهدهُ فاقترنت بزوجها الحالي . وعلمت ان اولداكر ذهب اليها بالامس يسألها ان تنفصل عن زوجها وتعود اليه فابت والحَّ فلم تقبل لمعرفتها بسوء اخلاقهِ وشرورهِ فخرج وبه غيظ عظيم مهدداً اياها بالانتقام . ولما رجعتُ من هناك عرَّجت على نوروود فزرت بيت القتيل

واعملت جهدي في ملاحظة كل ما فيه فلم اجد شيئاً جديداً بل رأيت على بساط الغرفة آثار اقدام اولدا كر ومكفرلين فقط مما يدل على عدم وجود ثالث . ورأيت آثار الدم ولكنهُ كان خفيفاً جدًّا لا اظنهُ دم قتيل ورأيت العصا فتحققت انها عصا مكفرلين واقتفيت اثر سحب الجثة من النافذة فلم استوضحهُ جيداً ولكن رأيت الاثر يتصل الى مخزن الخشب ووجدت في الرماد قطع عظام لو كانت جثة انسان لبقي منها اكثر من ذلك . ورأيت ايضاً ازرار الثياب ففحصتها فحصاً مدققاً فوجدت انها ليست من جنس واحد مما يدل على ان الشخص كان مرتدياً بثوبين او اكثر او ان الجثة كانت ملفوفة بعدة ثيابٍ مختلفة . ثم واجهت الخادمة وبذلت جهدي فلم استفد شيئاً جديداً . ومع كل ذلك فاني اعتقد ان في الامر سرًّا لا بد لي من كشفهِ لاظهر لصديقنا لستريد انهُ هو الواهم واقتصّ منهُ جزآء عدم اكتراثهِ بملاحظاتي . وفوق هذا كله فان في صدري ما يؤكد لي ان صديقنا مكفرلين بريء ومن الظلم ان نتركهُ ولا نمدّ يداً لمساعدتهِ فقد عزمت على ايضاح امرهِ ولا بدّ لي من ذلك

ونمنا ليلتنا فلما كان الصباح نزلت الى غرفة الطعام فوجدت صديقي شرلوك هولمز جالساً الى مائدة عليها عدة جرائد ورسالة برقية وقد ملأ ارض الغرفة من بقايا لفائف التبغ ونظرت اليهِ فوجدت حول عينيهِ هالة سودآء دلتني على انهُ لم ينم تلك الليلة . وقبل ان اسألهُ عن شيء اشار الى الرسالة التي امامهُ وقال ما قولك في هذه يا وطسن . فقرأت الرسالة واذا هي من لستريد يقول فيها « انصح لك ان تقلع عن بحثك فقد ظهرت لنا دلائل جديدة قاطعة تثبت جناية مكفرلين وارتكابهُ الجريمة » . اما انا فلبثت بعد قرآءتها صامتاً فقال لي شرلوك اني لم اقطع الامل بعد وربما كان في ما يصفهُ لستريد من الدلائل القاطعة ما يساعدني على تحقيق ظني فهلمَّ بنا الى نوروود . وللحال ركبنا عربة وانطلقنا مسرعين فقابلنا لستريد بوجهٍ طافح سروراً وقال هازئاً عسى ان تكون قد اظهرت غلطي ايها العزيز شرلوك ووجدت اللص . ثم قال تعالَ معي فاريك البرهان القاطع والحجة الدامغة الدالة على جريمة

مكفرلين . ولما قال هذا قادنا الى غرفة اولداكر ولما وصلنا الى قرب الباب قال هنا الجهة التي جآء اليها مكفرلين ليأخذ قبعتهُ فانظرا الى الحائط تجدا اثر ابهام يده مرسوماً بالدم على الحائط . ومن المقرر انهُ لا يوجد في العالم خطوط ابهام تتشابه بين شخص وآخر وقد اخذنا رسم هذه الخطوط وقابلناها على ابهام مكفرلين فوجدناها اياها بعينها واظن ان هذه العلامة هي نهآئية في مسألتنا . فاخذ شرلوك من جيبهِ بلورة معظمة وفحص الاثر ثم قال نعم ان هذه العلامة نهآئية . ولما سمعت ذلك منهُ اوشكت ان اقطع الامل من جهة فكره الاول لولا ما ظهر لي في وجههِ من الابتسام الدالّ على انهُ لم يُغلب بعد . ثم قال لمَ لم تروا هذه العلامة امس . فقال لستريد لاننا لم نهتم بفحصها قبلاً . قال شرلوك اما انا فقد اهتممت بها واؤكد لكم ان هذه العلامة لم تكن امس على الحائط فهي مما أُحدث اليوم . ولما كان مكفرلين منذ صباح امس في سجنه فليس من المحتمل ان يكون قد جآء فرسم هذه العلامة ثم عاد الى سجنه . وقد تيقنت الآن ما فرضتهُ قبلاً واؤكد ان مكفرلين ليس مجرماً ولي الامل ان اظهر لكم برآءتهُ بعد قليل . ولما قال هذا اخذ بيدي وقادني الى خارج القصر وجعل يتأمل الغرفة والنافذة ثم سطح البيت ومدخلهُ فابرقت اسرتهُ وبانت ملامح السرور على وجههِ . ثم قال اتبعني فتبعتهُ ودخلنا القصر فمررنا من امام غرفةٍ كان فيها لستريد جالساً الى مائدةٍ يكتب تقريرهُ فقال لهُ تعالَ ايها الصديق قبل ان تتمّ كتابتك لأريك ما ربما يلزمك ان تذكرهُ في تقريرك . فنهض لستريد مستغرباً وقال ما الذي تريد ان ترينيهِ ايها المكتشف العظيم . قال اود ان اريك الشاهد الذي يؤيد دعواي . قال واين هو . قال سأحضرهُ اليك عن قريب ولكن كم عندك من رجال الشحنة هنا . قال ثلاثة . قال وهل اصواتهم قوية . قال صوت كل واحد منهم كصوت الثور ولكن ما مرادك من ذلك . قال سترى فارجو ان تدعوهم اليك وتأمرهم باحضار دلوين من المآء فان ذلك يلزمنا فيما سنفعلهُ . ثم نظر اليّ وقال اما انت يا وطسن فادخل الاصطبل وهات منهُ ما تستطيع حملهُ من الهشيم والحشيش اليابس . فاسرعت لتلبية امرهِ

علماً بانهُ لا يفعل شيئاً عن غير روية واحضرت ما امر بهِ . وكانت رجال الشحنة قد احضرت الدلآء فقادنا بسكون الى الطبقة العليا من البيت وفيها ممرٌّ امرنا ان نقف فيهِ وكنا جميعنا ولا سيما لستريد نستغرب فعلهُ ونعجب بسكونهِ وتبسمهِ الغريب . ولم يطق لستريد احتمال مثل ذلك التشخيص فقال لعلك تهزأ بي يا شرلوك هولمز. قال معاذا الله ايها العزيز بل قد تحققت وجود شاهد يشهد بصحة ما ذهبت اليهِ وسأحضرهُ امامك في الحال . ثم امرني ان اشعل الهشيم الذي احضرتهُ فوضعتهُ في منتصف الممرّ واشعلت ثقاباً وادنيتهُ منهُ فالتهب للحال وارتفع عنهُ دخان كثيف جدًّا وكنا جميعنا ننظر الى شرلوك نظرنا الى مشعوذٍ سيقوم بتمثيل فصولٍ غريبة . ولما ارتفع الدخان امرنا ان نصيح باعلى صوتنا « الحريق . . النار » فامتثلنا امرهُ وصحنا بملء حناجرنا . ثم امرنا فكررنا ذلك مرةً ثانية ثم ثالثة واذا بحائط الممرّ قد انشقّ وفُتح فيهِ باب سرّي خرج منهُ شخص قصير القامة ضخم الجثة فما خطا خطوتين حتى رآنا فامتقع لونهُ واضطربت اعضآؤهُ واراد الرجوع فلم تمكنهُ رجلاهُ من الانتقال . وكان شرلوك قد القى يدهُ على عنقهِ فقال لهُ اهلاً وسهلاً بك ايها الشاهد الامين فانا في انتظارك . ولما قال هذا نظر الى لستريد فقال قد انتهى الامر ولا لزوم الآن لاحراق البيت فمر رجالك بصب المآء واطفآء الهشيم المشتعل

ولما احطنا بالرجل وفحصنا امرهُ وجدنا انهُ هو نفس جون اولداكر القتيل المزعوم فنظر الى شرلوك نظرة الذليل وقال صدّقني يا مولاي انني انما فعلت ذلك بقصد المزح فقط ولم يخطر لي قط ان يلحق مكفرلين ادنى ضرر بسببي . فقال شرلوك تقول هذا القول في موقف القضآء فانهُ لا يعنيني . اما لستريد فوقف مسروراً بما حصل وخجلاً من شرلوك ومن نفسهِ لانهُ رأى من هو ادرى منهُ في مهنتهِ . واظهر التحقيق بعد ذلك ان اولداكر البنّآء المذكور هو باني بيتهِ وقد اوجد فيهِ ذلك المخبأ الخصوصي املهُ يحتاج اليهِ . فلما زار عشيقتهُ والدة مكفرلين ورأى انها لا تطيع رغبتهُ صمم على الانتقام منها بقتل ابنها الوحيد فنصب ذلك الشرك لمكفرلين واخذهُ الى غرفتهِ ولما انصرف منها كما مرّ اخذ اولداكر ارنباً عندهُ

فذبحهُ ولطخ بدمهِ عصا مكفرلين و بعض جهات الغرفة ثم لفهُ باثواب قديمة عندهُ وجرهُ الى مخزن الخشب فاحرقهُ واختفى في مكمنهِ وترك هذه الدلائل كلها مع عصا مكفرلين شواهد تثبت جناية الفتى ليحكم عليهِ بالقتل ويفوز بانتقامهِ

وكان لستريد كالمبهوت فلما تجلى ذهوله قال لشرلوك كيف توصلت الى كشف هذا السر العجيب . فقال شرلوك اني تحققت من علامة الابهام ان مكفرلين لم يكن هو القاتل لان العلامة لم تكن امس ولانهُ يستحيل ان يخرج ذاك من سجنه ليرسمها. وتيقنت من الدلائل السابقة ان اولداكر لم يمت وان ما وجد من العظام المحترقة ليس من جثتهِ واظهر لي بحثي في بلاك هيث انهُ كان عاملاً على اهلاك الفتى . وقد تحققت اليوم انهُ لما دعاهُ الى غرفتهِ كلفهُ ان يختم رزمةً من الاوراق بابهامهِ ثم خرج في هذه الليلة فاخذ ذلك الختم وصبَّ عليهِ شمعاً ثم غمسهُ في الدم ولطخ بهِ الحائط ليحقق التهمة على المسكين مكفرلين . ولما تقررت لديَّ هذه الحقيقة علمت ان اولداكر ليس بعيداً عن هذا البيت ثم عند فحصي اليوم وجدت ان بجانب سطح الطبقة العليا سطحاً آخر ينحطّ عنهُ مسافةً فلم اشك ان هناك غرفةً سرية بناها صاحب البيت لغايات خصوصية . وخطر لي ان اجرب حريق البيت لعلمي انهُ لا يقوى على ضبط نفسهِ من الخروج ففعلت ونجحت

وكنا جميعنا نعجب من دقة افكارهِ وتوقد ذهنهِ ولا سيما لستريد فانهُ حنى رأسهُ مقرًّا بقصورهِ وعاد الى الغرفة التي كان فيها ليتمم تقريرهُ فقال امل عليّ يا شرلوك ماذا اكتب . فقال اكتب الحقيقة واياك ان تذكر اسمي بل دع الفضل كلهُ لك لانك احوج الى ذلك مني . فصافحهُ لستريد شاكراً وخرجنا عائدين الى منزلنا ولم ارَ شرلوك مسروراً كما رأيتهُ في ذلك اليوم

اما مكفرلين فأُطلق سراحهُ للحال وكان اول اعمالهِ ان اتى شاكراً وحُكم على اولداكر فنال جزاء فعلهِ وعادت جميع املاكهِ الى مكفرلين طبقاً لمنطوق الوصية فاستولى عليها وخصّ شرلوك بجانبٍ كبير منها اقراراً بفضلهِ ومكافأةً لهُ على صنيعهِ

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون سألتهُ معنى الكلمة وسألتهُ غرضهُ فيُعَدُّون الفعل هنا الى المفعول الثاني بنفسهِ وهو غير الوجه . وذلك ان السؤال يكون بمعنى الطلب وبمعنى الاستخبار فاذا كان بالمعنى الاول عُدّي الى المفعول الثاني بنفسهِ تقول سألتهُ الكتاب وسألتهُ بيان معنى الكلمة واذا كان بالمعنى الثاني عُدّي اليهِ بعن تقول سألتهُ عن غرضهِ وسألتهُ عن معنى الكلمة وهو الاشهر في استعمال هذا الحرف (١)

ويقولون سآتيك غير مرّة اي غير هذه المرّة او مرّةً غير هذه ولكن غير اذا اضيفت الى النكرة افادت النفي تقول هذا غير حَسَن اي ليس بحَسَن وهم اذا قالوا غير مرّة يعنون نفي المرّة اي نفي الوحدة فيكون المعنى سآتيك مرّتين او ثلاثاً مثلاً . وتقول جآءني غير رجل فيحتمل ان يكون المعنى جآءني رجلان مثلاً او جآءني امرأةٌ او غلام غير انهم في الغالب يصرفون المعنى في مثل هذا الى العدد فيكون المقصود هو المعنى الاول دون ما يليهِ فاذا قلت جآءني غير واحد تعيّن العدد

(١) خبط اللغويون في هذه المسئلة خبطاً عجيباً قال صاحب القاموس سأله كذا وعن كذا وبكذا بمعنى . قال في تاج العروس وفي استعمالهِ متعدياً بنفسهِ وبهذه الحروف بمعنى واحد اختلاف ففي شرح خطبة الشفآء للخفاجي انهُ يتعدى بنفسهِ وبعن ومن وفي اذا كان بمعنى الرجآء لا الاستعطاف (كذا) وفي تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للبدر الدماميني ان سأل يتعدى للمال بنفسهِ ولغيرهِ

ويقولون جاءني نحو المئتي رجل فيستمرّون على لفظ الاضافة مع دخول أل على المضاف والصواب اما اسقاط أل وابقاء الاضافة فيقال نحو مئتي رجل او اثبات أل مع ردّ نون التثنية ونصب رجل على التمييز فيقال نحو المئتين رجلاً

ويقولون هذا الجيش ينوف عن كذا اي يزيد ولا يُستعمل ناف بهذا المعنى والصواب يُنيف بالياء بعد النون مضارع أناف بصيغة الرباعي

ويقولون الشطرة من البيت يعنون احد مصراعي بيت الشعر وانما يقال في هذا المعنى الشطر لا الشطرة

ويقولون وفقط كان من الامر كذا وكذا فيجمعون بين الواو والفاء والصواب اسقاط الواو او تأخير فقط فيقال وكان من الامر كذا وكذا فقط

ويقولون هذا المبلغ بالكاد يكفي العمل و زيدٌ بالكاد أراهُ اي لا يكاد يكفيهِ ولا اكاد اراهُ وهو من التعبيرات العاميّة

ويقولون هذا عملٌ منهِك وحديثٌ مُكرِب ومشهدٌ مُرعِب وامر

بالجارّ . وفي شفاء الغليل للشهاب انهُ يتعدى الى المسؤول عنهُ بنفسهِ وقد تدخل عن على السائل (كذا) وقد تدخل على المسؤول عنهُ . قال قال شيخنا ودخولها على السائل لغة بني عامر (؟ . . .) . وقال ابن برّيّ سألتهُ الشيء بمعنى استعطيتهُ اياهُ وسألتهُ عن الشيء استخبرتهُ . . وهناك كلامٌ آخر اجتزأنا عن نقلهِ لطولهِ و بعضهُ لا يستغني عن شرح وفيما ذكرناهُ كفاية. والصحيح قول ابن برّي وهو موافقٌ لما ذكرناهُ وعليهِ في سورة يس اتبعوا من لا يسألكم اجراً وفي سورة محمد يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم وفي البقرة يسألونك عن الاهلة يسألونك عن الشهر الحرام واذا سألك عبادي عني الى غير ذلك وهو كثير

مُضنِك يبنون ذلك كلهُ من أفعَل الرباعي مع انهم يقولون رجلٌ مكروب ومرعوب ومنهوك ومضنوك ببنآء جميع ذلك من الثلاثي وهو الصواب لانهُ لم يُسمَع شيءٌ من هذه الافعال على صيغة أفعل

ويقولون نوَّه بالشيء ونوَّه اليهِ يعنون عرَّض بهِ وألمع اليهِ والتنويه لا يجيء بهذا المعنى انما يقال نوَّه بفلان ونوَّه باسمهِ اذا رفع اسمهُ وذكره على جهة المدح والتعظيم

ويقولون كلّفتهُ بالامر فيُعَدّون هذا الفعل الى المفعول الثاني بالبآء والصواب تعديتهُ اليهِ بنفسهِ تقول كلَّفتهُ الامرَ

ويقولون آثروا الخلود الى السكينة فيأتون بهذا الحرف من الثلاثيّ والفصيح الإخلاد من باب أفعَل يقال أخلد الى الامر اذا سكن اليهِ ولا يقال خلَد الا في لغةٍ ضعيفة

ويقولون هم العربان يعنون البدو سكان الخيام وصوابهُ الأَعراب واحدهم أَعرابيّ

ويقولون هذا امرٌ يهمّ عموم السكان اي يهمّ السكان عامّةً اويهمُّهم بالعموم. وربما استغنوا بلفظ العموم وحدهُ يقولون اجمع العموم على كذا اي الجمهور او عامّة الناس مثلاً وكل ذلك من استعمال العامّة

ويقولون كلل هامةُ الشيب اي رأسهُ وانما الهام جمع بمعنى الرؤوس والواحد هامة

ويقولون فلان يهجس في كذا اي يحدّث نفسهُ بهِ وتحرك بهِ خواطرهُ وانما يقال من هذا هجس الامر في صدرهِ وفي نفسهِ اي وقع في خلَدهِ ولا

يقال هجس هو في الامر

ويقولون بمجرّد ما دخل قمت لاستقبالهِ اي اول ما دخل وهو تركيب عامّي

ويقولون تأكدت الامر اي تحققتهُ واستيقنتهُ ولم يُسمَع تأكَّد الا لازماً تقول تأكد لي الامر اي ثبت عندي وتحقق

(ستأتي البقية)

الشاي

هو هذا النبات المشهور وهو ضربٌ من الجَنْبة اي النبات بين البقل والشجر يرتفع من مترٍ الى مترين وتتشعب من ساقهِ شُعَبٌ كثيرة واوراقهُ سنانيّة الشكل جِلدية البنآء لا زَغَب عليها مسننة تسنيناً منشاريًّا . ولهُ زهرٌ ابيض طيبِ الريح ينعقد بشكل سِنْفة ذات ثلاث خَشَلات[1] مستديرة بحجم البندقة تنشقّ كلٌّ منها عن بزرة

والشاي اصنافٌ اشهرها الصيني واصلهُ من أسّام العليا والجنوب الغربي من الصين ومن هناك انتشر الى اكثر جهات الصين واليابان والهند ونُقِل الى اميركا الجنوبيَّة والبرازيل وغيرها لكن اجودهُ الصيني الذي منابتهُ ما بين ٣٠° و ٣٥° من العرض . وهو ينمو في الاراضي الخفيفة المكسوَّة بطبقةٍ رقيقةٍ من التربة النباتية وارضهُ لا تقتضي علاجاً ولا سماداً ولا سقياً لكن

---

(١) السنفة بالكسر وعاء الثمر سوآء كان مستطيلاً كسنفة اللوبيآء ام مستديراً كسنفة البندق . والخشلة في الاصل البيضة اذا أُخرج جوفها والمراد بها هنا احد الاقسام التي ينقسم اليها وعاء بعض انواع الثمر كالخشخاش ونحوهِ وهي تعريب coque

يُختار ان تكون متجهة الى الجنوب بحيث تكون معرَّضةً للشمس . ويُبدأ باستغلالهِ بعد ان يأتي عليهِ ثلاث سنوات من زرعهِ ويُجنَى ثلاث مرات في السنة اي في مارس ومايو ويوليو. وافضلهُ ما جُني في مارس حين تكون اوراقهُ جديدة رخصة ويسمى بالشاي المَلَكيّ لانهُ في الغالب يكون مخصوصاً بكبرآء المملكة . وفي مايو ويوليو يكون إتآؤهُ اكثر الان كل ما تأخر منهُ يكون دون ما قبلهُ في الجودة . فاذا بلغ سبع سنين قلّ اتآؤهُ جدًّا واذ ذاك تُقطع ساقهُ فتنبت منهُ شُعَبٌ جديدة تُستغَلّ من سنتها

اما علاجهُ بعد ذلك فيقتضي دقةً وعنايةً عليهما تتوقف جودتهُ وحسن لونهِ. وهو يكون اما اخضر واما اسود وكلاهما يترتب على نوع العلاج الذي يعالَج بهِ فاذا أُريد ان يكون

اسود عُرّضت الاوراق اولاً للشمس بان تُبسَط طبقاتٍ رقيقة على اطباق من الخيزران ثم تؤخذ وتجفف على صفائح من المعدن تُحمَى في تنّور مخصوص فتوضع الاوراق عليها وتحرَّك تحريكاً متواصلاً باليدين الى ان يُسمَع صوت احتكاكها على الصفائح . واذ ذاك تُبسَط على موائد مغطاة ببواريّ من الخيزران دقيقة النسج وتُفتَل فتلاً سريعاً بحركة مطّردة براحة اليد ويكرّر الفتل عليها الى ان تبرد لانهُ لا يمكن فتلها الا وهي حارّة فاذا بردت ثبتت على الهيئة التي فُتِلت عليها . واذا وُجد بعد ذلك انهُ لا يزال فيها شيءٌ من الرطوبة اعيد تجفيفها ثم فتلها وقد يكرَّر ذلك عليها الى الرابعة حتى تجفّ تمام الجفاف . واذا اريد ان يكون الشاي اخضر فلا تعرَّض الاوراق للشمس لكن توضع رأساً على الصفائح المحماة فتجفَّف وتفتل في اسرع ما يمكن بحيث لا يعرض لها الاختمار كما يحدث للشاي الاسود . وبعد ان يتم ذلك كلهُ يؤخذ في فرز الاوراق فيُعزَل منها ما لم يتمّ فتلهُ ثم تُغربَل في غرابيل من دقيق الخيزران حتى يسقط من بينها ما قد يكون خالطها من فُتات القشر ثم تُنخَل لنفي ما لعلهُ بقي عليها من الغبار . وبعد ذلك تحمَّص في تنانير مخصوصة وهو اصعب ما في هذا العلاج لانهُ اذا زادت الحرارة عليها او نقصت درجةً واحدة كان ذلك كافياً لان يقلل من جودتها

والشاي الاخضر اذكى رائحةً من الاسود وطعمهُ اشدّ عفوصةً ولذعاً وهو مهيّجٌ مؤرّق والجديد منهُ شديد التخدير الى حد السكر ولذلك يخلطهُ اهل اليابان بمثل مقدارهِ من القديم واهل اوربا يخلطون الاخضر بمثلهِ او بمثليهِ من الاسود تخفيفاً من تأثيرهِ على اصحاب المزاج العصبي

وهناك صنفٌ آخر منهُ يُعرَف بالقرميدي وهو ما اتُّخذ من فُتاتهِ وناعمهِ يضعونهُ في قوالب مربَّعة ويضغطونهُ ضغطاً شديداً فيخرج اقراصاً شبيهةً بالقرميد . واكثر ما تنفق هذه الاقراص على القلموق ومن اليهم من بلاد التتار الروسية وسيبيريا فيغلونهُ في مرجل مع انواع أُخر من النبات ويلقون فيهِ ملحاً ويتخذونهُ ممزوجاً باللبن والسمن وهو كثير الاستعمال عندهم يجدون فيهِ لذةً عظيمة

واستعمال الشاي وغُلايتهِ كثير الشيوع في الصين واليابان لا تستغني عنهُ طبقةٌ من الطبقات ولا يكادون يعرفون مشروباً غيرهُ والصينيون يشربونهُ صِرفاً فلا يمزجونهُ بالسكَّر ولا بغيرهِ . ولامبراطور اليابان ارضٌ مخصوصة تُزرَع فيها حاجتهُ منهُ وهي جبلٌ بجوار مدينة أُسري بقرب البحر يُزرع كلهُ من هذا النبات . وقد حُفِر حولهُ خندقٌ يمنع الناس والبهائم من الوصول اليهِ ويُغسَل ما فيهِ من النبات كل يوم لازالة الغبار عنهُ وفي مدة الجنى يستحمّ جانوهُ كل يوم مرتين او ثلاثاً ولا يقطفون الاوراق الا والقفافيز في ايديهم . وبعد ان يتمّ قطفها ومعالجتها بمثل ما ذكر توضع في آنية ثمينة وتُحمَل الى الامبراطور في احتفالٍ عظيم

اما ادخال الشاي الى اوربا فكان منذ اواسط القرن السابع عشر وكان اول ما عُرِف في انكلترا وهي تنفق منهُ اليوم ما يزيد على اربعين مليون كيلغرام في السنة . واما في فرنسا فلبث زمناً معدوداً من العقاقير الدوائية ولم ينتشر استعمالهُ فيها الا منذ سنة ١٨١٤ . ويقدَّر ان الشاي الذي يُستهلك في الارض كلها يبلغ ما يزيد على ١٠٠٠ مليون ليرة منها نحو الثلثَين تستأثر

بهِ الصين وحدها والباقي يوزَّع في جهات اوربا واميركا

حديقة السوسن

بقلم حضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري

(تابع لما في الجزء التاسع)

والحاصل ان اسلافنا على ما نرى خبطوا في المسألة خبط عشواء ولم يصيبوا منها حتى اليوم هدايةً ولا رشداً . وكما انهم اختلفوا في حقيقة المرأة وماهيتها ومنزلتها اختلفوا ايضاً في وجوب تعليمها وعدمهِ — ففريقٌ منهم — حظَر التعليم عليها حَظراً باتًّا حتى القرآءة والكتابة زعماً انهُ مدعاة لاسترسالها في الغرور وانهما كها في المفاسد والشرور [١] . — وفريقٌ — قال بوجوب

(١) ومن افسد الآرآء وابعدها عن الصواب قول بعض معارضي التعليم « ان الانثى اذا تعلمت زال عنها رونق الانوثة وفقدت مزية الحب فانها لا تفتن اللب وتجذب العواطف الا لكونها لا تجادل ولا تحتجّ (والحال ان الجاهلة اكثر جدالاً واطول حجةً واشد عناداً) ولانها شحرورٌ يغرّد وطفلٌ يعبث وقلبٌ يحبّ فكيف يحصل لها الحب اذا لهت عنهُ بشواغل العلم » وقد فات هؤلآء ان كل قوّات الارض وشواغل الكون ومتاعب الحياة وسلطات الممالك لا تقوى على الوقوف في سبيل الحبّ الذي تبعثهُ الاميال الجنسية الكافلة لعالم العمران بنمآء النوع ودوام البقآء . بل العلم يزيد القلب ارتياحاً للصبابة وحنيناً الى الغرام ويجعل وجهتهما المحاسن المعنوية وقبلتها الجمال الادبي فتصحّ مبادئ الحب وترسخ دعائمهُ وتهنأ مظاهرهُ ويورث ذويهِ المجد والفخر والعلآء يجتنونها في خلال الانس والمسرة والصفآء بعكس الحبّ المادّي المقترن بالجهل فانهُ واهي الاساس قصير العمر وخيم المرتع جالبٌ للذلّ والشقآء . وفضلاً عما ذكر فان وظيفة المرأة لم تكن

الاقتصار على تعليمها قواعد الدين وتدبير المنزل وشيئاً من صناعات اليد ليس الا . — وآخرون — اوجبوا لها الاطلاق في التعليم اسوةً بالرجال وهذا هو اليوم مذهب الغربيين عامةً وعدد يسير من الشرقيين

ألا ترى ان أمة عظيمة لا يقل عديدها عن مئة وثمانين مليوناً منتشرة في اطراف العالم الشرقي طولاً وعرضاً ما برحت مصرّة على عدم اطلاق تعليم المرأة ووجوب حجرها في ظلمات البيوت محجوبة عن الرجال وراء الستور والحجال

أجل انهُ قام منذ بضع سنين في وادي النيل من يطالب هذه الامة بتحرير المرأة من هذا الرقّ واطلاق سراحها وتخويلها من العلم وحرية الظهور والتصرف ما يجدر بمقام المخلوقة المقول عنها « ان التي تهزُّ السرير بيمينها تهزُّ العالم بيسارها » غير ان السواد الاعظم من هذه الامة وفي مقدمتهِ قادة الدين واساطين الفقه رمى صاحب هذا الاقتراح[1] بكل

مقصورة على الشغف فانها لا تلبث ان تكون زوجةً واماً ومدبرة أسرةٍ ورئيسة بيتٍ . ولا زوجة نافعة مفيدة الا حيث يكون علم ولا امَّ مربية رشيدة الا حيث يكون أدب ولا ربّة بيتٍ انيق بهيج يجمع اسباب الاتقان والنظافة والراحة والسرور الا حيث يكون اختبارٌ وعرفان . وكيف تكون المرأة معاشرة مسلية ومؤانسة معزّية اذا خلت من الحس المعنويّ وتجرَّدت من الجواذب الادبية التي ترافق العمر وتجعل سطوة المرأة في بيتها وحرمة الناس لها وتهالكهم على مزاورتها ومجانستها راسخة ابدَ الدهر

(١) هو قاسم بك امين من افاضل ناشئة المصريين الجديدة المتضلعين بالعلوم العصرية والقوانين

موبقة وضرب بكتابيهِ « المرأة الجديدة » و « تحرير المرأة » عُرض الحائط . وقد قام المعارضون يسلقونهُ بألسنة مسمومة حاسبين انهُ اتى بدعةً في الدين توجب عليه الحدّ والرجم . وهكذا انطفأت هذه الشعلة في بدء شبوبها فجاءَت النتيجة مصداقاً لما نظمهُ احد الشعرآء المصريين المجيدين مخاطباً صاحب الكتاب وهو ممن يصوّبون رفع الحجاب ويظاهرونهُ عليهِ : قال

« أقاسمُ » ان القوم ماتت قلوبهم　　ولم يفقهوا في «السِفر» ما انت كاتبهْ
فمن ذا تناديهِ ومَن ذا تعاتبهْ　　الى اليوم لم يُرفع حجاب ضلالهم
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم　　لوضع نقابٍ لاستقامت رغائبهْ
ولو خطرت في مصر حوّآء أمُّنا　　يلوح محيّاها لنا ونراقبهْ
وفي يدها العذرآء يسفر وجهها　　تصافح منا من ترى وتخاطبهْ
وخلفهما موسى وعيسى واحمدٌ　　وجيشٌ من الاملاك ماجت مواكبهْ
وقالوا لنا « رفع الحجاب » محلَّلٌ　　لقلنا نعمْ حقًّا ولكن نجانبهْ[1]

ولا يوجد الآن من يرى هذا الرأي من مجموع افراد هـذه الامة سوى نفرٍ من ناشئة المصريين الذين ربوا في مدارس اوروبا وتمرّسوا بعادات اهلها ومشاربهم وتضلعوا من العلوم الطبيعية بيدان هؤلآء المتنوّرين بنور العصر لا يعدون بالنسبة الى سائر الامة الا نزراً من وفر وقطرةً من بحر والشذوذ لا حكم لهُ على كل حال

ومن العجب العجاب انهُ قد اتى على وجود الانسان في هذه الكرة بضعة الوفٍ من السنين — على رأي اهل الدين — او بضع عشرات

(١) حافظ ابرهيم

الالوف — بحسب استقرآء الجيولوجيين والارخيولوجيين واجماع علمآء الطبيعة — ومع هذا نجدهُ حتى اليوم عاجزاً عن حلّ مسألةٍ كهذه يتوقف على جلآئها والجزم بها سعادة العالم اجمع وهنآء الف وستمائة مليون[1] من البشر تطويهم الارض ثم تأتي بمن يخلفهم فيها ثلاث مرّات كلما مرَّ عليها قرنٌ واحدٌ فقط

ان هذا الموضوع الخطير قد تنبهت لهُ خواطر دهاقين المعرفة وقادة العقول منذ ثورة الفرنسويين الكبرى التي قلبت في اواخر القرن الثامن عشر العالَم المتمدّن ظهراً لبطنٍ وغيّرت احوالهُ المعاشية وعوائدهُ الأُلفية وافكارهُ الدينية والسياسية اعظم تغيير . فهبُّوا من سباتهم العميق شاحذين اقلامهم باسطين السنتهم وتناولوا اطراف هـذا المبحث مناقشين ومجادلين سالبين موجبين يصدعون في ذروات المنابر وينشرون على صفحات الجرائد ويثبتون في بطون الاسفار ما تخيلوا انهُ الحقيقة او شبهها فالقوا آلافاً من الخطب وألَّفوا من الرسائل الضافية والكتب الضخمة ما لو جمع لتكوَّن منهُ جبل عظيم . ولكنهم ويا للاسف قد اشبهوا بمأتاهم هذا حجر الرحى فهم منتهون اليوم بدورتهم حيث هم مبتدئون

---

(١) يقول الجغرافيون ان مجموع البشر في القارّات الخمس وما يلتحق بها من الجزُر يبلغ في عهدنا هذا نحواً من الف وستمائة مليون ويقول علمآء الاحصآء ان معدّل عمر الانسان على الارض كافة لا يتجاوز ثلاثاً وثلاثين سنة وعلى هـذا يكون عدد البشر الذين يقطعون برزخ الحياة مجتازين الى الابدية نحو اربعة آلاف وثمانمائة مليون كل مئة سنة

هذا ولما كان قد قضى نكد الطالع على الشرق في هذه العصور ان يكون عبداً للغرب في مجمل احواله مقلداً له مقتدياً بهِ في جلّ اعماله نهض في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر رجالٌ في سورية ممن مهروا في صناعة الانشاء ولقفوا عن معاصري الغرب بعض منازعهم وعلومهم مقتفين آثار كتبتهم في ورود هذا المشرع الكثير الزحام فتباروا وتساجلوا وتناظروا وتناضلوا ما شاءوا فمنهم من عرج بالمرأة الى مراتب الملائكة ومنهم من هبط بها الى اسفل سافلين حتى حسبها حلقةً متوسطةً بين الرجل وسائر الحيوان وفي تلاوة خطاب الفاضل الدكتور شبلي افندي شميل المثبت في مجلة المقتطف وما ورد عليهِ من ردود بنات حوآء وانصارهنّ من بني آدم . ومراجعة ما كان يسطرهُ وديع افندي الخوري البيروتي على صفحات الجنان وغيرها . وتصفُّح ما تثبتهُ مجلة الجامعة من معربات اقوال تولستوي فيلسوف الروس الجديد و جول سيمون قهرمان الفرنسويين الشهير ما يغني عن مزيد بيانٍ . ولكن ما النتيجة يا ترى ؟

ان رجال البسيطة اليوم لا يزالون كما كانوا من قبل يجرون فيما يختصُّ بالمرأة على طرفَي نقيض فريقٌ يرفعها الى الاوج وفريقٌ يهبط بها الى الحضيض اي انهُ بعد كل هذه الجعجعة وقد مرّ عليها مئة وستة عشر عاماً (من ١٧٨٩ الى ١٩٠٥) لم يقع الاجماع على حقيقةٍ راهنةٍ يجدر ان يبنى عليها دستورٌ عام واجب الاتباع من كلّ امةٍ وفي جميع الاصقاع

ان في ذلك لعمر الله ما يدعو الى الحيرة والذهول كأن المسألة التي يحاولون استخراجها كنزٌ مطلسمٌ عصيّ الأَغلاق والطريق اليهِ اظلم من ليالي

المحاق فلا بدع اذا ضلّ فيها السارون ونكص عنها دُهاة الناس وهم سادرون

على ان هذا لا يمنع طفيلياً مثلي عن طرق هذا الباب اسوةً بالعدد العديد من زملآئي الافاضل الذين اضاعوا اوقاتهم عبثاً في استجلآء سرّ المسألة الخفي فان التمثُّل بالكرام فلاح . وما انا من يقول باليأس من الفوز في اي مقصدٍ ومنزع ما دام العقل طوع الارادة. والثبات خادم الاثنين . والحزم رفيق الثلاثة . والعلم رائد الجميع . فان قطع الرجآء شأن الوضيع الخَمُول . وشعار العاجز الكسل والجهول . وناموس الارتقآء لا يبرح ملازماً هذا الكيان الانساني مبقياً لهُ بالانتخاب الطبيعي الأنسبَ فالأنسبَ حسًّا ومعنى حتى يرتقي بهِ في مجموع احوالهِ الى اسمى مراقي الكمال وينزلهُ في حظيرة المعرفة القدسية حيث الراحة والهنآء والنعيم والامن والدعة والسلام

وعلى هـذا المبدأ اقدمت على خوض عباب هذا المبحث العويص فانشأت هذا الكتاب بعد الدراسة والاختبار متعمّداً فيهِ اثنآء التعليل وايراد الدليل ايداعهُ ما في محفوظي وما انتهت اليهِ مطالعاتي من الاوابد والشوارد المتعلقة بحياة المرأة التاريخية مما لا يتهيأ الوصول اليهِ دون تلاوَاتٍ بكدّ ومراجعاتٍ بجدّ حتى اذا لم اصب الهدف فيما ارمي اليهِ من الموضوع لا يعدم كتابي — على الأقلّ — مزيّةً أُخرى تجمع بين الفائدة والفكاهة فتبعث أُولي الذوق على الرغبة فيهِ والتهافت عليهِ . وما الهداية الا من عند الله يؤتيها من عبادهِ من يشآء

ثمّ لا انكر انني بعد إطالة التروّي والامعان ومراوحة التأمل وقتاً طويلاً لم ارَ خيراً من ان اجعل قاعدة بحثي فيما اوردت من الفصول « ان

المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل » بمعنى ان مماثلتها للرجل من جميع الوجوه – ولا سيما فيما خُصَّ بهِ وخُلِق لهُ من الاعمال — مفسدٌ لطبيعتها مغايرٌ لنظام فطرتها . موجبٌ لزوال بهجة انوثتها . منتجٌ — ولو بعد امدٍ مديد — لانقراض النوع الانسانيّ . ولذلك لا بدّ من المساواة في المنزلة مع بقآء الفارق فيما يجب بقآؤهُ وما هو بقليل

وهيَ قاعدةٌ وان لم اكن السابق الى القول بها – على قربها من الصواب ومماسَّتها للحقيقة – الا ان القائل بها قبلي لم يحلل اشكالها . ويفصّل اجمالها . ويعطها حقها من الجلآء والبيان . بحيث تشربها الافهام وتحيط بها الاذهان . ويتوفّر لها من معدَّات الاقناع . ما يقع عليهِ الاجماع . وهذا ما وطَّنت النفس عليهِ وحثثت الهمة اليهِ فيما اذكرُ وان لجأت احياناً الى التكرار ولكن مع تنوُّع الاساليب واختلاف المقاصد في الرواية ذاهباً في عبارتي بين الخطابة والترسُّل كلَّ مذهب حسبما دعاني المقام واوحت اليَّ السليقة . فان وُفّقت الى ما أريد بشرت قومي خاصَّةً وسائر بني الانسان بطالعٍ سعيد يسفرُ عن فوزٍ اكيد فيهِ الرباح والنجاح والاَّ فما على باذلٍ وسعهُ وان اخفق من جُناح　(ستأتي البقية)

الحرب الروسية اليابانية

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

أجسوماً خلقتهم ام حديدا　وشياطين في الوغى ام جنودا

وعذاباً يلقون في ساحة الحر　بِ وموتاً ام غبطةً وخلودا

يعشقونَ المنونَ حتّى تراهم يحسبون القتيل منهم سعيدا
رَبِّ هبْهمْ أنْ يرحمَ البعضُ بعضاً فلقد ترحمُ الاسود الاسودا
سهلَ منشوريا لكَ الويلُ ممن فرشوا منك بالجسوم الصعيدا
ملأوا أرضَكَ الخصيبة جَدْباً وأعادوا الليالِيَ البيضَ سودا
لا سقى الغيث تربةً لجنودٍ حكمة الله امطرتها جليدا
خوفَ أن تنبشَ السيولُ عظاماً أحرقتها نار الوغى وجلودا

***

أيُّها الجندُ أيُّ حربٍ دُفعتُمْ فاندفعتم على لظاها وَقُودا
لم تُثِرْها الاّ مطامعُ قومٍ تَخِذُوكم من غير حقٍّ عبيدا
رُبَّ يومٍ يموتُ فيهِ ألوفٌ منكمُ يعدلون منهم وحيدا
أنتمُ تسقطون قتلى رُكاماً وهمُ يَنعَمون عيشاً رغيدا
واذا ما انتصرتمُ لبسوا الفخرَ م رداءً طول الزمان جديدا
بئس حربٌ دعوتموها جهاداً تُغضِب الله ثمَّ تُغضِبُ بودا
إن ربًّا يبيحُ سفكَ دماكم لستُ ارضى لكم بهِ معبودا

***

دولةَ الروس لا ارى لكِ في حربكِ م رأياً موفقاً او سديدا
غيرَ أطماع دولةٍ تطلب الفتح م وتبغي على المزيدِ مزيدا
يقفُ الفكر مُتعَباً قبلَ ان يجتازَ م جزءاً من مِلكِها محدودا
وبلاداً يضلُّ في جوّها الطيرُ م وبيداً منها تجاوزُ بيدا

قيصرَ الروس كُنْ أباً للرعايا　　حين تدعىَ أباً شفوقاً ودودا
قد رأينا اليابان مثلك تبغي　　وهي ليستْ ترتدُّ حتى تسودا
تدَّعي مثل ما ادَّعى الروس حتى　　يحكمَ النصرُ حكمهُ الموعودا
وهو حقُّ القويّ يسطو بهِ سرًّا　　م وجهراً وينثني محمودا
عبثًا تُظهر الممالكُ حُبَّ ال　　سلم أو تعقدُ الملوك عهودا
ليسَ فيهنَّ غيرُ مَن تتمنى　　أنها تبلغُ السمآء صعودا
ثم تبني فوقَ النجوم حصوناً　　شامخاتِ الذُّرى وتُعلي بنودا
ايها الناسُ لا حياةَ لقومٍ　　في دجى الجهلِ راقدين جمودا
انما هذهِ الحياة جهادٌ　　فاز فيها مَن يبذل المجهودا

مطالعات

علّة زُرقة الجوّ — قامت آراءٌ كثيرة في علة زرقة الجوّ ونسخ بعضها بعضاً ورجع الفلاسفة الى اثبات ما أبطلوهُ ثم رجعوا عنهُ الى غيرهِ. فمنهم من ذهب الى ان زرقتهُ من الصفات القائمة بهِ ومنهم من قال انها عَرَضٌ في غير الهوآء ومنهم من قال انها ناشئة عن انعكاس اشعة الشمس الزرقآء عن الغبار الجوّي. وهذا رجحهُ كثيرون في هذا العصر. وقد جآء في احدى الجرائد الانكليزية حديثاً ما مُترجَمهُ على وفق اصلهِ « قال بريسلاً ليونرد اذا قلنا ان علّة زرقة الجوّ ما يملأُهُ من الغبار استغرب ذلك السامعون وحسبوهُ مما صِيد بحبائل الاوهام. والواقع ان هذا رأي كثيرين من كبرآء الفلاسفة ومنهم ألِفرِد رُوسِل وُلاّس. والدليل على ذلك ان الهوآء الخالص

من الشوائب لا لون لهُ ولا يُرَى ولا يعكس ضوءًا واذا مُلئت انبوبة من زجاج طولها اقدام كثيرة هوآء نقيًّا مرّ شعاع الضوء الكهربآئي من اولها الى آخرها ولم يشاهَد فيها شيءٌ من الاضآءة ولكن اذا خالط الهوآء الذي فيها قليل من الغبار امتلأَت الانبوبة من النور الازرق السماوي فزرقة الجوّ ناشئة عما فيهِ من الغبار . والمحقق اليوم وامس ان الجوّ مملوءٌ من الغبار الى علوّ نحو ثلاثين ميلاً او اكثر من ذلك وهذا ينشأُ عنهُ اقصر الامواج الضوئية من الطيف الازرق ولكن بعض الاشعة الشمسية التي تمر بين دقائق الغبار لا يتغير لونها لعدم انعكاسها عن تلك الدقائق والاّ لصُبغ وجه الارض بالزرقة

والخلاصة ان بعض اشعة الشمس تترك قليلاً في الجوّ من اللون الازرق الذي هو احد الوان الضوء السبعة فيظهر الهوآء على البعد ازرق . ويزيد الغبار الجوّي كثافةً بزيادة القرب من الارض فالغبار في طبقات الجوّ السفلى اكثف من الغبار في الطبقات التي فوقها

وللغبار الجويّ عدّة اسباب فهو يأْتي الجو من الغبار الذي تقذفهُ جبال النار من متنفساتها او ثُغَرها وما تثيرهُ الرياح من السهول والصحارى وترفعهُ بين الارض والسمآء فلا تترك لهُ مهلةً للقرار . ولو قرّ الغبار وسكن في طبقات الهوآء لحصل مشهد من اغرب المشاهد فكَدُرَ الجوّ واسودّ ورأينا النجوم نهاراً كما نراها ليلاً ولكنها تكون اقل ظهوراً . وقد صرح كثيرون ان من مصادر الغبار الجوّي النيازك فانها متى بلغت الهوآء اتّقدت فصار اكثرها غباراً وهي كثيرة جدًّا فلو لم يكن غيرها من اسباب الغبار الجوّي لكفت ان تكون سبباً لزُرقة الجوّ . فتأمل (النشرة الاسبوعية)

اسئلة واجوبتها

بيروت — ارجو الجواب على هذين السؤالين

(١) قرأت في كلام بعض المحدثين ان امرأ القيس كان نصرانياً وهو الذي اثبتهُ مؤلف كتاب شعرآء النصرانية اذ عدَّ امرأ القيس في جملتهم . وقد جاء في هذا الكتاب ايضاً ان امرأ القيس طلّق زوجتهُ امّ جندب لانها حكمت بافضلية علقمة الفحل عليهِ في الشعر. فكيف يوفَّق بين هذين القولين وهل كان الطلاق محللاً عند الامة المسيحيّة من قبل وحُرّم حديثاً ام القول بنصرانيتهِ زعمٌ لا صحة لهُ

(٢) من اشعر شعرآء الجاهلية ومن اشعر شعرآء الاسلام

محمد اسعاف النشاشيبي

الجواب — اما نصرانية امرئ القيس فمن الدعاوي التي لا يمكن اثباتها واول دليل على انتفآئها امر الطلاق المشار اليهِ وهو مما لا يقول نصرانيٌّ بجوازهِ لمثل السبب المذكور . على ان الطلاق كان امراً مباحاً في عشيرتهِ فان اباهُ من قبلهِ طلّق امرأتهُ ام سعد بن الضباب . قال الوزير ابو بكر عاصم بن ايوب وسعد هذا اخو امرئ القيس وذلك ان ام سعد كانت تحت حُجر ابي امرئ القيس فطلَّقها وهي حامل ولم يعلم بها فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشهِ فلحق بهِ نسبهُ وسقط نسبهُ الى حُجر . اه . وبعد فانهُ لم يرد فيما نقلوهُ ان النصرانية كانت في كندة بل الذي ذكرهُ التوحيدي ان كندة كانت فيهم اليهودية . والذي يظهر لنا ان امرأ القيس كان يعبد الوثن ودليلهُ

ما نقلهُ الوزير ابو بكر المشار اليهِ في ترجمتهِ من ان القيس اسم صنم قال ولهذا كان الاصمعي يكره ان يروي « يا امرأ القيس فانزلِ » وكان يرويهِ « يا امرأ الله فانزلِ » اهـ . والظاهر ان ما ذُكر من ان القيس اسم صنم لا ريب فيهِ كما يدلُّ عليهِ تسمية عبد القيس وهو ابو قبيلة من اسدٍ . ومن الادلة على انتفاء نصرانية امرئ القيس قولهُ في ذمّ قيصر

اني حلفتُ يميناً غير كاذبةٍ　　لأَنتَ أَقلَفُ الا ما جنى القمرُ

فعيَّرهُ بانهُ اقلف وهذا لا يعيَّر بهِ نصرانيٌّ لان النصارى كلهم كذلك

واما اشعر الشعرآء فالذي عندنا انهُ في الجاهلية زهير بن ابي سلمى المُزَنيّ وفي الاسلام المتنبي والله اعلم

القاهرة — جنحت نفسي للمطالعة في كتابكم المسمى نجعة الرائد فتناولتهُ وقرأت فيهِ ما جعلني الهج بالثنآء عليكم والدعآء لكم بالتوفيق ولكني وقفت عند كلمات في صفحة ١٩٢ تكاد ان تكون من باب واروا الميت التراب وخلّدوها بطون الاوراق وهي « بُوّئ جدثَهُ وأُنزِل حفرتَهُ وأُرهِن رمسَهُ وأُودِع لحدَهُ ووُسِدَ الضريحَ ووُسِّد التراب » اذ هي على ما يظهر لي انها من اسمآء المكان المختصة التي لا تصلح للظرفية فارجو من حضرتكم ازالة اللبس عن هذا الاشكال بالجواب في ضيآئكم الأغرّ ولكم الشكر مني سلفاً　　عطية حسنين

بدائرة المرحوم محمود باشا البارودي

الجواب — الصحيح ان نصب هذه الاسمآء انما هو على المفعولية لا

على الظرفية لان كلاً من الافعال قبلها يتعدى الى مفعولين . وبيانهُ انك اذا رددت هـذه الافعال الى مطاوعاتها تقول تبوّأ الدارَ ونزل الواديَ وارتهن السلعةَ واستودع المالَ وتوسّد الفراشَ فتنصب كل هذه الاسمآء على المفعولية . ومعلومٌ ان الفعل المتعدي اذا عُدّي ايضاً بقي مفعولهُ على حكمهِ فتقول لبس زيدٌ الثوبَ وألبستهُ الثوبَ فلا يتغير الثوب في المثال الثاني عن حكمهِ في الاول وقس على ذلك ما اشبههُ . وهذا لا يتأتى في مثل قولهم واروهُ الترابَ وقولهِ خلّدوها بطونَ الاوراق لانهُ لا يقال في المطاوع توارَى الترابَ ولا تخلَّد بطونَ الاوراق فلم يبقَ الا ان الاسمين منصوبان على الظرفية وهي ممتنعة فيهما لما ذكرتم

آثار ادبيّة

الرياض — عنوان مجلة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية لحضرة صاحبها الفاضل حسن افندي صدّيق . وقد انتهى الينا الجزء الثاني منها فالفيناهُ مشتملاً على عدة مباحث مفيدة في المطالب المشار اليها منها مقالة في الرياضيات عند المصريين ومقالة في احكام الشعر ومقالة في تاريخ الفيلسوف لبنز الالماني وغير ذلك مما نحضّ المتأدبين على مطالعتهِ . والمجلة تصدر مرةً في الشهر في اربعين صفحة وقيمة اشتراكها خمسون قرشاً مصرياً فنتمنى لها الثبات والانتشار

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٣ —

الاشباح الراقصة

قال الدكتور وطسن كنت يوماً في غرفتي مع صديقي شرلوك هولمز فقضى ساعات متتابعة في سكوت تام وقد حنى ظهرهُ ليفحص بانتباههِ المعتاد اناءً فيهِ بعض الاجزآء الكيماوية . ثم رفع نظرهُ اليَّ بسرعة وقال اذاً قد صممت على عدم المخاطرة بشرآء اسهم معادن الذهب الافريقية ؟ ومع علمي بمقدرة شرلوك على كشف الاسرار وملاحظاتهِ الدقيقة لم اتمالك ان اظهرت شديد الاستغراب لاطلاعهِ على بعض اسراري الخصوصية والتي لم افه بها لاحدٍ من الناس قط . فحدجتهُ ببصري وقلت لهُ قل لي بربك كيف علمت ذلك . فادار كرسيهُ ونظر اليَّ بابتسام وقال اذاً تعترف باني مصيب في ما قلتهُ . قلت نعم انت مصيب ولكن من اطلعك على هذا الامر وكيف عرفت سري لتأتي بمثل هذه المعجزة . فقال ليس في الامر معجزة ايها العزيز وطسن بل الامر من ابسط ما يوجد كما سأشرح لك . فانهُ من اسهل ما يكون ان يستعمل الانسان قوة عقلهِ لاكتشاف كل ما تصعب عليهِ معرفتهُ فاذا عرف النقطة الاولى فرض ما يتبعها وتوصل شيئاً فشيئاً الى كشف الحقيقة برمتها وانا من ملاحظتي حالتك واصابع يديك تأكد لي انك صممت على عدم شرآء الاسهم المذكورة . وذلك انني اولاً رأيت اثر الطباشير بين ابهامك والسبابة عند رجوعك امس من النادي . ثانياً علمت من ذلك الاثر

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

انك كنت تلعب بالبيلياردو. ثالثاً اعرف انك لا تتعاطى هذه اللعبة الا مع صديقك ثرستون. رابعاً اخبرتني منذ اكثر من شهر ان ثرستون الحّ عليك بشرآء بعض تلك الاسهم. خامساً ان اوراقك المالية محفوظة عندي ولم تطلبها فدلني ذلك على ان ثرستون لم يفز باقناعك ولم تقبل المشترى والا لكنت اخذت النقود اللازمة للمشترى. سادساً واخيراً تحققت مما ذكر انك صممت على عدم المخاطرة بشرآء تلك الاسهم. وكنت اسمع حديثهُ معجباً بكلامهِ وقلت اني لاعجب من توصلك الى هذه النتيجة البعيدة بهذه الطريقة البسيطة. فضحك حتى بانت نواجذهُ ثم نظر اليَّ وقد اخذ بيدهِ ورقةً فدفعها اليّ وقال خذ هذه وقل لي ما عساك ان تفهم منها. فاخذت الرقعة وفحصتها مليًّا ثم قلت لهُ اني لم افهم منها سوى انها لعبة صبيانية وان لم تكن كذلك فما هي اذاً. قال ذلك ما ارجو ان اتوصل اليهِ اجابةً لرغبة صاحبها المستر هلتون كيوبت فانهُ ارسل اليَّ هذه الرقعة وطلب مني ان احل رموزها واعداً انهُ سيأتي في القطار الثاني ليكلمني في شأنها واني اسمع الآن قرع الجرس الخارجي فلا اشك انهُ هو القادم. وما كاد شرلوك يتم كلامهُ حتى سمعنا وقع اقدام تقترب من غرفتنا ثم ظهر امامنا رجلٌ طويل القامة اشقر اللون حليق اللحية حسن البزة جميل الوجه فاقترب منا فصافحنا. وقبل ان يجلس وقع نظرهُ على تلك الرقعة التي كانت لا تزال في يدي فقال مخاطباً شرلوك علمت انك شديد الرغبة في حل المشاكل والمعضلات فارسلت اليك هذه في القطار الاول لتكون لك مهلة كافية للتبصر فيها وتبعتها انا لارى ما ذا عساك ان تستنتج من هذا الرسم الغريب. فاجابهُ شرلوك قائلاً لا شك انهُ رسمٌ غريب والذي يظهر منهُ لاول وهلة انهُ من مبتدعات الاطفال اذ ليس فيهِ الا رسم اشباح راقصة على طول القرطاس فلماذا اهتممت بهِ هذا الاهتمام العظيم وما الذي جعلك تنتبه اليهِ وتظنهُ شيئاً. فقال الرجل انني لم اهتمّ بهِ قط يامولاي ولكن زوجتي احوجتني الى البحث عن رموزهِ لانها خافت منهُ خوفاً شديداً بحيث انهُ لم يقع نظرها عليهِ حتى ارتسمت علامات الرعب على وجهها وفي عينيها مما دعاني الى البحث في امرهِ والكشف عن سرّهِ

ورفع شرلوك الرقعة فبان انها قطعة من دفتر جيب وقد رُسم عليها بقلم الرصاص هذه الصورة

فتأملها تأملاً مليًّا ثم طواها واودعها محفظة كانت في جيبهِ . ثم قال يظهر ان لهذه الاشباح سرًّا غريباً لا بدَّ لي من فحصهِ ولكنك لم تكتب لي التفصيل الكافي ايها العزيز كيوبت فهل لك ان تعيد لي الرواية شفاهاً ليشاركني وطسن في سماعها . فقال كيوبت لست ماهراً في سرد الروايات ولكنني اخبركم بما اعلمهُ واذا وجدتم في كلامي ما يستدعي الايضاح فنبهوني اليهِ . انني تزوجت منذ سنة ومع ان أسرتي لم تكن غنية فانها كانت منذ خمسة قرون متوالية في محل يسكنهُ اشراف القوم . وجئت لندن في السنة الغابرة لحضور حفلة اليوبيل فنزلت في فندقٍ وتعرفت فيهِ بفتاة اميركانية تدعى ألسي باتريك فتصادقنا واوصلتنا الصداقة الى الحب فاحببتها واحبتني وانتهى حبنا بان اقترنت بها هناك وعدت بها الى مسقط رأسي . ولا انكر انهُ من الجهل ان يقترن فتى شريف الاصل بفتاة غريبة لا يعرف عنها شيئاً ولكن لو رأيتم زوجتي لما استغربتم ذلك فانها صورة العفاف ومثال الطهارة والحب وكانها رأت ما لم انتبه لهُ انا فنصحتني ان اقلع عن محبتها او ان اتأخر الى ان اعرفها تمام المعرفة واعاشرها كما ينبغي . ولكني اجبت داعي الهوى ولم اصغِ لصوت الحبيب ولما رأت الحاحي قالت لي لا اخفي عنك ايها العزيز انني في حياتي السابقة أُجبرت على مخالطة اقوام لا يحسن ذكرهم ولا احب ان اعيد ذلك التذكار المحزن . فاذا تزوجت بي يا كيوبت اؤكد لك انهُ لم يكن في ماضي حياتي الشخصية ما يستوجب الخجل ولكني اشترط عليك ان تضرب صفحاً عن ماضيَّ فاذا رضيت باشتراطي فلا تجد زوجةً اشد امانةً مني على حبك وطاعتك واذا رفضت فاذهب ودعني استكمل ما بقي لي من حياة العزلة التي وجدتني فيها . اما انا فدفعني الحب الى ان وعدتها بما شاءَت وتزوجنا وحافظت على وعدي فلم افاتحها بشيء من الماضي . ومرت علينا هذه السنة ونحن في رغد عيش وسرور الى اول الشهر الماضي حين بدأت اقرأ

في وجه زوجتي علائم الضجر والقلق . فانهُ جآءها يوماً رسالة من اميركا عرفتُها من طابع البريد فما قرأتها حتى امتقع لونها ثم مزقتها وطرحتها في النار ولم تذكر لي شيئاً عنها ولا انا سألتها عن شيء ولكنها لم يأخذها قرار بعد ذلك ولم يفارق وجهها دليل الخوف كانها تتوقع خطراً جسيماً سيفاجئها . وكنت اودّ لو وثقت بي وشكت لي امرها ولكنها تمادت في الكتمان فتماديت في حفظ السكوت عملاً بوعدي لها وعلى الخصوص لاعتقادي التام ان ما يشغل افكارها ليس الا حوادث خصوصية لا علاقة لها البتة بما يشين شرفها او شرف زوجها . ومن الغريب في روايتي انني رأيت منذ اسبوع على خشب النافذة رسم اشباح راقصة مثل المرسومة على هذه الرقعة وقد رُسمت بالطباشير فظننت أنها من عمل ابن الحوذي فزجرتهُ فاقسم انهُ لا يعرف عنها شيئاً فامرت بمحوها غير مهتمّ بالامر . ولما كان المسآء ذكرت ذلك عرضاً امام زوجتي فاهتمت بهِ جدًّا وتوسلت اليّ ان اريها ما يرسم من مثل ذلك اذا حصل . ومرَّ علينا اسبوع لم نرَ فيهِ شيئاً حتى نسيت الامر فلما كان يوم امس وانا في حديقتي وقع نظري على هذه الرقعة التي امامكم وكانت موضوعة على المزولة فاخذتها واريتها لزوجتي • ولن انسى ما حلّ بها لدى مشاهدتها اذ اصابتها ارتعاش شديد وسقطت غائبةً عن الرشد ولما افاقت لم تعد الى حالتها الطبيعية بل بقيت مشرَّدة الافكار وقد غارت عيناها واصبحت كانها تنظر الى هوَّة هائلة امامها . فاخذت الرقعة وارسلتها اليك ايها العزيز شرلوك وانا ارجو ان تكشف لي شيئاً من امرها لانني لو ارسلتها الى رجال الشحنة لسخروا بي وعدوني معتوهاً . فاتوسل اليك ان تشير عليّ بما يجب ان افعلهُ لاني مع كوني فقيراً أحبّ زوجتي حبًّا شديداً ولا اتأخر البتة عن المدافعة عنها ولو كلفني ذلك بذل حياتي وما امتلك

وكان شرلوك يصغي لحديثهِ ويتأملهُ فلما فرغ من سرد قصتهِ قال لهُ أولم يخطر لك ان تسأل زوجتك مشاطرة سرها . قال معاذ الله ان افعل فقد وعدتها ان الزم الصمت فان شآءت هي ان تطلعني على ذلك والا فلن اجبرها ولكن ذلك لا يمنعني عن البحث بنفسي لعلي اتوفق الى حل اللغز . فقال شرلوك انني اعدك ان ابذل

جهدي في مساعدتك من الآن غير مدَّخرٍ وسعاً فقل لي هل تذكر انك سمعت بقدوم شخصٍ غريبٍ الى ناحيتكم . قال لا وليست ناحيتنا من الاماكن المأهولة حتى يختفي فيها الغريب غير انهُ يوجد على بعدٍ منا منازل للفلاحين يقبلون فيها الضيوف والمسافرين . فقال شرلوك لا شك عندي ان لهذه العلامات الهيرُغليفية معنى ربما تعذّر علينا الوقوف عليهِ ولكني لما كنت لا اسلم بوجود المستحيل فسأزاول قرآءتها غير ان هذه الرسالة قصيرة للغاية لا يسعني معها تعيين نقطة ابتدئ في البحث منها ويسوءني انك لم تأخذ صورة ما رُسم على النافذة بالطباشير فربما كان افادنا ذلك . اما الآن فاشير عليك ان تعود الى بيتك وتكتم الامر وتزيد انتباهك فاذا ظهر مثل هذه الرسالة فخذ صورتها وارسلها اليَّ في الحال واجتهد ان تعرف هل جآء البلدة غريبٌ او مسافر فاذا علمت شيئاً من ذلك فلا تتأخر عن ابلاغي وعرفني عن اقل حادث يحصل تر ني مستعدًّا في كل وقت ان اوافيك الى بيتك في نورفولك

وخرج كيوبت بعد تلك المقابلة تاركاً شرلوك غائصاً في بحار التأملات وكان طول يومهِ يأخذ تلك الرسالة الغريبة فيتفرس فيها مليًّا ثم يعيدها الى جيبهِ ولا ينطق ببنت شفة ومضى علينا اسبوعان لم يحدث فيهما ما يشير الى تلك الحادثة . وفي صباح احد الايام عزمت على الخروج من البيت فاستوقفني شرلوك وقال ابقَ اليوم ههنا فان لنا بك حاجة . قلت وما ذاك . قال قد جآءتني رسالة برقية من صديقنا كيوبت يقول فيها انهُ قادم لمقابلتنا فلا اشك انهُ وقف على شيء جديد يختص بالاشباح الراقصة فاذا كان قد ركب القطار بعد ارسالهِ الرسالة فلا يبعد ان يكون هنا بعد بضع ثوانٍ . ولم يكد شرلوك يتم كلامهُ حتى فتح باب غرفتنا ودخل كيوبت وقد بانت عليهِ علائم الضنك الشديد والسهر والقلق فالقى بنفسهِ على كرسي كبير وقال آه يا عزيزي شرلوك ان هذا الامر قد اقلقني اكثر مما كنت اتوقع واي امر اشدّ على الانسان من ان يعلم انهُ محاط باعدآء غير منظورين وغير معروفين يسعون في سلب راحتهِ واهلاك زوجتهِ . اجل انني ارى زوجتي المحبوبة تنحني امامي شيئاً فشيئاً الى القبر وانا لا استطيع ان امد اليها يد المساعدة . وقد حاولت مراراً

ان تفضي اليَّ بسرّها ثم نكصت مذعورةً قبل ان تبتدئ بالكلام. ولكنني توفقت من وجهٍ آخر الى الحصول على عدة رسوم كالذي احضرتهُ لك سابقاً وفضلاً عن ذلك فانني شاهدت الشخص الذي يرسمها. فانني بعد ان فارقتكم ورجعت الى بيتي نهضت صباحاً فوجدت على باب الحديقة من الداخل رسماً بالطباشير اخذت صورتهُ وهي هذه

ثم محوتهُ . و بعد يومين رأيت كتابة اخرى في نفس المكان وهذه صورتها

فانتظرت الى اليوم الثاني لعلي ارى شيئاً جديداً فلم اجد ومضى عليَّ ثلاثة ايام لم اكشف فيها شيئاً جديداً . ولما كان اليوم الرابع رأيت على باب الحديقة نفس الرسم الاخير فلم اهتمَّ باخذ صورتهِ . وفي الصباح التالي رأيت ذلك الرسم نفسهُ مرسوماً على بطاقةٍ قد أُلقيت على المزولة فساءني ذلك جدًّا وعزمت على معرفة الكاتب فكنت انام نهاراً واسهر ليلاً امام نافذتي بحيث اراقب جهات الحديقة ومدخلها وقد وضعت مسدسي بالقرب مني مصمماً ان اطلق النار على ذلك الشخص الذي يجتهد في سلب راحتنا . وعند الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة كنت ساهراً كما ذكرت فسمعت وقع اقدام ورآئي فالتفتُّ واذا بزوجتي المسكينة قد جاءت فقالت لي قم بالله يا كيوبت الى سريرك ولا تنهك نفسك بالسهر. فقلت لست بفاعل قبل ان اعلم من هو هذا اللعين الذي آلى على نفسهِ ان يكدر عيشنا . وفي تلك الدقيقة نظرت اليها فرأيتها قد اصفرّ لونها واقشعرّ جسمها وتقلصت عضلاتها. فنظرت الى الخارج حيث كانت شاخصة ببصرها فرأيت شبحاً قد تقدم من باب الحديقة وجعل يكتب عليهِ . فرفعت مسدسي واذا بذراعي زوجتي قد طوّقتا عنقي وجعلت تتوسل اليَّ ان لا افعل وتلح عليَّ ان اعود الى سريري وانام . فلم اصغ

لها سمعاً وخرجت الى الحديقة وبحثت فيها فلم اجد احداً . على ان الرجل لم يكن قد فارق الحديقة لانني لما خرجت صباحاً وجدت انهُ قد زاد على ما كتبهُ في الليل هذه الاشباح

فبقيت مشرد الخاطر الى المسآء واظهرت مزيد استيآئي من زوجتي لمنعها اياي عن اطلاق مسدسي على ذلك اللعين فكانت تؤكد لي انها انما فعلت ذلك خوفاً عليَّ لئلا يصيبني ضرر . اما انا فلم اشك في انها تعرف الفاعل وسبب فعله فزاد ذلك في قلقي وحيرتي وخطر لي ان اضع كميناً للرجل من الخدم والاعوان ولكنني لم اصمم على ذلك قبل ان استشيرك ايها العزيز فهل تشير عليَّ ان افعل ذلك . فقال شرلوك لا اقدر ان اجيبك بشيء الآن ولكن لا بد ان ننتظر يومين او اكثر فعد الى بيتك وانتظر افادتي واذا حصل شيء جديد فاعلمني . فانصرف كيوبت بعد ان ترك كل تلك الرسوم امام شرلوك وهو يؤمل ان لا يتقاعد شرلوك عن معرفة الحقيقة . وبعد انصرافهِ اخذ صديقي تلك الاوراق وجعل يفحصها واحدة واحدة وهو طوراً يتبسم وتارةً يقطب حاجبيهِ فلم اسألهُ عن شيء لعلمي انهُ لا يبخل عليَّ بتقرير الحقيقة حينما يتحققها هو . وقضى يومهُ في فحص تلك الاوراق وجزءا من اليوم الثاني واذا بهِ قد نهض عن كرسيهِ ضاحكاً حتى بانت نواجذهُ وجعل يطفر في الغرفة ذهاباً واياباً ثم اخذ ورقةً فكتب عليها رسالة وقال سأرسل هذه بالبرق فاذا اتاني جوابها على مثل ما قدّرت تيقنت فوزي وبلوغي الامنية فعسى ان يتم لي ذلك. ولما ارسل الرسالة جعل ينتظر الجواب على احرّ من الجمر في اليوم الاول والثاني واذا برقعة وافتهُ من كيوبت يقول فيها انهُ في المسآء السابق وجد على المزولة كتابة اكبر من سوابقها وارسل صورتها فكانت هكذا

فانحنى شرلوك على ذلك الرسم يفحصهُ بدقة وقد اظهر تعجبهُ واسفهُ ثم قال انا قد تهاونّا في الامر فصار من الواجب ذهابنا الى بيت كيوبت لان الحال يقتضي

الاسراع فيها بنا يا وطسن . وللحال تناولنا طعام الصباح واسرعنا فركبنا القطار وبلغنا نورفولك . وما ترجلنا على رصيف المحطة حتى رأينا اختلاطاً وغوغاء وسمعنا الناس يلهجون بامر قدوم رجال الشحنة . فسألت رجلاً عن الامر فقال ان زوجة كيو بت اطلقت عليه الرصاص فقتلتهُ ثم على نفسها فسقطت مجروحة وربما بقيت في قيد الحياة اذا عالجها الاطباء . فنظرت الى شرلوك هولمز فرأيتهُ قد امتقع لونهُ ولكنهُ وثب بسرعة البرق الى عربةٍ فتبعتهُ وجعلت الجياد تنهب بنا الارض حتى بلغنا بيت ذلك المسكين كيو بت . وما دخلنا باب الحديقة حتى استقبلنا احد مفتشي رجال الشحنة واسمهُ مارتن فلما رأى صديقي شرلوك دهش وقال لهُ اني اعجب من قدومك لان الجريمة حدثت في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فكيف امكنك ان تعرف بها وتأتي من لندن فتصل حال وصولي انا ايضاً . فقال شرلوك اني كنت متوقعاً ذلك فتركت لندن قبل حدوثهِ وسأشرح لك الامر بعد ان نقوم بمهمتنا ونفحص الدلائل فهل تريد ان نتعاون معاً ام تفضل ان تقوم بعملك منفرداً . فقال مارتن بل نتعاون على كشف الحقيقة معاً فهيا بنا للحال لان هذا الفحص لا يحتمل التأخير . وسعى شرلوك في تحقيقهِ فوجد ان الطبيب قد فحص الجثتين فكان كيو بت قد دخلت الرصاصة في قلبهِ فافقدتهُ الحياة للحال واما زوجتهُ فان الرصاصة دخلت في مقدم جبهتها فجرحتها جرحاً بالغاً ولكنهُ لم يكن فيهِ خطر على حياتها فرفعوها الى سريرها للاعتناء بها . وعند البحث لم يجدوا في الغرفة الا مسدساً واحداً مطروحاً بين الجثتين فلا يمكن الجزم بمعرفة القاتل فربما كان كيو بت الفاعل وربما كانت زوجتهُ . فاستدعى شرلوك الخادمة والطباخة فقالتا انهما كانتا نائمتين فايقظهما صوت طلق ناري تبعه طلق آخر فاسرعتا الى جهة الصوت فوجدتا كيو بت ملقى على وجههِ فاقد الحياة والدم يتدفق من صدرهِ وزوجتهُ الى جانب تسيل الدماء على وجهها ولكنها غير قادرة على النطق . فاسرعتا للحال وايقظتا الخادم فارسلتاهُ في طلب الطبيب وأحد رجال الشحنة ثم حملتا الزوجة الى سريرها. وأكدتا ان نافذة الغرفة كانت مقفلة من الداخل وان جميع ابواب البيت ونوافذهِ كانت مقفلة ايضاً

بحيث يتعذر دخول او خروج شخصٍ غريب عن البيت . و بعد ذلك طلب شرلوك ان يعادَ فحص الغرفة فانتقلنا اليها فوجدنا جثة كيوبت المسكين ولدى فحصها المدقق ثبت انهُ ليس بالفاعل لما ظهر من هيئة دخول الرصاصة في جسمهِ وعدم وجود اثر على كفهِ . واخذ شرلوك المسدس فوجد رصاصتين منهُ مفقودتين والاربع الرصاصات الاخر باقية فيهِ • فسأل المفتش هل استخرجوا رصاصة من الجثتين ليضاهوا بينها و بين رصاصات المسدس . فقال المفتش انهم لم يفعلوا ولا فائدة من ذلك . فقال شرلوك بل الذي ارى ان لذلك فائدة كبيرة لانني اعتقد ان ما حدث لم يكن من فعل كيو بت ولا زوجتهِ بل ان القاتل شخص ثالث والذي يؤكد لي ذلك انهُ لم يفقد من المسدس الا رصاصتان احداهما في صدر كيوبت والاخرى في رأس زوجتهِ وهذه الثالثة من اين اتت.ولما قال هذا اقترب من النافذة واشار الى ثقب فيها ثم اخرج سكيناً من جيبهِ فقطع في الخشب الى ان استخرج الرصاصة و بقينا جميعنا مبهوتين . فتبسم شرلوك معجباً بفوزهِ ثم قال قد تاكد لي من هذا الامر وجود ثالثٍ هو الفاعل وقد خرج ولا شك من النافذة بدليل ان الشمعة الموقدة قد سال الشمع منها الى الجهة المخالفة للنافذة مما يشير الى فعل الهوآء المندفع اليها من الجهة الاخرى•ثم وقع نظر شرلوك على محفظة ملقاة في ارض الغرفة فاخذها وفتحها امامنا فوجدنا فيها اوراقاً مالية بقيمة الف ليرة استرلينية فسلمها شرلوك الى المفتش للزومها في المحاكمة . ثم قال اننا قد حصلنا على كل ما ننتظرهُ من الفائدة في هذه الغرفة فهيا بنا الى الحديقة لعلنا نرى فيها ما يسهل لنا ربط حلقات هذه الرواية معاً . فخرجنا جميعنا الى الحديقة فرأينا امام النافذة آثار اقدام كبيرة و بعض الزهور مدوسة وقد تكسرت اغصانها فقال كفى فقد اتممت فحصي وحققت ظني فسأقبض على غريمي سوآء ماتت تلك الزوجة المسكينة او بقيت حية . ولكن هل يعرف احدكم نزلاً يدعى نزل ألريدج • فقال الشحني لا اعرف نزلاً بهذا الاسم ولكنني اذكر وجود شخص يدعى ألريدج منزلهُ في بقعة منفردة في آخر البلدة .فقال شرلوك نادوا لي واحداً من الخدم ثم اخرج من جيبهِ كل الاوراق التي

عليها صور الاشباح الراقصة وا ستحضر قلماً وقرطاساً فرسم مثلها وطوى الرسالة بعد ان عنونها باسم « نبا سلينه » وسلمها الى الخادم وقال لهُ اركب جواداً وانطلق في اسرع ما يكون الى بيت ألريدج فإذا بلغتهُ فسلم هذه الرسالة الى صاحبها واياك ان تذكر شيئاً مما يجري هنا . ولما انطلق الخادم طلب شرلوك من المفتش مارتن ان يأمر رجالهُ بالاستعداد لالقآء القبض على القاتل و بعد ان اتم تجهيزاتهِ دخل بنا الى المنزل وجلسنا ننتظر . واخذ شرلوك يقص على مارتن حديث تلك الاشباح الراقصة منذ وصول اول رسالة بعث بها اليهِ المسكين كيو بت ثم قال ولما كنت مولعاً بحل مثل هذه الرموز لم آلُ جهداً في فحص تلك الاشباح وقد تحققت انها لغة سرية. فاخذت الرسالة الاولى و بعد البحث الدقيق تقرَّر لديَّ ان هذه العلامة ⟨شبح⟩ هي حرف الألف لتكرُّرها وكان الشبح الممثل هذا الحرف يُرسم احياناً حاملاً راية ففرضت ان الراية علامة نهاية الكلمة وسرني ان ظني كان في محلهِ كما سيجيء . فوضعت اساس اكتشافي هذا الحرف ⟨شبح⟩ وجعلت ادرس الاشباح الاخرى حتى اتيت على بعضها ولا سيما بعد ان ارسل لي كيو بت رسم الرسائل التالية فتوصلت الى معرفة احرف اخرى من الكلمة الثانية وهي هذه ⟨اشباح⟩ ولدى المقابلة تحقق ظني فانتفى كل ريب . ولا انكر انني قضيت ساعات تعب وكد حصرت فيها قوة ادراكي ومنتهى تأملي حتى تمكنت من جمع كلماتٍ و بمقابلتها مع الرسائل التالية ثبت لديَّ ان الرسائل من شخص يدعى نبا سلينه الى ألسي زوجة كيو بت يعلمها فيها انهُ قد حضر وانهُ اقام في نزل الريدج وانهُ ينتظرها من دون ابطآء . وكانت احدى تلك الرسائل من الزوجة نفسها تقول فيها انها لا يمكنها اجابة طلبهِ وتلح عليهِ بمغادرة البلاد والا كشفت امرهُ

اما انا فراسلت شحنة اميركا وسألتهم هل يعرفون شخصاً اسمهُ نبا سلينه • وانما اخترت تلك البلاد لعلمي ان اول رسالة وردت على زوجة كيو بت واقلقت بالها كانت من اميركا• فورد اليَّ الجواب يقول ان هذا الاسم هو اسم اعظم شرير في شيكاغو • و بعد وصول ذلك الجواب اتتني رسالة من كيو بت وضمنها الكتابة

الاخيرة فحللت معناها للحال واذا بها تهديد من كاتبها يقول فيها « استعدي يا ألسي للموت » فعلمت ان حلقة الخطر قد ضاقت واسرعتُ بصديقي وطسن الى هنا غير انهُ لسوء الحظ تأخر مجيئنا وقضي الامر بوفاة ذلك المسكين ولكن بعد ان تسهلت لنا وسائط الانتقام لهُ • فقال المفتش مارتن اذاً لا بد لنا من المبادرة الى الريدج والقآء القبض على هذا الشرير قبل ان يفرّ من ايدينا • فقال شرلوك لا حاجة الى ان تتكلف عنآء المسير اليهِ فستراهُ قادماً الينا عن قريب • قال وكيف ذلك • فقال اني قد كتبت اليه الرسالة التي بعثتها مع الخادم بنفس اللغة التي كتب بها وعن لسان ألسي اطلب حضورهُ ولاعتقادهِ ان لا احد يعرف رموز تلك الكتابة سواها فسيصدق الدعوة ويلبيها عاجلاً فلنكن على استعداد لملاقاتهِ • وبعد قليل سمعنا وقع حوافر جواد ثم خطوات رجل يصعد السلم فوقفنا ورآء باب الغرفة فوصل القادم ودفع الباب فما بلغ الغرفة حتى انقضضنا عليهِ وشددنا كتافهُ ووقفت رجال الشحنة تحرسهُ • فنظر الينا مبهوتاً وهو لا يصدق ما يجري ثم قال انني اتيت بدعوة من السيدة ألسي كيوبت فهل لي ان اراها • فقال شرلوك انها في حالة الخطر الشديد ولا يمكنها مقابلة احد • فقال الرجل لا يمكن ان يكون ذلك وقد كتبت لي هذه الرسالة بخطها • فتبسم شرلوك وقال الرسالة ليست بخطها ولكني انا كاتبها فانني حللت رموز لغزك وتعلمت لغتك وقد وقفت على جلية امرك فلا فائدة لك من الانكار وعساك ان تقرّ بما يدرأ الشبهة عن تلك المسكينة • فتنهد الرجل وقد بانت عليهِ علامات الكمد وقال آه اني اود ان اموت حالاً ولا يصيب ألسي ادنى مكروه • واذ قد ظهر الامر فاعلموا يا سادتي انني واحد من عصابة اشرار في شيكاغو اشتهر امرنا وخافنا الجميع حتى الحكومة • وكان رئيس العصابة والد ألسي وهو الذي اخترع هذة اللغة السرية وعلمها لابنتهِ وهي تجهل تمام الجهل صفة ابيها وصفتنا فانها كانت ملكاً طاهراً ولا تزال كذلك • اما انا فاحببتها واحبتني ولكن قبل ان يتم عقد قراننا اطلعت على سرنا وعرفت امرنا فجحدت والدها وانكرت خطيبها وهربت الى انكلترا ولم نعرف مقرها الا بعد ان اقترنت بالمستر كيوبت.

فضاق صدري ولم احتمل ان يسلبني احد حبيبتي فتبعتها الى هنا وجعلت اراسلها واتوسل اليها ان تجيء اليَّ فلم تقبل وتهددتها فلم افلح • ثم توسلت اليَّ ان اوافيها ليلاً من نافذة الغرفة لتكلمني ففعلت ورأيتها قد احضرت لي مبلغاً من القراطيس المالية فتوسلت اليَّ ان آخذ المال واترك هذه الديار فلا اجلب الشقآء عليها وعلى زوجها • اما انا فلم انتصح ولم يهمني المال وحاولت ان اختطفها بالرغم عنها • واذا بزوجها قد دخل الينا شاهراً مسدسهُ واطلق عليَّ الرصاص فلم يصبني فاخذت مسدسي مدفوعاً بنار الانتقام واطلقتهُ عليهِ فسقط قتيلاً واطلقتهُ ثانيةً على غير هدى فاصبت حبيبتي وكنت قد نزلت من النافذة فشعرت باقفالها ورآءي • وخشيت ان يُعرَف امري فرجعت الى البيت الذي اقيم فيهِ ولم اعد اعلم شيئاً الى ان اتتني هذه الرسالة اليوم فطرت مسرعاً لالبي دعوة حبيبتي • فهآءنذا قد اعترفت لكم بكل شيء وانا مستعدّ لاكون تحت قيادتكم وانما اتوسل اليكم ان تسمحوا لي بمشاهدتها • فقال المفتش مارتن لا يمكن ذلك الآن بل تكرَّم باتباع هذا الرجل واشار بيدهِ الى الشحني فأخذهُ وقادهُ الى عربةٍ كانت بالانتظار نقلتهُ الى دار سجنهِ وأرانا شرلوك الرسالة التي كتبها اليهِ فاذا بها

ولدى مقابلتها على المفتاح الذي اوضحهُ لنا شرلوك علمنا انها تعني « تعال اليّ بدون تأخير » وكانت نتيجة المحاكمة ان حكم على ذلك الخبيث بالقتل ثم استبدل بالاعمال الشاقة لانهُ ظهر ان كيو بت كان البادئ باطلاق النار • اما ارملة كيو بت فقضت باقي ايامها في الحزن على زوجها ومؤاساة اليتامى والارامل والصلوات عن نفس ذلك الزوج المسكين الذي لو اطلعتهُ على سرها من البدآءة لم يقع عليهِ مكروه

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون كان ذلك عام كذا من التاريخ الميلادي او الهجري مثلاً فيضعون العام موضع السنة وهو لا يصلح لذلك دائماً . والفرق بينهما ان العام اربعة فصول السنة وبعبارةٍ اخرى هو من احد فصول السنة الى مثلهِ من القابل والسنة من يومٍ معلوم من العام الى مثلهِ من القابل فهي تبدأ من ايّ يومٍ اتفق والعام لا يكون الا فصولاً كاملة . قال في المصباح قال ابن الجواليقي ولا تفرق عوامّ الناس بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى فيقولون لمن سافر في وقت من السنة ايّ وقت كان الى مثلهِ عام وهو غلط والصواب ما أُخبرت بهِ عن احمد بن يحيى انهُ قال السنة من ايّ يومٍ عددتهُ الى مثلهِ والعام لا يكون الا شتآءً وصيفاً . وفي التهذيب ايضاً العام حولٌ يأتي على شتوةٍ وصيفةٍ وعلى هذا فالعام اخصّ من السنة فكل عامٍ سنة وليس كل سنةٍ عاماً

ويقولون قُبِض على اللصّ بمعرفة الشُرَط يعنون ان الشُرَط هم الذين قبضوا عليهِ لا أن القبض تمّ باطّلاعهم والقابضُ سواهم فيأتون بهذا التركيب الغريب وهو من لغة الدواوين

ويقولون في جمع الحارة حواري وهذا كجمعهم القهوة على قهاوي وقد تقدم ذكر ذلك قريباً وهو من كلام العامة ايضاً والصواب في جمعها حارات لانهُ لم يُسمَع لهذا اللفظ جمعٌ مكسَّر

ويقولون ما بالك بكذا وما بالك اذا كان الامر كذا اي ما ظنّك او

ما قولك مثلاً وانما البال في مثل هذا التركيب بمعنى الشأن والحال تقول ما بالك واقفاً وما بالك لا تتكلم اي ما الشأن الذي لاجلهِ تفعل كذا او لأي حال انت كذا

ويقولون فعل كذا في بادئ الامر اي في اولهِ وبدئهِ ولا معنى للبادئ هنا لانهُ اسم فاعل والمقام يقتضي المصدر او الظرف

ويقولون ادمن على شرب الخمر فيعدّون هذا الفعل بعلى وهو متعدٍّ بنفسهِ يقال ادمن الشرب وادمن العمل ولا يقال ادمن عليهِ

ويقولون تعهّد لهُ بكذا اي عاهدَهُ عليهِ وواثقهُ ولا يجيء تعهّد بهذا المعنى انما يقال تعهّد الشيء اذا تفقّدهُ وعاودَهُ مرةً بعد مرة

ويقولون حرّر الرسالة وحرّر الجريدة اي كتبها وانشأها والذي في كتب اللغة ان التحرير بمعنى اقامة حروف الكتابة واصلاح سقطها واستعمالهُ بمعنى الانشآء عاميّ

ويقولون تُبودلت كؤوس المسرّات بين الحضور وبعضهم وهو تعبير فاسد لان حاصل المعنى ان جميع الحضور بادلوا البعض كؤوس المسرّات . على ان البعض هم من جملة الحضور فيكونون قد بادلوا انفسهم ايضاً . والصواب اسقاط «وبعضهم» لان التبادل لا يكونُ الا مُشتركاً وحصولهُ بين الحضور يفيد ان بعضهم قد بادل بعضاً

ويقولون هذا الامر قد عُرِف من فلان يعنون ان فلاناً عرف الامر فيبنون الفعل للمجهول ثم يذكرون الفاعل المحذوف ويجرّونهُ بمن وهو من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية . واقل ما في هذا التعبير انهُ

كثيراً ما يؤدي الى الالتباس وذلك كما في العبارة المذكورة فانها تحتمل ان يكون المعنى ان هذا الامر قد عرفهُ الناس من فلان بل هو المعنى الصحيح الذي يُفهَم من هذا التركيب . ومثلهُ قولك أُخذ هذا الشيء من زيد وسُرِق من خالد واغتُصب من بكر وطُلب من عمرو وقس على ذلك كثيراً من الصور . هذا فضلاً عما في هذا التركيب من العبث لان الفعل انما يُبنى للمجهول ويُسنَد الى غير فاعلهِ اما للجهل بالفاعل او لقصد اغفال ذكرهِ فاذا صُرّح بذكر الفاعل بعد ذلك تدافع طرفا الكلام وجاء آخرهُ ناقضاً لما بُني عليهِ اوّلهُ

ويقولون اذنب فلان ضدّي وتعصب ضدّ فلان وحميت فلاناً ضدّ غريمهِ وكل ذلك من التعريب الحرفي ايضاً والصواب اذنب اليَّ وتعصّب على فلان وحميتهُ من غريمهِ

ويقولون استقلّ السفينة واستقلّ القطار اي ركبهُ واستوى عليهِ وهو استعمالٌ غريب لانهُ يقال استقلّ الشيء اذا رفعهُ وحملهُ فهو على عكس المعنى الذي يريدونهُ كما ترى

ويقولون استطرد العمل واستطرد الحديث اي تابعهُ ومضى فيهِ وليست اللفظة في شيءٍ من هذا المعنى والذي في كتب اللغة يقال استطرد الفارس للفارس اذا اراهُ انهُ منهزمٌ امامهُ فاذا تبعهُ وانفرد عن الصفّ عطف عليهِ فطعنهُ . واشتهر في كلام المولدين استطرد لذكر كذا وهو ان يذكرهُ في غير موضعهِ فيمهد لهُ وجهاً لذكرهِ وهو مجازٌ عن الاول كما لا يخفى ولم يرد الاستطراد في غير ذلك

ويقولون مدرسةٌ علياء فيأتون بهذا اللفظ ممدوداً وهو غلط لان افعل التفضيل يؤنث على فُعْلَى بالقصر مع ضم الفاء[1] واما العلياء بالمدّ فمعناها المكان المُشرِف وهي اسمٌ بمنزلة البيداء والصحراء وما جرى مجراها وهي بفتح الفاء

ويقولون هذا من المصالح الدائمية يعنون الدائمة فيزيدون عليهِ ياء النسبة لغير معنى وهو غريب　　(ستأتي البقية)

ما وراء زمن التاريخ

من البديهي ان زمن التأريخ لم يبدأ الا بعد استنباط الكتابة والشروع في تدوين الحوادث ويختلف عهدهُ في كل بلاد تبعاً لحالة الحضارة فيها وزمن دخول الكتابة بين اهلها فهو في اوربا لا يتعدى ١٥٠٠ سنة قبل التاريخ الميلادي وفي مصر ينتهي الى ٤٠٠٠ سنة قبل التاريخ المذكور. واما قبل ذلك فلم يكن لشيءٍ من الامم تاريخٌ مدوَّن وانما كانت اخبار السلف تُتناقل بالرواية والسماع وربما أُفرغ حديث الوقائع الكبرى منها في قالب النظم تسهيلاً لحفظهِ واستظهارهِ كما فعل اوميروس وغيرهُ من شعراء الدهر القديم . بيد ان تلك المنظومات التقليدية قد اعتورها ولا ريب كثيرٌ

---

(١) اما استعمال هذه اللفظة مؤنثة مع التنكير على خلاف المنصوص عليهِ في قواعد هذا الباب فالذي حققهُ غير واحد ان ذلك انما يمتنع عند قصد المفاضلة اي عند اقتران لفظ التفضيل بمن ولو مقدَّرةً كما اذا قيل زيد طويل وهند اطول اي اطول منهُ فلا يقال وهند طولى . فاذا قصد بهِ مجرد الوصف بالزيادة جرى كغيرهِ من الصفات فيقال امرأة فضلى ورجال افاضل وهلم جرًّا

من التبديل والزيادة في اثنآء تداوُل الرواة لها عصراً بعد عصر بحيث انها لم تبلغنا الا بعد ان تنكرت فيها صور الوقائع ودخلها كثيرٌ من الخرافات والقصص الموضوعة ولذلك كان غالب ما فيها لا يصلح لتقرير الحقائق التأريخية اللهمَّ الا فيما يختص بالعادات والشرائع وما جرى مجراها مما كان لآخر عهد اولئك الرواة

وفضلاً عن ذلك فان تلك التقاليد لم يرد فيها الا الشيء النزر مما يتعلق بخاصة بعض الامم وذكر شيء من مشهور وقائعها ولم يكن ما رُوي فيها الا من الحوادث المتأخرة التي حدثت بعد ان تجيّلت الاجيال وتحيزت الامم واصبح للانسان شؤونٌ اجتماعية وبعبارةٍ اخرى بعد ان خرج الانسان من حال الهمجية المحضة وصار على شيءٍ من الحضارة . وبقي ورآء ذلك من النوازل الكونية والحوادث العمرانية وتطوُّرات الانسان في الصناعة والسكنى والمعاش وسائر احوال المدنية مما استغرق مئاتٍ كثيرة من القرون ما سُدِل دونهُ حجاب الغيب وُطوِي بين تضاعيف الايام

ولا ريب ان الوصول الى معرفة ما كان في تلك العصور النائية مما لا سبيل اليهِ غير ان المباحث الجيولوجية قد أدّت الى كشف كثيرٍ من الخفايا المحتجبة ورآء ظلمات القِدَم وابدت لنا من آثار الاولين ما دلّ على ما كانوا عليهِ في الجملة بل دلّ على كثيرٍ من مفصَّل احوالهم ووقائعهم وما مرَّ بهم من الحوادث وتنقلوا فيهِ من الاطوار . وذلك ان اصحاب هذا العلم يقسمون تأريخ الارض الى اربعة ادهر يتقدمها دهرٌ خامس يُعرَف بالدهر الفلكي وهو الزمن الذي تمَّ فيه تكوُّن الارض وانتهى بظهور بعض الانواع

الدنيئة من الكائنات العُضوية كالطحالب والخَشاش وهي ما لا دماغ لهُ من الحيوان . والدهر الاول بعدهُ هو الذي رسبت فيهِ التربة الاولى المتجمعة عن احتكاك الصخور وفعل السيول والامطار وفيهِ ظهرت الحيوانات القشرية والهُلامية ثم الاسماك والحشرات الاولى التي انقرضت في الازمنة التالية . وظهرت في الدهر الثاني الاشجار الدائمة الخضرة وبعض انواع الحشرات . وفي الثالث الاشجار التي تجدد خضرتها كل سنة وذوات الاثدي من الحيوان . وفي الرابع ظهر الانسان والحيوانات الداجنة والنباتات البستانية وينتهي هذا الدهر بانتهاء الانقلابات العامَّة وثبوت البرّ والبحر على ما هما عليهِ الى هذا اليوم . ويقدّرون مدّة هذه الادهر الاربعة بنحو ٢٤٠ الف سنة ولهم في كل واحدٍ منها تفاصيل طويلة ليست من غرضنا في هذا الموضع

واول من شرع في البحث عن آثار الانسان في الطبقات الجيولوجية رجلٌ من علماء الفرنسيس من اهل القرن الغابر يقال لهُ بُوشاي فانهُ عثر على قِطَعٍ من الصوّان المنحوت في تربة الدهر الرابع ثم عثر على فكّ انسان وبقايا اخر من هياكل بشرية من الدهر المذكور وبعضها من الدهر الثالث استدلَّ منها على شيء من احوال الانسان في العصور الخالية ومذ ذاك تنبه العلماء للبحث عن هذه البقايا فنشأ عن ذلك علمٌ قائمٌ بنفسهِ يُعرَف بعلم ما وراء التاريخ

وهذا العلم لا يُستنَد فيهِ الى شيء من الروايات التقليدية ولكن مرجعهُ الى ما يسمَّى بعلم الرُفات (الباليونتولوجيا) ومدارهُ على الدفائن التي

توجد في طبقات الارض من رُفات العظام البشرية وما يوجد معها من الآلات والمواعين مما يُستدَلّ بهِ على اوائل امر الانسان وتدرُّجهِ في اطوار الحضارة في كل عصرٍ من تلك العصور المتطاولة . وقد تبيَّن من فحص تلك المخلَّفات انهُ في اول عهدهِ لم يكن يعرف من الادوات والاسلحة الا الظرار وهي شظايا من حجر الصوّان كان يكسر بعضهُ ببعض او يوقد عليهِ حتى يتشقق و ينفصل بعضهُ من بعض ثم يختار منهُ ما كان ذا اطرافٍ حادّة يستعملهُ في ذبح الحيوان ويدافع بهِ عن نفسهِ . ثم توصل بعد ازمان الى نحت تلك الظرار وتسوية وجوهها ولعلهُ كان يحكّ بعضها ببعض حتى يزول ما فيها من الأَمْت والخشونة وهو اول عهدهِ بالصناعة . ولبث على ذلك زماناً آخر ثم انتقل فجأةً من استخدام الصوّان الى استخدام حجر الجاد وهو نوعٌ من الصخر شبيهٌ بالصُلّبيّ اي حجر المسنّ زيتيّ اللون او رماديُّهُ شحميّ البنآء كان يتخذ منهُ ادواتٍ مختلفة كالفؤوس والمُدَى ونصال السهام والمزاريق فارتقى درجةً اخرى في الصناعة . وكان في هذا العصر كلهِ وهو اطول العصور التي مرّت بهِ لا اداة لهُ الا تلك الحجارة ولذلك يُعرَف بالعصر الحجري

ويأتي بعد ذلك عصران آخران احدهما عصر الحديد والآخر عصر الشبَه او الشبَّان وهو معدنٌ شديد الصلابة يُتَّخذ من مزيج من النحاس والقصدير . ولا يتعين السابق من هذين العصرين لانهُ في بعض البلاد تُرَى الأدَوات الحديدية سابقة لأدَوات الشبَه وفي بعضها بالعكس فالظاهر ان هذين المعدنين كانا متعاصرين لكن في جهاتٍ مختلفة

من الارض ثم عمَّ استعمالهما . وذلك انهُ في اوربا عامةً وُجد زمن الشبه سابقاً لزمن الحديد وفي سيبيريا وُجد في مكان الشبه النحاس وبعكس ذلك في افريقيا فان الحديد وُجد تالياً للحجر ولم يدخلها الشبه الا بعد انتشار الحضارة ورد عليها من آسيا

ثم انهُ في اواخر الدهر الرابع نشأت صناعة الخزف وكانوا اولاً يصنعون منهُ اواني يجففونها في الشمس ثم توصلوا الى طبخها بالنار . وقد وُجد شيءٌ كثير من تلك الاواني في بلاد الدنمرك ووُجِد بعد ذلك آنية من الصدف وادوات من قصب الحيوان وقد شُقّ طولاً لاخراج المخّ من جوفهِ

اما مساكنهم فقد اتى على الانسان دهرٌ طويل لم يكن لهُ مأوًى الا الكهوف ولم يتوصل الى بناء الاكواخ الا في عهدٍ متأخر . وكان كثيراً ما يرفع تلك الاكواخ على اعمدةٍ يركزها في وسط بحيرة او مجرى نهرٍ كبير فتكون مكتنفةً بالماء من جميع جهاتها. والاظهر انهُ كان يقصد من بنائها كذلك الاعتصام فيها من الضواري المفترسة وقد كانت ولا بدّ في ذلك الزمن اكثر مما هي لعهدنا هذا وربما قصد بها التحصن من الانسان نفسهِ . ولعلّ هذا هو السبب في بناء المدن المائية العجيبة التي اكتُشفت سنة ١٨٥٣ في بُحَيرة زوريخ من بلاد سويسرا وذلك انهُ في شتاء تلك السنة انحطّت مياه البحيرة كثيراً وكانوا يودّون اصلاح طوارها [١] اي الطريق الممتدّ على شواطئها فاخذوا في حفر جوانبها

(١) مأخوذ من طوار الدار بالفتح وهو ما كان ممتدًّا معها من الفناء اي الساحة التي امامها . تعريب quai

فوجدوا الاعمدة التي كانت قائمة عليها تلك الابنية و بتتبّعها وجدوا انها تجمع عدة مدن كانت قائمةً فوق المآء تؤوي الواحدة منها ما بين ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ نفس وحول كلّ منها صفٌّ من الاعمدة يقدَّر ان الغرض منهُ منع سفن العدوّ من الافضآء الى داخل المدينة . وقد وجدوا بين تلك الاعمدة كثيراً من بقايا الادوات المسكنية من حُطام آنية خزفية وعظام حيوانات وغيرها. وعثروا بعد ذلك على آثار كثيرٍ من تلك المدن المآئية على على طول شواطئ بحيرات سويسرا وكان بعضها لا يشتمل الا على ادواتٍ من حجر و بعضها يشتمل على ادوات من الحديد او من الشبَه ووُجد في بعضها ادوات من عظام الرنّة وهي من حيوانات الشمال قد نُقش عليها امثلة حيوانات او نباتات محكمة الحفر مما يدل على ان الصناعة في ذلك العصر كانت قد بلغت شيئاً من الكمال

هذا محصَّل ما ذكروا من الكلام على آثار الانسان قبل عهد التاريخ مما عثروا عليهِ في نواحي اوربا وسيبيريا وافريقيا و بقي الكلام على مثل ذلك في بقية آسيا وأستراليا واميركا ولم نجد في ذلك ما فيهِ غنآء . لكن تقدم في الكلام على العصر الحجري انهم وجدوا في جملة تلك المخلَّفات ادواتٍ من حجر الجاد وهذا الحجر ليس من صخر اوربا وانما هو من حجارة جنوبي آسيا وقد استُدِلّ من وجودهِ في اواخر مدة العصر الحجري بعد ان لم يكن قبلهُ في كل ذلك العصر الطويل الا الصوّان فضلاً عن ان صنعتهُ تخالف صنعة الادوات الصوّانيّة على انهُ لا بدَّ هنالك من حدوث طارئٍ عظيم طرأ فجأةً على البلاد الاوربية فاحدث فيها ذلك الانقلاب .

وقد تبين من الاطلاع على اللغة السنسكريتية والزندية ان بينهما وبين اكثر لغات اوربا تناسباً في كثير من الاوضاع والاحكام مما يشير الى ان لجميعها اصلاً واحداً هو اللغة الآرية . فاستُدلّ من ذلك كلهِ على ان اقواماً من الآريين هاجروا في ذلك الحين الى الغرب وانتشروا فيهِ وكانوا عدّة قبائل قيل كانت مساكنهم بارض لموريا وهي برٌّ واسع بجنوبي الهند طغى عليهِ البحر على اثر انخسافٍ حدث في تلك الناحية فنجا من نجا منهم ولحق بالبلاد الاوربية وذلك في اواخر الدهر الرابع . ثم امتزجوا باهل اوربا فانتقلت ملامحهم وهيآتهم الى السلائل التي امتزجوا بها كما يتبين ذلك في الامم الجرمانية والصقلبية وغيرها وكانوا ارقى مدنية منها فاقتبست من صناعتهم ولا يزال اثر ذلك فيها الى هذا اليوم والله اعلم

حديقة السوسن

لحضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي

(تابع لما قبل)

— ١ —

من انت ايها الرجل النشوان بخمرة غرورك . ومَن هي المرأة التي تتبعك اتباع الظلّ وتمتزج بك امتزاج المآء بالراح في معايشك ومصيرك . أليس ان اسم « الانسانية » يشملكما معاً ويربط احدكما بالآخر رباطاً لا انفكاك لهُ بلا امتياز بينكما ولا تفريق

أليس ان وحدة النوع جعلتكما كياناً واحداً ذا شطرين متحدين روحاً ومعنًى وصورةً وان كنتما منفصلين وجوداً وجسماً ووظيفة

أرأيت في عمرك أرومةً في روضةٍ ذات جذعين يختلفان في الإثمار فيكون جنى احدهما حلواً وجنى الآخر مرًّا . كلاَّ ان الشجرة الواحدة وان كانت ذات جذعٍ او جذوع لا يمكن ان تكون طبعاً الاَّ ذات ثمارٍ متشاكلة ومزية واحدة تجانس فروعها وجذوعها وتماثل ازهارها واوراقها

فما بالك إذن ايها الرجل تنسب الى المرأة وقد نبتَّ واياها من أرومةٍ واحدة اخلاقاً احطَّ من اخلاقك او طبائع اخسَّ من طبائعك ومدارك ادنى من مداركك . تقرّر لنفسك عليها مزية التفوُّق والافضلية في الخُلق فتحسبها كذوباً وانت الصادق . محتالةً وانت المستقيم . ماكرةً روَّاغةً حمقآء وانت السويُّ العاقل الحكيم . ترميها بالخيانة وتستأثر بالوفآء . وتريدها ذليلةً ممتهنةً وانت العزيز المنَّع . قضيتَ بان تكون محكومةً وانت الحاكم . واسيرةً وانت المطلَق . وخادمةً وانت المخدوم

عجبي بك ايها الظالم لنفسك اكثر مما لها كيف تطمع ان تكون جنَّتك وانت لها نار . ونعيمك وانت لها شقآء . ومُحبَّتك وانت لها مبغض . تستمدّ من بنانها الراحة وانت لها تعب

افرأيت شريكاً تضمر لهُ غدراً فيفي . وتظهر لهُ العداوة فيسالم . تقابلهُ بالعبوسة والمقت فيبشُّ . تريد بهِ السوء فيُخلِص . تحاول اهتضامهُ فيسرُّ . وتسومهُ الذلة فيجأُّك ويرفع قدرك . لا لعمر الله فانهُ ولا جدال يكايلك صاعاً بصاع . وهيهات ان تحصد الا مما زرعت

كن اذن على يقين انك لم تظلم المرأة بل ذاتك ظلمت اذ توهمت ان استعلآءك عليها واذلالك لها وسلبك حقها سيعود عليك بالفوز والهنآء

والغنم . مع انهُ كان ولا يزال مجلبةً للغمّ ومدعاةً للبؤس والهمّ . أفتستريح وشطرك المتمم كيانك متعَب . او تلتذّ وأليفك الملازم لك مُوجَع . وهل يمكن ان تسعد ورفيقك شقيّ او تعتزّ وجارك ذليل

لما رأى ارسطو[١] مرشد ذي القرنين عتوّ تلميذهِ الاسكندر وشدة الجبروت والغطرسة اللذين يعامل بهما الامم استبداداً في الحكم ونزوعاً الى الاطلاق في السيادة قال لهُ ناصحاً « لا ينفعك ان تؤسس عرشك

(١) هو الفيلسوف اليوناني الشهير اكبر حكماء التاريخ ولد في ستاجيرا بمكدونية سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ في مدينة خلكيس . تتلمذ في آثينا لافلاطون في السنة السابعة عشرة ولبث يتخرج عليهِ زهاء العشرين عاماً فُعدَّ رأس الفلاسفة المعروفين بالمشائين . وسمي المعلم الاول لانهُ اول من وضع التعاليم المنطقية وقرر قواعدها ومنزلتهُ منها منزلة واضع النحو ابي الاسود او واضع العروض الخليل بن احمد . فلما مات افلاطون برح اثينا واقام في جزيرة لسبوس فورد عليهِ سنة ٣٤٣ رقيمٌ من فيلبس المكدوني يطلب اليهِ ان يكون استاذاً لابنهِ الاسكندر ومما قال في ذلك الرقيم « اني لم اهنأ بولادة ابني بمقدار هناءي لولادتهِ في ايامك » فاجابهُ ارسطو الى طلبهِ وعلّم الاسكندر وثقفهُ ما امكن التثقيف لرجل كالاسكندر جبار عنيد . فكان ذا منزلةٍ سامية في بلاطهِ و بلاط ابيهِ وكانا لا يبرمان امراً خطيراً من امور الملك دون استشارتهِ والاخذ برأيهِ . وبهذا ومثلهِ كانت تسود الملوك . ولقد قلت

لا تزعمنْ ان المراتب خصصت بذوي القرائح والفؤاد النيرِ
لو كان قدر العلم يعطي منصباً لغدا ارسطو سيد الاسكندرِ

ومن حكم ارسطو البالغة قولهُ « كن عبداً للحق فان عبد الحق حرّ » و « انما فضّل الناس على البهائم بالنطق فأحقهم باسم الانسانية أبلغهم منطقاً »

على الرؤوس بل على القلوب » يعني ان خضوع الرعية لهُ انما يكون بامتلاك قلوبها والتحبب اليها لا بقهرها واستذلالها فان الملوك لا يثبت سلطانهم بين محكوميهم بالقسوة والعنف بل بالاستيلآء على عواطفهم ومعاملتهم بالرعاية واللطف

وهذا القول عينهُ يصدق على المرأة بالنسبة الى الرجل لانهُ اذا كان اسكندر الكبير مع قوة سلطانهِ وبسطة يدهِ وسعة اقتدارهِ لا يستطيع ان يسود رعاياهُ دون ان يعدل فيها ويرفق بها وينتصف من نفسهِ لها فكيف يتأتى لك ايها الرجل ان تكون سعيداً في عيشك منعماً في بيتك هنيئاً بين سربك مع كونك تبني سيادتك على رأس المرأة لا على قلبها

كن قوقاسيًّا آسويًّا . او زنجيًّا افريقيًّا . او هنديًّا اميركيًّا . بل كن ما شئت عربيًّا او تركيًّا . بوذيًّا او برهميًّا . مسيحيًّا او مجوسيًّا . دينًّا تقيًّا . او معطّلاً طبيعيًّا . فلا محيص لك عن السلوك في رهطك وبين اسرتك وفقاً لهذه القاعدة العامَّة وهي « المرأة والرجل سوآء . والرابطة بينهما العدل والوفآء » فالعاقل الأَصيل الرأي من اذا رأى العبرة اعتبر واذا زُجرَ بحكمةٍ وصواب ارعوى عن الجور وازدجر

ان الأمــة الفرنسوية لما ثارت في اواخر القرن الثامن عشر فألقت عن عاتقها نير تحكُّم الملوك وحلَّت من عنقها ربقة استبداد السادات ومحت من صفحات قوانينها امتيازات الرؤسآء شاريةً بدمآء الآبآء حرية الابنآء وضعتْ نظاماً سمتّهُ «حقوق الانسان» وجعلت هذا النظام قاعدةً لحكومتها الجمهورية المؤسسة على مساواة حقوق الافراد

فالمادّة الاولى من هذا النظام مؤداها « ان الانسان حرٌّ في تصرفهِ مستقلٌّ باعمالهِ مطلقٌ في افكارهِ وتصوُّراتهِ واعتقاداتهِ لا جناح عليهِ ولا تثريب الا فيما يُلحِق ضرراً بغيرهِ من افراد نوعهِ او يأتي بحديثٍ يشوش الامن العام »

فهذه المادّة التي تحسب زبدة الحقوق البشرية والتي لاجلها أُريق دم عشرات بل مئات الوف من بني الانسان وعلى دعامتها القويمة تأسس نظام جميع الامم المتمدنة في هذا العصر وستتمشى في أجسام سائر المجتمعات القومية من قطبٍ الى قطب لم تضع فارقاً في الحرية الممنوحة بموجبها بين الرجل والمرأة ولم تخصص الرجل بالذكر عند بيان هذه الحقوق بل في قولها « الانسان » تركتها شائعة عامّة تتناول كل فردٍ من افراد الجنسين الرجال والنسآء بلا تمييز ولا تفريق . اما في الوظائف والواجبات فبين الجنسين تفاوتٌ بعيد وبونٌ شاسع لا مرية فيهِ ولا خلاف . من ذلك ان النسآء مُعفَيات من الجندية وحراسة الوطن والتكسُّب بشاقّ الاعمال وبواعث الابتذال لا لانحطاطهنَّ عن الرجال رتبةً بل لان هذه الاحوال لا تتناسب مع قواهنَّ الطبيعية وواجباتهنَّ الانثوية ولأنها تخلُّ بنظام المنزل الذي هنَّ الحاكمات فيهِ ووظائف الحمل والولادة والتربية . وهذه امورٌ تستلزم الراحة والتفرُّغ والتخلي عن الصنائع والمِهَن وما ورآءها مما خُصَّ بالرجال تحصيلاً للمجد والمال

والحاذق الصادق الحدس يدرك بالبداهة ماهية الفرق بين المنزلة والحقوق وبين الواجبات والوظائف . كما ان العاقل الخبير يشعر بادنى تأمُّل

ان حقوق المرأة التي سنّتها الحكمة منذ الازل ولكنها لبثت مَدُوسة تحت اقدام الجهل واستبداد الرجل حتى دفعها جيل الفرنسيس في أُخريات الدهور من الحضيض واقعدها على العرش قد انتشر سلطانها انتشار البرق في اطراف العالم الغربيّ وتسرَّبت احكامها في قليل من الزمان الى اكثر الممالك والشعوب الاوربية والاميركيَّة . ولما اصبحت عند اولئك الاقوام واجبة الرعاية جديرة بالاتباع مزّقت عن بصائرهم حُجُب العماية والجهل وعرجت بهم الى فلك الهداية والمعرفة ناقلةً إياهم من مهاوي الاستعباد والفقر والشقآء الى معارج الحرية والغنى والسعادة في فراديس الدعة والامن والهنآء

وهذا برهانٌ واضح على وجوب مساواة المرأة بالمنزلة والحقوق والتجافي عن اعتبارها مخلوقةً لتُحبَس في السراديب وتحجَب في القصور ورآء الستور مقصورةً حياتها على الاهتمام بارضآء الرجل والقيام بخدمته . وما ذلك الا لكونها بحسب زعمهم ادنى من الرجل رتبةً واقرب الى الشرّ . وهذا عين ما يعتقدهُ السواد الاعظم من الشرقيين في آسيا وافريقيا حتى اليوم اولئك الذين مع انتشار هذه الحقيقة الساطعة وظهور نتيجتها النافعة في اوربا واميركا لا يزالون يكابرون فيها جهلاً وعناداً

جملة الامر ان الرجل الذي يسعى بان يسلب المرأة شيئاً من حقوقها فانما يسلب ذلك الحق من نفسهِ لان الانسان الكامل طبيعةً بالنظر الى النظام المعاشي والعمرانيّ انما هو مركبٌ من ذكرٍ وانثى معاً ولا عبرة بالانفصال المحسوس عند الخوض في هذا البحث . فالرجل والمرأة يؤلفان

في عالَم الوجود الأُلفيّ كياناً واحداً لا كيانين . فاذا لم يكن الكيان بجملتهِ متناسب القوى متساوياً في الاعتدال وصحة المزاج معنى ومادّةً مرتبطاً كل عضوٍ منهُ بوظيفة التعاون مع الآخر قلباً وقالباً متواطئاً مجموعهُ على سلامة اجزآئهِ وحفظهِ وجلب المنافع لهُ ودرءِ المضارّ عنهُ لا يمكن ان يدوم صحيح الحيويَّة غير معرَّضٍ للآفات والعاهات ولا سالمٍ من الاعتلال والاختلال او على الاقل يلبث دون غيرهِ نمآءً وارتقآءً في سلَّم الحياة . وما دام كذلك فهو طبعاً غير هنيء العيش ولا سعيد

فماذا فعل الرجل اذن بما سلب من شطرهِ أَلم تعاقبهُ نواميس الكون العادلة على ما ابداهُ من الحيف بان صيَّرت كيانهُ المزدوج غير صحيح ولا سليم واقفاً عند اول درجةٍ من مرقاة المدنية ينظر الى من باعلاها وهو مسلوب القرار معدوم الهنآء والنعيم

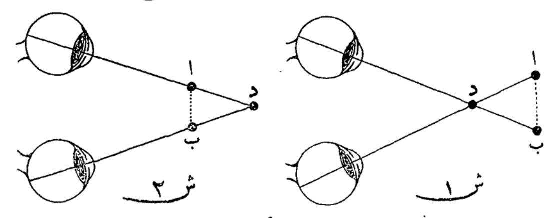
تلك لعمرك نتيجة عدم التعادل في كل كيانٍ موجود « وكلُّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب»　　　　ستأتي البقية

غرائب البصر (١)

اذا نظرنا الى شبحٍ فمن الضرورة ان صورة ذلك الشبح ترتسم على شبكية كلٍّ من العينين فكان ينبغي ان نرى هناك شبحين ولكننا مع ذلك لا نرى الا شبحاً واحداً . والسبب في ذلك ان كل نقطةٍ نيّرة من الشبح ترتسم على نقطتين من الشبكيتين توافقان عصباً واحداً من

(١) انظر صفحة ٢٣٨ و ٢٩٢

اعصاب الدماغ فتتحدان فيهِ وتؤديان الى الدماغ اثراً واحداً . ولاستثبات ذلك خذ انبوبين من المقوّي وضَعْ على مائدةٍ امامك شيئين متماثلين ككُرَتين صغيرتين مثلاً ثم انظر الى هاتين الكرتين من الانبوبين بان تضع كل انبوب امام احدى العينين على نحو ما في الشكل الثاني بحيث يكون امامك شبحان في الخارج فانك ترى الكرتين كرةً واحدة لكنها ابعد من مكان الكرتين على المائدة اي في مكان تقاطع محورَي البصر .

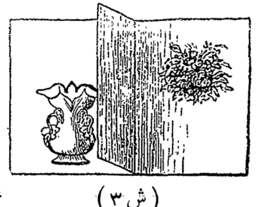


ثم ضع الانبوبين على شكل زاوية وأعد النظر الى الكرتين بحيث ترى التي الى اليمين بالعين اليسرى وبالعكس على نحو ما في الشكل الاول فانك لا ترى الا كرةً واحدةً ايضاً لكنها اقرب من مكان الكرتين في الخارج(١)

ولكي تقع صورتا الشيء الواحد على نقطتين متوافقتين من الشبكيتين لا بدَّ ان توجَّه العينان في الوقت الواحد الى منظورٍ واحد ولذلك اذا كان هناك شيئان مختلفا المسافة ووُجّه النظر الى احدهما لزم ان يُرى الشيء الآخر شيئين . وهو ما يمكن تحقيقهُ بالفعل اذا نظرت الى شبحٍ

(١) هذا ما ذكرهُ صاحب هذه المقالة وهو الذي اثبتهُ اشهر علماء الطبيعيات (انظر گانو صفحة ٧٣٢) وقد نقلناهُ عنهم في مثل هذا البحث في مجلد

على بعد ٥ او ٦ امتار مثلاً ثم رفعت احدى اصابعك فجعلتها بين عينك وذلك الشبح بحيث تكون على نحو ٣٠ سنتيمتراً من العين فانك ترى اصبعين شفّافتين يُرَى الشبح المنظور اليهِ من ورآئهما . وكذا اذا اضفت الى الاصبع الاولى اصبعاً اخرى على بعد ٧ او ٨ سنتيمترات وانت تنظر الى الشبح البعيد فانك ترى هناك اربع اصابع لكنك اذا حوّلت نظرك الى احدى الاصبعين رأيتها واحدة ورأيت ما سواها مزدوجاً


(ش ٣)

ومن غريب الامتحانات في ذلك انك اذا اخذت بطاقةً او نحوها ورسمت على احد جانبيها زهريةً مثلاً وعلى الجانب الآخر ضُمّة زهر على نحو ما في الشكل الثالث ثم وسّطت بين الرسمين بطاقةً اخرى تجعلها قائمةً على الاولى ثم نظرت بالعينين الى الزهرية وضُمّة الزهر بحيث تراهما معاً — وذلك بأن تضع انفك على البطاقة الفاصلة — فانك ترى الضُمّة فوق الزهرية . وقس على ذلك صُوَراً

السنة الاولى (ص ٧٤٠) . ولكنا عمدنا بعد ذلك الى امتحان هذا الامر فوجدنا ان القول الاخير غير صحيح فانهُ اذا تخالفت العينان في النظر الى الشبحين اي اذا نُظر الى ايمنها بالعين اليسرى والى ايسرهما باليمنى رُؤيا شبحين اثنين لا شبحاً واحداً كما يمكن كل احد ان يعيد هذا الامتحان بنفسهِ والظاهر انهم اثبتوا هذا القول من طريق القياس النظري على خلاف المشهور عن علمآء هذا العصر في اثبات القضايا العلمية

شتى كعصفورٍ في قفص وفاكهةٍ في صحفة وفارسٍ على فرس وهلمَّ جرًّا

وهناك امتحانٌ آخر تأخذ انبوباً من الورق طولهُ ٢٠ او ٢٥ سنتيمتراً وتجعلهُ على عينك اليمنى وهو مُمسَك باليد اليسرى ثم تنظر بالعينين معاً الى شيءٍ موضوع على مسافة بضعة امتار فانهُ يظهر لك ان العين اليمنى لا تراهُ ولكنك تراهُ باليسرى وحدها و يظهر لك كانك تراهُ من خلال خرقٍ في اليد اليسرى . واغرب من ذلك انك اذا اخذت الانبوب باليد اليمنى وادنيت الى يسارهِ من الخارج قطعة ورق صغيرة مربعة قد رُسم في وسطها دائرة سودآء فانك ترى هذه الدائرة كانها في داخل الانبوب

اما كيفية حدوث هذه المغالطات كلها فما يصعب ايضاحهُ ولكنهُ على الجملة مسببٌ عن وجود الفاصل بين العينين بحيث يتعذر اتحاد الصورتين المرتسمتين على الشبكيتين فيحدث عن ذلك هذا الاختلاط

مطالعات

اكتشاف قمر سابع للمشتري ـ ذكرت في الجزء التاسع من هذه المجلة خبر اكتشاف قمر سادس لهذا السيار اكتشفهُ المسيو پرّين في ٤ يناير من هذه السنة . وقد جآء بعد ذلك من نيويرك بتاريخ ٢٨ فبراير ان المشار اليهِ اكتشف لهُ قمراً سابعاً تبين من امرهِ انهُ يدور حول السيار دورةً مستقيمة اي من الغرب الى الشرق بخلاف القمر السادس فانهُ يدور حولهُ دورة متقهقرة من الشرق الى الغرب . اما سائر ما يتعلق

بهذين القمرين من بيان حجمهما و بعدهما عن سطح السيار ومدة دورانهما فلم يتحققوا شيئاً منهُ الى الآن
فريد البرباري

آثار ادبيّة

الهدى - عنوان مجلةٍ « اسلامية علمية ادبية عمرانية اصلاحية » لحضرة مديرها الفاضل سيّد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية . وقد وردنا الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات ونُبَذ في اغراضٍ شتى من المطالب المشار اليها منها بعد المقدمة مقالة في آراء حكمآء العرب ومذهب دروين ومقالةٌ في العلوم الاجتماعية ونبذة عن مسلمي القزان والبلغار وغير ذلك من المباحث المفيدة وكلها في عبارةٍ فصيحة محكمة النسج لنخبةٍ من أفاضل كتاب العصر . والمجلة تصدر في غرة كل شهر عربي في ثمانٍ وعشرين صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك فيها اربعون قرشاً في مصر والسودان واثنا عشر فرنكاً في الخارج . فنثني على حضرة مديرها الفاضل اجمل الثنآء ونرجوا لها الثبات والانتشار

تذكار المهاجر — اهدى لنا حضرة الشاعر المتفنن قيصر افندي ابرهيم المعلوف نزيل سان پاولو بالبرازيل نسخةً من ديوانٍ لهُ بهذا العنوان جمع فيهِ المنظومات التي جادت بها قريحتهُ في اثنآء اقامتهِ بتلك البلاد وهي تشتمل على اغراضٍ مختلفة من الشعر العصري فنشكر حضرة الناظم على هديتهِ النفيسة ونثني على قريحتهِ ثنآءً طيباً

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٤ —

راكبة الدراجة

قال الدكتور وطسن ولم يلقَ صديقي شرلوك هولمز بعد الحوادث المار ذكرها يوم راحةٍ فانهُ بقي من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩٠١ منهمكاً في قضآء عدد جسيم من المهمات المتعلقة بوظيفتهِ فلم يحدث في انكلترا حادث ولا واقعة غريبة الا كان لهُ دخل في كشفها وسبرغورها وابدآء رأيهِ فيها عدا الحوادث السرية الخاصة التي كان يفوّض امرها اليـهِ . ولا انكر انهُ اتفق لهُ ما يعرقل مساعيهُ في بعض تلك الامور ولكن هذا لا يذكر في جانب النجاح العظيم الذي صادفهُ وما ابدى من الذكآء المفرط الذي جعلهُ في منزلةٍ تفوق سائر البشر . ولا ادري اي امر يهمّ تدوينهُ قبل غيرهِ فانني لا اود ان اشرح معضلات الامور وفظائع الجنايات بقدر ما يهمني ان اصف مقدرة صديقي العقلية وقوة تصوره وذكآئهِ . وعليهِ فقد يخطر لي الآن ان اكتب قصة السيدة ڤيوليت سميث راكبة الدراجة لاظهر خاتمة تلك المأساة الغريبة

يبتدئ تاريخ هذه الحادثة في اليوم الثالث والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٩٥ وكان صديقي شرلوك اذ ذاك ملازماً الغرفة مستغرقاً في حل معضلةٍ تتعلق بمحاكمة رجل من افاضل الاغنيآء . وكنت قد عرفت من خلقهِ انهُ اذا رام ان يخلو بافكارهِ لا يحب ان يقاطعهُ احد ولذلك انزويت الى طرف الغرفة وجعلت

(١) بقلم نسيب افندي المعشلاني

اقطع الوقت بتلاوة بعض الرسائل التي كانت تردني من اصدقائي . وبينا انا كذلك اذا بباب الغرفة قد فتح ودخلت فتاة في مقتبل العمر غضة الشباب طويلة القامة جميلة المنظر ذات ابهة وشأن فحيت وتوسلت الى صديقي ان يمدها بمساعدته ومشورته . فاعتذر اليها شرلوك بقوله ان لديه اعمالاً كثيرة تمنعهُ من قبول اشغال جديدة . اما الفتاة فلم تقنع بقوله والحت عليه ان يسمع حديثها ويأخذ بيدها لانها كما قالت قد وضعت بقية رجآئها في الله وفيه . ولما لم يتمكن شرلوك من التخلص منها القى اوراقهُ الى جانب واعارها اذناً صاغية وهيئتهُ تدل على انهُ انما يسمع الحديث بالرغم عنهُ . فقالت الفتاة انا ابنة رجل يسمى جيمس سميث وكان ابي استاذاً للموسيقى في الملعب الملكي ثم توفي وتركني انا ووالدتي بدون نصير ولا قريب سوى عمٍّ يدعى رالف سميث كان قد سافر منذ خمس وعشرين سنة الى افريقيا فلم نعد نسمع عنهُ شيئاً . ولم يذخر لنا والدي شيئاً من المال فتركنا في حالة الفقر المدقع الى ان بلغنا يوماً وجود اعلان في جريدة التيمس بتوقيع احد المحامين يسأل عنا وعن محل اقامتنا فخطر لنا لاول وهلة ان قريباً مجهولاً توفي فترك لنا مالهُ وللحال اسرعت مع والدتي لمواجهة المحامي الذي نشر ذلك الاعلان . ولما وصلنا اليه رأينا عندهُ رجلين احدهما كهلٌ ويُدعى كاروذر والآخر فتى ويسمى وُدلي فاخبرانا انهما كانا في جنوبي افريقيا وقد عادا لزيارة الوطن وانهما كانا من اصدقآء عمي وانهُ مات فقيراً في مدينة جوهنسبرج وقد كانا عندهُ في ساعة احتضاره فتوسل اليهما عند نفسهِ الاخير انهما اذا رجعا الى الوطن يفحصان عنا ولا يتركاننا في حالة الفقر . فتعجبنا جدًّا من هذه الوصية لان عمي لم يكن يفتكر فينا قط في حياته فكيف ذكرنا في ساعة موته . فاخبرنا المستر كاروذر ان عمي علم بوفاة والدي فرأى من واجباته ان يهتم بامرنا . وكنت اراقب الشخصين فوجدت المستر وُدلي فتى فظ الاخلاق كرهتهُ وخفت من منظره لاول وهلة وهو ذو انفٍ اقنى وشعر اثيث منسدل على جانبي وجهه ولهُ عارضان لونهما مائل الى الحمرة فاجتهدت ان اتجنب النظر اليه وعلمت ان خطيبي سيريل مورتون ما كان يسمح لي بمخاطبته

لو حضر تلك المقابلة . اما المستر كاروذر فمع كونهِ اكبر سنّاً كان الطف منظراً وارقّ خلقاً و بعد ان سألنا عن كيفية معيشتنا وعلم اني من العارفات بفن الموسيقى سألني هل احب ان اعلم هذا الفن لابنتهِ فقلت لا مانع عندي سوى والدتي التي لا استطيع تركها وحدها . فقال اذا شئتِ ان تتعاطي هذا التدريس عندي فاني اسمح لك ان تزوري والدتك في آخر كل اسبوع وعين لي اجرة لذلك مئة ليرة في السنة . ولما كنا في حاجةٍ الى مثل هذا المبلغ لم نستطع ان نرفض طلبهُ واتفقنا على القبول فسرت معهُ الى بيتهِ وهو يبعد عنا نحو ستة اميال . فوجدت بيتهُ نظيفاً مرتباً وعلمت ان زوجتهُ توفيت وقد اتخذ خادمةً تعتني بابنتهِ وترتيب منزلهِ اما الابنة فكان لها من العمر عشر سنوات . وابتدأت بتعاطي عملي في تعليم ابنتهِ وذلك منذ اربعة اشهر فكنت مسرورة جدّاً . وفي احد الايام اتى المستر ودلي ليزور صديقهُ ويقضي عندهُ اسبوعاً فكان حضورهُ سبباً لاستيآئي لاني شعرت بنفورٍ شديد من هذا الرجل الفظ وزاد على ذلك انهُ جآءني احد الايام وانا خالية في غرفتي فكاشفني بحبهِ وسألني قبولهُ زوجاً لي واخذ يصف لي غناهُ الطائل وثروتهُ الجسيمة وانهُ يهبني من الالماس والحجارة الثمينة ما لا نظير لهُ في كل اوروبا . فاجبتهُ انني لا احبهُ ولا اميل اليهِ ولا يمكنني قبول طلبهِ ولو طرح مال الدنيا امام قدميَّ . فاثار جوابي غيظهُ فزمجر وزأر ثم امسكني بيديهِ القويتين حتى آلمني وقال اما ان تقبليني وتعديني بالحب او اقتلك . فاخذت ابكي واصرخ مستغيثة حتى سمع صاحب البيت المستر كاروذر فجآء وخلصني من يدي ذلك الظالم فارتدَّ عليهِ وضربهُ فجرحهُ ثم خرج من البيت ولم اعد اراهُ . اما كاروذر فاعتذر اليَّ عما حصل ووعدني انهُ لن يدعني اتعرض لمثل تلك الاهانة فيما بعد

وكنت كما ذكرت سابقاً اذهب في آخر كل اسبوع لزيارة والدتي ففي يوم سبت ركبت درّاجتي لاصل الى محطة القطار وكان في طريقي مسافةُ مقفرة يكتنفها من احدى جهتيها غابة كثيفة ومن الجهة الاخرى حديقة متسعة في وسطها بناية شارلتون . فحانت مني التفاتة فرأيت درّاجةً تتبعني على مسافة مئتي يرد يركبها

رجلٌ لم اعرفهُ ولكن رأيتهُ لابساً قبعة جوخ ولهُ لحية سوداء تغطي وجههُ فلم اهتم بهِ . و بلغت المحطة فركبت القطار حتى وصلت الى محل اقامة والدتي فلبثت عندها يومين ورجعت في صباح الاثنين فما بلغت تلك الطريق المذكورة آنفاً حتى تبعتني الدراجة براكبها كما في المرة الاولى فلما اجتزت المسافة المقفرة اختفت فجأةً . ولما كان السبت التالي ركبت كعادتي فلما بلغت المكان تذكرت الامر ونظرت فرأيت الرجل يتبعني في الذهاب والاياب فبدأت اشعر بوجلٍ واخبرت المستر كاروذر بذلك فاهتم بحديثي وقال لي انهُ لن يسمح لي بعد ذلك بالذهاب وحدي ووعدني انهُ سيبتاع عربةً تقلني في آخر كل اسبوع الى المحطة وتعود بي منها عند عودتي . ولما كنت في هذا السبت الاخير اعتذر لي كاروذر عن عدم حضور العربة فاضطررت ان اجيء كعادتي على الدراجة . ولما بلغت شارلتون نظرت فرأيت نفس الشخص يتبعني حسب العادة فصممت ان لا اخاف منهُ هذه المرة وان لا بد لي من معرفتهِ ومعرفة غرضهِ من اتباعي فوقفت سير دراجتي فتوقف ثم اسرعت فاسرع . وكان في آخر الطريق عطفة حادّة فاسرعت حتى بلغتها فكان يسرع مثلي فلما بلغتها وقفت الدراجة ونزلت الى الارض وانا انتظر قدومهُ ورآني ومضى على ذلك نحو ثلاث دقائق فلم يظهر . فعدت الى الطريق فرأيتها خالية كأنهُ لم يطرقها احد فعجبت جدًّا لانهُ لا يمكن ان يكون قد تحول عنها ولو كان قد عاد من حيث اتى لكنت رأيتهُ راجعاً

هذا آخر ما اتفق لي من هذا الامر وقد اقلقني ما رأيت من الاعمال الغريبة واوجست من ورآئهِ خوفاً شديداً ولا ارى لي نصيراً سواك فاتوسل اليك ان تمدني برأيك فاما ان يكون هنالك خطرٌ تنقذني منهُ واما ان تشير عليَّ بلزوم منزلي والانقطاع عن منزل كاروذر . فقال شرلوك وقد بانت عليهِ علامات الاهتمام بحديث الفتاة قلت انك مخطوبة لفتى يدعى سيريل مورتون فاين يقيم أوَلا تظنين انهُ هو الذي يتبعك . قالت ذلك من المستبعد لانهُ لا يمكن ان تخفى عليَّ معرفتهُ ولو كان هو ذلك الرجل لفضَّل ان يسير بجانبي على اتباعي عن بعد . فقال

شرلوك وهل تعلمين ان احداً غيره يهواكِ . قالت كان كثيرون من الفتيان يميلون اليَّ حتى خطبني سيزيل فقطعت آمالهم وابتعدوا عنا ولا اذكر شخصاً يميل اليَّ سوى المستر كاروذر نفسهِ . ولا ادعو ذلك حباً بل لما كان يقضي اكثر اوقاته في البيت وهو مغرم بالموسيقى كان يحضر وقت تعليم ابنته ويظهر لي كل لطف فلم الق منهُ سوى اتم الصفات اللائقة . فقال شرلوك وما هو شغل كاروذر قالت يظهر انهُ غني مع انهُ لا يقتني خيلاً ولا مركبات ولهُ ولع باخبار المعادن الذهبية في جنوبي افريقية فهو يلزم بيته ولا يخرج منهُ الا مرتين في الاسبوع الى لندن للسؤال عن تلك المناجم واخبارها

وبعد ان اطرق شرلوك حيناً قال لها لقد فعلتِ حسناً بمجيئكِ اليَّ ايتها الفتاة وانا اشير عليكِ ان تعودي الى سابق عملكِ ولا تخبري احداً بما جرى وان لا تفعلي شيئاً الا عن مشورتي واذا حدث اي حادث جديد فاخبريني للحال . اما الآن فان اشغالي تمنعني من مرافقتكِ ولا ارى لزوماً لذلك ولكنني ارجو ان ازوركِ عن قريب . فخرجت الفتاة مسرورة شاكرة وقد ظهر عليها انها وثقت بكلام صديقي والقت همها عليه . ولما خلونا قال لي ان امر هذه الفتاة اهم مما تصورت اولاً ولا اظن ان تابعها محبٌّ بسيط ففي الامر سرٌّ لا بد من الوقوف على خفياتهِ ولا بد لنا من معرفة داخل بناية شارلتون وسكانها حيث يظهر ويختفي ذلك التابع الغريب . ثم ينبغي ان اعرف العلاقة التي بين كاروذر ووُدلي مع تباين طباعهما وكيف اتفق وجودهما عند عم الفتاة ساعة موته ولماذا يؤدي كاروذر مئة ليرة اجرة معلمة لا يؤديها اعظم الاغنياء وهو مع ذلك لا يقتني خيلاً ولا مركبات مع بعد منزلهِ اكثر من ستة اميال عن المحطة . والحاصل ان هذه الحادثة تستوجب انتباهنا وبما انني في شغل مهم الآن فاني اكلفك ياعزيزي وطسن ان تنهض صباح الاثنين باكراً جداً وتذهب الى فارنهام ومنها الى شارلتون فتختفي في الغاب وتراقب رجوع الفتاة من تلك الناحية وماذا يحصل ثم اجتهد في اكتشاف امر تلك البناية وما تمكنك معرفتهُ عن ساكنيها وعد اليَّ بالتفصيل

الدقيق حسب عادتك

ولما كنت اعلم ان اوامر صديقي شرلوك هولمز مما لا يجوز التوقف عن انفاذه جهزت نفسي وفي صباح يوم الاثنين ركبت اول قطار فاقلني الى فارنهام ومنها سرت الى شارلتون وكنت اراقب تلك الجهة فوجدت الغابة التي ذكرتها الفتاة وسور الحديقة المحيط بالبناية وقد فتح فيه عدة معابر ضيقة وفي وسط المسافة باب كبير له اعمدة عليها نقوش ورسوم قديمة . وكانت كل علامات تلك الجهات تدل على الخلاء والقفر وهجران المكان . فلما تفقدت كل ذلك اخترت مكمناً اختفيت فيه بحيث اراقب ذلك الباب والطريق فتربصت قليلاً واذا بدراجة مرّت بي وعليها رجل بلباس اسود ولحية كبيرة سوداء تبعتهُ بنظري فرأيتهُ قد نزل عن الدراجة ثم دخل بها احد تلك المعابر الضيقة فاختفى . وبعد نحو ربع ساعة رأيت دراجة اخرى قادمة ورأيت عليها الفتاة عائدة من المحطة وكانت تلتفت كانها تتوقع شيئاً فما بلغت تلك النقطة حتى رأيت الرجل قد خرج من مكمنهِ بدراجتهِ فركبها وسار على اثر الفتاة فلم يكن سواهما احد على كل تلك الطريق . وكانت الفتاة تنظر من حين الى آخر الى جانب الطريق والرجل يتبعها منحنياً على مقدم دراجتهِ بحيث لا يرى وجههُ . ثم جعلت تبطئ في سيرها ففعل مثلها ثم وقفت فوقف . وكأنهُ تخطر لها فكر فجائي فرأيتها قد ادارت دراجتها وتوجهت اليهِ بمنتهى السرعة فلم يكن اقل من لمح البصر حتى ادار دراجتهُ ايضاً وهرب امامها مسافة واذا بها قد عادت وكانها احتقرتهُ اشد الاحتقار فلم تعد تلتفت اليهِ . اما هو فعاد الى اتباعها كما كان يفعل محافظاً على نفس البعد بينهما وما زالا سائرين حتى غابا في آخر الطريق فلم اعد اراهما . ولبثتُ في مكمني حيناً واذا بالرجل قد عاد بسير بطيء فقارب جدار الحديقة وترجل فاصلح ثيابهُ ثم عاد فركب وتوجه الى البناية . فسرت تحت ستار الاشجار اراقب وجهتهُ حتى دنا من بناية شارلتون ثم حجبتهُ كثافة الاشجار عن نظري ورأيت اني قد حصلت على ما تهمني معرفتهُ في ذلك النهار فعدت الى المحطة . وفي اثناء انتظاري القطار سألت عن بناية شارلتون وساكنيها فقيل لي ان لا احد

يعرف شيئاً عنها سوى الوكيل وهو يقيم في لندن . ولما بلغت لندن طلبت مواجهتهُ وسألتهُ ان يؤجرني البناية مدة اشهر الصيف فقال اتأسف يا مولاي انك جئت متأخراً فان البناية قد استأجرها منذ شهر رجل شيخ يدعى وليمسون . فطلبت منهُ ان يخبرني شيئاً عن ذلك المستأجر فقال لا يمكنني ان اصرح لك باكثر مما قلت . فتركتهُ وعدت الى البيت وكان شرلوك هولمز في انتظاري فلما اخبرتهُ برحلتي وكنت ارجو ان يسرهُ عملي رأيت فيهِ غير ذلك وقال لي قد اخطأت جدًّا ايها العزيز وطسن باختيارك ذلك المكمن الذي لم يفدنا شيئاً فانك لم تستطع مشاهدة الرجل عن مسافةٍ اقرب مما شاهدتهُ الفتاة ولو اخترت الجهة الثانية من الطريق لكان افضل لان الفتاة تقول انها لم تعرفهُ وانا مقتنع بانها كانت تعرفهُ لو استثبتت هيئتهُ والا لما كان يهتمّ باقترابها اليهِ . على ان انحناءهُ على مقدم الدراجة يدل على تخفيهِ فانهُ لو لم يكن يخشى ان تعرفهُ لما فعل ذلك . ثم انك سعيت لمعرفة الرجل فذهبت الى وكيل البناية وهذا غلط فاضح لانهُ كان يجب ان تذهب الى اقرب نادٍ فكنت سمعت هناك من كلام الحضور ما دلك على اسم الرجل وصفاتهِ وجميع داخلية بيتهِ . ثم انك اقتنعت بان الذي استأجر البيت رجل شيخ غير ان ركوب الدراجة بالصفة التي ذكرتها لا يفعلهُ شيخ مسنّ . فكانك لم تفعل شيئاً في رسالتك هذه ولم نستفد شيئاً سوى ان قصة الفتاة حقيقية وهذا لم اشك فيه وانهُ يوجد علاقة بين الرجل المطارد والبناية وهذا ما كنت قد تحققتهُ وان اسم الرجل وليمسون وهذا لا يفيدنا شيئاً . وعلى كل حال فلم يعد لدينا ما نصنعهُ في هذا الامر قبل يوم السبت القادم غير انني سأسعى لعلي احصل على بعض المعلومات في هذه الاثناء

ولما كان الصباح التالي اتتنا رسالة من الفتاة تخبرنا فيها بما حصل كما ذكرت وقد زادت عليهِ انها ترغب الى شرلوك ان يحفظ امرها سرًّا عن كل بشر وقالت ان المستر كاروذر طلب منها الاقتران بهِ وانها رفضت لانها مخطوبة فاظهر انقباضاً عظيماً ولكنهُ لم يخرج عن معاملتها بمزيد اللطف واللين . فتبسم شرلوك لدى تلاوة الرسالة وقال ارى الامر يتضح امامي كما زعمت ولا يبعد ان نقترب من حل هذا

المعمى باسرع مما املنا وان افكاري تحدثني بأمرٍ سأجريهِ بنفسي فسأذهب غداً للتنزه في ضواحي لندن وعسى ان اتوفق . وذهب شرلوك حسب قولهِ في اليوم التالي فاقمت انتظرهُ الى المساء ولما عاد تبين لي من منظرهِ انهُ حضر عراكاً شديداً فقد تقطعت ازرارهُ وجرح في فيهِ و بانت على وجههِ آثار ضرب فاستقبلني ضاحكاً وقال اشكر الله اني كنت اعرف فن المصارعة والا لما عدت اليك حيًّا يا وطسن . ثم بدأ يقص عليَّ ما اجراهُ فقال توجهت الى حيث اشرت عليك ان تتوجه فدخلت حانةً وتظاهرت باني اريد الشرب فتعرفت بشخصٍ اخذ يقص عليَّ حديث بناية شارلنتون وساكنيها فقال ان الرجل المسمى وليمسون ذو لحيةٍ بيضاء وعندهُ عدد من الخدم ويقال انهُ من رجال الدين مع ان هيئة معيشتهِ تخالف ذلك وتدل على ان حياتهُ مكتنفة باسرار خفية . وهو لا يُزار الا مرةً في آخر كل اسبوع وزائروهُ بضعة رجال تدل ملامحهم على انهم من الاشرار وعلى الخصوص احدهم المدعو ودلي وهو رجل احمر الشعر فظ المنظر والطبع . . . وما كاد الرجل يصل الى هذا الحد من الكلام حتى رأيت رجلاً قد جاء فوقف امامي وقال انا هو المستر ودلي فما يعنيك السؤال عني . وكان قد دخل الحانة وسمع حديثنا . فلما لم اجبهُ رفع يدهُ ولطمني فتصديت لهُ وحصلت بيننا معركة انتهت برجوعي على هذه الحالة ونقل ودلي الى بيتهِ محمولاً

وفي اليوم التالي اتتنا رسالة اخرى من الفتاة تقول فيها انني سأترك خدمة كاروذر غير آسفة على دخلي الجسيم فسأجيء يوم السبت في عربته ولن اعود اليه . اما سبب تركي الخدمة فمعظمهُ من عودة ذلك الوحش ودلي الى الظهور بيننا فقد رأيتهُ بالامس وكانهُ اصابهُ حادث فكان مهشم الاعضاء مغير اللون تسيل الدماء من جراحهِ وقد خلا بالمستر كاروذر مدةً فظهرت على الاخير علامات الخوف والقلق ويظهر لي ان ودلي مقيم بالقرب منا لانهُ لم يبت عندنا ولكنهُ عاد في الصباح مبكراً واني لاعجب من مصادقة كاروذر اللطيف لمثل هذا الوحش الضاري . ومهما يكن الامر فان السبت القادم سيكون آخر عهدي بهم

فقطب شرلوك حاجبيهِ وقال لم يخطئ ظني فان حول الفتاة احبولة مخيفة وينبغي ان نسهر عليها الى ان تترك ذلك المكان بامان فيجب ان نستعد للسفر ونراقب خروجها صباح غدٍ ووصولها الى بيتها سالمة . اما انا فلم اكن اعتقد ان في الامر ما يوجب الحذر ولكنني لما رأيت ان شرلوك قد اخذ مسدسهُ فاخفاهُ في جيبهِ أيقنت ان المسألة اشد خطراً مما اظن ففعلت مثلهُ وخرجنا من البيت فقضينا جزءًا من الليل ثم ركبنا القطار فاقلنا الى فارنهام وسرنا من هناك سيراً بطيئاً حتى اشرفنا على جهة شارلتتون . فرأينا عند طرف الطريق الاقصى شيئاً اسود فقال شرلوك اظن ان هذه عربة تقل الفتاة وكانها تنوي ان تركب اول قطار يقوم من فارنهام فقد تأخرنا وستجتاز شارلتتون قبل ان نصادفها . ولما قال هذا اسرع في سيرهِ وتبعتهُ وكان امامنا عطفة تخفي عنا العربة القادمة فما زلنا نجد السير وكان شرلوك يسبقني فرأيتهُ قد توقف فجأةً ورفع يدهُ علامة اليأس والاسف الشديد . ونظرت الى حيث اشار فاذا بالعربة يجرّها جوادٌ نشيط يسير بها مسرعاً الى جهتنا وليس فيها احد وكانت الاعنة قد ارخيت ورآء الجواد فكان يسرع في جريهِ ولم يكن الا كلمح البصر حتى صرت بقرب شرلوك فوقفنا في وجه الجواد الجامح وتمكنا من امساكهِ . فقال شرلوك اواه من عدم انتباهي فقد كان يجب عليَّ ان استعد لكل ذلك وافتكر في اول قطار فلست آمن ان يكون قد قضي الامر الآن وتم الفعل . فآه يا وطسن انني اكاد اجن من اهمالي ولكن هيا بنا فلعل الحظ يساعدنا ونصل قبل فوات الوقت . وصعد امامي الى العربة فتبعتهُ وادار رأس الجواد من حيث اتى والهب ظهرهُ بالسوط فجعل يعدو بنا بسرعة الطير حتى انتهينا الى الطريق المستقيم فبان كلهُ امامنا ووقع نظري على رجلٍ راكب دراجة وقد جعل يسابق بها الرياح فوجهت نظر شرلوك اليهِ . وكان الرجل كانهُ يقصد العربة فلما اقترب منا رأيناهُ اصفر الوجه وقد انتشرت لحيتهُ السودآء ولما رآنا نزل عن دراجتهِ فوقف في طريقنا وصاح بأعلى صوتهِ قفا لفوركما والا اطلقت غدارتي على الجواد . فاستوقف شرلوك العربة وقال لهُ مهلاً يا صاح فاننا نحن ايضاً نودّ ان نستوقفك عن المسير

لنسألك عن محل وجود السيدة ڤيولت سميث . فقال الرجل مستغرباً تسألانني انا وانتما في عربتها فقولا لي اين تركتماها . فاخبره شرلوك بمصادفتنا العربة شاردة فصرّ باسنانهِ واندفعت من فيهِ الشتائم ذاكراً فيها اسم الخسيس ودلي والكاهن اللعين . ثم نظر الينا فقال اخاف ان تكون قد صارت في قبضتهم وقضي الامر ولكن اذا كنتما تعرفان الفتاة وترغبان في خلاصها فاتبعاني . وكان ذلك ما نطلبهُ فسار امامنا الى معبرٍ في جدار حديقة شارلنتون وتبعهُ شرلوك فتركت الجواد يرعى النبات على جانب الطريق وتبعتهما وظهرت لنا آثار اقدام كثيرة فتحققنا ان الجانين قد دخلوا من هناك . ولما تقدمنا قليلاً عثرنا على سائق العربة ملقى على الارض وقد قيدت يداهُ ورجلاهُ وسال الدم من جراح خفيفة في رأسهِ فتركناهُ واسرعنا الى داخل الغابة حيث كان الرجل يقودنا او بالاحرى حيث كان شرلوك يأمر بالتقدم مستدلاً بآثار الاقدام . ولما بلغنا منتصف الغابة سمعنا صوت فتاة تستغيث وانتهى الصياح بما يشبه الحشرجة فهلعت قلوبنا وضاعفنا سرعتنا حتى بلغنا شبه شارع رأينا في آخرهِ شجرة تحتها ثلاثة اشخاص اولهم الفتاة وقد عرفناها للحال وكانوا قد اوثقوها ووضعوا منديلاً في فيها فهوت الى جانب الشجرة فاقدة الشعور . اما الشخص الثاني فكان رجلاً في مقتبل الشباب فظ الهيئة قبيح المنظر والثالث رجل شيخ ابيض الشعر قد ارتدى فوق ثوبهِ حلةً بيضاء تدل انهُ كاهن وظهر لنا انهُ كان يعقد صلاة الاكليل وانتهى حال وصولنا فردّ كتابهُ الى جيبهِ . وادركت ان القصد من ذلك عقد زواج الفتاة بالرغم عنها على ذلك الوحش ودلي . فقال الرجل الذي قادنا ذو اللحية السوداء اتبعاني فان هذا الشيخ اللابس البياض هو وليمسون صاحب بناية شارلنتون والآخر ودلي . وما زلنا نتقدم حتى صرنا عندهم فتقدم ودلي وحيّا بازدراء ثم نظر الى رفيقنا وقال انزع هذه اللحية التي تخفيك يا كاروذر وتعال اقدمك الى زوجتي . فرفع كاروذر يدهُ الواحدة الى لحيتهِ فانتزعها ورمى بها الى الارض ثم اخذ بالاخرى مسدسهُ فصوبهُ الى صدر ودلي وقال نعم انا كاروذر ولكنني قلت لك انني انتقم ممن يزعج هذه الفتاة فسأريك انني اقوم

بوعيدي ولو مت . فقال ودلي قد تأخرت يا هذا فانها اصبحت زوجتي . فقال كاروذر نعم وستصير ارملتك ولما قال هذا اطلق الرصاص فسقط ودلي الى الارض يختبط بدمهِ . واذا بالكاهن قد اندفع يشتم كاروذر ثم اخرج مسدسهُ وقبل ان يصوبهُ اليه كان شرلوك قد شهر مسدسهُ في وجههِ وامرهُ ان يلقي سلاحهُ الى الارض . وفعل كذلك مع كاروذر فالقى سلاحهُ ايضاً فامرني ان احتفظ بالمسدسين وقال انتما الآن اسيران في يديَّ الى ان تأتي رجال الشحنة . فقال وليمسون ومن تكون انت يا هذا . قال انا شرلوك هولمز فبهت الاثنان . ورأى شرلوك احد الخدم عن بعد فناداهُ وكتب لهُ رسالة وامرهُ ان يسرع جهدهُ الى فارنهام ويسلمها الى رئيس الشحنة . ولما ذهب الغلام امر وليمسون وكاروذر ان ينقلا الجريح الى البيت ويذهبا امامهُ واعتنيت انا بالفتاة فحللت وثاقها واسندتها الى ذراعي فسرنا جميعنا حتى بلغنا البناية . وفحصت الجريح فعلمت انهُ لا خطر عليهِ وما كدت اصرح بذلك حتى وثب كاروذر كالوحش الضاري وقال لا لن يعيش فدعوني اجهز عليهِ لئلا يعيش زوجاً لهذه الفتاة الطاهرة . فقال شرلوك مهلاً يا هذا انهُ لن يكون زوجها وقد علمنا انهُ اعظم اشرار جنوبي افريقيا . اما عقد الصلاة فلا عبرة به لانهُ اجباري ولان الكاهن ليس الا لصاً دنيئاً مقطوعاً من الكنيسة . فقال كاروذر اذاً اتكل عليك ايها المولى ان تحرس الفتاة بعدي فانني احببتها حباً عظيماً . وعلمت ان هؤلاء الابالسة ينوون بها شراً وقد استأجروا بناية شارلتنون لاجل غايتهم الدنيئة فكنت كل يوم سبت اسير وراءها على دراجتي لارى ذهابها بسلام واستقبلها كذلك صباح الاثنين لاحرسها في عودتها وقد تخفيت تحت هذه اللحية السوداء لكي لا تعرفني ولا تظن بي سوءاً . اما الآن وقد قضي الامر فاني اعترف امام الله وامامكم بما كان مني ومن هذين الرجلين وعسى الله ان يغفر لي ما اقدمت عليهِ . واذا حكم عليَّ القضاء بعقوبةٍ ما فاني اقبلها بنفسٍ طيبة عالماً اني مستحقها . ولكن الله يشهد بسلامة ضميري وان كان قد صدر مني ما اؤاخذ عليهِ فهو موافقتي لهذين الشريرين على مقاصدهما الخبيثة التي لم البث ان نزعت يدي من مشاركتهما فيها وقد رأت هذه

الفتاة من حسن معاملتي لها ومحافظتي على شرفها وعرضها ما احسبها لا تنكرهُ ولا بد ان تكون قد قصت عليكم شيئاً منهُ. وكان وليمسون في اثناء سماعه كلام كاروذر يتململ تململاً شديداً ثم وثب كلبوءة مفترسة وقال له اياك يا هذا والتصريح والا فعلت بك كما فعلت بودلي . فتبسم كاروذر مستخفاً واقترب شرلوك من وليمسون مهدداً فسكت وفي تلك الدقيقة دخل رجال الشحنة فاصبح الاسيران والجريح في قبضتهم . وعاد كاروذر الى تمة حديثه فقال اننا كنا ثلاثتنا في جنوبي افريقيا فلم نصادف نجاحاً وكان صاحب الارض الذي نعمل عندهُ هو المستر رالف سميث عمّ الفتاة فاصاب مالاً كثيراً وثروة طائلة . وعلمنا ان ليس لهُ وارث ولا يهتم باحد وانهُ اذا مات بدون وصية عادت ثروتهُ الى بيت اخيهِ فاحتلنا على اهلاكهِ . و بعد ان قضى نحبهُ اتينا الى هنا فوجدنا الفتاة ووالدتها فقط فصممنا على ان يقترن احدنا بالفتاة فيستولي بواسطتها على تلك الثروة الجسيمة ونقتسمها بيننا نحن الثلاثة ثم اقترعنا على الفتاة فاصابت القرعة هذا الخبيث وودلي . وكنت لم ارَ الفتاة بعد فلما رأيتها لم يطاوعني ضميري على تركها لهُ واحببت ان اتنازل لهُ عن كل المال اذا تركها لي فلم يقبل . وتجادلنا كثيراً في ذلك حتى افضت بنا الحال الى الخصام ولم استطع صرفهُ عن قصدهِ وقد اوشك أن ينجح فيهِ كما رأيتم

وكان شرلوك يسمع وهو يتبسم ثم اخرج من جيبهِ مذكرة كتب فيها كل تفاصيل تلك القصة تقريباً من ملاحظاتهِ الشخصية فتعجبنا جميعاً لقوة ادراكهِ. ثم سلم شرلوك الجميع الى رجال الشحنة وعدت واياهُ بالفتاة الى منزل والدتها حيث وجدنا خطيبها سيريل مورتون في انتظارنا . ولم تمض علينا ايام كثيرة حتى بلغنا ان المحكمة قد حكمت على ودلي ووليمسون وكاروذر بالاشغال الشاقة المؤبدة . اما ڤيوليت فاستولت على تركة عمها الطائلة واقترنت بسيريل وكانت بعد ذلك كثيراً ما تزورنا هي وزوجها ويدعواننا لزيارتهما فيذكراننا بتلك المأساة وذلك الخلاص العجيب الذي انتشلنا بهِ الفتاة من بين انياب الخطر

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون وصلت المكان فيعدّون هذا الفعل بنفسهِ كما تقولهُ العامّة والصواب وصلت اليهِ

ويقولون فعل هذا بِشَور فلان اي بمَشُورتهِ وكأنهم يبنون هذا اللفظ على المَشورة لسبق وهمهم انها مفعلة من الثلاثيّ على حدّ المرحمة والمصلحة وما شاكلهما وانما المَشُورة اسم مصدر من اشار عليهِ بكذا كالمَثُوبة من أثاب والمَغُوثة من أغاث والمَعُونة من أعان والمَجُوبة من أجاب وهي كلماتٌ محفوظة لم تُسمَع الا من باب أَفعَل من الاجوف الواويّ

ويقولون اثنى عنهُ بكذا اي وصفهُ بهِ ولم تُسمَع تعدية هذا الفعل بعن والصواب اثنى عليهِ

ويقولون تعارف بفلان فيسندون هذا الفعل الى واحد وهو من افعال المشاركة لا يُسنَد الا الى اثنين فما فوق وانما يصحّ هذا في تعرّف يقال تعرّف بفلان وتعارف الرجلان

ومثلهُ قولهم تقابل بفلان فيسندونهُ الى واحدٍ ايضاً والصواب قابل فلاناً وتقابلا

ويقولون تجارى على الامر وعلى فلان اي اجترأ عليهِ وكأن اصلهُ تجارأ بالهمز وهذا ايضاً غير محكيّ

ويقولون تصادف ان حدث كذا اي اتفق يبنونهُ من الصُدفة بمعنى الاتفاق ومنهم من يقول صادف كذا فيجعل هذا الفعل لازماً وكل ذلك

من الفاظ العامّة والذي في اللغة يقال صادفهُ اذا قابلهُ وتصادف الرجلان

ويقولون جآءهُ خمس انفس اي خمسة اشخاص فيؤنثون النفس في مثل هذا وانما تؤنث النفس اذا كانت مرادفةً للروح واما اذا كانت بمعنى الشخص فهي مذكرة لا غير تقول عندي نفسٌ واحد وجآءني خمسة انفس قال الشاعر

ثلاثة انفسٍ وثلاث ذَودٍ لقد جار الزمان على عيالي

ويقولون ورد عليهِ جواب من فلان يعنون بالجواب مطلق الرسالة ولو كانت خطاباً ومفاتحةً وهذه من كلام عامّة مصر

ويقولون تمنى لهُ طولة العمر وهـذه من كلام العامّة ايضاً والصواب طِول العمر

ويقولون في جمع عطآء عطآءات وهذا ليس من الالفاظ التي تُجمَع جمع السلامة والصواب أَعطِية

ويقولون فعل كذا بصفتهِ مأموراً وكأن هذا من التراكيب المعرّبة عن اللغات الافرنجية الا انهُ لا يمكن ردّهُ الى وجهٍ صحيح في الاعراب والصواب ان يقال بصفة كونهِ مأموراً مثلاً

ويقولون عُيّن فلان قائمقاماً على بلد كذا فيجعلون المتضايفين كلمةً واحدة يصلونهما بالرسم ويعربونهما اعراب الكلمة الواحدة وهذه مخصوصة بالجرائد الشامية فوق ما اقتبستهُ عن الجرائد المصرية من مثل التحوير والحماس وغير ذلك . والصواب عُيّن قائم مقامٍ بفصل الكلمتين واعرابهما اعراب المتضايفات

ويقولون في جمع المدير مُدَرآء اجراءً لهُ مجرى فعيل كامير وامرآء وربما قال بعضهم في جمعهِ مديريّون فيزيد عليهِ يآء النسبة لغير معنى وكلا الوجهين غلطٌ قبيح والصواب مديرون

ويقولون قد تمَّ للجيش فتوح البلد فيستعملون الفتوح مفرداً على توهم انهُ مصدر فَتَحَ بمنزلة الجلوس والدخول وانما هو جمع فَتْح

ويقولون لم يُعِرهُ اذناً مصغية وانما يقال اذن صاغية لا مصغية لان أصغى متعدٍّ تقول أَصغيت اليهِ اذني اي أملتها وصَغَت اذني الى كذا صغواً وصَغِيَت صَغاً ولا تقول أَصغَت

ويقولون زارني اليوم فلان أو هو كاتب الامير ولا محلّ لأَوْ في هذا الموضع لانها انما تكون بين المتغايرين والثاني هنا هو عين الاول فالصواب وهو كاتب الامير

ويقولون استعرض الجيش اذا أمرَّهُ على نظرهِ والمُستعمل في هذا عَرَض الجيش لا استعرضهُ وانما الاستعراض بمعنى طلب العرض

ويقولون اقام فلان في المحتجَر اي الموضع الذي يُحجَر فيهِ على المسافر اذا قدم منَ بلد موبوء ولم يرد الاحتجار بما يصلح لهذا المعنى والصواب المحجِر اسم مكان من حَجَر عليهِ اذا منعهُ التصرُّف

ويقولون في جمع الدير أَدْيِرَة على أَفعِلة وهذا الجمع غير منقول ولا هو مما يصح في القياس لان أفعِلة خاصّ بما ثالثهُ حرف مدّ . ومنهم من يقول في جمعهِ ديِارة وانما هو جمع دار لا دير والصواب في جمعهِ اديار وديورة نقل هذا الثاني في المصباح (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

لحضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي

(تابع لما قبل)

— ٢ —

قد يتوهم بعض الناس ان الحقوق التي اشرنا اليها في الفصل الاول انما يراد بها مضارعة المرأة للرجل ومحاكاتهُ بكل وظيفةٍ وواجب وعمل ومشاركتهُ في جدهِ واقدامهِ ومساعيهِ لكسب المال واحراز المجد سوآء كان من حيث الانتظام في سلك العمال ومزاولة الصنائع والحرف العامة من مثل الطب والصيدلة والذود عن حقوق ذوي الشأن امام القضآء او الدخول في مجالس الامة كنواب والتصدُّر في الندوات السياسية كقهارمة البلاد وحُداة العروش وبالجملة مزاحمة الاناث للذكور بالمناكب في جميع فروع الحياة القومية والمجتمع البشري فلا يُفرَقنَ عنهم في شيء خلاف المظهر الانثوي البادي للابصار. كلا ثم كلا . ما هذا المراد من قولنا « حقوق المرأة » وان كان كثيرٌ من الخلق المتمدن بل معظمهُ يزعم ان جميع تلك المعدودات مندمجٌ ضمن حقوق النسآء

ومما يقضي بالعجب ان فريقاً من الكتبة الذين يقيمون انفسهم مقام هُداة الامم ومنوّري البصائر ومثقفي العقول ومهذبي العوائد يعتقدون هذا الاعتقاد جهلاً او يتظاهرون بهِ تزلفاً الى افئدة من احبوا من الحسان الفواتن آخذين على انفسهم وظيفة الدفاع عن هذا الجنس اللطيف وهم

لا يدرون انهم لهُ قاتلون . فيعدّدون هذه الامور تعداداً مموّهاً كثير الزخرف والتنميق ثم يعترضونَ على عدم اباحتها للمرأة قائلين بوجوب المساواة التامة بين الجنسين مادّةً ومعنى يحسبون انهم يحسنون صنعاً وهم مفسدون . وما زال هذا دأبهم حتى جزمت نساء اوروبا واميركا بل قسم من نساء الشرق ايضاً ان ما يزعمونهُ حقٌّ وعدلٌ وان العمل بمقتضاهُ نافعٌ لهنَّ لازمٌ لحياتهنَّ موجبٌ لاسعادهنَّ مع كونهِ سمّاً ناقعاً اذا مازج دم المجتمع الانساني ذهب بحياتهِ العمرانية آجلاً او عاجلاً الى عالم الضياع وعادت العواصم الزاهرة والمدن الفخيمة اطلالاً داثرة و بلاقع . فاصبحنا نرى من جرّاء سريان ذلك الوهم في الاذهان ألوفاً بل مئات الوف من النساء طبيبات وتاجرات ومحاميات وموزّعات بُرُد ومأمورات مراسلة بالبرق والتليفون وخادمات مطاعم و بائعات خمور في الحانات(١) ولم يزلنَ يتطاولنَ الى كل عملٍ من اعمال الرجال ابتغاء مساواتهم واللحاق بهم في كل الشؤون والاحوال العائدة اليهم ولا نعلم اين يكون المصير

(١) اثبتت صحيفة نيو يرك هرلد احصاء اتضح منهُ انهُ يوجد في البلاد المتحدة وحدها من النساء ٢٤٣٧٢٢ عاملة في حِرَف مختلفة و٤٢٧ دكتورة و٢٤٣٢ خادمة بريد وتلغراف و٢١٧ صيدلية و٣١٦٤٩ بائعة خمور و١٧٣ تاجرة و١٦ محامية عن الحقوق و٧١ منشئة في الجرائد و٨٩ مراسلة اخبار و٢١٤ كاتبة في دوائر الحكومات ومصالحها . وقد ابيح في كثير من حكومات اميركا للنساء التصدر في الدوائر العمومية كاعضاء بعد ان اجيز لهنّ مشاركة الرجال في الانتخابات الى غير ذلك مما يثبت تهافت الاناث على محاكاة الذكور . ثم ثبت من احصاء اخير ان في واشنطون وحدها ثمانية آلاف مستخدمة في دوائر الحكومة

فلو درت المرأة بما وراء مناظرتها الرجل وطلب مساواتها له في المجتمع ومشاركتها اياه في الاعمال الخاصة به من التعب والشقاء فضلاً عما يترتب عليه من سقوط منزلتها السامية في المجتمع الانساني وضياع سلطتها المعنوية التي بها تقوم حياتها الادبية لعدلت عن مطامعها المتطرفة وعرفت انها مخدوعة بما تصوره لها اميالها وما يزينه لها الذين يغرونها من جهلة الرجال ولأيقنت انها تحاول نيل ما يعود عليها بالنقص من حيث تروم الكمال . لان مساواة النساء للرجال من هذا القبيل غير طبيعية ومتعذرة بل مستحيلة وكما ان الرجال لا يستطيعون ان يفوا الوظائف الطبيعية والمنزلية الخاصة بالنساء كذلك يستحيل على هؤلاء ان يقمن مقام الرجال بتأدية وظائفهم المنحصرة فيهم بمقتضى نواميس الاشياء التي وضعها المبدع . ولقد ضل من قال انه لو لم تحبس المرأة باستبداد الرجل وتمنع عن مشاركته منذ البدء في جميع اعماله لكانت الآن مساوية له في بسطة الجسم واشتداد القوى والاقتدار على الجهاد في ميادين الجد في جميع الامور التي استأثر بها الرجل دونها بحيث يكون غير ممتاز عنها بشيء

الا ترى كيف ان الحيوانات من الطبقة العالية [١] المشاركة للانسان جسماً وتركيباً والمحاكية له احساساً وغريزةً والمتماثلة معه في التماس القوت والافتراس وطلب الملاذ والجهاد في سبيل حفظ النوع ودوام البقاء —

(١) يراد بها الحيوانات الثديية او اللبونة ذات الفقرات الظهرية من مثل الاسد والفرس والفيل والهر . وما الانسان من حيث هو حيوان الا نوع من هذه الانواع المعدودة

مع انها مطلقة السراح ذكوراً واناثاً وتحمل عنآء تحصيل الغذآء بالسوآء وتروّض اجسامها وتلهو وتمرح على نمطٍ واحد فالذكور منها على الاطلاق اكبر اجساماً من الاناث واكثر قوةً مع ان جهادهما منذ بدآءة الخلق في ميدان الحياة واحدٌ ولا يستبدّ الذكر بانثاهُ ولا يحتبسها تحت حُجُب ووراء جدران كما كان الرجال ولا يزالون يفعلون بالنسآء . وكفى بهذا دليلاً على ان المرأة لا يمكن ان تساوي الرجل بسطةً او تماثلهُ قوةً مهما أُعطي لها من حرية الاطلاق في التصرف والارادة في العمل

أَجَلْ انما تماثلهُ في الطبع والاميال والمدارك والاخلاق متى تيسرت لها معدّات المماثلة وتُرِك لها ما هو جديرٌ بها من الحقوق والحرية والتعلُّم فهي والحالة على ما اوردنا تستطيع ان تشاكلهُ معنوياً وادبياً مع بقآء الفارق حساً ومادّةً ومن مارانا في ذلك احلناهُ على المشتغلين بالبحث في طبيعة الانسان ووظائف اعضآئهِ الفطرية فهم أولى منا باقناعهِ بما لديهم من البراهين التي لا يسعنا نقلها في هذا المقام

تحصَّل من هذا ان المرأة لم تُخلَق لتعمل عمل الرجل كما ان الرجل لم يُخلَق ليعمل عمل المرأة فان صانع الاكوان ومهندسها العظيم قد خص بحكمتهِ كلا من الجنسين بوظائف محدودة ومستقلة عن وظائف الآخر لكي يتم بذلك التعاون بينهما ويكمّل كلٌّ منهما نقص صاحبهِ فتنتظم الحياة ويستتب قيام النوع ونمآؤهُ وان زال الحدّ الفاصل بين ما لهما وما عليهما يصبحان خصمين متناظرين لا اليفين متعاونين . وما من عاقل يشكُّ انهُ اذا لبثت النسآء تزاحم الرجال وتدافعهم بالسواعد قصد مشاركتهم

في كل شيءٍ يكنَّ سبباً لخراب نظام الامم وتداعي قواعد بنآء العمران وبالتالي سبباً اوليًّا لانقراض الجنس البشري

هذه حقيقة راهنة متى عرفها الناس كما هي بذلوا النفوس كدًّا وجدًّا لاصلاح الخلل الطارئ من جرّآء السلوك على خلافها فان حركة الخواطر الشاغلة ادمغة العالم الانثوي في هذه السنين المتأخرة تتهدَّد المجتمع الانساني بالويل والدمار مما سنورد عليك ادلتهُ بالبيان الواضح (ستأتي البقية)

المنّ

نكتب هذا الفصل اجابةً لصديقٍ بعث الينا بقطعةٍ من المنّ اهداها لهُ بعض اصحابهِ السيّاح يسألنا عن تركيبها وهل هي المنّ الاسرائيلي الذي ورد ذكرهُ في التوراة . وهي مادّة شبيهة بالصمغ قواماً ومنظراً الا انها متخلخلة القوام خشنة المكسر ولا لزوجة فيها يشوبها شيءٌ من الخضرة لما يخالطها من فتات ورق النبات وفي طعمها حلاوة قليلة

والمنّ كلمةٌ عبرانية وهي في الاصل اسمٌ للمادّة التي كان بنو اسرائيل يلتقطونها من البرّية . قال في سفر الخروج (ص ١٦) ما محصَّلهُ انهم اصبحوا في احد الايام فرأوا على وجه الصحرآء شيئاً دقيقاً مكتَّلاً كالجليد على الارض فلما رأوهُ قال بعضهم لبعض مَنْ هو اي ما هو فسُمّي بالمنّ . وهذا اللفظ يُطلَق اليوم على عدة موادّ سكَّرية تفرزها بعض انواع الشجر كالطَرفآء والبلوط والخِطميّ وغيرها وهي من عصارة ذلك الشجر تخرج منهُ خروج الصمغ على اثر مرور بعض الهوامّ عليهِ وكدحها

باسنانها وقد يُحتال على خروجها بان يُبضَع بدن الشجرة بفأسٍ ونحوها كما يُفعَل بشجر المطاط

والمنّ اصنافٌ منها الاسترالي وهو يخرج من شجر الاوكالبتس ويتجمع كُتَلاً بيضآء محبَّبة الظاهر ذات طعمٍ قليل الحلاوة. ومنها الفارسي ويُعرَف بالحاجّي ويسمّيهِ العرب بالترنجبين قال ابن البيطار عن اسحق بن عمران هو طلٌّ يقع من السمآء وهو ندًى شبيه بالعسل جامدٌ متحبب وتأويلهُ عسل الندى واكثر ما يقع على شجر الحاجّ وهو العاقول ينبت بالشام وخُراسان ذو ورق اخضر ونور احمر لا يثمر . اه . ومنها المنّ السيناوي ويخرج من اغصان الأَثْل والطَرْفآء وهو مزيجٌ سائل لونهُ الى الصُفرة . ومنها المنّ الكردستاني وهو عجينيّ القوام مؤلف من سكَّر ودكسترين ومادّةٍ شمعية يخالطهُ حُطامٌ نباتيّ ولونهُ الى الخضرة ولعلّ منهُ القطعة التي بعث بها الينا الصديق المشار اليهِ لان هذا الوصف ينطبق عليها تمام الانطباق

اما المنّ الاسرائيلي فكان ابيض اللون وكانوا يلتقطونهُ عن الارض . قال في سفر الخروج في الموضع المشار اليهِ انهُ كان يظهر في الغداة بعد ارتفاع الندى كانهُ الجليد فاذا حميت الشمس يذوب . وهو يشبه بزر الكزبرة وطعمهُ كطعم قطائف بعسل وكان كل واحدٍ من الشعب يلتقط منهُ ما يكفي يومهُ وهو مقدار حُمَر واحد (نحو ٤ ألتار) لانهُ اذا بقي منهُ شيءٌ الى الغد ينتن ويدبّ فيهِ الدود . وجآء في سفر العدد (ص ١١) انهم كانوا يطحنونهُ بالرحى او يدقونهُ في الهاون ويطبخونهُ في

القدور و يصنعونهُ مليلاً . اه . وهذا الوصف لا يصدق على شيءٍ من اصناف المنّ المذكورة قبل خلافاً لمن زعم انهُ هو المنّ الفارسي او الترنجبين لما تقدم من ان هذا يؤخذ عن الشجر وهو على الصحيح صمغٌ لا ندًى

وذهب آخرون الى انهُ صنفٌ من الأُشنة وهي شيءٌ يلتفّ على ورق البلوط والصنوبر وغيرهما كانهُ مقشورٌ من عرقٍ قالوا وهو يظهر احياناً في صحارى الشرق فجأةً فينتشر على مساحةٍ واسعة من الارض وذكرت احدى المجلات العلمية انهُ في شهر يناير من سنة ١٨٥٤ سقط في قضآءِ ني شهر من آسيا الصغرى مقدارٌ عظيم من المنّ غطى وجه الارض وتراكم الى سمك ثلاثة او اربعة قراريط وكان كُتَلاً بيضآء بحجم البندقة وان الناس هناك لبثوا يأكلون منهُ عدّة ايام وكانوا يصنعون منهُ خبزاً الا انهُ لا طعم لهُ . ونُقل عن لُقْيَاي انهُ رأى منهُ في اثنآء سفرهِ في نواحي القريم مقداراً كبيراً منتشراً على وجه الصحرآء في عدة اماكن وكان هناك اغبر اللون وتناول شيئاً منهُ فوجدهُ منفصلاً عن الارض تمام الانفصال مما يدل على ان الريح حملتهُ والقتهُ هناك . واوردوا من ذلك امثلةً كثيرة لا فائدة من نقلها الا ان غالب ما ذكروا من وصفهِ لا يصدق على المن الذي نزل على بني اسرائيل فهو ولا ريب شيءٌ آخر والله اعلم

جزيرة الامرآء(١)

من نظم حضرة الشاعر المطبوع عزتلو فكتور بك خياط من سراة حلب الشهبآء

سار فُلكُ الصفا بنا في المسآءِ　　داخراً حملة الدجى والمآءِ

(١) هي جزيرة مشهورة بجوار الاستانة يقصدها كبار القوم للنزهة تعرف ببيوك اطه

راح ينسلُّ يمنةً ويساراً بين داعي الهنا ووقع الغنآء
وصفيرٍ يحكي العويل صداهُ وضجيجٍ يفضي الي الجوزآء

* * *

عند ما مالت السفينة نحو الـ غرب في فسحةٍ من الدأمآء
هبَّت الريح صرصراً من شمالٍ فحسبنا الربيع فصل الشتآء
فاعتلى المركب الصغير كمنطا دٍ يروم المسير فوق الهوآء
تارةً ينثني وطوراً تراهُ يتثنى كالحيَّة الرقطآء
ثمَّ حيناً تراهُ يسجد للبحر م خشوعاً كطالبٍ للجدآء
ماخراً جارفاً مياهاً بكفٍّ وبأُخرى يقول من للنجآءِ
وتوالت من بعد ذاك عليه ثائرات الرياح والانوآء
موجةٌ بعد موجةٍ بعد اخرى كجبالٍ يمدن في البيدآء
زمجر الريح فوقها ثم ارغى زبدُ البحر منذراً بقضآءِ
وعلا من منافذ الفلك صوتٌ كزئيرٍ مروّعٍ وعوآء
ودخانٌ يثور فيهِ شرارٌ صاعداً كالغمام نحو الفضآء
وصراخٌ لجهشةٌ فبكآءٌ فوَداعُ الآبآء للابنآء
ومن الركب من تمدَّدَ فوق الـ فلُك يبغي الشفآء من شرّ دآء
وينادي يا قوم من لعليلٍ بطبيبٍ يُغيثهُ بدوآء
بهتافٍ يجمّدُ الدمَ خوفاً ودموعٍ تجري كصوب الحيآء
دام دآء الدوّار حتى عددنا هُ جميعاً من اصعب الادوآء

* * *

سكن الريح بعد طول هبوبٍ　　وجرى الفُلكُ جرْيَهُ باستواء
وبدا البدر في السما فتردّى ال　　يمُّ من باهر السنى بكساء
وتدلّى فمغنط النورُ منهُ　　صفحةَ البحر باحتكاك الضياء
وسطا عَنوةً عليهِ فنام ال　　موج في أُجَّةٍ من الاغفاء
وتلالت صوارمٌ من لُجَيْنٍ　　فوق درعٍ من لازوردِ المآء
فأَمِنَّا من بعد خوفٍ ويأسٍ　　واسترحنا من شدَّةٍ وعناء
وصعدنا وصحبُنا فوق سطح ال　　فلك دفعاً لأَزمة اللأواء
فتراءت لنا على البعد ارضٌ　　خالها البعض شعلةً من ذُكاء
وفريقٌ قضوا عُجاباً وقالوا　　نيزكٌ قد هوى من الخضراء
حماتهُ البحار فاعجب لنار　　لم تُصبها المياه بالاطفاء
مثَّلت للعيون حسناً اصاب ال　　شاعرَ اللوذعيَّ بالإِصفاء

* * *

كلما سارت السفينة بانت　　تلكمُ الارضُ فتنةً للرآءي
قد أحاطت بها الجزائرُ والاء　　لامُ والرابياتُ كالخُفَراء
ومروجٌ نضيرةٌ وغياضٌ　　ومَريعُ الحدائق الغنَّاء
نثر الطلُّ دُرَّهُ فسقاها　　وكساها بُرْدَيْ سنًى وسناء
فتبدَّت في مظهر الحسن تزهو　　مائسات في حلَّةٍ خضراء
بينما نحن في تأمُّل سرٍّ　　عنهُ كلَّت قرائح الشعراء
في مجالٍ من الطبيعة لاحت　　بسنى البدر حاليات الرداء
اذ رسا الفلكُ عند جنَّة عدنٍ　　فخرجنا منهُ إلى الميناء

حبذا جنّةٌ بها كل شيءٍ يتغنى بحمد ربّ العلاءِ
جنةٌ خصَّها الإله بحُسن ال موقعِ الفاتنِ اللطيف الهواءِ
جنّةٌ تربها من المسك والمآ ءُ بها كوثرٌ ضمينُ الشفاءِ
فرشت أرضها الحَصَى فحسبنا ها بساطاً قد حيكَ في صنعاءِ
ولكم شُيّدت بها من قصورٍ وبيوتٍ بديعة الانشاءِ
حفّها الزهرُ من خزامى وريحا نٍ وآسٍ وعاطرِ الحنّاءِ
ومن الياسمين والفلّ والور دِ عريشٌ مورّفُ الأفياءِ
وحياضٌ تسلسلت بمياهٍ كمُذابِ النُضارِ في اللألاءِ
قام فيها الاسود من حجر المر مرِ تحكي الاسودَ في الصحراءِ
تدفق المآءَ من ثغورٍ كرمحٍ أو حُسامٍ قد سُلَّ في الهيجاءِ
لطم الصخرُ حدَّهُ فغدا مثلَ م نثارِ اللآلئِ الحسناءِ

لعبت ثمّ في الحياض سِماكٌ سابحاتٌ ببُردةٍ حمراءِ
واستعاضت عن الاجاج زلالاً لذَّ فيهِ لهنَّ طول الثواءِ
ومقاماً قد طبْنَ فيهِ مُقاماً وتنزّهنَ عن دها الأعداءِ
ليس حوتٌ هناك يسطو على الشمل م بتمزيق أُلفةٍ او جلاءِ
أو شباكٌ تصطادهنّ صباحاً ومساءً بالحذق والنكراءِ
ثمّ حرّيّةٌ وصدق ولآءٌ وسواءٌ وطيب عيش الإخاءِ

***

واذا سرّحنا النواظر شمنا ثمّ سرباً من آنسات الظباءِ
جامعاتٍ حسن البداوة خلقاً ورُوآءَ الحضارة الغرّاءِ

يتمشَّينَ في الرياض كما يسري م نسيم الأصباح والامسآء
يتبدَّينَ في النهار شموساً وبدوراً يلُحْنَ في الظلمآء

***

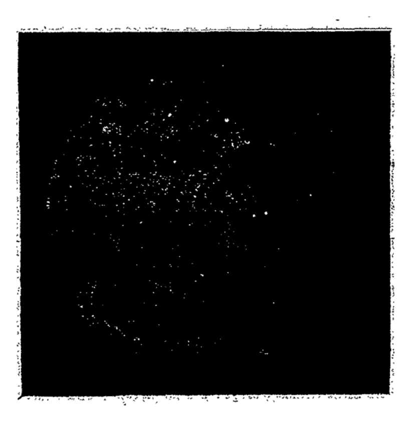
ففريقٌ منهنَّ يعزف بالقيثارِ وفقاً لمستطابِ الغنآء
وعلى العود والكمنجا وصوت الناي في الشدو نُحْنَ كالورقآء
فاسترقنَ القلب الشجيَّ المعنَّى واستملنَ الخليَّ للاصغآء

***

ذاك ليلٌ قد جار فيهِ دُجاهُ فانتضى الفجرُ صارمَ الأضوآء
فضَّ جيشَ الظلام فوراً فغار البدرُ يجري منكّساً للّوآء
وتبدَّت في الافق أُمُّ الدراري فاستنارت بها جهات العرآء
واستوت ربّة الضيا فوق عرش الم بحر تحت المظلَّة الزرقآء
وتعالى على الجبال غمامٌ يتحفي تحيّةً لذُكآء
وقد افترَّت الطبيعة بشراً وابتهاجاً بوفد ذات الحبآء
وبدا من ذيل الهضاب ضبابٌ كبخورٍ يفوح في الارجآء
وغدا الديك صائحاً وتغنى الطير شكراً لمبدع الاشيآء
بلُغًى تقتضي الثنآء لمولًى حمدُهُ واجبٌ على الاحيآء
يا لها جنَّةً نَعِمنا لديها بصنوف المُنى وصفو الهنآء
هي عَدْنٌ وقد نَفَتْ عدْنُ قدماً أبوينا عن ارضها الفيحآء
فقفلنا ولم يزل كلُّ قلبٍ سائحاً في جزيرة الامرآء

سُفعة الشمس

اكثرت الجرائد والمجلات في هذه الايام من الكلام على السُفعة الكبرى التي ظهرت على وجه الشمس في اوائل شهر فبراير من هذه السنة واشتغلت بها المراصد والندوات الفلكية في جميع جهات الارض بل لم يبقَ من عامّة الناس من لم يتحدث بها لانها كانت تُرَى بالعين المجرّدة وهي



(ش ١)

اكبر سفعةٍ ذكرت الى اليوم . واول سُفعةٍ قبلها رُؤيت بالعين المجرّدة هي التي ظهرت سنة ٣٢١ للميلاد ذكرها الاب مايّاك الجزويتي في تاريخ الصين الذي نقلهُ عن الصينية الى الفرنسوية في اواسط القرن الثامن عشر. وقد تنبه فلكيو العرب لهذه السُفَع منذ القرن التاسع للميلاد ولعل اول

سفعةٍ تنبهوا لها هي التي ظهرت سنة ٨٠٧ لعهد شرلمان وكانت كبيرةً جدًّا ولبثت تُرَى مدة ثمانية ايام متوالية . ويُذكر أن الاسبنيول لما دخلوا البيرو وجدوا ان الهنود هناك كانوا يعرفون السُفَع الشمسية وقيل ان لها ذكراً في كلام ڤرجيل الشاعر اللاتيني المشهور في صدر القرن الاول من



(ش ٢)

التاريخ الميلادي . الا انها لم تكن تُرَى في كل ذلك الا نكتةً سوداء على وجه الشمس ولم يُعلَم شكلها وتفاصيلها الا منذ اختُرِع المنظار الفلكي في اوائل القرن السابع عشر . وكان اول من فحصها بهِ غاليلاي الفلكي المشهور سنة ١٦١٠ بعد اختراعهِ المنظار المشار اليهِ وهو الذي حقق كثيراً من مغيَّبات العالم العُلويّ كالجزم بان نور السيّارة مستفاد من ضوء الشمس واثبات دوران

الشمس حول محورها وغير ذلك

وكان ظهور السُفعة التي نحن في صدد ذكرها في ٢٨ يناير واستمرّت الى ١٠ فبراير ثم غابت في الجانب الآخر من الشمس الا ان شكلها كان يتغير في هذه المدة كلها فيختلف منظرها بين ساعةٍ واخرى بل بين دقيقة واختها. اما مساحتها فقد كان معدَّل طولها نحو ١١٢ الف ميل وهي مسافة تزيد على ثُمن قُطر الشمس وتبلغ نحو ١٤ ضعفاً من قياس قطر الارض . ومعدَّل عرضها نحو ٦٣ الف ميل ومسطَّحها نحو خمسة آلاف مليون وثلاث مئة مليون ميل مربع وهي مساحة لا يغطيها اقلّ من ١٠٨ اجرام من مثل الارض ومن ١٤٤٥ جرماً من مثل القمر. ولو قُطِعت مناطق عرضها بقياس قطر القمر ووُصل بعضها ببعض لكان طولها ضعفي طول فلك القمر وفضل منها فضلة تطوّق الارض ثلاث مرّات

واكبر سُفعةٍ ظهرت قبلها هي التي شوهدت سنة ١٨٥٨ وكان طولها نحو ١٤٠ الف ميل الا انها كانت اقلَّ عرضاً من هذه بحيث لم تزد مساحتها على اربعة آلاف مليون ومئتي مليون ميل . وظهرت سفعة اخرى سنة ١٨٩٨ كان طولها نحو ١٠٠ الف ميل الا انها كانت مؤلفةً من عدة سُفَع صغيرة متفرقة على هذه المسافة لا مجتمعة كالسُفعة التي ظهرت في هذه السنة

على انهُ قد ظهر مع هذه السُفعة عدة سُفَع صغيرة بلغت في ١٠ فبراير عشر سُفَع متفرقة على ابعادٍ مختلفة على وجه الشمس. وذكر انهُ حدث عنها اضطرابٌ مغناطيسي شعروا بهِ في غرينويج في ٣ فبراير بعد نصف الليل

واستمرَّ طول النهار ثم الليل بعدهُ الى الساعة الثامنة من صباح الغد . ورُؤِيَ في لسبرن شفقٌ شمالي ظهر نحو الساعة التاسعة من ليل ٣ فبراير واستمرَّ الى نصف الليل

وقد اكثر الفلكيون من رسم هذه السفعة وتتبعوها في جميع اطوارها فاكتفينا هنا برسمها في ٣ فبراير كما تُرَى على قرص الشمس (ش ١) وكما تُرَى وحدها مكبَّرةً (ش ٢) وقد رُسِمت الارض بجانبها ليظهر القياس النسبيّ بينهما . اما الكلام على طبيعة السُفَع الشمسية فسنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

فوائد

مسحوق لتفضيض النحاس — يؤخذ ١٢ جزءًا من سيانور البوتاس و٦ من نترات الفضة و٣٠ من كربونات الكلس تُسحَق معاً وتحفظ في قارورة تُسدّ سدًّا محكماً. وعند ارادة الاستعمال يُوضع شيءٌ من هذا الخليط على ما يراد تفضيضهُ ويُفرَك فركاً شديداً و بعد تمام العمل يغسل بمآءٍ نقي

وهنا لا بد من التنبيه الى ان سيانور البوتاس من اشد السموم فعلاً ونترات الفضة من المواد الكاوية ولذلك ينبغي عند استعمال هذا المسحوق ان لا يباشر باليد ويُستعمَل الفرك بقطعةٍ من الجلد الليّن او بشعرية (فرشاة) ناعمة ونحو ذلك

اسئلة واجوبتها

بيروت — جآء في اقرب الموارد في مادة (ل د ن) ما نصهُ « ولا يستعمل (لَدُن) الا في الحاضر بخلاف عند يقال لدنهُ مالٌ اذا كان حاضراً ولديهِ مالٌ كذلك » . ثم ذكر الفروق بين لدن ولدى فقال « الثاني ان لدن لا يصح وقوعها عمدةً فلا تكون خبراً للمبتدا بخلاف لدى فانهُ يصح ذلك فيها نحو لدينا زيد » فقد منع هنا وقوع لدن خبراً للمبتدا مع انهُ في الموضع الاول مثَّل لها بقولهِ « لدنهُ مالٌ » فكيف يُعرَب لدن في هذا المثال ولماذا يجوز ان يقال « لدنهُ مالٌ » كما يقال « لديهِ مالٌ » ولا يجوز ان يقال « لدُنَّا زيد » كما يقال « لدينا زيد » وما الفرق بين التمثيلين ا * ف

الجواب — لا ريب ان قولهُ في الموضع الاول « لدنهُ مالٌ » غلط لنصّهم على ان لدُن « لا يصح وقوعها عمدةً فلا تكون خبراً للمبتدا » . قال في مغني اللبيب في الكلام على عند ولدى ولدن « ويفترقنَ من وجهٍ ثانٍ وهو ان لدن لا تكون الا فضلةً بخلافهما » اي بخلاف عند ولدى لكنِ الذي يظهر لنا ان المؤلف اختلط عليهِ الامرين لدى ولدن لان الذي ذكرهُ اولاً يصدق على الاولى دون الثانية . وفي مغني اللبيب في الموضع نفسهِ « ثم اعلم ان عند امكن من لدى من وجهين احدهما انها تكون ظرفاً للاعيان والمعاني . . والثاني انك تقول عندي مالٌ وان كان غائباً ولا تقول لديّ مالٌ الا اذا كان حاضراً » اهـ

آثار ادبيّة

تلخيص المفتاح — هو الكتاب المشهور في علم البيان الذي لخّصهُ الامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كتاب مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي . وهو متن نفيس كثير الفوائد جامع لمهمّات هذا العلم الا انهُ غامض العبارة على الطالب لما تُوخّي فيهِ من الايجاز تذرعاً الى سهولة استظهارهِ. وقد عني كثيرٌ من العلماء ببسط مُوجَزهِ والكشف عن مخبآتهِ الا ان غالبهم اوغلوا في مذاهب الفلسفة حتى خرجوا بالكتاب عن حدّهِ وزادوهُ استغلاقاً وبعداً على الطالب . ولذلك رأى حضرة الاديب المهذّب الشيخ عبد الرحمن البرقوقي احد نجباء شبان العصر المنقطعين للتبحر في اسرار العربية ان يضع لهُ شرحاً بيّناً يتكفل بايضاح اشاراتهِ وابراز ما انطوت عليهِ فصولهُ مقتصراً على ما هو من غرض الفنّ نفسهِ .وقد تحرّى فيهِ الاكثار من الشواهد والامثلة وشرح ما فيها من النكت البيانية على نحو ما فعل الامام الجرجاني تعزيزاً لما ورد في المتن فجاء سفراً كثير الفوائد اثير العوائد حريًّا بان يعتمد طلاّب هـذا العلم عليهِ ويرجعوا في فهم مقاصد المتن اليهِ

والكتاب حسن الطبع جيد الورق يقع في نحو ٤٦٠ صفحة وقد جعل ثمن النسخة منهُ اربعة قروش مصرية وهو يطلب من مكتبة الشيخ محمد سعيد الرافعي بالقاهرة ومن سائر المكاتب المشهورة بالقطر

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٥ —

ابن الدوك

لم يكن شرلوك هولمز بعد بعثهِ الا مقصداً لكل سائل وملجأ لكل من يطلب مساعدتهُ فكان منزلنا لا يخلو من الزائرين والقصَّاد حتى صار اشبه بدار الشحنة . ولا اتذكر منظراً اثر فيَّ من جميع الذين اتونا اكثر من دخول الدكتور نرثكروفت فانني كنت وصديقي شرلوك في غرفتنا واذا بالخادم قد دخل و بيدهِ بطاقة زيارة باسم الدكتور المذكور ولم نكد نقرأ الاسم حتى رأينا باب الغرفة قد دُفع بعنف ودخل منهُ الزائر وهو رجل طويل القامة ممتلئ الجسم هادئ الحركة تلوح عليهِ امارات العظمة والجد . فأغلق الباب بعد خروج الخادم ثم تقدم الى منتصف الغرفة فارتعش جسمهُ واهتزت ساقاهُ فاستند الى المائدة ولم يتمكن من الثبات فسقط بطولهِ الى الارض فاقد الرشد وعلمنا ان ذلك نتيجة تعب واجهاد نفس فأسرع شرلوك بوسادة وضعها تحت رأسهِ واسرعت انا بزجاجة كنياك ادنيتها من شفتيهِ . وعند التفرس في وجههِ رأينا عليهِ غضون التعب والغم وقد ظهرت تحت عينيهِ بقع سودآء . ونظر اليَّ شرلوك مستفهماً فقلت بعد ان جسست نبضهُ لا خطر عليهِ فان ما اصابهُ لم يكن الا عن تأثر واجهاد نفس فوق طاقتها . وكان شرلوك لا يغفل عن شيء فوجد تذكرة سفر في جيب الدكتور فقال هذه تذكرة القطار قد قطعها ذهاباً وايا باً من ما كلثون ووصل قبل انتصاف النهار فلا شك ان زائرنا قد جآء في قطار الليل .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولم نزل نجتهد في انعاش تلك الجثة حتى فتح العليل عينيهِ وتأمل فينا هنيهةً ثم استجمع قواهُ فنهض بتمهلٍ ثم قال بصوت خافت اعذرا ضعفي يا سيديَّ وتكرما عليَّ بشيء يسند قلبي لأقصَّ عليكما حديثي وقد جئت بنفسي يا سيدي شرلوك هولمز لاضمن ذهابك معي في الحال لاعتقادي ان رسالتي مهما كانت قوية ربما لا تقنعك بالحضور العاجل . ولما تناول كأساً من اللبن وقليلاً من الخبز قال اتوسل اليك ايها المولى ان تستعد للرجوع معي حالاً الى ماكلتون . فتبسم شرلوك وقال يصعب عليَّ جداً ان اجيبك الى طلبك ورفيقي الدكتور وطسن يخبرك عن الاشغال العظيمة الاهمية التي في يدي الآن والتي لا تسمح لي بمغادرة لندن الا لاسباب اهم منها . فصاح الدكتور قائلاً اهم منها ! كأنهُ لم يبلغك خبر اختطاف ابن الدوك هلدرنس رئيس الوزارة فانهُ مع شدة اجتهادنا في كتم الخبر تمكنت الجرائد من معرفتهِ ونشرهِ فلم اظن الا انهُ بلغكم . ولم يتم الرجل كلامهُ حتى نهض شرلوك الى دفتر مذكراتهِ ففتح فيهِ اسم هلدرنس فوجد اسم الدوك وتاريخهُ ووظائفهُ السامية واسم ابنهِ الوحيد الى آخر ما هنالك فلما اتم قرآءة ذلك قال لا ريب ان الرجل في غاية من الاهمية . فقال الدكتور نعم وفي غاية من الغنى فانهُ قد خصص خمسة آلاف ليرة لمن يدلهُ على محل وجود ابنهِ والف ليرة لمن يعلمهُ بالذي اختطفهُ . فقال شرلوك ان الجائزة تستحق الاهتمام ولكن تكرم واخبرنا ماذا حدث واين وكيف واي علاقة بينك و بين الدوك ولماذا تأخرت عن اعلامي بالامر مع انهُ حدث منذ ثلاثة ايام كما يشهد بذلك ظهور الشعر في وجهك لاهمالك حلاقتهُ

وكان الدكتور قد عاد الى نشاطهِ فتنهد قليلاً ثم قال ان لي يا سيديَّ مدرسةً انشأتها واتقنتها حتى اشتهرت كثيراً وقصدها الطلاب واكثرهم من ابناء الامرآء والشرفاء . ومن نحو ثلاثة اسابيع جاءني وكيل الدوك يسألني ان اقبل اللرد سلتير ابن الدوك في عداد التلامذة فلم اتوقف البتة وقد سرني جداً ان يكون في مدرستي وتحت اعتنائي مثل هذا الشريف فيشهر اسم مدرستي و يعلي شأنها . وفي اول مايو جاء اللرد وهو فتي في العاشرة من عمرهِ رقيق الجسم حسن الطلعة لطيف مطيع

فأحببتهُ واعتبرتهُ وعلمت منهُ انهُ لم يكن مسروراً كثيراً في بيت ابيهِ لان الدوك لم يتفق مع زوجتهِ فكانا في نفور دائم حتى انفصلا برضى الفريقين فذهبت الدوكة الى جنوبي فرنسا واقامت هناك . وكان الفتى يحب والدتهُ جدّاً ولم يرق لهُ صنيع ابيهِ فكان حزيناً كئيباً بعد فراق والدتهِ فاهتم الدوك بتسليتهِ وارسلهُ الى مدرستي ولم يمضِ عليهِ اكثر من عشرة ايام حتى ألف المدرسة واتخذ لهُ اصحاباً من التلامذة وبانت عليهِ علائم السرور والانبساط . فلما كان اليوم الخامس عشر من وصولهِ فقدناهُ في الساعة السابعة صباحاً ولم نقف لهُ على اثر . وكانت غرفتهُ محاذية لغرفة اخرى ينام فيها اثنان من التلامذة وكانا قد نظراهُ داخلاً الى غرفتهِ فلم يعلما شيئاً آخر وثبت لدينا انهُ خرج من النافذة مع انهُ لم يظهر امامها اثر اقدام ولا تكسرت النباتات القائمة بجانبها . وظهر لنا انهُ نام تلك الليلة في سريرهِ ولكنهُ كان قد ارتدى ثيابهُ الرسمية المدرسية قبل خروجهِ ولم يبن في الغرفة اثر لدخول احد او لمجاهدة او اغتصاب . ولما بلغني الخبر في الصباح استدعيت كل من في المدرسة من تلامذة واساتذة وخدم فظهر لنا حينئذٍ ان اللرد سلتير لم يكن وحدهُ المفقود بل قد اختفى معهُ استاذ اللغة الالمانية واسمهُ هيديجر وكانت غرفتهُ بازاء غرفة سلتير وظهر من سريرهِ ايضاً انهُ ام تلك الليلة ثم نهض فارتدى ثيابهُ وخرج من نافذة غرفتهِ كما ظهر من النباتات المتكسرة التي نزل عليها وكانت لهُ درّاجة يضعها في ناحية من المدخل فوجدناها مفقودة ايضاً . وبعد ان بحثنا عنهما ولم نهتدِ سألنا في بيت الدوك هل رجع الولد اليهِ فعلمنا انهُ لم يرهُ احد واضطرب الدوك اضطراباً شديداً حتى كاد يفقد عقلهُ . اما انا فقد رأيتم من حالتي ما يدلكم على تأثير هذا الامر فيَّ لانهُ يقلل من ثقة الناس بي ويقوض اسم مدرستي ومستقبلي فاستحلفك يا سيدي شرلوك ان تبذل كل ما في وسعك لمساعدتي في هذا الامر

وكان شرلوك يصغي بمزيد الانتباه فأخذ من جيبهِ مذكرة قيد فيها بعض ملاحظاتهِ ثم القى على الدكتور عدة اسئلة تحقق من جوابهِ عليها انهُ لم تكن علاقة قط بين الاستاذ والفتى وانهُ لم يكن للفتى دراجة وبما انهُ لم يُفقد سوى دراجة

الاستاذ ولا يُعقل ان يكون الاثنان قد ركبا دراجة واحدة فلا شك انهما ذهبا بطريقة اخرى واخفيا الدراجة للتمويه . وكذلك انهُ لم يزر الفتى احد ولا اتتهُ رسائل سوى واحدة من ابيه لم يطلع عليها الدكتور ولكنهُ عرفها من العنوان . وكان شرلوك يلقي هذه الاسئلة ويأخذ ملاحظاته من اجوبة الدكتور ثم قال سنذهب معك بحسب طلبك ولكن لا ينبغي ان يعلم احد هناك بحضورنا . وبعد نصف ساعة ركبنا عربة اقلتنا الى موقف القطار فبلغنا بلدة الدكتور ووصلنا الى المدرسة فأخبرنا البواب ان الدوك نفسهُ وكاتب اسراره قد دخلا يرومان مقابلة الدكتور . فدخل الدكتور وقادنا بيده ليقدمنا الى الدوك ولما دخلنا وجدناهُ واقفاً في وسط الغرفة وهو طويل القامة لهُ وجهٌ طويل اصفر ولحية شقرآء وقد بانت على وجهه علامات اليأس والغضب والى جانبه رجل اقصر منهُ قامةً حسن الهيئة تلوح عليه علامات النجابة والذكاء عرفتهُ انهُ كاتب اسرار الدوك . فبدأ الكاتب بالحديث وقال مخاطباً الدكتور انني اتيت في هذا الصباح لامنعك عن احضار شرلوك هولمز لانهُ بلغني انك تنوي الذهاب لاحضاره فكيف اقدمت على هذا العمل بدون استئذان الدوك مع انهُ اعلمك انهُ لا يريد ان يشيع هذا الامر ويتحدث الناس به . فقال الدكتور بصوت مرتجف انني استعنت بصديقي شرلوك هولمز لما علمت ان رجال الشحنة لا يستطيعون شيئاً ومع ذلك فالامر سهل ولا يتأخر صديقي عن الرجوع ونسيان الامر . فقال الدوك بصوت يتهدج خشونةً اما وقد اطلع المستر شرلوك هولمز على هذا فليس من الصواب ان نتركهُ بل ان نستفيد من مساعدته وعلمه فانني وكاتب اسراري مستعدان لالقاء الامر بين يديك يا شرلوك . فأبرقت اسرة شرلوك وقال اشكرك يا مولاي لحسن ظنك بي وعلمه فاسمح لي ان اسألك هل خطر لك شيء عن سبب اختفاء الولد . قال لا . قال اعذرني اذا اشرت الى اشيآء ربما لا تسرّك هل تظن ان للدوكة يداً في اختطافه . فقال الدوك وقد تململ لا اظن . فقال شرلوك اذاً ربما اختطفهُ احد اللصوص ليطلب منك فكاكهُ فهل طُلب منك شيء من ذلك قال لا . قال شرلوك وقد بلغني انك كتبت اليه بالامس

فهل كان ذلك حقيقةً وهل تحققت ان رسالتك وُضعت في صندوق البريد بدون ان يمسها احد . فأجاب كاتب الاسرار بحدة ان مولاي كتب الى ابنه حقيقةً وانا الذي بعثت بالرسالة لانهُ ليس من عادة الدوك ان يأخذ مكاتيبهُ الى ادارة البريد . ثم قال الدوك اما انا فمع اعتقادي ان الدوكة لم تتداخل في هذا الامر فقد وجهت انظار رجال الشحنة الى ذلك واظن انهُ لم يبقَ ما يدعو الى بقائي هنا . ولما قال هذا خرج مع كاتب اسرارهِ ورأيت من صديقي شرلوك انهُ كان يود القاء اسئلة اخرى منعهُ منها خروج الدوك . فلما صرنا وحدنا اخذ شرلوك في فحصهِ الدقيق بغاية الحزم والانتباه فبدأ بغرفة الولد فلم يستنتج منها الا ان نزولهُ كان من النافذة . فعاد الى غرفة الاستاذ فوجدها كتلك الا ان النبات الذي امام النافذة قد تكسر بعضهُ من نزولهِ وظهر اثر قدميهِ في الحديقة ولم يجد غير ذلك . وبعد ان اتم شرلوك فحصهُ تركني وذهب الى القرية فانتظرتهُ الى منتصف الليل واذا بهِ قد عاد وبيدهِ خريطة الناحية فوضعها على مائدة وجلس يدرسها بتأمل . فتركتهُ مدة ساعة ثم سألتهُ عما يراهُ في ذلك الامر فأشار الى الخريطة وقال هذه هي المدرسة وليس امامها الا طريق واحدة وقد فحصت الطريق من ناحيتيها وعلمت ان الهاربين لم يذهبا من الجهة الشرقية لانهُ كان هناك شرطي في ذلك الوقت علمت من سؤالهِ انهُ لم يرَ احداً . واتبعت الجهة الغربية فوجدت فيها فندقاً وكان فيهِ مريض في تلك الليلة استدعى الطبيب وبقي عدد من الخدم ينتظرونهُ الى الصباح فلم يروا احداً مرّ من تلك الطريق . وعليهِ فلا يمكن ان يكون المختطفون قد سلكوا الطريق السلطانية . وقد بقي علينا جهتا المدرسة الشمالية والجنوبية فالاولى صحارى ورمال لا يمكن ان تسير فيها الدراجة اما الثانية فتنتهي الى قصر الدوك ومع انها وعرة فلا يصعب على المتمرن ان يجتازها راكباً دراجتهُ . وبينما شرلوك يوضح لي ذلك فتح باب غرفتنا ودخل منهُ الدكتور تونكروفت صاحب المدرسة وقد ابرقت اسرتهُ فقال قد ظهر لنا شيء جديد ايها العزيز شرلوك فأسرعت لاخبرك بهِ فان رجال الشحنة وجدوا قبعة الولد مع زمرة من النور الرحّل ولما سئلوا قالوا انهم

وجدوها في القفر الذي وراء المدرسة غير ان رجال الحكومة القوا عليهم القبض لفحصهم فلا يبعد انهم هم الذين اختطفوا الولد او انهم يعرفون مقرهُ . اما شرلوك فهز رأسهُ وبقي صامتاً ولما خرج الدكتور قال لي دعهم في اغترارهم واستعد لمرافقتي غداً لفحص الطريق التي بين المدرسة وقصر الدوق لعلنا نهتدي الى شيء . ولما نهضت صباحاً وجدت شرلوك في انتظاري فقال قد فحصت موضع الدرّاجة ودار المدرسة قبل ان اوقظك فأسرع واتبعني. فنهضت للحال وخرجت معهُ وقد تأكد لي انهُ سيقضي نهارهُ في البحث الدقيق وان امامنا يوماً من ايام الشغل الجدّي

وتتبع شرلوك القفر الذي يحيط بالمدرسة فسرنا فيهِ مسافةً وهو لا يرفع نظرهُ عن الارض وما زلنا نسير الهوينى وكلنا عيون حتى رأيت خطًّا عرفتهُ انهُ اثر دراجة فصحت مسروراً والتفتُّ الى شرلوك فرأيتهُ قد جثا وجعل يفحص ذلك الاثر ولكنهُ لم يظهر عليهِ السرور الذي كنت اتوقعهُ ثم قال لي بلهجة الآسف ان اثر هذه الدراجة يا وطسن يدل على انها من نوع دراجات دنلوب ودراجة الاستاذ الالماني التي نطلبها هي من دراجات پلمر . ثم اننا نسعى وراء دراجة غادرت المدرسة وهذا الاثر يدل على دراجة آتية الى جهة المدرسة كما يظهر من خطي عجلتيها فانك ترى العجلة الخلفية ابين اثراً من الامامية وذلك طبيعي لان ثقل الراكب يكون عليها ولكن لا بأس فربما هدانا هذا الى اثر آخر . فتبعنا تلك العلامة الى مسافة ونحن اشبه بالكلاب التي تبحث عن طريدتها واذا بشرلوك قد صاح صياح الفرح ورأيت هذه المرة علامات السرور باديةً على وجههِ فقال اليَّ يا وطسن فقد وجدت اثر عجلة الاستاذ . واذ ذاك تبعنا معاً ذلك الاثر وهو متجه الى الغاب ولم نرَ سواهُ الا آثار دوس البقر التي كانت ترعى في تلك الجهات . وبعد ان سرنا مسافةً طويلة وقف شرلوك وقال انظر فان الآثار هنا تدلنا على شيء مهم. وبعد ان تفرس قليلاً قال يظهر ان الاستاذ قد سقط هنا عن دراجتهِ ثم عاد فركب هناك ولكن ما هذا . ولما قال ذلك نظرت فاذا ببقع حمراء على الاحجار وعلى اوراق النبات فدهشت لذلك المنظر ولما اقتربنا من الغاب رأيت الدراجة عن بعد ملقاة الى جانب الطريق

فاسرعنا اليها ولم نكد نبلغها حتى استوقفنا منظر اقشعرّت له اجسامنا فاننا رأينا الاستاذ الالماني بعينهِ ملقىً على الارض مخضباً بالدمآء . فاقترب شرلوك من الجثة وبعد ان فحصها بتدقيق وقف وقال قد رأيت فيما رأيت حتى الآن ان الولد خرج من غرفتهِ بنفسهِ بدليل لبسهِ الكامل وان هذا الاستاذ رآهُ هارباً فتبعهُ ليردّهُ وكان ذلك بسرعة بدليل انهُ لم يكمل لبس ثيابهِ فوصل الى هنا ولقي حتفهُ من الذين اختطفوا الولد . بقي علينا ان نتبع اثر الدراجة الثانية التي جاءت الى المدرسة فلعلها تهدينا الى الذين اتوا واختطفوا الولد او اغروهُ بالخروج . ولما قال ذلك رأى راعياً عن بعد فناداهُ ودفع اليهِ تذكرةً امرهُ بايصالها الى المدرسة ليعلم الدكتور نرثكروفت بوجود جثة الاستاذ . وعدنا الى تتبع اثر الدراجة الاخرى فانتهى بنا الى فندق على الطريق في منتصف المسافة بين المدرسة وقصر الدوك . فلما اقتربنا من الفندق وجدنا صاحبهُ على بابهِ يدخن فصاح شرلوك صيحة المتألم وجعل يعرج وكنت قد اعتدت حيلهُ فلم اظهر الاستغراب . ولما بلغنا باب الفندق سلمنا على صاحبهِ وسألهُ شرلوك هل عندهُ مركبة للاجرة فقال لا . قال ولا دراجة انقدك اجرتها ما شئت فقال لا . قال شرلوك اننا مضطرون ان نصل الى قصر الدوك وقد وُثئت رجلي فلا استطيع المشي فكيف السبيل الى الحصول على دراجة . فقال الرجل لا دراجة عندي ولكن ان احببتما فعندي رأسان من الخيل أوجرهما لكما . فقال شرلوك لا بأس ولكن نحن في حاجة الى الطعام فهل لك ان تحضر لنا شيئاً نأكلهُ بينما تجهز لنا الفرسين . فقال الرجل نعم ولكن ما غرضكما من زيارة الدوك . فقال شرلوك اننا نبحث عن ابنهِ المفقود . ولما قال هذا نظرنا الى صاحب الفندق فرأيناهُ قد امتقع لونهُ وبانت عليهِ علامات الارتباك ولكنهُ تجلد وقال انني لا اود للدوق خيراً فانني كنت حوذياً عندهُ فطردني بدون ذنب سوى جنونهِ . ولما ذهب الرجل ليعدّ لنا الطعام نهض شرلوك بخفتهِ المعتادة فالقى نظراً الى كل جهة من غرف الفندق ووقف حيناً امام نافذة الاصطبل ثم عاد اليَّ فقرأت في وجههِ علامات الاستبشار العظيم ثم قال لي اتذكر يا وطسن اننا رأينا آثار البقر في الغاب

قلت نعم . قال وهل لاحظت فيها شيئاً قلت لا . فقال اني قد لاحظت ان بعض آثار ارجلها كانت هكذا : : : : و بعضها هكذا : . : . : : . والبعض هكذا . . . . وهذه الآثار تدل على المشي المعتاد وعلى الخبب والجري السريع وهذا غير مألوف في البقر . وجاء صاحب الفندق بالطعام فجلسنا نتناوله وكان شرلوك يراقب الرجل ويسرّ اليّ انهُ يعتقد ان لهُ دخلاً في امر الاختطاف . ولما فرغنا من الطعام دفع شرلوك ثمنهُ وقال للرجل أشعر انني استطيع المشي الآن فلا حاجة بنا الى الركوب . ثم خرجنا وكان الرجل يتبعنا بنظرٍ غريب تجاهلناهُ حتى اذا ابتعدنا عن الفندق بحيث لا يرانا اخذ شرلوك بذراعي وقال لا يطاوعني قلبي يا وطسن على ترك الفندق فلا بد لي من الرجوع اليهِ ولكن هلمَّ نختفي قليلاً هنا لنرى من القادم . ولم نكد نستتر وراء بعض الصخور على جانب الطريق حتى مرّ بنا رجلٌ على دراجة كالبرق الخاطف فعرفناهُ انهُ كاتب اسرار الدوك الذي رأيناهُ امس ولكن كان قد تغيرت سحنتهُ وظهرت عليهِ علامات قلق شديد كمن قد فقد رشدهُ . ولما اجتازنا نهض شرلوك فقال اظنهُ ذاهباً الى الفندق فلا بد من اتباعهِ والاطلاع على غرضهِ من المجيء . فجعلنا ننتقل من صخر الى آخر حتى اشرفنا على الفندق فوجدنا الدراجة امام بابهِ وعلمنا ان كاتب الاسرار هناك فلبثنا منتظرين الى ان خيم الظلام ثم ظهر لنا نور عربة خرجت من الفندق وابتعدت عنهُ الى الجهة الاخرى فعلمنا ان الرجل لم يبرح الفندق لبقاء دراجتهِ امام الباب . وبعد هنيهةٍ ظهر لنا نور آخر في احدى غرف الفندق فتقدمنا مسرعين حتى بلغنا بابهُ . واشعل شرلوك ثقاباً ففحص الدراجة وقال نعم هي بعينها من دراجات دنلوب وهي الدراجة التي ذهبت لاحضار الولد وكنت اود ان اصل الى النافذة لارى ماذا يجري ضمن الغرفة . وقبل ان يتم كلامهُ حنيت لهُ ظهري فتبسم ووثب الى كتفيّ فبلغ النافذة ولم يكد يصل اليها حتى نزل وقال هيا بنا يا وطسن فقد علمت كل ما تهمني معرفتهُ الآن . فسرنا راجعين في الغاب الى المدرسة وكان شرلوك صامتاً كل الطريق ولم يدخل المدرسة توّاً بل توجه الى المحطة فارسل عدة رسائل برقية وعدت واياهُ

فقابلنا الدكتور نرثكروفت وعزيناه عن وفاة الاستاذ . ثم دخلنا غرفتنا لننام فقال شرلوك ان التقادير تساعدنا كثيراً واعتقد اننا سنكشف سرّ الامر قبل مسآء الغد ونام في تلك الليلة نوماً هادئاً مريحاً ولما اصبحنا تناولنا الطعام ثم سار بي حتى بلغنا قصر الدوك فدخلناهُ عند الساعة الحادية عشرة واستقبلنا كاتب اسرار الدوك فلما رآنا بهت ولاحظت في وجهه شيئاً من قلق الامس . ثم ابتدرنا بالكلام وقال اظنكما تودّان مقابلة الدوك ولكنهُ لسوء الحظ مريض لا يستطيع مقابلتكما وقد اثرت فيهِ حوادث هذه الايام ولا سيما خبر مقتل الاستاذ . فقال شرلوك لا بد لنا من مقابلته مهما كانت الحال . فقال ولكنهُ في غرفتهِ . قال شرلوك ندخل عليه . قال وهو نائمٌ في سريرهِ . قال نوقظهُ . فلما رأى كاتب الاسرار اصرار شرلوك قال انتظرا اذاً ريثما استأذنهُ في دخولكما . وبعد نصف ساعة دخلنا الى مكتب الدوك فوجدناهُ امام مائدتهِ وهو اشبه بالجثة منهُ بالانسان الحيّ . وبعد السلام قال هل عندكما خبرٌ جديد . قال شرلوك نعم ولكن يجب ان تسمع الخبر وحدك . فامتقع لون كاتب الاسرار وتردد الدوك قليلاً ثم اشار اليه بالخروج . ولما اغلق الباب وراءهُ قال شرلوك مخاطباً الدوك بلغنا يا مولاي من الدكتور نرثكروفت انك عينت جائزة خمسة آلاف ليرة لمن يخبرك عن محل وجود ابنك فهل هذا صحيح . قال نعم . قال وجائزة اخرى الف ليرة لمن يخبرك عن الشخص او الاشخاص الذين يحجزونهُ الآن او الذين يكيدون لهُ فهل هذا صحيح . قال نعم . فقال شرلوك وقد ابرقت اسرتهُ انني ارى دفتر اوراقك المالية امامك فارجو منك ان تتكرم بكتابة حوالة بقيمة ستة آلاف ليرة باسمي وتسليمها اليّ الآن . فبهت الدوك وقال أتمزح يا شرلوك هولمز . قال كلا يا مولاي بل اطالبك بما هو حقّ لي فقد علمت ان ابنك موجود في الفندق الواقع على بعد ميلين من هذا القصر . فزاد اصفرار لون الدوك والقى ظهرهُ الى الكرسي كمن خانتهُ قواهُ ثم قال ومن الذي اختطفهُ وسجنهُ هناك . فقال شرلوك وقد اشار بيدهِ الى الدوك انت هو يا مولاي وانت اعلم مني بالامر فتكرم واعطني الحوالة

ولن انسى ما حل بالدوك عند سماعهِ تلك الجملة فكأنهُ صعق ثم تشنجت اعصابهُ فوثب عن كرسيهِ وسقط عليهِ ثانيةً ولما استجمع قواهُ قال بصوتٍ لين هل عرفت كل شيء يا شرلوك . قال نعم وقد رأيتكم جميعاً امس في الفندق . فاخذ الدوك قلمهُ وبدأ بكتابة الحوالة ثم نظر الى شرلوك وقال اظن انهُ لم يعلم احد بذلك الا انت ورفيقك فانا اضاعف قيمة الحوالة اذا وعدتماني باخفاء الامر عن كل بشر . فهزَّ شرلوك رأسهُ وقال ان ذلك يصعب بعد اشتهار مقتل الاستاذ . فقال الدوق بلهجة تذلل استحلفك بالله يا شرلوك ان تمدّني بنصائحك لتلافي السخرية التي ستترتب على هذا الحادث وابعاد الخطر ما امكن . فقال شرلوك لا بد لي اذاً من معرفة تفاصيل الامر بتمامهِ . فقال الدوك لا مانع من ذلك وقد نجا القاتل . قال شرلوك يظهر يا مولاي ان مهارة شرلوك هولمز لم تبلغ اذنيك بعد فان القاتل لم ينجُ وان صاحب الفندق قد أُلقي القبض عليهِ امس حين خروجهِ في عربتهِ ليهرب من انكلترا . فدهش الدوك وقال يظهر لي ان لديك قوة غير بشرية يا هذا فاسمع حديثي بتمامهِ وعسى ان تتمكن من انقاذ جيمس . فقال شرلوك لعلك تعني كاتب اسرارك يا مولاي . قال هو ليس بكاتب اسراري ولكنهُ ابني البكر فانني احببت في صباي فتاة وهذا ابني منها وكنت عرضت عليها ان اقترن بها فلم تقبل وتعللت بانها من اسرةٍ غير معروفة فلا يحسن ان تصبح زوجةً لي . ولو بقيت تلك الفتاة حيةً لما تزوجت قط ولكنها توفيت وتركت لي هذا الولد فاعتنيت بهِ اكراماً لها ولم استطع ان اعترف به جهراً ولكني بذلت جهدي في تثقيفهِ كما يليق بابن دوك . ولست اعلم كيف تمكن من الاطلاع على سرّ ولادتهِ فتهددني بان يشهر امري او اعترف به شرعاً . ثم لما تزوجت كان وجودهُ سبباً للشقاق بيني وبين الدوكة زوجتي ثم رزقني الله منها ولداً فاضمر لهُ الشر والبغض . ولم اتمكن من ابعاد جيمس عني لاني كنت ارى في وجهه صورة والدتهِ فلم تطاوعني نفسي على تركهِ وكنت احافظ على ولدي الثاني جدّاً ولما خشيت ان يوصل اليهِ جيمس اذيةً ارسلته الى مدرسة الدكتور نرثكروفت ليكون في امان . واضمر جيمس

الشر فتواطأ مع صاحب الفندق وهو رجل شرير لص قاتل كان حوذياً عندي وطردتهُ لما عرفت صفاتهِ . واتفق انني كتبت لابني قبل اختطافه كتاباً ودّياً فاخذهُ جيمس وفضهُ ثم كتب فيهِ للولد عن لسان والدتهِ انها تود مقابلته في ساعة معينة وتطلب ان يخرج من المدرسة بدون ان يعلم احد ويقابلها في ذلك القفر . وخرج الولد مدفوعاً بالشوق لمشاهدة والدتهِ فقابلهُ جيمس وقال لهُ ان والدتهُ تنتظرهُ في الفندق ثم سار ممتطيين جواداً اخذهُ جيمس لهذه الغاية . وظهر ان رجلاً كان يتبع الولد من المدرسة كانهُ يريد ارجاعهُ او المحافظة عليهِ فكمن لهُ الخبيث صاحب الفندق ولما بلغ الغاب ضربهُ على ام رأسهِ بعصاهُ الحديدية فالقاهُ صريعاً ثم اخذا الولد الى الفندق فسجناهُ في احدى غرفه . اما انا فلم اكن اعلم شيئاً من ذلك ولا غاية جيمس من فعلهِ هذا وربما قصد باخفاء الولد ان يجبرني على كتابة وصيتي باسمهِ وان يشترط عليَّ ذلك لارجاعهِ ولكن اكتشافكما جثة الاستاذ واشتهار الامر افسدا تدابير جيمس وخشي سوء المغبة . فانهُ لما بلغنا من الدكتور نرثكروفت انكما عثرتما في بحثكما على الجثة رأيت على وجه جيمس علامات الاضطراب فسألتهُ فاعترف لي بما فعل وتوسل اليَّ ان اكتم الامر ثلاثة ايام فقط الى ان يتمكن الجاني من الفرار فلم استطع مخالفتهُ فتوجه الى الفندق ليلح عليه بالهرب . ولم استطع انا الذهاب الى هناك نهاراً لئلا يراني احد فانتظرت الى ان خيم الظلام واسرعت لمشاهدة ولدي الحبيب الذي لم اشك في انهُ يقاسي عذاباً اليماً في سجنهِ . ووددت ان احضرهُ معي فمنعني جيمس واجبرني ان ابقيهُ ثلاثة ايام بقولهِ انهُ اذا ظهر الولد الآن يتمكن الشرطة من معرفة قاتل الاستاذ وتعود تبعة الامر على جيمس وعلى اسم اسرتي . فاصغت لتوسلاتهِ مرةً اخرى وعدت وفي نفسي شجون فلم استطع نوماً وبقيت مشرد الفكر مشغول البال الى ان بلغني قدومكما الآن

ولما اتم الدوك حديثهُ تنفس الصعداء فقال شرلوك يسوءني يا مولاي ان سياسياً محنكاً نظيرك يلقي بنفسهِ الى مثل هذه الامور التي تخالف العدل والقانون فقد اشتركت مع المجرم بسكوتك عنهُ ومساعدتك على هربهِ لان جيمس لم ينفق

على كل ذلك الا من مالك الخاص . وبما انك طلبت مساعدتي فاسمح لي ان اتصرف كما اشاء . ولما قال هذا قرع جرساً امامهُ فدخل الخادم فقال لهُ شرلوك لا بد انك تسرّ يا هذا متى علمت ان ابن مولاك قد وُجد فاسرع بمركبةٍ الى الفندق الذي في الغاب واحضرهُ الينا سريعاً . فكاد الخادم يجنّ لفرط سروره واسرع لانفاذ الامر . ثم التفت شرلوك الى الدوك وقال اما صاحب الفندق فلا شيء يخلصهُ الآن من يد العدالة ولا اسعى انا لخلاصهِ منها ولكنك ربما استطعت يامولاي ان تقنعهُ بان لا يذكر اسمك ولا اسم جيمس وان يعترف بأنهُ انما اختطف الولد طمعاً في طلب فديةٍ مالية لارجاعهِ . اما جيمس فبقاؤهُ في قصرك مما يجلب عليك مصائب وويلات لا تؤمن عاقبتها . فقال الدوك قد علمت ذلك وقررت من امس ان يسافر الى استراليا ويقضي بقية حياتهِ هناك . فقال شرلوك وبما انك قلت ان وجودهُ كان سبب النزاع الداخلي مع الدوكة فلا ارى مانعاً بعد ذهابهِ يمنع رجوع الدوكة اليك . فقال الدوك قد افتكرت في ذلك ايضاً وكتبت اليها هذا الصباح استغفرها عما سلف واطلب اليها الرجوع العاجل . فقال شرلوك يسرّني ان مجيئنا لم يأت الا بفوائد حسنة ولكن بقي لديَّ امرٌ واحد اودّ معرفتهُ فاني لاحظت ان الجواد الذي ركبهُ جيمس كانت حوافرهُ كأظلاف البقر وهذا ما لم استطع حلهُ . فتبسم الدوك وقال انظر واشار الى صندوق ففتحهُ فوجدنا فيهِ اربع نعال مشقوقة كالاظلاف فقال الدوك ان جيمس قد اخترع هذا الاختراع ليموّه بهِ اذا شاء الذهاب الى جهةٍ راكباً ولم يشأ ان يتبعهُ احد ولكنهُ غاب عليهِ ان لشرلوك هولمز عيناً تخترق حجاب الظلام وتقرأ التاريخ بعد محوهِ . فقال شرلوك لا شك ان هذه فائدة اخرى استفدتها في هذه الرحلة . فقال الدوق وما هي الفائدة الاولى . فقال شرلوك وهو يتبسم هي هذه الحوالة يا مولاي . ولما قال ذلك تناول الحوالة فوضعها في محفظتهِ وحيينا الدوك باحترام وخرجنا من لدنهُ عائدين الى محل اقامتنا في لندن مسرورين بتلك الرحلة وانا اعجب من وقائعها وشرلوك يعجب بالدخان المتصاعد من لفائفهِ

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ومن اغلاطهم في الرسم كتابة الثقات بتاء مربوطة كما يُكتَب القضاة مثلاً وشتان ما بينهما فان الاول جمع سالم ومفرده ثقة فهو مثل جهات جمع جهة والثاني جمع مكسَّر مفرده قاضٍ واصله قُضَيَة بوزن رُطَبَة ثم قُلبت ياؤه الفاً لتحركها بعد فتحة . وربما كتب بعضهم الرُفات كذلك وهو انكر لان هذا اللفظ مفرد لا مجموع كما تقدم الكلام عليه وتاؤه اصلية لانها لام الكلمة

ومن ذلك كتابتهم الأُرطة للفرقة من الجيش « اورطة » بزيادة واو بعد الهمزة متابعةً للاصل المنقول عنهُ مع ان الكلمة معرَّبة يستعملونها استعمال اسماء الاجناس العربية ويجمعونها كذلك فيقولون خمس أُرَط على حد غُرفة وغُرَف فلم يبقَ فيها وجهٌ لاستصحاب اصل الرسم . على انهم يبقون هذه الواو في الجمع ايضاً مع انهُ صيغةٌ عربية محضة فيكتبونهُ « اورط » وفي ذلك من الهجنة ما لا يخفى

ومن هذا القبيل كتابتهم الكُبري للجسر « كوبري » بزيادة واوٍ ايضاً مع انهم يقولون في جمعهِ كباري . على انا لا ندري الموجب لاستعمال هذين اللفظين مع وجود ما يرادفهما في العربية ومع كون كلٍّ من اللفظين العربيين لا ثقل فيهِ ولا غرابة

ومثل ذلك بل اغرب منهُ كتابتهم الرُصَيرِص وهو اسم مكانٍ بالسودان

« الروصيرص » بزيادة واوٍ بعد الرآء الاولى مع ان لفظهُ موافقٌ للاسمآء العربية المصغَّرة بل هو اشبه ان يكون عربيّ الاصل مأخوذاً من الرصراصة وهي الارض الصلبة

ويلحق بذلك كتابتهم نحو باللو ودويللو هكذا بلامين وهو من المتابعة للاصل الاعجميّ ايضاً لكن العجب انك لا تجد هذه المتابعة الا في كتابة حرف اللام كما في الكلمتين المذكورتين وقس عليهما كثيراً من الالفاظ كبللارمينوس وتوريشللي وابوللونيوس وغير ذلك مما لا يكادون يشذون فيهِ وبخلاف ذلك بقية الحروف المكررة فانهم يكتفون فيها برسم حرف واحد يشددونهُ في اللفظ فيكتبون غمبتّا مثلاً بتآءٍ واحدة وفرّي برآء واحدة وكذلك سكّي وجوانّي وهلمّ جرًّا وهو غريب

ومن غرائبهم في الرسم نحو قولهم ابتاع هذه الارض ب ١٠٠٠ ليرة مثلاً فيرسمون البآء هكذا منقطعةً مستقلةً بنفسها مع ان من الاصول المقرَّرة ان الكلمة اذا كانت على حرفٍ واحد سوآءٌ كانت حرفاً ام اسماً لا تستقلّ في الرسم ولو تقديراً فتكتب البآء والفآء والكاف واللام والسين الداخلة على اول المضارع متصلة بما بعدها وكذلك الضمائر في مثل ضربت وضربك وكتابي وهلمَّ جرًّا . واذا ارادوا ان يعبروا عن احد هذه المذكورات وامثالها قالوا البآء مثلاً حرف جرّ والهمزة حرف استفهام ولم يقولوا بِ حرف جرّ او أَ حرف استفهام . ومما يزيد المسئلة غرابةً انهم يرسمون البآء ونحوها في مثل ما ذُكر بصورة البآء المتصلة في اول الكلمة مع انها لا تتصل بشيءٍ لان ما بعدها ارقامٌ لا حروف فتبقى لا متصلة ولا منفصلة .

وما ندري بعد هذا ما الداعي الى هذا التكلف وما ضرّهم لو كتبوا « بألف ليرة » عوض « .: ١٠٠٠ ليرة » وخلصوا من غرابة ذلك الرسم وهجنته

وبقي هناك اشيآء خاصّة نورد بعضها في هذا الموضع فكاهةً للمطالع الاديب ولعلّ ايرادها لا يخلو من فائدةٍ لبعض المتحذلقين ممن يتطالّون الى غير المألوف من صيغ الكلام او يجازفون في استعمال الفاظ اللغة فيأتي كلامهم في نهاية الغرابة والابهام . وذلك كقول بعضهم « سمع حركةً تعقّبها دخول فلان » يريد عقَبها وتلاها ولكنهُ لم يرضَ باللفظ المتعارَف فعدل الى تعقَّبها فاخطأ المراد وافسد المعنى لان تعقَّب لا يأتي بمعنى عقَب والذي في كتب اللغة تعقَّب الرجل اذا اخذهُ بذنبٍ كان منهُ وتعقب الامر اذا تدبّرهُ ونظر فيهِ ثانيةً وتعقب الخبر اذا تتبعهُ واستثبتهُ وانظر ايّ هذه المعاني يصلح للمقام

ومن هذا القبيل قول الآخر « استفزّهُ ففزّ » يريد استخفّهُ فخفّ او استثارهُ فثار ولكن لم يجئ فزّ في كلامهم مطاوعاً لاستفزّ انما المنقول عنهم فزّ عني عدل وانفرد والظبي فزع والرجل توقد (كذا) والجرح سال وندي . على ان كل هذا من اللفظ المهجور الذي تُركَ استعمالهُ من عهدٍ بعيد

وقريبٌ من هذا قول الآخر « امرٌ محمود المغبّة مشكور النقيبة » اراد بالنقيبة العاقبة ونحوها على حدّ قولهِ محمود المغبّة ولكن النقيبة لا تكون بهذا المعنى فضلاً عن انهُ لم يُسمَع في كلامهم امرٌ مشكور النقيبة انما يقال رجلٌ ميمون النقيبة اي ميمون المشورة وقيل ميمون الامر مظفرٌ بما يحاول

وجآء في كلام بعضهم « كانوا يذبحون الاهلين و يرمونهم وهم مطروحون

على بطونهم بالرصاص رمياً رأسياً فكانت هذه المقذوفات تثقب جسومهم » اراد بالرمي الرأسيّ انهم كانوا يرمونهم من جهة رؤوسهم فجاء بهذا التعبير الغريب . وتحرير المعنى انهم كانوا يذبحون الاهالي ومن انطرح منهم على بطنهِ كانوا يرمونهُ بالرصاص في قمّة رأسهِ فيثقب جسمهُ وانظر اين هذا المعنى من مفاد عبارتهِ

وقال بعد ذلك « كانت المقذوفات تترامى من البنادق جزافاً وعماية فتصيب الكثيرين قتلاً وجرحاً » يريد ان المقذوفات كانت تُطلَق الى كل جانب فعبّر بالجزاف والعماية ومعنى الجزاف في اللغة ان يباع الشيء بغير كيل ولا وزن والعماية بمعنى الغواية . ثم ان قولهُ « تترامى » اراد بهِ المشاركة من رُمِيَ المجهول لان المقذوفات كانت تُرمَى لا ترمي . وفعل المشاركة لا يُبنى الا من المعلوم لاقتضائهِ الفاعلية والمفعولية في آنٍ واحد لان قولك تضارب الرجلان معناهُ ان كل واحدٍ منهما ضرب الآخر فكان كل واحدٍ ضارباً ومضروباً معاً وهذا لا يُتصوّر من الفعل المجهول لانهُ لا فاعل لهُ

وجاء في كلام آخر « يا للهِ من الثقة ما اجملها » اراد ان يمدح الثقة ويحببها الى السامع فانعكس عليهِ المراد وجاءت عبارتهُ على حدّ قول احد المتشاعرين يرثي رجلاً « تبّاً لهُ وسط النعيم مخلّدا » . وذلك انهُ يقال يا للهِ من كذا ويا للهِ من فلان في مقام الشكوى والتظلم لا في مقام المدح والاعجاب وهي صيغة استغاثةٍ عليهِ ومنها قول الشاعر

يا للرجال ذوي الالباب من نفرٍ　　لا يبرح السفه المردي لهم دينا

فلذا اذا اريد التلميح قيل للهِ الثقة بحذف من وهي عبارة تفيد المدح مع

التعجب كما في قولهم لله انت ولله ابوك وما اشبه ذلك	(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٣ —

من المقرر ان العاقل الحازم اذا زاول مهنةً تحتَّم عليهِ اتقانها : —

افاق في بعض الليالي رجلٌ على صوت بكآء طفلهِ الرضيع ولما لم يجد امهُ في سريرها — وكانت من المحاميات عن الحقوق — نهض من فراشهِ مذعوراً وخرج يبحث عنها فاذا هي على منصةٍ في المكتب منكبَّةً على اوراق تطالعها ورسائل تتصفحها . فقال لها أأنت هنا لاهية بما لديكِ ووليدكِ المسكين قد اضرَّ بهِ البكآء . فأجابت ان غداً موعد المدافعة في المحكمة عن دعوى موكلي فلان ولا بدَّ لي من درس ماجرياتها وتلاوة حججها وصكوكها تهيئةً لاسباب الدفاع فاذهب انتَ الى وليدك وعلّلهُ بما تشآء فان من زاول مهنةً تحتَّم عليهِ اتقانها

فعاد الرجل صابراً على مضضهِ واخذ يجهد النفس في اسكات الطفل وتنويمهِ بما لديهِ من الذرائع وعيناهُ مطبقتان نُعاساً لانهُ كان مجهوداً من اعمال النهار وعبثاً اضاع جهدهُ لان الولد جائعٌ وهيهات الجائع ان ينام . ولما فرغ صبرهُ وضعف عن مقاومة النعاس السائد على دماغهِ عمدَ الى وصيفة البيت فايقظها تاركاً طفلهُ لعنايتها وعاد الى فراشهِ يغطُّ في نومهِ العميق

ولما هبَّ صباحاً افتقد الطفل فاذا هو مريض يئنُّ تألماً لشدة ما

نالهُ من عناء الجوع والسهر والبكاء فسأل الخادمة عن امرأته فقالت لهُ انها في مكتبها تفاوض رجالاً جاءوا يوسدون اليها المحاماة عن حقوقهم في قضية تخصهم . فامر الخادم ان يدعو الطبيب وهو ضيّق الصدر خاثر النفس حزين الفؤاد ثم مضى الى عمله دون ان يتناول طعام الصباح لان ربة البيت كانت كما علمت لاهية عن واجباتها البيتية بمهام الاشغال وكسب المال والرجل لا يستطيع طبعاً ان يقوم مقام المرأة في تدبير امور المنزل . ولما عاد قُبيل الظهر الى بيتهِ رأى طفلهُ جثة لا حراك لها وذلك لان الطبيب المدعو عادهُ والامّ غائبة فوصف لهُ علاجين احدهما للشرب والآخر للضماد . وكان هذا ساماً فغلطت الخادمة لجهلها القراءة وجرعتهُ السامّ الموصوف للضماد بدلاً من الشراب فقضي عليهِ بعد نزاع يفتّت الاكباد ذاهباً ضحية تهالك أمهِ على مناظرة الرجال بالاعمال

اما المرأة ـ وكانت حاملاً ـ فصرفت صباح ذلك اليوم العضيب في اعداد اللوائح الطنانة واسباب الدفاع غافلة عما حلّ في بيتها من البلاء . ثم مضت توًّا الى المحكمة تناضل وتصاول لاهمّ لها الا الانتصار على خصومها واحراز قصب التفوُّق والغلبة على مناظريها وتحصيل الربح لموكليها اغتناماً للجُعل المُرصَد لها . وهيَ لا شكَّ معذورة فيما تفعل لان « من زاول مهنةً تحتّم عليهِ اتقانها »

ولكن وا اسفاه انها اهملت ما يعنيها وعكفت على اتقان ما لا يعنيها . تركت واجباتها الطبيعية التي على ايفائها يتوقف بقاء النوع ونظام الاجتماع وهناء الاسرة وحفظ حياة افرادها وانتظام معاشهم ونزعت نفسها

التوّاقة الى ما بهِ دمار الكون وتنغيص الحياة وشقآء الانسان

ومن اغرب ما حدث انها اثنآء انبعاثها في الدفاع واحتدامها في المناقشة والجَدَل بدرت منها كلمات عدّها الرئيس افترآءً على المحكمة وازدرآءً بالقضاة فاوسعها انتهاراً وزجراً وامر بطردها قسراً وكانت كثيرة الازدهآء مفرطة الغرور شديدة الاعجاب فامتلأَت خجلاً وانفعالاً وكادت تميز من الغيظ فمضت تشكو المخاض ولم تبلغ البيت حتى ادركها الاجهاض . فكان الزوج المسكين بين خطبين هائلين يجرعانهِ الأَمرّين

أما هي فلم تبالِ بما هنالك بل كانت مستويةً في مضجعها تحرق اسنانها غيظاً وغضباً تناجيها النفس بطلب الانتقام ممن أَلحق بها الذل والصَغار على مشهدٍ من الكبار والصغار . وهي تزعم انهُ بدون بلوغ هذه الامنية لا يمكن ان يهدأ لها بال او يقرّ لها قرار

لا مرآء ان المرأة معذورة في انصبابها على العمل في المهنة التي اتخذتها مرتزقاً لها لان « مَن زاول مهنةً تحتَّم عليهِ اتقانها »

ولكن ليت شعري كيف يتهيأ اتقان مهنةٍ خُصَّت بالرجال لامرأة انما خلقت لتكون زوجاً مؤاسية وأمًّا مربية ومرضعاً مغذّية وراساً لبيتٍ بها تنحصر ادارتهُ وترتيبهُ واعداد ما يلزم لذويهِ من الملبس والغذآء . واسباب الدعة والهنآء . وعلى عنايتها يتوقف ما يحتاج اليهِ فؤاد كلٍّ منهم من التسلية والعزآء . وهي التي اذا غصَّت ردهتها بالضيوف وحفَّ بمقامها الاصدقآء تعيّن عليها ان تكون للنادي بهجةً تملأُهُ بالرونق والانس والبهآء فمتى غادرت هذه الواجبات التي هي مندوبة لها طبعاً ووضعاً وعكفت

على محاكاة الرجال ومباراتهم فيما هو اجنبيٌّ عنها ولا يجدر بها سقطت ولا شك من مقامها السامي في المجتمع الانساني القائم بجمالها الادبي والمادّي وترفُّعها عن امثال هذه الامور والمتاعب اكتفاءً بما أُودع في ذاتها العجيبة من جواذب الدلّ واللطف الناشئين عن الحياء والضعف ثم كانت سبباً لتداعي اركان البناء الانساني وانقراض الجنس في مستقبل الايام

لا ريب ان انبعاث الاناث في اوربا واميركا لمناظرة الذكور والتحدّي بهم في الاعمال والدخول معهم في انواع الجهاد الحيويّ والمعاشيّ او بعضها هو ما جعل الرابطة الزوجية هنالك انشوطةً سهلة الحلّ مع ان من الواجب حرصاً على انتظام الحياة وقياماً بتربية البنين واسعادهم ان تكون رابطةً ابويّةً لا حلَّ لها ولا انفصام الا باسباب جوهرية لا سبيل معها للوئام والالتئام

ان هذه الاماني الزائغة الجائلة في هذا العصر في أفئدة النساء هي ما جعل الحياة الزوجية سلسلة عذابٍ وشقاء ومجموع خصوماتٍ وشحناء ونقل الحبّ الطبيعيّ الواجب الوجود بين الزوجين الى حالة مداهنة ورياء وان كنتَ في ريبٍ من هذه الانباء فأَعِد النظر معي في هذا الاحصاء

نقلت جريدة القلوب الانكليزية الاحصاء الآتي : ان احد مبعوثي مجلس الامة الانكليزية نشر هذا التقويم اظهاراً لحالة المتزوجين في حيّ السيتي ومديرية لسكس لكي يقيس عليه المطالع حالة المتزوجين في سائر البلاد الانكليزية التي اصبحت اليوم راقيةً ذروة الحضارة والمدنية ومستوليةً بما لديها من الجد والاقدام وحسن التخرج في اساليب الحياة على اهمّ

اقسام الكرة الارضية برًّا وبحراً وحاكمةً مئات ملايين من البشر شرقاً وغرباً قال

« انَ عدد الزوجات اللاواتي هجرنَ ازواجهنَّ في الجهتين المذكورتين هو ١٨٧٢ والازواج الذين هجروا زوجاتهم ٢٣٧١ وقد تفرّق ٤٧٢٠ زوجاً وزوجةً بالطلاق القانوني . اما الازواج والزوجات الذين يتنازعون على الدوام فعددهم ١٩١ الفاً و٢٣ نفساً . والذين يكره بعضهم البعض الآخر ولكنهم يكتمون ذلك عن الناس ١٦٢ الفاً و٣٠٠ نفس . والذين يعيشون معاً بدون نزاعٍ ولا حبٍّ وتوادّ ٥١٠ آلاف و١٥٢ نفساً . اما الذين تدلُّ الظواهر على انهم يعيشون عيشة زواجٍ سعيد فعددهم ١١٠٢ والذين هم حاصلون على بعض السعادة ١٣٥ والذين يعيشون بالزواج سعداء ومحبين ومؤتمنين بالفعل فلا يزيدون عن ستة اشخاص »

وليس ذلك بعجيب لانهُ كما يستحيل على الرجل طبعاً ان يكون حاملاً ومرضعاً كذلك يتعذّر عليهِ عقلاً ـ اذا تمّت فيهِ صفات الرجولة ـ ان يكون طابخاً غاسلاً كاوياً مناغياً للاطفال مدرباً للخدم على القيام بحاجات المنزل مرقعاً رافئاً للاثواب البالية والجوارب الرثة ممشطاً شعور الاولاد خائطاً لما يلزمهم من انواع الملبس . فان انزال الامور منازلها ووضع كل شيءٍ في محلّهِ من متممات الاتقان الذي هو شرطٌ اوليٌّ من شروط العمران

اخبرني رعاك الله اية حرفةٍ او وظيفةٍ يتيسر للمرأة ان تعانيها كسباً للمجد او المال مما هو من خصوصيّات الرجال دون ان تهمل واجباتها الطبيعية او تقصّر في بعضها مما هو ضروريٌّ لسعادة الحياة سوآء كانت

تلك الواجبات زوجيّة ام والديّة معاشية ام ألفية . ألطبُّ ام الصيدلة ام الجندية ام الامارة ام التجارات والصناعات على اختلاف انواعها واوضاعها ام خدمة البواخر برًّا وبحراً ام البحث عن المناجم واستخراج كنوزها من اعماق الارض ام الفلاحة وما يتبعها من اعمال الزرع والغرس ام رعاية الانعام والمواشي في مناجع العشب ومواقع النبات ام ماذا

انك لو نظرت بعين نقّادة وتأملت بفكرةٍ لم تحرف في موءَثرات الاهواء وجواذب الاغراض لرأيتَ ان كل هذه المفردات المعدودة يتعذّر على المرأة ان تمارسها حق الممارسة دون ان تفقد مزايا الانوثة التي سلّطتها بحكمها النفّاذ على المجتمع البشريّ وجعلت صلاحهُ وشرهُ وسعادتهُ وشقآءهُ وسلامهُ وحربهُ وراحتهُ وعناءهُ موقوفة على بقائها سالمةً مصونة دون ان تسقط عن عرش مملكتها البيتية التي لا يستتبُّ نظامها ولن يستتبَّ ما لم تحصر المرأة وجودها واوقاتها وافكارها وعنايتها في المحافظة على سلامة وانماء ودعة تلك المملكة الصغيرة التي من امثالها تتألف الممالك الكبيرة والعوالم العظيمة وتأهل الاوطان ببني الانسان ويسود العمران

(ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

مما لا خلاف فيهِ ان الدماغ محلّ القُوَى العاقلة كما انهُ مركز الحس والحركة . وقد دلّ الاستقرآء على ان مبلغ تلك القُوَى تابعٌ لحجم الدماغ فكلما كان الدماغ اكبر حجماً كان العقل اكمل استعداداً واقوى ادراكاً والى هذا مرجع التفاوت في القوى العاقلة بين آحاد السلالة الواحدة وبين

سلالةٍ واخرى من السلائل البشرية . بل وُجِد ان قوة الادراك الطبيعي ايضاً في الحيوانات العُجم ترجع الى هذه القاعدة على ما سيجيء

وحجم الدماغ انما يقدَّر بالقياس الى مبلغ مساحتهِ من عامة الرأس وبعبارةٍ اخرى يرجع الى النسبة بين الجمجمة والوجه . وللتوصل الى هذا الغرض عمد كوفيّاي الى عدة رؤوس من سلائل مختلفة فنشرها من المقدَّم الى المؤخَّر ثم قاس سطحها الباطن فوجد ان مساحة عظم الوجه في السلالة البيضآء تكون ٢٥ ٬ من مساحة عظم الجمجمة وفي السلالة الصفرآء ٣٠ ٬ وفي الزنوج ٤٠ ٬ . ثم ان هذه الزيادة في مساحة عظم الوجه تستلزم ولا بدَّ بروز عظم الفكّين على النسبة المذكورة فيكون مقدار بروزه دليلاً على مقدار حجم الدماغ . ومن هنا اخذ كمّبير ما يسمّى بالزاوية الوجهية وهو انه مدّ خطاً مستقيماً من اعظم نتوءٍ في الجبهة الى اصول الثنايا العليا ثم مـدّ خطاً آخر من اصول الثنـايا الى صماخ الاذن على نحو ما تراهُ في الشكل فوجد قياس هذه الزاوية في الابيض ٨٠° وفي الاصفر ٧٥° وفي الزنجي ٧٠° . ثم تتبع ذلك في الحيوانات العُجم فوجد هذه الزاوية في اعلى اصناف القِردة ٦٥° وفي ادناها ٣٠° ثم تضيق كلمـا نزلت رتبة الحيوان في سُلَّم الحيوانية

ثم انهم اعتبروا ذلك بوزن الدماغ نفسهِ فوزن المسيو برُوكا سبعة ادمغة من الزنج فوجد معدَّل وزن الواحد منها ١٣١٦ غراماً ووزن غيرهُ عدة ادمغة

منهم في اماكن مختلفة من اوربا فكان اثقلها ١٥٨٧ غراماً واخفها ٧٣٨ ومتوسط ذلك ١٢٤٨ غراماً وهو لا يزيد على متوسط دماغ المرأة من البيض . اما ادمغة البيض فقد وزنوا منها ٢٧٨ دماغاً فبلغ اثقلها ١٨٤٢ غراماً واخفها ٩٦٣ ومعدَّلها ١٤٠٣ . على انهُ قد يجيء في النادر ما يتعدى هذين الطرفين ثقلاً وخفةً فقد بلغ وزن دماغ كرومويل ٢٢٣١ غراماً ووزن دماغ بيرون ٢٢٣٨ حالة كون بعض ادمغة البُله لا يتعدى ٦٤٠ غراماً . اما ادمغة النساء فقد وزنوا منها ١٩١ دماغاً فكان اثقلها ١٥٨٨ غراماً واخفها ٨٧٨ ومعدَّلها ١٢٣٣

ثم انهم وجدوا ان الدماغ اسرع ما يكون نموّهُ بين السنة الاولى والسابعة ثم يبطئ الى السنة الرابعة عشرة ثم الى العشرين فالثلاثين فالاربعين وفي زمن الشيخوخة ينقص وزنهُ نحو ٣٠ غرامًا في كل عشر سنين فدلّ ذلك كلهُ على نسبة مطَّردة بين حجم الدماغ ومبلغ العقل . اما ادمغة الحيوان فكلها دون دماغ الانسان ما خلا دماغ الحوت والفيل

هذا على الجملة وهو محصَّل بحثهم فيما يُعرَف عندهم بالفرينولوجيا اي علم العقل . وقد ذهب بعضهم الى ما وراء ذلك فزعم ان الدماغ مؤلف من عدة اجزاء او اعضاء كلٌّ منها قائمٌ بنفسهِ يختص بقوةٍ من قوى الدماغ وان كل قوةٍ غلبت واستحكمت عَظُمَ حجم الجزء المختصّ بها من الدماغ واستُدِلّ عليهِ بنتوء الموضع الذي يستبطنهُ من عظم الجمجمة ولذلك يسمى هذا البحث بالكرانيولوجيا اي علم الجمجمة وواضعهُ الطبيب چال الالماني . وقد قسم قوى الدماغ الى ثلاثة اقسام اولها القوى العقلية والثاني القوى

الادبية والثالث القوى الحيوانية . ومحل الاولى مقدَّم الدماغ ويحدّها الخط د د من الشكل المرسوم في هذا الموضع . ومحل الثانية ما يلي هذا الخط من اعلى الدماغ ومحل الثالثة ما يليهِ من الاسفل ويفصل بينهما الخط ج

وقد اختلف اصحاب هذا العلم في عدد القوى المندرجة تحت هذه الاقسام ومحل كلّ منها فجعلها غال سبعاً وعشرين قوةً وابلغها خريجهُ سپورزهيم الى خمسٍ وثلاثين بعد ان اسقط منها وزاد عليها وصحح بعض الشطط في مذهب استاذهِ . واستدرك من جاء بعدهما قوتين أُخريين فبلغ عددها سبعاً وثلاثين منها احدى عشرة حيوانية واثنتا عشرة ادبية ويُطلَق على هذه كلها القوى العاطفة . والاربع عشرة الباقية عقلية

اما القوى الحيوانية فأُولاها العَلاقة او الحب الطبيعي ومحلها قفا الرأس ويدلّ عليها النتوءان الذاهبان من النُقرة الى ما وراء الاذنين وهما القذالان . والثانية حبّ الولد او الحَوبة الوالدية ويتصل بها العطف على الصغار والضعفآء ومحلّها فأس القفا وهو النتوء المتوسط بين القذالين فُوَيق النُقرة. والثالثة قوّة التشبث وهي ان يتشبث الشخص بما يعرض لهُ من ميل او فكر فلا يمكن صرفهُ عنهُ ومحلها فوق تلك . والرابعة الأُلفة وهي ان يألف مسكناً مخصوصاً او ضرباً من المعيشة وعنها ينشأ حب الوطن وميل بعض الحيوانات الى سكنى الاماكن العالية ومحلّها بجوار التي سبقتها . والخامسة حبّ المخالطة وينشأ عنها الأُنس بالاخوان والميل الى المعيشة الاجتماعية

ومحلها وسط الجانب المؤخر من الفودين وهما جانبا الرأس. والسادسة الميل الى الحرب ومحلها تحت الاذن نحو زاوية النتوء الحلمي من العظم الصدغي وعنها تنشأ الشجاعة في مواقف الخطر والاقدام على تذليل العقبات والقيام في وجه المظالم. والسابعة الميل الى التدمير ومحلها فوق الاذن في الجهة العليا من مؤخر العظم الصدغي. وهذه القوة شديدة الظهور في آكلات اللحم من الحيوان وينشأ عنها في الانسان القسوة والشراسة. والثامنة التشهّي وهو الميل الى الاطعمة اللذيذة وهذه القوة اذا افرطت كان عنها الشرَه والقرَم اي شهوة اكل اللحم والاكثار من معاقرة الشراب ومحلها فُوَيق عظم الوجنة بالقرب من مقدَّم الاذن. والتاسعة التكتُّم ومحلها فوق محل الميل الى التدمير وهي اذا غلبت كان صاحبها كتوماً لوجداناته وخواطرهِ واذا كان ذا خلال طيّبة افادتهُ حكمةً وتحرّزاً والاكان متنكراً مرائياً كذوباً خدّاعاً. والعاشرة حبّ الكسب وينشأ عنها الميل الى الاكثار من المقتنيات وادّخار الاموال لاوقات الحاجة واذا افرطت قادت في الغنيّ الى الشحّ والأَثَرة وفي المُعدِم الى السرقة والاختطاف ومحلها فوق التي سبقتها. والحادية عشرة حبّ الانشاء وهي تسوق صاحبها الى اقامة الابنية وعمارة الاراضي وتنشئ عندهُ الميل الي الصنائع والاعمال الهندسية ومحلها فُوَيق لحاظ العين اي موقها المؤخَّر بالقرب من ملتقى العظم الجبهي والصدغ

(ستأتي البقية)

من كلامي الشافعي اذا ارتفع اللئيم انكر معارفهُ وجفا اقاربهُ واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل

حديث ليلة

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

جمعتنا ليلةٌ ذاتُ هلالْ　في رياضٍ بين زهرٍ وظلالْ
بسط اللهوُ علينا ظلَّهُ　ثم ساوانا نسآءً برجالْ
كلُّ خودٍ برزتْ فتّانةً　ترتدي ثوبَي جمالٍ وجلالْ
ترشق النبلَ اذا ما نظرتْ　وهيَ قد تجهلُ ما رشقُ النبالْ
تعرف الحبَّ بلا حبٍّ كما　تقتلُ الانفس من غيرِ قتالْ
فشربنا الراح حتى هتكت　حُجُبَ الحشمةِ كفُّ الإبتذالْ
وتنادمنا على اقداحنا　باحاديثَ هيَ السحرُ الحلالْ
وتناجينا بأسرار الهوى　فاجابت كلُّ عينٍ عن سؤالْ
وتجاذبنا على غير هدًى　وتدافعنا على غير ضلالْ
وتهتكنا كما شآءَ الهوى　وتعبَّدنا لسلطان الجمالْ
وتمشَّينا فُرادَى وثُنًا　بين أغصانٍ ثناها الإختيالْ
تتباهى بجناها كلما　حركت اغصانها ريح الشمالْ
وقدود الغيد يثنيها هوًى　مازجَ السكرَ وسكرٌ ودلالْ
ترفلُ الاغصانُ في اوراقها　وكذا هُنَّ باثوابٍ غوالْ
يتخطَّرنَ غصوناً حملت　خيرَ ما نآءَ بهِ الغصن ومالْ
يا لهُ من ثمرٍ او زهرٍ　يخدع الرآئي كما يخدعُ آلْ
وَهوَ مهما يُشغَفِ القلبُ بهِ　قطفُهُ إلاَّ على الطرَفِ مُحالْ

كم تصدَّى لجناهُ عاشقٌ فاذا أقربُهُ نآئي المنالْ
رُبَّ نهدٍ لم تُلامِسهُ يدٌ فوقهُ أنفرُ من جيدِ غزالْ
شبهوا الرُمَّانَ والعاجَ بهِ وعلا عن كل شبهٍ ومثالْ
ولقد يحيا بهِ عاشقهُ ثمَّ يلقى حتفهُ دون الوصالْ
ذلك الحسنُ عشقناهُ وقد زادنا وجداً بهِ تلك الخلالْ
فقضينا ليلةً نحسبُها حلماً فاجآهُ الصبحُ فزالْ
سل نجومَ الليلِ والروضِ معاً فلقد كانت لنا شاهدَ حالْ
وتفرقنا فما تجمعنا فُرَصُ الدهرِ وأحداثُ الليالْ
كانَ ما كانَ فلم يبقَ لنا غيرُ ذِكرى تتلاشى كخيالْ

مطالعات

صنف جديد من البطاطة — من غريب ما توصل اليهِ اهل العلم في هذا العصر انهم اخذوا يعالجون النبات بالطرق الكيماوية وغيرها من الذرائع فيبدّلون لونهُ وطعمهُ وحجمهُ وربما اوجدوا منهُ اصنافاً[1] لم توجدها الطبيعة من قبل . وذلك فضلاً عن انهم بتلك الطرق يستغلّون من الارض اضعاف ما تغلّهُ بطبيعتها حتى كأنهم يستخرجون قوّتها جبراً كما يُستخرَج جري الدابة بالسوط والمهماز

وقد وقفنا على فصل في احدى المجلات العلمية محصَّلهُ انهُ ورد على الاستاذ هكل قيّم ندوة الطوارئ في مرسيليا خمسة اروس صغيرة من

(١) المراد بالصنف ما تحت النوع وهو ما يسميهِ بعض كتابنا بالتباين . تعريب variété

نباتٍ يشبه البطاطة الاّ انها ذات طعمٍ شديد المرارة الى ما لا يطاق . وهذا الصنف من نبات اميركا الجنوبية ينبت في السهول الغَمِقة من الجمهورية الفضية والبرازيل وڤنزويلا . فزرع تلك الارؤس في تربةٍ صلصالية بحديقة النبات في مرسيليا ولبث يستفرخها سبع سنواتٍ متوالية اي من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٢ فكان حجمها يعظم سنةً بعد سنة حتى انتهى الرأس منها من وزن ٣ غرامات الى ١٥٠ غراماً. الا انها لم تزل ذات لبابٍ يضرب الى الخضرة وظاهرها مكسوٌّ بجُلبةٍ[١] خشنة لكن مرارتها خفّت بعض الشيء وكان شكل رؤوسها على هيئة القلب لا كرويًّا كالبطاطة المعروفة

ثم انهُ في سنة ١٩٠١ ارسل بعضاً من رؤوس هذا النبات الى المسيو لابرجري في ڤينّا فاخذ الآخر في معالجتهِ فوجد انهُ اكثر ما ينمي في الاراضي الرطبة والمغمورة بالمآء بحيث يمكن من هذا الوجه ان يكون سبباً في اصلاح الاراضي الغَمَقيّة وتسنّي الانتفاع بها . ولما كانت سنة ١٩٠٤ رفع مذكرةً الى الندوة العلمية الفرنسوية يصف فيها ما انتهى اليهِ امر هذا النبات فذكر انهُ بلغ من الخصب مبلغاً عجيباً بحيث انهُ في سنة ١٩٠٢ كان الاصل الواحد يُغِلّ نحو ثلاثة كيلغرامات ونصف وكانت سوقهُ ترتفع الى علوّ ٣ امتار و٨٠ سنتيمتراً وقد اخذ يخلع الجُلبة التي عليهِ ويملاسّ ظاهرهُ . وكان طعمهُ يصلح شيئاً بعد شيء حتى انهُ في السنة الاخيرة اخذ

(١) هي في الاصل القشرة تعلو الجرح عند البرء والمراد بها هنا ما يبدو احياناً على ظاهر اغصان الشجر من نتوءاتٍ قشرية تكون في الغالب اهليلجية الشكل شقرآء اللون . تعريب lenticelle

بعض الرؤوس الملسآء وذاقها فلم يكن فيها شيءٌ من المرارة . وقد ازدادت غلتهُ بعد ذلك فبلغت في الارض المآئية تسعين الف كيلغرام في الهكتار الواحد وهي نحو عشرة اضعاف غلة البطاطة المعروفة وربما بلغ الرأس الواحد منهُ ١٦٠٠ غرام

اسئلة واجوبتها

سان پول (البرازيل) — اختلف بعض الادبآء في هذا البيت

وحقّ جمالي والعيون وبهجتي　　وجنّة وصلي والتسعُّر في خدّي

فرواهُ بعضهم هكذا ورواهُ آخرون « والتصعُّر من صدّي » فأيّ الروايتين اصحّ　　انطونيوس يافث

الجواب — الظاهر ان الرواية الاولى هي الصحيحة لان الشاعر اراد ان يطابق بين الجنة والنار فلم يساعدهُ الوزن فعدل الى التسعُّر اي الاشتعال . واما الرواية الاخرى فلا معنى لها

بيروت — جآء في معجم الجزويت المسمى بأقرب الموارد في مادة (ل و ص) ما نصهُ « وعبارة اللسان لاصهُ بفيهِ لوصاً ولاوصهُ طالعهُ من خلل او ستر » وقد كشفت في مادة (ط ل ع) فوجدتهُ يفسر طالعهُ بقولهِ اطلع عليهِ بادامة النظر فيهِ فكيف يطّلع عليهِ بفيهِ

وفي مادة (ص ع د) « خميس الصعود اليوم الذي صعد المسيح اصعدة فيهِ الى السمآء » ما معنى قولهِ « صعد المسيح اصعدة » . ارجو الجواب على هذين السؤالين ولكم الفضل　　ر * ر

الجواب — اما قولهُ « لاصهُ بفيهِ » فصوابهُ « لاصهُ بعينهِ » وهو الذي في اللسان . واما قولهُ « صعد المسيح اصعدة » فما لم ينكشف لنا مرادهُ بهِ وقد راجعنا هذا الموضع في النسخة الاصلية اي في محيط المحيط فلم نجد لفظة « اصعدة » فهي زيادة من الناسخ سامحهُ الله

آثار ادبيّة

نظرة في المبارزة (الدويلو) — انتهت الينا رسالةٌ بهذا العنوان لحضرة الاديب سليم افندي عوّاد بالاسكندرية افتتحها بتعريف الدويلو وسرد انواعهِ مع بيان تاريخي ادبي ذكر فيهِ معنى اللفظة ومفادها في الاصطلاح واصل هذه السنّة وما ينشأ عنها من الاضرار ومنزلتها في اعتبار العاقل . ثم سرد ما وردَ عليها من النصوص العقابية في قوانين كل دولةٍ من دول الممالك المتمدنة مما يستفاد منهُ اجماع الحكومات على منعها والتشدد في العقوبة على كل ما يقع فيها من انواع الجنايات . لكن بقي العجب ان تلك القوانين مع شدتها لا تتعدى حيّز الصحف المسطورة فيها والظاهر ان حرمة العادة غلبت على سطوة القضاء . فالحمد لله على ان هذه العادة الوحشية لم تكن في ارث السلف في هذه الديار وان رأينا بعض منتحلي التمدّن الغربيّ يودّون التلبُّس بها لانهم اعتادوا ان لا يقتبسوا من ذلك التمدن الا قبائحهُ فهي ولا جرم تدلّ على بلوغهم منتهاهُ . . .

والرسالة المذكورة تُطلَب من حضرة مؤلفها ومن مكتبتي جرجي افندي الغرزوزي ونقولا افندي سابا بالاسكندرية

فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ٦ —

بطرس الاسود

لا اذكر انني رأيت صديقي شرلوك هولمز فرحاً مسروراً اكثر مما رأيتهُ في سنة ١٨٩٥ ولا استطيع ان احصر عدد كبار القوم واصناف البشر الذين طرقوا بابنا التماساً لمساعدتهِ في تلك السنة بعد الشهرة البعيدة التي نالها . الا انهُ كان كسائر المولعين بالفنون يتناول من القضايا التي يرى فيها ما يسرهُ ويلذ لهُ البحث فيهِ ويرفض الامور البسيطة بقطع النظر عن اصحابها وعن المبالغ التي تعرض عليهِ ولا اتذكر انهُ تقاضى مبلغاً جسيماً اجرة عملهِ الا في مسألة الدوك هلدرنس التي ذكرتها اخيراً . وقد اشتهر في السنة المذكورة بعدة اكتشافات غريبة اهمها ما كان منهُ في مقتل الربان بطرس كاري وهو ما اذكرهُ هذه المرة لما فيهِ من الدلالة على فرط حذقهِ ومهارتهِ الخارقة

لما كان الاسبوع الاول من شهر يوليو سنة ١٨٩٥ رأيت صديقي شرلوك قلقاً يكثر من تغيبهِ عن المنزل فعلمت ان لديهِ مسألة ذات شأن . وكان عدد من الرجال الذين يُستدل من هيئتهم وضخامة اجسامهم انهم من النوتية يأتون في اثناء غيابهِ ليسألوني عن الربان باسيل فعلمت ان باسيل اسم تنكر بهِ شرلوك كعادتهِ لانهُ كان لهُ خمسة اماكن في نفس لندن يختلف اليها ويغير شكلهُ فيها . اما هو فلم يذكر لي شيئاً عن همهِ ولم اسألهُ انا لمعرفتي التامة باطوارهِ واعتقادي انهُ لا يخفي عني ذلك

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

متى حان وقت اطلاعي عليهِ

وحدث يوماً انني نهضت صباحاً و بعد ما ارتديت ثيابي وجلست لاتناول طعام الصباح اذا بشرلوك داخل عليَّ وقد جعل على رأسهِ قبعةً عريضة الجوانب وتأبط حربةً كبيرة معكوفة الرأس يستعملها النوتية لصيد الحيتان . فلما وقع نظري عليهِ اضحكتني هيئتهُ فتبسم هو ايضاً وقال لا شك انك قد استغربت منظري يا وطسن ولكنك لم تعلم اني منذ ساعتين كنت على بعد خمسة اميال من هنا عند رجلٍ جزار اطعن بحربتي هذه خنزيراً ميتاً وقد غدت مقتنعاً ان الانسان مهما كانت قوتهُ لا يستطيع ان ينفذ هذه الحربة من جسم الخنزير بضربة واحدة . وقد افادني هذا التمرين ايضاً انهُ نبه فيَّ شهوة الطعام وقد خارت قوتي من الجوع وللحال تقدم الى المائدة وجعل يلتهم بشرهٍ وشدة . اما انا فاستغربت كلامهُ وقلت لهُ وما عسى ان تكون الفائدة من هذا التمرين ثم ما معنى خروجك من البيت بهذه الهيئة . فقال ان في الامر مغزًى لا تعلمهُ الآن ايها العزيز وسترى ان لهُ فائدةً في الكشف عن سرّ مقتل الربان بطرس كاري

وقبل ان يتمّ شرلوك حديثهُ فُتح باب الغرفة ودخل منهُ فتى عرفتهُ للحال انهُ ستانلي هو بكنس احد مفتشي الشحنة وكان يحترم شرلوك و ينظر اليهِ نظر التلميذ الى معلمهِ وكان شرلوك يحبهُ و يتوقع لهُ مستقبلاً حسناً . ولما دخل قال لشرلوك اخبرك بكل اسف ان بحثي لم يجنِ فائدة وانت تعلم يا مولاي ان هذه اول حادثة اود ان اشهر بها نفسي وقد خانتني التقادير فاتوسل اليك ان تعينني في بلوغ آمالي . فقال شرلوك انني لن اتأخر عن ذلك ولكن قل لي ماذا تبين لكم من امر كيس التبغ الذي وجدتموهُ في محل الجناية . فقال هو بكنس علمنا انهُ للمقتول وانهُ من جلد السمك الذي كان مولعاً بصيدهِ . فقال شرلوك ولكن الرجل لم يكن عندهُ غليون للتدخين وهذا يدل على انهُ لم يكن يدخن . فقال هو بكنس نعم ولكن يمكن انهُ كان يحمل التبغ ليقدم لاصحابهِ . فتبسم شرلوك وقال حسن ولكن بما ان صديقي وطسن لا يعلم شيئاً من هذا الامر فهل لك ان تعيد علينا وقائع الحادثة

ليفهمها هو وربما افادتني مراجعتها انا ايضاً . ولما قال ذلك اشعل لفافة واتكأ على كرسيهِ واخذ هو بكنس في سياقة الخبر فقال

وُلد بطرس كاري القتيل سنة ١٨٤٥ ولما شبّ جعل دأبهُ صيد الاسماك والحيتان. وفي سنة ١٨٨٣ تولى قيادة باخرة دعاها وحيد القرن وسافر فيها عدة سفرات متتابعة نجح فيها نجاحاً عظيماً ثم اعتزل العمل واتى الى وطنهِ فاشترى ارضاً وبنى فيها بيتاً فسكن فيهِ ست سنوات الى ان قُتل منذ اسبوع . اما صفات الرجل فانهُ كان دائماً عبوس الوجه منقطعاً عن الناس وكان مولعاً بالمسكر ولهُ زوجة وابنة في العشرين من عمرها وخادمتان فاذا شرب نزا الشيطان في رأسهِ فيطرد زوجتهُ وابنتهُ من البيت بالشتائم والضرب حتى تجتمع الجيران على صراخها . ولم يكن يتجاسر احد على نصحهِ او محادثتهِ لشراسة خلقهِ وفظاظة طباعهِ حتى لقبوهُ ببطرس الاسود لسواد خلقهِ وخلقهِ ولا اذكر اني سمعت من تأسف او حزن على فقدهِ . ولما بنى بيتهُ المذكور بنى في الحديقة بقرب البيت غرفةً خشبية اشبه بكوخ كان يختلف اليها في كل مساء وينام فيها ولم يكن يسمح لاحد بالدخول اليها بل كان يتولى بنفسهِ كنسها وتنظيفها ويحفظ مفتاحها في جيبهِ فلا يفارقهُ . وكان للكوخ نافذتان احداهما الى جهة الطريق والاخرى تقابلها وكانتا مجللتين بستائر كثيفة لم تفتح قط فاذا دخل بطرس كوخهُ وانار مصباحهُ ورآهُ المارّة كانوا يقولون ان بطرس الاسود يضيف الارواح الشريرة في منزلهِ . وقد علمنا في اثناء التحقيق ان بنّاءً مرَّ في مساء الاثنين امام المنزل فاستوقفهُ النور ورأى من النافذة شبح شخص يؤكد انهُ غير الربان بطرس وانهُ اجعد الشعر ولهُ لحية ولكنها اقصر من لحية الربان . غير ان تقريرهُ هذا لم يفدنا شيئاً لانهُ رأى ذلك في مساء الاثنين وقد حدث القتل في مساء الاربعاء . وقد عرفنا ايضاً ان الربان سكر في يوم الثلاثاء سكراً شديداً واصبح اشرس من الوحوش الضارية وكان يمشي في بيتهِ فتهرب النساء من طريقهِ وبقي كذلك الى المساء فعاد الى كوخهِ ونام . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل استيقظت ابنتهُ على صياح مخيف لم يعرنهُ اهتماماً لانهنَّ اعتدنَ

سماع مثل ذلك منهُ في حالة سكره ولكنهنَّ لما نهضنَ في الصباح وجدت الخادمة باب الكوخ مفتوحاً على غير عادتهِ فاستغربنَ الامر ولم يجسرن على الاقتراب من الكوخ الى الظهر . ولما دخلنَ الكوخ وجدنَ فيهِ ما ملأ قلوبهنَّ خوفاً ووجلاً وجعلهنَّ يركضن مبتعدات كمن اصابهُ مسٌّ من الجنون . و بعد ساعة من ذلك كان قد بلغني الخبر فذهبت بنفسي الى محل الحادثة . ولا انكر ان ما رأيتهُ في ذلك الكوخ جعلني اقشعرّ من فظاظة الانسان وشدة توحشهِ . وكان الكوخ اشبه بداخل باخرة وقد زينت جدرانهُ بالخرائط والادوات المستعملة في تسيير البواخر ورأيت الربان ملقى على ظهره في وسط الكوخ وقد دخلت في صدرهِ حربة صيد اخترقت جسمهُ وغرزت في الارض الخشبية فسمرتهُ بها وكان رأسهُ مداراً الى جهة اخرى وعليهِ ملامح الآلام الشديدة . وللحال اخذت في فحص المكان على طريقتك فبحثت في الحديقة وفي ارض الغرفة فلم يكن فيهما اثر اقدام. فقال شرلوك بتهكم قل انك لم ترَ اثر اقدام ولا تقل انهُ لم يكن لانهُ لا يعقل ان جنايةً كهذه يرتكبها غير البشر والبشر لا يطيرون حتى لا تبين آثارهم. فقال هو بكنس يجوز اني لم ار ولقد ندمت جدًّا لاني لم استدعك في تلك الساعة ولكن قد فات الامر . وقد علمت ان الحربة التي طُعن بها كانت احدى ثلاث حراب موضوعة على رفٍّ في الكوخ وقد كُتب على جميعها اسم الباخرة وحيد القرن التي كان بطرس ربانها وظهر لي ان القتل حصل في ساعة غيظٍ فجائي ولم يكن لدى القاتل اسلحة فاخذ الحربة وهي اول ما وقع نظرهُ عليهِ . ثم استبنت ان القاتل كان زائراً الربان في غرفتهِ بدليل بقاء الربان مرتدياً ثيابهُ ووجود زجاجة خمر مفتوحة وامامها كأسان فيهما اثر الشراب . فقاطعهُ شرلوك قائلاً ان ظنك في محلهِ يا هو بكنس ولكن الم ترَ غير الخمر من اصناف المشروب . قال بلى فقد رأيت على جانب المائدة زجاجة وسكي ولكنها ملأى لم يُشرب منها شيء فلم اهتم بها . ووجدت على وسط المائدة كيس التبغ وهو من جلد الحيتان وعليهِ حرفا ب . ك . اي اسم الربان . وفي الكيس نحو نصف رطل من التبغ . ورأيت ايضاً هذا الدفتر . ولما قال ذلك اخرج

من جيبهِ دفتراً صغيراً وسخاً فاخذهُ شرلوك وجعل يتصفح اوراقهُ بدقة فوجد في اوله هذه الاحرف س . ك . ب . وتاريخ ١٨٨٣ . ووجد في الصفحة الثانية ج . ه . ن . وفي باقي الصفحات ارقاماً وحسابات ثم اسم الارجنتين وكستاريكا وسان باولو . فقال شرلوك لهوبكنس وهل فهمت شيئاً من هذا الدفتر . فقال الذي اظنهُ انهُ دفتر اسهم وان س . ك . ب . اسم المصرف الذي اخذت الاسهم منهُ وج . ه . ن . اسم المشتري . فقال شرلوك ولماذا لم تظن ان س.ك.ب. معناها سكة كندا الباسيفيكية . فبهت هوبكنس وقال آه ما اشد تغفلي فلا ريب ان هذه هي الحقيقة والاحرف الاخرى هي اسم القاتل فلا بد لنا من معرفتهِ . ثم رأى شرلوك اثر دم على غلاف الدفتر فقال اين وجدت هذا الدفتر وكيف . قال وجدتهُ بقرب الباب . قال وفي اي جانبٍ منهُ كان هذا الدم . قال في الجانب الذي من جهة الارض . فقال شرلوك اذاً لا بد انهُ يخص القاتل وقد سقط منهُ بعد ارتكاب الجريمة . وهل تظن ان القتل حصل بقصد السرقة . فقال هوبكنس لا لانني وجدت كل شيء باقياً في مكانه

وبعد ذلك صمت شرلوك واطرق يفكر ثم قال انني اود زيارة المكان بنفسي وسأذهب معك يا هوبكنس ويصحبنا وطسن . فشكرهُ هوبكنس وقد بانت عليهِ علامات السرور وللحال استدعينا عربةً اقلتنا الى محل الحادثة فترجلنا وادخلنا هوبكنس فقدمنا الى الارملة وابنتها ثم عاد بنا الى الكوخ فأخذ من جيبهِ مفتاحاً واقترب من الباب ولكنهُ توقف فجأةً وظهرت على وجههِ علامات الاستغراب فقال يظهر ان شخصاً حاول فتح الباب لاني اجد فيهِ هذا الخدش وهو لم يكن بالامس . وكان شرلوك من الجهة الاخرى يفحص النافذة فقال ويظهر ان نفس الشخص قد حاول فتح النافذة فلم ينجح . فقال هوبكنس ما رأيك في هذا يا مولاي . فقال شرلوك ان الذي حاول الدخول وترك هذه العلامات ليس لصًّا لان اللص لا يعسر عليهِ فتحهُ وليس من رجال البلدة الذين دفعهم الاستغراب الى مشاهدة داخل الكوخ لانهم لا يجسرون على ذلك بل ان الشخص لهُ غاية في

دخول الكوخ قد تكون اخذ شيء نسيهُ فيهِ ولما لم يجدهُ مفتوحاً حاول فتحهُ بسكين صغير فلم ينجح. ولا أشك انهُ رجع على عزم ان يعود الليلة بادوات تضمن لهُ فتحهُ وانّنا اذا تربصنا لهُ امكننا الظفر بهِ ومعرفة غايتهِ . ثم دخلنا الكوخ فاقام شرلوك فيهِ ساعتين يفحص بمزيد الدقة كل ما فيهِ ثم قال لهو بكنس هل اخذت شيئاً من هذا الرف قال لا . قال لا بدّ ان شيئاً رُفع عنهُ مؤخراً لان الغبار في هذه البقعة اخف من الباقي . ولما اتم فحصهُ خرجنا وكان قد اقبل المسآء فذهبنا لتناول الطعام ثم عدنا الى الحديقة ننتظر القادم . واراد هو بكنس ان يترك باب الكوخ مفتوحاً ليسهل دخول الرجل المجهول فمنعهُ شرلوك قائلاً ان فتحهُ ربما ينبههُ الى قصدنا فالافضل اقفالهُ والتربص لهُ بين اشجار الحديقة حتى اذا جآء وانار الداخل تمكنا من مشاهدة ما يصنعهُ بدون ان يرانا قبل ان نلقي القبض عليهِ . وهكذا اختفينا في جهة مظلمة سترتنا فيها كثافة الاشجار ولبثنا على تلك الحالة الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حتى كدت ايأس من قدوم الشخص المنتظر واذا بصوت رنةٍ معدنية خفيفة في باب الحديقة تلاهُ وقع اقدام تقترب في الظلام الى ان بلغت باب الكوخ وكنا كلنا آذاناً تسمع وعيوناً تحاول ان تشق حجاب الظلمة . ثم سمعنا معالجة باب الكوخ وكان القادم قد استحضر في هذه المرة الادوات اللازمة فما عتم ان فتح الباب ودخل فانار شمعة ولم يكد يفعل حتى صرنا قرب النافذة نراهُ ولا يرانا . فوجدنا ذلك الزائر الليلي فتًى لا يكاد يبلغ الخامسة والعشرين من عمرهِ رقيق الجسم اصفر الوجه وقد بانت عليهِ علامات الخوف الشديد حتى اصطكت اسنانهُ ورجفت ركبتاهُ فوضع الشمعة على المائدة وجعل يبحث في الكوخ بعين حائرة خوفاً الى ان بلغ كتاباً وضعهُ امامهُ وجعل يقلب صفحاتهِ وكانهُ بلغ ما يريدهُ فوقف حيناً كانهُ يناجي افكارهُ ثم اطبق الكتاب بعنف واعادهُ الى مكانهِ ثم اطفأ النور وخرج ولكنهُ لم يجتز الباب حتى كان هو بكنس قد امسك بطوقهِ واعادهُ الى الداخل واسرعنا في اعادة النور فانبعث من صدر المسكين صوت اشبه بحشرجة المحتضر وجلس ينظر الينا . ولما ملك روعهُ قال اظنكم من رجال الشحنة ويمكن ان

تظنوا ان لي يداً في مقتل الربان بطرس كاري ولكنني اؤكد لكم اني بريئ واسمي جون هوبلي نليجان . فتبادل شرلوك وهوبكنس نظرةً علمت منهما موافقة اسم الفتى للاحرف المطبوعة على الدفتر السابق ذكرهُ . ومضى الفتى في اتمام حديثهِ فقال واما سبب وجودي في هذا المكان فلهُ خبرٌ اقصهُ عليكم بالاختصار

كان في انكلترا شركة صيارف بعنوان داوسون ونليجان افلست على مبلغ مليون ليرة استرلينية وخرب بسقوطها نصف تجار البلاد . وكان لي اذ ذاك عشر سنوات فقط غير انني شعرت من ذلك الوقت بالخجل ووصمة العار التي ستلصق بنا وفرّ والدي الى حيث لا نعلم ولذلك اشتهر عنهُ انهُ سرق مال الشركة وضماناتها وهرب . غير ان ذلك لم يكن على شيء من الحقيقة وانما كان غرضهُ اخذ مهلةٍ يتمكن فيها من وفاء جميع الديون فركب يختهُ الخاص وسافر الى نروج قبل صدور الامر بالحجر عليهِ . ولن انسى تلك الليلة التي ودّعنا فيها واعطى والدتي بياناً كافياً بجميع الديون التي على الشركة والاوراق المالية التي اخذها معهُ وقال لها انهُ سيتاجر في بلادٍ بعيدة حتى اذا جمع المال اللازم عاد ليرجع الاموال الى اربابها مع ارباحها ويمحو عن اسمهِ وصمة العار التي ربما لحقتهُ حينئذٍ . وبعد ما سافر والدي لم نسمع عنهُ شيئاً فخيل لنا ان الامواج ابتلعتهُ بمركبهِ الصغير وبقينا فاقدي الامل الى وقت ليس ببعيد حين اخبرنا احد اصدقائنا الاقدمين انهُ رأى بعض اوراق والدي المالية في اسواق لندن . فكدنا نجن فرحاً ولبثت اشهراً ابحث عن تلك الاوراق وكيفية وصولها الى هنا ومن اين جاءت حتى علمت اخيراً ان الذي احضرها وباعها هو الربان بطرس كاري صاحب هذا الكوخ . فاخذت اتنسم اخبار هذا الرجل وبعد الفحص الطويل علمت انهُ كان ربان باخرة تدعى وحيد القرن كان يصطاد بها الحيتان في القطب الشمالي وعلمت انهُ كان عائداً من احدى سفراتهِ حين ذهب والدي الى نروج فازددت اجتهاداً في ان اقابل الربان واسألهُ عن والدي وعن وصول تلك الاوراق اليهِ . وعلى ذلك جئت هذه البلدة ولم اكد ابلغها حتى سمعت بخبر قتلهِ فأسفت لمعاندة الظروف لي ولكنني لم ايأس من التوصل الى شيء من مطلوبي .

ولما قرأت خبر قتله ووصف كوخهِ وما يحتوي عليه من بقية ادوات وحسابات الباخرة التي كان ربانها رجوت ان اجد مذكرات الربان اليومية بين كتبهِ واطلع على ما جرى لهُ في شهر اوغسطس من سنة ١٨٨٣ فربما علمت شيئاً عن والدي . وقوي عندي هذا الامل حتى جئت ليل امس فلم اتمكن من فتح الباب ثم زاولتهُ هذه الليلة فنجحت ووجدت الكتابة ولكن وجدت ان الاوراق التي فيها تاريخ الشهر المذكور مقطوعة منهُ فحزنت لسوء طالعي وعدت من الكوخ فلم ارَ نفسي الا اسيراً بين ايديكم . ولما فرغ من حديثهِ سألهُ هو بكنس قائلاً اذاً لم تدخل هذا الكوخ قبلاً . قال كلا . قال فمن اين اتى هذا الدفتر . وأراهُ الدفتر الذي كان قد اخذهُ من قرب القتيل وعليهِ بقعة من الدم . فلما رآهُ الفتى اضطرب اضطراباً شديداً وقال من اين وصل اليك هذا فانني كنت اظن اني اضعتهُ في الفندق . فقال هو بكنس كفى كفى فلا بدَّ من مجيئك معي وغداً تتم قصتك امام القضاة . ثم التفت الى شرلوك وقال باعجاب وتيه لم يكن من موجب لحضورك ايها العزيز فانني كنت اكون حصلت على هذه النتيجة بدون ازعاجك ولكنني على كل حال شاكر لك واقدم لك غرفتي في الفندق اذا شئت البقاء هذه الليلة . فاعتذر شرلوك رافضاً واخذ هو بكنس اسيرهُ وهو كأنهُ قد ملك كنوز الدنيا .

اما نحن فعدنا الى المحطة وركبنا القطار راجعين الى لندن . ورأيت في وجه صديقي عدم الموافقة على ما حصل فسألتهُ في ذلك فقال انني كنت اعتقد في هو بكنس انهُ اشد مهارةً مما رأيت منهُ وانهُ سيبرع يوماً في مهنتهِ فساءَ ظني . اما انا فلا اعتقد ما يعتقدهُ ولي خطة خصوصية في هذه المسألة سأجري عليها فاذا نجحت اظهرت لهُ غلطهُ وعنفتهُ على كلماتهِ الاخيرة . ولما بلغنا منزلنا وجدنا عدة رسائل باسم شرلوك فاخذ يفض ختومها ويتلوها بسرعة ثم رأيتهُ قد ابرقت اسرتهُ وصاح حسنٌ انني لم اكن مخطئاً . ثم قال لي عجّل يا وطسن وارسل رسالتين برقيتين الاولى الى شركة البواخر في راتكليف ان يرسلوا لي ثلاثة من رجالهم في الساعة العاشرة صباحاً ووقّع على الرسالة باسم باسيل لانهم لا يعرفونني الا بهذا الاسم .

اما الرسالة الثانية فالى هو بكنس كلفهُ فيها ان يأتي لتناول الغداء معنا في منتصف الساعة العاشرة من صباح الغد بدون تأخير. ولما كتبت الرسالتين نظر اليّ ضاحكاً وقال اني قد شغلت فكري عشرة ايام بهذه الحادثة وقد ازف الوقت لاظهار حقيقتها

ولما كان منتصف الساعة العاشرة من صباح الغد اقبل هو بكنس وهو لا يزال مسروراً بنجاحهِ الباهر فلما جلس قال لهُ شرلوك الا تزال معتقداً ان الفتى هو القاتل. فقال وهو معجب بنفسهِ واي شكّ في ذلك بعد ما ظهر لنا من دلائلهِ التي عرفتها. وقد علمت بعد ذلك انهُ وصل الى الفندق في نفس المساء الذي حصل فيهِ القتل واتخذ لهُ غرفةً في الطبقة السفلى منهُ ليتمكن من الخروج متى اراد . فيظهر انهُ في نفس الليلة ذهب الى الكوخ وقابل الربان فافضى حديثهما الى النزاع فاخذ الفتى الحربة وقتلهُ وكانهُ ارهبهُ الفعل فهرب وسقط الدفتر منهُ في هربهِ . ولما لم يكن حصل على جميع المعلومات التي يرومُ الاستفهام عنها ولم يجسر على المجيء علناً اختار ان يأتي ليلاً وهكذا فعل . فلما فرغ من كلامهِ قال لهُ شرلوك بتبسم اظنك واهماً يا هو بكنس فهل جربت ان تضرب احداً بحربةٍ فتخرق بها جسمهُ وتجعلها تنغرز في الارض . اني جربت ذلك بكل قوتي كما يعلم وطسن ولم اتمكن من ذلك فكيف يمكن ان يفعل ذلك فتى نحيف الجسم ضعيف البنية مثل اسيرك . وهل نسيت ما قلت لي ان البنّاء رأى شبحاً من نافذة الكوخ قبل حدوث القتل بيومين فهل ينطبق وصفهُ على هيئة فتاك . انك واهمٌ يا هو بكنس والفتى بريء والقاتل لا يزال مطلق السراح حتى الآن . فقال هو بكنس وقد علاهُ الكمد انهُ لا يعجبك الا عملك يا شرلوك فلا ترى لغيرك فضلاً ولا اصابة. اما انا فكفاني ان الفتى كان حاضراً ليلة الجريمة بدليل وجود دفترهِ فوق الدم المسفوك وعلى كلٍ فقد ضبطت الجاني الذي توهمتهُ اما انت فأين الجاني الذي تتوهمهُ. فقال شرلوك ببرود انهُ قادمٌ سريعاً وقد بلغ السلّم فخذ مسدساً يا وطسن واستعدّ فلعلهُ يلزم. ثم اسرع فاخذ رقعةً مكتوبة ووضعها على مائدة في جانب الغرفة

ولم يأتِ على ذلك الا ثوانٍ قليلة حتى قرع آذاننا اصوات خشنة امام الباب

ودخلت خادمة البيت فقالت لشرلوك ان بالباب ثلاثة رجال يطلبون مقابلة الربان باسيل . فقال شرلوك دعهم يدخلون واحداً واحداً . فغابت لحظةً واذا باحد الرجال قد دخل فاستقبلهُ شرلوك وسأَلهُ عن اسمهِ فقال اسمي لانكستر . فقال شرلوك يسوءني يا صاح انهُ لم يبقَ لك محلّ فخذ هذه الليرة جزاء تعبك وادخل هذه الغرفة الثانية وانتظرني قليلاً فأُدخل الرجل وأُقفل عليهِ الباب . ثم دخل الثاني ففعل بهِ كالاول ولما أُقفل عليهِ الباب دخل الثالث وكانت هيئتهُ غريبة لهُ وجه وحشي ونظر مخيف وشعر متلبد اسود مجعّد ولحية سوداء وعيون براقة يندفع نظرها الحاد من تحت حاجبين مظللين بالشعر الاسود الكثيف . ولما حيَّا سأَلهُ شرلوك عن اسمهِ فقال باتريك كايرنس . قال وصناعتك قال صياد حيتان . قال وهل تريد الدخول في خدمتي قال نعم . قال وما هي الاجرة التي تطلبها قال ثماني ليرات . قال وهل انت مستعد للسفر ومعك اوراقك . قال لا شيء يعوقني عن السفر هذه الدقيقة اما اوراقي فها هي . فاخذ شرلوك الاوراق وفحصها قليلاً ثم قال لهُ حسنٌ فانت الرجل الذي يلزمنا فتكرم بالتوقيع على عقد الاتفاق . فتقدم الرجل الى المائدة ليوقّع على الرقعة واقترب منهُ شرلوك ليريهُ اين يجب ان يكتب اسمهُ فمدّ يدهُ من وراء ظهرهِ وفي اقلّ من طرفة عين سمعنا اقفال القيد الحديدي على معصمي الرجل وتبعهُ زمجرة اشبه بعجيج الثور وارتداد الرجل الى شرلوك وسقوط الاثنين الى الارض في عراكٍ شديد . وكانت قوة الرجل غريبة لانهُ مع وجود القيد الحديدي في معصميهِ كاد يبطش بشرلوك لو لم يثب هو بكنس لمساعدتهِ وأضع انا حديد مسدسي في رأسهِ . ولما رأى استحالة المقاومة استسلم لنا فشددنا وثاقهُ وتركناهُ ملقًى على الارض . ولما امنّا شرَّهُ قال شرلوك مخاطباً هو بكنس تفضل يا عزيزي لتناول الطعام فقد تفرغنا الآن بعد امساك هذا المجرم . اما هو بكنس فايقن حينئذٍ انهُ اخطأ في معاملة شرلوك وتحقق انهُ لا يزال تلميذاً حقيراً امام استاذهِ الشهير فقال بصوتٍ يمازجهُ الخجل اعذرني يا مولاي على ما فرط مني فقد علمت الآن انك تفوقني كثيراً وانني لن ابلغ مهارتك ما حييت . فتبسم شرلوك وقال عساك

ان تنتفع بهذا الدرس وان لا تحصر نظرك في جهة واحدة. بعد الآن فانك استغرقت كل انتباهك في الفتى المسكين نليجان ولم تلتفت الى باتريك كايرنس الذي قتل الربان بطرس كاري غدراً. فقاطعهُ الرجل بصوت اجش قائلاً لا تقل قتلتهُ غدراً بل قتلتهُ عدلاً كما يتأكد لك متى اخبرتكم بحقيقة الواقع. فقال شرلوك لا أحب الينا من سماعها فهات ما عندك. قال اجل وانا اخبركم بقصتي من اولها لتعلموا اني كنت مدفوعاً الى ما فعلت واني لم اقدم على قتل هذا الرجل الا بعد ما همَّ باغماد خنجره في صدري فلم اجد سبيلاً للنجاة منهُ الا بان طعنتهُ بالحربة فمات. واما قصتي فهي انني كنت معهُ في باخرتهِ المسماة وحيد القرن وكنت قد اشتهرت بصيد الحيتان بالحراب فاتفق انا بينما كنا في شهر اوغسطس من سنة ١٨٨٣ راجعين من جهات القطب صادفنا في طريقنا يختاً صغيراً فيهِ رجلٌ واحد لم يستطع ضبطهُ فكانت الامواج والعواصف تتلاعب بهِ وعلمنا منهُ ان نوتيتهُ لم يأمنوا السفر معهُ في ذلك البحر الهائج فتركوهُ سابحين الى جهة شواطئ نروج واظن انهُ لم ينجُ منهم احد. فاخذنا الرجل الى باخرتنا ولم يكن معهُ شيء يودّ اخذهُ سوى صندوق حديدي صغير. ولما صار بيننا خلا بالربان بطرس مدة في غرفتهِ ولم نعرف اسم الرجل فبقي معنا ذلك اليوم ولكنهُ في اليوم الثاني اختفى من الباخرة ولم يعلم احد هل رمى نفسهُ الى البحر او اتفقت لهُ داهية اخرى ذهبت بهِ الا انا فانني رأيت الربان بطرس عند الهزيع الثالث من ذلك الليل قد اوثق الرجل وسدّ فمهُ ليمنعهُ من الصياح ورماهُ الى البحر من ظهر الباخرة. فكتمت الامر لارى ما يكون منهُ ولبثنا سائرين الى ان بلغنا ايكوسيا ونُسي الامر كانهُ لم يكن. وبعد ذلك بمدة قصيرة اعتزل الربان بطرس العمل ولم اعلم اين ذهب فبحثت عنهُ سنوات عديدة قبل ان علمت محل اقامتهِ وتحققت انهُ استغنى عن العمل لما وجد في ذلك الصندوق الحديدي وايقنت انني ان ذهبت اليهِ واخبرتهُ بما اعلم لا يتأخر عن مقاسمتي او اعطائي شيئاً مما غنمهُ. فلما زرتهُ اول مرة استقبلني استقبالاً حسناً ووعدني بان يعطيني ما يغنيني عن ركوب البحار وطلب مني ان اعود اليهِ بعد يومين ريثما يكون

قد اعدّ لي المال . ولكنني لما رجعت اليهِ في الموعد وجدتهُ في حالة السكر الشديد وقد بدأ يعربد فجلست عندهُ وطفقنا نشرب معاً وكان كلما شرب يزداد خشونةً وشراسة . وحانت مني التفاتةٌ فرأيت الحراب المعلقة على الحائط ففرحت بها لاني كنت اعزل من السلاح وصممت ان استعين باحداها اذا اقتضى الامر

ولما بلغ من الربان السكر نظر اليّ بغضب شاتماً لاعناً واخذ خنجراً كان بالقرب منهُ وكنت اعلم ما عندهُ من الشراسة والقوة فرأيت انني مائت لا محالة اذا تهاونت في الامر فقبل ان يتمكن من اخراج الخنجر من غمدهِ اخذت الحربة وطعنتهُ بها طعنة شديدة فاخترقت جسمهُ ودخلت في الخشب فسمرتهُ بهِ . ولن انسى ذلك الصوت المزعج الذي صرخ بهِ عند موتهِ ولا تلك النظرة المخيفة التي ارتسمت على وجههِ وكان دمهُ يتدفق عليّ وعلى ارض الغرفة . اما انا فوقفت حيناً وانا صامت ولما لم اشعر بقدوم احد شددت عزائمي ورأيت الصندوق الحديدي فقلت ان لي فيهِ حقًّا لا يقل عن حق الربان فاخذتهُ وخرجت ولكنني من هوَجي تركت كيس التبغ الذي لي على المائدة . ومن الغريب انني ما كدت ابتعد عن الكوخ حتى سمعت وقع اقدام فاختفيت وراء شجرة لارى من القادم واذا بفتى رقيق الجسم بطيء الخطوات قد تقدم الى الكوخ ولم يكد يطأ داخلهُ حتى صرخ صراخاً مخيفاً كانهُ رأى باب الجحيم واطلق ساقيهِ للريح ولم اعرف من هو ولا غايتهُ من المجيء في تلك الساعة . فانتظرت بضع دقائق ثم سرت مجتنباً الطريق مسافة عشرة اميال ثم اتيت لندن . ولما خلوت بنفسي فتحت الصندوق فلم اجد فيهِ الا اوراقاً لم اجسر ان اظهرها مخافة ان تنمّ علي فعلتي فذهب عملي ادراج الرياح ولم اكسب شيئاً فبقيت في لندن لا املك شروى نقير . ثم قرأت من بضعة ايام اعلاناً يُطلَب فيهِ صيادٌ ماهر بأجرة وافية فقدمت نفسي الى الشركة التي اعلنت فارسلوني الى هنا وانتم ادرى بالباقي . وانني لا انكر انني قتلت الربان بطرس كاري ولا اخشى بأس الحكومة بل اتوقع انها تكافئني على مساعدتها في اهلاك احد اعاظم الاشرار وقد وفرت عليها ثمن الحبل الذي كان يجب ان تشنقهُ بهِ

وكان شرلوك يصغي الى حديثهِ بارتياح وسرور فلما فرغ قال اراك قد حكيت الحقيقة يا هذا فبقي على هو بكنس ان يجد لك محلاً تستريح فيهِ غير هذه الغرفة . فقال هو بكنس انني لا استطيع وصف شكري لك يا مولاي ولكنني لم افهم حتى الآن كيف تمكنت من معرفة هذا الشرير . فقال شرلوك الامر بسيط يا هو بكنس لا يغرب عن الملاحظ الخبير . فان دخول الحربة في جسم القتيل بتلك القوة والحذاقة ووجود الخمر على المائدة وكيس التبغ المصنوع من جلد السمك وصنف التبغ الموجود ضمنهُ كل ذلك دلَّني على ان القاتل نوتيّ وصيّاد حيتان . ثم ان حرفي ب . ك . مع دلالتهما على اسم بطرس كاري لا يمتنع ان يدلاَّ على اسم آخر يشبههُ بل هو الاقرب لان الربان لا يدخن . ثم ان وجود الوسكي على حالهِ مع شرب الخمر دلَّني بتاكيد ان الرجل بحريّ لتفضيلهِ الخمر على سواها . فلما تحققت هذه الظنون والافتراضات تاكد لي ايضاً ان النوتي القاتل كان مصاحباً للربان او مستخدماً عندهُ في باخرتهِ وحيد القرن فقضيت ثلاثة ايام في المفاوضة مع الشركة التي ابتاعت تلك الباخرة وعرفت من دفاترها اسماء نوتيتها سنة ١٨٨٣ ووجدت بينها اسم باتريك كايرنس وان صناعتهُ صياد حيتان بالحراب فتيقنت انني وجدت الرجل . ثم خطر لي ان الرجل لا بدّ ان يكون قد قصد لندن للاختفاء فيها وانهُ يودّ كثيراً ان يتعلق بسفرٍ يبعدهُ عن البلاد التي ارتكب فيها مثل هذا الجرم فقضيت يومين في جهة من لندن باسمٍ مستعار هو الربان باسيل واظهرت انني اقصد القطب الشمالي واعلنت احتياجي الى صيادين ماهرين باجرة طيبة وقد توفقت كما ظهر لكم . والآن فعليك ايها العزيز هو بكنس ان تسرع في اطلاق سراح المسكين نليجان وتعتذر اليهِ كثيراً وتعيد اليهِ الصندوق الحديدي بما فيهِ . اما الاوراق التي تصرَّف فيها الربان بطرس كاري فلا امل في رجوعها

فخرج هو بكنس بالاسير بعد ان شكر شرلوك كثيراً . ولما خلونا تنفس شرلوك الصعداء وقال لي انني قد تعبت جدًّا يا وطسن واحبّ ان ازايل هذه الديار مدة فاستعدّ لمرافقتي الى نروج

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ومن هذا القبيل قول الآخر «ظلّت المدرسة سائرةً ولكن سيرها كان يتراوح بين القهقرى تارةً وبين الخيزلى اخرى» وفي هذه العبارة عدة مآخذ احدها انهُ جعل المدرسة تسير وموضعهُ من الحزازة لا يخفى وان امكن ان يُتمحل لهُ وجهٌ بعيد. والثاني قولهُ بين القهقرى تارةً وبين الخيزلى اخرى ومقتضاهُ ان التراوح الذي ذكرهُ كان يقع في زمانين مختلفين احدهما «بين القهقرى» والآخر «بين الخيزلى» وحينئذٍ انفردت كل واحدةٍ من بين الاولى وبين الثانية بما اضيفت اليهِ. ومعلوم ان بين لا تضاف الاّ الى متعدّد لان معناها لا يُتصوّر بدون ذلك ولهذا منعوا تكرارها الاّ حيث تقتضي الصناعة كما اذا كان بعض ما اضيفت اليهِ ضميراً على ما هو مقرّر في مواضعهِ. والثالث انهُ اسند يتراوح الى ضمير السير وهو مفرد وهذا الفعل لا يُسنَد الا الى اثنين فما فوق تقول تراوح الرجلان العمل اذا تعاقباهُ هذا مرةً وهذا مرة وهم يتراوحون عمل كذا واما اذا كان الفاعل واحداً فيُستعمَل لهُ راوَح المجرّد من التآء تقول راوحت بين الامرين وفلانٌ يراوح بين يديهِ في العمل. والرابع قولهُ «وبين الخيزلى» وكانهُ توهم ان الخيزلى ضدّ القهقرى فجعلها في مقابلتها وانما هي مشيةٌ فيها تثاقُل وتراجُع فهي الى ان تكون موافقةً للقهقرى اقرب من ان تكون مضادّةً لها كما ترى

وجآء في كلام غيرهِ «الواجب ان يكون لنا هذا المستشفى (مستشفى

المجاذيب . . .) من كل بدّ وسبب » اراد ان انشآء هذا المستشفى واجبٌ حتماً او واجبٌ لا محالة فعبَّر بقولهِ « من كل بُدّ » وهو من التراكيب التي حرّفتها العامّة عن موضعها لان معنى البُدّ المحيد والمنصرَف ولا يُستعمَل الا مع النفي تقول لا بُدَّ لي من كذا وسافعل هذا الامر من غير بدّ . وقولهُ بعد ذلك « وسبب » لا معنى لهُ وهو من متابعة العامة ايضاً وكأنهم يزيدون هذه اللفظة بقصد التوكيد وكم في كلامهم من مثل هذا اللغو اذا اعوزتهم القوالب اللفظية ولا سيما في مواطن التوكيد والمبالغة فيلجأون الى ما لا معنى لهُ تذرُّعاً الى المقصود ولو بتكثير الالفاظ [١]

وربما ارسل بعضهم الكلام من غير ان يتبصر في مؤدّاهُ فيخرج بهِ الى نوعٍ من الهذيان اما من جهة المعنى التركيبي كقول القائل « وهذه هي القصيدة بنصها الفائق » وانظر كيف تكون القصيدة بغير نصها وهي مقيدة بالوزن والقافية

وإما من جهة معنى اللفظة في نفسها كقول الآخر « ما اجابتهُ اذنٌ سامعة » وهي اول مرةٍ سمعنا فيها انّ الجواب يكونُ من الاذن

---

(١) وحسبك في ذلك لفظة « البتاع » في لغة عوامّ المصريين فانها تأتي بكل معنى وترادف كل لفظ حتى لو فُسّرت في جميع مواقعها لاستُخرج من تفسيرها معجم حاوٍ لجميع الفاظ اللغة . وأحرِ بها ان تكون كذلك لأنها تجمع كل مقاطع الحروف فالبآء من الشفتين والتآء من اللسان والعين من الحلق وبقيت في الالف فائدة اخرى وهي فتح الفم عند النطق بها دلالةً على استغراقها جميع انواع اللفظ

ويتصل بهذا قول الآخر «هبّت عليه ريحُ سموم أماتتهُ ببردها» فظن ان السموم الريح الباردة وانما هي الريح الحارّة وأما الباردة فتسمى الصرصر

وقول الآخر « الارض منبعجة من قطبيها » يريد انها مفلطحة من ناحيتي القطبين وانما يقال انبعج الشيء اذا انشقّ واكثر ما يُستعمَل البعج في البطن تقول بعج بطنهُ بالسكين اذا طعنهُ بهِ . والعامة تستعمل البعج بمعنى الغمز في الشيء الرخو يقولون بعج العجين ونحوهُ اذا غمزهُ باصبعهِ فغاصت فيهِ وكلا المعنيين بعيدٌ عن المقام

ويلحق بذلك قول الآخر « وطّد العلائق بينهما » والعلائق لا توطَّد لان التوطيد يكون للارض ونحوها يقال وطد الارض اذا ردمها وداسها لتصلُب ومنهُ الميطَدة وهي خشبةٌ يوطَّد بها اساس البنآء وغيرهُ . والوجه وثّق العلائق او اكّدها ونحو ذلك

وانكر منهُ قول الآخر «جبالٌ شاهقة تنطح رؤوسها اعناق السمآء » فاستعار للسمآء اعناقاً وانظر ما اراد بها

وجآء في كلام آخر « انكسار الاوعية الشريانية » يعني انفجارها ولا يقال انكسر الشريان لان الكسر خاصٌّ بالشيء اليابس

وفي كلام غيرهِ «هذهِ المباني عبارةٌ عن هياكل» فجعل المباني عبارة . . . ومثلهُ قول الآخر يذكر امرأةً « كانت عبارةً عن خادمة » . . .

وفي كلام آخر « ولكنها المطامع تؤدّي بالمرّة للمذلة والهلاك » يريد تؤدّي تارةً او في بعض المرّات الى المذلة فعبّر بقولهِ «بالمرّة» وانما هو من التعريب الحرفي عن الفرنسوية

ومن هذا القبيل قول الآخر «تدفقت الدماء من جسميهما حتى غطت سطح السطح . وهو من التعريب الحرفي ايضاً لكن اللفظين الافرنجيين مختلفان وكأن اصلهما (la surface du toit) فلم يتعرَّبا له الا بسطح السطح ولم تطاوعه نفسهُ على اسقاط احدهما . . . . .

ومثلهُ قول الآخر «لا يوجد احد يقدر كيف يفسر اسباب هذا التسليم» وما نظن الا ان اللفظ الاصلي « يعلم كيف يفسر » فوضع مكان يعلم «يقدر» لان فعل العلم عندهم يُستعمَل في بعض تصاريفهِ بمعنى الامكان والقدرة فذهب وهمهُ الى هذا وترجم العبارة بالحرف . وكان ينبغي على الاقلّ اذا عدل الى هذا المعنى ان يبدل لفظ « كيف » بأن المصدرية لانهُ يقال فلان يقدر ان يفعل ولا يقال يقدر كيف يفعل (ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

(تابع لما قبل)

واما القُوَى الادبية فأُولاها احترام الذات ومحلها وراء قمّة الرأس بالقرب من زاوية ملتقى الفَودَين . وهذه القوة اذا كانت متعدلةً نشأ عنها ثقة الشخص بقواهُ الذاتية وشعورهُ بمنزلتهِ في نفسهِ وحبهُ للاستقلال واذا افرطت نشأ عنها الاعتداد بالنفس الى ما وراء الطور والاستخفاف بالغير والكِبر والتعجرف والخروج عن الحدّ في الأَثَرة وحب التسلط .

والثانية حبّ الامتداح ومحلها على جانبي احترام الذات واسفل منهُ قليلاً . وهذه القوّة اذا كانت في ذي طبعٍ معتدل مال الى اكتساب حسن

الاحدوثة والرفعة في العيون وتوفر الحرمة وبُعد الذِكر واذا بلغت غايتها نشأ عنها التمدُّح والطمع وحبّ التعظيم . والثالثة الحزم والاخذ بالوثيقة ومحلها تحدُّب الفودَين ومن شأنها ان يتجنب صاحبها مواقع الخطر ويكثر من اليقظة والتحرز واذا افرطت كان كثير الارتياب والتردد هيّوباً جباناً مخلوع القلب . والرابعة حب الخير ومحلها مقدَّم الرأس فوق نتوء العظم الجبهيّ ومن خصائصها الرأفة وصنع الجميل واللطف والايناس وخفض الجناح . والخامسة التهيُّب ومحلها قمة الرأس ومن خصائصها التكريم والخضوع لذوي المنزلة السامية واحترام ذوي الاقدار الجليلة وهي منشأ التدين والورع . واذا تناهت كان عنها التذلل والاستكانة والاستسلام للرقّ والتهوُّس الديني وما يتصل بذلك . والسادسة الثبات ومحلها القسم المؤخر من اعلى الفودين وهي اذا افرطت كان عنها العناد والتصلب . والسابعة حب النَصَفة ومحلها من الدماغ فُسحة صغيرة فوق الحزم وتحت الثبات ووراء الامل وعنها يتأتى الميل الى العدل واحترام حقوق الغير وحب الصدق والاخلاص . والثامنة الامل وهي منشأ الصبر واحتمال المكاره ومن خصائصها الاتكال على المستقبل واليها مرجع الايمان . واذا افرطت كان عنها سرعة التصديق وتصوُّر المفروضات الباطلة التي لا اساس لها ومحلها وراء محل الاعجاب . والتاسعة الاعجاب او التعجب ومن خصائصها حب الجديد والاعجاب بالامور المستحدثة والشؤون الخطيرة واذا افرطت ادت الى الولوع بالخوارق والمعميات والاعمال السرية والتصديق بالسحر والكرامات وكل ما هو فوق الطبيعة ومحلها في جانبي الزاوية الجبهية فوق

قوة حب التفنن وتحت قوة التهيب . والعاشرة حب التفنن ومن خصائصها الميل الى الاشياء الجميلة وبدائع المصنوعات والتصورات الشعرية ولكنها كثيراً ما تسوق الى المبالغة والاغراق في الامور وتميل بصاحبها الى استحسان الاشياء المزوّقة والصدّ عما لا زينة فيهِ ومحلها تحت التي سبقتها مع ميلٍ الى الخارج . والحادية عشرة فكاهة الطبع ومن خصائصها المزاح والمهازلة والتهكم والهزؤ وما لا معنى لهُ من الامور ومحلها جانبا الجبهة بين قوة الاعجاب وقوة حب التفنن . والثانية عشرة حب الاقتداء ومن خصائصها الميل الى التقليد في كل الامور ويتبع ذلك الاكثار من الاشارة ومقارنة معاني اللفظ بما يدل عليها من ضروب الايماء . وهذه القوة تبلغ معظمها عند كبار الممثلين والمصورين وبها يقلد الانسان الاصوات والحركات والهيئات ومحلها على جانبي قوة حب الخير بالقرب من محل الاعجاب

واما القُوَى العقلية فأُولاها التشخيص اي تمييز الاشياء بأشخاصها ومن خصائص هذه القوة الاستعداد لدرس الاشياء بتفاصيلها وهي تقوى في المطبوعين على المراقبة والبحث ولا سيما المشتغلين بتقويم الفصول المنوّعة كأصحاب علم الحيوان وما جرى مجراهُ ومحلها وسط القسم الاسفل من الجبهة ويُستدَلّ على تكاملها باتساع الفُرجة بين الحاجبين . والثانية قوة التصور ومن خصائصها الاقتدار على تمثُّل صُوَر الاشياء بحدودها وبها تُتذكر صُوَر الاشخاص ويُستحضر ما بينها من المشابهات ومحلها تحت محل تلك بحيث انهُ كلما انفرجت المسافة بين العينين كانت هذه القوة اتمّ وهي تقوى في المصوّرين . والثالثة قوة ادراك الامتداد ومحلها

باطن تقويس الحجاج اي العظم الذي عليهِ الحاجب وهي تعين على تقدير المسافات ومساحة السطوح وقياس الاشباح . والرابعة قوة تقدير الثقل ومن خصائصها معرفة اوزان الاشيآء وتقدير القوّة والمقاومة في الاجسام ومحلها ورآء الحجاج ايضاً بين قوة ادراك الامتداد وقوة تمييز الالوان . وهي تقوى في الرقاصين واللاعبين على الحبال والبحّارة واصحاب علم الحِيَل (الميكانيك) واذا فُقدت أو ضعفت كان الشخص معرَّضاً للهُدام اي الدُوار البحري . والخامسة قوة تمييز الالوان وبها تُدرَك حقائق الالوان وما بينها من النِسَب ومحلها وسط تقويس الحجاج وما يجاورهُ من اسفل الجبهة . والسادسة قوة معرفة الأَحياز (جمع حيِّز) ومنزلتها من الامكنة منزلة قوة التصور من الاشباح ومحلها الفسحة الصغيرة من الجبهة التي تعلو باطن حرف الحجاج . والسابعة قوة معرفة الاعداد ومحلها مقدَّم الدماغ مما يلي باطن الحجاج وبها يُقتدَر على ضبط الاعداد وصحة الاعمال الحسابية والتبحر في العلوم الرياضية . والثامنة قوة الترتيب ومن خصائصها الانطباع على تنظيم الاشيآء ووضعها في مراتبها ومحلها ورآء التي سبقتها وعلى الخط نفسهِ . والتاسعة قوة حفظ الحوادث ومحلها وسط الجبهة وهي تقوى في الاطبآء واصحاب علم وظائف الاعضآء والسياسيين والمؤرخين . والعاشرة قوة معرفة الزمن ومن خصائصها حفظ المواقيت وتواريخ الحوادث وبها يُقتدَر على ضبط الزمن في النغم ومحلها فوق وسط الحاجب . والحادية عشرة قوة معرفة الاصوات وبها يُقتدَر على تمييز درجات الاصوات الموسيقية ومراعاة ما بينها من النِسَب ومحلها الزاوية الجبهية فوق طرف

الحاجب .   والثانية عشرة قوة النطق ومحلها عند قاعدة النتوء المقدَّم من الدماغ وهي اذا بلغت معظم نموّها كانت العين كبيرةً بارزة .   والثالثة عشرة قوة المقابلة ومحلها فوق محل قوة التشخيص من العظم الجبهي وهي تكون نامية في الطبيعيين والشعرآء والخطبآء .   والرابعة عشرة قوة التعليل وبها تُدرك النسبة بين علل الاشيآء ومعلولاتها ومحلها امام التي سبقتها من جهة ظاهر الجبهة . وهاتان القوتان اذا استوفتا نموهما نبغ صاحبهما في اي فرع توخاهُ من فروع العقليات　　　　(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٤ —

قولي بربّكِ ايتها المرأة الغربية التي غرّتها من مظاهر حياة بعض الرجال زخارف علقت نفسها بها فأغرتها بطلب المحال

اين انتِ الآن واين تكونين بعد ان تصبحي قائداً يقارع الابطال في ميادين النضال او حاكماً يقضي على هذا بالقتل وعلى ذاك بالسجن والنكال او تاجراً يماري زيداً ويغبن عمراً . ويهاتر خالداً ويساوم بكراً ترويجاً للسلع وحشداً للاموال

اما ترين بربكِ في كل ذلك ما يقضي على الجلال الانثويّ بالابتذال أَوَلا تجدين نفسكِ بعد ذا عدوّةً مناصبةً للرجال . بعد اذ كنتِ المالكة قلوبهم القابضة على ازمتهم المستولية على عواطفهم واميالهم بما اوتيتِ من

آيات اللطف والرقة وجواذب الخفَر والدلال

أوَيتيسر لكِ بعد ذا ان تلبثي كما كنتِ معبودةً لتصوراتهم وهيكلاً لاميالهم وفردوساً تجول فيهِ سوانح مخيلاتهم وتحوم حولهُ بدائع اغزالهم وقد صرتِ لجنسهم في عداد الاعدآء سفَّاكةً للدمآء خرّاجةً ولاَّجةً بين الشوارع والاحيآء متجوّلةً بين الدساكر والحانات ودُور المكسين والخانات للبيع والشرآء والاخذ والعطآء

وهبي انهُ يتهيأ لكِ مع هذه الحال ان تحبلي وتلدي وتُرضعي وتربي ثم افترضي ان سيادتكِ تدوم على افئدة الرجال وان ابتذالك بالتعامل والتشاغل والتضاغن والتشاحن لا يسلب منكِ جواذب لطفكِ الفعَّال وسحركِ الحلال . وان المناضلة والمصاولة والتعرُّض للفح الحرّ ونفح القُرّ واقتحام الاهوال والمخاطر التي يخوض غمارها الرجال لا تزحزح عن تكوينكِ البديع رونق الملاحة ومسحة الجمال

اخبريني بعد افتراض كل هذه المحاليَّات ماذا تربحين وفيمَ تؤملين وما هو الذي تجنين

أيفوتكِ ان المجد الذي ينفق الرجال في سبيل احرازهِ الاعمار مقتحمين جلائل الاخطار آنآء الليل واطراف النهار مفكّرين مدبّرين ساهرين مجدّين كادحين تَعِبين لا ينالون منهُ في الغالب قليلاً من كثير الا بعد شقّ الانفس وإعنات الارواح وانتزاف دمآء القلوب . هذا اذا لم تخبُ آمالهم او تخترَم آجالهم او يعطلوا في الحروب بعض اعضآئهم او يفقدوا نور ابصارهم . على ان هذا المجد غير منحصرٍ فيهم ولا

مختص بأشخاصهم بل تشاركهم في منافعهِ وسؤددهِ النسآء ابداً فيقاسمنهُ رجالهنَّ ويتلذذنَ بحلاوتهِ هنيئاً مريئاً بلا عنآءٍ ولا نَصَب

افتنكرينَ ان زوجة الملك تكون ملكةً وان كانت من بنات الطريق [١] وان المرأة شريكة الرجل في المنزلة والمال على حالتي السرَّآء والضرَّآء والحرمان والتوفيق . فما لها إذنٌ وللدخول فيما يعنّيها ولا يعنيها ويُشقيها ولا يُغنيها . وايَّ خيرٍ ترجو من ولوج هذه المضايق والتهافت على ما دونهُ خرط القتاد وافتراش الرمضآء معرّضةً جسمها الرخص الغَضّ وبنانها الترِف البَضّ لانواع البلايا والشقآء طمعاً في مجدٍ أو مال هي حائزة عليهِ بغير مزاحمةٍ ولا نضال

---

(١) ان كاترينا زوجة بطرس الاكبر قيصر امة الروس ومؤسس مدنيتها العظيم كانت ابنة احد الفقرآء من قرية رنجان ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها تزوجت بجنديٍّ اسوجيٍّ قتل غداة عرسها في الحرب الثائرة بين كارلوس ملك اسوج وبين الروسيين ثم اسرها قائدٌ روسيٌّ فاستخدمها كالوصيفة الى ان تحولت الى خدمة كزمتوف قائد الجيش الاكبر اذ ذاك ثم اعطاها هذا لمنشيكوف احد امرآء الروس فرآها عندهُ بطرس الاكبر فاحبها وتزوّج بها فاصبحت امبراطورة الروسيين عامةً وكانت سبباً لنجاة مملكتهم من يد العثمانيين فانها بلطفها وحذقها انقذت زوجها القيصر من الاسر واقنعت القائد العثماني (وهو محمد باشا البلطجي الصدر الاعظم) ان يبرم الصلح بعد انتصارهِ التام واقتدارهِ على اكتساح البلاد الروسية والاستيلآء على عاصمتها فعقد صلحاً بشروطٍ سهلة وعاد الى القسطنطينية بالجيش فقتلهُ السلطان لما ابداهُ من التسامح والتساهل مع الروسيين بداعي افتتانهِ بجمال كاترينا وانخداعهِ بأساليبها السحرية

أفما تسلّمين معي إذن ايتها الغانية اللَعُوب العابثة بالقلوب بأن الغرور هو الذي جعلكِ تطابين محالاً وتسعين ورآء اوهامٍ واباطيل تعيد صحتكِ سقماً وثروتكِ إقلالاً فيلمّ بكِ النقص من حيث تطلبين الزيادة وينالكِ الشقآء من حيث تبتغين السعادة

فما أخدع ما زينت لكِ الأماني وما اضل ما زخرفت لكِ المطامع . ومن الغريب ان لكِ حقوقاً مسلوبة تكفل لكِ السعادة المنشودة لو سعيتِ ورآء استردادها لكنتِ عادلةً في الطلب فغادرتِها جُزافاً وأُولعتِ بما ليس لكِ تحاولين نيلهُ تهوُّراً واعتسافاً فكنتِ كصاحب قطيع من الاغنام أبصر في بعض السفوح وعلاً يقفز ويثب فتوهمهُ عن بعدٍ كبشاً ضالاً عن قطيعهِ فاخذ يعدو ورآءهُ مكابداً عرق القربة حتى اذا لحق بهِ بعد تمادي العنآء عرف انهُ وعلٌ يستحيل عليهِ امساكهُ فعاد أَدراجهُ آسفاً على ما لقي من التعب. ولما انتهى الى حيث كان رأى أَغنامهُ مشرَّدة وادواتهِ مبدَّدة. هذه نتيجة عدم التروي في مصاير الامور قبل مباشرتها وعدم اعطآء الاشيآء حقها من التبصُّر حال مزاولتها (ستأتي البقية)

خبايا الزوايا

وردتنا عدة اسئلة من بعض مشتركينا الادبآء عن اشيآء من مأثور الشعر والنثر اشتهر ذكرها بين الخواص ولكنهـا غير متداولة بين القرآء لندرة نسخها وعزّة الوصول اليها منها مقالة الملك النعمان لكسرى المشار اليها في خطبة نجمة الرائد ومنها الرسالتان السينية والشينية للحريري صاحب المقامات ولهاتين الرسالتين ذكرٌ في بعض كتب الادب ومنها القصيدة الطنطرانية التي عارضها المرحوم والد صاحب

هذه المجلة بالقصيدة التي رواها لهُ حضرة الكاتب الاديب امين افندي الحداد في ترجمتهِ في صدر النبذة الاولى من ديوانهِ فرأينا ان نثبت هذه المذكورات كلها الواحدة بعد الاخرى مع تحرّي ما استطعنا من الصحة في روايتها وتفسير ما في بعضها من الغريب حيث تدعو اليهِ الحاجة تتمةً للفائدة و بالله التوفيق

فاما مقالة الملك النعمان لكسرى فقد ذكرنا ملخص ما كان من امرها هناك وهي مطبوعة في الجزء الاول من كتاب العقد الفريد في باب الوفود (صفحة ١٢٤ وما بعدها من النسخة المطبوعة في مصر) ولكننا عثرنا لها على نسخةٍ اخرى في احدى المجموعات القديمة منقولة عن كتاب تحفة الاخلاّء فرأينا ان نعدل اليها هنا حتى ان من وقف على صورتها هناك لا يعدم فائدة الجمع بين النسختين . وهذا نصّ النسخة المشار اليها

وفد النعمان على كسرى [١] وقد حمل اليهِ هدايا مما يكون في بلاد العرب مثل الدرّ وأواني الجَزْع وحُلَل اليمن والوَرْس الاحمر والسيوف اليمانية والخيل والابل العربية . فدخل عليهِ وعندهُ وفود ملك الصين ووفود ملك الهند ورسل ملك الاتراك واخو قيصر ملك الروم وافاضوا في الحديث فذكروا بلادهم وافتخروا بقومهم وقوة ملوكهم وطيب ارضهم وكثرة خيراتها . وتكلم النعمان فافتخر على جماعتهم بالعرب من غيرتها وكرمها وشرفها وبجبوحة ذكرها وحسن وجوهها ورصانة عقولها وفصاحة منطقها وحكمتها في اشعارها ولم يستثنِ بكسرى ولا باهل مملكتهِ . فاخذت كسرى الغيرة فقال يا ابن المُنذِر اني قد نظرت في جميع الامم وبلادها فرأيت الروم لها حظٌّ في اجتماعها وكثرة مدائنها وحسن بنآئها ولها مع ذلك دينٌ يحلل حلالها ويحرّم حرامها وملكٌ يجمع امورها ويحميها من

[١] المراد به كسرى بن هرمز بن كسرى انوشروان وكان ملكه سنة ٥٩٠ للميلاد

عدوّها ويأخذ لضعيفها من قويّها . واهل الهند لها حظٌ في حكمتها وعزائمها وطيب بلادها وكثرة عطرها ولها دينٌ يفصل بين حلالها وحرامها وملكٌ يجمع بين اقاصيها وادانيها ويلي الحكم بينها ويمنعها من عدوّها . والصين لها حظٌّ في صنائع ايديها وهمتها في آلة الحرب وجودة صناعة الحديد والاواني ولها دينٌ يحلل ويحرّم وملكٌ يحكم ويجمع ويمنع . والخزر والاتراك لهما شدة ونجدة وبأس ومَلِكان يحميان ارضهما ويقوّمان أَوَدهما متوارثَين المُلك خلَفًا عن سَلَف ولست ارى للعرب من ذلك شيئاً . وان مما يدل على تقاصر همتهم رضاهم ببلادهم التي هم بها من تلك القفار والبراري مع الوحوش النافرة والسباع الضارية يقتلون اولادهم من الحاجة ويغزون بعضهم بعضاً من الفاقة . وقد خرجوا من لذّات الدنيا طعاماً وشراباً افضلُ طعامهم لحوم الابل التي يعافها كثيرٌ من الطير والوحش وان احدهم ليقري الضيف يوماً واحداً في دهره ويشبع الشَبْعة الواحدة في عمره فيجدها غُنماً فصال بذلك شعراؤهم وافتخر مفتخروهم خلا ارض اليمن فان جدّي كسرى انوشروان سنَّ لها اجتماع ألفتها ونصب لها مملكتها تجرى بها ذلك الى الآن وان لها شيئاً من الاثاث واللباس والحصون والقُرَى واموراً تشبه بعض امور الناس . فقال النعمان ايها الملك ان عندي جواباً لكل ما تفوهت بهِ من غير تكذيبٍ ولا ردّ فان أمّنتني غضبك تكلمت . فقال كسرى قل ما بدا لك غير ملُوم . قال النعمان اما أُمتك ومملكتك فلا تنازع في فضلها وما هي عليهِ من احلامها وسطوتها وما كنفها الله بهِ من ولايتك وولاية آبائك عليها من قبل . واما سائر الامم فاية امةٍ منها تقرنها بالعرب الا

وكان الفضل للعرب . قال كسرى ولمَ ذا . قال لعزّ العرب ومنعتها وحسن وجوهها وصفآء الوانها وشدة بأسها ونجدتها وجُرأة قلوبها وغلظ اكبادها وأَنفتها من الهوان وصحة انسابها وفرط كرمها وفصاحة كلامها وكثرة حكمتها في اشعارها وجودة عقولها وتمسكها بما هي عليهِ من دينها . فأمّا عزّتها ومنعتها فانها مجاورة لآبآئك الذين دوّخوا الأرضين واحتووا عليها وذلّت لهم الملوك فلم يطمع فيهم طامع ولم يعلق بهم متطاول ولا متناول . حصونهم صهوات خيلهم وسقوف بيوتهم السمآء وسواهم حصونهم القلاع وجزائر البحار وسقوفهم الخشب . واما حسن وجوههم فقد عرفت فضلهم على الهنادك[1] المحترقة الوجوه والروم المشوَّهة الوجوه والاتراك والصين العريضة الوجوه والحبش السود الوجوه . واما معرفتهم بانسابهم فانهُ ليس في الامم امةٌ الا وقد جهلت آبآءها واصولها وكثيراً من اوائلها فالرجل منهم ربما سُئل عن ابيهِ الذي خرج من صلبهِ فلم يعرفهُ وليس في العرب احدٌ الا ويسمي آبآءهُ حتى ينتهي الى آدم. فقد عرفوا انسابهم وضبطوا اصولهم فلا يستطيع احدٌ منهم ان يدخل في غير قومهِ ولا يكون احد فيهم مجهول النسب . واما دينهم فانهم متمسكون بهِ محافظون عليهِ وقد بلغ من ذلك ان لهم أَشهرًا حُرُماً وبيتاً حراماً ينحرون فيهِ ذبائحهم وينسكون مناسكهم ويسوقون اليهِ انعامهم ويهرعون بأَجمعهم الى حجّهِ فيلقى الرجل منهم قاتل ابيهِ او اخيهِ في ذلك البيت وفي ذلك الشهر وتحمل بهِ الدمآء على اخذ ثأرهِ فيحجزهُ تمسكهُ بدينهِ فلا يتعرض لهُ بمسآءة . واما وفآؤهم

[1] هم اهل الهند واحدهم هندكيّ وهي من شواذ النسب ويقال ايضاً هنديّ والجمع هنود

فان الرجل منهم يبلغهُ ان الرجل استجار بهِ او لجأ اليهِ فيمنعهُ من كل من ارادهُ ولا يُخفِر ذمّتهُ ولا يسلّمهُ ابداً ولو قُتل دون ذلك وهلكت عشيرتهُ وفآءً منهُ وحفظاً لعهده . ويلجأ الي الرجل منهم المخذولُ المطلوب من غير ان يكون ذا قرابة وذا رَحِمٍ فيبذل دونهُ مالهُ ونفسهُ . وان الرجل ليلحظ اللحظة ويومئ الايمآءة فيجعل الملحوظُ نحوهُ والمُومأ اليهِ ذلك عهداً وثيقاً لا يحلّهُ الا خروج نفسهِ . واما ألسنتهم فان الله عز وجل قد اعطاها من ايجاز المنطق وعذوبتهِ ما لم يُعطِهِ احداً من الناس مع ضربهم الامثال ونظمهم الشعر شيخاً وصبياً ونطقهم بالحكمة . واما خيولهم فافضل الخيول الخيل العتاق . واما لباسهم فافضل اللباس حُلَل اليمن . ونسآؤهم اعفّ النسآء ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجَزع[1] وعشب ارضهم الوَرْس[2] ومطاياهم الابل التي لا تُقطَع الاسفار البعيدة الا عليها ولا تُسلك القفار والفيافي الا بها . واما كرمهم فان الرجل يكون لهُ البعير او الناقة التي منها زادهُ ونفقتهُ وهي مركبهُ ومحملهُ فيطرقهُ الضيف الذي يجتزئ بالأَكلة[3] ويكتفي بالبُلغة[4] فينحرها لهُ . واما ما ذكرت من ان ليس لهم ملكٌ يجمع اقاصيهم ويمنع عنهم كسائر الامم فسائر الامم انما ملّكوا عليهم ملوكاً لانهم اقرّوا من انفسهم بالضعف وخافوا عادية اعدآئهم فملّكوا عليهم ملوكاً تدفع اعدآءهم عنهم وتأخذ الضعيفهم من قويّهم . واما

١ هو ضرب من الحجارة يكون باليمن فيه سواد وبياض ٢ هو نبت اصفر يكون باليمن يصبغ به. قال الاصمعي نباته كنبات السمسم فاذا جف عند ادراكه تفتقت سنفته اي وعاء ثمرته فينتفض منه الورس ويخرج صبغه اصفر فاذا كان حديث العهد بالزرع كان في لونه حمرة وهو اجوده . اه تحصيلاً ٣ يجتزئ اي يكتفي والأكلة بالفتح الوجبة الواحدة من الطعام
٤ مقدار ما يمسك الرمق من الطعام

العرب فقد كادوا يولدون كلهم ملوكاً لغِلَظ اكبادهم وأَنَفتهم من الاقرار بالقهر وأداء الخراج ولكل قبيلةٍ رئيسٌ منها يحمي مَن يليهِ

واما ما ذكر الملك من قتل اولادهم من الحاجة فانما يفعل ذلك من يفعلهُ منهم بالإناث دون الذكور أنفةً من العار وغيرةً من الازواج لا من الحاجة والضُر[1] . واما ما ذكرت من اكل الابل فوهمتَ انها زهِمة[2] اللحوم غليظة الشحوم خبيثة المذاق فليست كذلك بل هي اكثر النَعَم[3] شحماً واطيبها لحماً واحلاها مُضغةً واقلها غائلةً وانما ترك العرب ما سوى الابل لما احتقروا منها فعمدوا الى اعظم الأنعام واقواها فجعلوها ركابهم وطعامهم . واما ما ذكر الملك من ارض اليمن وما كان من كسرى انوشروان في مملكتها فانهُ انما بعث اليها بالجيش عند غلبة الاحباش عليها فورد على امرٍ مستوسق[4] وجندٍ مجنَّد ولولا ما كان من تحاسُدهم على سلطانهم وتنافسهم في ملكهم ووقوع المعصية بينهم حتى حملهم ذلك على التحاسد وحداهم على التخاذل لما قدرت الاحباش على اقتناصهم سلطانهم وابتزازهم اياهُ ولكان فيهم من يجيد الطعان ويأنف من الضيم يستغنون بهِ عن استنصار غيرهم . اهـ

قال فلما سمع كسرى ما اجابهُ بهِ النعمان عجب من رصانة عقلهِ وإدلائهِ بالصواب في قولهِ وما احتجّ بهِ عن قومهِ وأُعجب بجُرأتهِ وإقدامهِ وجودة جوارهِ فقال يا ابن المنذر انك اهلٌ لما انت فيهِ من السيادة على قومك ولقد اصبت في كلامك وصدقت في حجتك ثم كساهُ خِلَعاً كثيرة من

---

١ الفقر ٢ اي زنخة ٣ النعم هنا بمعنى المواشي ٤ اي على ملك مجتمع

لباسهِ واكرمهُ وردّهُ الى مملكتهِ وقد زاد بما سمع منهُ نُبلاً عندهُ وحُظوةً لديهِ . انتهى

الريح والشجر

معلوم ما للريح من القُوة حتى انها تنتسف الابنية الضخمة وتُطير سقوف المنازل وتقتلع الشجر العاديّ بل ربما كان فعلها بما يعترضها من الاشباح الكبيرة اعظم جدًّا من فعلها بما تمرّ عليهِ من الاشباح الضئيلة كالعشب والزرع فانها لا تزيد مهما اشتدّت قوتها على ان تفيّئهُ وتحني رؤوسهُ امام ممرّها فاذا جازت لم تترك فيهِ اثراً يُذكَر. الا ان هناك فعلاً آخر للريح اذا استمرّت على مهبٍّ واحد فانها تحني الشجر وتميلهُ شيئاً فشيئاً وبتكرُّر ذلك على الايام يثبت على انحنائهِ . واكثر ما يعايَن ذلك على شواطئ البحار لما أن الرياح هناك تكون دائمة الهبوب الى اتجاهٍ واحد اي من جهة البحر الى البرّ ولذلك ترى الرمال التي تقذفها الامواج على الشاطئ تحملها الريح فتجعلها أحقافاً وكثباناً ثم تبددها من هناك في كل وجه حتى يتألف منها صحارى رملية تعمّ بقاعاً واسعة من الارض . ثم ان الريح فضلاً عن حملها تلك الرمال ونقلها من موضع الى موضع فان ما تحملهُ منها يؤثر بقوة هبوبها على ما تمرّ بهِ وهو السبب فيما يرى في بعض الصخور من الاضراس والنتوءات لانهُ باستمرار وقوع الرمل عليها بتلك القوة تتآكل في المواضع الهشّة ويبقى ما صَلُبَ منها بارزاً. وكذلك ما يُرَى في زجاج المنازل المجاورة للرمال اذا كان زجاجها مواجهاً للريح فانهُ يتخشن حتى

كانهُ أُخذ بالسنباذج ومن هنا تنبه بعضهم لطريقة نقش الزجاج وثقبهِ احياناً بتسليط مجرًى شديد من الرمل عليهِ على ما ذكرنا تفصيلهُ في غير هذا الموضع

وترى امامك رسمين في الاول منهما صورة صفّ من الاشجار وهي غابةٌ من السنديان في سهلٍ مجاور للبحر بناحية غراتفيل من ايالة المانش والارض هناك معرَّضة لهبوب ريحٍ دائمة تأتيها من الشمال الغربي وقد



ظهر فيها فعل الريح على تمام الوضوح فانّ الشجرات الواقعة في اول الصف تستقبل الريح مباشرةً لا يحجبها من دونها حاجب فهي تستمكن منها بكل قوّتها ولذلك تراها اشدّ ميلاً من اخواتها والميل يبتدئ من اصولها فصاعداً ويزداد كلما ارتفعت وترى اعاليها قد انحنت متتابعةً على خطٍّ مستوٍ لانجرار ذيل الريح على اغصانها الرخصة واستمرارها على ذلك . ثم ان هذا الميل يقلّ شيئاً فشيئاً في الشجرات التالية لاستذرائها بالتي وراءها الى ان تراها اخيراً قد استقامت نبتتها ما خلا بعض رؤوسها المعرَّضة للريح فانك

تراها كانها قد شُذّبت اعاليها فلم يُترَك غصنٌ منها ناتئاً عما يجاوره ُ

واغرب من ذلك ما يُرى في الرسم الثاني وهو صورة شجرةٍ من العِضاه في سهلٍ من الارض لا يحجبها حاجبٌ من الوراء ولا تستند على شيءٍ



من الامام ولذلك تسلطت الريح عليها بكل شدتها وهي قائمة على منحدر مستطيل ينتهي الى البحر . على انه ُ يظهر في قرب اصلها ما يدلّ على ان هناك كسراً خفيفاً وهو ولا ريب من فعل الريح ايضاً وبذلك صارت الى هذا الشكل الغريب

الشيب الصناعي

من نظم حضرة الشاعر المتفنن الياس افندي الغضبان

ما بال شعرك بالبياض تخضبا فبدا على عهد الشبيبة أشيبا

ام ذاك لونٌ قد غدا في عصرنا في عُرف ربات التجمل اصوبا

يا دُميةً ان اسبلت فرعاً لها سَدَلت على افق البرية غيهبا
واذا انثنت ارخى الظلام سجوفهُ والبدر كُوِّر في الفضآء مغرّبا
كيف استعضت عن السواد بابيضٍ وكسوتِ هذا الفرع ثوباً اشهبا
ورضيتِ بالشيب الذي يدعو الى يوم الرحيل وانت في غضّ الصبا
واخترتِ توديع الشباب بلا اسي ودعوتِ اهلاً بالمشيب ومرحبا
والعمرَ في سوق التجمل بعتِهِ يا ليت هذا البيع صادف مكسبا
لا بِدعَ ان جازفتِ في زمن الصبا فالوهم يجعل كلَّ ذا مستعذبا
الله اكبر فالحياة رخيصةٌ في عُرف من تخذَ التجمل مذهبا
كم غصنَ قامتكِ النحيفَ هصرْتِهِ ضمن المِشَدّ فبات فيهِ معذّبا
وأديمَ طلعتكِ الرقيقَ طليتِهِ فغدا بألوانِ السموم مخضّبا
ولكم حسرتِ عن الترائب حيث لا تخشَين من بردٍ يهز المنكبا
قلّدتِ بنت الصين في لبس الحِذا أرأيتِ هذا للتجمُّل أقربا
موّهتِ في دعوى المشيب فقام ذا الـ وجهُ النضيرُ لما ادَّعيت مكذّبا
وافى لقاضي العدل يرفع امرَهُ متظلماً ولحقهِ متطلبا
اذ قد سدلتِ الشيب فوق ملامحٍ حاكت غضاضتها رياحين الرُبى
فرعٌ كفرع الخيزبون مضفّرٌ في رأس غانيةٍ لها قدُّ الظبا
فبدا محياكِ المنير ككوكبٍ يَغشى بياض الصبح ذاكَ الكوكبا
والشيب عنوان الكمال وانني لم آلفِ شيبكِ عن كمالكِ معربا
قالت تمهَّل يافتى واعذر ولا تكُ في الذي منا ترى متعجبا
للخُودِ زيٌّ ليس يثبت فهو كالـ حرباء يُبصَر دائماً متقلبا

يحتلنَ فيما يجذب الابصار اذ يَوَدَدْنَ لو اصبحنَ مثل الكهربا
ولقد يحدّبنَ الظهورَ تجملاً ان كان للابصار ذلك اجلبا
فاذا تكلفنَ المشيب تصنعاً لم يبتغينَ سوى الخديعة مطلبا

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — متى أُطلقت لفظة خديو على عزيز مصر وما معنى هذه الكلمة اسعد الارقش

الجواب — الخديو كلمة فارسية معناها سيِّد او امير واصلها خدِيو بفتح الخآء وكسر الدال فتحرفت على ألسنة العامة الى لفظ المصغر واكثرهم يزيد في آخرها يآء استيحاشاً من وجود الواو متطرفة بعد يآء ساكنة

وأما اطلاقها على عزيز مصر فأول من سُمّي بها المرحوم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٧ اطلقها عليهِ السلطان عبد العزيز ثم صارت لقباً لكل من يتولى اريكة مصر من بعده

حلب — اختلفنا في تصغير حيوان فقال قائل يصغَّر على حُيَيوِين ذهاباً الى انهُ اسم جامد وقال آخر يصغَّر على حُيَيوان ذهاباً الى انهُ وصف مختوم بالف ونون زائدتين بمنزلة صَميان للشجاع وان من شرط ما يصغَّر على فُعَيلين ان يجمع على فعالين والحيوان لا يجمع على حياوين فما هو الحقّ في ذلك احد المشتركين

الجواب — الحق ان الحيوان اسم جامد لا وصف وهو في الاصل مصدر حيي ثم أُطلق على الجنس بخلاف صَميان لانك تقول رجلٌ

صَمَيان ولا تقول جسمٌ حيوان وحينئذٍ فهو يصغَّر على حُيَيوين كما يصغَّر كَرَوان على كُرَيوين . واما انهُ لا يجمع على حياوين فانما وضعوا هذا الشرط لتمييز الصفة من الاسم لان الصفة لا تُجمَع على فعالين فاذا تعينت الاسمية لم يُلتفَت الى هذا الشرط

القاهرة — قد اطلعتم ولا شك على كلام الجرائد عن العيد الذي يراد الاحتفال بهِ لمرور مئة سنة على ولاية محمد علي لكن رأينا بعضها تسميهِ العيد المئَوي و بعضها تسميهِ المِئيني فما هذه النسبة الثانية　　مستفيد

الجواب — هي نسبة الى مئين جمع مئة وهو عجيب لان العيد انما هو لمرور مئة واحدة من السنين فما ندري من اين جاءَ هذا الجمع . على انهُ لو فرضنا ان هناك مئين لا مئة لم تكن النسبة الا بلفظ مئويّ لان قياس الجمع ان يُرَدّ عند النسبة الى المفرد

آثار ادبيّة

مجلة سركيس — صدر الجزء الاول من مجلة بهذا العنوان لحضرة الكاتب الاريب سليم افندي سركيس وهي مجلة لطيفة تنطوي على كل ما رقّ وطاب من النوادر الادبية والنكات المستملحة على اسلوب جديد من الفكاهة مما يدل على لطف ذوق منشئها وسعة تفننهِ في هذه الصناعة . وهي تصدر مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي ٦٠ غرشاً في مصر و ٢٠ فرنكاً في الخارج فنتمنى لها الرواج والانتشار

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٧ —

الشرف الرفيع

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

ان ما اكتبهُ الآن هو تدوين وقائع حقيقية حدثت من وقت غير بعيد بين اشخاص مشهورة اسماؤهم. غير اني ارى نفسي مضطرًّا ان اغفل ذكر المكان والزمان واستبدل الاسماء خشية ان اسوء عن غير تعمد من قد يكون لهُ اتصال بهذه الرواية

خرجت يوماً مع صديقي ورفيقي شرلوك في حاجةٍ ثم عنَّ لنا ان نتنزه في بعض الحدائق غير ان المطر المنهمل بغزارة والبرد القارص اجبرانا على الرجوع الى منزلنا فعدنا اليهِ في الساعة السادسة مساءً وكان قد خيم الظلام . فلما دخلنا الغرفة واطلقنا مجرى النور الكهربائي وقعت عين شرلوك على بطاقة زيارة موضوعة على المائدة فتناولها وما كاد يقرأ الاسم المطبوع عليها حتى رمى بها الى الارض واظهر علامة الضجر والتكرُّه . فالتقطتها وقرأتها فاذا عليها هذه الكلمات « شارلس اوغسطس ملفرتن » ولم اكن اعرف هذا الاسم من قبل فسألت شرلوك عن صاحبهِ فقال لي اجارك الله منهُ ايها العزيز وطسن فانهُ افظع انسان تظللهُ سماء لندن . ثم جلس على كرسيهِ قرب الموقد وقال هل كتب شيئاً على البطاقة. فادرتها بيدي فوجدتهُ قد كتب على جانبها الآخر سأعود في منتصف الساعة السابعة. فقال شرلوك قد قرب الموعد اذاً ثم نظر اليَّ وقال اذا ذهبتَ يا وطسن الى حديقة الحيوانات ووقفت امام قفص

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الافاعي ألا تشعر بانقباض غريب وتململ في جسمك كلما رأيت تلك الخلائق السامة التي تنساب بونآء وخبث وهي ترمي اليك نظراً بارداً ثابتاً من عيونٍ قبيحة بارزة في وجوهها المسطحة فان نفس الشعور ينتابني عند مشاهدتي هذا الرجل . ولقد رأيت عدداً عظيماً من الاشرار والقتلة ولكن اشدهم جرماً لم يؤثر عليَّ بمثل الوجدان الذي اشعر بهِ عند مقابلتي لهذا الوحش الناطق ومع كل ذلك فاني ارى نفسي مدفوعاً الى مقابلتهِ لانني استدعيتهُ . فقلت وما غرضك منهُ اذاً . قال انهُ سلطان الائمة وملك الاشرار فالويل للرجل و بالحري للمرأة التي يسوقها سوء الطالع الى ان يطلع ملفرين على شيء من اسرارها فانهُ يمتصّ دمها شيئاً فشيئاً الى ان ينضب وهو يتبسم بوجههِ الكالح ويطرب بقلبهِ الحجري . ولست انكر ان الرجل شعلة ذكاء وانهُ كان يمكنهُ بلوغ اسمى مقام لو ضرف همهُ عن الدنايا الى الاعمال الشريفة ولكنهُ اتبع مهنة دنيئة فهو يرشو الخدم والخادمات و بعض الاحيان السادات والسيدات الذين باعوا الذمة ونبذوا الضمير فيدفع اليهم المبالغ الطائلة على ان يبيعوهُ رسائل او اوراق ساداتهم او اصحابهم اذا كان فيها ما يوقعهم في شبهةٍ . وقد علمت انهُ دفع يوماً سبع مئة ليرة الى حوذيّ ثمن رسالة مؤلفة من سطرين كانت نتيجتها خراب اسرةٍ شريفة بتمامها . ولقد طارت شهرتهُ بذلك حتى لا يذكر اسمهُ امام كبار القوم الاّ تظهر عليهم علائم الكراهة والانقباض فانهم يخافونهُ ولا يعلمون كيف ومتى يسقطون في يدهِ . والغريب انهُ اذا امتلك رسالةً يخفيها سنوات الى حين الاحتياج اليها فيتقاضى اصحابها المبالغ الطائلة او يتهددهم باذاعتها فيجعلهم اسرى ارادتهِ جبراً

وكنت اعجب من كلام صديقي لانني لم اسمعهُ قط يتكلم بمثل هذا الوصف والحدّة فقلت لهُ ولماذا لا يشكونهُ الى الحكومة . قال واية فائدة تجنيها احدى السيدات اذا سُجن اشهراً ثم خرج لينتهك عرضها وينزل اسمها الى اسفل دركات العار والهوان . ثم لو فعل ذلك مع اناس ابريآء لامكن القبض عليهِ ومجازاتهُ غير انهُ خبير بالشر كرئيس الجحيم نفسهِ فهو يعلم من اين تؤكل الكتف ولا يصادر الا الذين زلوا ويعلم انهم يخافونهُ . فقلت وهل لك ان تخبرني عن سبب مجيئهِ الآن .

قال ان سيدة شريفة وهي اللادي ايفا براكول اجمل والطف فتاة في يومنا هذا قد خُطبت للارل دوفركورت وسيُعقد لهُ بعد اسبوعين . وقد اتفق انها في اوائل جهلها كتبت بعض رسائل حبية الى شخص آخر وليس في رسائلها تاريخ فتمكن هذ اللعين ملفرتن من الحصول على تلك الرسائل فهو الآن يتهدد اللادي بان تشتريها منهُ بمبالغ جسيمة او يبلّغها الى الارل ويظهر لهُ انها وان كانت قبلتهُ بعلاً لها فهي تراسل عشيقاً سواهُ فتكون النتيجة ابطال العقد وهدم شرف الفتاة . وقد شكت لي اللادي امرها وكلفتني ان اتوسط لها مع هذا الخبيث واسترجع الرسائل باحسن طريقة اتمكن منها . ولم يكد شرلوك يتم كلامهُ حتى سمعنا صوت عربة وقفت امام باب البيت وخرج منها رجل رقي السلم حتى بلغ الغرفة التي نحن فيها . ولما دخل تأملتهُ فاذا هو في نحو الخمسين من العمر قصير القامة ضخم الجسم ولهُ رأس كبير وجبهة عالية تدل على الذكاء والمهارة وهو ذو وجه حليق سمين يلوح عليهِ تبسم مريب دائم ولهُ عينان صغيرتان ولكنهما حادتان يندفع منهما نور شديد تحت حواجبه الكثيفة السوداء . وكان صوتهُ كصوت المرأة فالقى التحية باسطاً يدهُ الى

شرلوك وقال اتأسف انني لم اجدك في زيارتي الاولى . فتغافل شرلوك عن اليد الممدودة للسلام عليهِ ورأى ذلك ملفرتن فهز منكبيهِ ثم القى رداءهُ على كرسيٍّ وجلس . ثم نظر اليَّ وقال مخاطباً شرلوك الا يوجد مانع من التكلم بحضرة هذا السيد . فقال شرلوك انهُ صديقي وشريكي الدكتور وطسن ولهُ المام بالامر فارجو منك الاختصار ما امكن لان اللادي ايفا قد فوضت اليَّ انهاء الامر فما هي شروطك الاخيرة . فقال ملفرتن ببرود ان شروطي الاخيرة هي ان تنقدني سبعة آلاف ليرة وتتسلم الرسائل وانهُ اذا لم اتسلم المبلغ في الرابع عشر من هذا الشهر تعذَّر عقد الزواج في الثامن عشر منهُ . فقال شرلوك انك تطلب ثمناً فاحشاً يا هذا مع انهُ يمكن اللادي ايفا ان تعترف لخطيبها ولا شك ان حبهُ الشديد لها يصفح عن هفوتها الصبيانية فلا تهمهُ الرسائل وتخسر انت كل شيء . فقهقه ملفرتن ساخراً وقال يظهر انكم تجهلون طباع الارل ولكن ذلك لا يهمني فافعلوا ما تشاءون . ولما قال ذلك

نهض يريد الانصراف فاستوقفهُ شرلوك وقال مهلاً يا هذا فاننا نفضل ان لايكون في الامر ما يشين اسم اللادي وانت تعلم انها ليست ذات ثروة وان غاية ما تملكهُ هو الفا ليرة فهل تقبل بهذا الثمن . قال انا اعلم انها لا تملك المبلغ الذي اطلبهُ ولكن اعلم ايضاً ان مثل اللادي ايفا متى تزوجت لا بد ان تأتيها هدايا كثيرة ثمينة جدًّا من اصحابها ومعارفها . ثم اخذ محفظةً من جيبهِ وقال ان هذه الاوراق اذا وصلت الى يد الارل ابطلت الزواج حتماً وتركت اللادي ايفا تعسة شقية طول حياتها وكل ذلك لامساكها عليَّ المبلغ الزهيد الذي اطلبهُ . فقال شرلوك ولكن يا هذا ان اللادي ايفا لا يمكنها جمع هذه القيمة وفضلاً عن ذلك فاية فائدة لك من ابطال زواجها . قال ان ذلك يفيدني جدًّا لانهُ يوجد لديَّ خمس او ست قضايا مثل هذه فمتى اشتهر امر هذه سهل عليَّ اقناع الباقين

ولم يستطع شرلوك ان يضبط نفسهُ فوقف بغضبٍ وقال دونكهُ يا وطسن فلا بدّ لنا من الاطلاع على ما في هذه المحفظة . ورأى ملفرتن ذلك منا فوثب بسرعة البرق الى الحائط ثم اخرج مسدساً وقال قفا عندكما فهل تحسبانني جاهلاً حتى اسلم نفسي كولدٍ صغير . فانا اولاً مدجج بالسلاح وثانياً لم افقد عقلي حتى احضر الرسائل معي فلا فائدة لكما مني . ورأينا صدق كلامهِ فاحجمنا عنهُ فتقدم الى ردائهِ والتف بهِ ثم انحنى مسلماً وخرج وبعد دقيقتين ركب عربتهُ فسارت بهِ الجياد تنهب الارض

وبقي شرلوك نحو نصف ساعة يدخن بلفافة بعد الاخرى وهو صامت ثم دخل غرفتهُ الخصوصية وعاد منها متنكراً بهيئة واحد من الفعلة فقال انا ذاهب يا وطسن وساعود سريعاً . فعلمت انهُ قد شهر حرباً عواناً على ملفرتن وايقنت انهُ فائزٌ ولا بدّ وان لم اعلم الخطة التي رسمها لنفسهِ في الهجوم والدفاع

وبقي شرلوك بضعة ايام يخرج ويدخل وهو مشرد الفكر الى ان عاد يوماً ولما جلس على مائدة الطعام ضحك ضحكاً عالياً ثم قال ان الانسان يا وطسن يضطرّ ان يفعل بعض الاحيان ما يهزأ بهِ من نفسهِ متى افتكر فيهِ فانني قد فزت باغواء

خادمة ملقرتن فاحببتها واحبتني وخطبتها وهي تعتقد انني سأتزوجها قريباً متى استوفيت مدة خدمتي في المنجم وأخذت المكافأة . وانا في كل يوم اخرج بها للنزهة والمحادثة وقد علمت منها داخل بيت ملقرتن حتى صرت اعرفهُ كما اعرف اصابعي وسأزور ذلك البيت الليلة لانني عزمت على سرقة الاوراق من ملقرتن اذ لم اجد طريقة اخرى

ولما سمعت ذلك رأيت للحال جسامة العمل وما يترتب عليهِ من الخطر اذا وقع شرلوك في قبضة ذلك الاثيم فحاولت صرفهُ عن عزمهِ فقال قد افتكرت كثيراً يا عزيزي وطسن وعلمت انني ساكون مذنباً في دخولي البيت خفية ولكن لما كنت لا اقصد السرقة ولا القتل بل تخليص شرف فتاةٍ من يدَي وحش يسعى في تمزيقهِ رايت ان سمة اللصوصية اذا وُسمت بها اسهل عليَّ من ان يقال ان فتاةً القت اتكالها عليَّ لانقاذ شرفها وسعادتها ولم افعل . فالغد آخر الايام التي سمح بها ذلك اللعين واللادي ايفا لا تملك المبلغ الذي يطلبهُ ولا تستطيع الحصول عليهِ من أحد وقد وعدتها أن لا ادع الاوراق تصل الى الارل ورهنت كلامي فلن ارجع فيهِ

ولما تحققت عزم شرلوك وكنت اعلم طبعهُ اذعنت وقلت لهُ حسنٌ ففي اي وقت نذهب . فقال لا تقل نذهب لانني لا احب ان تشاركني في هذه المخاطرة. فقلت اقسم بشرفي يا شرلوك انني ان لم اصحبك الليلة فسأذهب توًّا الى دار الشحنة واشكوك فافسد عليك تدبيرك . ولما رأى اصراري قال لا بأس فاذهب معي وقد عشنا الى الآن معاً فسنكون كذلك في حجرة السجن معاً . ثم اخرج من جيبهِ محفظة فتحها فوجدت فيها ادوات عديدة ومفاتيح مختلفة لكسر الاقفال والزجاج وفتح الخزائن ومصباحاً خصوصياً ثم قال لي هذه عدتي كاملة ولكن هل عندك حذآء من المطاط . قلت عندي . قال ولثام . قلت يسهل عملهُ من نسيج اسود . قال اذاً استعدّ لتناول العشآء فسنخرج من هنا في الساعة الحادية عشرة ونبدأ عملنا عند منتصف الليل حين يكون ملقرتن مستغرقاً في النوم لانهُ ينام كل ليلة في منتصف الساعة الحادية عشرة فاذا ساعدنا التوفيق نرجع في الساعة الثانية ومعنا رسائل اللادي ايفا

وفي الوقت المعين ارتدينا ثياباً سودآء كاننا ذاهبان الى مرقص وركبنا عربة

فاقلّتنا الى مسافة ثم تركناها وسرنا راجلين . فقال شرلوك يجب الانتباه التام فيما سنفعلهُ لان ملڤرتن يحفظ الاوراق في صندوق حديدي في غرفة متصلة بغرفة نومهِ وقد علمت من خطيبتي خادمتهِ انهُ اذا نام فلا يستيقظ مهما حصل . ولهُ وكيل لا يفارق الغرفة في النهار اصلاً فلذلك آثرت المجيء ليلاً . وفي حديقتهِ كلبٌ شرس وعدتني خطيبتي ان تربطهُ الليلة وها هو البيت امامنا فهيَّا بنا . وللحال تلثمنا فصرنا كلصوص لندن واقترب شرلوك من الحديقة فوثب الى داخلها وتبعتهُ فبلغنا باباً على جانب البيت وكان مقفلاً فاخذ شرلوك من محفظتهِ اداة كسر بها الزجاج ثم ادخل يدهُ ففتح الباب وصرنا داخل البيت فاقفل الباب علينا واصبحنا في نظر العدالة مجرمين . وكانت الظلمة شديدةً جدًّا فقادني شرلوك بيدي واجتزنا الغرفة الاولى والثانية ثم ممرًّا ضيقاً ثم انتهينا الى غرفة رأينا فيها ناراً موقدة يندفع نورها فاقفلنا بابها وكانت هي الغرفة المقصودة تتصل بغرفة النوم بباب عليهِ ستائر كثيفة ولها نافذتان مجللتان بالستائر الكثيفة ايضاً وفي وسط الغرفة مائدة امامها صندوق حديدي كبير فحصهُ شرلوك قليلاً . اما انا فخطر لي ان نضمن خط الرجوع لو طرأ علينا طارئ ففحصت باباً يتصل بالدار الخارجية فوجدتهُ مفتوحاً واخبرت شرلوك بذلك فاظهر الانقباض وقال لا بد من سبب لبقآئهِ مفتوحاً ولكن وقتنا محدود فقف ياوطسن بقرب الباب واذا سمعت اقل حركة فنبهني واقفل المدخل وقبل ان يتمكن القادم من فتحهِ نكون خرجنا من هنا . ثم اخذ شرلوك محفظتهُ واستخرج منها اداة اخرى ومفتاحاً واقترب من الصندوق المذكور فاخذ يعالجهُ وهو يجرب المفاتيح والادوات مدة نصف ساعة وكنت على احرّ من الجمر فسمعت صوتاً خفيفاً ورأيت باب الصندوق قد فتح وبانت ضمنهُ كمية من الاوراق مرزومة ومختومة كل رزمة على حدة وعليها كتابة. فاخذ شرلوك رزمة منها ولكنهُ لم يستطع قرآءتها على نور النار الضعيف فاخذ مصباحهُ السري من جيبهِ ولكنهُ توقف فجأةً فردّ الاوراق وأقفل الصندوق ووثب الى ما ورآء الستار الذي يغطي النافذة واشار اليَّ ان افعل نظيرهُ ففعلت . واذ ذاك سمعت صوت خطوات تقترب من الغرفة كان قد سمعها

شرلوك قبلي لشدة تلك الحاسة فيهِ • وكانت الخطوات تقترب حتى بلغت باب الغرفه ففُتح وشممنا رائحة السيجار الافرنجي فعلمنا ان الداخل رجل ففتح مجرى النور الكهربآئي ثم جعل يسير في الغرفة ذهاباً واياباً على بعد نحو متر من مخبأنا • وبعد بضع دقائق شعرنا انهُ جلس على الكرسي وفتح الصندوق فاخرج منهُ اوراقاً وجعل يقلبها في يديهِ • فتجرأنا اذ ذاك وجافينا الستارة قليلاً فرأينا امامنا ملفرتن نفسهُ وقد ادار لنا ظهرهُ فتعجبنا من بقآئهِ مستيقظاً الى ذلك الحين على غير عادتهِ ورأينا من تدخينهِ وهيئة جلوسهِ انهُ لا ينوي الانتقال سريعاً فانهُ كان من حين الى آخر ينظر الى ساعتهِ ويعود الى القرآءة . وكنت انا وشرلوك نتبادل غمز الايدي والعيون فنخاطب بعضنا بعضاً في الانقضاض على ذلك اللعين وخطر لي ان اثب عليهِ وثبةً واحدة فاغطي رأسهُ بردآئي واسدّ فمهُ الى ان يتمكن شرلوك من البحث عن مطلوبهِ واخذ الاوراق التي يود اخذها • ولكن خطر لنا انهُ متى فرغ من شرب لفافتهِ واكمل تلاوة الاوراق التي بيدهِ يقوم الي سريرهِ وينام فنتمّ عملنا على وجهٍ اسهل وبدون ان يعلم • وعلى ذلك لبثنا ننتظر ولكن كانت حالة ملفرتن تدل على القلق والانتظار ولم يخطر لنا قط انهُ يتوقع قدوم زائر في مثل تلك الساعة حتى طرق اذنيَّ صوت وقع اقدام تقترب ثم عقبها قرع على باب الغرفة فنهض ملفرتن وفتح الباب قائلاً قد تأخرتِ عن الموعد نصف ساعة فاقلقني الانتظار وسلبتني راحة النوم فعسى ان يكون في قدومكِ ما يعوّض عليَّ ذلك • ثم عاد الى كرسيهِ فجلس ووضع اللفافة في فيهِ وهو غير مكترث • ونظرنا الى القادم فوجدناهُ امرأة قد سترت رأسها الى عنقها ببرقعٍ اسود ولفت حول جسمها ردآء طويلاً اشبه بالعباءة بحيث لم يبن منها شيء • فتقدمت حتى وقفت امام ملفرتن فقال لها لماذا لم تأتي في غير هذا الوقت هل منعتكِ الكنتة من الحضور اذاً لا شك انك تتمكنين الآن من الانتقام منها • ولكن مالي اراكِ ترتعدين سكّني روعكِ وتعالي نتمم عملنا فقد قلتِ ان لديكِ خمس رسائل تلقي الشبهة على الكنتة دالبرت وانك تحبين بيعها فانا اشتريها منكِ فعيني الثمن ولكن لا بد من الاطلاع على الرسائل لا تحقق

انها اصلية وانها تحتوي ما ذكرته لي . ولكن .... ولم يتمكن من اتمام حديثهِ حتى شهق وقال يارباه اهذه انتِ .

وكانت السيدة قد نزعت البرقع عن وجهها وكشفت لفاعها فبانت لنا بوجهٍ خنطي اللون جميل الملامح وهي سوداء العينين طويلة الاهداب ولها شفتان حمراوان قد فتحتهما بتبسم منكر فقالت بصوت اجش نعم انا هي المرأة التي نغصت عيشها وقوضت سعادتها . فقهقه ملفرتن ضاحكاً وقد اجتهد في اخفاء خوفهِ ثم قال ليس الذنب ذنبي فان عنادكِ هو الذي دفعني الى ما فعلتهُ واني اؤكد لكِ انني لا ارغب البتة في اذية احد من تلقاء نفسي غير انهُ على كل انسان ان يسعى في مصلحة نفسهِ فقد طلبت منكِ ثمناً زهيداً وكان في امكانكِ دفعهُ واجتناب ما حصل . فقالت والغيظ يكاد يخنقها نعم اما انت فبعثت بالرسائل الى زوجي وهو اشرف الناس خلقاً واطيبهم قلباً فشقَّ ذلك عليهِ جدًّا وبلغ منهُ حتى مات . وانك تتذكر ولا بد تلك الليلة التي جئت فيها اليك من هذا الباب فتوسلت وتضرعت اليك طالبة الرحمة فقابلتني بالتهكم والسخرية كما تود ان تفعل الآن ولم يخطر لك قط انني ساعود الى مقابلتك وارى هذا الوجه الكالح مرةً ثانية على انفراد .

فانتصب ملفرتن امامها وقال كفى يا هذه والاَّ ناديت الخدم ليقبضوا عليكِ ويوثقوكِ كجانية تدخلين البيوت سرًّا غير اني اشفق على فؤادكِ الكسير الذي دفعكِ الى ما فعلتِ وانصح لكِ ان تعودي من حيث اتيتِ وتكفي نفسكِ الوقوع في شرّ اعظم

وكانت السيدة واقفة امامهُ كتمثال الانتقام وقد وضعت يدها في صدرها ولم يتحرك من اعضائها سوى شفاهٍ ترتجف بتبسم مخيف . فلما سمعت ذلك من ملفرتن قالت لهُ بل سوف يُكفَى الناس شرَّك فلا تسيء الى احدٍ كما اسأت اليَّ ولا تمزق قلب احدٍ من بعد كما مزقت قلبي وقد آليت على نفسي ان اطهر العالم من نفثات سمك القتال فخذ هذه ايها الكلب النجس . وهذه . وهذه . . وهذه . . وهذه . . وهذه . وكانت قد اخرجت يدها من صدرها وفيها مسدس صغير افرغت رصاصاتهِ جميعها الواحدة بعد الاخرى في صدرهِ . فارتعش جسمهُ وسقط على المائدة يتدفق

الدم من فيهِ وجراحِهِ وقد حاول ان يلتقط الاوراق التي وقع بينها فلفظ روحهُ وهوى عن المائدة الى الارض. ولما رأتهُ السيدة تحت اقدامها رفست وجههُ بنعلها ثم اصغت قليلاً فلما لم تسمع حركةً خرجت من حيث أتت . ولم يكن في وسعنا انقاذ الرجل لانها لم تمهلنا لذلك على اني وددت ان اتقدم بعد اول طلق غير ان شرلوك منعني قائلاً قد لقي الغادر جزآءهُ فلا يهمنا نحن الا الحصول على الاوراق التي اتينا لاجلها . ولما ذهبت السيدة اسرع شرلوك بخفة غريبة فاقفل الباب من الداخل ثم عاد الى الصندوق الحديدي فجعل يأخذ الاوراق التي فيهِ ويلقيها الى موقد النار حتى اتى على جميعها. وكان صوت الرصاص قد ايقظ اهل البيت فترا كض الخدم واصبح البيت شعلة نور وهجموا على الباب يحاولون فتحهُ فاخذ شرلوك بيدي الى النافذة فوثب وتبعتهُ في الحديقة فجعلنا نعدو الى الجدار • ورآنا احد الخدم فتأثرنا وهو يصيح ويستغيث وكان شرلوك قد بلغ الجدار فتسلقهُ بخفة وفعلت مثلهُ غير انني شعرت بيد الخادم قد امسكت بعقبي فرفستهُ في وجههِ وتخلصت منهُ • ولما بلغنا الطريق جعلنا نعدو بمنتهى القوة والسرعة حتى قطعنا مسافة ميلين على الاقل واذ ذاك وقف شرلوك واصغى ثم قال قد نجونا يا وطسن

وفي الصباح التالي بينما كنا نتناول طعام الغداة وفد علينا لستريد احد مفتشي رجال الشحنة وبعد التحية قال مخاطباً شرلوك انني اتيت ايها الصديق اطلب مساعدتك في امر اعلم انهُ يسرّك السعي فيهِ فهل علمت ما حصل ليل امس في بيت المستر ملفرتن . فقال شرلوك كلا فماذا حصل . قال قد قتل ملفرتن قتلةً فظيعة ولم يعلم قاتلهُ بل لم اتمكن من وجود اقل دليل ابني عليهِ خطة البحث . ولما كنت اعلم قوة ملاحظتك ومقدرتك في مثل هذه الوقائع جئت اسألك ان تصحبني الى محل الحادثة لعلك تتمكن من الاستدلال على شيء لم ارهُ انا فنسعى معاً لمعرفة القاتل . وانا اعلم ان ملفرتن يتاجر بأوراق واعراض الناس فقد وجدنا كل تلك الاوراق طعمة للنار ولم يفقد شيء ذو قيمة قط مما يدل على ان الفاعلين ليسوا من القتلة الادنيآء وان غرضهم ستر الاعراض وانقاذ الشرف . فقال شرلوك ارالك

اقول الفاعلين بصيغة الجمع فما ادراك ان القاتل لم يكن واحداً . فقال لستريد هما اثنان وقد اوشك الخدم ان يقبضوا عليهما غير انا وجدنا آثار اقدامهما وليس ببعيد ان نتوصل اليهما قريباً واحدهما طويل القامة رشيق الحركة ضعيف الجسم اما الثاني فمتوسط القامة شديد العضل ممتلئ الجسم وقد تستر الاثنان بلثام اسود. فضحك شرلوك وقال ان هذا الوصف ينطبق على وطسن وعليَّ . فقال لستريد نعم انهُ ينطبق عليكما ولكن ما لنا ولهذا فهل تحبّ ان تساعدني في البحث عنهما . فقال شرلوك يسوءني ايها العزيز اني لا اتمكن من مساعدتك هذه المرة لانك تعلم انني لا اتداخل الا في ما اشعر بميل اليهِ من نفسي وانا اعرف ملفرتن وصفاتهِ الدنيئة وقد كنت اود لهُ مثل هذه النهاية من زمن طويل فقد صادف ما يستحقهُ ولست بمتداخل في امرهِ لانني لا اكتمك ايها العزيز انني أميَل الى مساعدة القتلة من الانتقام للقتيل . فخرج لستريد يائساً من مساعدة شرلوك وقد صمم على البحث وحده ..

وبقي شرلوك مفكرًا كانهُ يهتم بحل معمًّى الى ما بعد الظهر ثم صاح فجأةً قائلاً قد عرفتها فتعال معي يا وطسن. وللحال تناول قبعتهُ وخرج فتبعتهُ وما زلنا سائرين حتى بلغنا شارع ريجنت واقتربنا من نافذة زجاجية لاحد المخازن داخلها عدد من الصور الشمسية تمثل اجمل سيدات العصر . فاخذ شرلوك ينقّل نظرهُ فيها الى ان ثبّتهُ على واحدةٍ منها فاذا هي نفس صورة تلك السيدة التي افرغت رصاصات مسدسها في صدر ملفرتن ثم قرأت اسمها في اسفل الصورة فلم اتمالك ان شهقت مستغرباً - لانني قرأت اسم رجلٍ من اكابر ساسة البلاد واعظمهم شرفاً كانت زوجتهُ . فغمز شرلوك يدي ووضع سبابتهُ على شفتيهِ علامة الصمت والكتمان وابتعدنا متعجبين من غرائب الاسرار

اما اللادي ايفا فاقترنت بالارل في اليوم المعين وقد اطمأنت ان الرسائل المذكورة لن تظهر مع انها لم تعلم كيف وبأية واسطة تداخلت التقادير في مساعدتها على الخلاص منها

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويلحق بما تقدم قول القائل « تنقسم كل طريق الى محطات او مواقف في افراس او هجُن » وانظر ما معنى قوله في افراس او هجُن

وقول الآخر « وكان معلقاً على حيطان الكوخ دَرَقات من جلد اسد مصوَّر عليها شكل وحشيين مفترسين امامهما دبوس قد سخرا به مدينة » وهذه العبارة الاخيرة من الطلاسم التي لا يفكها الثقلان

وقال في موضع آخر « فاذا مرّ السائح من هناك وقلّب طرفهُ في صحو تلك السماء وصفاء ذلك الماء لم يتمالك ان يستشعر قلبهُ الانحلال ونفسهُ الالتياث » ولقد « قلّبنا الطرف » في لفظتي الانحلال والالتياث « فالتاث » علينا القصد منهما ولم نجد الى « انحلال » عقدتهما سبيلاً . اما تفسيرهما اللغوي فمعنى الانحلال ظاهر والالتياث قال في القاموس هو الاختلاط والالتفاف والابطاء والقوة والسِمَن والحبس . فليُتأمل

ومن ذلك قول الآخر « وكان اشهل العينين حادّهما مع ارتفاع موقتيهما » يريد بموقتيهما مُوقَيها وهما طرفا العينين مما يلي الانف ولم يُسمع تأنيث الموق الا هنا . وبقي الاشكال في مراده بارتفاع الموقين وهو ما عجزت مخيلتنا عن تصوره

وقول الآخر « استنبط طريقة جديدة لاستخراج الكاوتشو بسحق اشجاره » وليُنظر كيف تُسحَق اشجار الكاوتشو وكيف يُستخرج

الكاوتشو منها بهذه الطريقة

وقول الآخر « يرتفع اليها من مخارم الرخام دخان مجامر الطيب ونوافج المسك » فقولهُ « مخارم الرخام » لا معنى لهُ قال في القاموس وخُرْم الاكمة ومَخْرِمها منقطعها ومخرم الجبل والسيل انفهُ (اي ما تقدم منهُ) والمخارم الطُرُق في الغلظ (وهو خلاف السهل) . وقولهُ بعد ذلك « ونوافج المسك » النوافج جمع نافجة وهي وعاء المسك من حيوانهِ وهي اما ان تكون معطوفةً على دخان فمقتضاهُ انها ترتفع ايضاً واما ان تكون معطوفةً على مجامر او على الطيب فتقتضي ان لها دخاناً او انها توضع على المجامر وكل ذلك مما يستبعَد تصوُّرهُ

وقول الآخر « يأخذ هنا الفلاّح ارضاً جديدة لم تمتدّ لها يد ولم يضرب فيها نير » يعني انها لم تُملك من قبل ولم تُحرَث ولينُظر كيف تُحرَث الارض بضرب النير

وقول الآخر « شرع ببناء معسكر من الحجر بدل الاطم والاخبية » فمفهوم هذا الكلام ان الاطم ليس من الحجر وهو غريب . قال في القاموس « الأُطُم القصر وكل حصنٍ مبنيّ بالحجارة » ولا اصرح من هذا القول

وهناك الفاظٌ لا ندري بمَ ننعتها لا تنطبق على اللغة الفُصحَى ولا هي من لغة العامّة ولكنها مما حُرِّف وشُوِّه حتى تنكرت صُوَرها واشكل ردّها الى اصولها . وذلك كقول القائل « آمالٍ فلكية » هكذا بمدّ الالف من « آمالٍ » وتنوين آخرهِ مكسوراً فجاء اول هذه الكلمة اشبه بوزن أَفعال

نحو آبال وآرام وآخرها اشبه بوزن فَعالٍ المنقوص كجوارٍ وليالٍ وهذان الضبطان لا يجتمعان في صيغةٍ عربية . وكأن الكاتب رأى هذه اللفظة في بعض الكتب لكنهُ لم يعلم ما هي فمدّ اولها لانهُ وجد هجآءها يشبه هجآء آمال جمع أمَل ورأى آخرها منونًا تنوين الكسر فحكاهُ فيها فجآءت على هذه الصورة المنكرة . وانما هي الاماليّ جمع إملآء مصدر أملَى واصلها اماليّ بالتشديد بعد قلب همزتها يآء ثم حُذفت احدى اليآءين جوازاً كما هو القياس في مثلها من الجموع فصارت أمالي بتخفيف اليآء واذ ذاك عوملت معاملة جوارٍ ونحوهِ

ومن ذلك قول الآخر « عرّضت نفسها للاصابة بسهامهِ الراشية » ولا معنى للراشية هنا لانها من الرشوة وكانهُ اراد المَريشة من قولهم راش السهم يَريشهُ اذا ركّب عليهِ الريش فاختلط عليه اللفظان

ويقرب من ذلك قول الآخر « عياهل غسّان » يريد جمع عاهل وهو الملك العظيم وعاهل لا يجمع على عياهل كما لا يجمع صاحب على صياحب وانما العياهل جمع عيهل او عيهلة وهي الناقة السريعة

ويلحق بهذا الباب قول الآخر «لثث الاسنان» يريد جمع لثة وهي اللحم اللطيف بالاسنان وهو يقرأها لثّة بتشديد الثآء فجمعها على مثال علّة وعِلَل . وجآء في كلام غيرهِ « اللغَغ » يعني جمع لغة فزاد على الغلط ثقل اللفظ . ومنهم من يقول في القِحة بمعنى الوقاحة قحّة بالتشديد وقد وقعت هذه الكلمة في كلام بعض مشاهير الشعرآء وهي ليست بأقلّ قبحاً من التي سبقتها . وانما كل ذلك بالتخفيف وجمع اللِثَة واللُغَة لِثى

بوزن رِضًى ولُغًى بوزن هُدًى

وجآء في كلام آخر « ان المانيا لا تسعى الى التحرش بحربنا فهي غير مسلحة كفوًّا » يريد ان سلاحها غير كافٍ فعبَّر بقولهِ كفوًّا وانما الكفؤ النظير والمثيل فكأَنهُ قال غير مسلحةٍ نظيراً

وقال في موضع آخر « ان الندوة البحرية هي قيد وضع مشروع لمضاعفة القوات البحرية » فقولهُ هي « قيد وضع مشروع » من اغرب ما سُمع من تراكيب الكلام

واغرب منهُ قولهُ بعد ذلك « واذا ما فرضنا ان نمآء شعوبنا لا يعاد على تنظيم البلاد المغزوّة الا ببطء فعلى الاقل ان الشبيبة الحريصة على مغامرة الحوادث تجد ثمة ما يؤاتيها على تحقيق امانيها » وهو اشبه بكلام النائم وهذيان المحموم

ونختم باب الالفاظ بقول احد مشاهير الكتّاب « ان الله وهبَ ذلك الرجل العظيم عقلاً لا يخلق مثلهُ الا في القرون الطويلة » . . . . .

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٥ —

ان الحقوق التي اشرنا اليها في الفصول السابقة تعود الى الذات اكثر مما تعود الى الوظائف لان الوظائف قد فُصلت وحُدّدت منذ خرج

الانسان من حالة الوحشية الطبيعية ودخل في دور الأُلفة والاجتماع فصلاً طبيعياً عادلاً بين الذكور والاناث

اما الحقوق الذاتية التي عليها مدار نعيم الحياة واستقلال الوجدان والفكر والارادة وتنوير البصيرة والذهن والقلب فقد تحوَّفها الرجل تحوُّفاً منشأهُ جهلهُ ما ينفعهُ وما يضرّهُ وتهالكهُ على الأَثرة والاستعلاء بلا تبصر ولا تدبُّر في عواقبهما

فقد كان من حقوق الانثى الطبيعية منذ دخل الانسان في عداد الموجودات الحية حرية التصور والفكر واستقلال الارادة وان تختار لها من البعول من تحب تبعاً لاميال قلبها المطلقة من كل قيدٍ منشأهُ استبداد الوالدين او مصلحتهم وتحكُّم شيوخ العشيرة فان هذه الحقوق الرئيسية يتمتَّع بها الرجل منذ فُطر ويحصل عليها كل فردٍ من افراد الحيوان ذكراً كان ام انثى من النقاعيات الصغيرة التي لا ترى بالعين المجرّدة الى اعلى طبقات المملكة الحيوانية بعد الانسان كالاسد والفيل والعقاب والحوت فما بال انثى الانسان وحدها محرومةً اياها دون سائر المخلوقات المتحركة بالارادة

وما السرُّ والحكمة في صيرورة هذه المسكينة آلةً صمّاء عادمة الحسّ والارادة يحرّكها الرجل كما يشاء ويبيع حياتها لمن يشاء[1] ذات قلبٍ

(١) ان الطنغوس من قبائل سيبيريا كغيرهم من اكثر امم الارض يبيحون الضرار ولكنهم يبتاعون نسآءهم ابتياعاً وثمن الزوجة عندهم عشرون ايلاً (الوحش المعلوم) او اكثر بحسب جمال المرأة وقبحها . اما ديانتهم فالشامانية وهي ديانة التتر

ولكن ليموت وهو في الحياة وذات فكر ولكن ليكون في حالة العطلة والخمود مستغرقاً في سبات الغفلة الى ما شآء الله ولها ارادة ولكن لتكون محواً في حكم الوجود

كيف يصح هذا وهي شطرٌ تام من النوع الانساني كالرجل لها — من حيث الذات والطبع — ما لهُ . وعليها ما عليهِ بلا تمييز بينهما ولا تفريق

ايسوغ لهُ ان يميت منها ما هو حيٌّ فيهِ ويحبس عنها ما هو مبذول لهُ ـ لا والحق الذي من لم يستعبد لهُ لا يلبث حرًّا ـ ولو رات الحكمة ان الاصلح لحياة النوع ان تكون المرأة كما شآء الرجل لاوجدتها على الارض احط منهُ احساساً وتصوراً واضعف منهُ ادراكاً ونزوعاً الى السيادة لا تشعر بالحرية فتلتمسها ولا تدري ما الشرف فتتطلبهُ ولا تقدر الحياة الادبية قدرها فتهفو اليها . فما دامت تلك المشاعر موجودة في الانثى طبعاً كما هي موجودة في الرجال كانت نواميس الوجود تقتضي استعمالها في الجنسين على السوآء وكان تعطيلها او تقييدها كلاًّ او بعضاً مخالفاً كل المخالفة لقانون العمران

فلا أدري اذن كيف يحلو للرجل العيش ورفيقهُ الطبيعي دونهُ وشطرهُ الابدي غريمهُ وموضوع انعطافهِ الجنسي عدوّهُ واليفهُ الساهر على راحتهِ واسعادهِ ومؤاساتهِ محتبس الارادة خامل الفكر ناقص الدُربة جهول احمق غير متنوّر ولا حكيم قد ضُربت عليهِ الذلة والمسكنة وحكم عليهِ بالحبس والاختبآء وأُسبل بينهُ وبين معرفة الحقائق حجابٌ كثيف ووُضع دون

ارادتهِ وحرّيتهِ المقدّستين سيفٌ ذو حدَّين احدهما السلطة العميآء والثاني الغيرة الرعنآء

فقد اخرج على هذه الصورة انثاهُ من مقام الرفيق المعين والمحب العطوف ووضعهُ في عداد المقتنيات والاشيآء . ولم يكتفِ بهذا بل صار يحسبهُ في مصفّ الادوات التي ينبغي الاكثار منها كالقدور والوسائد واشكالها فاصبح الواحد منهم يجمع من النسآء العشرات والمئات بل الالوف كما فعل كثيرون من الملوك والاعاظم ولا يزالون يفعلون

ولم يقف جور الرجل وجهلهُ عند هذا الحدّ بل اخذ يكرم الدابة من مثل الفرس والناقة والفيل وغيرها من المراكب فيرعاها ويسوسها بنفسهِ مميزاً اياها بالعناية على ذلك الرفيق الصديق فان البدويّ العربيّ حتى اليوم يفضل مطيتهُ على زوجتهِ ويجعلها صباحَ مسآء موضوع اهتمامهِ وخدمتهِ وقد يجود بامرأتهِ ولا يجود بها

ولقد تجاوز الرجل في بعض الامم هذه الغاية فاسترسل في ظلم هذا المخلوق المشاكل لهُ صورةً وطبعاً ومنزلةً والممتزج بهِ جسماً وروحاً ومعاشاً حتى اصبح يستقضي زوجهُ الخدمات الشاقة ويمتهنها بالاعمال السافلة كالاحتطاب من الغاب وجمع الروث من المراعي وحلب النياق والبقر والنعاج واستقآء المآء من الموارد والمناهل وان كانت بعيدة عن الاحيآء والمنازل ساعاتٍ ومراحل . يكلمها بالانتهار ويناديها بالسبّ ويؤدبها بالعصا وان اتت فعلةً منشأها العواطف — يأتي هو مثلها كل يوم ولا جُناح عليهِ ولا تثريب — كان القتل اقلّ جزآئها . وان ترملت عاشت عبدةً

ممتهنة في بيت زوجها خادمةً لاهلهِ حتى الموت كما يفعل الهنود والصينيون او زوجوها بعبدٍ ممن يريدون كما نسمع حتى اليوم عن بعض القبائل في بلاد المغرب . وان كان القوم على سفرٍ كما في البادية مثلاً كانت المرأة الماشية وزوجها الراكب او كانوا في حربٍ او غارةٍ كانت عرضةً للخطف والسبي والافتراش كانها بعض الاثاث والرياش كما يفعل حتى في هذا العصر كثير من اهل الوبر والمدر في شبه جزيرة العرب و بلاد البلقاء وحوران وغيرهما . تلك حالةٌ لا يرضى بها الحيوان ومع ذلك رضي بها هذا الرجل المعروف بالانسان(١)

(١) وجدوا في اطلال القدماء في جنوبي مالابار بالهند اطباقاً واسعة كانوا يذبحون العذارى ويقدمون اجسادهنّ عليها اكراماً للآلهة وكانوا يذبحون للالاهة كالي صبية حبلى بأول ولد ثم يرشون المذبح بدمها ويدحرجون رأسها تحت قدميها

وقد ثبت ان الملوك في اواسط آسيا كانوا يدفنون البنات وهنّ في قيد الحياة على تخوم ممالكهم زعماً ان ذلك يدفع الاعداء عنهم ودامت هذه السنّة القبيحة عندهم حتى دخل الانكليز بلادهم فاكرهوهم على ابطالها ولكنها ما لبثت على ما سيمرّ بك فاشية عند بعض اهل القرى الهندية يفعلونها سرًّا لغرض آخر لا يزال مجهولاً .

وفي اميركا الجنوبية قبائل لا تبيح لنسائها المتزوجات اكل لحم البقر ولحم القرود ولا تبيح للايامى والبنات اكل اللحم مطلقاً ولا اكل السمك اذا زاد طولهُ عن القدم

واهل طليتي يحللون للرجال اكل لحم الخنزير والطير وبعض الاسماك والجوز الهندي والموز وغيره مما يقدمونهُ لآلهتهم ويحرمون مسّ ذلك على النساء زعماً انهنّ يدنسنهُ ويحرمون عليهنّ ايضاً الطبخ على نار يطبخ عليها الرجال والاكل في الآنية والبيوت التي يأكل فيها الرجال خوفاً من ان يدنسنها ويقتلون ويأكلن المآكل الدنيئة في احقر المنازل

ارجع الى قصص الامم المسطورة وآثارها المذكورة تجد ان الرجل اينما حلّ وحيثما كان منذ شعر انهُ المستقلّ بالكسب والانفاق المطالَب بالذود عن الحوزة والدفاع عن القبيلة بما لهُ من البسطة والقوة اخذت تغرُّهُ الاباطيل ويضلّهُ سوء التأويل ويذهب بهِ التمادي في الزهو والتطرُّف في حبّ الذات كلّ مذهب فسام شطرهُ الطبيعي الخسف وقضى عليهِ بالذلّ زاعماً ان ذلك ادعى الى راحتهِ وسعادتهِ وادنى الى ارضاء كبريائهِ ومنازع علائهِ شأن كل قويٍّ مع ضعيف وقديرٍ مع عاجز ما لم يكن حكيماً منصفاً متنوّراً ذا وجدانٍ عادل ورأي اصيل يؤديان بهِ الى الحكم بان الظلم وخيم المرتع والجور يقتل صاحبهُ والعدل اساس العمران والربح من غير وجههِ المعقول عين الخسران

ولكن اين الحكمة والاختبار في ذلك الزمان بالنظر الى الانسان وهو لم يبرح من حيث الوجهة الادبية طفلاً في مهد الوجود حديث النشأة في دور الحضارة قريب العهد من الحالة الوحشية التي ألفها دهوراً دهارير واحقاباً متطاولة لا يعلم عددها الا بالحدس والتقدير

وعُدْ الى تاريخ الامم الغابرة والممالك الداثرة من مثل الاشوريين فالعيلاميين فالفينيقيين فالعبرانيين (١) فالعرب العاربة طسم وجديس

(١) ان يفتاح الجلعادي قاضي اسرائيل قدم ابنتهُ العذراء الحسناء محرقة بعد رجوعهِ من الحرب منتصراً . فعل ذلك وفاء لنذرٍ على ما تراهُ مثبتاً في التوراة . وشاول اول ملوك اسرائيل عرض ابنتهُ زوجةً لكل من يقوى على قتل جليات جبار الفلسطينيين كائناً من كان كانها بهيمة من جملة مقتنياته يهبها لمن شاء ان

وحمير فاكثر الاقدمين فالقوط فالكوشيين فالقرطاجيين فالسكندينافُ فالهنود[١] فالصينيين فغيرهم وغيرهم ترَ ان جميع من عدّدنا ومن لم نعدّد من الامم القديمة خلا المصريين[٢] القدمآء في الشرق والرومان في الغرب

اعجبها ذلك او اغضبها . واحد اولاد داود غصب اختهُ العذرآء نفسها ثم طردها في الحال تتعثر في خزيها وتلتحف بعارها لا يبالي بشأنها وهي بنت ملكٍ عظيم ذلك لانهُ ابغضها بعد هيامهِ الشديد فلم يرق لديهِ بقاؤها عندهُ ولا بقية يومها حتى تعود الى بيت ابيها تحت ستار الظلام

(١) قد تحقق ان قسماً عظيماً من سكان القرى في بلاد الهند يقتلون بناتهم او يدفنونهنَّ حيَّات كما كان العرب يصنعون في عهد جاهليتهم الى ان قام جدّ الفرزدق الشاعر فاخذ يشتريهنّ من آبائهنَّ بالمال ويهب لهنَّ الحياة فسمي بين قومهِ « محيي الوئيدات »

(٢) لقد حقق منيثون المصري وهيرودوطس المؤرخ وثبت من الآثار الهيرغليفية المنقوشة على الهياكل المصرية ان المصريين فاقوا جميع امم الارض في تكريمهم للنسآء بل سبقوا الكلّ في اعطآء المرأة حقها منذ دهورٍ متناهية في القدم حتى تجاوزوا في ذلك حدود الاعتدال وافرطوا افراط بعض الغربيين في هذا الزمان مما آل الى شكوى العقلاء وتذمر الجهلاء فان تلك الدول التي قامت قبل الميلاد باكثر من ثلاثة آلاف سنة كانت تورّث عروشها للنسآء . وكان يسمح للنسآء اذ ذاك بان يجالسنَ الرجال ويلاعبنهم بانواع من الملاهي والالعاب الرياضية ويشاركنهم في الاعمال والآرآء وكان مباحاً لهنَّ البروز الى المتنزهات والمواسم والشوارع بلا حارسٍ ولا رقيب وكنَّ يشربنَ المسكر كالرجال ويخطبنَ في المحافل والاندية في اي موضوع شئنَ كانهنَّ قادة الضمائر وهداة الالباب . وبالجملة فان الرجل المصري كان مجلّياً في ميدان هذا الفضل بين رجال سائر الامم اذ عرف المرأة بصفتها الحقيقية ووصفها الطبيعي ومنزلتها الانسانية فلم يقهرها ولم يستعبدها وخوّلها من جرية

قد اتبعوا هذه الخطة الشنعآء مخالفين ناموس الارتقآء لان كل امةٍ لم يتخذ افرادها وحكومتها العدل شعاراً والمساواة قانوناً والحرية اماماً يتعذر بل يستحيل عليها الثبات في معترك الوجود وتقفل في وجوه ذريتها ابواب السعادة والمنعة والاستقلال وتتهافت في مهاوي الذلة والضعف الى ان تُكتَب على اعلامها آية الزوال والاضمحلال (ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

(تتمة ما سبق)

هذا مُجمَل ما ذكرهُ اصحاب هذا البحث ولعلّ بعضهُ لا يخلو من صحة لكن لا على الوجه الذي قرروهُ من ان كل واحدةٍ من تلك القوى لها عضوٌ قائمٌ بنفسهِ مستقلٌّ بعملهِ والاّ لزم تجزئة الدماغ الى عدة ادمغة وبالتالي تجزئة العقل الى عدة عقول لكلٍّ منها حافظتهُ وحاكمتهُ ومخيّلتهُ وهلمّ جرًّا . واقلّ ما يلزم عن ذلك تعدُّد الذات التي يعبّر عنها كل واحد بقولهِ « أنا » بحيث يصبح هناك عدة ذواتٍ لا ذاتٌ واحدة وهو منقوضٌ بشهادة الوجدان لان كل احدٍ يشعر من نفسهِ بهذه الوحدة وان جميع ما

الفكر والارادة ما جعل عيش المصريين هنيئاً وزمانهم مجيداً وعرج بهم الى ذروة التمدن والعز والشهرة . بيد انهم قد افرطوا وتطرفوا في التسامح حتى اصبح الرجل منهم يتزوج بشقيقته كما فعل كثيرون من البطالسة الذين تملكوا مصر واخذوا هذه السنة الذميمة عن اهلها . نعم ان قدمآء الكلدانيين وغيرهم كانوا يتساهلون بزواج الاخت لأمٍّ دون ابٍ وبالعكس كما وقع لابرهيم جدّ العبرانيين مع سارة ولكن لم يسمع انهم تزوجوا بشقائقهم من الام والاب كما فعل المصريون .

يصدر عنهُ من الافعال انما يصدر عن عاملٍ واحد لا تجزُّؤ فيهِ ولا تعدُّد فالذي يحبّ فيهِ مثلاً هو الذي يبغض والذي يدرك الالوان هو الذي يدرك الابعاد والاعداد والذي يتفكر ويتعجب هو الذي يتذكر الهيئات والحوادث وهلمَّ جرًّا

وفضلاً عن ذلك فإن ما وصفوهُ من تقسيم الدماغ لا حقيقة لهُ في نفس الامر اذ لا يُرَى لشيءٍ منهُ اثرٌ في التشريح كما ان تخصيصهم لكل قوةٍ من قوى النفس قسماً معلوماً من تلك الاقسام لا دليل عليهِ ولا سبيل الى اثباتهِ . بلى لا يُنكَر ان بعض المتأخرين من علماء التشريح توصلوا الى معرفة شيءٍ من وظائف الاقسام الطبيعية للدماغ واشاروا الى مواضعها منهُ على ما اثبتهُ فرِتْش وهِتْسِج وفَرّيَاي وغيرهم لكن ذلك لا يتعدى مراكز الحس والحركة واما ما وراء ذلك من المدارك العقلية ومعرفة مكان كلٍّ منها فما لا تزال مباحثهم قاصرةً عن الوصول اليهِ لدخولهِ في حيّز ما وراء الطبيعة

لكن على كل حال لا سبيل للريب في ان الدماغ هو محلّ القوى العاقلة وان افعالها انما تتم بواسطة الدماغ لتنزُّلهِ منها منزلة الآلة من العامل ولذلك تكون سلامتها متوقفةً على سلامتهِ فضلاً عن ان مبلغها من الكمال يقاس بمبلغ حجمهِ على ما تقرر في صدر هذا المقال . وحينئذٍ فلا يبعد ان تستخدم النفس لكلِّ واحدةٍ من قواها جزءاً مخصوصاً من الدماغ على وجهٍ لا نعلم كيفيتهُ بدليل الاختلاف في تغلُّب بعض تلك القوى على بعض بين شخصٍ وآخر وهو السبب في تباين العقول والاهواء بين آحاد البشر

فترى بعض الناس مطبوعاً على الشعر مثلاً وغيرهُ مفطوراً على الرياضيات او على الميل الى التجارة والكسب او التقشف والزهد او طلب الرفعة والسيادة الى غير ذلك من الاطوار والملكات لان هذه كلها من المميزات الشخصية التابعة للاستعداد الفطري لا من خصائص النفس المدبّرة . بل قد تجد هذا الاختلاف بعينهِ في الشخص الواحد بين طورٍ وآخر من اطوار الحياة فان الانسان في زمن الحداثة الاولى اشدّ ما يظهر فيهِ قوة الحفظ والتصوُّر والنطق فاذا بلغ أَشُدَّهُ مال الى التعقُّل والتدبُّر ومعرفة قدر الذات ونمت فيهِ قوّة القياس والاستنتاج واذا ادركتهُ الشيخوخة ضعفت فيهِ الحافظة وقوّتا التصوُّر والحكم وتنبهت قوّة الذاكرة[1] ولذلك ترى الشيوخ مولعين بذكر ايامهم الاولى وحكاية ما مرَّ بهم في عصر الشباب

واظهر من ذلك انهُ قد يصاب الدماغ بآفةٍ او مرض فيتعطل فيهِ بعض القوى دون بعض واكثر ما يحدث هذا التعطُّل في قوة الذاكرة . والروايات في ذلك عديدة منها فيما يتعلق بغرضنا ما ذكرهُ بعضهم من ان قسّيساً من اكابر العلماء اصيب بمرضٍ شديد فلما افاق منهُ لم يجد في محفوظهِ شيئاً من كل ما تلقّاهُ من العلوم فاخذ يتعلم ثانيةً مبتدئاً من الحروف الهجائية حتى اذا انتهى الى درس قواعد اللاتينية شعر بألمٍ شديد في رأسهِ وعلى اثر ذلك اشرقت عليهِ معارفهُ الاولى وعادت اليهِ ذاكرتهُ كما كانت .

---

(١) الفرق بين الحافظة والذاكرة ان الاولى تحفظ ما تدركهُ القوة الوهمية من المعاني والثانية تستحضر تلك المعاني وتذكرها ولذلك قالوا كأن الحافظة سكونٌ ما والذاكرة حركةٌ ما

ورُوِي عن آخر انهُ عرضت لهُ علةٌ دماغية فلما شُفي منها نسي كل اسماء الذوات من الاجناس والاعلام فربما سمى الشيء باسم غيرهِ او تذرع الى الابانة عنهُ بذكر شيء من صفاتهِ كأن يقول هذا الطويل او هذا القصير وما أشبه ذلك

وهناك امرٌ آخر اعمّ مما ذكر وهو ضربٌ من ضروب الاختلاط يُعرَف بالجنون الخاص تختلّ فيهِ احوال العقل في معنى من المعاني ويكون فيما سوى ذلك صحيحاً . فمن هذا النوع ما يسمى بجنون العظَمة وهو خالٌ في الوجدان يشتدّ ولوع صاحبهِ بالفخر والأُبَّهة والالقاب الجيدة وعلوّ الكعب في السيادة او العلم او الغنى فيتخيل انهُ فيلسوفٌ كبير او قائد منتصر او ملك او نبيّ او الله نفسهُ . ومنهُ جنون الانتحار وهو حال شبيه بالحلم فيسمع صاحبهُ كأن قائلاً يأمرهُ بان يقتل نفسهُ او يتصور ان لهُ اعداءً يطلبون قتلهُ ومن ذلك ما حكي عن الشيخ ابي نصر اسمعيل بن حمَّاد الجوهري صاحب الصحاح من انهُ بعد ما اصيب بالوسوسة في اواخر حياتهِ كان يوماً جالساً في منزلهِ تخيّل لهُ كأنَّ رجلين وقفا ببابهِ فقال احدهما للآخر هذا الشيخ ابو نصر الجوهري وهو شيخٌ كبير قد جمع اموالاً كثيرة فهلمّ نقتلهُ ونستولِ على اموالهِ . فقال الآخر ان سمع مني فانا ارى لهُ ان يقتل نفسهُ بيدهِ ولا يدع سبيلاً لامثالنا ان تمتدّ ايديهم اليهِ . فقال الشيخ اصبت والله وعمد الى سكين بجانبهِ فوضعها على عنقهِ وحزّ فلما سال الدم انتبه فلم يرَ احداً . ومنهُ جنون السرقة وهو يظهر غالباً على هيئة الدناءة والخسة في ذوي المقامات العالية وارباب الحرمة والسيادة

فيسرقون اشياء يقع عليها اختيارهم مما لا حاجة لهم به . قيل ويكثر عروض هذا النوع للنساء الحبالى وهو من غريب الاسرار . فمن ذلك ما رُوِي عن رجلٍ من مشاهير اهل السياسة كان يتناول طعام الظهر في فنادق المدينة فكان كلما دخل فندقاً يسرق ما وصلت اليهِ يدهُ من الآنية الفضية ويدفعهُ الى خادمهِ ليحملهُ الى بيتهِ . وذكر ان رجلاً من المصابين بهذه العلة كان يسرق مراكن الغسالات فكان يجمعها عندهُ وهو لا يدري لها منفعةً . واغرب منهُ ان رجلاً مشهوداً لهُ بالتقى كان من عادتهِ سرقة التوراة فأُغضي عنهُ مراراً ولما تمادى على ذلك وُضع تحت المحاكمة وشُهِّر . ويقرب من هذا جنون الإسفاف وهو التهالك على جمع الفضلات الدنيئة والأسقاط التي لا قيمة لها كأعقاب الشمع وعُلَب الثقاب الفارغة ومقابض السكاكين وقطع الزجاج والمسامير واشباه ذلك وقد عرفنا من اولئك رجلاً من كبار اصحاب البيوتات وُجد عندهُ بعد موتهِ عدة زنابيل ملأى بامثال هذه الخسائس

وهناك ادلةٌ اخرى منها الذهول وهو ان ينصرف العقل الى قوةٍ من القوى كالمفكرة مثلاً فيتوقف سائر القوى عن العمل بحيث انك لو كلمتهُ في تلك الحال لا يسمع الكلام او يسمع اللفظ ولا يفهم المعنى وربما لمستهُ او وكزتهُ فلا يشعر او عرضت عليهِ شيئاً يحبهُ او يكرههُ فلا يميزهُ الى غير ذلك

ومنها ما يعرض للانسان في حالة النوم فانهُ ما دام مستيقظاً تكون جميع قوى العقل متوفرة فيهِ يوجهها انَّى شاء فاذا نام بطل معظم تلك

القوى لكن تبقى الحافظة والمتخيلة والذاكرة وهي التي ينشأ عنها ما يتمثل له من الاحلام

فترى في كل ذلك ان قوى العقل تقوى تارةً وتضعف اخرى ويعرض لبعضها الاختلال مع بقاء غيره سالماً وقد يبطل بعضها بتاتاً والاظهر ان كل ذلك ناشئ عن حالةٍ تعرض لآلات الادراك لا للقوى المدركة انفسها بدليل عود تلك القوى الى ما كانت عليهِ عند زوال الآفة المرضية او غيرها . واما معرفة اماكن تلك الآلات وتعيين كلٍّ منها بحدودهِ وهل تميز الواحدة عن الاخرى بحيزها او بطبيعة جوهرها ونوع تركيبها فكل ذلك مما حُجِبَ العقل عن ادراكهِ وان كان من اخصّ خصائصهِ واقرب الموجودات اليهِ . قال استينُون وهو من اشهر الباحثين في امر القوى العقلية واعجب ما في الامر ان العقل البشريّ الذي وصل في بحثهِ الى اقاصي الفضاء يجهل الآلات التي يستعين بها في ذلك البحث فكانهُ متى أَوَى الى منزلهِ الخاص تجرّد من جميع قواهُ

الرسالتان السينية والشينية

هما الرسالتان اللتان وعدنا بنشرهما في الجزء السابق وقد انتسخناهما من مكتبة الامة في باريز سنة ١٨٩٥ عن نسخةٍ قديمة العهد سقيمة الخط لا تخلو روايتها من خطأ ثم ظفرنا بنسخةٍ للنظم الذي فيهما في مكتبة حضرة السريّ اللوذعيّ عزتلو احمد بك تيمور وهي لا تخلو من غلط النسخ ايضاً فاستأذناهُ في مقابلة نسختنا عليها واستعنا بنظرهِ في اختيار الاشبه من النسختين مع تدبر ما بقي مما لا نسخة لهُ عندهُ فجاءت هذه النسخة موافقةً للصحة فيما نظن

ثم ان هاتين الرسالتين ليستا من فائق كلام الحريري ولا من جيده وانما تواتر ذكرهما في كتب علماء الادب لندرة امثالها في مصوغ الانشاء وممن ذكرهما صاحب المثل السائر في باب المعاظلة اللفظية قال « فانهُ اتى في احداها بالسين في كل لفظةٍ من الفاظها واتى في الاخرى بالشين في كل لفظةٍ من الفاظها فجاءتا كأنهما رُقى العقارب » . وذكر في موضعٍ آخر في الكلام عن الحريري ما نصهُ : « هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد كان على ما ظهر عنهُ من تميق المقامات واحداً في فنهِ فلما حضر ببغداد ووُقف على مقاماتهِ قيل هذا يُستصلح لكتابة الانشاء في ديوان الخلافة ويحسن اثرهُ فيهِ فأُحضر وكُلف كتابة كتاب فأُفحم ولم يجرِ لسانهُ في طويلة ولا قصيرة . . » قال « وهذا مما يُعجب منهُ وسُئلت عن ذلك فقلت لاعجب لان المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج الى مخلص واما المكاتبات فانها بحرٌ لا ساحل لهُ لان المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الايام وهي متجددة على عدد الانفاس . . على ان الحريري قد كتب في اثناء مقاماتهِ رقاعاً في مواضع عدة فجاء بها منحطة عن كلامهِ في حكاية المقامات . . ولهُ ايضاً كتابة اشياء خارجة عن المقامات اذا وقف عليها ذو بصرٍ بالانشاء اقسم ان قائل هذه ليس قائل هذه لما بينهما من التفاوت البعيد » انتهى المقصود من كلامهِ . والاظهر انهُ يعني بالاشياء الخارجة هاتين الرسالتين لانا لم نظفر لهُ بغيرهما على ان العذر فيهما واضح لضيق المضطرب بين سيناتها وشيناتها فان كان ثمة ما يؤخذ عليهِ فهو اختيارهُ هذا السلك المعقد ينظم فيهِ جواهر كلامهِ والطريق المتوعر يرسل فيهِ سوابق اقلامهِ . وهذه نسخة ما وجدناهُ في المكتبة المشار اليها

الرسالتان السينية والشينية انشاء الامام ابي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري رحمهُ الله كتب احداهما وهي الشينية الى الشيخ الامام شمس الشعراء طلحة بن احمد بن طلحة النعماني نوَّر الله ضريحهُ . والثانية وهي السينية على لسان الامير امين الملك ابي الحسن بن فطير

المداديّ وكان يتولى ديوان الاستيفآء بالبصرة الى الامير الاجلّ الحسام وكان قد دعاهُ الاسفهسالار الاجلّ النفيس[1] — وألقابهُ تجيء في الرسالة — وشربا جميعاً في دارهِ بالبصرة في المحلة المعروفة ببني حرام وهي محلة الشيخ الحريري . وكان امين الملك جارهُ وصديق الاسفهسالار النفيس فلم يدعهُ فكتب اليهِ يداعبهُ على لسانهِ رسالةً لهُ نوّر الله مضجعهُ وجعل دار السلام مرجعهُ وقد التزم فيها ان لا يُخلي كلمةً من السين

الرسالة السينية غير معجمة

باسم السميع القدُّوس أَستفتح وبإِسعادهِ أَستنجح سيرةُ[2] سيّدنا الاسفهسالار السيّد النفيس سيّد الرُؤساء سيف السلاطين حرُسَت نفسهُ واستنارت شمسهُ واتَّسق[3] أُنسهُ وبَسَق[4] غرْسهُ استمالةُ[5] الجليس ومساهمة[6] الانيس ومساعدة الكسير والسليب ومؤاساة السحيق[7] والنسيب والسيادة تستدعي استدامة السُنَن[8] وحراسة الرسم الحَسَن وسمعتُ بالامس تدارُس الأَلسُن[9] سلاسة خنْدَريسهِ[10] وسلْسال[11] كؤوسهِ ومحاسن مجلس مسرّتهِ واحسان مُسمِعة ستارتهِ[12] واستسلفتُ السرّاء[13] وتوسّمتُ[14] الاستدعاء وسوّفتُ نفسي بالاحتساء[15]

---

١ الاسفهسالار لفظ فارسي معناه رئيس الجيش والنفيس اسمه ٢ اسم نوع من سار اي طريقة . ويروى سجية ٣ اجتمع واستوى ٤ ارتفع ٥ خبر سيرة ٦ مشاطرة ٧ البعيد ٨ جمع سنة اي طريقة ٩ من درس الكتاب ونحوه اي تذاكر ١٠ السلاسة مصدر قولهم شراب سلس اي سهل سائغ والخندريس الخمر ١١ من قولهم شراب سلسال وهو بمعنى سلس ١٢ المسمعة المغنية ويريد المغنية التي خلف ستارته ١٣ يقال استسلف منه مالاً اي اقترضه واستعمله الحريري هنا بمعنى تعجل الشيء اي اخذه قبل اوانه ١٤ يقال توسم الشيء اذا تأمله بعينه يريد ترقبت ١٥ الاحتساء الشرب وسوفت نفسي يريد عللتها

وآنستها بمؤانسة الجُلسآء وجلستُ أَستقري[1] السُبُل وأَستطلع[2] الرُسُل واستطرِف[3] تناسي اُسمي وأُسامر الوساوس لاستحالة رسمي

وسيفُ السلاطين مستأثرٌ بأُنس السماع[4] وحسو الكؤوس

سلاني وليس لباس السلوّ يناسبُ حسنَ سِمات النفيس[5]

وسنَّ تناسيَ جُلاسهِ وأَسوا[6] السخايا تناسي الجليس

وسرَّ حسودي بطمس الرسوم وطمسُ الرسوم كرَمس[7] النفوس

وساقى الحسام[8] بكأس السُلاف وأَسهمني[9] بعبوس وبُوس

وأسكرني حسرةً واستعاض لقسوتهِ سكرةَ الخندريس

سأكسوهُ لبسةَ مُستعتب[10] وألبَسُ سربالَ سالٍ يؤوس

وأَسطُرُ سيناتهِ سيرةً تسيرُ اساطيرُها كالبَسوس[11]

وحسبُنا السلام والسلام لرسول الاسلام . اه

واما الرسالة الشينية فسنثبتها في الجزء الآتي ان شآء الله

---

[1] اتتبع [2] استخبر [3] يقال استطرف الشيء اي عدّه طريفا وهو الغريب المستملح [4] اي الغنآء [5] هو اسم الاسفهسالار المذكور وقد تقدم [6] يريد اسوأ بهمز آخره فلينه للضرورة . [7] دفن [8] اسم المدعوّ مرة بعد اخرى بأني سوف احتسي [9] يقال اسهم له اي اعطاه سهما وهو النصيب فاستعمله هنا متعديا بنفسه اي وجعل حظي العبوس والبؤس [10] اللبسة الضرب من اللباس ويقال استعتبه اذا استرضاه من عتبه اي ساجعله يستقيل من ذنبه اليّ [11] اسطر مضارع /والبسوس اسم خالة جساس بن مرة التي ثارت بسببها الحرب بين تغلب وبكر اي ساجعل ما سطرته من هذه الرسالة ذات السينات بمنزلة قصة يتناقلها الناس بينهم كما تناقلوا قصة البسوس

آثار ادبيّة

ديوان ابي تمّام — اهدى لنا حضرة الاديب محمد افندي جمال في بيروت نسخةً من ديوان هذا الشاعر وقد جدّد طبعهُ بالتزامهِ ومناظرتهِ مع تفسير غريبهِ بقلم حضرة الفاضل الشيخ محيي الدين افندي الخياط . فنشكر حضرة الاديب المشار اليهِ على عنايتهِ باحياء هذا الاثر النفيس ونحض المتأدبين على مقتناهُ وهو يطلب من طابعهِ في ادارة جريدة ثمرات الفنون الغرآء ومن المكاتب المشهورة في بيروت وثمن النسخة منهُ ثلاثة فرنكات يضاف اليها اجرة البريد في الخارج وهي نصف فرنك

الف يوم ويوم — هو عنوان كتاب فكاهي على نسق الف ليلة وليلة يتضمن منتخبات قصص فارسية وتركية وصينية عرّبهُ عن الفرنسوية حضرة الأديب وهبة افندي ابرهيم منصور وطُبع بنفقة حضرة الأديب ابرهيم افندي زيدان مزيناً بعدة رسوم تمثل بعض وقائعهِ . وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة منهُ عشرة غروش اميرية واجرة البريد الى الخارج غرش ونصف

المساعد — مجلة اسبوعية علمية مدرسية تصدرها جمعية حفظ العهود بالاسكندرية بقلم حضرة الاديب عز الدين افندي صالح . وقد وردنا العدد الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة نبذ مفيدة واسئلة علمية يطلب حلها من الدارسين . وهي تصدر كل مرة في اربع صفحات كبيرة وقيمة اشتراكها السنوي عشرون غرشاً اميريًّا فنرجو لها الثبات والنفع

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٨ —

تماثيل نابوليون الستة

لم تكن زيارات لستريد احد مفتشي دار الشحنة وتردده علينا بالامر النادر فانهُ عوّدنا ان يأتي غرفتنا في اكثر الايام وكان شرلوك يسرّ جدًّا باستقبالهِ فيعلم منهُ ما يجري من غرائب الامور في دار الشحنة و يساعدهُ كثيراً بملاحظاتهِ وارشاداتهِ . وحدث في ذات مسآء ان كنا جالسين وقد توسد شرلوك كرسيهُ الطويل وهو غارق في التدخين وانا اقرأ لهُ جرائد اليوم واذا بالباب قد فُتح ودخل منهُ لستريد كعادتهِ فاستقبلناهُ باسمين وسألهُ شرلوك هل لديهِ شيء جديد . فقهقه لستريد وقال لا يخلو الامر من حدوث اشيآء في كل يوم غير ان بعضها كحادث اليوم لا اهمية لهُ او ليس فيهِ ما يهم استاذاً نظيرك . فقال شرلوك لا بأس ايها العزيز فقل ان لم يكن للفائدة فلا اقل من قطع حصة من الوقت . فقال لستريد ان امر اليوم مع بساطتهِ غريب جدًّا واظن انهُ يتعلق بالدكتور وطسن حلهُ اكثر مما يتعلق بنا . فقال شرلوك لعلّ ما تعنيهِ يتعلق بمريض . قال ربما كان ذلك ولكن المرض عقلي فهل خطر لكم انهُ يوجد في يومنا الحاضر رجل يكره نابوليون لاول الى حدّ انهُ لا يطيق ان يرى صورتهُ ولا تمثالهُ حتى يهجم فيمزق الصورة او يكسر التمثال . وليس ذلك فقط بل انهُ يسطو على البيوت التي توجد فيها تماثيلهُ فيسرقها تحت خطر القتل ليكسرها على ابواب اصحابها

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولما سمع شبرلوك كلمة السرقة والقتل تنبه كمن سمع حديثاً يطربهُ فاستوى على كرسيهِ وقال يظهر ان في الامر ما يلذ سماعهُ فهات لنا تفصيل ذلك • فاخذ لستريد مذكرة من جيبهِ واجال نظرهُ فيها قليلاً ثم بدأ بحديثهِ فقال • حدث منذ اربعة ايام في مخزن تباع فيهِ الصور والتماثيل ان صاحب المخزن ادار ظهرهُ لحظة لقضاء بعض الحاجات فقرع اذنيهِ صوت تكسير فعاد مسرعاً الى واجهة مخزنهِ فرأى من بين مئات التماثيل الموجودة ان تمثالاً لرأس نابوليون الاول مصنوعاً من الجبس قد سقط الى الارض فتحطم • فأسرع الرجل الى الطريق ليعلم من الفاعل فاخبرهُ المارّون انهم رأوا رجلاً خرج من المخزن وجعل يعدو بمنتهى قوتهِ فسعى في اتباعهِ فلم يدركهُ • ولما كان التمثال لا تزيد قيمتهُ على بضعة شلينات تناسى امرهُ وقد ظن ان بعض الاحداث انما فعل ذلك بقصد الاذى

اما الحادث الثاني فكان اهم واغرب وذلك انهُ على مقربة من المخزن السالف ذكرهُ يوجد محل عيادة طبية لطبيب يدعى برنكو وهو يسكن منزلاً بالقسم الجنوبي من البلدة على بعد ميلين من محل عيادتهِ • وهذا الطبيب مغرم بذكر نابوليون الاول واعمالهِ حتى انهُ ملأ خزائنهُ من تواريخهِ والجدران من صورهِ ورسومهِ وقد اشترى من مدة من المخزن المذكور تمثالين من رأس نابوليون وضع الواحد في منزلهِ والآخر في محل عيادتهِ وكان التمثالان من عمل النقاش الفرنسوي الشهير ديفين • فلما نهض الطبيب صباح اليوم ونزل الى غرفة الطعام وجد ان لصاً قد دخل بيتهُ ليلاً ولكنهُ لم يسرق منهُ شيئاً سوى ذلك التمثال ووجد ان اللص قد حملهُ الى طرف الحديقة حيث ضرب بهِ الحائط فتحطم • ورأى الطبيب قطعهُ العديدة فاستاء جدًّا ثم جاء لتعاطي عملهِ في محل عيادتهِ فما بلغ المكان حتى وجد زجاج احدى النوافذ قد فتح ورأى ايضاً التمثال الموجود هناك مأخوذاً من مكانهِ وقد ضُرب بهِ جدار الغرفة ايضاً فتبعثرت قطعهُ الصغيرة في كل الغرفة • فابلغني الخبر فاضفتهُ الى الخبر الاول ورأيت ان في الامر ما يستدعي الانتباه والبحث فذهبت بنفسي الى المحلات الثلاثة وفحصت بمزيد الدقة فلم ارَ اقل دليل يرشدنا

الى معرفة الجاني او المجنون الذي فعل ذلك

وكان شرلوك قد بانت عليهِ دلائل الاهتمام والتفكير لانهُ كان يدرك لاول وهلة مبلغ ما تستحق المسائل التي تلقى عليهِ من الاهتمام ثم قال وهل كان التمثالان الاخيران مثل التمثال الاول تماماً . فقال لستريد نعم فالكل من قالب واحد عملهُ رجل فرد شهير كما ذكرنا وهو ديفين الفرنسوي. فقال شرلوك اذاً لا يدل ذلك على كراهة الفاعل لنابوليون وانتقامهِ من تماثيلهِ لانهُ يوجد في لندن مئات من تماثيل ذلك الرجل العظيم لكن يظهر ان الفاعل لهُ غاية خصوصية في اتلاف التماثيل التي من هذا القالب فقط . فقال لستريد ان هذه التماثيل الثلاثة كانت عند ارباب المخزن من ثلاث سنوات قبل ان ابتاع الطبيب اثنين منها ومع انهُ يوجد كما ذكرت مئات من تماثيل نابوليون المختلفة التركيب فلا يبعد ان يكون الفاعل المجنون قد بدأ بهذه التماثيل التي يعرف مقرها وهو ينوي ان يتوصل الى الباقي ولا شك ان صديقنا الدكتور وطسن يعرف اطوار المجانين وافعالهم . فقلت لا انكر ان الجنون على انواع وقد يكون الانسان عاقلاً في كل شيء وينحصر جنونهُ في جهة واحدة او غرض واحد ولا يبعد ان يكون هذا الرجل قرأ عن نابوليون ما اثر على دماغهِ تأثيراً شديداً او يكون من اسرةٍ اصابها شيء من شر نابوليون فتسلسلت كراهتهُ منها اليهِ . فهز شرلوك رأسهُ وقال اذا كان ذلك فمن المحتمل ان الرجل يحطم مثل تلك التماثيل اذا اتفق ان يصادفها في طريقهِ ولكنهُ لا يُعقل انهُ يبحث عن محلات وجودها ويخاطر بحياتهِ في دخول البيوت ليلاً لمجرد كسرها . ثم انهُ يوجد دليل على ان الفاعل ليس بفاقد الادراك لانهُ في بيت الطبيب خشي ان يشعر بهِ احد فحمل التمثال الى طرف الحديقة اما في محل العيادة فعلم انهُ لا يسمعهُ احد فكسرهُ في نفس الغرفة . ولا انكر ان ظواهر الامر لا تستحق الاعتناء غير انني تعلمت ان لا احتقر شيئاً مهما كان طفيفاً ولي في المسائل الماضية اكبر برهان فلا يسعني ان لا اهتم بامر التماثيل ايها العزيز لستريد بل اكون لك من الشاكرين اذا تكرمت بافاداتي ما يجدّ في شأنها . وخرج لستريد فبقي شرلوك نهارهُ مفكراً

وفي الصباح التالي ايقظني شرلوك باكراً وبيده رسالة برقية من لستريد يقول لهُ فيها « احضر حالاً الى شارع كنسنتون رقم ١٣١ » ثم قال لا اعلم لاي شيء يستدعيني لستريد ويغلب على ظني انهُ لامر يتعلق بالتماثيل فعجل ايها العزيز وقد أُعدّ لنا الطعام والمركبة في انتظارنا . فنهضت مسرعاً وبعد نحو نصف ساعة كنا في شارع كنسنتون فوجدنا عدداً غفيراً من الناس مجتمعين امام منزل قد وقف لستريد في احدى نوافذه . فلما رآنا استقبلنا باسماً وادخلنا الى غرفة الاستقبال فرأينا فيها رجلاً طاعناً في السن قد غطى الشيب رأسهُ وكان لا يزال بثياب الليل ويدل شعرهُ المنفوش على انهُ لم ينم ليلتهُ تلك وكانت علامات الحيرة والخوف بادية على وجههِ . فعرّفنا لستريد بهِ واسمهُ المستر هركر ثم قال لشرلوك رأيتك امس مهتماً بامر التماثيل فاحببت ان استدعيك اليوم لترى ما آل اليهِ امر عدوّ نابوليون فقد اوصلهُ جنونهُ الى ارتكاب جريمة القتل كما سيخبركم المستر هركر . فنظر الينا الرجل بلون شاحب وعيون غائرة وقال ان الامر في منتهى الغرابة وقد رأيت كثيراً وسمعت اكثر فلم يؤثر فيّ شيء قط كما اثر حادث الليل الغابر وانا لا اجهل شهرتك يامستر شرلوك هولمز فعساك ان تجد حلاً لما حصل . انني ابتعتُ منذ اربعة اشهر تمثال رأس نابوليون مصنوعاً من الجبس ووضعتهُ في غرفتي ولما كانت صناعتي الكتابة كنت اقضي معظم الليل في مكتبي . وحدث البارحة انني اطلت السهر فلما كانت الساعة الثالثة بعد نصف الليل سمعت اصواتاً في الطبقة السفلى فاصغيت فلم تتكرر فظننت اني واهم واذا بصوت انين وصياح قد قرع اذنيّ فذُعرت ووقفت كمن فقد رشادهُ ولبثت مدة دقيقتين ثم اخذت عصا حديدية ونزلت فدخلت غرفتي هذه فوجدت النافذة مفتوحة ووقع نظري الى حيث كان التمثال فلم اجدهُ فتعجبت من لص يترك كل هذه الاشياء ويهتم بسرقة تمثال من الجبس ليس لهُ قيمة . وعلمت ان اللص قد خرج من النافذة لانها تتصل بالرواق فسرت فيهِ ولم اكد اسير بضع خطوات في الظلام حتى عثرت رجلي فسقطت ثم نهضت فرجعت الى الغرفة واشعلت مصباحاً اخذتهُ بيدي وعدت لارى ما ذلك فرأيت جثة قتيل ملقاة على

الارض وقد اخترق عنقهُ خنجر ففتح فيهِ فوهة كبيرة تدفق منها الدم بغزارة وكانت ساقاهُ مرفوعتين وفمهُ مفتوحاً ولهُ هيئة مخيفة ارتسمت على شبكية عيني فلن تبرح من مخيلتي . واحببت ان استغيث او استدعي رجال الشحنة غير ان المنظر كان مؤثراً جدًّا حتى افقدني رشدي فسقطت مغمًى عليَّ ولم استيقظ الا وانا في غرفتي والخدم ورجال الشحنة حولي . اما القتيل فلم يعرفهُ احد وقد نُقلت جثتهُ الى محل عرض القتلى وهو طويل القامة لا يتجاوز الثلاثين من العمر وقد لذعت وجههُ حرارة الشمس وبانت عليهِ علائم القوة وشدة العضل . اما لباسهُ فكان بسيطاً يدل على انهُ فقير وقد وُجد بجانب الجثة خنجر مقبضهُ من القرن وقد سقط في بركة من الدم ولم يعرف هل كان هذا الخنجر من سلاح القاتل او المقتول ولم توجد في جيوبهِ اوراق تدل على اسمهِ لكن وجد فيها تفاحة وشيء من الخيوط وخريطة لندن وصورة فوتغرافية مأخوذة عن رجل قوي العضل لهُ حاجبان كثيفان وحنكهُ الاسفل عريض بارز ممتدّ الى الامام

فقال شرلوك وماذا جرى بالتمثال فهل عرفتم عنهُ شيئاً فقال لستريد سمعنا منذ هنيهة انهُ وجد في حديقة بعض البيوت المجاورة وسأذهب بنفسي لاشاهدهُ فهل ترغب في مرافقتي ولكنهم اخبروني انهم وجدوهُ محطماً كالسابقين . فقال شرلوك اود جدًّا ان ارافقك ولكن اسمح لي ان افحص هذه الغرفة قليلاً ثم اجال نظرهُ من البساط الى النافذة وقال اما ان يكون للرجل ساقان طويلتان جدًّا او ان يكون خفيف الحركة كالهرّ لانهُ يتعذر للواقف على الارض ان يصل الى النافذة فيفتحها

ثم خرجنا الى حيث كسر التمثال فرأينا تلك القطع العديدة متفرقة على الارض فاخذ شرلوك يفحصها بدقة ويجمعها ثم نهض فنظر الى لستريد وقال يظهر لي ان الفاعل قد اهتم بتكسير هذه التماثيل اكثر مما كان يفعل بها لو كانت شخصاً حيًّا وفضلاً عن ذلك فاني اعجب من حملهِ التمثال الى هنا وعدم كسرهِ اياهُ في نفس البيت او حال خروجهِ منهُ . فقال لستريد لعلهُ كان فعل ذلك لو لم يصادف الرجل الذي اعترضهُ فقتلهُ وكانهُ استولى عليه الرعب فسار على غير هدى حتى وصل الى

هذا المكان الخالي وكسر التمثال عالماً ان لا احد يسمعهُ . فقال شرلوك ولكنهُ يوجد مكان آخر خالٍ قبل هذا فلماذا لم يكسرهُ هناك بل الذي اراهُ انا انهُ لم يؤخرهُ شيء عن كسر التمثال الا الظلمة فانهُ لم يشأ ان يكسرهُ الا حيث يوجد نور ولذلك حملهُ حتى وصل الى هنا فحطمهُ على نور هذا المصباح بحيث يرى ما هو فاعل وهذه حقيقة يجب ان نتذكرها لانها قد تفيدنا في بحثنا . والآن فماذا تقصد ان تفعل . فقال لستريد ارى انهُ من الواجب ان ابدأ بالبحث عن المقتول ومتى عرفت من هو اتوصل الى معرفة قاتلهِ والغرض من مجيئهِ الى ذلك الشارع . فقال شرلوك اما انا فارى ان ابدأ بغير هذه الخطة فليسر كلٌّ منا بحسب رأيهِ ومتى تقابلنا نرى النتيجة التي نتوصل اليها فارجو منك ان تسمح لي بالصورة التي وجدت في جيب القتيل لانهُ يمكن ان احتاج اليها وان تعدني بمقابلتي في منزلنا الساعة السادسة مساءً لانهُ اذا صدق ظني وما اتوقعهُ من امر هذه التماثيل فاننا سنضطرّ الى الخروج ليلاً في مهمةٍ يليق جدًّا بل يجب ان ترافقنا فيها

ولما افترقنا سار بي شرلوك فركبنا عربة قادتنا الى المخزن الذي كسر فيهِ اول تمثالٍ وطلب شرلوك مواجهة صاحبهِ فحادثهُ نحو نصف ساعة وعلم منهُ انهُ كان عندهُ ثلاثة من هذه التماثيل باع اثنين منها للدكتور برنكو والثالث كسر في مخزنهِ كما مرّ وانهُ اشترى تلك التماثيل من معمل سباك جبس يدعى جلدر . ورأى الصورة بيد شرلوك فقال انهُ يعرف صاحبها وهو رجل ايطالياني يدعى بيبو كان عاملاً عندهُ وهو ماهر في صناعتهِ وقد ترك خدمتهُ قبل كسر التمثال بيومين

فخرج شرلوك شاكراً وقال قد صار يجب ان نذهب الى محل جلدر ايضاً لعلنا نحصل على افادة اخرى هناك . فسددنا الخطى حتى بلغنا المحل المذكور وهو بناية عظيمة تعمل فيها الصور والتماثيل رأيناها مكتظة بالعملة وانواع التماثيل متفرقة في جهاتها بين ايديهم فطلبنا مواجهة المدير وسألهُ شرلوك بعض اسئلة فعمد الى سجلٍّ واخبرنا انهم سبكوا مئات من رؤوس نابوليون على قالب اصلي عملهُ ديفين الفرنسوي الشهير وان الارؤس الثلاثة التي اشتراها اصحاب المخزن الآنف ذكرهُ هي من

ستة تماثيل عملت في وقتٍ واحد والثلاثة الاخر ارسلت الى تجار آخرين يقال لهم آل هردن ولا يوجد ادنى فرق بين هذه التماثيل وسواها لانها جميعها تؤخذ عن قالبٍ واحد . ثم اراهُ شرلوك الصورة الفوتغرافية وسألهُ هل يعرف صاحبها فلما وقع نظرهُ عليها قطب حاجبيهِ وقال كيف لا اعرف هذا الخبيث فهو بيبو الايطالياني وقد كان في خدمتنا غير انهُ صادف يوماً رجلاً في الشارع فتخاصما وطعنهُ بيبو بخنجرهِ ثم دخل محل العمل فتأثرهُ الشرطة وقادوهُ الى حيث حكم عليهِ بسجن سنة وكانت تلك اول مرة دخلت فيها الشرطة الى محلنا . ولهذا الرجل قريب لا يزال في خدمتنا فاذا شئتم استدعيتهُ فربما افادكم عن محل وجود بيبو . فقال شرلوك كلا وارجو ان لا تذكر شيئاً لهذا القريب فان الامر في غاية الاهمية وقد رأيت في السجل انكم بعتم التماثيل الستة في ثالث يونيو من السنة الماضية فهل تتذكر تاريخ القبض على بيبو . فبحث المدير في دفترهِ ثم قال كان آخر مدة خدمتهِ عندنا العشرين من شهر مايو . فشكرهُ شرلوك والح عليهِ ان يكتم الامر . ثم خرجنا وكان قد بلغ منا الجوع فدخلنا مطعماً وتناولنا شيئاً يمسك رمقنا واخذ شرلوك جريدة قرأ

فيها الخبر وقد اكدت الجريدة ان الفاعل فاقد العقل . فتبسم ثم نهض وقال قد بقي علينا ان نزور محل آل هردن فتوجهنا اليهِ ولدى مواجهة المدير علم شرلوك منهُ ومن دفاترهِ زمن مشترى التماثيل الثلاثة واسماء الاشخاص الذين اشتروها منهم وعناوينهم وانهم لا يعرفون بيبو وان بين العملة عدداً من الايطاليان وان دفتر المبيع موجود دائماً على المكتب ولا يصعب على العملة ان يطلعوا عليهِ . وكان شرلوك يكتب كل ذلك في مذكرتهِ

ولما خرجنا قال شرلوك قد ازفت الساعة السادسة فلا بد ان يكون لستريد في انتظارنا فرجعنا الى البيت فوجدنا لستريد ينتظر قدومنا فقابلنا والسرور طافح على وجههِ فقال قد بحثت يا شرلوك وعرفت القتيل وسبب الجناية . اما القتيل فاسمهُ بيترو وهو ايطالياني من نابولي ومن القتلة المشهورين وقد كان عضواً في جمعية سرية تنفذ غاياتها بالقتل . ويظهر ان القاتل ايضاً كان من هذه الجمعية وقد ارتكب

ما اوجب اعدامهُ وعين بيترو لتنفيذ الامر فزودوهُ صورة الرجل لكي لا يغلط عنهُ وكانهُ رآهُ دخل البيت فانتظر خروجهُ ليفتك بهِ فلما خرج ذاك كان اسرع من بيترو فارداهُ . فقال شرلوك حسنٌ جدًّا ولكن ما هو السبب في سرقة تلك التماثيل وتكسيرها . فقال لستريد عجباً ايها العزيز الا تزال مهتماً بامرها بينما نحن نبحث عن سبب القتل والقاتل ألم تعتقد بعد ان كراهة الرجل لتلك التماثيل ناشئة عن ضرب من الجنون ليس الا . فقال شرلوك ليكن لكلٍ رأيهُ فماذا تنوي ان تفعل الآن . قال الامر بسيط بعد تأكيد ما تلوتهُ عليك وبما ان صورة القاتل معنا فلا اسهل من ذهابنا الى القسم الذي يقطنهُ الايطاليان والبحث عن الرجل واخذهِ فهل ترافقني. فقال شرلوك كلا بل ارى انك اذا رافقتني انت الى شارع آخر اتمكن من تسليم الرجل اليك فارجو منك ان تطاوعني الليلة واذا لم انجح اطيعك غداً . وبما اننا جميعنا قد تعبنا اليوم وامامنا تعب آخر فلنتناول الطعام ولننم قليلاً لاننا لا نخرج قبل الساعة الحادية عشرة . ثم التفت اليَّ وقال تكرم ياعزيزي وطسن واحضر لي رسولاً يوصل لي هذه الرسالة الى المحل المعنونة بهِ فانها ضرورية جدًّا

وبعد تناول الطعام اختلفت واستريد الى مقعدين إتكأنا عليهما اما شرلوك فاخذ في التدخين ومطالعة اوراق عديدة وكانت دلائل الارتياح بادية على وجههِ . اما انا فكنت اراقب اعمالهُ وما يستنتجهُ فاتضح لي انهُ بعد ان اخذ اسماء الاشخاص الذين ابتاعوا الستة التماثيل وبعد ان كسر الجاني اربعة منها غلب على ظنهِ ان نفس الفاعل لا بد ان يذهب في تلك الليلة لكسر التمثال الخامس وهو موجود في بيت في شارع شيسويك وان شرلوك سيأخذنا الى ذلك البيت لننتظر قدوم الجاني فنقبض عليهِ متلبساً بجنايتهِ . ولما قاربت الساعة الحادية عشرة ايقظنا شرلوك واشار عليَّ ان استصحب مسدسي وكانت عربة تنتظرنا فركبناها . ولما اقتربنا من الشارع المطلوب امر شرلوك فوقفت العربة وترجلنا فسرنا متلصصين حتى بلغ بنا منزلاً تحيط بهِ حديقة واسعة لها باب حديدي فتحهُ شرلوك وادخلنا ثم اقفلهُ ورآءنا وسار امامنا الى جهة البيت وكان العشب الاخضر يخفي صوت اقدامنا . وكان البيت كلهُ مظلماً

ما خلا نوراً ضعيفاً على السلم المتصل بالمدخل فوقف بنا شرلوك ناحيةً وقال علينا الآن ان ننتظر وعسى ان لا يزعجكما طول الانتظار ويجب ان لا تبدو منا اقل حركة ولي الامل ان ننال جزآء هذا التعب

وظهر ان وقت انتظارنا لم يطل لاننا بعد قليل سمعنا فتح الباب الحديدي ثم سمعنا صوت خطوات خفيفة تقترب غير ان الظلمة الحالكة لم تمكنا من مشاهدة القادم حتى حاذى المدخل فرأيناه شبحاً رقيق الجسم خفيف الحركة شديد العضل ثم اختفى ثانيةً فستره الظلام. وبعد هنيهةٍ سمعناه يعالج احدى النوافذ ففتحها وبعد ان اصغى قليلاً وثب الى الداخل ثم اشعل مصباحاً سرياً وجعل يبحث في الغرفة وكانهُ لم يهتدِ الى مطلوبه فدخل الى غرفة ثانية وثالثة . وكان رأي لستريد ان نتبعهُ فنلقي القبض عليهِ داخل البيت اما شرلوك فمنعهُ وامرنا ان ننتظر واذا بالرجل قد عاد الى الغرفة الاولى ثم خرج من نافذتها وقد تأبط شيئاً ناصع البياض فسار واشار الينا شرلوك فسرنا في اثرهِ ولكنهُ لم يتنبه الى وجودنا وما زال مسرعاً حتى بلغ جهةً فيها مصباح ضعيف فسمعنا سقوط شيء على الارض تبعهُ صوت تكسير تلك القطع وقد انحنى الرجل الى الارض ينظر اليها . وفي مثل لمح البصر وثب شرلوك كالنمر الجائع فامسك بعنق الرجل والقاهُ الى الارض وفي اقل من دقيقة كنت انا ولستريد قد قبضنا عليهِ ووضعنا الحديد في معصميهِ ثم تأملتهُ فوجدتهُ طبق الصورة الفوتغرافية ولهُ اكره منظر لن انساهُ ما حييت . واذ ذاك فُتح باب المنزل وظهر منهُ رجل متوسط القامة ممتلئ الجسم فحياهُ شرلوك فردّ التحية قائلاً وصلتني رسالتك ففعلت كما امرتني ويسرني انكم فزتم بالقآء القبض على الشرير فهل تتفضلون بالدخول لنقدم لكم شيئاً من المنعشات . فشكرناهُ واعتذرنا ولا سيما لستريد فانهُ خرج بغنيمتهِ فاستدعى العربة ووضع الرجل فيها وركبنا معهُ فاوصلناهُ الى دار الشحنة . ولما نزلنا قال لستريد سترى ايها العزيز شرلوك بعد الاستنطاق ان فكري في محلهِ وان هذا الرجل من الجمعية السرية واني على كل حال شاكر لمساعدتك في كيفية القبض عليهِ . فقال شرلوك ليس الآن وقت التوضيح ولكنك

اذا زرتني غداً في الساعة السادسة مسآءً افدتك كيف تتبعَ مثل هذه المسائل . ولما عدنا الى البيت قال لي شرلوك سيكون امر هذه التماثيل فريداً في بابهِ فلا تنسَ تفاصيلهُ واكتبهُ متى سمحت لك الفرصة

وفي المسآء الثاني جآء لستريد حسب الاتفاق واخبرنا انهم علموا من استنطاق الرجل ان اسمهُ بيبو وانهُ ايطاليانيٌ وانهُ كان نقاشاً ماهراً وقد سجن مرتين احداهما لسرقة بسيطة والاخرى لطعنهِ رفيقاً لهُ كما مرّ الا انهُ لم يفصح عن السبب الذي يدفعهُ الى كسر تلك التماثيل سوى اننا علمنا انها تماثيل صنعها هو حين كان في خدمة جلدر . وكان شرلوك يسمع تلك الاخبار التي كان يعلمها قبل لستريد وهو تارةً يظهر الارتياح وطوراً الانقباض الى ان قُرع جرس الباب فانبسطت هيئتهُ وجلس على كرسيهِ مسروراً . ثم فُتح الباب ودخل منهُ رجل طاعن في السن لهُ لحية خفيفة وفي يدهِ كيس وضعهُ على المائدة وبعد ان القى التحية قال من منكم المستر شرلوك هولمز . فقال شرلوك هو انا يا حضرة المستر سندفورد . فقال الرجل اعذرني يامولاي فقد اخذت كتابك وحاولت المجيء في الوقت فأخرني القطار ولكن هل ما ذكرتهُ في كتابك حقيقي وانك تودّ الحصول على تمثال رأس نابوليون الموجود عندي وتدفع ثمنهُ عشر ليرات وكيف عرفت بوجود هذا التمثال عندي . فقال شرلوك ان ما ذكرتهُ في كتابي صحيح واني لما كنت راغباً في اقتنآء هذا التمثال ذهبت الى المعمل الذي صُنع فيهِ فأُخبرت انهُ لم يبقَ عندهم من نوعهِ وانك اشتريت واحداً منهُ فخطر لي انهُ يمكن ان لا تمتنع من بيعهِ بثمن موافق . فقال الرجل نعم يا مولاي ولهذا السبب احضرتهُ معي غير انهُ مع انني لست من اهل اليسار فانا لا احب الا الحق فاخبرك اني لم اشترِ هذا التمثال باكثر من خمسة عشر شليناً ويجب ان تعرف ذلك قبل ان تنقدني الثمن الذي ذكرتهُ . فقال شرلوك قد ذكرت لك الثمن فلا ارجع عنهُ ولما قال ذلك اخذ من جيبهِ القيمة فدفعها الى الرجل واخرج هذا من كيسهِ التمثال فوضعهُ على المائدة . ثم اخذ شرلوك ورقة وطلب من المستر سندفورد ان يكتب لهُ وصولاً بالمبلغ وان التمثال قد اصبح ملكاً

شرعيًّا لشرلوك هولمز ولم يعد للبائع اقل حق في المطالبة بهِ او بما ينشأ عنهُ . فكتب البائع ذلك ووقّع عليهِ وشهد لستريد وانا ثم اخذ الرجل النقود وانصرف

ولما استقرّ بنا المقام نهض شرلوك وهو يكاد يرقص من شدة الفرح فاخذ ملاَءةً بيضاَء وضعها على المائدة ثم وضع التمثال فوقها وتناول عصاهُ فضربهُ بها ضربة شديدة على ام رأسهِ فتناثرت القطع الصغيرة كما كنا نرى في الحوادث السابقة وانحنى شرلوك يبحث فيها واذا بهِ قد اخذ قطعة لصق بها شيء اسمر اللون فكاد يثب عن الارض من فرط سرورهِ ثم نظر الينا وقال هلمّ فانظرا اللؤلؤة السوداَء المشهورة التي كانت في تيجان أسرة برجيا

اما استريد وانا فلم نستطع كلاماً ووقفنا ناظرين الى شرلوك ذاهلين من شدة العجب كانهُ ساحر امامنا او ليس من طينة البشر . اما هو فتبسم وقال ان هذه اللؤلؤة فريدة في العالم وقد ساعدني الحظ ان اتتبع تاريخها من حين فقدها البرنس كولونا برجيا في نزل واكر الى الآن ولما فقدت اهتمت شحنة انكلترا في البحث عنها واستشاروني حينئذٍ فلم نتمكن من معرفة السارق ٠ وقد اتهموا خادمة البرنس وكانت ايطاليانية ولها اخٌ في لندن وكان اسم الخادمة بترينا ويغلب على ظني انها شقيقة القتيل السابق ذكرهُ . ومن مطالعة مذكراتي علمت ان اللؤلؤة سرقت قبل ان سجن بيبو بيومين وذلك على اثر خصام بينهُ وبين رفيقٍ لهُ في معمل جلدر حيث كان يصنع هذه التماثيل . وما ذكرتهُ لكما الآن كافٍ لان يظهر لكما وقائع القصة وذلك ان بترينا سرقت اللؤلؤة وسلمتها الى شقيقها بيترو فعلم بها بيبو وسرقها منهُ على اثر تلك المشاجرة فلما تبعتهُ رجال الشرط ولم تكن لهُ مهلة لاخفاَء اللؤلؤة الثمينة عمد الى احد التماثيل التي كان يصنعها وكانت لا تزال طرية فخرق رأس التمثال باصبعهِ ووضع اللؤلؤة ثم اعاد الجبس عليها كما كان فلم يبن لذلك اثر . ثم القي عليهِ القبض وسجن سنةً توزعت التماثيل في اثنائها كما علمنا واذ لم يكن لمخبأ اللؤلؤة علامة تفرق التمثال الذي هي فيهِ عن سواهُ عزم على كسر الواحد بعد الآخر الى ان يسترجع هذه الجوهرة . وكان لبيبو قريب لا يزال يعمل في محل جلدر فلما

خرج بيبو من سجنهِ تمكن بواسطة قريبهِ من معرفة اسماء وعناوين الذين اشتروا التماثيل وبدأ بالبحث عنها وتكسيرها كما مرَّ بنا الى ان وصل الى بيت المستر هركر وكأن بيترو شعر بشيء من امر بيبو فتبعهُ الى هناك ليكمن لهُ فعاجلهُ بيبو بطعنةٍ كانت القاضية فارداهُ . اما سبب حمل ذاك صورتهُ فلكي يستدل عليهِ او يسأل عنهُ من لا يعرف اسمهُ . ولما ادركت هذه الافتراضات بعد القتل علمت ان بيبو سيسرع في الحصول على التماثيل الباقية قبل ان ينكشف امرهُ . ولم اكن مؤكداً امر اللؤلؤة غير انني علمت انهُ يبحث عن شيء مخفيّ في التماثيل لانهُ كان يحملها الى حيث يوجد نور فيكسرها ويفحصها . ولم اكن اعلم انهُ لم يجد مطلوبهُ في التمثال الذي كسرهُ وقت القتل غير انني احببت ان امتحن في التمثالين الباقيين فخدمني التوفيق وكتبت الى صاحب التمثال في شارع شيسويك ورسمت لهُ ما يجب ان يفعله كي لا تحصل جناية اخرى وقد تم الامر هناك على ما علمتما . وبما انهُ لم يبقَ من التماثيل الستة سوى هذا الاخير كتبت الى المستر سندفورد طالباً مشتراهُ منهُ فحضر بنفسهِ وباعني التمثال امامكما بيعاً شرعيًّا فاصبح التمثال وما فيهِ ملكي كما تريان وصدق ظني وتأكدت ملاحظاتي وهذه اللؤلؤة تحقق ذلك

وكنا نحن كمن في غيبوبة من شدة الاعجاب بدهاء شرلوك وذكائهِ . فقال لستريد قد رأيت من اعمالك كثيراً ايها العزيز غير ان ما فعلتهُ هذه المرة يفوق كل ما سبقهُ ونحن لا نحسدك في ادارتنا بل نفتخر بوجود نظيرك ونطلب مساعدتك عند الحاجة ففي اية ساعة تأتي الى دار الشحنة ترى الجميع من اكبر مفتش ومدير الى اصغر مستخدم يتشرف باخذ يدك وتقديم اعتبارهِ لك

فشكرهُ شرلوك وقال تراني في كل حين مستعداً لان اخدمك ايها العزيز . ثم نهض لستريد فودعنا وانصرف وبعد ما خرج قال لي شرلوك خذ هذه اللؤلؤة يا وطسن واحتفظ عليها في الصندوق الحديدي وهاتِ لنا الاوراق المختصة بقضية التزوير فان امامنا شغلاً عظيماً نسأل الله كما سهل لنا اوائلهُ ان يسهل لنا بلوغ منتهاهُ

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

هذا على انهُ لا بدّ لنا من الاعتراف بان لغة جرائدنا ولا سيما في هذا القطر قد نفضت عنها كثيراً من الركاكات العاميّة وجنحت الى تخيُّر الفصيح من الالفاظ والصحيح من التراكيب مما يدلّ على ان كتّابنا قد تنبهوا الى موضع اللغة مما يكتبون وانكشف لهم ان البلاغة سرٌّ من اسرار اللفظ قائمٌ بحسن انتقآء الكلمات وإلباس كل معنًى الثوب الذي يشفّ عنهُ ويمثّلهُ بكل تفاصيلهِ ودقائقهِ . لكن من العجب انهُ لا يزال في جنب اولئك فريقٌ من الكتاب لم ينتقلوا عن موقفهم ولم يزايلوا ما عُرفوا بهِ من الغثاثة واللحن والتورُّك على الالفاظ السوقية والتراكيب العاميّة بل قد تجد فيهم من يتبجح بمثل ذلك يزعم ان همَّهُ في تقرير الحقائق المعنوية لا في الاشتغال بهذه السفاسف اللفظية (بخ بخ) . وقد فات هذا القائل وامثالهُ ان اللفظ صورة المعنى وان « الحقائق المعنوية » اذا لم يسعها ما يمثلها من القوالب اللفظية لم تخرج من مخيّلة القائل الى منطقهِ بل كلما كانت تلك القوالب اصحّ وضعاً وأتمّ إحكاماً جآءت صور المعاني أوضح أشكالاً وانصع ألواناً وبهذا تتفاضل طبقات الكتّاب حتى تجد كلام بعضهم أشبه بالالغاز والرُقى وترى كلام غيرهِ يمثّل لك المعاني تمثيلاً حتى كانما يعرضها عليك اشباحاً محسوسة . وما ننكر ان هذهِ المنزلة الاخيرة لا يبلغها الاّ افرادٌ من أقطاب البلاغة في كل عصر ونحن لا نطمع ان نراها في كثيرٍ

من كتابنا الحاليين فضلاً عن امثال الطبقة المذكورة لكن لا اقلّ من ان يعبّروا عن كل معنى باللفظ الموضوع لهُ فلا يسمون الرأس كتفاً والسيف حجراً ولا يضعون الفعل المعلوم مكان المجهول واللازم مكان المتعدي والمفرد مكان الجمع وهلمَّ جرًّا على ما مرّت بك مُثُلهُ فيما تقدم . والاّ فاذا كان كل كاتبٍ يضع لنفسهِ لغةً خاصَّةً ويجازف في استعمال الالفاظ على ما يخيَّل لهُ او على ما سبق الى فهمهِ فكيف تبقى اللغة لغةً تصلح للتفاهم بين جمهور اربابها وما القاعدة التي يُرجَع اليها والحالة هذه في فهم مقاصد المتكلم

ولتقرير ذلك لا بأس ان نورد عليك امثلةً اخر مما يختصّ بهذا الباب لتعتبرها بالقياس الى اغراض قائليها وتنظر مكان «الحقائق المعنوية» من اللفظ الذي عبّر بهِ عنها

وذلك كقول القائل «خافوهُ لئلا يكون قادماً بدسيسةٍ» ولا نزيد المطالع علماً ان اصل «لئلاّ» لأنْ لا بمعنى لكي لا فيكون تأويل العبارة انهم خافوهُ «لكي لا» يكون قادماً بدسيسة . وانظر ماذا يُفهَم من هذا القول

ومن ذلك قول الآخر «يجب علينا التمسك بهِ الى آخر رمق من حياتنا التي نفديها عن طيب خاطر فداءً لهُ» ولا نخال المطالع في حاجةٍ ان نفسّر لهُ معنى «نفديها» ولينظر ما اراد الكاتب بهذا اللفظ وكيف تكون مفديّةً وفداءً في وقتٍ واحد وكيف يمكن الجمع بين هذين المعنيين

وقول الآخر «وكان عليهِ قباءٌ بسيط الزيّ اشبه بالقفطان» وصريح

هذا اللفظ ان القبآء غير القفطان والصحيح ان كليهما شيءٌ واحد انما القفطان كلمة تركية واصلهُ « قفتان » بالتآء وبهِ فسّر عاصم « القبآء » في ترجمة القاموس

ومن ذلك قول الآخر « قباب نواقيس غرناطة » يعني بالنواقيس الاجراس وانما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسرهُ صاحب القاموس خشبةٌ كبيرة طويلة تُقرَع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل ايذاناً بوقت الصلاة . وكل احدٍ يعلم ان هذا النوع لا وجود لهُ في كنائس غرناطة بل هو مما لا يُعرَف لهُ وجود في جميع اوربا غير ان الكاتب لم يكتفِ بذلك حتى جعل محل النواقيس في قباب الكنائس وهو اغرب

وقول الآخر « رأتهم يقطعون من الضعف قوةً » وكانهُ اراد بذلك القول المشهور «فلان يظهر من الضعف قوة » فعبّر بلفظ «القطع» ولينُظَر

بعد ذلك كيف يكون تأويل المعنى

وقول الآخر « فما راعها الا والحبّ جارٍ مجرى الدم في مفاصلها » وهو من الكلام الذي اراد قائلهُ ان يقلد بهِ الفصحآء فاخطأ المرمى ونقل العبارة من العربية الى الكردية

وفي طريقهِ قول الآخر « اصبحت وتكاد تكون عظاماً باليآء». والله اعلم كيف يفسَّر هذا القول

واغرب منهُ قول الآخر « اسال لهى الفصاحة على لهواتها » قلنا اللهى واللهوات يجوز ان يكون كلاهما بفتح اللام فيكونان جمع لَهاة وهي اللحمة المتدلية في اقصى الحلق او بضمها فيكونان جمع لُهوة وهي العطية وليتأمل

المطالع ماذا يمكنهُ ان يستخرج من هذا التركيب . وما نظن الا ان الكاتب احب ان ينسج على مثال قول القائل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما　　تجيد العطايا واللُّهى تفتح اللَّهَا

اللُّهى الاولى بالضم بمعنى العطايا والثانية بالفتح جمع لهاة الفم واراد بها الافواه على تسمية الكل باسم الجزء فجاء بهذا اللغو الذي لا يفهمهُ انسٌ ولا جانٍ

وآية الآيات في هذا الباب قول القائل

على مثلهِ التقى الفخار « رجالهُ »　　ومَن غير نصر الله اولى بذا الفخرِ

فلم يزد على ان جعل ممدوحهُ بعيراً تُلقَى عليهِ الرحال ثم منّ عليهِ بان ذلك فخرٌ لا يحقّ لغيرهِ « من الرجال » . . . . .　　(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٦ —

ومن اعجب العجب ان المشترعين والمصلحين القدماء مع كونهم افراداً وُجدوا قبل اوانهم وهم اكثر حكمةً واسمى ادراكاً من العامة الضالة وقد ادَّعى اكثرهم انهم مؤيدون بالوحي معزَّزون بالالهام مسيَّرون بالاوامر والمناهي العلوية قد جاروا مشارب رجال اعصارهم فجاروا على المرأة ولم يعدلوا وسلكوا بما سنوا من الشرائع ووضعوا من النواميس مسلك من يريد الأَثرة للرجل في كل طورٍ من اطوار الحياة كانهم يريدون ان

يؤلفوا قلوب الرجال فاستمالوهم بذلك الى اتّباعهم والاعتقاد بتعاليمهم والتشيع لهم فبعضهم حسب المرأة آلةً لخدمة الرجل و بعضهم عدَّها ملكاً لهُ في حياتهِ ومماتهِ وقسمٌ منهم اخرجها من نوع الانسان وادرجها في عداد الحيوان

هذه امة الهنود تقول ان شريعتها المنسوبة الى برهما[1] اله الآلهة تقضي على المرأة اذا مات زوجها ان تُدفن او تحرق معهُ حيةً وهي مسرورة مختارة غير مضطرَّة . وان أبت عاشت اسوأ عيش ونالها اعظم ذلٍّ والتحفت بأردية البؤس والعار الى منتهى الادهار

والهنود انفسهم يقولون ان للزوج حقاً ان يتخذ ما شآء من النسآء عشراتٍ اومئاتٍ على ان تكون الاولى منهنَّ الزوجة الشرعية وتحسب الباقيات بمثابة السراري والخادمات

وهكذا قل عن الصينيين وغيرهم من الامم التي تفتخر بشرائعها ونواميسها وعوائدها وهم يُعدّون بمئات الملايين من الخلق . فيا للعجب من غوتاما[2] وبوذا وزرادشت وكنفوشيوس وماني وغيرهم كيف رضوا

---

(١) هو المعبود الاول والاكبر عند الهنود وكثيراً مما يجعلونهُ اسماً للاقانيم الثلاثة المؤلف منها ثالوث الهنود وهي برهما ووشنو وسيوا والثلاثة عندهم اله واحد يظهر بثلاثة مظاهر فيسمى في كل منهـا باسم ولذلك يمثلونهُ بثلاثة رجال جالسين الواحد بجانب الآخر وكل اجسامهم ووجوههم عيونٌ تنظر الى الكون من جميع الجهات

(٢) غوتاما او سقياموني اسمان لمسمى واحد . ومعنى غوتاما الذي يقتل الحواس ومعنى سقياموني سقيا الناسك وسقيا اسم اسرتهِ و يراد بهما شخص ازدهاشيدي مؤسس الدين البوذي وهو من اهالي بلدٍ يُدعى كابيلا على مقربة من نيبول نشأ هذا الرجل في القرن العاشر قبل الميـلاد على ارجح الاقوال واسس دين بوذا

الذي يدين بهِ الصينيون واليابانيون والسيلانيون والمغول والتتر واهالي سيام و بورما وغيرهم على اختلافٍ بينهم في بعض العقائد والشعائر

نشأ غوتاما من اسرةٍ ملكيةٍ وكان غنيًّا و بعد ان انغمس في ملاذ الدنيا ونعيمها حيناً من الدهر قيل تسعاً وعشرين سنة هجر الرغد والرفاهية ونبذ المجد والسعادة وعاش منفرداً ثم ادعى النبوّة او الالوهية قائلاً انهُ ولد من عذراء تحت ظل شجرة و بعد ان بدأ بتعاليمهِ باربعة اشهر اجتمع اليهِ خمسة مريدين (او تلاميذ) وفي نهاية العام صاروا الفاً ومئتي رجل ولم يبلغ آخر حياتهِ حتى جاوز عداد تابعيهِ الملايين • وهم الآن اي بعد تسعة وعشرين قرناً من ظهورهِ يربون على اربعمائة مليون • وتعدُّ تعاليمهُ اصلاحاً وتعديلاً للديانة البرهمية التي كانت قبلهُ كثيرة الانتشار في الشرق الاقصى

وقد سادت البوذية - مع كونها تفوق الادراك البشري - بالوعظ والانذار لا بالسيف فهي من هذا القبيل تضارع الديانة المسيحية • وقد تأسست مثلها على جحد الذات وايثار البتولية ولها اديار ورهبان وراهبات و يدّعي رجالها اجتراح العجائب واتيان المعجزات . وقد صادف دعاتها في القرون الاولى ما صادف دعاة الدين المسيحي من المناصبة والاضطهاد فكانوا يعذَّبون ويُقتَلون ويُطردون من مواطنهم . ومع كل ذلك فقد تغلبوا على تلك القوى والعناصر المناهضة ولم يبالوا بما لديهم من الصعوبات والمخاطر ممهدين ما اعترض في سبيلهم من العقبات الكؤود حتى نشروا هذا الدين في اطراف شرقي آسيا على اساسٍ ابديٍّ متين • وهم اليوم اكثر عدداً من اصحاب اعظم اديان المعمورة من قطبٍ الى قطب

واما بوذا فهو اسمٌ هنديٌّ معناهُ عالم او حكيم وهو عَلَمٌ لمعلّمين من البوذيين اتخذهم الهنود آلهةً وهم يعتقدون انهُ ظهر عددٌ لا يحصى من البوذات لينيروا العالم ويهدوهم الى الحق وفي جملتهم غوتاما المارّ ذكرهُ الذي يعتقد البعض

الابدية على الامم ان يبنوا شرائعهم التي لا يخلو بعضها من الحكمة

انهُ تجسَّدُ تاسع لوشنو الاقنوم الثاني لبرهما وقد قالوا انهُ ولد من عذراء اسمها مايا وانها حبلت بهِ بحلول شعاعٍ من نور ذي خمسة ألوان وان معجزاتٍ كثيرة تمَّت حال ولادتهِ من جنب امهِ الايمن • وهم يزعمون ان معبود الحب والخطيئة والموت ويسمونهُ المارا جرَّ بهُ طويلاً فانتصر عليهِ متغلباً على سحرهِ واهوالهِ بسلاح النسك والتقشف والصوم • وانهُ بعد جلوسهِ في ظلال التينة المقدسة واستوائهِ على عرش المعرفة ذهب الى قرب نهر الكنج وهناك وجد تلاميذهُ الخمسة الاولين ومنذ ذلك الحين اخذ يعظ الناس ويرشدهم في القفار بلغاتٍ مختلفة ناشراً تعاليمهُ الجديدة المؤسس عليها دين بوذا وقد مارس اعمالهُ هذه مدة اربع وخمسين سنة متجولاً في اقطارٍ كثيرة وابتنى ديراً عظيماً منهُ خرج اكثر كتب البوذيين المقدسة • ولما مات بعد ان ناهز الثمانين من عمرهِ حدث اضطرابٌ عظيمٌ في الاكوان وخوارق في الطبيعة . ولما أُعدّ الوقود لاحراق جثتهِ عقب موتهِ بثمانية ايام تعذر اشعالهُ بالوسائط العادية حتى ظهر لهيب التأمل من صدرهِ فافنى جثتهُ . وقد اختلف البوذيون كثيراً في تاريخ وفاتهِ وكان الفرق نحو الفي سنة . واقرب تاريخ يعوّل عليهِ هو السيلاني وهذا التاريخ يجعل وفاتهُ سنة ٥٤٣ قبل المسيح . ومن تقاليد تابعيهِ ان دار العقاب مختلفة الدركات فيها مئة وست وثلاثون جهنماً وان المرأة هنالك تُطرَح في بحيرة من الدماء او تقع بين الافاعي النارية او تقلى بالزيت في اناء من الحديد

واما زرادشت فهو مشترع الفرس والمادويين القدماء ونبيهم الوحيد . ادعى انهُ مرسل من السماء الى قستشب بمدينة بلخ فدخل عليهِ وفي يدهِ اناءٌ فيهِ نارٌ بلا حطب ولا بخور ولا دخان وقال لهُ « انني نبيٌّ مرسل اليك لاريك سبيل الله وهذه النار التي بيدي من الفردوس اعطانيها الله وقال لي خذها فان فيها صورة السماء والارض . فخذ مني الدين الحق واستنر بهِ ودع غرور الدنيا» وكان معهُ كتب زعم ان الله كتبها اسمها زنداوشتا وهي تتضمن اسرار الديانة التي يدعو اليها

زرادشت المذكور . وهو مولود بالريّ او في جوار بلخ في المئة الثانية عشرة قبل المسيح وقيل في اواسط المئة السادسة. وقد وضع ديناً يُعدّ من اصح اديان الاقدمين واصول هذا الدين مثبتة في كتابٍ لهم قديم جدًّا أُلّف قبل ان هجر الماديون وطنهم الاول وقبل ان عرفوا الكتابة . وكانت عقيدتهم الاصلية مبنية على عبادة المادة كأن الله ذاتهُ فيها ونشأ عن تلك العقيدة عبادة الاوثان التي كانت منتشرة بين كل الامم العظيمة اذ ذاك . ولكن زرادشت لم يسلم بتلك العقيدة فعمد الى اصول ذلك الدين فاصلحها بقولهِ « ان المعبود ينبغي ان يكون ذاتاً مجرّدة عن المادة ومتسلطاً عليها » وقال «انهُ يوجد روح صالح خلق الانسان وكل ما يتمتع بهِ وسماهُ ارمُزد واثبت لهُ كل الصفات السامية والافعال المحمودة وجعل لهُ جنوداً تخدمهُ كالملائكة وهو عندهُ اله الخير . ثم لما رأى هو او خلفاؤهُ ان الشر كثيراً ما يستولي على الخير ويفسدهُ قال بوجود الهٍ للشر اسمهُ اهرمان لهُ جنود واعوانٌ اشرار يسعون بافساد ما يصنع اله الخير ويحوّلون المنافع الى مضار والصلاح الى فساد . وان ليس في وسع اله الخير ان يميت اله الشر ويقوى عليهِ . وبهذا الاعتقاد الاخير أُفسد الدين الزرادشتي وصار ثنائياً بعد ان كان في حالتهِ الاولى من اقرب الديانات القديمة الى التوحيد . وهو يشبه ديانة اليهود من حيث رفض الاصنام والقول بوجود روح صالح هو الله وروح شرير هو الشيطان الا ان اليهود لا يعتقدون ان للشيطان قدرةً كالإله ولا انهُ مختارٌ فيما يفعل على رغم الروح الصالح

والزرادشتيون يزعمون ان الاموات يمرّون على صراطٍ منصوب من جبل البرج الى الجنة مقر الاله ارمُزد فيسقط الاشرار منهم في جهنم وتعذبهم الابالسة هناك عذاباً اليماً وفي آخر الايام تضطرم الارض بنجم من ذوات الاذناب فتشتعل وتذوب فينصبُّ ذوبها في جهنم ومعهُ الاشرار الذين يكونون على الارض فيُسلَقون ثلاثة ايام بلياليها حتى يطهروا من ارجاسهم ثم يعرجون الى السماء ومعهم الابالسة

رعاية الحق مع انهم يعلمون ان ذلك موجب لشقاء البشر ومخالف كل المخالفة لناموس النمو والعمران (ستأتي البقية)

وزعيمهم اهرمان اذ يكونون قد تطهروا جميعاً فيحلون في مساكن النور ونعيم الابرار .
وهذا نص قانون الايمان عند الفرس بعد ان فسدت دياناتهم باختلاطهم مع المجوس
« نؤمن بالله واحد خالق السماوات والارض والملائكة والشمس والقمر»
«والنجوم والنار وكل الاشياء . اياهُ نعبد ولهُ نسجد وبهِ نستعين . الهنا لاوجه لهُ »
«ولا شكل ولا مكان محدود ولا مثيل لهُ ولا يستطاع وصف مجده ولا تدرك»
«عقولنا كنههُ . لهُ الف اسم واسم ولكن اسمهُ الأول ارمزد اي الروح الحكيم وعند»
«ما نعبدهُ نستشفع ببعض خلائقهِ كالشمس والنار والماء والقمر . وقد علمنا نبينا»
«زرادشت ان الله واحد وهو نبيهُ وان نؤمن بالاوشتا (كتب الزنداوشتا)»
«وبجودة الله وان نستسلم لمشيئته ونتبع اوامرهُ ونفعل خيراً ونتكلم بما هو حسن»
«ونصلح ضمائرنا ونياتنا ونصلي خمساً كل يوم ونؤمن بالحساب وبانهُ يكون في الرابع»
«بعد الموت وان نرجو السماء ونخشى جهنم ونؤمن بالبعث»

وقد لبثت هذه الديانة سائدة في بلاد الاكاسرة حتى ظهر ماني الذي اباح الاشتراك في النساء والاموال فانتشر مذهبهُ زمناً تداعت فيهِ اركان المملكة الفارسية لما انبث فيها من مفاسد المبادئ المانوية حتى اذا قام انوشروان العادل وكان حانقاً على ماني لانهُ تجرأ على مشاركة ابيهِ في امهِ وهو صغير لا قدرة على معارضة ابيهِ الملك فيما يفعل اهدر دم المانويين جملةً واعاد الدين المجوسي المبني على قواعد زرادشت وكانت البلاد قد انتهت الى حالةٍ سيئة فاصلحها بعض الاصلاح ودامت بعدهُ يتنابها الضعف بما دب في جسم الامة من سموم تعاليم ماني حتى افتتح المسلمون البلاد على عهد يزدجرد وذلك سنة ٦٥١ مسيحية فدان اكثر الاهلين بالاسلامية

وتشتت الباقون في اطراف الارض . ولا يزال حتى اليوم في بلاد الهند وفي انحآء ايران نحو سبعين الفاً منهم وهم محافظون على النار المقدسة المقتبسة من نار زرادشت المحكي عنها وهم شديدو الحرص على عقائد اسلافهم وتقاليدهم . وهم في الهند ارقى مدنيةً واكثر تفنناً واقتداراً من جميع الاهالي ولهم صحف ومجلات ولنسآئهم حرية الظهور وقد نبغ منهنَّ كاتباتٌ وشاعرات . اه

واما كنفوشيوس فهو فيلسوف ومصلح صينيٌّ شهير فضَّلهُ بعضهم على سقراط اليوناني . ولد في ايالة لو من بلاد الصين سنة ٥٥١ قبل المسيح على عهد كورش الفارسي و بعد ان خاض عباب السياسة حيناً من الدهر واجاد واحسن في كل وظيفة تولاها حتى بلغ منصب رئاسة الوزرآء وشى بهِ حاسدوهُ والحسد عدوٌّ كل نابغةٍ فاضل فعزل من منصبهِ واذ ذاك بارح بلادهُ وذهب باصحابهِ ومريديهِ يجول في الاقطار واعظاً منذراً ومعلماً مرشداً . ولما بلغ السنة السادسة والثمانين عاد الى موطنهِ واكبَّ على التأليف في الفلسفة والحكمة واللغة الصينية والتاريخ واجاد فافاد وهو صاحب القاعدة الذهبية المشهورة « عامل الناس كما تحب ان يعاملوك » وتوفي سنة ٤٥٨ قبل الميلاد . وكان في آخر ايامهِ يتبرَّم من ظلم الحكام وجور الايام ويتأسف لعدم مؤازرة الناس لهُ اصلاحاً لاحوال البلاد . ولكن بعد موتهِ عرف معاصروهُ قدرهُ وناجوا عليهِ كثيراً واقاموا على ضريحهِ قبةً فخيمة يحجّ اليها الخلق حتى اليوم . والصينيون يعتبرون تعاليمهُ اعتباراً سامياً وعندهم ان من لا يدرس مؤلفاتهِ غير جدير بالترقي ونيل المناصب . وكنفوشيوس وان لم يعد من مؤسسي الاديان وواضعي الشرائع فان تعاليمهُ قد اصلحت كثيراً من اخلاق قومهِ وسننهم وعوائدهم فحسب مصلحاً وان لم يكن مشترعاً

تقويض مُعتمَدٍ قديم

او تفصيل هولٍ عظيم

بقلم حضرة الكاتب الاريب يوسف افندي البستاني
احد منشئي جريدة الاهرام الغرآء

قام في اوهام المؤرخين والكتاب وفلاسفة الاخلاق والطبائع معتقدٌ راسخ بالغ من الافكار مبلغ الحقيقة الراهنة حتى عُدَّ من يعارضهُ جاهلاً غافلاً في مذهب جميع الاوربيين على اختلاف النزعات والطبقات وذاك المعتقَد المأثور هو ان الشرقي اضعف عزماً وعقلاً وادنى خُلقاً وطبعاً من الاوربي . ولقد وُفّق أَهل هذا المذهب الى براهين قوية يفحمون بها المعترضين وما هي بالبراهين التي يمكن انكارها لانك لا تلتفت التفاتةً الى تواريخ الأُمم حتى يقع نظرك على ذكر اعمال عظيمة واختراعات جليلة وتآليف طافحة بفرائد الفوائد لعظمآء اوربا فلا يبقى في وسع المنصف الا أَن يقرّ لهم بالفضل والتقدم . واذا كان هناك ما يستحق الاعتراض في ذاك المذهب فانما هو مغالاة الاوربيين في الاستهانة بالشرقيين وتشهير انحطاطهم والقول بان الارتقآء الى درجة الاوربي مستحيل عليهم . واني اذكر كما يذكر كثيرٌ من المطالعين ان معظم جرائد اوربا قامت تهزأ بالانكليز يومَ حالفوا اليابان وتقول ان أبنآء التاميز ادركهم الهلع لما رأوا انفسهم فيهِ من العزلة فالتفتوا يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً فلم يجدوا الاّ اولئك القزَم الصفر الشرقيين . وذلك ان الصيني والياباني والسيامي وسائر ذوي الجلدة الصفرآء كانوا يعدّون أنزل مقاماً واصغر نفوساً عند معظم الاوربيين

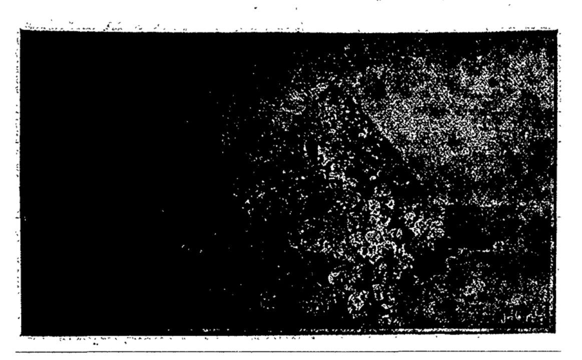
من سائر الشرقيين البيض . ولما وقف الامبراطور غليوم الثاني منذ بضع سنوات وقال « حذارِ من الخطر الاصفر » ضحك اكثر الكتاب ملء الاشداق وقالوا « ان جلالتهُ في اضغاث احلام »

اما اليوم فان اشدّ القوم مغالاةً في القول بانحطاط الشرقي قد بدّلوا من خطتهم ولطفوا من لهجتهم لان الحرب الروسية اليابانية اتتهم بما لم يكن في الحسبان ودلتهم على ان الشرق لا يستحيل عليهِ ان يُنبت عقولاً كبيرة ونفوساً عالية وعزائم تقرّض الرواسي . ولقد صدق منشئ الفيجارُو في قولهِ « اذا كان المؤرخون العصريون يريدون ان يجروا على سَنَن رصفائهم القدماء فمن الصواب ان يجعلوا معركة موكدن او معركة تسوشيما بداءة عصرٍ تاريخي جديد كما جعل الذين قبلهم فتح الآستانة سنة ١٤٥٣ فاتحة التاريخ الملقب بالحديث وخاتمة تاريخ القرون المتوسطة لان السيادة المطلقة التي نالتها اليابان في بحار الشرق الاقصى بل في ذلك الشرق كلهِ ستفضي الى نهضةٍ عامةٍ في ذلك الجزء الكبير من العالم فنرى عاجلاً او آجلاً اولئك الصينيين جنوداً بارعة تحت إمرة قواد يابانيين شهد لهم السيف مع العالم كلهِ واذا كان من المستحيل عليهم ان يتسلقوا اسوار بطرسبرج او باريس فقد سهل عليهم ان ينظروا الى الشرق الاقصى كلهِ نظرة السيد الاكبر » . اهـ . فحسبُ اليابان مجداً وشرفاً ما بلغوهُ بهذه النهضة الكبرى وعلى ذلك الحلم الذي حلمتهُ اوربا بتقسيم ذلك الشرق السلام

*
* *

وههنا يقف المتبصر هنيهةً والقلب كعصفورٍ في قفص حين يفكر

في تلك الاهوال التي ركبتها اليابان وخَطَتْ عليها لنيل ذاك المجد ومحو ذلك الحلم ولا نرى شيئاً ابلغ في العبرة من الصورة التي تراها هنا للمصور الروسي فرشنجين الذي غرق في بور ارثور



انظر الى هذا الهرم من الجماجم وقد كُشط جلدها وعُرق عظمها وصهرتها الشمس وسحتها الرياح وبرتها عناصر الطبيعة وحامت فوقها جوارح الفلا ونسور السمآء وهي كل ما بقي على اثر معركة شربت فيها الالوف كؤوس الحتوف . وحسبُ القارئ ان يتصور ان هذا المنظر الهائل قام مثلهُ في بور أرثور وفي لياويغ وفي موكدن ليتمثل لهُ ذلك الهول الجسيم

وأيُّ حربٍ في العالم اكتسب فيها المنتصر المجد والفخر ولم تكن فظيعة في ذاتها وان تكن شريفة في المبدأ الدافع اليها . اننا لا نلوم الامة التي تسفك دمآءها وتبذل ابنآءها وتنفق الاموال وتقتحم الاهوال للدفاع عن وطنها واستقلالها ولكن اللوم كلّ اللوم بل الجرم العظيم

الفظيع انما هو لملكٍ او سلطان يبذل الاموال والرجال ويُثكل النساء ويُيتم الابناء لكلمةٍ او نزوة طبع او طمعٍ في بقعةٍ من الارض في اواخر المعمور. ولقد طالعت احصاءً يدلّ دلالةً ناصعة واضحة على ما تفعلهُ مطامع الافراد في نفوس العباد يؤخذ منهُ ان نابوليون غزا روسيا في سنة ١٨١٢ بجيش يبلغ ٧٠٠ الف رجل فلم يرجع منهُ سوى ٣٣ الفاً كما يثبت التاريخ. وان انتصارات نابوليون افقدت فرنسا ثلاثة ملايين رجل وافقدت اوربا اربعة ملايين . وان حرب القرم ابتلعت ٨٠٠ الف رجل والتهمت معارك ايطاليا ٣٠٠ الف وابادت معارك روسيا والنمسا مثل هذا العدد واهلكت حرب فرنسا والمانيا في سنة سبعين ٨٠٠ الف وزهقت ارواح ٤٠٠ الف في الحرب الاخيرة بين الدولة العلية وروسيا وبلغت خسائر اوربا في حروبها الاستعمارية منذ فتح الهند الى فتح مدغسكر فقط ثلاثة ملايين نفس

فاذا اضفت ما تقدم الى سائر الخسائر التي لحقت باوربا في القرن التاسع عشر الملقب بعصر التمدن والفلاح بلغت لا اقلّ من خمسة عشر مليوناً من النفوس والله اعلم كم تبلغ خسائر الروس واليابان في حرب لم يذكر التاريخ مثلها . واليك الآن روايةً قصها المصوّر الروسي المتقدم الذكر قال « ذهبت الى بليفنا بعد محاصرتها مدة ثلاثة اشهر لارى اخي العزيز بين القتلى فبحثت طويلاً فما وقع نظري الاّ على جماجم كاشرة مشوَّهة الهيئات متقلّصة الجلود وهيا كل من العظام مغطّاة بقطع من الاسمال البالية وأيدٍ كأنها تشير الى السماء ولم أتمكن من معرفة اخي بين تلك الجثث المتراكمة فاغرورقت عيناي بالدموع وتصاعدت من صدري الزفرات » اهـ .

وكاني بهِ قد اتسع لديهِ نطاق الاخاء في ذلك الموقف الاليم حتى تساوى عندهُ جميع القتلى وذاك الاخ الذي نزل واياهُ من صلبٍ واحد

* * *

تلك هي اهوال الحرب وذاك هو ثمن الانقلاب العظيم الذي يتوقعهُ العالم بعد هبة الميكادو والله اعلم بما سيكون من بعدهِ من الامور الكبيرة والحوادث الخطيرة والله مقلّب الليل والنهار وفي يدهِ مقاليد الامور

الرسالة الشينية (*)

وهي التي كتب بها الامام ابو محمد القاسم بن عليّ بن محمد بن عثمان الحريري الى الشيخ الامام شمس الشعرآء ظلحة بن احمد النعماني رحمهما الله تعالى . قال

بارشاد المنشئ انشئ

شَعَفي[1] بالشيخ شمس الشعرآء رِيشَ[2] معاشُه وفَشا رِياشُهُ[3] وأَشرق شهابُه واعشوشب شِعابُه[4] يشا كل شَعَف المنتشي بالنُشوة[5] والمرتشي بالرُشوة والشادن بشرخ الشباب[6] والعطشان بشَبِم[7] الشراب وشكري

(*) راجع الجزء السادس عشر صفحة ٤٩١ وما يليها ١ بمعنى شغفي بالمعجمة وهو فرط الحب ٢ مجهول راشهُ اي اصلح حالهُ واعانهُ على معاشهِ ٣ فشا اي كثر وانتشر والرياش الخصب والمعاش والمال والاثاث ٤ يقال اعشوشبت الارض اذا انبتت العشب . والشعاب جمع شعب بالكسر والمراد به هنا الناحية والفناء ٥ المنتشي السكران والنشوة الاسم منهُ والحرف متعلق بشعف . وسائر المجرورات بعدهُ معطوفة عليه ٦ الشادن الصغير الذي قد قوي وترعرع واكثر ما يستعمل في اولاد الظبآء . وشرخ الشباب اولهُ ٧ بارد

لتجشُّمهِ[١] ومَشَقّتِه وشواهد شَفَقتِه يُشاكهُ شكر الناشد للمُنشِد[٢]
والمسترشد للمُرشِد والمستبشر للمُبشِّر والمستجيش للجيش المشمِّر[٣]
وشِعاري[٤] إنشاد شعره وإشجآء الكاشح والمكاشر بنشره[٥] وشغلي
إشاعة وشائعه[٦] وتشييد شوافعه[٧] والإشادة بشذوره وشنوفِهِ[٨]
والمَشُورة بتشفيعهِ وتشريفه[٩] وأشهد شهادة المشنِّع المُكاشف[١٠]
والمقشِّر الكاشف[١١] لإنشاؤهُ يُدهش الشائب والناشي[١٢] ويلاشي

---

١ تكلفه ٢ يشاكه اي يشاكل و يشابه ولعله منحوت منهما . والناشد الذي ينشد الضالة اي يطلبها و يسترشد عنها ٠ والمنشد الذي يدل عليها ٣ المستجيش الذي يطلب الجيش ويجمعهُ والمشمر الذي يخف للامر ٤ اي سمتي التي اتسم بها ٥ اشجآء من الشجا وهو الغصة والكاشح الذي يضمر العداوة والمكاشر الذي يبديها والضمير من نشره للشعر ٦ جمع وشيعة وهي في الاصل قصبة يُلفّ عليها الغزل من الوان شتى من الوشي وغيرهِ يعني نشر ما طرزتهُ اقلامهُ من فنون البلاغة ٧ التشييد الرفع وشوافعهِ من قولهم شفعت الشيء اذا صيرتهُ شفعاً اي زوجاً وكانهُ يريد بها وشائع اخرى انضمت الى الوشائع الاولى فشفعتها ٨ الاشادة رفع الصوت ٠ والشذور فرائد تصاغ من الذهب يفصَّل بها اللؤلؤ ٠ والشنوف جمع شنف وهو كالقرط يعلق في اعلى الاذن والمراد بها جواهر كلامهِ ٩ التشفيع قبول الشفاعة وكأن المعنى انهُ يشير على الكبرآء والرؤسآء بانفاذ كلمتهِ واعلآء قدره ١٠ المشنّع المقبّح والمكاشف المجاهر بالعداوة كانهُ يقول انهُ يشهد بما يأتي شهادة من دأبهُ التشنيع على الناس ومكاشفتهم بالعداوة لا شهادة محابٍ او محبّ ١١ كذا ولعلهُ يريد من يكشف عن عيوب الناس واستعار المقشر من تقشير الشجرة ونحوها وهو ازالة قشرها حتى ينكشف ما استتر منها ١٢ الحديث السنّ واراد بالشائب الاشيب

شعر الناشي[١] ولمُشاهدتهُ كاشتيار الشُّهد[٢] ولمُشافهتهُ تباشير الرُّشد[٣]
ولمشاحنتهُ[٤] تُشقي المُشاحن ولمشاجرتهُ تُفشي المَشاين[٥] ولمشاغبتهُ
تشظّي الأشطان[٦] وتُشيطُ[٧] الشيطان فشرَفاً للشيخ شَرَفا وشَغَفاً
بشِنشِنتهِ[٨] شَغَفا

فاشعارهُ مشهورةٌ ومَشاعرهُ[٩] وعِشرتهُ مشكورةٌ وعشائرهُ
شأَى[١٠] الشعرآءَ المشمعلّينَ[١١] شعرهُ فشانيهِ مشجوُّ الحشا ومُشاعرهُ[١٢]
وشوَّهَ ترقيشَ المرقّش رَقشهُ[١٣] فأَشياعهُ[١٤] يشكونهُ ومَعاشرهُ
وشاق الشبابَ الشُّمَّ والشِيبَ وَشيهُ فمنشورهُ بُشرَى المشوق وناشرهُ[١٥]
شمائلهُ معشوقةٌ كشَمُولهِ وشرّيبهُ مستبشرٌ ومُعاشرهُ[١٦]

---

١ هو ابو الحسين الناشي كان من شعرآء سيف الدولة ٢ استخراجهُ
من الخلية والشهد يفتح ويضم ٣ من تباشير الصبح وهي اوائلهُ ٤ معاداتهُ
٥ اي تظهر العيوب ٦ المشاغبة المشارّة وشظى العود وغيرهُ شققهُ وفرّقهُ
قطعاً والاشطان الحبال ٧ تحرق ٨ طبيعتهِ وخلقهِ ٩ اقرب ما
تفسر بهِ انها من مشاعر الحج وهي مناسكهُ واعمالهُ ١٠ سبق ١١ المتفرقين
١٢ شانيهِ مبغضهُ واصلهُ شانئهُ بالهمز فليّنهُ للضرورة ومشجوٌّ محزون ومُشاعره
يريد مغالبهُ في الشعر ١٣ الرقش والترقيش النقش يريد بهِ تحبير الكلام . والمرقش
اسم شاعر وهما مرقشان الاكبر والاصغر ١٤ اتباعهُ والهآء في اشياعهُ للمرقش
وفي يشكونهُ للممدوح ١٥ وشيهُ اي كلامهُ المحبر مأخوذ من وشي الثوب وهو
نقشهُ وتزيينهُ وقولهُ منشورهُ الضمير للوشي وكذلك ناشره ١٦ شمائلهُ سجاياهُ
وشمولهُ خمرهُ . وقولهُ وشرّيبهُ اراد وشَرِيبهُ بتخفيف الرآء على معنى مشاركهُ في
الشرب فشددهُ للضرورة

شَكورٌ ومشكورٌ وحشو مُشاشهِ شهامة شمّيرٍ يطيش مُشاجرُه[1]
شقاشقهُ مخشيّةٌ وشباتهُ شبا مشرفيٍّ جاش للشرّ شاهرُه[2]
شفى بالاناشيد النشاوى وشفّهم فمَشْفيهِ مستشفٍ وشاكيهِ شاكرُه[3]
ويشدو فيهتشُّ الشحيح لشدوهِ ويَشْغفهُ انشادُهُ فيشاطرُه[4]
تجشّم غشياني فشرّد وحشتي وبشّر مَمشاهُ ببشرٍ اباشرُه[5]
سانشدهُ شعراً تشرّقُ شمسهُ واشكرهُ شكراً تشيع بشائرُه

واُشهِد شاهد الاشياء ومشبع الاحشاء لَيُشعلَنَّ شواظ أَشواقي شحطهُ[7] وليشعثَنّ شمل نشاطي نَشطهُ[8] فناشدتُ الشيخ أَايشعر باستيحاشي لشسوعه[9] وإجهاشي[10] لتشييعه ووشايتي بنشيده المَوْشيّ[11] وتشكّلي[12] شخصَهُ بالاشراق والعشيّ وحاشاهُ حاشاه

١ المشاش رؤوس العظام التي تمضغ . والشمّير الماضي في الامور ٢ـ الشقاشق جمع شقشقة بالكسر وهي كالجراب يدليهِ البعير الهائج من شدقه يهدر فيه يريد عارضتهُ في الفصاحة . والشباة حد السيف وهي مبتدا خبرهُ شبا واراد ان يقول شباة مشرفيّ اي سيفٍ يمانٍ فحذف التآء للوزن ٣ النشاوى السكارى وشفهم انحلهم . وقوله فمشفيهِ اراد مشفيُّهُ بتشديد اليآء اسم مفعول من شفى فخفف اليآء للضرورة . ومستشف اي طالب الشفآء ٤ الهآء من يشغفهُ للشحيح ومن انشادهُ ويشاطره للممدوح اي ان الشحيح يُشغف بحسن انشادهِ فيهش للبذل ويشاطر الممدوح مالهُ ٥ تجشم تكلف وغشياني اي زيارتي وممشاهُ مصدر ميمي اي مشيتهُ اليّ ٦ لهب ٧ بُعده ٨ التشعيث التفريق ونشطهُ اي رحيلهُ ٩ بُعدهِ ١٠ اي بكآئي ١١ قوله وشايتي كذا في الاصل ولا معنى لهذه اللفظة هنا . والموشيّ المزخرف ١٢ اي تمثلي

تعشيهِ شُبَهُهُ وتغشاه[١] فايستشن شرح شجوني لشطونه[٢] وليرشحني لمشاركة شجونه وليشغلني بتمشية شؤونهِ ليشتدّ جاشي[٣] ويشارف انكماشي[٤] عاش منتعش الحُشاشة[٥] مستشري[٦] البشاشة مشحوذ الشفار منتشر الشرار شتّاماً للاشرار شحّاذاً بالاشعار[٧] يسترشح[٨] ويحوش ويقنفش المنقوش[٩] بمشيئة الشديد البطش الشامخ العرش وتشريفهِ لبشير البَشَر وشفيع المحشر . انتهى

مطالعات

اكتشاف قمر جديد — اكتشف المسيو پيكرين قمراً عاشراً لزُحل وقد قدَّر انهُ يتمّ دورتهُ حول السيار في مدة ٢١ يوماً

صنف جديد من التفاح — روت بعض المجلات العلمية الفرنسوية ان احد علماء الزراعة من الاميركان المسمى جون سبنسر بالكولورادو وُفّق الى استنبات صنفٍ جديد من التفاح خالٍ من النوى . ولا عجب في ذلك فما زالت اميركا امّ الغرائب

---

١ تعشيهِ من العشا وهو سوء البصر واراد ان تعشيهُ فحذف . وشُبَهُهُ اي شكوكهُ ٢ انتزاحه ٣ اي قلبي ٤ شارف الامر اطلع عليه والانكماش السرعة والمضاء اي ويرى اسراعي في قضاء حوائجه ٥ الروح ٦ من استشراء البرق وهو تتابع لمعانه ٧ الاظهر انهُ يروم بهذا مفاكهة المكتوب اليه يشير الى شيء سبق منهُ ٨ اي يطلب ان يُرشح لهُ بالعطاء ٩ يقنفش يجمع والمنقوش الدينار

اسئلة واجوبتها

طرابلس الشام — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) هل يُلفَظ بالضمة والكسرة لفظاً واحداً في جميع مواقعهما اي يُلفَظ بهما في مثل لم يقتُلْ ولم يضرِبْ كما يُلفَظ بهما في نحو لم يقتُلْهُ ولم يضرِبْهُ ام يُمالان في مثل الموقعين الاولين الى الفتح كما يُلفَظ بهما اليوم في اكثر البلاد العربية

(٢) اذا كانت الحركات لا يُلفظ بها لفظاً واحداً في كل المواقع فلماذا حُرِمت العربية رسم الحركتين اللتين نجدهما في اختيها السريانية والعبرية اعني بهما الضمة الممالة والكسرة الممالة ثم كيف نصنع اذا لزمتنا هاتان الحركتان أو غيرها مما لا وجود له عندنا لضبط الاسماء الاعجمية

(٣) من وضع رسم الحركات العربية القس بطرس الحويري

من اساتذة مدرسة الفرنسيسكان

الجواب — اما لفظ الضمة والكسرة فهو واحد في جميع مواقعهما اذ ليس عندنا حركة ممالة ما خلا الفتحة في لغة بعض العرب كبني تميم ومن جاورهم من اهل نجد فانهم كانوا يميلون بها الى الكسرة في بعض مواقعها مما لا محل لبسطهِ هنا . ولم يضعوا لهذه الامالة رسماً مخصوصاً يقرنونهُ بهجاء الكلمة لانها اختيارية فبالأحرى ان لا يضعوا علامات لسواها مما ليس في لسانهم . واما ضبط الاسماء الاعجمية مما اضطرتنا اليهِ الحاجة في هذه الايام ومما لا بدَّ من تصويرهِ طبق اصلهِ على ما نبه عليهِ ابن خلدون

في مقدّمته فهو مما شعرنا بلزومه منذ حين و وضعنا لكل واحدةٍ من الحركات التي لا وجود لها عندنا رسماً يدلّ عليها كما وضعنا لبعض الحروف التي ليست من مقاطع حروفنا ولم يسبق وضع صورةٍ لها وسردنا كل ذلك مع بيان وجهه في فصل التعريب في مجلد السنة الثانية [١] . وهذه صورة العلامات التي وضعناها هناك

للضمة الممالة الى الفتح	(o)	هذه العلامة	(ـُ)	وهي مركبة من	ضمة وفتحة
« «	« الكسر (u)	«	(ـٌ)	« «	ضمة وكسرة
للكسرة «	« الفتح (e)	«	(×)	« «	كسرة وفتحة
للحركة التي بين الحركات الثلاث	(eu)	«	(ـُ)	« «	ضمة وفتحة وكسرة

غير انا نأسف اننا الى الآن لم نرَ في اصحاب الكتب والجرائد العربية من جرى على هذا الاصطلاح لان معظمهم لم يتعودوا توخي الدقة في الاعمال فضلاً عن ان اكثر مطابعنا لا حركات فيها على الاطلاق . ولذلك قلما تجد في قرّاء الجرائد والكتب المعرّبة من يقيم لفظ اسمٍ من الاسماء الاعجمية حتى ان بعض مشاهير الشعراء عندنا كان ينوي ان ينظم شيئاً في الحرب الحالية فعدل عن ذلك لالتباس ضبط الاسماء عليه وخوفه ان تأتي محرّفة في النظم وقد نشر ذلك في رسالةٍ بعث بها الى الجرائد واقترح على اربابها النظر في وجهٍ يُسدّ به هذا الخلل فلم يصادف نداؤهُ اذناً واعية . . .

واما الذي وضع رسم الحركات العربية والكلام على كيفية وضعها فتجدون ذلك مفصلاً في مجلد السنة الثالثة صفحة ٦٩ وما يليها

---

(١) راجع الجزء السابع عشر من المجلد المذكور ص ٥١٣ وما يليها

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ٩ —

التلامذة الثلاثة

استدعتني ورفيقي شرلوك الاشغال المتراكمة في سنة ١٨٩٥ الى ان ننقطع مدةً عن لندن ونقيم بضعة اسابيع ببلدة فيها مدرسة من المدارس العالية المشهورة. وفي تلك المدة حصل الحادث الذي اكتبهُ الآن وهو وان لم يكن كغيره في الغرابة فانهُ لا يقل عن سواهُ في اظهار ما لشرلوك من حدة الذهن وتوقد الفكر. ويعذرني القارئ اذا لم اذكر اسم المدرسة بنفسهِ واسماء الاشخاص الذين يتعلق هذا الحادث بهم فان في ذلك ما يعيد ذكرى اليمة وربما سبب شرًّا نحن في غنى عنهُ وفضلاً عن ذلك فالفائدة في تفصيل الحادث لا في معرفة الاسماء

وكنا قد استأجرنا منزلاً بالقرب من مكتبة عمومية كان يختلف اليها شرلوك يوميًّا للاطلاع على الاوراق القديمة ولا سيما ما يختص منها بقرارات الحكومة وامتيازاتها وذلك لتعلقها بامرٍ ربما ادوّنهُ في المستقبل. وفي ذات مساء دخل علينا استاذ من كلية القديس لوقا يدعى هِلتن سومس وهو في منتصف العمر طويل القامة رقيق الجسم وكنا نعرفهُ من قبل ونعرف انهُ عصبيّ المزاج فهو دائم القلق كثير الحركة ولذلك استغربنا دخولهُ حين قدم بسكون ورزانة فعلمنا ان لديهِ امرًا في غاية الاهمية. وبعد ان جلس قال اسمح لي ايها العزيز شرلوك ان اسألك بضع ساعات من وقتك الثمين فقد حدث في مدرستنا الكلية حادث عظيم الاهمية وقد

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ساعدتني التقادير بوجودك هنا لاستشيرك في الامر • فقال شرلوك انني لسوء الحظ في شغل شاغل ايها الصديق و يستحيل عليَّ اجابة طلبك فهلاّ استعنت برجال الشحنة • فقال كلا ايها العزيز ان ذلك لا يمكن لانك متى سلّمت الامر الى الحكومة لا يعود في امكانك حصرهُ في حدّ معلوم والحادث الذي الجأني اليك اذا فشا امرهُ يضرّ بسمعة المدرسة فلا استطيع ان اعتمد على شخص غيرك قد جمع بين المهارة وكتمان السر فاتوسل اليك ان لا تخيب سؤالي • وقبل ان يتمكن شرلوك من الرفض والاعتذار قاطعهُ الاستاذ بسرد القصة فقال ان غداً موعد امتحان تلامذة الفرقة العليا وانا واحد من لجنة الامتحان وقد خصصوا لي اللغة اليونانية • وفي اول اللائحة مقالة بتلك اللغة يجب ان يترجمها التلامذة وهم يجهلون موضوعها تماماً غير انها مطبوعة في اوراق الامتحان وقد اتخذنا اعظم الوسائط وشددنا الحرص والانتباه لحفظ تلك الاوراق محجوبة عن عيون الجميع لانهُ اذا اطلع عليها التلامذة ودرسوها قبل موعد الامتحان فسد العمل • وحدث انهُ في هذا اليوم عند الساعة الثالثة ارسلت لنا المطبعة اوراق الطبع لتصحيحها واعادتها فاخذتها الى غرفتي وانفردت لقراءتها وكنت مدعوًّا لتناول الشاي في الساعة الخامسة عند صديق لي فتركت الاوراق على مائدتي وخرجت على ان اعود الى اتمام مطالعتها بعد رجوعي وغبت لا اقل من ساعة

فلما عدت واقتربت من الباب استغربت وجود المفتاح فيهِ وظننت اني تركتهُ سهواً حين خرجت فلما وضعت يدي في جيبي وجدت مفتاحي معي • وكنت أعلم ان لغرفتي مفتاحين لا يوجد نظيرهما الواحد معي والآخر يوجد دائماً مع خادمي بانيستر وهو رجل قضى في خدمتي عشر سنوات كان فيها مثال الامانة والاستقامة ولدى الفحص علمت انهُ هو دخل غرفتي بعد خروجي منها ببضع دقائق ليسألني هل اريد ان يأتيني بالشاي ولما لم يجدني خرج فنسي المفتاح في الباب • واتفق انهُ نسيهُ قبل ذلك الحين مراراً فلم يهمني ذلك قط اما في هذه المرة فقد سبب نسيانهُ مشكلاً عظيماً لانني حالما دخلت القيت نظري على مائدتي حيث كانت مقالة

الامتحان وهي من ثلاث صحائف تركتها كما ذكرت بعض فوق بعضها فوجدت الصحيفة الاولى ملقاة على الارض والثانية على مائدة اخرى بقرب النافذة اما الثالثة فكانت لا تزال حيث تركتها فتيقنت ان شخصاً دخل غرفتي وبحث في الاوراق

وكان شرلوك لا يزال صامتاً وكانهُ يسمع الحديث بالرغم منهُ فلما بلغ الاستاذ الى هنا تململ شرلوك في كرسيهِ واشرأب فبانت عليهِ دلائل الاهتمام وقال كيف كيف .. الاولى على الارض والثانية قرب النافذة والثالثة حيث تركتها • فقال الرجل نعم وسرَّهُ انتباه شرلوك فعاد الى اتمام الحديث فقال • خُيّل لي لاول وهلة ان خادمي بانيستر دفعهُ الفضول الى الاطلاع على اوراقي ولكن لما سألتهُ انكر انكاراً شديداً مما لم يبقِ لي اقل ريب في كونهِ صادقاً فخطر لي ان شخصاً آخر مرَّ امام غرفتي فوجد المفتاح في الباب وعلم انني غائب فدخل وفحص الاوراق • ولا اكتمكم ان الاطلاع على هذه الاوراق يساوي مبلغاً عظيماً من المال لان هذا الامتحان النهائي وعليهِ تتوقف شهرة التلميذ ومستقبلهُ ومن الموكد ان التلامذة يدفعون المبالغ الطائلة للحصول على هذه الاوراق ليجتازوا الامتحان • اما خادمي بانيستر فشق عليهِ جدًّا ان اظن بهِ السوء وزاد تأثرهُ حتى اغمي عليهِ فجرعتهُ قليلاً من البرندي وطفت في الغرفة افحصها فوجدت للحال ان الشخص الذي دخل غرفتي قد ترك فيها آثاراً اخرى تدل على دخولهِ غير ما علمتهُ من امر الاوراق لانني وجدت على المائدة الصغرى قطعة صغيرة من رصاصة قلم وقطعاً اخرى من خشب القلم مما دلني على ان الفاعل كان ينسخ تلك الاوراق بعجلةٍ كلية فانكسر القلم واضطرَّ ان يصلحهُ بسرعة • ثم ان مائدتي مغشاة بجلد احمر جميل وكان من همي وهم خادمي الاعتناء بهِ وتنظيفهُ فوجدتهُ مشقوقاً بسكين نحو ثلاثة قراريط وبالقرب من الشق كتلة سوداء كالوحل وعليها آثار نشارة خشب فعلمت ان كل ذلك من مخلفات ذلك الزائر الدنيء ولكن لم اجد آثار اقدام ولا ما يدل على شيء آخر فطار رشدي لهذا الامر ولكن سُرّي عني لما تذكرت وجودك هنا واسرعت اطلب منك المساعدة لانني في مركز حرج فاما ان اجد الفاعل او اضطرّ ان اؤخر

الامتحان لعمل مقالة اخرى واذا اخرتهُ يلزمني ان اذكر السبب وهو امرٌ اذا عُرف كان ضبابةً سوداء تغطي اسم المدرسة وتشين شهرتها . وقد اعلمتك خطورة الامر وليست ارى من التجئ اليهِ سواكَ وأودّ قضاء الامر بغاية السرعة مع الكتمان

وكان شرلوك قد نهض عن كرسيهِ واخذ يرتدي سترتهُ فقال يظهر ان الامر لا يخلو من الاهمية فسأذهب معكَ واساعدك جهدي . ولكن قل لي هل دخل عليك احد قبل خروجك لتناول الشاي . فقال الاستاذ نعم دخل عليَّ تلميذ يدعى دولات راس وهو هندي الاصل ليسألني عن شيء يتعلق بالامتحان وهو من جملة الممتحنين . فقال شرلوك وهل كانت الاوراق على مائدتك . قال نعم ولكن غير مفتوحة . قال وهل يعرف احد بوجود هذه الاوراق عندك . قال لا سوى صاحب المطبعة . فقال شرلوك واين خادمك الآن . قال تركتهُ ملقىً على كرسي في غرفتي وجئتك بغاية السرعة . فقال شرلوك يظهر اذاً انهُ اذا لم يكن التلميذ الهندي قد عرف بالاوراق فلا بد ان الفاعل دخل على غير قصد فعثر على الاوراق اتفاقاً ولكن على كل حال لا بد من ذهابي فهيا بنا يا وطسن . وكنت انتظر دعوتهُ لارافقهُ

فخرجنا يقودنا الاستاذ سومس و بلغنا المدرسة فاجتزنا حديقة ثم باباً متصلاً بسلم حجري فرواقاً فيهِ غرفة الاستاذ في الطبقة الاولى . وعلمنا ان فوق غرفتهِ ثلاث طبقات في كل منها غرفة لتلميذ من المرشحين للامتحان . وكان لغرفة الاستاذ نافذة تطل على الرواق فاسرع شرلوك الى النافذة ففحصها بتدقيق ثم رفع قامتهُ لينظر الى الداخل ثم تبسم وسار امامنا الى الباب ففتحهُ الاستاذ . ولما دخلنا بدأ شرلوك بفحص البساط فلم يجد عليهِ شيئاً من الادلة ثم قال للاستاذ يظهر ان خادمك قد تعافى فترك الغرفة ولكن اين كان جالساً . قال على ذلك الكرسي بقرب النافذة . فاقترب شرلوك من المائدة الصغيرة و بعد ان تأمل فيها قليلاً قال ان الامر واضح فالفاعل كان يأخذ الاوراق الواحدة بعد الاخرى فيأتي بها الى هذه المائدة لينسخها و يراقب مجيئك من النافذة . ثم اخذ شرلوك الاوراق الثلاث فلم يرَ فيها ما يدل على اثر اصابع . فقال لننظر كم من الوقت بقي الفاعل في هذه الغرفة ثم

قدّر الوقت اللازم لنسخ الورقة فقال انهُ لا يمكن ان تكتب في اقل من ربع ساعة ويظهر انهُ نسخ الاولى ونصف الثانية ثم سمع وقع اقدامك فهرب بمنتهى السرعة . ودليل سرعتهِ انهُ لم يتمكن من ردّ الاوراق الى مكانها ليخفي الامر وقد كان يكتب بكل قوتهِ بدليل انكسار القلم في يدهِ كما لاحظت حتى اضطرّ ان يبريهُ ثانيةً . وبعد ان دقق قليلاً في القطع الخشبية قال يظهر ان القلم ليس من الاقلام العادية فهو اطول ورصاصهُ ألين وخشبهُ مصبوغ بلون ازرق مشرب واسم صانعهِ مطبوع بلون الفضة على الخارج . ويظهر ان القطعة الباقية منهُ لا تزيد عن قيراط ونصف والسكين التي براهُ بها عريضة النصل حادة . فاذا بحثت ايها الاستاذ عن التلميذ الذي تجد معهُ قلماً وسكيناً يطابقان هذا الوصف فانك تفوز بالمطلوب . فقال الاستاذ ان وصفك سهل يا عزيزي شرلوك ولكن كيف عرفت ان القلم لا يزيد طولهُ عن قيراط ونصف . فقال شرلوك ان الامر في غاية الوضوح فانني وجدت هذه القطعة الخشبية من البراية وعليها حرفا NN ولا يخفى ان هذا اسم صانع الاقلام الرصاصية الشهير JOHANN FABER والعادة ان يطبع الاسم على مسافة قيراطين من رأس القلم . والآن فقد بقي علينا ان نفحص المائدة الكبيرة ثم تقدم الى مكتب الاستاذ فرأى كتلة الطين وكانت هرمية الشكل وعليها اثر النشارة ثم رأى الشق في الجلد . وكان لتلك الغرفة باب آخر فسأل شرلوك الاستاذ الى اين يوصل هذا الباب فقال الى غرفة نومي . قال وهل دخلت الغرفة بعد عودتك . قال لا فاني لم افارق هذه الغرفة الا للذهاب اليك . فاظهر شرلوك علامة الارتياح ودخل الغرفة فوجد على جانب منها ستارة كان يعلق الاستاذ ثيابهُ وراءها ففحصها ثم عاد الى ارض الغرفة فوجد كتلة طين هرمية الشكل كالتي على مائدة الاستاذ فاخذها بيدهِ وقال هذا ما كنت اظنهُ فان الزائر غير الكريم لم يكتفِ بالدخول الى غرفة الاستاذ فدخل الى غرفة النوم ايضاً واري انهُ لما دخلت غرفتك على غير انتظار خاف الفضيحة فدخل غرفة النوم واختفى وراء هذه الستارة الى ان خرجت . فقال الاستاذ ماذا تقول .. وهل يمكن ان يكون قد بقي مسجوناً هنا كل المدة التي

قضيتها مع خادمي في البحث والسؤال وقد كان في قبضتنا فلم نلق عليهِ يداً . فتبسم شرلوك وقال هذا ما يترآءى لي ولكن لنتبع الغاية فقد قلت لي ان فوق غرفتك غرف ثلاثة تلامذة طريقهم امام باب غرفتك وجميعهم مرشحون للامتحان فهل لديك ما توجههُ من التهمة الى احدهم • فقال الاستاذ يصعب اتهام شخص بدون براهين ولكنني اصف لك هؤلآء التلامذة وما اعلمهُ من طباعهم • فالاول وهو الذي فوق غرفتي واسمهُ جلكريست يمتاز في قوة الجسم والالعاب الرياضية وهو حاد الذهن سريع الحركة ذكي الى الغاية لا اشك في انهُ ينجح • والثاني وهو دولات راس الهندي رزين عاقل هادئ شديد الانتباه الى دروسهِ فهو متقدم فيها جميعها الا اليونانية . والثالث ويسمى مكارين شديد الذكآء وهو اعقل التلامذة باسرهم اذا شآء ولكنهُ بالاجمال طائش لا تُعرف لهُ وجهة وليس لهُ رادع وهو قليل الانتباه الى دروسهِ حتى كدنا نطردهُ في سنتهِ الاولى ولا اشك انهُ لا يحلم بالفوز في الامتحان . فقال شرلوك حسن فاحبُّ الآن ان تنادي خادمك بانيستر فان لي حديثاً معهُ • فاستدعى الاستاذ الخادم وهو قصير القامة حليق الوجه اجعد الشعر

قد قارب الخمسين من عمرهِ وكان لا يزال التأثر بادياً على وجههِ المصفرّ وهو يرتجف فطمأنهُ الاستاذ قائلاً انا نبحث عن مسألة الاوراق يا بانيستر فأجب المستر شرلوك عما يلقيهِ عليك . وبادرهُ شرلوك بالكلام فقال أليس من الاهمال يا هذا ان تترك المفتاح في الباب مع وجود الاوراق المهمة في الغرفة والآن فقل لي متى دخلت الغرفة • فقال الخادم اما تركي المفتاح يا سيدي فقد سبق لي ان ابقيهُ في الباب فلم يحصل قط ما حصل اليوم واما دخولي الى الغرفة ففي منتصف الساعة الخامسة وهو موعد الشاي فلما لم اجد الاستاذ خرجت لفوري ولم انظر الى الاوراق قط وكانت ادوات الشاي في يدي فلم اقفل الباب وكنت انوي الرجوع اليهِ فنسيت • فقال شرلوك قد علمت انهُ لما ناداك الاستاذ اضطربت جدًّا • قال نعم واغمي عليَّ لشدة ما اخذني من الغمّ لانهُ لم يسبق حصول مثل هذا الامر قط • فقال شرلوك واين كنت واقفاً عندما ابتدأ يُغمى عليك • قال كنت هنا قرب الباب . فقال شرلوك

ان في الامر غرابةً فانهُ ابتدأ يغمى عليك هنا قرب الباب وملت طبعاً الى الجلوس فتركت الكراسي الموجودة بالقرب منك وسرت الى طرف الغرفة فجلست قرب النافذة . فقال لم اكن اعلم ما انا فاعل فلما ملكت روعي وكان قد خرج الاستاذ خرجت ايضاً فاقفلت الباب وذهبت الى غرفتي . فقال لهُ شرلوك وهل قابلت بعد ذلك احداً من التلامذة الثلاثة او كلمتهُ في شأن الاوراق . قال كلا لم ارَ احداً منهم قط . فقال شرلوك حسن فانصرف الآن . ولما خرج الخادم قال شرلوك هلموا بنا الى الخارج فقد انتهى عملنا هنا . وكان قد خيم الظلام فالقى نظرهُ الى غرف التلامذة الثلاثة فوجد في جميعها نوراً فقال يظهر ان الطيور في اقفاصها ويلوح لي ان الهندي قلق فان خيالهُ يذهب ويجيء في الغرفة واني لأودّ ان ازور هؤلاء التلامذة في غرفهم فهل ذلك ممكن . فقال الاستاذ لا اسهل من ذلك لان هذه الغرف قديمة العهد وفيها بعض الآثار وقد اعتاد الزوار ان يدخلوها للتفرُّج . فقال شرلوك هيا بنا اذاً واياك ان تذكر اسماءنا امام تلاميذك . وبلغنا الغرفة الاولى فدخلناها فاستقبلنا فيها جلكريست ورأى شرلوك في الغرفة قطعة من البناء القديم المنقوش فاخذ دفترهُ من جيبهِ وتظاهر برسمها وبعد ان رسم نصفها كسر قلمهُ الرصاصي فطلب من جلكريست قلماً لاكمال الرسم ثم طلب سكينةً ليبري قلمهُ . ولما فرغ من عملهِ شكرنا مضيفنا وخرجنا الى الغرفة الثانية وفيها الهندي ففعل شرلوك مثل ما فعلهُ في الغرفة الاولى فلم ارَ انهُ اكتشف شيئاً سوى ان التلميذ الهندي كان ينظر الينا بعين المستفهم القلق البال . ثم قصدنا الغرفة الثالثة فقرعنا بابها وانتظرنا واذا بالتلميذ قد اندفع بالشتم والكلام القبيح وهو يقول انني لا افتح لاحد ايًّا كان فغداً الامتحان ولست املك من الوقت ما يمكنني اضاعتهُ . فاحمرّ وجه الاستاذ لسوء سلوك تلميذهِ وقال انهُ لم يعلم من الطارق والا لما فعل هكذا . فقال شرلوك لا بأس ولكن هل يمكنك ان تقول لي كم يبلغ طول هذا التلميذ . فقال الاستاذ لا اعرف طولهُ تماماً غير انهُ اطول من الهندي واقصر من جلكريست فهو على التقريب خمس اقدام ونصف . فقال شرلوك حسنٌ وقد وقفت الآن على كل ما ارومهُ

فاستودعك الله . ولما قال هذا هم بالخروج فظهرت علامات الاستغراب على وجه الاستاذ فامسك بهِ وقال الى اين تذهب ايها العزيز وكيف تتركني ألم اقل لك ان الامتحان غداً وانهُ لا يمكن اتمامهُ اذا لم اعرف الشخص الذي رأى الاوراق . فقال شرلوك امضِ على ما بدأت بهِ ولا تغير شيئاً مما عزمت ان تفعل وسأجيء اليك صباحاً ويغلب على ظني ان اتمكن حينئذٍ من افادتك بشيء فلا تخف . ولما قال ذلك اخذ كتلتي الطين وبراية القلم وخرجنا . وكنت اناجي نفسي لاعلم ما الادلة التي يتمسك بها شرلوك واذا بهِ يقول انني اعجب من دخول الخادم بانيستر في هذا الامر فاي غايةٍ لهُ يا ترى . وبلغنا مخزن احد الورّاقين فقال شرلوك لندخل هذا المخزن لعلنا نرى فيهِ شيئاً يهمنا وكان في البلدة اربعة مخازن من هذا النوع فطفنا عليها وطلب شرلوك ان يبتاع قلماً كالذي استعملهُ التلميذ مستدلاً بالبراية التي بيدهِ فلم ننجح . فعدنا الى غرفتنا وتناولنا طعام المسآء ثمَّ تفرقنا الى اسرّتنا ولم يذكر شرلوك شيئاً الى الصباح حين ايقظني في الساعة السادسة قائلاً قم يا وطسن فان الاستاذ سومس ينتظرنا على احرّ من الجمر . فقلت وهل قررت نتيجةً تسرّهُ بها . قال انني منذ ساعتين ابحث وقد وجدت هذه ثم اراني ثلاث كتل طين هرمية الشكل . فقلت لهُ انهما كانتا اثنتين امس . قال نعم وبما اني وجدت الثالثة اليوم فيجب ان يكون لها علاقة بالاثنتين السابقتين فتعال في الحال

وكان شرلوك يلح عليَّ بالاسراع فخرجنا قبل تناول الطعام وبلغنا المدرسة فرأينا الاستاذ مضطرباً قلقاً لان موعد الامتحان قد قرب وهو بين اذاعة الامر وابطال الامتحان او السكوت عنهُ واعطآء الجاني فرصة الانتفاع بجنايتهِ من غير حق . فلما رآنا مقبلين اسرع لاستقبالنا واخذ بيد شرلوك قائلاً اشكر الله على مجيئك فقد كدت اعدم رشادي ولكن قد قرب موعد الامتحان فهل انت باقٍ على ما اشرت بهِ من اتمامهِ . قال شرلوك نعم فلا بدَّ من ذلك ولكن يجب ان نمثل مجلساً عسكريّاً قبل ذلك . ثم اجلس الاستاذ على كرسي واشار اليَّ ان آخذ الآخر وجلس هو في الوسط وقال لا شك ان هيئتنا الآن ترعب الجاني اذا دخل علينا . ثم قرع

جرساً فدخل الخادم بانيستر ولما رآنا اضطرب فامرهُ شرلوك ان يقفل الباب ثم سألهُ ان يقول الحقيقة عن حادثة امس . فقال قد قلت كل شيء يا مولاي . فقال شرلوك وحين اغمي عليك وذهبت الى الكرسي الذي بجانب النافذة ألم يكن قصدك اخفاء شيء او اثر يدلنا على الفاعل . قال لا . فقال شرلوك عجباً كنت اظن انك فعلت ذلك وانك حالما خرج الاستاذ نهضت فاطلقت سراح الرجل الذي كان مختفياً في الغرفة . فارتعدت فرائص الخادم وصبغ وجههُ بلون البهار ثم قال كلا يا سيدي فلم يكن في الغرفة احد . فهزّ شرلوك رأسهُ وقال يظهر انك لا تريد افادتنا فلا بأس فقف هنا بجانب باب غرفة النوم . ثم التفت الى الاستاذ وقال لهُ تكرم بان تدعو التلميذ الاول جلكريست . فغاب الاستاذ هنيهةً ورجع ومعهُ جلكريست فدخل بوجهٍ بشوش طلق وقامة معتدلة فحيَّا ثم أجال نظرهُ في الغرفة فوقع على الخادم فظهرت عليهِ علامات القلق . فامرهُ شرلوك ان يقفل الباب ثم قال لهُ اننا ايها العزيز في خلوةٍ ويجب ان لا يعلم احدٌ بشيء مما يجري او يقال بيننا فتكلم بكل حرية واخبرني كيف امكن شخصاً شريفاً نظيرك ان يفعل ما فعلتهُ امس .

وكأن رصاصة اخترقت صدر الفتى فرجع الى الوراء والقى على الخادم نظراً حادًّا فصاح الخادم انني اقسم يا مولاي جلكريست انني لم أفه بكلمة . فتبسم شرلوك وقال انك لم تتكلم قبلاً ولكنك قد تكلمت الآن . ثم التفت الى التلميذ فقال قد رأيت انهُ بعد كلام بانيستر لم تبقَ فائدة من الانكار فخيرٌ لك ان تخبرنا بالحقيقة كما هي .

فتوقف التلميذ هنيهةً ثم خانتهُ قواهُ فسقط الى الارض جاثياً وأسند رأسهُ الى كرسي بجانبهِ واجهش بالبكاء . ولما رأى شرلوك تأثرهُ قال تشجع يا هذا فالانسان غير معصوم من الخطأ وانما اودّ ان تتلو علينا وقائع الامر واذا كنت لا تستطيع فانا اقصها عنك واذا رأيتني تكلمت غير الحقيقة فصحح لي . وبدأ شرلوك بذكر الوقائع كما صوَّرها بعد فحصهِ والادلة التي وقف عليها فقال . اني لما اعلمني الاستاذ بالامر واتيت الى هنا اقتربت من النافذة لا لأرى اثر الفاعل بل لاتحقق طول

الشخص الذي تمكن ان يرى من النافذة الاوراق الموجودة على المائدة • ولما دخلت الغرفة لم احقق شيئاً حتى سألت عن صفات التلامذة وعرفت ان جلكريست خفيف الحركة ماهر في الوثوب ثم تتبعت افكاري فعلمت ان هذا الفتى خرج بعد الظهر الى دار اللعب وكان يتعاطى الوثوب كعادته ثم رجع وكان حاملاً الحذاء الذي يثب بهِ وهو من المطاط ولهُ شبه مسامير في اسفلهِ فلما بلغ النافذة اطلّ بوجههِ فرأى المائدة والاوراق عليها • ولو لم يهمل الخادم المفتاح في الباب لما حصل ما حصل غير انهُ رأى المفتاح في الباب فسوَّلت لهُ نفسهُ ان يدخل ويطلع على الاوراق ولم يخف ان يفعل ذلك لانهُ لو وجدهُ احد لادَّعى انهُ دخل ليسأل الاستاذ عن شيء • ولما رأى الاوراق لم يستطع مقاومة تلك التجربة فوضع حذاءهُ على المائدة ووضع شيئاً آخر كان في يدهِ على الكرسي الذي بقرب النافذة• فقاطعهُ الفتى وقال نعم وضعت قفازي • فنظر شرلوك الى بانيستر متبسماً وعاد الى اتمام حديثهِ فقال وضع قفازهُ على الكرسي ثم اخذ الاوراق واحدةً واحدة فجعل ينسخها قرب النافذة وهو يضمر انهُ اذا عاد الاستاذ وهو على تلك الحال يراهُ عن بعد فيتمكن من الاختفاء • ولكنهُ لم ينتبه حتى سمع وقع اقدام الاستاذ فلم تبقَ لهُ مهلة للهرب فترك قفازهُ واخذ حذاءهُ فدخل غرفة النوم واستتر وراء الثياب • اما تمزيق جلد المائدة فقد كان خفيفاً من جهة النافذة وكبيراً من جهة غرفة النوم مما دلني انهُ اخذ حذاءهُ بعنفٍ فعلق مسمار منهُ ومزق الغطاء الى الجهة التي سُحب اليها وقد سقط من الحذاء على المائدة الكتلة الاولى من الطين التي كانت قد جمدت بين مسامير الحذاء • اما الكتلة الثانية فسقطت في غرفة النوم حيث وجدناها • وعلى ذلك ذهبت اليوم الى دار الرياضة فوجدت في ارضها نفس المادة الطينية وقد وُضع عليها شيء من النشارة لتمنع الزلق وقت الوثب فأخذت منها كتلة لمقابلتها أفليست هذه هي الحقيقة بعينها يا جلكريست

فرفع التلميذ رأسهُ وقال بلى يا سيدي غير ان هذا الامر وسقوطي في التجربة قد شوَّش افكاري ولذلك كتبت رقعةً الى الاستاذ في هذا الصباح املاها عليَّ

ضميري الذي حرمني النوم طول ليلي الغابر وها هي الرقعة ومنها تعلم يا مولاي انني صممت على عدم دخول الامتحان وامامي وظيفة في جنوبي افريقيا فسأسافر اليها حالاً . فقال الاستاذ حسناً فعلت يا جلكريست من عدم الانتفاع بهذه الطريقة الدنيئة ولكن قل لي لما ذا غيرت عزمك . فاشار جلكريست الى الخادم بانيستر وقال ان هذا الشخص قد ارشدني الى الطريق المستقيم . فنظر شرلوك الى بانيستر وقال اما وقد وضح كل شيء وانا اؤكد انك انت اخرجت التلميذ بعد خروج الاستاذ فهل لك ان تعلمنا بقصدك من هذا وانكارك ذلك . فقال الخادم بخجل انني كنت يا مولاي في اول حياتي خادماً عند والد هذا الفتى فلما توفي بعد ان فقد جميع امواله جئت فخدمت في هذه المدرسة وكنت اراعي هذا الفتى كانهُ ولدي لما لوالده عليَّ من الفضل . فلما دخلت الغرفة امس حين ناداني الاستاذ وقعت عيني على القفاز فعرفتهُ وخشيت ان يفتضح امر ابن مولاي فتظاهرت بالاغمآء وجلست على الكرسي لاخفيهُ . ولما خرج الاستاذ ليذهب اليك خرج جلكريست من مخبئهِ في غرفة النوم واعترف لي بما فعل فكان من اهم واجباتي بالطبع ان انصح لهُ كما كان يفعل والدهُ لو كان حيًّا فأريتهُ سوء عملهِ واقنعتهُ بان ما فعلهُ ليس في شيء من العدل ولا الشرف . ولما رأيت الندم على وجههِ وقد عزم ان لا ينتفع بما صنع عزمت انا ايضاً ان لا اشهر عملهُ هذا الذي يعود عليهِ بالاحتقار والازدرآء فهل أُلام يا مولاي

فنهض شرلوك وقال كلا يا بانيستر فقد فعلت حسناً واما انت ايها الفتى فاذهب الى حيث نويت وعسى ان تساعدك الاقدار ويعضدك التوفيق . وانك قد انزلت نفسك هذه المرة منزلةً سافلة فعسى ان ترينا الى اي درجةٍ تستطيع ان ترفعها في المستقبل . ولما قال هذا خرج مودعاً وخرجت في اثرهِ وهو لا يصدق ان يصل الى غرفتهِ لاكمال اشغالهِ التي قطعتهُ زيارة الاستاذ عن اتمامها

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

وهنا نستأذن المطالع في ايراد شيء من معاني أولئك الكتّاب نعتبرها في انفسها مع قطع النظر عن اللفظ الذي تؤدَّى بهِ بل نختارها مما استقام لفظهُ ووضح معناه ليعلم ما تلك «الحقائق المعنوية» التي يشتغلون بتقريرها عن الاهتمام بتصحيح لغتهم ... وهذا ولا جرم بابٌ واسع ولكنا سنقتصر منهُ على الحقائق العلمية التي هي موضع تبجج اولئك القائلين وان لم تكن من غرضنا في هذه المقالة والحديث شجون

فمن تلك «الحقائق» قول بعضهم وقد سئل عن كيفية تكوُّن الاجرام التابعة للشمس فجاء في جملة جوابهِ ما نصُّهُ . « ان الكتل التي استحال اليها السديم دارت حول كتلةٍ كبيرة مركزية أو اصبح السديم بجملتهِ كتلةً واحدة تدور حول محورها وتشعّ حرارتها فبرد اولاً سطح السديم فتحول الى قشرة جامدة تكسرت وانفصلت عنهُ ثم تكونت قشورٌ اخرى في ازمنة مختلفة على كيفياتٍ يطول شرحها (! ...) فأدَّى ذلك الى تكوُّن السيارات والاقمار وظلت تدور كلها حول كتلةٍ مركزية هي الشمس » (زه ...)

قلنا هذا لعمر الحق هو الخلط بعينهِ واول ما فيهِ خلط مذهبين مختلفين هما مذهب فاي وهو المفهوم من قولهِ « انّ الكتل التي استحال اليها السديم دارت حول كتلةٍ كبيرة » والثاني مذهب لابلاس وهو قولهُ

بعد ذلك « او اصبح السديم بجملتهِ كتلةً واحدة تدور حول محورها »
ثم جمع المذهبين جميعاً تحت التفصيل الذي ذكرهُ بعد ذلك وهو انما يصحّ
بالقياس الى مذهب لابلاس دون مذهب فاي لان الاجرام التابعة
للشمس على مذهبهِ وُجدت من اول تكوّنها منفصلةً عن الشمس كما هو
ظاهر من مفاد عبارتهِ الاولى[١]

ثم ذكر في التفصيل المشار اليهِ ان سطح السديم تحوّل الى قشرةٍ
جامدة وان تلك القشرة تكسرت وانفصلت عنهُ فصارت كِسَرها سياراتٍ
واقماراً . ولينُظَر كيف تحوَّل سطح السديم الى قشرةٍ جامدة وهو ما لا يُعقَل
بوجه ثم كيف انفصلت تلك القشرة بعد تكسُّرها وايّ قوةٍ أطارت كِسَرها
في نواحي الفضاء ثم ما الذي جمعها من هناك وصيّرها جرماً واحداً وكيف
صار ذلك الجرم الى الشكل الكروي وما الذي جعلهُ يدور حول الكتلة
المركزية ولماذا كان دوران تلك الاجرام كلها في وجهةٍ واحدة من الغرب
الى الشرق حول خط استواء تلك الكتلة ومن اين خُلق لكلٍّ منها جوٌّ
يحيط بهِ وماء يجتمع عليهِ بحاراً وينتشر حولهُ بخاراً وسحاباً . لا جرم ان كل
ذلك من « الحقائق العلميـة » التي لم تخطر على قلب لابلاس ولو تجلت
لفطنة فاي لما اضطُرّ الى احراق دماغهِ في استنباط مذهبٍ آخر يصحح
بهِ القول في كيفية خلق العوالم . . .

ثم قال « ويُستنتج مما تقدم ان الشمس ستبرد يوماً وتصير ارضاً مثل

(١) راجع الكلام على خلاصة هذين المذهبين في مجلد السنة الرابعة صفحة ١٦١ و١٩٣ وما يليهما

ارضنا وكذلك سائر الشموس بل السُدُم والقنوان (كذا) فانها ستتحول الى اجرام باردة ولكن برودها كلها في وقت واحد بعيد الامكان اذ لا بد من حلول الحرارة في بعضها » اه . وهو كلام من يعمد الى التمويه على عقول القرآء بكثرة التخليط والتابيس وانما الصحيح من ذلك كله ان شمسنا وسائر الشموس الحاليّة ستتحول الى اجرام باردة وهذا ما لا ردّ عليهِ واما السُدُم فلا تحول الى اجرام باردة الا بعد ان تتحول الى شموس فتدخل في حكم اخواتها واما انتقالها من حال السديمية الى حال الجمود فمن المحال الا اذا كان ذلك على رأيهِ المتقدم من ان ظاهر السديم يتحول الى قشرةٍ جامدة . . . واغرب من هذا عطفهُ القنوان على السُدُم في ذلك الحكم وظاهرهُ انهُ يظن القنوان نوعاً من الاجرام السماوية غير ما ذكر وانما المراد بالقنوان الشموس عينها الا انها شموسٌ مجتمعة تؤلف جماعةً

واحدة سميت بذلك تشبيهاً لها بقنوان النخل اي عناقيده . وهي اما ان تتميز بالنظر المجرد كنجوم الثريّا واما ان تُرَى شبيهةً بالسديم ولا تتميز الا بالآلات البصرية ومن هذه قِنْوٌ في ذات الكرسي وآخر في برشاوش واثنان في الجاثي وغير ذلك مما لا نطيل باستقصاء الكلام فيهِ

وبقي قولهُ آخراً « اذ لا بدَّ من حلول الحرارة في بعضها » وهو من غريب الكلام الذي لم نفهمهُ ولا يخرج عن مثل ما تقدم . وجلاء هذا الموضع على ما ذكروا فيهِ ان الاجرام بعد ان تطفأ ويذهب نورها قد يتفق لها ان تعود سديماً بان يصدمها جرمٌ من الاجرام الحية او الميتة فتشتعل على نحو ما شوهد منذ اربع سنوات في صورة برشاوش ثم يكون

منها ما يكون من سائر السُدُم الى ان تعود اجراماً تدور في الفضاء كغيرها من النجوم

وقال في موضع آخر في مثل هذا البحث « ان الشمس ستبرد في زمنٍ لا يعلمهُ الاّ الله فتنقضي الحياة عن هذه السيارات ولكنها ربما ظهرت في نظام آخر لا يزال سديمهُ الى الآن حامياً بعد ذلك » وهذا الكلام ضربٌ من المعمّيات ولكنهُ عندنا خيرٌ من الكلام الذي سبقهُ اذ لا تبعة فيهِ على الافهام ...

وجاء في كلام آخر ما نصهُ « شُوهِد المريخ بالتلسكوب ورؤيت الحلقة المحيطة بهِ كالنطاق والسُفَع المنتشرة عليها » وهو من مضحك الكلام لان المرّيخ لم تكن حولهُ حلقةٌ قطّ والظاهر انهُ رأى فيما ترجمهُ اسم زُحَل فعرّبهُ بالمريخ الاّ ان زُحَل مطوّق بثلاث حلقات لا بحلقة واحدة. وزاد في الطين بلّةً ما ذكرهُ بعد ذلك من حديث السُفَع المنتشرة عليها اي على تلك الحلقة وهو ليس بأقلّ غرابةً مما سبقهُ اذ لا سُفع هناك ولعلّ عبارة الاصل تشير الى الظلال التي تخلل الحلقات المذكورة او المناطق التي تُرى على سطح زُحَل فترجمها بالسُفَع (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

ولقد ورد على لسان حكيم ملوك اسرائيل ما نصهُ « رجلاً صالحاً بين الف رجلٍ وجدتُ اما امرأةً صالحةً بين جميعهنَّ فلم اجد »[1] فيا لها

(١) سفر الجامعة (٧ : ٢٩)

من ضربة هائلة اصاب بها كل انثى من بني البشر مع ان القائل كان على رواية الكتاب مكثراً منهنَّ معجباً بجمالهنَّ منهمكاً في محبتهنَّ . فان كان اصابه بعض ما يكره من جرى انقياده لآراء من أحبَّ منهنَّ فعلى مَن يتجه اللوم اولاً ؟ وان اتجه على النساء المسبّبات أفمن العدل ان يُرمى الجنس كلهُ بهذا السهم ألا وهو الجزم بكونه على اطلاقه شرّيراً

اما الانجيل فهو اول كتاب دينيّ تفرَّد بالانتصار للمرأة الساقطة فرفع شأنها حتى على الملائكة بما ذكرهُ عن كيفية ولادة صاحبهِ من أمهِ البتول التي يدعوها اكثر المتمذهبين بالنصرانية « سلطانة المخلوقات » ثمَّ قرَّر المساواة التامة في أمور الحياة بجملتها بينها وبين الرجل بتعليمهِ ان ان الرجل والمرأة انسانٌ واحدٌ لا اثنان وان الزواج رباطٌ مقدس ملازمٌ للحياة لا يقبل الحلَّ بغير الموت

وهكذا حرَّر المرأة تحريراً مطلقاً من عبودية الرجل وانقذها من بلاء الضرار وعار الطلاق . ثمَّ بيّن وجوب اعتبارها ركناً عظيماً من اركان الالفة البشرية لان واضعهُ السامي لم يأنف من مجالسة النساء بل كان يصحبهنَّ في حلّهِ وترحالهِ ويعتمد عليهنَّ في كثيرٍ من احوالهِ ويوجّه الحديث اليهنَّ في كثيرٍ من مواعظهِ وارشاداته من مثل حديثهِ مع السامرية ومريم ومرثا اختي اليعازر . وقد أنَّب الذين جاءوا يستشيرونهُ في رجم الغاوية وانقذها من القتل بتقريعهِ الرجال المشتكين عليها على تحاملهم بقولهِ لهم « من كان منكم بلا خطيئةٍ فليرجم هذه المرأة بحجر » فكأنهُ يقول لهم ان كلاًّ منكم لم يتنزه عن مثل هذه الحالُ أفتأمرون الناس بالبرّ وتنسون

انفسكم وتوجبون معاقبة غيركم على ما تعفون ذواتكم من العقاب عليهِ

وهكذا كان للتعليم الانجيلي الفضل الأتمّ على المرأة وبالتالي على النوع البشري بهذا الارشاد . واما الحواري بولس الروماني الذي على تعاليمهِ المعوَّل في اكثر التقاليد المسيحية فقد حذا حذو معلمهِ بتحريض الازواج على محبة النسآء واكرامهنَّ ووجوب احترامهنَّ والعناية بهنَّ بيد أنهُ قرَّر للزوج الامتياز والسيادة التامّة على الزوجة اذ سمَّاهُ رأسها كما ان المسيح رأس الكنيسة وامرها بطاعتهِ كما امرهُ بمحبَّتها فكان فيما فعل مقيّدًا ما ورد من الجزم بالإطلاق على لسان معلمهِ ومضعفاً قوة التصريح بالمساواة بين الجنسين فعادت المرأة بعد هذا القول الى ربقة الاستعباد الشائع عند سائر الامم وانما لبثت المرأة المسيحية ممتازةً بخلاصها من ويلين عظيمين — هما الضرار والطلاق — وليس ما تميَّزت بهِ بقليل

— ٧ —

ان المرأة لما وجدت ذاتها رهينة الغدر والحيف اسيرة الجور والغبن عادمة المسعف والمجير وهي مرتبطة مع الرجل بالنوعية والمعاش والالفة ارتباطاً لاحلَّ لهُ ولا انفكاك عنهُ ولا مناص منهُ فضلاً عن احتياجها الى حمايتهِ بسبب قوتهِ وضعفها لم ترَ بدًّا من الاذعان لاحكام الضرورة فاستسلمت لها صاغرةً وانقادت الى الحيلة فانها سلاح الضعيف وكانت في ذلك مضطرّةً — وما على المضطرّ من جُناح — قصد ان تقوى على التخفيف من ثقل النير الاستبدادي الموضوع على عنقها بيد الجهل والاستبداد

ومن المعلوم بداهةً ان الحيلة تولد المكر والرياء فتمكنت هاتان الصفتان مع تقادم الايام وتوارثهما بالتعاقب من امٍّ الى بنتٍ في هذا المخلوق المقهور حتى توهم الرجل انهما من غرائز المرأة الطبيعية وانها في كل حال احطّ من الرجل وادنى خلقاً وادراكاً وصفاتٍ (١) . والحال ان تطبُّع المرأة على تلك المعدودات انما هو عارضٌ حادثٌ نشأ عن الظلم لا

(١) قال ابقراط وارسطو وغيرهما من الفلاسفة ان المرأة احط من الرجل. وقال آخرون انها احيل من الرجل واكسل وابخل واكثر كبراً وحسداً واشد حنقاً وحقداً . وقال كواتلت وغيرهُ من المشتغلين بعلم مقابلة افعال الانسان المعروف عندهم بالدموغرافيا ان المرأة اقل ارتكاباً للجرائم من الرجل والذي يمنعها من ذلك انما هو حياؤها وانكسارها وعوائدها التي تحجبها عن الناس في اكثر اوقاتها وضعف جسدها وقلة الظروف الداعية الى الخصومات لابتعادها عن المعاملات المالية والشواغل ذات الكسب واعفآئها من الانفاق . وقل آخر ان المرأة اذا استقوتك استعطفتك ببكآئها واذا استضعفتك قتلتك بكبريآئها . وهي محسنةٌ اكثر من الرجل لكن احساناً لا يغني ولا يطاق وقلما تفعلهُ الا لغرضٍ دينيٍّ . وقال علماء الاخلاق انها لاهية متقلبة مفرّطة مطبوعة على الخرافات والعناد والتمسك بالعادات القديمة اكثر من الرجل وهي مهذار شديدة الهلع

وقال بروكا العالم الانثروبولوجي ان المرأة اقلّ ادراكاً من الرجل . وقال دروين ان الرجل والمرأة اذا تجاريا فالسابق هو . وقال دلوني ان المرأة تثابر على العمل اكثر من الرجل الا انها اقل ادراكاً منهُ وعملها اقرب الى ان يكون آليًّا من ان يكون عقليًّا . وقال ڤولتير ابت المرأة ان تعيش الا بعواطفها فان لم تجد في الارض من يحبها لشناعتها او لمرض او عيبٍ فيها او لشيخوختها اذ تكون بلغت السنّ التي لا يمكن ان تحب بعدها وجهت عواطفها نحو السمآء وشغلت قلبها بحب الآلهة والقديسين

خلقٌ ذاتيٌّ فهو يزول بزوال مسببهِ ولو عقل الرجل في مبدأ امرهِ فعدل عن خطئهِ القاسط محافظاً على ما لرفيق حياتهِ المحبوب من السجايا الفطرية استجلاباً للسعادة الاثنين وهناءَ تهما معاً لتمَّ لهُ ما احبَّ وعُدَّ من الفائزين[٢] ولكنهُ ابى الآن يزيد ظلمهُ لها ظلماً وجورهُ عليها جوراً فقال ان المرأة مطبوعة على الحيلة والمكر مجبولة على الخبث والدهاءِ حتى تطرَّف فقال

ان النساءَ شياطينٌ خُلقنَ لنا نعوذ بالله من كيد الشياطينِ

ولم يقف الرجال بافترائهم على المرأة عند هذا الحدّ بل تجاوزوا الى ما هو انكى وادهى مما لا يحمد بيانهُ .. وقد غاب عنهم حقيقة ما ورد في قول الشاعر

انما المرأة مرآةٌ بها كلُّ ما تنظرهُ منك ولك

فهي شيطانٌ اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

فلو سمح لها الرجل كما سمح لنفسهِ ان تدخل حدائق العلم والتهذيب لتعرف ما لها وعليها وعاملها بالنصفة والعدل والرفق كبشرٍ مثلهِ لهُ روح وحسّ وضمير لما غشيها من الجهل والضعف ما لجأ بها الى الحيلة والمكر حتى اصبحا شعاراً لها . ولكن اين من ينصفون (ستأتي البقية)

---

(١) من العادة عند الروسيين انهُ اذا حكم على احدهم بالنفي الى سيبريا عدّوهُ ميتاً وحقّ لامرأتهِ ان تتزوج بغيرهِ ولورثتهِ ان يقتسموا موجوداتهِ . ولكن النساءَ الروسيات الشريفات يتبعنَ ازواجهنّ الى منفاهم الذي يفضل عليهِ الموت ويشاركنهم في الضرّاءِ كما قاسمنهم السراءَ . وكذلك فعلت برسكوفيا زوجة مورافياف الروسي فانظر الى هذا الوفاءِ واحكم بما تشاءُ

الوان البحار

اذا فحصنا ماء البحر وجدنا انهُ ليس بادنى نقاءً وشفوفاً من الماء النابع من الصخر فقد ذُكر انهُ في بعض نواحي بحر الشمال تُرى الاصداف واضحةً على عمق ١٤٥ متراً وفي بحر الانتيل يُرى درك البحر على هذه المسافة نفسها كانهُ على بعد بضعة امتار فتُرى هناك الاصداف ومنابت المرجان واصناف الطحالب البحرية جامعةً لأبهى ألوان قوس قُزَح . ولكن اذا تجاوزت المسافة المقدار المذكور فان اشعة الشمس تضعف شيئاً فشيئاً فيقلّ وضوح المنظورات حتى اذا بلغ العمق ٤٠٠ او ٥٠٠ متر كانت هناك ظلمة داجية . اما نور القمر فلا يتعدى الى ما وراء ١٣ متراً في الماء

ثم ان ماء الاوقيانوس اذا نُظِر اليهِ في مكانٍ عميق فلونهُ ازرق سماويّ وهذا اللون ناشئ عن كونهِ يمتصّ جميع الوان الطيف ما خلا اللون الازرق فانهُ يدفعهُ فيُرى ملوّناً بهِ . على ان هذا اللون غير مطّرد في جميع البحار على حدٍّ واحد فان البحر حوالي جزائر المديف اسود وفي خليج غينيا ابيض وبين الصين واليابان اصفر وفي خليج كاليفُرنيا يضرب الى الحمرة وكذلك في بعض نواحي بحر القلزُم وهو التسبب في تسميتهِ بالبحر الاحمر . وعند جزائر السعادة وجزائر ارسور يضرب الى الخضرة وكذلك في بعض نواحي الخليج الفارسي فانهُ على طول شواطئ بلاد العرب يُرى منهُ طريقةٌ خضراء بحيث ان الراكب فيهِ يرى الماء

الذي الى شماله ازرق والذي الى يمينه اخضر . وفي الاوقيانوس الشمالي قد يُنتقَل فجأةً من الماء الازرق السماوي الى ماءٍ اخضر زيتوني . قيل والسبب في حمرة ماء البحر الاحمر وجود طحالب دقيقة ارجوانية اللون تكثر في بعض الاحيان كثرةً عجيبة فيظهر الماء ملوَّناً بها وبخلاف ذلك خليج كاليفرنيا فان حمرتهُ مسبَّبة عن نُقاعيات مجهرية حمراء اللون وكذا يقال في خضرة مياه البحر الشمالي . اما ما يُرَى من السواد في مياه البحر الاسود فلكُدرة جوّهِ بما يحدث فيهِ من العواصف والزوابع لا لشيءٍ في مائهِ

على ان النقاعيات المذكورة فضلاً عن انها تلوّن ماء البحر احياناً فقد تكسوهُ حُلّةً من النور وهو ما يسمَّى بالتألُّق وقد طالما كان ذلك في الزمن القديم موضعاً لحيرة المسافرين وربما اشعرهم لاول وهلةٍ خوف الحريق . وهو يُرَى في جميع العروض الا ان اكثر ما يُشاهَد في الاقاليم الحارّة كالهند وشواطئ مالابار والملديف وسائر الجُزُر المجاورة فانهُ يظهر فيها هذا المشهد بكل جماله ويتجدد في كل مساء ولا سيما في اوقات السكينة حين يكون وجه البحر مكسوًّا بالتجعدات او الامواج الخفيفة . وقد وصف بعض السُيّاح هذا المنظر فقال انهُ لا يكاد يغيب ضوء النهار حتى تبتدئ انوار التألق بالظهور فترَى ألوف الألوف من الاجسام النورانية كانها تدور وتتصادم على وجه المياه وهي في حركةٍ دائمة بين ظهور وخفاء . ويزداد النور شدةً على جوانب السفن والصخور التي تتنفس عليها الامواج وكل ضربة مجذافٍ او حركة دولاب ينبثق عنها شهابٌ من النور وكل سفينةٍ ماخرة يتبعها خطٌّ طويلٌ نيّر يضعف كلما ابتعدت عنهُ الى ان

يضمحلّ . وعلى الجملة فكل حركةٍ في المآء طبيعيةٍ او غيرها يتبعها تألق ولكن البحر يتألق احياناً من تلقآء نفسهِ من غير حركة فيُرَى هناك بساطٌ من نور قد امتدّ على ثَبَج المآء فينقبض احياناً وينبسط ويقصر ويستطيل ويتشكل بكل شكل ٠

وقد خبط الأوّلون خبطاً عجيباً في تعليل هذا الحادث فارتأى بعضهم انهُ مسببٌ عن كهربآئية في البحر وزعم آخرون انهُ مسببٌ عما يخالط مآءهُ من الاملاح وقيل انهُ ناشئٌ عن موادّ معدنية ومركّبات عضوية من الحيوان او النبات يحدث هذا التألق عند انحلالها . وذكر احد ثقات العلمآء ان بعض اللحوم من طبيعتها ان تضيء في الظلمة وان مثل ذلك رُؤي في بعض المبرزات الحيوانية اذا سبقها اتخاذ الفصفور وفي بول المصابين ببعض انواع الامراض ومفرزات بعض الجراح وكذلك في السمك وعلى الخصوص البحريّ منهُ في اوائل انحلالهِ . قال وليس من الناس الا من رأى في ليالي الصيف بين الاعشاب والغياض نُقَطاً منيرة هي منبعثة عن حيوان صغير يعرَف بالحُباحِب ٠ على ان في البلاد الحارّة الوفاً من الهوامّ المضيئة حتى ان من الفقرآء في جزيرة كوبا من يستصبح بهذه الهوام فيتخذون قرعةً فارغةً يثقبونها عدة ثقوب ويجعلون فيها بضعاً من هذه الهوام فتكون لهم مصباحاً لا يطفأ

وعليهِ فلا يُستبعَد ان يكون في البحر شيءٌ من امثال هذا الهوامّ فاذا صعدت الى ثَبَج المآء ظهر لها هذا الضوء . على ان جِيَف الاسماك الميتة وما يتخلل بنآءها من الفصفور المنتشر في مآء البحر تكون ولا ريب من

جملة الاسباب في ذلك وقد اختبر كلا الامرين جماعةٌ من ركاب البحر في اوقاتٍ مختلفة فثبت لهم كلٌّ من القولين . اه

القصيدة الطنطرانية

ننشر هذه القصيدة اجابةً لمن سألنا ذلك من مشتركينا الادباء على ما تقدمت الاشارة اليه لا لان فيها ما يستحقّ النشر اذ هي من ضعيف الشعر لغةً ومعنى . وهي من نظم معين الدين ابي نصر او ابي البركات احمد بن عبد الرزاق الطنطراني المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة مدح بها الوزير نظام المُلك ابا علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي . وقد اجتهدنا في تصحيح روايتها بعد ان جمعنا لها ثلاث نسخ قديمة اثنتان منها مشروحتان وقد اتفقت النسخ الثلاث على روايةٍ واحدة الا في مواضع قليلة اخذنا منها بالامثل . والقصيدة هي هذه

يا خليَّ البال قد بلبلتَ بالبلبال بال

بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال

يا رشيق القدّ قد قوَّستَ قدّي فاستقمْ

في الهوى وافرغ فقلبي شاغلُ الاشغال غال

يا أَسيل الخدّ خدَّ الدمع خدّي في النوى

عبرتي وَدقٌ وعيني منك يا ذا الخال خال

كم تُسقِّي زُمرةَ العشّاق غسّاق الجوى

كم تسوق الحتف من ساقٍ عن الخلخال خال

ان قلبي في خُمارٍ هاج من سكر الهوى

فاسقني من فيك خمراً فيه كالسلسال سال

*

لُحتَ من وجهٍ جميلٍ جملةَ العشاق شاق

جُدْ بتقبيلٍ اليهِ قلب ذي المشتاق تاق

*

يا غزالاً قدُّهُ في المشي كالإرماح ماح

ريقهُ راحٌ وما في غير تلك الراح راح

لم يزل يرتاض في جنات عَدْنٍ من جنى

مِن جَنَى بستان خدٍّ منكْ كالتفّاح فاح

قطُّ ما افرحتني مذ بالاسى ابرحتني

سُرَّ صبّاً مذ غدا في الحزن ما في الراح راح

قد كتمتُ الحبَّ في قلبي زماناً فاغتدى

درٌّ جاري ادمعي بالسرّ كالمصباح باح

من يلُمني في هوى الحُور الغواني قد غوى

ان هـذا الامر لي من ربّيَ الفتّاح تاح

*

نجّني عمّا اقاسي ان حتفي الآن آن

إنْ لنا قلباً فقاسي القلب للخُلاّن لان

*

في عِراص الوصل عانِي هجرك الغدّار دار

لا ترحّلْ فالحشا من كثرة الاسفار فار

لم تزل تزورُّ كبراً منك عني جانباً

لا تجبَّرْ فالفتى من قلبهِ الجبّارِ بار

مذ شددتُ الوسط مغترًّا بزنّار الهوى

لم ازل في النار والأَولَى بذي الزنّار نار

تاهَ قلبي اذ اتاهُ من تباريح الجوى

ما افاق القلبُ مذ من طرفك السحّار حار

ذَرْ هوى الغزلان واَختَرْ مدحَ صدرٍ ماجدٍ

جائدٍ قرْمٍ سريٍّ عن شعار العار عار

*

سيّدٌ في كل خطبٍ سادةَ الآفاق فاق

أُيّدٌ في الدين بلواهُ الى الفُسّاق ساق

*

فخر دين الله مَن جدواهُ في الإنعام عام

وهو من جنس المعالي كثرةَ الاكرام رام

نصر رايات الهدى سبّاق غايات النّدى

عادلٌ هنديّهُ العالي على الغُشّام شام

مُوتِم الأبناءِ في الهيجاء من آبائهم

مشفقٌ اشفاقهُ الموموق للأيتام تام

صام للمعبود عن لذاته لكنّهُ

ليس عن قتل الاعادي مِخذَمُ الصمصام صام

ضيغمٌ من دأبهِ إرغام ضرغام الشرى

باسلٌ حمسٌ الى ضرب الطُلى والهام هام

لو رآهُ صاحبٌ عن صنعة الكتّاب تاب
اوعراهُ رُستمٌ في موضع الإرهاب هاب

*

يا علياً عنده العلاّمُ ذو الارشاد شاد
زاهداً تقواهُ في دنياهُ للزُهّاد هاد
يا نظام الملك يا فخر الورى يا من اذا
جاءهُ المستنجد المظلوم بالانجاد جاد
شأنهُ إصفاد مَن والاهُ من آلائهِ
واغتدى شانيهِ في الأغلال والأصفاد فاد
اصبحت منصورةً رايات دين المصطفى
منهُ واستردى جهاداً مَن الى الإلحاد حاد
يُرعِد الاطواد بالإيعاد حتى انهُ
لو رأتهُ ما اعتدت من هول ذا الايعاد عاد

*

منهُ في نادي الاعادي طارق الآجال جال
ما لهم مذ راعهم من شدة الاوجال جال
مُقسِطٌ اضحى ومنهُ منهل الانصاف صاف
قاصرٌ امسى على الاعداء بالاجحاف حاف
ساد والحساد عنهُ في انحطاطٍ دائم
ان عُلياهُ لهم كالزعزع النسّاف ساف

لم يزل يعطي لعافي ناره اوطاره
آثر التقديم والتأخير في الاسعاف عاف
سُحبُ اقطار السما ولو لم تكف ما ضرّ اذ
للورى توكاف غادي كفهِ الوكّاف كاف
دُم على رغم العِدَى وأُرْبَحْ بعود العيد في
دولةٍ غرّاء فيها أَدوَمُ الالطاف طاف

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لا ازيدكم علماً بما لأبي تمام الطآئي من المقام الرفيع في اندية اهل الادب حتى ان منهم من يجعلهُ في رتبة المتنبي او يرفعهُ عليهِ الا اننا الى الآن لم نظفر لديوانهِ بشرحٍ يكشف عن معانيهِ الحجاب .

وقد وقفت منذ مدة على تقريظكم لنسخةٍ منهُ طُبعت من عهدٍ قريب في بيروت مفسرة بقلم الشيخ محيي الدين افندي الخياط فبادرت الى طلبها وما صدّقت ان حصلت في يدي حتى اقبلت عليها اقبال الظمآء على زلال المآء . وكان اول ما اتفق لي الوقوع عليهِ القصيدة التي اولها « السيف اصدق انبآء من الكتبِ » فعكفت على مطالعتها ومقابلة كل بيتٍ بما عُلّق عليهِ من التفسير وانا اطمع ان استخرج بواسطتهِ ما غمض عني من معاني هذا الشاعر ففاجأني هناك ما اقامني بين اليأس من مطلبي والضحك من آمالي وعجبت من تقريظكم لهذا الكتاب فوق عجبي من سكوتكم عن نقدهِ (المعذرة) . على انني غالطت نفسي بعد ذلك وعدت الى تصفح

قصائد أُخر من الديوان فوجدت ان الرجل لم يفارق طريقتهُ في جميع الكتاب بل وجدت انهُ فضلاً عن كونهِ لم يأتِ بما يفيد الكشف عن اغراض الشاعر كان كثيرٌ من تفسيرهِ يزيد الكلام اشكالاً والافهام تعسفاً. ومصداقاً لما اقول تأذنون لي انْ اورد لكم بعض امثلة من مواضع متفرقة من الكتاب وذلك كقول ابي تمام من القصيدة المذكورة (ص ١١)

كم احرزت قضب الهنديّ مصلتةً تهتزُّ من قضبٍ تهتزُّ في كثبِ

وقد ذكر في تفسير هذا البيت ما نصهُ « قضب الهندي السيوف. مصلتة مسلولة. الكثب القرب » اهـ. فاذا بدّلنا الفاظ البيت بالفاظ المفسر جآءت صورة الكلام هكذا « كم احرزت السيوف مسلولةً تهتزُّ من قضبٍ تهتزُّ في قرب » فانقلب البيت الى ضربٍ من الطلاسم لا مطمع في حلهِ. وجآء في صفحة ١٢ من قصيدة اخرى

اصلٌ كبرد العصب نيط الى الضحى عبق بريحان الرياض مطيَّبِ

وقال في تفسيرهِ « برد العصب نوع من الثياب يصبغ ثم يحاك. نيط علق » . هذا كل ما جآء في تفسير هذا البيت وهو كلا تفسير لان الاشكال كل الاشكال فيما بقي منهُ. ولينُظَر ما معنى الاصل هنا وكيف يعلَّق الاصل او البرد بالضحى ثمَّ بماذا جرَّ «مطيَّب» في آخر البيت واخيراً ما الذي يفهم من البيت كلهِ. ومن هذه القصيدة

يا عقب طوقٍ ايّ عقب عشيرةٍ انتم وربة معقبٍ لم يعقبِ

قال « العقب الاولاد ويراد بهِ الاتباع. المعقب كمنبَر الخمار او القرط. يعقب يخلف » . فاذا جرينا على تفسيرهِ كان تأويل البيت هكذا « يا اولاد

طوق او يا اتباع طوق اي اتباع اثم وربة خمار او قرط لم يخلف » وليتأمل أعَرَبيٌّ هذا الكلام ام هندي . وفي صفحة ٤٧

ولو تبسَّم عجنا الطرف في بَرَدٍ وفي اقاحٍ سقتها الخمر والضَرَبُ

قال « العجناء المخنثة . الطرف النظر . الاقاح نوع من الزهر . الضرب العسل الابيض » . فتأويل البيت « لو تبسَّم مخنثة النظر في بَرَدٍ وأقاحٍ سقتها الخمر والعسل الابيض » ..... وفي صفحة ٨٢

مالي بربعٍ منهمُ معهوده الا الاسى وعزيمة المجلودِ

وذكر في تفسيرهِ ما نصهُ «.الربع المنزل . الاسى الحزن . المجلود المضروب بالجلد » . قلت لله درّ ابي تمام لقد اسكرنا بمعانيهِ وانما الفضل في ذلك للمفسر فانهُ لولاهُ لبقيت ابيات هذا الشاعر موصدةً على ما فيها من الجواهر . وفي صفحة ٢١٦

وهي كالظبية النوار ولكن ربما امكنت جُناةَ السَحُوقِ

وقال في تفسيرهِ « الظبية الغزالة . النوار النفور . الجناة القاطفون » فكان المعنى على هذا « هي كالغزالة النفور ولكن ربما امكنت قاطفي النخلة الطويلة » ..... وفي هذه القصيدة

يوم خلق الملمّات ذاك وهذا الـ يوم في الروم يوم حلق الحلوقِ

ولم يزد في تفسيرهِ على قولهِ « الملمّات النازلات » ولينظر اللبيب ماذا يفهم من البيت بعد هذا التفسير . وبقي هنا ان وزن الصدر مختلّ على ما ارى واظن ان في روايتهِ خطأً

واكتفي الآن بهذا القدر راجياً الجواب على كل ذلك كما ارجو بلساني

ولسان كل اديب ان تفرّغوا شيئاً من وقتكم لمطالعة هذا الديوان وتصحيحهِ كما فعلتم بكتب الاب شيخو وصاحبهِ فانهُ من الكتب الجليلة التي تستحقّ عنايتكم وان لم يكن التفسير يستحق ذلك في نفسهِ والا فلا اقلّ من بيان رأيكم فيهِ ليكون الطلاب على بينةٍ من امرهِ والسلام عليكم ورحمة الله

احد مشتركي الضيآء

مصطفى رشاد

الجواب في الجزء التالي ان شآء الله

آثار ادبيّة

السلاسل الذهبية لاتقان الخطوط العربية والفارسية — هي مجموعة دفاتر من اجمل الخطوط رسماً واتمّها إحكاماً وقفنا منها على اربعة دفاتر هي التي طُبعت الى الآن احدها بالقلم الثلث الموزون والثلاثة الباقية بخط الرقعة وكلها من وشي اقلام حضرة الخطّاط الشهير والمتشرع الاصوليّ الفاضل عزتلو نجيب بك هواويني استاذ اللغة والخطوط العثمانية في الكلية الشرقية بمدينة زحلة . وقد تأنق فيها ما شآء ذوقهُ اللطيف وبنانهُ الرشيق مع العناية الكاملة بجودة الطبع ونظافتهِ فجآءت كانها سلاسلُ ذهب تحلى بها لبّات الطروس وتنافس حُلَل الرياض وحلَى العروس

والدفاتر المذكورة تباع في جميع المكاتب العربية المشهورة وثمن الدفتر منها في القطر المصري ٥ مليمات

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٠ —

النظّارات الذهبية

كنت في ليلة من ليالي آخر نوفمبر سنة ١٨٩٤ مع صديقي شرلوك في منزلنا وكانت الرياح تهب بعنف والامطار تتساقط بغزارة وقد اشتد البرد كثيراً حتى ان النار المستعرة في الموقد لم تكن كافية لتدفئة الغرفة التي نحن فيها . وكان شرلوك مكبًّا وفي يده منظار يفحص بهِ خطوطاً دقيقة مكتوبة فتركتهُ واقبلت الى النافذة المطلة على شارع باكر فوجدتهُ على طولهِ مقفراً مظلماً ما خلا انوار المصابيح المتفرقة التي كانت تقطع اشعة نورها بتساقط المطر حولها ورأيت في آخر الشارع عربة واحدة تقترب فعجبت من ركابها لخروجهم في مثل تلك الليلة الباردة. وعدت الى شرلوك فرأيتهُ قد طرح منظارهُ جانباً وقال كفى الليلة فان هذا العمل يتعب النظر كثيراً ولحسن الحظ ليس علينا ما يستدعي خروجنا في هذا الليل تحت المطر . ولم يكد يتم كلامهُ حتى اقتربت العربة التي كنت رأيتها قادمة ثم وقفت حركتها امام باب منزلنا وسمعنا قرع الجرس . فنظرت من النافذة فرأيت رجلاً قد ترجل ووقف ينتظر فتح الباب وبعد ان صرف عربتهُ صعد السلم حتى بلغ غرفتنا واذا هو ستانلي هو بكنس الشحني الذي كان شرلوك يحبهُ ويتوقع لهُ مستقبلاً حسناً . ولما استقرَّ بهِ الجلوس اقبل عليهِ شرلوك وقال لابدّ من امرٍ مهمّ اوجب قدومك الينا الآن . فقال هو بكنس حقًّا ايها العزيز انني قضيت يوماً لم اذق فيهِ الراحة فهل قرأتم شيئاً عن حادث يوكسلي .

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فقال شرلوك لم أرَ من جرائد اليوم سوى جريدة القرن الخامس عشر. فقال هو بكنس هذه الجريدة لم تكتب سوى بضعة اسطر ليست من الحقيقة على شيء ولكنني في هذه الدقيقة آتٍ من يوكسلي التي هي محل الحادثة فسأقصّ عليكم الخبر بكل تفاصيله . وقد استُدعيت اليها بالبرق في الساعة الثالثة فركبت في سكة الحديد وبلغتها في الساعة الخامسة فاتممت الفحص وعدت في القطار الاخير الى لندن وحال بلوغي المحطة ركبت توًّا الى هنا وقد قصدتك قبل كل انسان ايها العزيز شرلوك لدقة الامر وخفائهِ وكثرة مشكلاتهِ مع بساطة ظواهرهِ فانني لم اتمكن من معرفة سبب او دليل اتخذهُ مبدأ لبحثي ولكن لا بدّ من تلاوة الخبر كما وقع

يوجد في يوكسلي بيت قديم اشتراهُ منذ بضع سنوات رجل شيخ يدعى البروفسور كورام وهو عليل الجسم يقضي اكثر اوقاتهِ في السرير وبعض الاحيان يتوكأ على عصاهُ فيخرج الى الحديقة او يجرّهُ البستاني في عربة صغيرة تختص بالمرضى وقد اشتهر عنهُ انهُ عالمٌ واسع الاطلاع . اما بيتهُ فيتألف من مدبرة المنزل وتدعى مسس ماركر وخادمة تدعى سوسان تارلتون ويعرف الجميع ان صفات الاثنتين حسنة للغاية . وكان البروفسور يؤلف كتاباً علمياً فاضطرّ الى كاتب يعاونهُ فادخل في خدمتهِ اثنين لم يتفق معهما فصرفهما واخذ ثالثاً يدعى ويلوبي سميث وهو فتى جاءهُ توًّا من المدرسة بعد احرازهِ الشهادة ويظهر ان البروفسور لاءمهُ هذا الفتى فكان مسروراً من خدمتهِ . وكانت واجبات الكاتب ان يدوّن ما يمليهِ عليهِ البروفسور قبل الظهر اما بعد الظهر فكان عليهِ ان يعدّ الشواهد والمواضيع التي تلزم لكتابة الغد . وقد كانت صفات هذا الكاتب حسنة ايضاً كما تبين لي من شهاداتهِ المدرسية ولم يُعلم عنهُ في كل مدة خدمتهِ سوى انهُ كان لطيفاً مطيعاً سليم القلب ومع كل ذلك فقد وُجد في هذا الصباح ميتاً في مكتب البروفسور في احوال تدل على ارتكاب جريمة القتل . وقد اسلفت ان البروفسور كان كالمدفون حيًّا فهو لا يخرج على الاطلاق وكان كاتبهُ المذكور متعلقاً بهِ وبعملهِ وهو لا يعرف احداً من الجيرة فكان كمعلمهِ لا يفارق البيت ايضاً وكذلك المدبرة والخادمة فانهُ لم يكن ما

يستدعي خروجها البتة . بقي البستاني مورتمير واصله جندي شهد حرب القرم في حداثته وهو يقيم في كوخ عند طرف الحديقة . ولا يوجد في المنزل غير الاشخاص المذكورين . اما باب الحديقة فيبعد نحو مئة يرد عن الشارع العمومي ويقفل بزلاج بسيط لا يصعب فتحهُ . ولما اخذت في استنطاق الاشخاص المذكورين لم اجد بينهم من يستطيع ان يفيدني شيئاً سوى الخادمة سوسان فانها قالت لي انها كانت بين الساعة الحادية عشرة والظهر في الطبقة العليا منهمكة بتعليق الستائر وكان البروفسور لا يزال نائماً لانهُ اذا لم يكن الجوّ دافئاً فهو لا يفارق سريرهُ حتى ساعة الظهر وكانت المدبرة في جهةٍ اخرى من المنزل . اما الكاتب سميث فكان في غرفتهِ وسمعتهُ خرج منها فاجتاز الممر ونزل السلم ليذهب الى المكتب الذي هو في الغرفة السفلى وبعد نحو دقيقتين قرع اذنيها صراخ مخيف ارتفع من تلك الغرفة . وكان الصوت غريباً جدًّا وغير طبيعي حتى لم تعرف هل كان صوت رجل او امرأة . ثم سمعت في نفس الوقت جري جسمٍ ثقيل كان يهتزّ لهُ البيت وعقب ذلك سكوت تام . اما الخادمة فانهُ اصابها شيء من الذهول فلما ملكت روعها نزلت السلم وكان باب المكتب مقفلاً ففتحتهُ فوجدت الكاتب سميث ملقىً على الارض . فحاولت ان توقظهُ او ترفعهُ عن الارض واذا بالدم يتدفق من جرح في اسفل عنقهِ . وكانت الآلة التي استعملت في ذلك ملقاةً على الارض بجانبهِ وهي سكين صغيرة مقبضها من العاج وشفرتها حادّة طويلة وكانت دائماً موضوعة على مكتب البروفسور وهي مكشطة يستعملها لمحو الكتابة او لبري الاقلام . وقد قررت الخادمة المذكورة انها ظنتهُ قد مات ولكنها اخذت قليلاً من الماء فسكبتهُ على جبينهِ ففتح عينيهِ نحو نصف دقيقة وقال بصوت ضعيف « البروفسور » .. « هي » .. ثم اجتهد ان يتم كلامهُ فلم يستطع فرفع عينيهِ قليلاً ثم فاضت روحهُ . وكانت اذ ذاك قد جاءت المدبرة ولكنها لم تسمع هاتين الكلمتين الاخيرتين فلما رأت ما كان تركت الخادمة بجانب الجثة واسرعت الى غرفة البروفسور وكان جالساً في سريرهِ مضطرباً لانهُ كان قد سمع الصراخ وعلم ان شيئاً مهمًّا قد حدث في بيتهِ . وقد اكدت المدبرة

انهُ كان لا يزال بثياب النوم وانهُ يستحيل عليهِ لبس ثيابهِ بدون مساعدة البستاني مورتيمر الذي كان قد اوصاهُ ان يأتيهُ في الساعة الثانية عشرة

اما أقرار البروفسور نفسهِ فكان انهُ سمع الصراخ عن بعد ولم يعرف شيئاً غير ذلك ولم يفهم مغزى كلمتي سميث الاخيرتين بل يعتقد انهما من هذيان الموت. وقد اكد ان ليس للكاتب عدوّ ولا يمكن ان يكون لهُ عدوٌّ في العالم وانهُ حالما سمع بما حصل اوفد البستاني لمناداة الشحنة فاستدعاني هؤلاء بالبرق ولما ذهبت بنفسي وجدت كل شيء في محلهِ فاوصيت وشددت الاوامر بعدم المرور على الطريق الموصل الى الحديقة وان لا يغير شيء في الغرفة البتة . واتممت الفحص والملاحظة متبعاً طريقتك ايها العزيز شرلوك حتى اذا انتهيت اتيت بنفسي لاوضح لك ما رأيت واستشيرك في الامر وقد رسمت خريطة البيت ليسهل عليك معرفة صورة الحادث وهاهي ذه . ثم اخذ ورقة وناولها لشرلوك فجعل يفحصها واقتربت منهُ فرأيت الرسم وصرنا كاننا في نفس البيت الذي حصلت فيهِ الجناية . ثم اتم هو بكنس حديثهُ فقال لما دخلت الغرفة فحصت اولاً عن محل دخول وخروج الجاني فتحققت انهُ كان من باب خلفي يتصل بالحديقة اذ لا يوجد بابٌ آخر يسهل الدخول منهُ فانهُ يوجد بابان آخران اولهما هو الذي دخلت منهُ الخادمة والآخر يوصل الى غرفة البروفسور . فوجهت انتباهي الى الباب الموصل الى الحديقة وكانت الارض لا تزال مرطبة بالمطر فبذلت جهدي في البحث عن اثر الاقدام فظهر لي ان الجاني من الماهرين جدًّا في صناعتهم لاني لم اجد اثر قدم واحدة في كل الممرّ فاستنتجت انهُ سار على طرف الممر فوق العشب النابت ليمنع ظهور آثارهِ ودلني على ذلك تكسير الحشيش المذكور مع انهُ لا البستاني ولا غيرهُ مرَّ في تلك الجهة منذ الصباح وقد بدأ المطر من الليل . اما هـذا الممر فيتصل بالشارع وطولهُ نحو مئة يرد وهو عند آخرهِ مبلط فلم اجد على البلاط اقل اثر . ثم عدت الى العشب فما تمكنت من معرفة الآثار هل كانت قادمة او ذاهبة ولا عرفت حجم القدم لان الاثر غير واضح تماماً . فتململ شرلوك في كرسيهِ وقال وماذا تحققت اذا كنت لم تتحقق شيئاً . فقال

هو بكنس مهلاً ايها العزيز فقد تحققت دخول شخص الى البيت فسرت في الرواق المتصل بالحديقة وكانت ارضهُ مغطاة ببساط فلم تبن عليهِ الآثار وبلغت المكتب الذي حصلت فيهِ الجناية فوجدت فرشهُ بسيطاً في الغاية وفيهِ مائدة كبيرة لها ادراج على الجانبين وخزانة في الوسط وكانت الادراج دائماً مفتوحة لعدم احتوآئها على ما يهمّ اما الخزانة فكانت مقفلة وهي تحتوي على اوراق مهمة وذات قيمة غير ان البروفسور اكد لي بعد الفحص الدقيق انهُ لم يفقد شيء من مكتبه مما دلني على ان الجاني لم تكن غايتهُ السرقة . ثم وصلت الى جثة الفتى فرأيت الجرح في جانب عنقهِ الايسر وهو ممتدّ من الامام الى الورآء مما يدل على انهُ ليس هو الفاعل بنفسه وانهُ لم يقع على السكين بالقضآء والقدر لاننا وجدنا السكين ملقىً على بعد من الجثة . وفضلاً عن ذلك فان كلمتي القتيل تدلان على ان الفاعل آخر وفوق هذا فقد وجدنا في يدهِ اليمنى نظارات ذهبية وقد علمنا انهُ كان سليم النظر لم يستعمل النظارات قط فثبت لنا انهُ انتزع هذه من القاتل . فاخذ شرلوك النظارات بيدهِ ففحصها بدقة ثم قال ان الجاني يا هو بكنس هو امرأة ثمينة اللباس لها انف عريض وعينان صغيرتان وجبهة واسعة وكتفان مستديرتان وقد ذهبت الى احد باعة النظارات مرتين في هذا الشهر . وبما ان نظاراتها قوية للغاية ولا يوجد كثير من تجار هذا الصنف فيمكنك بسؤالهم عنها ان تتوصل الى معرفتها سريعاً

وبينما هو بكنس وانا نتعجب من كلام شرلوك قال ان النظارات قد تكون من افضل الادلة لمعرفة اصحابها اذا جُهلوا ونحافة هذه النظارات تدل على ان صاحبتها امرأة وكونها من الذهب الخالص تدل على ان باقي لباسها حسن وثمين ويستدلّ من اتساع الفتحة بين الزجاجتين ان انفها عريض وقصير ويغلب على صاحب هذا الانف ان تكون عيناهُ صغيرتين وجبهتهُ متسعة وكتفاهُ مستديرتين . اما ذهابها الى بائع النظارات مرتين فان فتحة ما بين الزجاجتين مبطنة بالفلين وقد لاحظت ان احدى القطعتين لا تزال جديدة والاخرى قد اسودّت من العرق والاستعمال فيلمت ان احدى القطعتين سقطت فاضطرت السيدة ان ترجع الى

البائع لتركيب غيرها . فقال هو بكنس لله درك يا شرلوك فقد كانت النظارات معي كل هذا الوقت ولم يخطر لي قط انهُ يؤخذ منها مثل هذه الادلة . اما الآن وقد علمت الخبر بتمامهِ كما اعلمهُ انا او اكثر فقد بقي عليَّ ان ازور جميع المحلات التي تباع فيها النظارات بعد ان ارجع صباح غدٍ الى يوكسلي لعلي اتوصل الى شيء جديد . فقال شرلوك واظنك ترغب ان نرافقك فلا انكر انني ارى في هذا الامر ما اود ان افحصهُ بنفسي فسنرافقك غداً ان شآء الله واذ لا فائدة من الخروج الآن في هذا الليل العاصف فقم بنا نتوسد هذه المقاعد ونريح اجسامنا استعداداً للغد

وفي الصباح هدأت العاصفة فسرنا وكان البرد قارساً جدًّا فاقلّتنا القطار الى اقرب محطة نصل منها الى يوكسلي وسرنا من هناك الى ان بلغنا الحديقة فدخلنا وبدأ شرلوك بفحص الممرّ حيث كانت آثار الأقدام على العشب النابت وكان يهز رأسهُ من حين الى آخر ثم قال يظهر لي ان المرأة لم يكن قصدها القتل والاَّ لكانت احضرت سلاحها معها ولم تستخدم المكشطة التي وجدتها على مائدة البروفسور . ولكن من لنا بمن يعلمنا مقدار الوقت الذي صرفتهُ في المكتب قبل وصول سميث المسكين . فقال هو بكنس انها لم تلبث طويلاً لاني علمت من مسس ماركر المدبرة انها كانت في نفس الغرفة قبل الحادث بربع ساعة . فقال شرلوك هذه فائدة ضرورية لكن بقي ان نعلم ما ذا كان غرض القاتلة من دخولها الغرفة . واذ ذاك وقع نظرهُ على قفل الخزانة فقال ها انني ارى اثراً على نحاس القفل كانهُ تجربة لفتحهِ فاين يكون مفتاحهُ عادةً . فقيل لهُ انهُ لا يفارق البروفسور . فهزَّ رأسهُ وكانهُ استنتج شيئاً آخر ثم صرف المدبرة وقال يظهر اننا قد توصلنا الى تتبع الامر كما حصل فان القاتلة دخلت من هذا الباب وتوجهت الى الخزانة فحاولت فتحها وبينما هي كذلك اذ دخل سميث فاسرعت في اخراج المفتاح فجرح النحاس وترك هذه العلامة . واراد سميث ان يقبض عليها فتناولت شيئاً لتدفعهُ عنها فاتفق لسوء الحظ انها صادفت يدها السكين فاغمدتهُ في عنقهِ وكانت الضربة قاضية ويظهر انها عادت من حيث اتت . وقد فهمت ان هذا الباب يفضي الى الرواق

ومنهُ الى الحديقة والباب الذي بجانبهِ يوصل الى غرفة البروفسور فهلموا بنا اليهِ . فسرنا في ممرّ كالسابق مفروش ببساط ولما بلغنا غرفة البروفسور وجدناها فسيحة متسعة وقد ملئت خزائنها بالكتب والمجلدات الضخمة و بقي كثير منها ملقى هنا وهناك لعدم وجود محل لهُ . وكان في وسط الغرفة سرير عليهِ البروفسور وهو طويل القامة نحيف الجسم رقيق الوجه مستطيلهُ ولهُ عينان سوداوان عليها آثار القلق والخوف . وكان شعر رأسهِ ولحيتهِ ابيض كالثلج ما خلا القسم المحيط بفيهِ فكان مصفرّ اللون من الدخان وكانت لفافة التبغ بين اصابعهِ

فبعد ان حييناهُ وترحب بنا قال انني اشكرك يا حضرة المستر هولمز لتكرمك بالمجيء لمساعدتنا فقد سمعت عنك ما يؤكد لي انك ستوضح لنا الامر بتمامهِ. ولست ازيدكم علماً انني خسرت بفقد سميث خسارةً لا تعوض فقد كان يدي اليمنى وأرى بمصرعهِ انني فقدت الذاكرة ولم يعد دماغي يقوى على تصوير الافكار فيا لله ما اشد هذه المصيبة عليَّ . ثم قدم لنا من دخانهِ وقال انهُ مولع بالتدخين وانهُ يستحضر اللفائف من مصر فينفق منها في كل اسبوعين الف لفافة . فرفضت انا اما شرلوك فاخذ لفافة وجعل يشربها بمنتهى الشره وهو يتخطى في الغرفة ولما فرغت اشعل الثانية والثالثة والرابعة فعجبت لذلك وتحققت ان لا بدَّ لهُ في ذلك من غاية . ثم وقف فجأةً وسأل البروفسور عن رأيهِ في مقتل الفتى وكلمتيهِ الاخيرتين . فقال البروفسور انا اعلم انهُ لم يكن لسميث عدوٌّ قط ولا يوجد من يهمهُ قتلهُ والذي اظنهُ انا انهُ انما انتحر لاسباب غرامية نجهلها . اما كلمتاهُ الاخيرتان فلا أفهم منهما شيئاً ولعلهما كانتا مجرد توهم من الخادمة التي نقلتهما . واما وجود النظارات في يدهِ فيمكن انها كانت اثراً من الحبيب الذي جفاهُ او اوجب يأسهُ حتى انتحر . فقال شرلوك وهل يمكنك ان تخبرني عما يوجد في الخزانة التي في المكتب . قال ليس فيها ما يهم اللصوص فانها تحتوي على اوراقي البيتية ورسائل زوجتي المسكينة وشهادات المدرسة والامتيازات التي نلتها في صباي وهو ذا مفتاحها فافحصوها اذا شئتم . فاخذ شرلوك المفتاح وفحصهُ بنظرهِ الحاد ثم اعادهُ اليهِ وقال لا ارى ما يوجب ذلك ونحن

خارجون الى الحديقة لاخلو بافكاري وسأعود بعد الظهر ويغلب على ظني انني سأتمكن حينئذٍ من اطلاعك على الحقيقة

ولما خرجنا ذهب هو بكنس الى القرية ليسأل الشرطة لعلهم سمعوا شيئاً أو اكتشفوا امراً يختص بالحادث وبقيت وحدي مع شرلوك وكان صامتاً. فسألتهُ هل تبين لهُ دليلٌ او وجد املاً يقربهُ من الحقيقة . فقال امامي دليل عظيم الاهمية يا وطسن وهو اللفائف العديدة التي شربتها في غرفة البروفسور فاذا صدق ظني تمكنت من القاء القبض على القاتلة في منتصف الساعة الثالثة واذا خانتني الفطنة في هذه المرة ذهبت توًّا الى باعة النظارات فلا اعود حتى اعرف الغريم . ومرت بنا المدبّرة مسس ماركر فناداها شرلوك وجعل يحادثها وكان لهُ مقدرة غريبة على محادثة السيدات ثم اخذ يسألها عن اطوار البروفسور وبعض عوائدهِ فقالت في عرض الحديث انهُ مولع جدًّا بالتدخين فهو لا يترك اللفافة من يدهِ نهاراً ولا ليلاً الى ان ينام . فقال شرلوك فمن الضروري اذاً ان يفقد البروفسور شهوة الطعام ويغلب على ظني انهُ لم يأكل صباح هذا اليوم وربما لم يتناول طعام الظهر ايضاً . قالت بل الامر بالعكس فقد كان اكلهُ قليلاً الى ان حصلت جناية الامس فقد تعشى ضعفي طعامهِ العادي وتناول في هذا الصباح كل ما احضرتهُ لهُ من الزاد واوصاني اذا صنعت لهُ طعام الظهر ان اكثر اللحم . مع اني انا منذ دخلت المكتب امس ورأيت جثة القتيل الى الآن لم اذق القوت

وعاد هو بكنس فاخبرنا انهُ علم من الشرطة ان سيدة غريبة عن القرية جاءتها منذ يومين ولكنهم لم يروها الا مرة واحدة ويظن انها عابرة سبيل فقط . ولما صار موعد الغداء دخلنا جميعنا الى غرفة الاكل واكلنا مريئاً . ولما فرغنا من تناول الطعام وشرب شرلوك لفافتهُ نظر الى ساعتهِ ثم وثب فجأةً وقال قد بلغنا الساعة الثانية فهلموا بنا الى غرفة الاستاذ . ولما دخلناها وجدناهُ قد نهض من سريرهِ وارتدى ثيابهُ وجلس على كرسي كبير فترحب بنا ثم ادنى علبة اللفائف من شرلوك وقال هل تمكنت من اكتشاف شيء من هذا السر العظيم . وقبل ان يجيبهُ شرلوك مد يدهُ

ليأخذ لفافةً وتظاهر بعدم الانتباه فاوقع العلبة الى الارض وتناثرت اللفائف فانحنينا لالتقاطها واذ ذاك انتصب شرلوك وقال نعم يا حضرة البروفسور قد وضحت لي الحقيقة . فنظرت الى هوبكنس فرأيتهُ ينظر اليَّ بتعجبٍ شديد . اما البروفسور فزاد اصفرار وجههِ وقال كيف ظهرت لك هل كان ذلك في الحديقة . فقال شرلوك كلاّ بل في هذه الغرفة . فقال البروفسور وقد كاد ينقطع صوتهُ هنا ؟ وفي اي وقت . قال في هذه الدقيقة . فتبسم البروفسور بتكلف وقال يظهر لي انك تهزأ بنا كأن الامر لا يستحق الاهتمام . فقال شرلوك قد اتّبعت حلقات البحث يا مولاي وتأكدت متانة كل حلقة منها فانا لا اعرف مقدار اشتراكك في هذه الفاجعة ولكني اعتقد انني سأسمع تفاصيلها من فيك عما قليل . ولكي اوفر عنك تلاوة ما عرفتُهُ حتى الآن اقول

ان سيدةً ذات لباس فاخر دخلت مكتبك بالامس وقصدها الاستيلاء على اوراق تهمها مودعة في خزانة المكتب وكان لديها مفتاح نظير المفتاح الذي اريتنيهِ واؤكد لك انك لم تعرف بقصدها نت وقد فتحت الخزانة وأخذت ما تريد . واتفق اذ ذاك دخول الكاتب سميث فاخرجت المفتاح بسرعة فخدش بخروجه القفل النحاسي وكان من الواجب ان يظهر مثل ذلك الخدش على طرف مفتاحك لو كان هو نفسهُ الذي استُعمل . ولما رأى الكاتب السارقة همَّ بالقبض عليها فدفعتهُ عنها بشيء اخذتهُ عن المائدة وهي لا تدري ما هو فاتفق ان كان السكين وتسبب عن ذلك موت الفتى على غير قصد من السيدة لانها لو كانت مصممة على ارتكاب القتل لكانت احضرت سلاحها معها . وكانت هذه السيدة تستعمل النظارات فلما رفعت يدها بالسكين حاول ان يدفعها عن نفسهِ فوقعت يدهُ على نظاراتها ثم سقط الى الارض وبقيت النظارات في يدهِ . ولما كانت حسراء البصر لا ترى بوضوح بدون نظاراتها حارت في امرها ورأت عند خروجها من الباب رواقاً مستطيلاً مفروشة ارضهُ ببساط فظنتهُ الرواق الذي دخلت منهُ من الحديقة والرواقان متشابهان ولما بلغت آخر الرواق رأت باباً فتحتهُ فوجدت نفسها امامك في هذه الغرفة

فجحظت عينا البروفسور وقطب حاجبيهِ وبانت عليهِ علائم الانزعاج والارتباك فقال يظن السامع يا مستر شرلوك ان قصتك حقيقية فكيف امكن ان تدخل القاتلة الى غرفتي ولا اراها مع اني لم افارق الغرفة ولم اكُ نائماً . فقال شرلوك انا لم اقل انك لم ترَها بل اؤكد انك رأيتها وعرفتها وكلمتها وساعدتها على الاختفاء . فاحمرّ وجه الاستاذ ولم يملك غيظهُ وقال لهُ لقد ثبت عندي انك تهذي وقد فقدت عقلك يا شرلوك فاذا كنت تدعي انني ساعدتها على الاختفاء فاين هي الآن . فقال شرلوك بلطف وبرود عظيمين هي يا مولاي هنا واشار بيدهِ الى خزانة صغيرة مقفلة كانت الى جانب الغرفة . فبانت على البروفسور اشارات اليأس وكان قد انتصب فتلاشت قواهُ وسقط على كرسيهِ خائر العزم غائر العينين . وفي نفس الدقيقة فُتح باب الخزانة التي اشار اليها شرلوك وخرجت منهُ سيدة فقالت قد صدقت يا هذا فها انا ذه وكانت هيئتها وجسمها مطابقة للوصف الذي ذكرهُ شرلوك سابقاً . وما رآها هو بكنس حتى وثب اليها فقبض على يدها فدفعتهُ عنها بلطف وقالت انني اسيرتكم ولم يعد في امكاني الهرب فلا تسرع في اخذي . وانني سمعت كلامكم وعلمت انكم عرفتم الحقيقة فانا اعترف امامكم بانني القاتلة وان يكن القتل عن غير تعمد . ثم تغير لونها تغيراً سريعاً فقالت لم يبقَ لي الا دقائق قليلة فلا تقاطعوني في حديثي لانهُ يجب ان اعترف بكل شيء وبكل سرعة

انني زوجة هذا الرجل الذي تدعونهُ البروفسور وتظنونهُ انكليزي الاصل وما هو بالحقيقة الا روسي واسمهُ سرجيوس. وكان البروفسور قد امتقع واصبح اشبه بالموتى من الاحياء فنظرت اليهِ بازدراء ومضت في حديثها فقالت واني اعجب من تعلقهِ بحياتهِ الدنيئة وقد نزع حياة كثيرين سواهُ ولكنهُ يوجد اله فلا بد ان يلقى جزاءهُ آجلاً او عاجلاً . اجل انني زوجة هذا الخبيث وقد اقترن بي وهو في الخمسين من عمرهِ وانا في العشرين وكان ذلك في روسيا وقد رضيت بهِ لضعف عقلي وسوء طالعي . وكنا جميعاً من جمعية النيهيلست التي تعرفونها فاتفق ان قامت جمعيتنا بثورةٍ قتل فيها بعض رجال الحكومة فسجن كثيرون والقي القبض

على عدد من المتهمين ونهض هذا الرديء ليخلص نفسهُ فوشى بزوجته واخوانهِ وكانت نتيجة خيانتهِ ان ساقوا بعضنا الى النطع والبعض الى سيبيريا وكنت انا من جملة المنفيين غير ان نفيي كان الى مدة قصيرة . اما زوجي فجمع ما لديهِ من اموال الجمعية واموالهِ وهرب الى انكلترا متخفياً ليقينهِ بانهُ اذا علمت الجمعية بمقرهِ اهلكتهُ للحال . وكان بين رفاقنا في الجمعية فتى احبيتهُ واحبني وكان اديباً لطيفاً بعكس زوجي هذا بل كان قد رأى الاقلاع عن غاية الجمعية لاعتقادهِ سوء مقاصدها وكتب الينا مراراً ان نحل عنا قيودها ونبتعد عن الاختلاط بها وقد علمت اني لو اظهرت رسائلهُ العديدة التي كان يكتبها الينا او مذكراتي اليومية لكشفت برهاناً يوجب فك اسرهِ وخلاصهُ من النفي الابدي الذي حكم عليهِ بهِ ظلماً . اما زوجي فكان قد اخفى تلك الرسائل والمذكرات وقد صمم على اهلاك ذلك الفتى ونجح بعض النجاح لانهم ارسلوا حبيبي الكسيس مقيداً بالاغلال الى سيبيريا حيث قضي عليهِ ان يقضي باقي حياتهِ في الشقاء والعذاب

وكانت تظهر عليها علائم الآلام الداخلية ولا يزال لون وجهها يزداد تغيراً فقالت يجب ان اتمم حديثي بسرعة فلا تمنعوني . فلما انتهت مدة منفاي خرجت ابحث عن رسائل الكسيس ومذكراتي لاعتقادي انها تقنع الحكومة الروسية ببراءة ساحتهِ واتوصل بها الى اطلاق سراحهِ . وعلمت ان زوجي قد جاء الى انكلترا فتبعتهُ وقضيت اشهراً في البحث عنهُ حتى اهتديت الى محل وجودهِ وعلمت انهُ يحفظ في خزانتهِ تلك الاوراق وانني اذا ذهبت اليهِ رأساً وطلبتها منهُ لا يسلمها اليَّ فعمدت الى الحيلة واستأجرت رجلاً دخل في خدمته بصفة كاتب وهو الكاتب الذي كان قبل الفتى سميث فوجد ان الاوراق محفوظة في الخزانة فطلبت منهُ ان يأتيني بهيئة القفل ويرسم لي مدخل البيت وغرفهُ ففعل واخبرني ان المكتب لا يدخلهُ احد في الصباح لان البروفسور يبقى مع كاتبهِ في غرفتهِ الى الظهر . فجمعت كيدي وعملت المفتاح وصممت على المجيء واخذ الاوراق بنفسي وقد نجحت في عملي ففتحت الخزانة واخذت الاوراق وكنت على وشك اقفالها فدخل الكاتب

فجاةً وقبض على يدي وكنت قد رأيتهُ في الصباح على الطريق وسألتهُ عن محل سكنى البروفسور . فقاطعها شرلوك وقال نعم وقد اخبر البروفسور بذلك لان كلمتيهِ الاخيرتين « البروفسور » و «هي» تفيدان انهُ متى قيل للبروفسور « هي » عرف انها السيدة التي ذكرها لهُ . فقالت السيدة لا تقاطعني يا هذا لانهُ يجب ان اتمم حديثي في الحال . واذ ذاك اردت ان ادفع الفتى عني وصادفت يدي السكين فاغمدتها في عنقهِ وانا فاقدة الادراك . فلما سقط اسرعت من الغرفة ولم اهتدِ الى الطريق التي دخلت منها فما وجدت نفسي الا في هذه الغرفة فرآني زوجي وعرفني وهمَّ باظهاري فتهددتهُ بأن حياتهُ في قبضة يدي وانهُ اذا شكاني الى الحكومة شكوتهُ الى الجمعية التي لا تزال تبحث عنهُ . ولم افعل ذلك رغبةً مني في الحياة بل لرغبتي في البقآء الى ان اتمم عملي واخلص الكسيس المظلوم . وعرف زوجي انني انفذ تهديدي اذا اصرَّ وكان جباناً يخاف على حياتهِ الخبيثة فادخلني الى هذه الخزانة وهي قديمة جدًّا كما ترون قد ملأها العنكبوت . وكان اذا اتاهُ طعامهُ الى غرفتهِ يقفل بابهُ ويدعوني فآكل واشرب معهُ وقد اتفقنا انهُ بعد خروج الشحنة انسلّ ليلاً كما دخلت واترك هذه الديار فعاجلنا القضآء بل ادركت غايتنا فطنتك يا حضرة المستر شرلوك لاني سمعتهم ينادونك بهذا الاسم ولا اعتقد الا انك من ابالسة الجحيم . ثم اخذت من صدرها رزمة اوراق وقالت هذه هي الاوراق التي يتوقف عليها خلاص الكسيس فمهما تكن يا شرلوك من الملائكة البيض او السود فانهُ يلوح على وجهك علامات الصدق والشرف فاستحلفك بشرفك ان توصل عني هذه الاوراق الى السفارة الروسية . اما انا فقد اتممت عملي وعلى الدنيا السلام

ولما قالت ذلك اخذت من يدها قارورة صغيرة وادنتها من فيها وكان شرلوك يراقبها فوثب اليها كالنمر الضاري ونزع القارورة من يدها ولكنها كانت قد تجرعت ما بقي فيها . فضحكت ضحكةً منكرةً وقالت قد تأخرتم فانني قد ابتلعت نصف هذا قبل ان اخرج من مخبئي وانا لا اجهل فعل هذا السائل فلذلك اسرعت باقراري قبل ان تعاجلني المنية وحين اتممت كل ما ازيد اتمامهُ ابتلعت الباقي ...

ان رأسي ... وانا ذاهبة .... لا تنسَ الاوراق .... ثم تشنجت اعضاؤها وانتفضت انتفاضاً مخيفاً وسقطت الى الارض فاقدة الحياة

وبينما نحن عائدون الى لندن قال شرلوك ان الامر كان بسيطاً للغاية ولكنهُ لو لم يخطف القتيل النظارات التي سهلت لنا كشف القاتلة لذهب كل اجتهادنا ادراج الرياح . وقد عرفت من قوة النظارات ان صاحبها لا يمكنهُ ان يرى طريقهُ واضحاً بدونها ولذلك تحققت انهُ يستحيل ان يرجع في الحديقة دائساً على طرف الممرّ فوق العشب النابت لانهُ يصعب ذلك حتى على سليم البصر فايقنت ان القاتلة لم تفارق البيت ما لم يكن لديها نظارات اخرى وهذا بعيد عن الاحتمال . ولما رأيت مشابهة الممرّ الموصل الى الحديقة للممر الموصل الى غرفة البروفسور خُيّل لي انها في خروجها غلطت فوصلت الى الغرفة بدل الحديقة ولما دخلتُ الغرفة اول مرة فحصتها بدقة لعلي اهتدي الى مخبإٍ فيها فلم اجد اثراً للابواب السرية ورأيت البساط مثبتاً في الارض بالمسامير فتحققت انهُ لا يوجد منفذ تحتهُ . وكانت جميع الخزائن زجاجية الابواب ملأى بالكتب الا تلك الخزانة القديمة فشككت فيها ووجهت اليها اهتمامي ثم جعلت اشرب تلك اللفائف بشَرَه ولم يكن قصدي الا القاء رمادها الى الارض وعلى الخصوص امام تلك الخزانة ثم خرجنا واعتقدت ان القاتلة لا تستطيع البقاء بدون قوت فلا بد ان تخرج من مخبئها فتظهر آثار اقدامها على رماد اللفائف وساعدني في ظني هذا ما قالته لي المدبرة عن البروفسور من انهُ بعد حدوث القتل ازداد اكلهُ فلم يبقَ عندي ريب ان شخصاً آخر يشاركهُ في طعامهِ . فلما انتهى موعد تناول الطعام ودخلنا الغرفة وقدّم لي لفافة احتلت حتى اوقعت العلبة الى الارض فكان لي فرصة اراقب فيها الرماد الذي نصبتهُ شركاً فوجدت ان القاتلة قد خرجت من مخبئها في اثناء غيابنا ....

ولما اتم شرلوك حديثهُ كنا قد صرنا بقرب دار الشحنة ففصل عنا هو بكنس ليعود الى اشغالهِ وهو يترنح من شدة العجب واخذنا نحن طريق السفارة الروسية

لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

وقال في موضع آخر « وحجم الشمس اكبر من حجم الارض بمليوني مرة وهي تنتقل بسرعةٍ تجاوز أحياناً ١٥٠ كيلو متراً في الثانية الواحدة » والصحيح أن حجم الشمس لا يزيد على مليون و ٢٧٤ الف مرة من مثل حجم الارض أو مليون و ٤٠٠ الف مرة تبعاً لاختلافهم في قياس قطر الشمس فيكون قد زاد في حجم الشمس ما يعدل حجم الارض ٦٠٠ الف مرة في الاقلّ ...

وأغرب من هذا قولهُ أن سرعتها تجاوز « أحياناً » ١٥٠ كيلو متراً في الثانية كأن الشمس تسرع تارةً وتبطئ أخرى وما ندري كيف أمكن تحقق ذلك مع أنهم الى الآن لم يتفقوا على تعيين سرعة الشمس . فقد قدَّرها ستروف بسبعة كيلومترات في الثانية وقدَّرها غيرهُ بخمسة وعشرين كيلومتراً وأبلغها آخر الى ستين كيلومتراً وربما زاد بعضهم الى ما وراء ذلك مما لا فائدة من استقصآئهِ ولا يثبت من جملتهِ الا ان الشمس تنتقل في الفضآء واما المسافة التي تقطعها في زمنٍ معلوم فما أعجزتهم الذرائع في تعيينهِ ولعلهُ لا يزال عقبةً في وجوههم الى آخر الايام

ثم قال « وطول قطرها (أي قطر الشمس) ٦٩٢٤٢٨ كيلو متراً أي قدر نصف قطر الارض ١٠٨٥٥٩ مرة » .. وهذا أيضاً من الغرابة بمكان فان ما ذكرهُ من قياس قطر الشمس انما هو قياس نصف قطرها وبعكسهِ

عدد المرّات من نصف قطر الارض التي جعلها قياساً لقطر الشمس فان صوابهُ عدد المرات من قطر الارض وهي « ١٠٨ » فقط والباقي كسر

وقال بعد ذلك « تحرك الشمس في الفضآء كما حققهُ فلكيُّو العرب ومَن خلَفَهم من علمآء الافرنج مثل كوبرنيك وغاليله وكبلر بحركتين احداهما رجوية أي حول نفسها وقد اكتشفها غليله سنة ١٦١٠ بما رآهُ من تنقل البقع الموجودة على سطحها . . والثانية حركتها الانتقالية في الفضآء نحو مجموعة البجعة بسرعة ١٦ كيلومتراً في الثانية الواحدة . . وهذا السبب في وضوح تلك المجموعة كل سنة عن سابقتها »

قلنا وهنا أمور أولها زعمهُ ان حركة الشمس في الفضآء حققها فلكيو العرب ولم يُنتَقل الينا أن أحداً من فلكيي العرب اشار الى الحركة التي يذكرها هنا أو تنبه لها بل الذي كانوا عليهِ ان الشمس تدور حول الارض كما هو مذهب بطلميوس واين تلك الحركة من هذه . ثم اعتبر هذا القول مع قولهِ بعد ذلك ان حركتها حول نفسها اكتشفها غاليله سنة ١٦١٠ (والصواب سنة ١٦١١) بما رآهُ من تنقُّل البُقَع على سطحها ومعلومٌ أن هذه البُقَع أي السُفَع لا تُرَى الاّ بالآلات البصرية وقد كان اختراع هذه الآلات سنة ١٦٠٩ على يد غاليلاّي وهو اول من رأى البقع المذكورة على وجه الشمس كما يقول ومنها توصل الى اكتشاف حركة الشمس حول محورها فكيف تكون هذه الحركة مما حققهُ العرب من قبلهِ بل كيف يكون كوبرنيك ايضاً قد عرفها وهو قد تُوفي سنة ١٥٤٣ اي قبل الاختراع المذكور بما يقرب من سبعين سنة

اما كبلر وهو من معاصري غاليلاّي فلا يُنكَر انهُ ورد في كلامهِ ما يشير الى هذه الحركة قبل اكتشافها وذلك في كتابٍ نشرهُ سنة ١٦٠٩ الاّ ان ذلك كان من طريق الحدس اوردهُ في تعليل دوران السيارات حول الشمس. وسبقهُ الى هذا القول جُوردانُو برُونُو في مؤلفٍ لهُ ظهر سنة ١٥٩١ وهو اول من قال بهِ فيما ذكروا واما تحقيق هذه الحركة من الطريق الحسي اي بمعاينة حركة السُفَع على وجه الشمس مع تعيين مدة دوران الشمس حول محورها فمما لم يتوصل اليهِ احدٌ قبل غاليلاّي

واما حركة الشمس الانتقالية فمن المستحيل ان يكون العرب قد تفطنوا لها لان القول بها لا يمكن الا بعد المعرفة بحركة الشمس حول محورها او اعتماداً على الدليل الحسي من الكواكب على ما سنذكرهُ . وقد كان اول من قال بها لالانْد سنة ١٧٧٦ وكان ذلك من طريق الحدس ايضاً بناءً على ثبوت الحركة الاولى. قال فان دوران الشمس حول محورها لا يكون الا بقوَّةٍ دفعتها من خارج مركزها والقوة التي تحرّك جسماً حول مركزهِ لا بد ان تحرّك المركز ايضاً وتنقلهُ عن موضعهِ اذ لا يمكن ان تُتصوَّر الحركة الاولى بدون الثانية . وتبعهُ في ذلك بعض رجال هذا العلم كفُونتنّيل وبرادلاّي ولمبّير وغيرهم الى ان جاء وِليَم هرشل ودقق في اقيسة المسافات التي بين النجوم وبمقابلتها على الاقيسة القديمة تبين لهُ ان طائفةً من الكواكب الشمالية قد انفرج ما بينها وبعكسها ما يقابلها من الجهة الجنوبية فجزم بان الشمس جاريةٌ الى نقطةٍ في صورة الجاثي عيَّن موضعها بين كوكبين معلومين منها وأعلن رأيهُ هذا سنة ١٧٨٣ فلم يكن

في ذلك يدٌ للعرب ولا لكوبرنيك او غيرهِ ممن تلاهُ الى عهد لالَند ووليم هرشل

وبقي هنا تسميتهُ الصورة او المجموعة التي ذكر ان الشمس متوجهةٌ اليها بالبجعة وما نعرف صورةً في السماء اسمها البجعة الا ان يكون اراد الصورة المعروفة بالدجاجة او الإوَزّة (le Cygne) وهذه لم يقل احدٌ ان الشمس متوجهةٌ اليها ولكن كل من ذكر هذا البحث يقول ان طريقها متجه الى صورة الجاثي او الراقص (Hercule) . ومن الغريب انهُ يقول هنا ان الشمس تنتقل « بسرعة ١٦ كيلو متراً في الثانية » مع انهُ قال قبل ذلك انها « تتجاوز احياناً ١٥٠ كيلومتراً » فبقي ان سرعتها تتفاوت ما بين ١٦ و ١٥٠ كيلومتراً في الثانية فيا لهُ من فرقٍ عظيم ...

وما اضحكنا بعد ذلك كلهِ الا قولهُ « وهذا السبب في وضوح تلك المجموعة (اي مجموعة البجعة) كل سنةٍ عن سابقتها » (كذا) وما ندري ما اراد بالوضوح الذي ذكرهُ فانهُ ان اراد ان نجوم هذه « المجموعة » تزداد وضوحاً في رأي العين اي يعظم نورها او حجمها فهذا لا صحة لهُ لانهُ لم يقل احدٌ ان شيئاً منها انتقل من القدر الثالث مثلاً الى القدر الثاني. وكذا اذا نُظر اليها بالآلات البصرية فانها لا تزيد على ان تُرَى نُقَطاً هندسية ولعلها لن يزال منظرها كذلك ولو صرنا بينها . وان اراد ما ذكرناهُ من انفراج بعضها عن بعض فهذا لا يتميز بين « سنة وسابقتها » ولا يُشعَر بهِ بعد السنين الكثيرة الا بأدقّ الاقيسة في المراصد الفلكية

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٨ —

لقد اجمع علماء الارخيولوجيا[1] على ان الانسان عاش الوفاً من السنين على هذه الارض وهو في حالتهِ الفطرية الاولى اي قبل ان ينتقل الى دور الحضارة . يأكل عند ما يتيسر لهُ القوت لا عند ما يجوع ويشرب حينما يصيب ماءً لا متى ادركهُ الظمأ ولا ملبس لهُ الا ما على بشرتهِ من الزغب والشعر او ما طلى بهِ بدنهُ من طينٍ[2] ولا مأوى لهُ الا ما في الاودية والجبال من وجار وكهف .

تلك ازمنة لم يقل فيها الرجل ان شطرهُ الطبيعيّ (اي المرأة) محتالٌ

---

(١) علم يبحث عن حالة الانسان في ادوارهِ الاولى الطبيعية . اي قبل العصر التاريخي

(٢) قد ثبت علماً ان الانسان بعد ان عاش زماناً وهو عارٍ اهتدى الى طلي بدنهِ بالوحول اتقاء لذع البعوض وامثالهِ من الهوامّ وسدّ مسامّ الجسم حتى لا يشتدّ عليهِ تأثير البرد القارس والحر الصاهر . ثم لما اهتدى الى الصيد ابدل الطلي بلبس جلود الوحوش التي اصبح قادراً على اقتناصها . ثم نسج صوفها واكتسى بهِ بعد ان فُتح عليهِ فتبين طريقة الغزل والنسج ثم نسج الياف النبات واشتمل بها اشتمالاً . ثم اكتشفت ملكةٌ في الصين خاصية دود القز واساليب تربيتهِ والاستفادة من حريرهِ وذلك في شمالي بلاد الصين منذ اكثر من خمسين قرناً اي من قبل عهد الملك فوهي الذي كان قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . ثم اهتدى الى الخياطة فابدل الاشتمال والتردّي بتفصيل ما شاء على ما يشاء ومن هنا نشأ التفنن في الازياء الذي ابى ان يستقرّ على حالٍ ما دامت الارض والسماء

طبعاً مكارٌ غريزةً غدورٌ فطرةً لانهُ لم يكن اذ ذاك اقوى ادبيًّا من المرأة ولا هي اضعف منهُ بل كان كلاهما في حالةٍ واحدة يسعيان معاً وراء الرزق فيصيبانهِ من جذور النبات والبقول واثمار الاشجار البرية شأن الوحوش النافرة في عرض القفر حتى هذا اليوم . لا بيت للرجل يختص بهِ فيحتبس المرأة فيهِ ولا عروض في الدنيا ولا نقود مسكوكة ليستبدَّ بها دونها . وما من سلاحٍ في الارض ليتقلدهُ غازياً ومدافعاً فيسكرهُ غرور المجد الناشئ عن القوة والمؤدّي الى الغطرسة والعسف . وما من عسكر ليكون لهُ قائداً يكتسح بهِ البلاد ويفتتح الحصونَ ثم يعود ظافراً بالغنائم . ولا مملكة فيمسي عليها سلطاناً يأمر وينهي ويعزل ويولي فيقول للمرأة « انا ربّكِ الاعلى فاعبديني » . بل كان نوع الانسان يعيش قطعاناً وربارب كالايائل والظبآء مقصورةً حياتهُ على بسائط الحاجيات يأكل مما تنبت الارض ويشرب مما تمطر السمآء وتنبع العيون ويمتّع حواسهُ بزخرف الطبيعة الزاهي بساطهُ التراب وظلالهُ الكهف والغاب وسلاحهُ الظفر والناب

تلك أزمنة كان فيها الزواج مشاعاً لا قاعدة لهُ يجري عليها ولا قانون يُعمَل بمقتضاهُ لان الشرائع لم تكن وُجدت بعد . وكان كل فردٍ من النوع الانساني حاكماً ذاتهُ مستقلاً بشؤونهِ متولياً امور نفسه بنفسهِ يدبر بارادتهِ الساذجة حركاتهِ وسكناتهِ لا سائد بين الافراد ولا مسود ولا غنيٌّ ولا فقير ولا يمتاز آحاد النوع عن سائرهِ الاّ بما خصَّت الطبيعة بعضهم دون بعضٍ من بسطة الجسم وتوفُّر القوى

ذلك عصرٌ لم تكن فيهِ المرأة موصوفةً بالغدر والمكر والاحتيال كما

زعم الرجل التاريخي بل كان اسلافهُ يحسبونها الرفيق الانيس والاليف الوفيّ والحبيب الكثير الحنان . هكذا عاش الانسان منذ الدور الجيولوجي الثالث حتى زمان الاجتماع ودور العمران ولم يمرّ على مخيّلتهِ وقتاً من الاوقات تصوُّر نسبة هذه الاخلاق الذميمة الى المرأة الاّ بعد ان انفرد عنها ببعض المصالح واستبدَّ دونها بامور وأحوال أدّت الى امتهانها وعزّهِ وتحقيرها وعظمتهِ وتقييد ارادتها خدمةً لاغراضهِ . ولو تأمل قليلاً لعلم انهُ زائغٌ عن الصواب اذ المسبَّبات ناشئة عن الاسباب لا عن الطبيعة ومتى زالت العلة اندفع المعلول

هذا كلامٌ لا بدَّ ان يأتي غريباً على إسماع البعض وتعليلٌ ما تعوّد مواطنونا امثالهُ ولكنهم بقليلٍ من التروي العادل يحكمون بان وراءهُ حقيقة واضحة لا مرية فيها ولا جدال ويتعجبون من بقآئها محجوبةً عن بصائرهم كل هذه العصور وعند كثيرٍ من الاجيال

لا مشاحة ان الذين زعموا ان المرأة جُبلت على اللؤم فطرةً قد اسآءوا الى المُبدع تعالى اسمهُ وغضّوا من شأنهِ لان البارئ تنزهت حكمتهُ أجلّ واحكم من ان يسلّط على الارض وما عليها صنفاً من المخلوقات احد جنسيهِ صالحٌ والآخر شرّير مع انهما من جهة التمثال اكفآء ومن حيث التكليف سوآء . هذا اذا كانوا يدينون بدينٍ لجميع اهل الكتاب وغيرهم ممن يقولون « ان ورآء المادّة قوةً عاقلة تُحدث مبتدعاتها وتجري أحكامها بترتيب وإتقان » واما ان كانوا مادّيين معطلين او دهريين فقد بخسوا الطبيعة حقها ايضاً لانَّ الانسان جُبل شطراهُ من طينةٍ واحدة وأُعطي لكلٍ

منهما من الحواسّ الظاهرة والباطنة ما أعطي للآخر . وعلى هذا نقول ان ليس لهذا الرأي الأفين من مصدرٍ الاّ الغباوة والغرور مبعث الآفات والشرور

ولقائلٍ ان يقول كيف رسخ إذنْ هذا الاعتقاد على فساده الواضح ألوفاً من الاعوام في اذهان البشر ولم تتنبَّه لفساده العقول مع ظهور أفرادٍ من أعلام الرجال على تعاقب العصور والاجيال قد اشتهروا بسموّ المدارك وسداد الآراء حتى عدهم التاريخ أقطاباً وهداةً

فالجواب ان هذا الاعتقاد لم يكن الوحيد باستقراره في ادمغة الناس متوارثاً خلفاً عن سلفٍ مع مخالفته للحقيقة بل يوجد مثله كثير لم تستفق التصوُّرات ولم تتنبه المخيلات لما فيه من الخلل والفساد ومخالفة السداد . والسبب في ذلك ان عامة الناس قد اخضعوا عقولهم منذ البدء للاوهام الناشئة إما عن الجهل واما عن القوانين والاحكام الموضوعة من ذوي السلطات تبعاً لاغراضهم واهوآئهم فاصبحت هذه الاوهام مع تمادي الازمنة الطوال وبقوة المتسلطين الحاملين الرعية على احترامها كانها احكام مسلمة يرسمها الوالدون في مخيلات اولادهم منذ الفطام ويتناولها الخلف عن السلف بالتسلسل والتعاقب كأنها وحيٌ من الآلهة لا يحق للعقل ان يتصرف فيها تحليلاً وتخريجاً ليمحصها ويتدبّرها ويميز صحيحها من فاسدها فينشأ الغلام وتلك الاوهام مبجّنة في دماغه باصبعٍ من حديد . وهو محظورٌ عليه بحكم التربية والقدوة والتقليد ان يستخدم قواهُ المتصرفة في تكييفها وتعليلها فتثبت معهُ على علاتها مدى الحياة ..وهكذا يسلمها الى

اولادهِ ثم اولادهُ الى احفادهم دون بحثٍ ولا استنتاج . ولولا ذلك لما بقي المصريون مع بلوغهم الشأو البعيد من الحضارة والحكمة والعرفان يعبدون العجل (آبيس) وافاعي الصعيد وسنانير السودان وغيرها من سائر الحيوان الوفاً من السنين ولما لبث مئات الملايين من البراهمة والبوذيين حتى اليوم يكرمون نهر القنج تكرمة معبودٍ ويطأطئون رؤوسهم لمنحوتاتٍ وتماثيل هي عمل ايديهم . ولما عبد قومٌ من العرب صنماً معمولاً من العجوة يأكلونهُ عند ما يجوعون ثم يصنعون غيرهُ حين يشآءون للعبادة . ولما بقيت العرافة من السحر والكهانة والتنجيم راسخة في عقول كل الامم الغابرة وبعض الحاضرة كأنها حقائق دينية مع كونها واضحة السخف ظاهرة البطلان . ولما دام بنو الانسان يقولون بدوران الشمس وثبوت الارض دهوراً متطاولة حتى قام في الزمن الاخير من قال بالعكس الذي هو عين الحقيقة ولباب الصواب فذهب شهيد قولهِ او كاد . أفليس حتى اليوم من يتقرب بالذبائح البشرية للمعبودات ويقتل مع الميت زوجاتهِ وخادماتهِ وخيولهُ اعتقادَ انهُ يتمتع بهنَّ في الابدية كما كان يتمتع هنا . وماذا عسانا ان نعدّد من امثال هذه الامور

هذا لعمرك سرُّ بقآء كثير من المزاعم والأوهام والأضاليل سائداً على مدارك الانسان احقاباً متطاولة دون ان يقوى العقل على هتك حجابها وتمزيق جلبابها . ولك بما لا يزال راسخاً في اذهان عامتنا حتى اليوم من حوادث الجن والتابعة والعفريت والقرينة والعين الصائبة وغيرها من الترهات والخرافات انصع برهان واوضح دليل . (ستأتي البقية)

فصال النبات

لم نجد اليق من هذا اللفظ لما سنذكرهُ في هذا الموضع اخذاً من فصال الحيوان وهو قطعهُ عن الرضاع . والمراد بفصال النبات ان يُعمَد الى فرعٍ من فروع الشجرة فيُعالج بحيث يمكن ان يستقلّ بنفسهِ فيُفصَل عنها ويصير شجرةً بحالها . وهذا العمل فضلاً عما فيهِ من الانتفاع بتكثير الشجر بالطرق الصناعية فانهُ قد لا يكون منهُ بدٌّ حيث لا يصح التطعيم

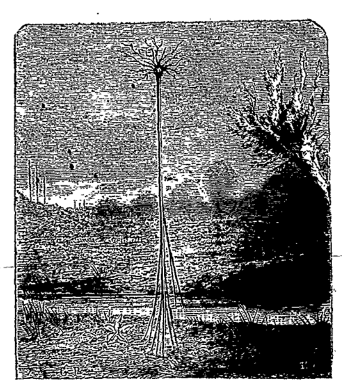
وقبل ان نشرع في الكلام على ذلك نقول انهُ من المقرَّر عند علماء النبات ان كل جزءٍ من ساق الشجرة اذا وُجِد في بيئةٍ رطبة وحُجِب عن النور امكن ان يُخرِج جذوراً والجذر اذا عُرِّض للنور والهواء المطلق امكن ان يخرج



(ش ٦)

منهُ فروع وورق . ومن غريب الامتحانات في ذلك ما اجراهُ بعض المولعين بعلم النبات اذ عمد الى نبتةٍ من الصفصاف طويلة الساق فعطفها شيئاً فشيئاً الى ان اوصل طرفها الاعلى الى حفرةٍ حفرها في الارض فدفن هناك اطراف الفروع كلها كما ترى في الشكل الاول فما أتى على

ذلك الا وقتٌ قصير حتى تحوَّلت اطراف الفروع الى جذور. واذ ذاك اقتلع الجذور الاصلية من الارض ثم قوّم النبتة شيئاً فشيئاً حتى استقامت واصبح اعلاها اسفلها كما ترى في الشكل الثاني . ولما اصبحت الجذور الاصلية معرَّضة للهوآء والنور ظهرت فيها براعم ثم أخرجت اوراقاً وعادت الشجرة كانها غُرِست على تلك الهيئة ابتدآءً


(ش ٢)

والفصال يكون على عدة اوجه اشهرها ان يُعمَد الى فرع من الفروع التي لا يرتفع منبتها كثيراً عن اصل الشجرة وينبغي ان يكون ذا سنتين في الاكثر فيُخَدّ لهُ في الارض ثم يُدفَن فيها بعد ان يجرَّد من الورق والبراعم الاما كان في طرفهِ ويُترَك طرفهُ الواحد متصلاً بالامّ والطرف الآخر بارزاً فوق التراب و بعد ان يثبَّت ينصَب لهُ وتدٌ يُشَدّ اليهِ ليمنعهُ من الحراك . واذا كان بجوارهِ فروع لا يمكن فصالها يجب ان تُقطَع لان هذه الفروع بكونها متجهةً اتجاهاً عموديًّا تجتذب اليها جميع مآء الشجرة . وتسمد الارض التي يُدفن فيها بسمادٍ قديم وينعَّم كلٍ وجهها

وفي مدة الصيف ينبغي ان تغطَّى الارض بطبقةٍ من التبن او نحوهِ لتبقى رطبةً وتُسقى كل مساَء . واذا كان الغصن طويلاً فقد يُدفن من عدة مواضع ويُترَك ما بين الموضع والموضع بارزاً وبهذه الطريقة يمكن ان ينشأ عنهُ عدة سُوق كل واحدة منها تكون شجرةً مستقلةً وهذا اكثر ما يُفعَل بالكرم

وهذا العمل يمكن ان يُباشَر في كل فصلٍ من فصول السنة ما لم تكن درجة الحرارة تحت الصفر لكن الافضل اجرآؤهُ في فصل الربيع قبل ظهور البراعم الاولى . ثم ان كان الشجر هش الخشب سهل القطع يمكن ان يفصل الفرع عن الام في الخريف التالي واما ان كان صلب الخشب فلا ينبغي ان يُفصَل قبل ان يأتي عليهِ سنتان

وهناك ضربٌ آخر يُفعَل بالسفرجل وغيرهِ وهو انهُ عوض ان يُحفَر للفروع السُفلَى وتُدفَن في التراب يكوَّم التراب حول اصل الامّ حتى تتغطى منابت تلك الفروع وتُترَك كذلك الى ان ينشأ لها جذور واذ ذاك يقوَّض التراب من حولها وتُقطَع فتُغرَس في اماكن اخر

واذا كان الفرع المراد فصالهُ عالياً بحيث لا يمكن دفنهُ في الارض يتخذ لهُ اصيص يُملأ تراباً ويُشَقّ من احد جوانبهِ فيُدخَل فيهِ الغصن ويثبَّت في موضعهِ حتى اذا نشأت لهُ هناك جذور قُطِع من اسفل الاصيص ونُقِل الى الارض

وقد تقدَّم ان الجذور اذا عُرِّضت للنور والهوآء اخرجت فروعاً وورقاً وبناَء عليهِ فقد يكون الفصال عن طريق الجذور ايضاً فاذا كانت

جذور الشجرة طويلة وقريبة من سطح الارض يُنبش عنها وتُخدَش بجرفةٍ او مرّ في مواضع منها وتترك مكشوفةً للهوآء فلا يلبث ان ينشأ على كل خدش غدَّةٌ يتكوَّن عنها برعم يكون اصلاً لساقٍ جديدة فتُفصَل هذه الجذور من الامّ من فوق النقطة التي نشأت فيها الغدَّة وتُغرَس وحدها

ولاهل الصين طريقةٌ اخرى في الفصال يبسطون الفروع السفلى عند اقبال الربيع في حفرة منبسطة ويمسكونها بأَشِظَّة (جمع شِظاظ وهو عودٌ ذو شعبتين) ويتركونها مكشوفة فاذا افرخت الشجرة خرج من كل برعمٍ غصن ينبت عموديًّا فيغطون الفروع المنبسطة بطبقة من التراب ويسقونهـا تبعاً للحاجة فكل واحدٍ من الفروع الجديدة ينشأ لهُ عدة جذور في اواخر الصيف فاذا جاءَ الربيع التاليّ فصلوا تلك الفروع عن الام وغرسوها فيكون لهم اشجارٌ بعدد البراعم

آداب المجالس

بقلم حضرة الكاتب اللوذعي عزتلو قسطاكي بك الحمصي في حلب

طلب اليَّ بعض الاخوان ان اكتب شيئاً في هذا الموضوع وقد جرى حديثهُ في بعض ليالي السمر فدفعت طلبهم معتذراً بان ذلك او اكثرهُ مما لا يجهلهُ اليوم الا القليل من الناس فلم يقنعهم ذلك والحّوا عليَّ بكتابتهِ لانهُ لا يخلو من تبصرةٍ لغير العارف وذكرى للعارف . ولا يخفى ان هذا بحثٌ واسع يستغرق صفحاتٍ كثيرة فاقتصرت منهُ على ما حضرني من اشهر الاحوال واكثرها وقوعاً ومن سلم ذوقهُ ولطف طبعهُ تكفيهِ اللمحة الدالة ولم يعدم من نفسهِ ما ينبههُ الى سلوك الواجب وتحامي ما يدعو الى الانتقاد

على ان لكل زمانٍ بل لكل طبقـــةٍ من ارباب الحضارة آداباً مخصوصة ولذلك فاني سأجعل كلامي فيما يناسب العصر الحاضر مما درج عليهِ اهل آفاقنا الشرقية على ان الكثير منهُ مقتبس عن العادات الغربية ولا عجب فانها اليوم مرجع أكثر الأمم المتمدنة على وجه الارض

فمن مستملح العادات ان لا تزور منزلاً غريباً قبل الظهر فان ربّة المنزل لا تنتهي زينتها ولا يكمل تبرّجها الا قرب الظهر وهنَّ يكرهن مقابلة الزائرين والزائرات قبل ذلك . فان اضطرّك شأنٌ الى مقابلة صاحب البيت فاعمد الى قلم ودواة واكتب اليـهِ مستأذناً في مواجهتهِ فهو يعين لك الساعة التي يتفرغ فيها لمخاطبتك . ومن آدابهم ان لا تمد يدك لمصافحة من لا تعرفهُ اذا جمعك واياهُ بيت قريبٍ او صديق حتى يستعرف اليك او ينسبك اليهِ صاحب البيت او سواهُ من اصحابك . واما النسآء فاياك ان تمدّ يداً لمصافحة سيدة قبل ان تؤنس منها ارتياحاً الى ذلك والا لم تأمن ان يصيبك معها مايرميك بالخجل . ومن آدابهم ان لا تدخل مخدعاً مغلقاً قبل ان تنقر باصابعك على بابهِ فيقال لك ادخل وان لا تجلس عند مواجهة من هو ارفع منك مقاماً حتى يؤذن لك في ذلك . وان تبادر الى تحية زائرك ومصافحته بوجهٍ طلق قال الشاعر ٭ بشاشة وجه المرء خيرٌ من القرى ٭ وان تدني لهُ كرسيًّا بيدك تكلّفهُ الجلوس عليهِ او تشير الى مقعدٍ قريب كانك تأذن لهُ في الجلوس ان كان دون قدرك . ومن آدابهم ان لا تقطع حديث المتكلم وان تصغي الى مخاطبك تمام الاصغآء ولا تحوّل بصرك عمن يكلّمك وان لا تشتم او تلعن او تتلفظ بكلام قبيح فكل ذلك من نهاية قلّة الادب . ومن آدابهم ان لا تقول عند سماعك حكايةً يقصد بها راويها نكتةً او غايةً ما اني اعرفها او سمعتها او ما يشابه ذلك مما يُخجل الراوي فتُنسب الى الخشونة او الفضول . وان كنت زائراً او مزوراً ولم تجد عُدّةً للحديث فاذخر لمثل تلك الحال حديثاً فكاهيًّا او حكاية مفيدة واجعل ذلك لك زاداً تستعين بهِ عند جمود الذهن وملل الفكر كان تحدّث السامعين بيوم من ايام الشباب او ساعة من ساعات السرور

قضيتها في مثل الفصل الذي انت فيهِ او غريبةٍ سمعتها او لطيفة قرأتها او حادثة تاريخية حفظتها مما يناسب المقام فلكل مقام مقال . واياك والتبجح بما عندك او التفاصح بحضرة من هو اعلم منك وافصح اذ انك لا تأمن العثار فيصيبك من اقتحامك هذا الميدان الخجل والافتضاح . ومن آدابهم ان تخفض صوتك عند المخاطبة فارتفاع الصوت عندهم في المساجلة والجدال دليل على الخشونة والبداوة ونقص الادب . ومن آدابهم ان لا تُسِرَّ حديثاً الى احد الحضور في المجلس لئلا يتوهم متوهمٌ ان حديثك يتعلق بهِ او بامر يهمهُ او بحادثة جرت لهُ وهو يود كتمها . ومن آدابهم ان لا تنصب نفسك حكماً للترجيح بين قول وآخر في مجالس القوم ما لم يدعك الى ذلك ربّ المنزل او المتخالفان . ومن آدابهم ان لا تحسب المجلس وقفاً على حديثك فاني رأيت الناس يبغضون المعجب بحديثهِ الطويل العبارات الكثير الاشارات الذي لا ينطق بكلمة حتى يجيل نظرهُ في الحضور كانهُ يتقاضاهم الاعجاب بكلامهِ والاعتراف بسموّ مداركهِ . ومن آدابهم ان لا تنمّ ولا تنقل حديث قوم الى آخرين الا اذا كانت فيهِ فائدة او كان طيّب المغبّة سليم العاقبة . ومن آدابهم التنقل في مواضيع الحديث خصوصاً اذا طال الجلوس فاياك والكلام في موضوع واحد فالانسان خلق ملولاً وقد رأيتُ بعضهم يستلمون زمام الحديث فلا ينصرفون عن ذلك المجلس حتى تزهق النفوس من طول حديثهم وثقل الفاظهم وبرودة كلامهم كأن يشنّعوا على عدوٍ لهم او يحدثوا القوم بتجارتهم او يتفاخروا بصناعتهم او فرط نباهتهم او يتكلموا في مسئلة علمية وليس كل من في المجلس ممن يهتم لذلك او يعنى بهِ او يحبّ استماع ذلك المقال فاياك وذاك فهو من اقبح العيوب . ومن آدابهم ان لا تتنقل من مكان الى مكان ومن كرسيّ الى آخر وان لا تغدو رائحاً جائياً في المجلس فهي من علامات الطيش ونقص التربية . ومن آدابهم ان لا تهين عدوًّا اذا جمعك واياهُ منزل قوم وان لا تستخفّ باحد في مجالسهم . ومن كمال الظرف عندهم ان تظهر غاية الاستحسان لما تريكهُ ربة المنزل من صنع يدها او صنع من في بيتها وان بدا

لك فيه نقص فأشر اليه بدقة في عرض الحديث فانّ صدق النقد لا ينفي عامة الحسن مما هو حسن ولا سيما وان مثل ذلك لا يكون الا بين الاهل وذوي المودات فالصمت في مواقع الاستحسان من علامات الحسد والغيرة فاطلق لسانك في المدح لمن يستحقهُ ولا تخجل من ذلك

وارى ان اختم هذه المقالة بكلام لاحد مشاهير الفلاسفة من الفرنجة كتبهُ عن قوم عرفهم وعاشرهم وقد جمع فيه غاية الكمالات المطلوبة ومنتهى آداب المخالقة ورقة المعاشرة . قال ما محصلهُ

من رام ان يبتعد عن اناس عواطفهم ملق وثقتهم مكر وصحبتهم غشّ وذمتهم غدر وودادهم حسد وعلمهم جهل واحبّ ان يرد ينابيع الفضائل والحقائق ويستروح نسيم الاخلاص والمودة الصادقة فليقصد مجامع قومٍ اسعدني الدهر بغشيانهم فلهجتهم سلسة بيّنة لاشيء فيها من التكلف والرطانة والثقل وحديثهم بهيج بغير جلبة ولا صياح تتوسم فيه العرفان بغير تشدّق واللطف بلا تصنع والظرف بلا تخنث والدعابة بغير خبثٍ ولا تورية وعلى الجملة فحديثهم لا يحاكي الخطب المدققة التي تلقى في حلقات المدارس ولا قصائد الهجاء والتنديد وهم يُقنعون بعضهم بعضاً دون ان يحتاجوا الى شهود او براهين فيتمازحون بكلام غير مبطن ولا ملمع وقد جمعوا بين التعقل والصواب بفطنة هي غاية الغايات ومثل ذلك بين اعمالهم واميالهم فنقدهم نخاز مصيب واطراؤهم سديد وآدابهم قويمة . وهم يخوضون في احاديثهم في جميع الفنون كي يجد كل واحد منهم مادة يتكلم فيها ولا يتعمقون في المسائل مخافة الملال بل يبسطونها على سبيل العرض ويتساجلون فيها بسرعة . وما منهم من يدفع رأي الآخر بحدة ولا من يدافع عن رأيه بعناد ولكنهم يتحاورون للاستفادة والاستنارة ويقفون دون حدود الخصام فكلهم يستفيد وكلهم يتسلى وكلهم يتفرقون مسرورين والحكيم منهم يتزود من تلك الاحاديث مواضيع حرية بالاستبصار

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم   ان التشبه بالكرام فلاحُ

مطالعات

نبأ غريب — جاء في احدى الجرائد الفرنسوية ما محصلهُ ان واحداً من علماء الانكليز يقال لهُ المسترجون بلطر بُورك قد وُفّق الى اكتشافٍ غريب من مقتضاهُ صحة القول بالتولد الذاتي . وذلك انهُ وضع ذرَّة من الراديوم في محلول من الجلاتين عقمهُ تعقيماً شديداً و بعد ان اتى عليهِ يومان فحصهُ بالمجهر (المكرسكوب) فظهر لهُ فيهِ وجود نقطٍ سوداء كان حجمها يكبر ببطءٍ حتى اذا بلغ قطرها الى جزء من ٦٠ الف جزء من القيراط انقسمت الى عدة كائنات جديدة . ولا يخفى ان هذا الامر من المباحث التي احتدم الجدال فيها بين العلماء في اواسط القرن الماضي مدة عشرين سنة وفي آخر الامر اجمعوا على ان « لا حيّ الا من حيّ » . فان صحّ ما يقولهُ هذا العالم كان ولا جرم فصل الخطاب وتُوصّل منهُ الى الوقوف على اعظم سر من اسرار الحياة

اسئلة واجوبتها

اثبتنا في الجزء السابق (صفحة ٥٦٠ وما بعدها) سؤالاً من حضرة الفتى النجيب مصطفى افندي رشاد يتضمن الاستفهام عن مآخذ عرضت لهُ في ديوان ابي تمّام في النسخة المطبوعة في بيروت مفسرةً بقلم حضرة الفاضل الشيخ محيي الدين الخياط ولما كان الجواب يقتضي شرحاً طويلاً اضطررنا ان نرجئهُ الى هذا الجزء لضيق المقام .

فاماّ ما وطّأ بهِ لتلك المآخذ مما يشبه التعريض بنا لتقريظنا هذه النسخة من الديوان فلو كلف نفسهُ مراجعة ما ذكرناهُ في الكلام عليها علم انهُ لم ينصفنا في هذا القول لاننا لم نقرّظها ولا اوردنا كلمةً يؤخذ منها شهادةٌ بصحة روايتها ولا تفسيرها وانما كان ما اوردناهُ مجرّد اعلانٍ اتّبعنا فيهِ عادتنا عند ذكر الكتب التي لا نجد فيها وجهاً للتقريظ ولا داعياً لاضاعة الزمن في تصفحها وانتقادها

واما الابيات التي اشار اليها فسنذكر ما يحضرنا فيها مع غض الطرف عما جآء في كلام المفسّر وقوفاً عند الغرضِ المقصود من السؤال وتفادياً من التطويل فيما لا فائدة من بيانهِ . فأول تلك الابيات قول أبي تمام

كم احرزت قُضُبُ الهنديّ مصلتةً تهتزُّ من قُضُبٍ تهتزُّ في كثبِ

اراد بالقُضُب الاولى السيوف وبالقُضُب الثانية الغصون ومن الداخلة عليها بيان لكَمْ . والكثب جمع كثيب وهو التلّ من الرمل وهو بضمّ اولهِ وثانيهِ فاما الكثب الذي بمعنى القرب فهو بفتحهما . وقولهُ تهتزُّ في الموضع الاول حال من الضمير المستكنّ في مصلتةً وفي الموضع الثاني نعت قضب الثانية . والمعنى كم احرزت سيوف جيش الممدوح حين تجريدها واهتزازها من سبايا تشبه قاماتهنَّ الغصون المهتزّة على كثب من الرمال . واما قولهُ

اصلٌ كبرد العصب نيط الى الضحى عبق بريحان الرياض مطيّبِ

فقولهُ اصلٌ هو بضمتين وهو الوقت بين العصر والمغرب . وقولهُ الى الضحى صوابهُ الى ضحًى بحذف أَلْ . وعَبِق مجرور نعت ضحًى . ومطيّب نعت ثانٍ . وقولهُ نيط الى ضحًى الجملة نعت أُصُل على انهُ مفرد كما حكاهُ

في لسان العرب عن ثعلب . يصف الايام التي ذكرها في البيت الاول من القصيدة يقول انها كانت تجمع بين اصيلٍ قد صبغت شمسهُ الافق بصفرتها وضحًى قد تعطرت انفاسهُ بعرف رياحين الرياض . وقولهُ

يا عَقْبَ طوقٍ ايُّ عقب عشيرةٍ انتم وربة معقبٍ لم يعقبِ

العقب هنا الولد . وقولهُ وربة معقبٍ لم يعقب ربة هي رُبَّ الجارّة أُلحِقت بها التاء . والمُعقِب بضم الميم وكسر القاف اسم فاعل من أعقَب اذا ترك عقباً . وقولهُ ايُّ عقب عشيرةٍ انتم استفهام تعجب يقول يا بني طوق وهم قوم الممدوح لله دركم من خلَفٍ لعشيرة طوق ورُبَّ رجلٍ لهُ خلَفٌ الا ان خلفهُ لم يرث اخلاقهُ ومحامدهُ فكانهُ لم يترك خلفاً . وقولهُ

ولو تبسَّم عجنا الطرف في بَرَدٍ وفي اقاحٍ سقتها الخمر والضَرَبُ

عجنا بضم اوله وهو فعلٌ ماضٍ مسند الى ضمير المتكلمين من قولهم عاج ناقتهُ بالمكان اي وقفها استعارهُ للطَرْف اي النظر . يقول لو تبسمت هذه المحبوبة لوقفت ابصارنا شاخصةً الى ثغرٍ كالبرَد والاقاحي التي قد سقاها رضابٌ كالخمر والعسل . وقولهُ

ما لي بربعٍ منهم معهوده الا الاسى وعزيمة المجلود

في رواية هذا البيت خطأٌ وهو قولهُ معهوده وصوابهُ معهودٍ بترك الضمير المضاف اليهِ والبيت مصرَّع . والمجلود هنا مصدر بمعنى الجَلَد . اي ليس لي في هذا الربع الذي كنت اعهدهُ آهلاً بهم الاَّ الحزن لرحيلهم والتجلد على فقدهم . وقولهُ

وهي كالظبية النوار ولكن ربما امكنت جناة السحوقِ

الجناة بفتح الجيم وهي ما يُجنَى اي يُقطَف من الثمر وهي بالرفع فاعل امكنت . يقول هي كالظبية النافرة لا وصول اليها ولكن اطماعنا لا تنصرف عنها فان ثمر النخلة الطويلة مع صعوبة الوصول اليهِ قد يُنال . وقوله اخيراً

يومُ حلق الملمَّات ذاك وهذا ال يومُ في الروم يوم حلق الحلوقِ

صوابهُ يوم حلق « اللِمّات » جمع لِمّة بالكسر وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن ويريد بهِ اليوم المعروف بيوم تحلاق اللِمَم وهو يومٌ مشهور كان بين بكر وتغلب لان البكريين جعلوا شعارهم فيهِ حلق اللمم . والبيت تفسيرٌ للبيت الذي قبلهُ وهو قولهُ

يومُ بكر بن وائلٍ بقضاتٍ دونَ يوم المحمّر الزنديقِ

قولهُ بقضاتٍ يريد اسم المكان الذي كانت فيهِ واقعة اليوم المذكور وهو قِضَة بوزن عِدَة فجمعهُ ضرورةً . والمحمّر بكسر الميم المشددة كانهُ اراد بهِ صاحب الراية الحمراء وكانت احدى فرق الخُرَّمية تلقَّب بالمحمِّرة لانهم كانوا يحمرون راياتهم . والمعنى ان ذلك اليوم حلِقت فيهِ لمم البكريين واما هذا اليوم فحُلقت فيهِ حلوق الروم اي ذُبحوا

هذا واما ما اقترحهُ السائل من انتقاد الكتاب برمتهِ فمما يضيق وقتنا عنهُ على انهُ لو صُحّح كل ما فيهِ من الغلط لم يغنِ في فهم اغراض الشاعر لان مثل شعر ابي تمام لا يكفي فيهِ تفسير الغريب من الفاظهِ وفيما ذكر من الابيات هنا شاهدٌ كافٍ . ولذلك فان هذه النسخة من الديوان لا تزيد على رواية منظومات ابي تمام وللناظر فيها بعد ذلك ان يلتمس اغراضهُ من غير التفسير الذي علّق عليها وبهذا القدر في هذا المقام كفاية



البقآء لله

في مسآء الحادي عشر من هذا الشهر نعت الينا انبآء الاسكندرية الاستاذ العلامة الكبير والامام الفيلسوف النحرير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقُطب العلوم العصرية وافتهُ دعوة ربهِ في ذلك الثغر وهو في الخامسة والستين من العمر على اثر علةٍ سرطانية دبّت في كبده بل اصابت كبد القُطر فكان منعاهُ خطباً لا تقاس بهِ الخطوب عمَّ الرزء فيه فبكتهُ العيون بدمآء القلوب وحقَّ للامة المصرية ان تبكي فقيداً من ابنآئها قد لا يُخلفهُ عليها الدهر بل للامة العربية ان تندب اكبر عاملٍ من علمآئها في هذا العصر وفي اليوم الثاني نُقلت جنازتهُ الى العاصمة فسير بها بين الوفٍ من المشيعين حتى اذا بلغوا بها الى الجامع الازهر

صُلّي عليهِ ثم دُفن في قرافة المجاورين تغمدهُ الله برحمتهِ وجعل مقرّهُ بين جماعة اوليآئهِ المصلحين

اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله سنة ١٢٥٨ للهجرة بمحلة نصر من اعمال مديرية البُحَيرة وتلقى مبادئ العلم في الجامع الاحمدي بمدينة طنطا وفي سنة ١٢٨٢ انتقل الى الجامع الازهر وبعد ان تخرج فيهِ مدة ثلاث سنوات استوفى فيها ما تدعو اليهِ حاجة المتعلم من علوم العربية والشرع نزعت نفسهُ الى العلوم العقلية وكان مدرّسها يومئذٍ المرحوم الشيخ حسن الطويل فحضر عليهِ شيئاً من كتب المنطق والحكمة. وفي سنة ١٢٨٨ ورد على القطر السيد جمال الدين الافغاني الشهير فاتصل بهِ ولزمهُ واخذ عنهُ شيئاً كثيراً في الكلام واصول الفقه والمنطق والحكمة النظرية والهيئة القديمة والحديثة فنبغ في ذلك كلهِ. ولما اشتهر فضلهُ وعلمهُ عيّنهُ رياض باشا رئيساً لقلم المطبوعات وعهد اليهِ في انشآء جريدةٍ رسمية سماها بالوقائع المصرية هي التي لا تزال تصدر الى اليوم وهي اول جريدة في القطر . وفي اثنآء ذلك نشأت الثورة العرابية واتُّهم بمالأة الثائرين فنُفي الى الديار الشامية ولبث ست سنواتٍ في بيروت فعرف القوم فيها فضلهُ والتفّ حولهُ كبرآؤها وادبآؤها ثم عُيّن استاذاً في المدرسة السلطانية بها فتخرّج على يديهِ كثيرٌ من نوابغ الطلبة وفي مدة اقامتهِ بها كتب شرحهُ لخطب الامام علي المعروفة بنهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان

وفي تلك المدة كان السيد جمال الدين الافغاني قد وصل الى باريز آتياً من كلكتا وكانت المكاتبة بينهما لا تنقطع فسار اليهِ وانشأ معهُ جريدة العروة الوثقى ومع انهُ لم يُكتَب منها الا ثمانية عشر عدداً فقد اخذت ابعد مكانٍ من الشهرة وحسبك بجريدةٍ يتولى كتابتها مثل هذين الحكيمين . وعلى اثر ذلك سعى بعض آحاد الاسرة الخديوية في اصدار العفو عنهُ فعاد الى الديار المصرية وبعد ان القى بها عصاهُ عيّنهُ الخديوي السابق المغفور لهُ محمد توفيق باشا قاضياً اهليًّا ثم نُصِب مستشاراً في محكمة الاستئناف وسُمّي عضواً في مجلس ادارة الجامع الازهر وفي سنة ١٣١٧ عُيّن مفتياً للديار المصرية وهو المنصب الذي توفي عنهُ رحمهُ الله تعالى

اما صفاتهُ الشخصية فكان ربعةً اسمر اللون معتدل الجسم قويّ البنية حادّ النظر فصيح المنطقِ جهوَريّ الصوت وكان متوقّد الفؤاد ثاقب البصيرة قويّ الحجة ذَرِب اللسان بليغ العبارة اذا وقف للخطابة كان كانما يتلو عن ظهر قلبهِ فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد في كلامهِ لفظةً ركيكة ولا تركيباً سخيفاً حتى لو كتبت لفظهُ الذي يقولهُ على البداهة وجدتهُ كاحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحآء . وكان آيةً من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انهُ تعلّم اللغة الفرنسوية وهو فوق الاربعين فلم يأتِ عليهِ الاّ اشهرٌ حتى كان يجيد فهمها ثم كان يتكلم فيها كأحد اهلها ولم يُروَ مثل ذلك الاّ عن استاذهِ السيد جمال الدين وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء . ومع بعدهِ عن الشعر وعدم اشتهارهِ بهِ فانهُ كان مطبوعاً عليهِ يجيدهُ متى اراد وقد نظم أبياتاً قُبَيل احتضارهِ روتها لهُ احدى الجرائد اليومية ننقل منها البيتين الآتيين

ولستُ ابالي ان يقال محمدٌ   ابلَّ او اكتظّت عليهِ المآتمُ
ولكنَّ ديناً قد اردتُ صلاحهُ   أُحاذرُ أن تقضي عليهِ العمائمُ

وفي هذين البيتين اشارةٌ لا تخفى على المطالع ومن علم ما كان ينويهِ من توسيع نطاق العلم في الجامع الازهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى في اوربا ثم ما كان يحاول ابطالهُ من البدع التي كان يراها من مفاسد الامة واطّلع على ما لقي امثالهُ من كبار المصلحين في كل عصر تبدّت لهُ تلك الاشارة مشروحةَ المتن واضحة المغزى سامح الله ذوي المآرب وغفر لهم ما اسآءوا بهِ الى هذه الأمة الاسيفة بل الى الشرق الاسلامي على العموم ورحم الله تلك النفس الطاهرة واثابها عما نوت من الخير الكبير ولكل امرئٍ ما نوى

هذا مجمل ترجمة حياتهِ اوردناهُ بالاختصار واما بيان اعمالهِ في القطر وما كان لهُ من التأثير في عقول المتنورين من ذويهِ فسنفرد لهُ مكاناً مخصوصاً في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١١ —

كؤوس الخمر الثلاث

في صبيحة ليلةٍ باردة من شتآء ١٨٩٧ بينما كنت نائماً اذا بصوتٍ يناديني ويدٍ تهزّني فاستيقظت فوجدت شرلوك حاملاً مصباحهُ بيدهِ وهو يقول قم يا وطسن واتبعني حالاً ولا تضع الوقت بالسؤال فان امامنا عملاً خطيراً على ما أظن . فنهضت للحال ولم تمرّ عشر دقائق حتى كنت واياهُ في مركبة اقلتنا الى المحطة حيث تناولنا كأساً من الشاي ثم ركبنا القطار الذي يقلّنا الى كِنت . فلما اخذنا مكاننا منهُ اخرج شرلوك من جيبهِ رسالة قرأها علناً فاذا فيها ما يأتي

« من مرشام (كِنت) الساعة الثالثة والنصف صباحاً »

« عزيزي شرلوك . ارجو مساعدتك فوراً في امر مهم الى الغاية لا اشك في انهُ يروقك . وسأبقي كل شيء في مكانهِ كما وجدتهُ الا السيدة لكي تفحص بنفسك فارجو ان لا تضيع دقيقةً واحدة لانهُ لا يمكن ابقآء السير اوستاس هناك »

« ستانلي هو بكنس »

ولما أتمّ قرآءتها قال ان صديقنا هو بكنس قد استدعاني عدة مرار وكانت دعوتهُ في جميعها مهمة وذات نتيجة كنت اسرّ بها لاحتوآئها على ما يهمني في صناعتي . وفي دعوة اليوم ما يشير الى حدوث قتل ويغلب على ظني ان القتيل هو السير أوستاس برا كنستال فانهُ هو صاحب القصر المطبوع اسمهُ على رسالة هو بكنس

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وان ما في كتابة الرسالة من التسرع والارتباك مع ما اعلم في طبع هو بكنس من السكينة والاناة يدل على ان في الامر جناية فظيعة وانهُ ترك الجثة حيث هي انراها. ويظهر لي ان الجناية حصلت قبل نصف الليل لانهُ لا بدَّ ان يكون قد حضر الشحني المحلي الى مكان الحادثة ثم اخبر دار الشحنة في لندن فذهب هو بكنس بنفسهِ واستدعاني من هناك وهذه الحركة لابد ان تستغرق ما يزيد على اربع ساعات

ولما بلغنا الى محطة شزلهرست نزلنا واخذنا مركبة اقلتنا الى القصر المقصود ففتح لنا باب الحديقة رجلٌ مسنٌّ عليهِ علامات الحزن الشديد والرعب فدخلنا الى حديقة حافلة سرنا بين صفين من اشجارها حتى انتهينا الى القصر وكان هو بكنس ينتظرنا على بابهِ . فقال اني اشكر اجابتكما طلبي بهذه السرعة ولو علمت ما علمتهُ قبل ارسال الدعوة لما كلفتكما المجيء في هذا البرد القارس اذ ظهر ان الامر بسيط ليس فيهِ ما يستوجب اهتمامك ايها العزيز شرلوك . وذلك انك ولا بد قد سمعت بالشرير رندل وولديهِ وما فعلوهُ في سيدنهام منذ اسبوعين فانهم قد جاءوا هذا القصر للسلب وقتلوا السير اوستاس ففي هذه المرة لا ينجون من المشنقة . وقد قتلوا السير المذكور بضربة شديدة على ام رأسهِ اطارت دماغهُ اما اللادي زوجتهُ فقد شاهدت في هذه الليلة ما تركها كالاموات وربما فقدت المسكينة شعورها بعد تلك الاهوال غير انني ارى الافضل ان تقابلها معاً وتسمع من فيها تفاصيل الحادثة. ثم قادنا هو بكنس الى غرفة اللادي فوجدناها فتاةً لا يعيب جمالها سوى اصفرار وجهها وآثار الشجون التي ولا بدَّ قد حصلت من هول ما اصابها وكانت ملقاةً على مقعدٍ وعلى حاجبها الايمن آثار رضة قوية وكانت خادمتها مكبة فوقها تضع لها الضمادات والمكمدات . فلما رأتنا نظرت الى هو بكنس وقالت قد اخبرتك بكل شيء فهلا وفَّرت عليَّ اعادة هذا الحديث ونبت عني في تلاوتهِ على السيدين القادمين . قال لا بأس يا سيدتي فاني افضل ان يسمعا الحديث منكِ . فأطرقت حيناً ثم تنهدت واخذت في حديثها فقالت

انني زوجة السير اوستاس براكنستال وقد اقترنت بهِ منذ سنة . ولا انكر ان

معيشتنا الزوجية لم تكن مرضية وربما كنت انا المخطئة في عدم وفاقنا لانني ربيت في جنوبي استراليا حيث الحرية التامة ولم اعتد قوانين السلوك المصطلح عليها في هذه النواحي . اما السبب الصحيح فهو كما يعرف الجميع ان زوجي يتعاطى المسكر فلا اراهُ مرةً الا ثملاً فاقد الرشد فهل تتصورون حالة امرأة مثلي مسجونة في هذا البيت مع رجل لا ينقطع عن الشرب ليلاً ولا نهاراً فلا استطيع ان احادثهُ ولا ان إسرّ بمعاشرتهِ . وقد كان من الواجب ان لا تكون قيود الزواج محكمة العرى كما هي في شريعتنا لان الطلاق بل الانتحار ايضاً افضل من الارتباط بمثل هذه المعيشة . ولكن ما لنا ولذلك فلنعد الى ما كان من حادث امس . ان جميع الخدم ينامون في الجانب الآخر من هذا القصر ولا ينام في هذه الجهة الا انا وزوجي وخادمتي الامينة تريزا هذه فغرفتها فوق غرفتي وتحتنا غرفة الطعام وغرفة الاستقبال وما يجاورها. فاذا جاء وقت النوم وتفرق الخدم لا يعود في الامكان استدعاؤهم مهما حصل لبعد المسافة ولا بد ان يكون اللصوص قد عرفوا هذه الحقيقة حتى فعلوا ما فعلوا بدون خوف من احد . وقد نام زوجي امس الساعة العاشرة والنصف وانصرف الخدم الى محلاتهم وذهبت تريزا الى غرفتها اما انا فكنت اقرأ في غرفتي هذه الى الساعة الحادية عشرة . وكانت عادتي ان اطوف قبل النوم فاتفقد الغرف بنفسي لاني كما اسلفت لم اكن اعتمد على زوجي فان سكرهُ كان ينسيهِ حتى نفسهُ فذهبت الى المطبخ فغرفة المؤونة ثم الى غرفة السلاح وغرفة التدخين وغرفة الاستقبال و بلغت غرفة الطعام فوجدت نافذتها الكبيرة لا تزال مفتوحة ينفخ الهوآء من وراء ستائرها الثقيلة . فاقتربت لاقفلها ولما رفعت الستارة وجدت امامي رجلاً متقدماً في السن كبير الجسم عريض المنكبين وورآءهُ رجلان اصغر منهُ سناً وافظع منهُ شكلاً . رأيت كل ذلك بلمحة سريعة على نور الشمعة التي كانت بيدي فهالني المنظر ورجعت خطوتين الى الورآء واذا بالرجل قد وثب على عنقي فحاولت الاستغاثة فلطمني بقبضتهِ على حاجبي الايمن وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . ولما افقت وجدت انهم قد قطعوا حبل الجرس واوثقوني بهِ الى كرسي كبير في تلك الغرفة

امام المائدة وكان الرباط شديداً جدًّا وقد وضعوا في فمي منديلاً فلم استطع الحركة ولا الكلام . ويظهر ان زوجي المسكين سمع شيئاً من تلك الحركة فنهض من نومهِ واخذ عصاهُ بيدهِ وجآء الى الغرفة فلما دخل رأى واحداً من اولئك الملاعين فهجم عليهِ ولكنهُ لم يبلغهُ حتى كان كبيرهم قد مد يدهُ فاخذ القضيب الحديدي الذي نستعملهُ لتحريك النار وضربهُ بهِ ضربةً قوية على ام رأسهِ فسقط الى الارض بدون كلمة ولا حركة . فلما رأيت ذلك فقدت رشدي ثانيةً ولما افقت رأيتهم قد جمعوا الآنية الفضية واخذوا زجاجة خمر فتحوها فشرب كلٌّ كاساً منها وجعلوا يتكلمون همساً وقد استدللت مما ظهر لي منهم انهم ابٌ وولداهُ . ثم اقتربوا مني فتعهدوا وثاقي وبعد ذلك خرجوا من النافذة واقفلوها وراءهم . اما انا فحاولت جهدي حتى تمكنت بعد ربع ساعة من اخراج المنديل من فمي وجعلت استغيث فسمعت خادمتي تريزا واسرعت اليَّ وبعد قليل استدعت الخدم فذهب بعضهم لاحضار الشحنة وهؤلاء استدعوكم من لندن . فهذا كل ما جرى وكل ما اعلم وارجو ان لا اضطر مرةً اخرى الى اعادة هذا الحديث المؤثر المخيف

وكان شرلوك يسمع باصغآء تام فقال اظن يا مولاتي اننا لا نكدرك باعادة هذا الحديث الا بعد ان افحص الغرفة التي حصلت فيها الجناية ولكن هل تعرف خادمتكِ شيئاً غير الذي سمعناهُ . فقالت الخادمة رأيت الرجال قبل دخولهم المنزل من نافذة غرفتي على نور القمر وكانوا خارج سور الحديقة فلم يهمني امرهم ولكنني سمعت بعد نحو ساعة صراخ مولاتي فاسرعت اليها ووجدتها كما ذكرَت ورأيت زوجها ملقى كما لا يزال حتى الآن وقد تغطت الارض التي سقط عليها بدماغهِ ودمهِ . فقال هو بكنس هلمَّ بنا الآن لنرى غرفة الطعام فخرجنا ورأيت ان آثار الاهتمام قد بدأت تزول من وجه شرلوك لانهُ ان لم يكن في الحوادث اسرارٌ غريبة فهو لا يرى فيها ما يلذهُ ولم يكن في المقتل سرٌّ غريب وقد عرف هو بكنس القتلة فصار القآء القبض عليهم من واجبات رجال الشحنة ولذلك كان يتبع هو بكنس بدون اكتراث . وبلغنا غرفة الطعام فرأيناها كبيرةً واسعةً في صدرها نافذة كبيرة

والى جانبها ثلاث نوافذ اصغر منها . والى الجهة الاخرى مستوقد كبير عليهِ اطار مرتفع من الخشب المنقوش والى جانب المستوقد كرسي كبير رأينا عليهِ حبلاً احمر معقوداً في عدة محلات منهُ لانهم لما اخرجوا اللادي منهُ لم يحلوا جميع عقده . وكان امام المستوقد جلد نمر كبير وعليهِ جثة السير اوستاس وهو في الاربعين من العمر طويل القامة قصير اللحية اسود الشعر وكان ملقى على ظهره ووجههُ منحرف الى جهة الباب والى جانبهِ عصاً متينة من الزعرور . اما رأسهُ فكان مشقوقاً شقاً كبيراً تطاير منهُ الدماغ حتى الى الحائط وكان بجانبهِ القضيب الحديدي الذي ضرب بهِ وقد اعوجّ طرفهُ من شدة الضربة . وكان شرلوك يلاحظ كل ذلك بانتباه ودقة فقال يظهر ان لرندل قوة غريبة تدل عليها هذه الضربة ومع ذلك فالامر واضح ولا ارى اقل صعوبة في امساكهِ . فقال هو بكنس نعم فقد بلغني ان اولئك الاشرار يقصدون السفر الى اميركا فارسلت الاخطارات اللازمة الى جميع الطرق ولذلك يستحيل خروجهم من انكلترا بامان

وكان شرلوك يسمع الحديث وقد جثا امام الكرسي يفحص عقد الحبل الاحمر الذي كانت اللادي مقيدة بهِ ثم عاد الى الجرس الذي قطع منهُ الحبل ففحصهُ ايضاً وقال لا بدّ ان للصوص خبرة تامة باحوال البيت والا لما تجاسروا على قطع الحبل بجذبهِ كما فعلوا فان ذلك يقرع الجرس وينبه الخدم لو كانوا بالقرب من الغرفة ويتراءى لي ان بينهم وبين احد الخدم اتفاقاً على هذا العمل ولم يكن من المستبعد في ظني ان تكون تريزا موافقة لهم لو لم يكن في هذا الظن ما يجرح صدق رواية اللادي سيدتها . ولكن هل تحققتم قيمة الآنية المسروقة . فقال هو بكنس لم يأخذوا شيئاً لهُ قيمة كبيرة واظن ان مقتل السير اوستاس رعبهم حتى نسوا الغرض الذي اتوا من اجلهِ . فقال شرلوك بتهكم اجل ومع ذلك فقد فتحوا زجاجة خمر وشربوا ثلاث كؤوس منها . ولما قال هذا اقترب من مائدة عليها الزجاجة والكؤوس الثلاث وجعل يفحصها بدقة فوجد في كل كاس قليلاً من الخمر وفي الكاس الثالثة شيئاً من الغبار واجنحة ذباب . وكانت الزجاجة بالقرب وقد سقطت سدادتها الى جانبها

فاخذ شرلوك السدادة وتأملها هنيهةً ثم قال اني ارى فيها اثر ثلاث وخزات عميقة فيغلب على ظني انهم فتحوها بسكين كانت مع احدهم والاغلب انها من سكاكين النوتية التي تحتوي على عدة ادوات . ولكن هذه الكؤوس تشغل فكري غير ان الامر واضح لديك ايها العزيز هوبكنس ولا تحتاج الى مساعدتي فانت تعرف غرمآءك فجدّ في اثرهم وعسى ان اهنئك قريباً حين تلقي عليهم القبض

ثم خرجنا وتركنا هو بكنس وعدنا كما جئنا ولكنني رأيت شرلوك قلقاً جدًّا كمن تنتابهُ الافكار المتفرقة فعلمت انهُ راى في تلك الحادثة غير البساطة التي ذكرت وكأن فطنتهُ الغريزية كانت تدفعهُ الى زيادة البحث وتدقيق الفحص. وبلغ بنا القطار محطةً في نصف الطريق فوقف وقبل ان يعاود المسير وثب شرلوك الى الرصيف وجذبني معهُ فتبعتهُ وقد استغربت عمل صديقي هذا ولكنهُ نظر اليَّ بلطف وقال اعذرني يا وطسن فانني لا استطيع كبح جماح افكارٍ تسلطت عليَّ لان كل حاسة فيَّ تنبهني الى ان الامر ليس كما رايناهُ . اجل ان رواية اللادي كانت طبيعية وتصديق الخادمة لها لا يحتمل التأويل ولكنني لو بحثت عن هذه الحادثة قبل ان سمعت الرواية لرايت غير ما راينا فلا بدَّ من رجوعي لاتحقق بعض الامور وسننتظر عودة القطار الثاني لنذهب فيهِ. وانا اعرض عليك الآن بعض ظنوني فقل لي ما ترى فيها . ان اللصوص المتهمين قد ارتكبوا جناية منذ اسبوعين في سيدنهام فكتبت جميع الجرائد عن عملهم ووصفتهم وصفاً مدققاً فلا يبعد ان يكون الوصف الذي ذكرتهُ اللادي مبنيًّا على ما قرأتهُ في الجرائد لا على مشاهدتهم حقيقةً . ثم انهُ لا يعقل ان عصابةً من اللصوص ترتكب جريمةً وتفوز باربا حها الطائلة ثم تعود بعد اسبوعين فقط لارتكاب جريمة اخرى قبل ان تنسى الشحنة امرها الاول . ثم انهُ لا يعقل ايضاً ان يكون اللصوص قد ضربوا اللادي على حاجبها لكي يسكتوها لان هذا العمل يحملها على زيادة الصياح . وفوق ذلك فان عددهم اكثر وهم اقوى فلم يكن موجب لقتل السير اوستاس بل كان في امكانهم تقييدهُ ايضاً كما فعلوا بزوجتهِ. واغرب من كل ذلك ان يفتح ثلاثة لصوص اقويآء زجاجة من الخمر فلا

يشربوا الا اقل من نصفها . ثم اني اعجب من تقييد اللادي الى الكرسي واعجب اكثر من ذلك من مسالة الكؤوس الثلاث وهذا وحدهُ يحملني على العود الى فحص الحادث . فقد قيل لنا ان الاشخاص الثلاثة شربوا من الخمر كلٌّ بكأسهِ واذكر الآن ان كأسين كان فيهما اثر الخمر اما الثالثة فكان فيها شيءٌ من الخمر تعلوهُ اجنحة ذباب وغبار فلا يمكن ان يكون الشاربون ثلاثة . وليس لهذا العمل الا تأويل واحد وهو ان الخمر سكبت في كأسين ثم وضع عكرها في الكأس الثالثة ليتوهم من ذلك ان ثلاثة اشخاص شربوا بثلاث كؤوس . واذا تحققت هذا الدليل ثبت لنا ان اللادي برا كنستال لم تقل الحقيقة وانها وخادمتها متفقتان على كتمان الامر بتدبيرٍ يعجز عنهُ امهر الدهاة لاخفاء القاتل الحقيقي واذا كانت هذه غايتهنَّ فمن المحال ان ننتظر حلاًّ منهنَّ وعلينا ان نبحث عن الحقيقة بنفسنا .

وجاء القطار الذي يعود الى شزلهرست فركبناهُ ولما بلغنا المنزل تعجب الجميع من رجوعنا السريع وكان هوبكنس قد ذهب لابلاغ تقريرهِ الى الادارة . فدخل بي شرلوك الى الغرفة التي حصلت فيها الجناية واقفل الباب من الداخل فقضى ساعتين في البحث والتنقيب . اما انا فكنت اتبعهُ والاحظ اعمالهُ كتلميذٍ ينظر الى استاذهِ ليستفيد من كل حركةٍ يجريها . وكانوا قد نقلوا الجثة فدار شرلوك يفحص النافذة والستائر والبساط والكرسي والحبل ثم وثب فجأةً الى راس الإطار الخشبي الذي فوق المستوقد وجعل يفحص بقية حبل الجرس حيث قُطع ولكي يراهُ عن قرب اسند رجلهُ الى رفٍّ خشبي في الحائط ولكنهُ ما كاد يفعل ذلك حتى وثب ثانيةً الى الارض وقد بانت على وجههِ علامات الارتياح فقال لقد صدق ظني يا وطسن فاؤكد لك ان الامر في غاية الغرابة والدقة وكنت قد كدت اترك الاهتمام بهِ فقد استفدت من هنا ان لا استخفّ بشيء البتة . واذ ذاك فلا لصوص في الامر ولكن هناك رجلٌ واحد جسور قوي تدل على قوتهِ ضربتهُ للسير اوستاس فانها عوَّجت القضيب الحديدي كما رايت وهو يزيد على ستة اقدام طولاً خفيف الحركة جدًّا سريع الخاطر لانهُ في لحظةٍ لفَّق الرواية التي حكتها لنا اللادي . وقد

رايت في حبل الجرس دليلاً آخر وهو انهُ لو كان مقطوعاً بجذب اليد لوجب ان ينقطع من حيث هو مربوط بالجرس او من اضعف موضع منهُ ولكنهم في قطعهم اياهُ قطعوهُ من امتن محل فيهِ بسكين كما رايت لما صعدت فوق المستوقد وذلك يدل على انهم احتاجوا الى الحبل وخافوا ان جذبوهُ ان يقرع الجرس وينبه الخدم فصعد الرجل كما صعدت انا الآن وقطعهُ بسكينهِ ومن ارتفاع مكان القطع عرفت طول الرجل وانهُ اعتمد برجلهِ على هذا الرف الخشبي حيث لا يزال الاثر مرسوماً على الغبار الذي عليهِ . ثم انظر الى الكرسي تجد عليهِ نقطة دم تكذّب رواية اللادي لانهُ لو صحَّ ما قالتهُ انهم قتلوا زوجها بعد تقييدها على الكرسي كيف امكن ان تصل نقطة الدم الى تحتها فلا بدَّ اذاً انها قُيّدت بعد قتل زوجها ولو فحصنا ثوبها الذي كانت مرتدية بهِ لوجدنا اثر هذه النقطة

وبعد ان اتم شرلوك ذلك خرجنا من الغرفة فرأينا الخادمة تريزا فجعل شرلوك يحادثها بدهائهِ المعهود فعلم منها انها كانت تكره سيدها كراهةً شديدة لانهُ كان يضايق زوجتهُ ويسيء معاملتها وعددت اموراً كثيرة من اعمالهِ القاسية . وانها جاءت مع سيدتها منذ سنة ونصف فوصلت الى انكلترا في شهر يوليو ورآها السير اوستاس فاحبها واحبتهُ وقد غرها ما رأتهُ فيهِ لاول وهلة من الجمال والمال والاسم الحسن فاقترنت بهِ ولم تمض على زواجها ايام حتى رأتهُ كما هو فندمت حين لا ينفع الندم ولكنها صبرت على مضض البلوى وكانت تستر اعمالهُ جهدها . ثم طلب شرلوك ان يرى سيدتها فقادتنا الى غرفتها وهي تقول بربكما لا تطيلا حديث الواقعة امامها فقد حملت من ذكرها ما يكفي . ولما دخلنا الغرفة وجدنا اللادي براكنستال على المقعد الذي كانت عليهِ في الصباح وعند مشاهدتنا قالت هل اتيتما لكي تستنطقاني ثانيةً . فقال شرلوك كلا يا مولاتي وانما جئتك سرًّا كصديقٍ يودّ مساعدتك اذا شئت ولكني اول كل شيء اودّ ان تقولي لي الحقيقة بصراحة . قالت لا يوجد غير ما قلتهُ لك . قال وانا اؤكد لك يا مولاتي ان كل ما قلتهِ في الصباح لم يكن الا روايةً مختلقة . ونظرتُ فاذا السيدة وخادمتها قد تغير لونهما فصاحت

الخادمة اخرس ايها الوقح او تتجاسر على تكذيب مولاتي . فلم يجبها شرلوك بكلمة ولكنهُ نهض فالقى الى اللادي براكنستال نظراً احد من السهم وقال انصح لكِ يا مولاتي ان تثقي بي وتطلعيني على الحقيقة بتمامها . فترددت اللادي وبان عليها الارتباك ولكنها تجلدت وقالت لا جواب عندي غير ما قلتهُ لك قبلاً . فاخذ شرلوك قبعتهُ وانصرف فتبعتهُ وهما تنظران الينا وكان عند باب القصر شبه بحيرة صغيرة قد تجلدت المياه على وجهها من شدة البرد وكان في وسط ذلك الجليد قطعة صغيرة منهُ قد ذابت وتكسرت فوقف شرلوك ينظر اليها ثم اخذ من جيبهِ ورقة كتب عليها بضع كلمات واعطاها للخادم وقال لهُ اذا رجع المفتش هو بكنس فاعطهِ هذه

وتوجه بي شرلوك بعد بلوغنا لندن الى شركة البواخر الاسترالية فطلب مواجهة المدير ثم اخذ الاثنان يبحثان في الدفاتر والسجلات فوجدا اسم الباخرة جبل طارق التي اتت من استراليا في يونيو سنة ١٨٩٥ وانهُ كان من جملة المسافرين عليها السيدة ماري فريزر وخادمتها تريزا وان نوتية الباخرة لا يزالون كما كانوا في ذلك الوقت سوى واحد منهم وهو ثاني الربان واسمهُ كروكر فانهُ رقي الى رتبة ربان واعطي باخرة اسمها الصخرة وستقلع بعد يومين من سوثمبتون . وسأل شرلوك عن صفات هذا الرجل فقيل لهُ انهُ رجلٌ قويٌّ البنية حسن السلوك ابيٌّ النفس شريف الطبع لا يبارَى في قوة العزم واصالة الرأي . فشكر شرلوك المدير وخرج فرأيتهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض ثم قال لي يخطر في بالي يا وطسن ان ادلّ هو بكنس على غريمهِ. ولكن لا فاذا عرّفتهُ باسمهِ لا تعود توجد طريقة لخلاصهِ وفي قانون الشريعة ما يخالف احياناً صوت الضمير فان نفسي لا تساعدني على تسليم القاتل حتى الآن . ولما بلغنا منزلنا في شارع باكر وجدنا هو بكنس في انتظارنا فاستقبلنا بقولهِ اعوذ بالله من مهارتك يا شرلوك افأنت ساحر فكيف عرفت ان الاواني الفضية المسروقة مخبوءة في مياه البحيرة تحت الجليد . فانهُ لما وصلتني تذكرتك اسرعت الى البحيرة وفحصت غور المياه حيث خار الجليد فوجدت الاواني الفضية كما هي فلا انكر انك

خدمتني خدمةً عظيمة بهذا الاكتشاف ولكنك سببت لي ارتباكاً اشدّ لانهُ ما هو الداعي للصوص ان يدخلوا المنزل تحت الخطر ويقتلوا الرجل ويقيدوا المرأة ليسرقوا بعض اوانٍ فضية فيأخذوها ويلقوها في بحيرة ضمن حديقة القصر . فقال شرلوك وهذا ما جعلني اظن ان الاواني الفضية انما أُخذت لتحويل التهمة الى سرقة وهي في الحقيقة غير ذلك . فقال هو بكنس ومما يزيد ارتباكي في هذا الحادث خبرٌ سمعتهُ اليوم وهو ان رندل وولديهِ قد قُبض عليهم صباح امس في نيويرك ففي هذا ما يؤكد انهم ليسوا الفاعلين في جناية امس . غير ان ذلك لا يمنع وجود عصابة اخرى تشبههم فلست بمستريح قبل ان اقبض على اعناقهم بيدي . فقال شرلوك اذهب وابذل جهدك ايها العزيز واني من صميم القلب اتمنى لك الفوز والنجاح واذا رأيت ما يستدعي مساعدتي فتيقنْ اني ابذل جهدي لخدمتك

وكان شرلوك في اثنآء رجوعنا الى البيت قد ارسل رسالة برقية لم اعلم وجهتها فبعد ان خرج هو بكنس وخلونا في غرفتنا قال لي لقد كدت اطلع هو بكنس على الحقيقة ولكن ضميري لا يزال يمنعني لان الذي اعلمهُ انا غير رسمي وما يعلمهُ هو يصير رسميًّا على اني لا اجد بدًّا من كتم الامر الى ان استوضحهُ على حقهِ . فقلت لهُ ومتى تظن انك تتمكن من ذلك . فنظر الى ساعتهِ ثم قال بعد دقائق قليلة

ولم تمضِ عشر دقائق على كلامهِ هذا حتى سمعنا وقع اقدام على السلم ثم فتح باب الغرفة فدخل منهُ فتى لم ارَ بين كل من عرفتهُ اجمل منهُ هيئةً وقواماً وهو طويل القامة ازرق العينين اشقر الشاربين وقد صبغت حرارة الشمس وجههُ بلون حنطي . فلما دخل اغلق الباب ورآءهُ ووقف امامنا فقال لهُ شرلوك اهلاً بالربان كروكر تفضل وخذ هذا الكرسي. فجلس الرجل وقال بلغتني رسالتك فجئت اليك في الساعة التي عينتها لي وقد بلغني انك ذهبت الى ادارة الشركة وسألت عني فقل لي ماذا تريد او اقبض عليَّ ان شئت ولا تعذبني بسكوتك . فتبسم شرلوك وقال خفّض عنك ايها العزيز فلو علمت انك من القتلة الادنيآء لما قبلتك في منزلي قط ولكنني اطلب اليك ان تخبرني بحادثة امس بكل تفصيلها ولا بد من ابلاغك

انني اعرف الحقيقة ولا يعرفها سواي وفي استطاعتي ان اخفيها الى ما شآء الله او ان اشهرها فاسلمها الى دار الشحنة فاكرر عليك ان تقول الحقيقة فقط فاذا صدقتني امنت واذا حاولت ان تغشني فالويل لك

فصمت الرجل حيناً وهو غائصٌ في التأملات والانفعالات النفسانية ثم قال اني اثق بوعدك يا مولاي واسلم نفسي اليك فخذ مني الحقيقة كما هي وكما يشهد الله بصحتها . ولا تظن اني ندمت او خفت مما فعلت بل اني افعله ثانيةً اذا وُجدت في مثل الحال التي دعت اليهِ ولو كان لهذا اللعين أوستاس سبعة ارواح لقتلتهُ سبع مرات وارحت العالمَ من شرهِ وخصوصاً ذلك الملك اللطيف السيدة ماري فريزر ولا ادعوها اللادي براكنستال لانها اشرف من ان تتلطخ بوصمة اسمهِ . واني سأطلعكما على قصتي واستنزل حكمكما فيها راجياً ان تحسبا انفسكما في مكاني وتقولا لي هل كنتما تفعلان غير ما فعلت . انني اول مرة رأيت فيها السيدة ماري فريزر كانت عند ما سافرَت في باخرتنا من استراليا الى هنا وكنت حينئذٍ ثاني الربان واول ما وقع نظري عليها صممت على ان تكون لي او ان لا اعرف امرأة في العالم . وكانت كلما مرت علينا ساعة يزداد حبي لها وكثيراً ما كنت اجثو في وحدة الليل على ظهر الباخرة فاقبّل الاخشاب التي كانت تطأها قدماها الا انني لم اعترف لها بمحبتي وكانت تعاملني بلطف عظيم ومودة كما تعامل السيدة الشريفة فتى شريفاً . فلما بلغنا انكلترا نزلت مع المسافرين وربما نسيتني اما انا فلم أنسها وقد صرت لها عبداً

ولما رجعت في السفرة الثانية علمت انها تزوجت فلم ابتئس من ذلك لعلمي بانها قد حصلت على اسم شريف وغنى وافر بل من شدة محبتي لها فرحت لها بهذه النعمة لانها والحق يقال خيرٌ لها من الاقتران بنوتي فقير مثلي . فاما جئت في السفرة الثالثة رأيت خادمتها تريزا فاخبرتني عن حالة سيدتها وسوء معاملة زوجها فكدت افقد عقلي . وكنت قد رقيت الى رتبة ربان فأُذن لي ان اصرف شهرين هنا الى ان تتجهز باخرتي الجديدة فكنت اقابل تريزا وكلما حدثتني عن فظائع سيدها

ومعاملاتهِ لمولاتها تطير نفسي شعاعاً فاكره هذا الوحش الضاري الذي لا يستحق ان يلمس بشفتيه نعلي زوجتهِ . ثم اتفق ان قابلت ماري نفسها على غير انتظار فلم تذكر لي شيئاً غير ما كانت تحادثني بهِ على ظهر المركب ثم طلبت اليَّ ان لا اسعى في مشاهدتها بعد . وعلمت من تريزا ان سيدتها تصرف اكثر لياليها في القرآءة في غرفتها وتعرفت منها صفة البيت وغرفهُ فلما قرب موعد سفري صممت ان ارى ماري للمرة الاخيرة فذهبت بالامس واقتربت من غرفتها فضربت على زجاج النافذة ورأتني فلم تشأ ان تفتح ولكنني علمت انها تحبني جدًّا ولو أخفت ما بها . وكانها أشفقت عليَّ من وقوفي في البرد خارجاً فأشارت ان اوافيها الى غرفة الطعام وكانت نافذتها مفتوحة فدخلت منها . وجرى بيننا حديث الزمها ان تخبرني عن معيشتها فجعلت تقص عليَّ عن زوجها ما اثار دمي وافقدني رشادي . وفي تلك الساعة فتح باب الغرفة فدخل منها زوجها وقد اعماهُ المسكر فجعل يناديها باقبح الاسماء والشتائم ثم اقترب بعصاهُ وضربها مراراً . فلم استطع احتمال ذلك ولا اعلم ما ذا كنتما تفعلان لو كنتما في مكاني . فتناولت قضيباً حديديًّا كان بقرب المستوقد وضربتهُ على ام رأسهِ وانا لا ادري ما ذا افعل فرأيتهُ ساقطاً تحت قدميَّ ولم يتحرك

وسمعت الخادمة شيئاً مما جرى فاسرعت الى الغرفة وكانت ماري قد اوشك ان يغمى عليها لذلك المشهد . ورأيت بالقرب مني زجاجة خمر ففتحتها بسكيني وسكبت شيئاً في فم ماري وشربت انا ايضاً شيئاً منها . اما تريزا فسرَّت بما جرى وساعدتني على اخفاء الامر بتحويل التهمة الى اللصوص ولفقت رواية علمتها لمولاتها بينما كنت اقطع حبل الجرس . ثم جمعتُ شيئاً من الاواني الفضية بقصد ايهام السرقة واوثقت ماري الى الكرسي واوصيتهم ان يستغيثوا بالخدم بعد خروجي بربع ساعة ولما خرجت القيت الاواني الفضية في البحيرة لاتخلص منها . فهذا ما جرى اقولهُ امام الله وامامكما بمنتهى الاخلاص والصدق فانْ رأيتما في عملي ما يدل على الدناءة والجرم فانا بين ايديكما

ولما انتهى نهض شرلوك اليهِ فصافحهُ قائلاً انا اؤكد انك اخبرتنا الحقيقة

لانني عرفت من نفسي كل ما تلوتهُ علينا وربما لم تسمع عني يا كروكر والا لما كنت تستغرب مني مثل هذه الاكتشافات . فقال لا شك ان هذا مما لم اكن اتوقعهُ لاننا دبرنا الامر على وجه لا تقدر رجال الشحنة على كشفهِ . فقال شرلوك انهم لم يكشفوا ذلك يا كروكر ولن يكشفوهُ واني لا انكر ان الامر في غاية الاهمية وان كنت لم تفعل ما فعلت الا مدفوعاً بعواطف شريفة توجد في صدر كل انسان كريم ولكن بما انني لست قاضياً فلا ادخل في محاكمتك وقد شعرت بميل خاص الى صفاتك فاذا شئت ان تتوارى عن العيون الى مدة اربع وعشرين ساعة من الآن فأعدك انني لا اقف في طريق سفرك واذا سافرت وأمنت على نفسك من العودة الى هنا اخبرت الشحنة بالامر .

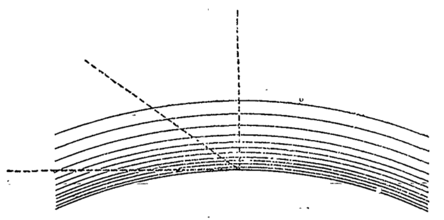
وما سمع كروكر هذه الكلمات حتى اصفرّ وجههُ ثم وقف وقد استشاط غيظاً وقال أتظنني اجهل ان الحكومة تعتبر ماري شريكتي في الجرم أو تظنني نذلاً الى هذه الدرجة حتى اتركها تقارع الخطوب بعد ان افوز انا بالنجاة . كلا يا مولاي فها انا متوجهٌ لاسلم نفسي الى الحكومة ولكني استحلفك بشرفك ان تحافظ على اسم ماري فلا تشركهُ معي في هذه الجريمة . فتبسم شرلوك وتقدم اليهِ فصافحهُ ثانيةً وقال لهُ انما قلت ذلك لأمتحن اخلاصك لها يا كروكر ولست اجهل انهُ سيكون عليَّ تبعة ثقيلة في اطلاق سراحك ولكنني لا اعتقد ان القضاة اوفر عقلاً مني ومن صديقي وطسن فلنعقد معاً جلسة قانونية نحاكمك فيها فيا وطسن بصفة كونك قاضياً في هذه الجلسة وقد سمعت اقرار المتهم بماذا تحكم . فصحت فوراً احكم ببرآءتهِ . فقال شرلوك ليكن كذلك فقد حكمنا ببرآءة ساحتك يا كروكر ونعدك اننا لن نذكر شيئاً مما حصل وانا لست بملوم امام هوبكنس فقد اظهرت لهُ عدة أدلة لم ينتفع بها ولا انتبه اليها. اما انت فعد بعد سنةٍ الى ماري التي لا تزال تحبك وعسى ان تكون ايامكما المستقبلة أياماً سعيدة تبرهن لنا ان حكمنا لم يكن في غير محلهِ

لغة الجرائد

(تتمة)

وسُئل احد هؤلاء «المحققين» عن سبب المدّ والجزر فكان في جوابهِ ما نصّهُ «اذا كان القمر في الشرق يرتفع المآء في سطحي الارض الشرقي والغربي وينحسر في سطحها الشمالي والجنوبي والعكس بالعكس» اهـ. وهو كلام من اختلطت عليهِ الحقيقة فصوّرها بهذه الصورة المبهمة وانما الذي يقال في ذلك ان القمر اذا مرَّ تجاه ناحيةٍ من الارض ارتفع المآء في تلك الناحية والناحية التي تقابلها من الجانب الآخر وانحسر فيما سوى ذلك وحينئذٍ فاذا كان القمر في الشرق مثلاً ارتفع المآء في الشرق والغرب وانحسر في باقي الارض وهو جميع المنطقة المحيطة بالارض من جهتي الشمال والجنوب وما يتوسطهما بين الشرق والغرب بحيث انهُ لو فرضنا ان الارض مغمورة بالمآء من جميع جوانبها كانت شبيهةً بالبيضة قُطرها الاطول يمتدّ من الشرق الى الغرب . ومما زاد الامر اشكالاً قولهُ بعد ذلك «والعكس بالعكس» اي «اذا كان القمر في الشمال او الجنوب يرتفع المآء في سطحي الارض الشمالي والجنوبي وينحسر في سطحها الشرقي والغربي» ومقتضاهُ ان القمر يدور تارةً من الغرب الى الشرق وتارةً من الشمال الى الجنوب او بالعكس وهو ما لا يُرَى الاّ في الحلم ولينُظَر بعد ذلك ماذا يراد بالشرق والغرب في هذا التعبير الاخير واين مكانهما بالقياس الى شمال الكرة وجنوبها

وسُئل آخر عن السبب في ازدياد حرارة الشمس في الصيف فاجاب بان السبب في ذلك « ان الشمس تكون في الصيف اقرب الينا من الشتآء » وهو عكس الواقع على الخط المستقيم لان الشمس تكون في الصيف ابعد عن الارض بما يزيد على ثلاثة ملايين من الاميال. وانما السبب الصحيح في ذلك انهُ في زمن الصيف تقع علينا اشعة الشمس عمودية فتكون حرارتها اشدّ ولو كانت ابعد وبعكس ذلك في الشتآء فان اشعتها تأتينا منحرفة فتضعف حرارتها وذلك على نحو ما يحدث كل يوم اذ تشتدّ



حرارة الشمس في وسط النهار وتضعف في اولهِ وآخرهِ . وسببهُ ان الشمس متى كانت بقرب الافق تصل الينا اشعتها بعد ان تمرّ مسافة طويلة في الطبقات السفلى من الهوآء وهي اكثف من الطبقات العليا فتمتصّ جانباً كبيراً من حرارتها وبخلاف ذلك متى كانت في الهاجرة فان اشعتها تخترق تلك الطبقات في خطوطٍ عمودية فلا تقطع منها الا بمقدار ارتفاعها عن سطح الارض . ويتبين ذلك من النظر الى الشكل المرسوم هنا وهو قطعةٌ من سطح الارض يحيط بها الهوآء الكروي وقد رسمنا شعاعاً من اشعة الشمس واقعاً على نقطةٍ منها من ثلاث جهاتٍ اي

من الهاجرة والافق وما بينهما فترى المسافة التي يقطعها الشعاع من الهوآء عند الهاجرة اقصر كثيراً من المسافة التي يقطعها عند الافق واذا تتبعت مواقعهُ بين هاتين النقطتين وجدته كلما دنا من الهاجرة قلّت تلك المسافة وبعكس ذلك كلما قرب من الافق

وتكلم آخر على الصدى فقال « ليتردد صدى الصوت ينبغي ان يكون الجسم الذي يعكس الصوت بعيداً عن صاحب الصوت بمقدار ١٧ متراً على الاقلّ واذا كان هذا الجسم بعيداً عنهُ بمقدار ٣٤ متراً تردد الصدى كلمة واحدة واذا بعد بمقدار ٦٨ متراً تقطّع الصدى مرتين » قال « وفي جهة وودستوك يتقطع الصدى ١٧ مرة في النهار و٢٠ في الليل » اهـ . قلنا هذا صنيع من يعرّب بالحرف من غير ان يكون على بيّنة من معنى ما يترجمهُ وتحقيق هذا الموضع انهُ لما كان الصوت يقطع ٣٤٠ متراً في الثانية لزم عن ذلك انهُ اذا كان بين الصائت والجسم الذي يعكس الصوت مسافة ١٧٠ متراً سُمع الصدى بعد ثانية لان الصوت يقطع ١٧٠ متراً في ذهابه ومثلها في رجوعهِ وجملة ذلك ٣٤٠ متراً . وقد وُجد ان عدد الاهجية التي يمكن ان تميزها الاذن على هـذه المسافة لا يكون اكثر من عشرة وعليهِ « فاذا كان الجسم العاكس بعيداً عن صاحب الصوت ١٧ متراً سُمع صدى هجآء واحد واذا كان بعيداً عنهُ بمقدار ٣٤ متراً سُمع صدى هجآءين واذا بعد بمقدار ٦٨ متراً سُمع صدى اربعة اهجية » وهلمَّ جرًّا

واما ما حكاهُ اخيراً عن « جهة وودستوك » فحقيقتهُ على ما نُقل عن الدكتور پلوت ان هذا الموضع يردّ صدى ١٧ هجآء في النهار و٢٠ هجآء

في الليل . وسببهُ فيما ذكروا ان الهوآء يكون في الليل ابرد منهُ في النهار فتكون حركة الصوت فيهِ ابطأ وبالتالي لا يبتدئ رجع الصدى الا بعد ان يستوفي المتكلم ٢٠ هجاءً وبخلاف ذلك في النهار فانهُ لا يبلغ ١٧ هجاءً حتى يبدأ الصدى فاذا زاد على هذا العدد اختلط الصدى بصوتهِ فامتنع تمييزهُ

ورأينا لآخر كلاماً في النبات جاءَ فيهِ ما صورتهُ « الوريقات التي يتكون منها الكاس تكون خضرآء عادةً وذات اعناق ومساوية في القدر « لبعضها البعض » تارةً اخرى (كذا ...) وعددها في المعتاد خمسة (اي خمس) وبعض الاكواس (اي الكؤوس) يتألف من اوراق مطلقة من غير اتصالٍ الى القاعدة (؟) والبعض الآخر من اوراق ذات اتصال ببعضها » اه . قلنا اراد بالكاس كمّ الزهرة اي غلافها الظاهر فعرّبهُ بالكاس متابعةً للّفظ الافرنجي « calice » وقولهُ « ذات اعناق » يريد بالاعناق السُّوَيقات التي يتصل بها الورق والزهر عادةً وصوابهُ « غير ذات اعناق » لان وُرَيقات الكمّ لا تكون الا كذلك واللفظ تعريب قولهم « sessile » ومعناهُ مُقعَد او لاطئ يريدون انهُ غير قائم على ساق فترجمهُ بعكس المراد منهُ . وبقية المعنى في هذا الموضع ان الوُرَيقات او الفصوص التي يتألف منها كمّ الزهرة قد تكون مساويةً بعضها لبعض في القدر وقد تتفاوت فيكون بعضها اكبر من بعض وهي اما ان تكون منفصلةً كل واحدة عن اختها واما ان تكون ملتحمة فعبّر عن ذلك بما رأيت من الكلام المبهم على ما فيهِ من الخلل والارتباك

ونمسك عنان القلم على هذا القدر وهو كافٍ لاثبات ما قدّمناه ونحن

لا نقصد بهِ التفنيد ولا التنديد وانما غرضنا منهُ تنبيه أولئك الكتاب الى وجوب التثبت فيما ينشرون على صفحات جرائدهم ولو كلفهم ذلك اضاعة شيء من الزمن لان الجرائد اليوم بمنزلة مدرسةٍ عامّة يتلقى عنها القرّاء اللغة كما يتلقون الاخبار السياسيّة والتجارية والفوائد العلمية والادبية وغيرها ولذلك فكل وهمٍ يندر فيها لا يلبث ان يفشو بين جمهور المطالعين وحسبك ان الكتّاب انفسهم كثيراً ما يُستدرَجون بغلطةٍ تبدر من احدهم فلا تبطئ ان تتناولها اقلامهم بغير بحثٍ ولا نكير فما الظن بغيرهم من اصاغر الكتاب وعامة القرّاء . بل طالما كان هذا الامر بعينهِ سبباً في عروض الوهم على خاصّة المتقدمين حتى من اكابر المصنفين والشعراء مما تقدم لنا التنبيه على بعضهِ فيما كتبناهُ على لغة الجرائد قبل هذه المرّة ولعلنا سنعود الى ذلك في فصلٍ مخصوص نذكر فيهِ ما شذّوا بهِ عن المأثور من كلام العرب مع التنبيه على ما يجب تجنُّبهُ من ذلك وما يجوز متابعتهم فيهِ والله وليّ المدد والهادي الى سواء السبيل

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٩ —

ان الرجل في قارة اوربا وان كان في اواخر القرون المتوسطة باخساً حق المرأة الاّ انهُ كان اقل ظلماً لها وافتراءً عليها من رجل آسيا وافريقيا (خلا الرجل المصريّ القديم) وذلك لان الشرق منبت الشرائع ومهبط

الوحي ومصدر العقائد القديمة والحديثة وكلُّ ما ورد منها حتى ظهور الدين المسيحي كان موافقاً على وجوب قهر المرأة مؤيداً لرأي الرجل من حيث اذلالها والتسوُّد عليها . اما الغرب فلم تتسرَّب اليهِ تلك الشرائع الاّ بعد مرور ازمنةٍ طوال من عهد ظهورها في مواطنها ولذلك كانت الوطأة على هذا المخلوق الضعيف في الغرب أخفَّ منها في الشرق ولا سيما في الشعب الروماني العظيم

لا جرم ان المرأة تجرَّعت كأس حظها الشديد المرارة بصبرٍ جميل الوفاً من السنين على نمطٍ يكاد يكون فوق الطوق الانساني وهي هادئة وادعة تحمل على عاتقها الواهن نيرين ثقيلين احدهما نير شقآء الحياة الطبيعي والآخر نير استبداد الرجل وتجانفهِ معها عن خطة العدل وهي قائمة بواجباتها الزوجية والوالدية والمنزلية قياماً تُشكر عليهِ بالنظر الى عجزها الادبيّ وفقرها الوجدانيّ اذ ذاك

وعندنا ان الذي هوَّن عليها هذه الحال العسيرة امران احدهما اعتقادها بنفسها مع تقادم الايام وشهادة السنين والتقاليد انها بالحقيقة احطُّ من الرجل ادراكاً ومنزلةً منذ الوضع وان تقييد ارادتها وسلب حريتها والاستيلآء على جسمها وضميرها وصيرورة حركاتها وسكناتها موقوفةً على اغراض الرجل كل ذلك محتومٌ من السمآء . لذلك اصبحت تضع نفسها في المنزلة التي انزلها اياها الرجل حاسبةً نفسها مخلوقاً دنيئاً قاصراً اوجدتهُ الطبيعة فوق الحيوان وتحت الانسان وانها خلقت لتكون اداةً للخدمة والاذلال وذريعةً لقضآء لبانات الرجال لا تستحق عدلاً ان تعطى من

حرّية الذات واستقلال الفكر واعظام المنزلة شيئاً ولا يجوز لها ان تتلذّذ بشيءٍ من هذه الحقوق الادبية الاّ في بعض السوانح عند ما يكون للغرام دخلٌ في علائقها القلبية مع الرجل .

والامر الثاني ضعفها عن الدّفاع وعدم استغنآئها في امور حياتها الكلية والجزئية عن مصاحبة الرجل وطلب حمايته وملازمته من المهد الى اللحد . فضلاً عن انها ترى نفسها مدفوعةً من عواطفها الجنسية المتوقف عليها بقآء النوع الى حبّ ذلك الرفيق الطبيعي حب ممالأةٍ ومصانعةٍ تتطلبها المصلحة الذاتية لاحب نزاهةٍ واخلاصٍ منشأها الارتضآء والاعجاب بما يبديه لها من الوفآء والنَصَفة . فهي من اجل هذا مدفوعةٌ الى احتباس نفسها لخدمته بمفاعيل متضادّة اي بالخوف منهُ ثم الاحتياج اليه ثم الحبّ لهُ . بيدَ انها وان اصبحت من هذا الوجه مسلوبة كل سيادة لانها مُستعبَدةٌ في جميع احوالها ومضغوطٌ عليها في جميع شؤونها واطوار حياتها فلقد ابقت لها نواميس الطبيعة العادلة سلاحاً معنوياً طالما استعملتهُ للانتقام من هذا الخصم الظلوم وشفآء حزازاتها منهُ ونعني بهذا السلاح الحبّ السائد على كل ذي حياةٍ يتحرك بالارادة . فان المرأة التي جرّدها الرجل من كل سلطةٍ حتى على فؤادها وارادتها قد انتقم منهُ العدل بان جعلهُ مطبوعاً — وان عاداها — على الانجذاب اليها باميال تزيد وتنقص بحسب مزاج صاحبها واستعداده .

فالمرأة ما برحت تنتهز فرصة الانتصار على الرجل حتى اذا شعرت منهُ بغرامٍ حادٍ دفعهُ الى التولع بها ولوعاً مفرطاً ارتقت في الحال من ادنى

دركات الذل والضعف والضعة الى اسمى درجات التعزز والغطرسة والجبروت فهي مع انزالها اياهُ من قلبها بدافع الميل الجنسي في مثل المنزلة التي نزلتها من قلبهِ تترفع عنهُ ترفعاً كبيراً شامخةً بانفها عليهِ بين إعراض يشوق ودلال يشجي — ولا فرق هنا بين ان يكون العاشق ملكاً مخدوماً والمعشوقة مملوكةً خادمة او بالعكس — فهو يناديها بمالكة القياد ونزيلة الفؤاد ويناجيها بأرق اساليب التفنن الغزلي والاستعطاف الغرامي ناعتاً اياها باجمل النعوت واسمى الاوصاف حاسباً التفاتها نحوهُ منةً وابتسامها لهُ نعمةً وتمكينهُ من لثم بنانها اذا لم نقل اقدامها رحمةً . وهي تزداد عنهُ إعراضاً وعليهِ تجنياً ولهُ تعذيباً متحكمةً في مالهِ ودمهِ وعواطفهِ تحكم الفراعنة في رقاب العبرانيين بلا شفقة ولا حنوّ . فكأن اميال السلطة التي حُرمتها في سائر احوالها قد اتجهت بمطلق قواها الى استيفاء حقها من هذا الموضوع الوحيد الذي بقي لها دون غيرهِ تعزيةً لفؤادها المتمزق تصبراً على مضض الذل والاضطهاد فتستعمل على غير سابق نيةٍ وعلى خلاف ميلها الجنسي جميع ما لديها من الذرائع لتثبيت عرش سؤددها وتمتين قواعد تحكمها في اكناف القلوب التي تكون قد استولت عليها بفضل الوجد المحرق والهيام القتّال . عندها يستوفي الانتقام حقهُ ويأخذ القهر قسطهُ من التشفّي فتبدي المرأة دلالها وتصلفها وفؤادها يهفو التياعاً ويحنُّ شوقاً وينزع وجداً الى اسيرها المعذّب بحبها المُبتلى بصدودها المشتكي منها اليها وما من رحيم الاّ بعد ان تبلغ الارواح الحناجر ويخاطبها لسان حالهِ بقول الشاعر

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلّغوا ... سلامي الى من كان للوصل يمنعُ

ولقد قال سيا احد عظماء كهنة المصريين وكان كبير سدنة هيكل منفيس على عهد البطالسة « ان المرأة على ضعفها اقوى المخلوقات فهي الدفة (السُكّان) التي تدير سفينة الاعمال البشرية تطرق كل باب وتلبس لكل حالة لبوسها ولها على قلب الرجل اشدّ نفوذ واسمى سلطان تديرهُ وتذهب بهِ حيث شاءت فهي الحاكمة المطلقة في هذه الدنيا ولها التصرُّف في موجوداتها فان الرجل انما يحارب لها ويخوض الغمرات في طلاب المجد من اجلها ويندفع الى الخير والشرّ بسببها ويستقبل الموت بثغرٍ باسمٍ طوعاً لاشارةٍ منها او غمزةٍ من احداقها . فهي ترفعهُ الى الاوج وتهبط بهِ الى الحضيض وتسهرهُ الليالي الطوال وتدفع بهِ الى شدق الاهوال حالة كونها مستويةً على أريكتها لا تتحرك ولا تتعب . وليس في البشر من يقوى على استجلاء اسرار نظراتها وحلّ رموز ابتساماتها والوقوف على سرائر قلبها . وهي فوق كل ذلك كالهواء الغير المنظور يحيط بالرجل حيث سار وكيف دار فلا يهزأ بسلطتها ولا يستصغر شأنها الاّ كل جاهلٍ مغرور »

أجل فان هذه السلطة السامية وان كانت معنويةً صادرةً عن ارادةٍ ميتةٍ وحرية مقيدة وجنانٍ ضعيف يشخّصها كيانٌ قد ضُرب عليهِ الذلّ منذ الازل دعوهُ (المرأة) فقد طالما اتسع نطاق نفوذها في عالم الحب حتى اتت بنتائج هائلة وغيرت شؤون ملوكٍ وأمم ومدن وافراد ونقلتها من حالٍ الى حالٍ وكانت سبباً لسعادة شعوب وشقاء أخرين وذريعةً لحياة

اقوام وهلاك اقوام . وحسبك شاهداً حديث استير[١] مع احشورش ملك اشور ويهوديت[٢] مع القائد العظيم اليفانا وكليوباترا[٣] آخر ملكات

(١) هي امرأة حسناء يهودية كانت في جملة من اجلاهم البابليون عن بلادهم استولت على قلب احشورش الملك فانقذت قومها من القتل بعد ان صدر باباحة دمهم حكم ملكي . وكادت لهامان الوزير الساعي باصدار هذا الحكم كيداً اوجب صلبهُ على خشبةٍ أُعدّت لصلب وليها وقريبها مردخاي وكانت سبباً لقتل الوف من الاشوريين : وقد خُصّ في التوراة سفرٌ لهذه الحادثة يرجع اليهِ من شاء

(٢) هي ارملة اسرائيلية مشهورة بالجمال والبسالة احتالت على اليفانا قائد جيوش نينوى وخدعتهُ متظاهرةً بالانقياد الى حبهِ فاسكرتهُ بثلاث خمور اولاها اللحظ والثانية اللفظ والثالثة المدام حتى اذا نام عمدت الى سكين فاحتزّت بها رأسهُ وفرّت بهِ تحت جنح الليل الى قومها . وبهذه المكيدة خلصت الاسرائيليين من حربٍ مهلكة وحصار شديد

(٣) هي ملكة مصر اشتهرت بجمالٍ باهر ولطفٍ ساحر وميلٍ للرجال عجيب استولت على قلب يوليوس قيصر الرومانيين حتى دلهتهُ ثم هام بحبها انطونيوس احد زعماء مملكة الرومان الثلاثة فاهمل سلطنتهُ وهجر امرأتهُ وترك وطنهُ وعاش على مقربة منها في اسكندرية مفتون اللب مسلوب القرار تتحكم بقلبهِ وروحهِ تحكم الملك القدير بالعبد الكسير فطاب لهُ الذل وهان عليهِ الهوان في سبيل مرضاتها حتى صار جباناً بعد البسالة كسلاً بعد النشاط عاجزاً بعد القدرة . فلما ناصبهُ اوكتافيوس اخو زوجتهِ الغداء طمعاً بهِ وانتقاماً منهُ ذهب مع محبوبتهِ في اسطول ليدفعهُ عنهُ على انهُ فرّ قبل ان يحتدم القتال وعاد مكسوراً مدحوراً الى اسكندرية فتبعهُ غريمهُ واصلاهُ ناراً حامية قضت على الحبيبة والمحب بالانتحار وبهذا السبب انقرض ملك البطالسة من مصر ودخلت في عداد مستعمرات الرومان . ولذلك حديث طويل نشرنا ملخصهُ في حاشية ديواننا « سحر هاروت »

مصر من البطالسة مع انطونيوس الروماني وپومپادور[١] مع لويس الخامس عشر وهيلانة[٢] امرأة منيلاس شقيق اغا ممنون مع پاريس بن پريام ولنا من امثال هؤلآء الوفٌ من الشواهد تغنينا التواريخ المبسوطة بين ايدي الناس عن الاتيان عليها فرداً فرداً

---

(١) هي معشوقة لويس الخامس عشر من ملوك البوربون كانت ابنة جزّار خامل ولدت في باريس سنة ١٧٢١ وماتت في ڤرساليا سنة ١٧٦٤ . تزوجت سنة ١٧٤١ بملتزم اعشار ثم رآها الملك اتفاقاً فمال إليها ولم يجاهر بحبها حتى ماتت معشوقتهُ الاولى (ما دام دوشاتورو) سنة ١٧٤٤ فهجرت عندئذٍ زوجها وانضمت الى نسآء البلاط فتهتك بها لويس شغفاً وولوعاً واصبح لا يصبر عنها ولو ساعةً فرافقتهُ في حروبهِ ومغازيهِ ولقبها بعد عودتها معهُ من حرب فونتنوا بمركيزة پومپادور واطلق يدها في الاعمال بما لها على قلبهِ من السطوة فكانت تنفذ ارادتها فيهِ وفي فرنسا كما تشآء بلا معارض . فاغنت اهلها وذوي قرباها بما سلبتهُ من اموال الخزينة ووزعت المناصب على غير الاكفآء من محبيها ومعارفها واصبحت تعزل الوزرآء وتستبدلهم بمن تريد وتتداخل في شؤون السياسة والمالية بلا تقيد ولا احتراز . ولما قدح فريدريك الثاني ملك بروسيا في حكومتها نقمت عليهِ وسعت في ابرام محالفة بين فرنسا والنمسا ضدهُ نشأت عنها حرب السبع سنين المهلكة . ولما حاول داميان اغتيال الملك فرّت من البلاط ثم عادت بعد زمنٍ وعاقبت الوزرآء الذين اشاروا بطردها اشدّ عقوبة . ولقد طالما تدخلت في انتخاب قواد الجنود فكان ذلك سبباً لفشل الجيش الفرنسوي في اكثر وقائعهِ . على انها مع هذه الصفات الذميمة لا تخلو من حسنات تذكر فقد عضدت العلوم والصنائع ورتبت للشعب اعياداً ومواسم زاهرة وقرّبت منها فريقاً من اعلام الرجال الذين خدموا وطنهم بالسنتهم واقلامهم

(٢) هي بنت بعض ملوك اسبرطة كانت اشهر نسآء عصرها حسناً واقدرهنّ

المآكل اللحمية والنباتية

بقلم حضرة الاديب اسعد افندي المعلوف

قام منذ مدةٍ في اوربا واميركا اناسٌ يقولون بوجوب الامتناع عن اكل اللحوم وكل ما فيهِ حياة حيوانية لان اللحم فيما يذهبون اليهِ لا يخلو من موادّ مضرة فضلاً عما تشتمل عليهِ جسوم الحيوانات احياناً من الامراض وما يتعلق بها من المكروبات المرضيّة وعلى الخصوص اذا أُكل لحمها من دون طبخ او اذا لم يبالَغ في انضاجهِ حتى يموت كل مكروبٍ فيهِ . وقد اثبتوا بالامتحان ان الانسان يمكن ان يعيش على النبات وحدهُ ويستغني بهِ عن كلّ طعامٍ حيواني خلافاً للاعتقاد الشائع

على اجتذاب القلوب . ازوجها ابوها بمنيلاس ملك لاكونيا وميسينيا اخي اغا ممنون وقدم بعد ذلك باريس بن بريام ملك طروادة على منيلاس فاكرم وفادتهُ وانزلهُ في بلاطهِ على الرحب والسعة ثم سار الى بعض غزاوتهِ وكان ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فمدّ باريس الى هيلانة علائق الحب واجتذبها اليهِ بما لهُ من بارع الحسن وسحر الكلام وواطأها على الفرار فهربا معاً بعد ان استلبا قسماً من اموال زوجها فكان ذلك باعثاً على حرب طروادة الشهيرة التي دامت فيما قيل عشر سنين وانتهت بفتحها عنوةً واحراقها بالنار . وعلى عشرة ايام من اعوام هذه الحرب رتب هوميروس الياذتهُ التي طار ذكرها في الآفاق وهي قصيدة يؤخذ عنها جل تواريخ ابطال اليونان القدماء ووقائعهم وعوائدهم وقد ترجمت الى لغاتٍ كثيرة من قبل ثم نقلها نظماً الى اللسان العربي صديقنا العلامة سليمان افندي البستاني بعد ان الحق بها شروحاً ضافية ومقدمةً وافية هي آيةٌ في الجلاء وحسن التصرف في اساليب الترسل والانشاء

من ان اللحم لا بدّ منهُ لتغذية جسم الانسان لان النبات يشتمل على جميع الخواص الغذآئية ويفضل اللحم بخلوّهِ من الموادّ المضرّة والجراثيم المرضية على اننا اذا تفقدنا طوائف البشر وجدنا ان جانباً كبيراً من الناس لا يأكلون اللحم مطلقاً فانّ اهل آسيا على العموم لا يزيد الذين يأكلون اللحم منهم على عشرين في المئة والباقون لا يذوقونهُ اما تديُّناً كأكثر اهل الهند لان شريعتهم تحرّم ذبح الحيوان ومثلهم في ذلك جانبٌ كبير من اهل الصين واما لضيق ذات يدهم واضطرارهم ان يقتصروا على المآكل النباتية كالفلاحين وغيرهم من اصحاب الحِرَف الدنيئة وهم العدد الاكبر من اهل كل بلاد وتراهم مع ذلك اقوياء الابدان وربما كانوا اطول اعماراً من غيرهم اذا لم يكونوا من المتهافتين على المفاسد التي تجلب الامراض او تنهك القوى وتقرّب الآجال

وقد دلّت التجارب التي عُملت في اوربا واميركا انّ آكلات اللحوم من الحيوانات اذا مُنع عنها اللحم وقُصِرت على اكل الموادّ النباتية تفضل غيرها من نوعها وقد امتحنوا ذلك في الاماكن التي يربّون فيها الكلاب فوجدوا ان الكلاب التي تُقصَر على الاغذية النباتية تكون اسرع حركةً واكثر فهماً واقلّ شراسةً من التي تأكل اللحم . والاعتقاد الشائع عندنا ان الكلب اذا أُعطي كثيراً من الشحم واللحم يصير شرساً فاذا ارادوا وصف انسان بالتناهي في الشراسة وسوء الخلق قالوا هو كالكلب المشحَّم والظاهر انّ هذا لا يخلو من الصحة

وقد شاهدت عند احد وجهاء السودان اسداً ولبوءةً لم يكن يغذوهما

الا بالطعام المطبوخ واكثرهُ من الطعام النباتي فسألتهُ في ذلك فقال ان الحيوانات المفترسة اذا استمرّ على تغذيتها باللحم تزداد شراسةً وتوحشاً بخلاف ما لو أُعطيت الاغذية النباتية فان شراستها تلين وتكون ادنى الى الالفة والانقياد

فثبت من ذلك كلهِ ان الانسان يستطيع ان يستغني بالنبات عن اللحم الغناء التام لكن لا بد من جمع انواع من النبات تشتمل على جميع الجواهر المغذّية التي توجد في اللحم وهذه متوفرة باسرها في الحبوب والقطاني من نحو الحنطة والشعير والذُرة والحمص وغيرها . على ان بلاداً كمصر والسودان لا يوافق فيها الاكثار من اللحم لشدّة الحرّ لان اللحوم مغذية مهيجة بخلاف المآكل النباتية فانها مغذية كاللحم ولا تهييج فيها ولا سيما الخضراوات والبقول والفواكه فانها فضلاً عن ذلك تسبب رطوبة في الجسم ولينا في المعدة والامعاء مع حفظ النشاط ومنع الفتور الذي تسببهُ شدّة الحرّ

مطالعات

ثقل جمهور من الناس — لا ريب ان معرفة ثقل الجماهير تكون في بعض الاحوال من الامور المهمّة لانهُ لا بدَّ في بناء اماكن المجتمعات العمومية والجسور ونحوها من مراعاة الثقل المرصَدة لحملهِ حتى تكون من القوة بحيث تحتملهُ . ومن غريب الامتحان في ذلك ما اجراهُ احد مهندسي الالمان فانهُ اقام على مساحة خمسة امتار مربعة ٤٠ عاملاً حسب

إن معدّل وزن الواحد منهم يكون نحو ٧٠ كيلغراماً فكان ثقل ما على المتر المربع منهم ٥٦٠ كيلغراماً . وكان العمال والحالة هذه ملامسين بعضهم لبعض لكنهم غير مزدحمين فامكن ان يُدخل بينهم ستة عمال آخرين فتضايق ما بينهم ولكن لا اكثر مما يحدث عند خروج بعض الحشد من المجتمعات العمومية فبلغ ثقل ما على المتر المربع ٦٤٤ كيلغراماً . ثم زاد العدد اربعة عمّال ايضاً حتى صار مجموعهم ٥٠ رجلاً على كل متر مربع منهم ١٠ رجال يبلغ وزنهم نحو ٧٠٠ كيلغرام وهو معظم ما يُتصور من الزحام لكنهُ من الامور الكثيرة الحدوث في بعض الاعياد لانهم مع كل ذلك بقي من الممكن ان يتحركوا في مواضعهم ولو بصعوبة وبهذا علِم معظم ما يلحق المتر المربع من الثقل وبالتالي غاية ما ينبغي ان تكون عليهِ قوة البناء المعرَّض لمثل هذا الزحام

اسئلة واجوبتها

بيروت — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) يقال ان لفظ البرتقال للثمر المعروف منقول عن لفظ «پرتوغال» لان هذا النوع من ثمر هذه البلاد اشتهر بجودتهِ ويؤيد هذا القول ان اسمهُ باليونانية «بورتوكاليا» لكنهُ في بقية اللغات على غير ذلك فهو بالروسية «آپيلسين» وبالفرنسوية والانكليزية «اورانج» وبالالمانية «پوميرانتسي» وهلمَّ جرًّا فما قولكم في ذلك

(٢) رأيت في بعض الكتب ان البنطالون في الاصل اسم طبيب كان يلبس هذا النوع من السراويل فسمّي باسمهِ فهل ذلك صحيح

اسكندر الخوري المقدسي

الجواب — اما البرتقال فالاظهر انهُ كما ذكرتم منقول عن لفظ پرتوغال ولعل ذلك لانهُ اوّل ما جلب الى هذه البلاد و بلاد اليونان من البرتوغال فأُطلق عليهِ اسمها واما تسميتهُ في اللغات الاخر بغير هذا اللفظ فلأن هذه التسمية اتفاقية اذ ليس هذا هو اسمهُ في ارضهِ ولا يتعين ان يكون حيثما وُجد مجلوباً في الاصل من البرتوغال ٠ على ان اصحاب الصيدلة في اوربا يسمون الدهن المستخرَج من قشرهِ بدهن البرتوغال (essence de Portugal) ولعل هذا لانهُ اول ما استُخرج في البرتوغال فتكون تسميتهُ لنفس الوجه الذي اعتُبر في تسمية ثمرهِ عندنا

واما البنطالون فذكروا انهُ منقول عن اسم رجل ايطاليني من اهل البندقية كان من الممثلين في ملاعب التشخيص يقال لهُ السنيور پنطالوني جآء باريز في عهد لويس الثالث عشر وهو بزيّ بلدهِ من الردآء والسراويل الطويلين وكان اهل فرنسا اذ ذاك يلبسون التبابين او السراويل القصيرة فسُمّي هذا النوع من السراويل باسمهِ ولكنهم لم يلبسوهُ الا منذ عهد الثورة سنة ١٧٨٩ وكان اول من لبسهُ الجند ثم شاع في بقية الشعب

اخميم — يقولون ان فلاناً خفيف الدم وخفيف الروح يريدون انهُ مقبول الحديث والحركات لا تثقل مؤونتهُ على سامعيهِ وبخلافهِ يقال

فلان ثقيل الدم وثقيل الروح اذا كان مسؤوماً . ويقولون ايضاً ان النوع الاول يكثر في السمر والثاني يكثر في البيض فهل لذلك متن صحة

نجيب سلامة

الجواب — هذا من الاقاويل القديمة التي أُهملت اليوم ومبناهُ على الامزجة دون الالوان لانهم يعتبرون اللون تابعاً للمزاج . وذلك ان الطبائع عند الاقدمين اربع وهي الدم والبلغم والصفرآء والسودآء والامزجة تُعتبر تبعاً للغالب من هذه الطبائع . فصاحب المزاج الدموي يكون لونهُ الى الحمرة وشعرهُ بين الشقرة والسواد ويكون على الغالب خصيب الجسم فكهاً خفيف الروح . والبلغمي يكون امهق اللون اي قريباً من لون الجص مترهل العضل تغلب عليه بلادة الطبع وضعف النفس . والصفراوي يكون قاتم لون الجلد اسود الشعر والعينين بارز العضل شديد الاهوآء قويّ الارادة . والسوداوي يكون اسمر اللون اسود العينين والشعر عبوس الطبع دائم الغمّ . والمحدثون يعبّرون عن البلغمي باللمفاوي وعن السوداوي بالعصبي ويزيدون على ما ذُكر امزجة اخر كالشحمي والعضلي والخلوي وغير ذلك الا ان هذا التقسيم عندهم جعليٌّ بنوهُ على اعتبارات مختلفة في بنآء اجهزة الجسم ولذلك اختلفوا في عدد هذه الامزجة وتسميتها ولكن على كل حال فالمحققون منهم ينفون الاشتراك بين الامزجة والاخلاق ويردّون كل ما ذُكر من ذلك الى احوال واستعدادات خاصة في الدماغ

رومية — بينما كنت اطالع في الكتاب المقدس الذي صححتم عبارتهُ ووقفتم على طبعهِ وقع طرفي على هذه الجملة « ومنّى داود في ذلك اليوم كل من يقتل يبوسياً وكل من يبلغ الى القناة والى اولئك العُرج والعُمي المبغَضين من نفس داود » (ثاني الملوك ٥ : ٨) حيث جاء هذا التعبير الاخير على حدّ قول القائل « هذا الامر قد عُرِف من فلان » وهو ما منعتموهُ في كلامكم على لغة الجرائد (ص ٣٥٤) من مجلد هذه السنة فما الفرق بين التعبيرين

الشماس بوليكربس قطان

الجواب — هذا من المواضع التي سهونا عن تصحيحها في عبارة المترجم وكنا قد جمعنا تلك المواضع في مذكّرة بعثنا بها الى قيّم المطبعة السابق على ان يصححها فيما يُستأنف طبعهُ من نسخ الكتاب ثم لم نعلم ما فعل الله بها . وقد بقي في محفوظنا منها اشياء منها ما جاء في سفر الخروج (١٢ : ٣٠) وهو قولهُ « وكان صراخٌ عظيم في مصر حيث لم يكن بيت الا وفيهِ ميت » والصواب « اذ لم يكن بيت » لان المعنى هنا على التعليل كما هي عبارة الاصل لا على الظرفية . ومثلهُ في سفر يشوع (١٠ : ١٤) « حيث قاتل الرب عن اسرائيل » والصواب « اذ قاتل » . وفي تثنية الاشتراع (٤ : ٣١) « لان الرب الهك الهٌ رحوم » . ومثلهُ في ثاني الملوك (٢٢ : ٢٦) « مع الرحوم تكون رحوماً » مع انهُ في جميع المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ ورد بلفظ رحيم الا في هاتين الآيتين . وهناك مواضع اخر لا تحضرنا الا انها على كل حال قليلة وهي فضلاً عن ذلك لا تقف في طريق المفهوم ولعل هذا هو الذي دعا الى اهمالها

فقيد الامة

اوردنا في الجزء السابق ما حضرنا من ترجمة الطيّب الذكر والاثر المرحوم الشيخ محمد عبده وكان في المنية ان نردف ذلك في هذا الجزء ببيان ما ترك من الآثار الجليلة في القطر تنويهاً بفضله واستدراراً للرحمة على روحهِ الطيّب ثم قرأنا في بعض جرائدنا اليومية إنهُ قد اجتمع فريقٌ من مريديهِ وتلامذتهِ واجمعوا على اقامة حفلةٍ مساء ليلة الاربعين من وفاتهِ يتشاطرون فيها سرد تاريخ حياتهِ ووصف اخلاقهِ ومناقبهِ وبيان ما كان لهُ من جليل الاعمال في الخطط التي تقلدها ما بين القضاء الاهلي ومجلس شورى القوانين ومنصب الافتاء وما كان لهُ من الايادي البيضاء على العلم والعلماء في الجامع الازهر الى غير ذلك مما تمثَّل بهِ حياة الاستاذ في حالتيهِ الانفرادية والاجتماعية ثم يُجمع ما يُلقى في تلك الحفلة من الخُطَب والمقالات ويُضَمّ اليهِ ما لا يسع الوقت تلاوتهُ مما تخطّهُ اقلام العارفين بآثار الشيخ والذين يقدرون اعمالهُ حقّ قدرها فيُطبَع كل ذلك في كتابٍ واحد يخلّد بهِ ذكرهُ بالثناء والرحمة على وجه الدهر

ولما كان بيان هذه الحقائق كلها مما قد يفوتنا الوقوف على بعضهِ رأينا ان نرجئ ما نوينا ذكرهُ الى ان يصدر الكتاب المشار اليهِ فنقتطف منهُ ما يسعنا اقتطافهُ بحيث يكون ما سنذكرهُ اوفى ببيان قدر الفقيد واصدق تمثيلاً لاعمالهِ وآثارهِ رحمهُ الله كفاء احسانهِ وجعلهُ من خاصة المقرَّبين في جوارهِ

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٢ —

الأثر

في يوم من ايام الخريف دخل علينا في غرفتنا في شارع باكر زائران عرفنا للحال اهميتهما ومركزهما وكان الاول رقيق الجسم تظهر عليهِ دلائل الاباء والعظمة واسمهُ اللورد بلنجر وكان قد تولى رئاسة الوزارة الانكليزية مرتين في حياتهِ . اما الثاني فكان طويل القامة حسن الهيئة وهو الشريف تريلوني هوب كاتب اسرار نظارة الخارجية وأحد كبرآء ساسة البلاد . فلما دخلا واستقرَّ بهما المقام رأينا علامات القلق بادية على وجهيهما مما دلنا على ان امراً في غاية الاهمية استدعى حضورهما

وبدأ كاتب الاسرار بالكلام فقال قد فقدت شيئاً مهمًّا يا مستر شرلوك وحالما علمت بفقدهِ في الساعة الثامنة صباحاً اعلمت حضرة الوزير فاشار عليَّ ان نأتي معاً اليك . فقال شرلوك وهل اعلمتما رجال الشحنة بذلك . فاجابهُ الوزير فوراً كلا ولا يمكننا ان نفعل ذلك فان الخبر اذا بلغ دار الشحنة شاع بين الجمهور وهذا ما نود ان نتحاشاهُ لان المفقود اوراق سياسية جزيلة الاهمية اذا اشتهر امرها كانت سبباً لاثارة حرب دموية بين دول اوربا . فقال شرلوك ارجو يا مولاي ان توضح لي كيف علمت بفقدها . فقال كاتب الاسرار ان الاوراق المذكورة هي رسالة وصلت الينا منذ ستة ايام من احد ذوي التيجان في اوربا ولاهمية تلك الرسالة لم اشأ ان ابقيها في الخزانة الحديدية بل كنت آخذها معي ذهاباً واياباً من بيتي الى

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

النظارة في صندوق يدٍ صغير اضع فيهِ اوراقي ومتى بلغت البيت كنت اضعهُ في غرفتي الخصوصية وقد احضرتهُ معي امس وكنت متحققاً وجودها في الصندوق قبل العشآء اي في الساعة السابعة و بعد العشآء ذهبت زوجتي الى دار التمثيل و بقيت انتظرها الى الساعة الحادية عشرة فدخلنا غرفة النوم. ولما نهضت صباح اليوم فتحت الصندوق فوجدت ان الرسالة مفقودة مع ان غرفتي لا يدخلها احد البتة غير خادمي وخادمة زوجتي وهذان لا نشك في امانتهما اصلاً وفضلاً عن ذلك فهما لا يعلمان شيئاً عن هذه الرسالة ولا عن محل وجودها بل لا يعلم بها احد في بيتي حتى زوجتي لانني لم اخبرها شيئاً عنها ولم تعلم الا في هذا الصباح انني قد فقدت اوراقاً في غاية الاهمية

فتفكر شرلوك حيناً ثم قال زدني ايضاحاً يا مولاي عن امر هذه الرسالة وعما يترتب على فقدها . فتبادل الرجلان نظراتٍ سرية ثم قطب الوزير حاجبيهِ وقال ان الرسالة موضوعة في ظرف مستطيل ازرق اللون وعنوانها مكتوب بخط واضح كبير والظرف مختوم بشمع احمر عليهِ رسم اسد رابض . فقال شرلوك اذا كان ولا بد يُطلب مني ان ابحث عن سارق الرسالة وان استرجعها منهُ فهذا الوصف لا يكفي ويجب ان اعرف ما هو مضمون الرسالة . فقال الوزير ذلك من اسرار الدولة يا صاح فلا يمكنني ان ابوح بهِ ولا اظن ان ذلك ضروري فاذا كان ما سمعتهُ عن مهارتك صحيحاً ففي امكانك ان تأثر الرسالة التي وصفتها لك فتكون شهرتك في محلها وتنال المكافأة التي تستطيع الوزارة ان تقدمها لك . فنهض شرلوك معجباً بنفسهِ وقال انا اعلم يا مولاي انكما اكبر ساسة البلاد وان عندكما من الاعمال ما يستغرق اوقاتكما كما اني انا ايضاً مع قلة اهميتي لي اشغال اخرى في غاية الاهمية فانا اتأسف انهُ ليس في امكاني مساعدتكما وان زيادة الحديث لا تعود علينا الا باضاعة الوقت . ورأى الوزير في كلام شرلوك ما يدل على طردهِ ضيفيهِ فوثب على قدميهِ كالاسد وقد اندفع من عينيهِ شرار الغيظ وقال انني لم اتعود يا هذا . . . ولكنهُ عاد فجأةً الى سكونهِ فجلس وصمت نحو دقيقتين ثم قال اظن انك محقٌّ في طلبك وانهُ لا ينبغي ان ننتظر مساعدتك ما لم نطلعك على السر فيجب ان نثق بشرفك

وشرف رفيقك الدكتور وطسن في كتمان هذا الامر الخطير لانني لا استطيع ان اصف ما يجلب افشآؤه على هذه البلاد من ويلات الحروب . ان هذه الرسالة بعث بها الينا ملك استعمرت مملكتنا على حدود ملكه فكتب ما كتب بدون تروٍّ على عهدته الشخصية وقد اظهر لنا البحث ان ليس لوزرآئه المام بما جرى غير ان في الرسالة عبارات شديدة اللهجة لو اشتهرت بين الشعب لهاج لدفع تلك الاهانة وتمكن بدون شك من اجبار الحكومة على اعلان الحرب في اقل من اسبوع . فاخذ شرلوك ورقة كتب عليها اسماً اراهُ للوزير فقرأهُ وقال نعم هو هو بعينه ورسالتهُ هذه اذا لم نجدها في الحال اقتضت منا آلافاً من الملايين ومئات الالوف من الرجال متى دارت رحى الحرب . وانت تعلم ان اوربا باسرها الآن ميدان حربي مخيف فاذا وصلت هذه الرسالة الى يد احد اضداد انكلترا لم يتوقف عن السعي في اصلآء نار الحرب بيننا وبين الملك صاحب الرسالة ولذلك لا اشك ان الذي استولى عليها يروم ارسالها الى احدى الوزارات المضادة وهو الامر الذي نخشاهُ وقد اطلعناك يا مستر شرلوك على جلية الامر فما رأيك . فهز شرلوك رأسهُ آسفاً وقال رأيي ان تستعد يا مولاي للحرب المتوقَّعة لان الرسالة على ما فهمت قد سُرقت قبل الساعة الحادية عشرة من ليل امس ويغلب على ظني انها سُرقت حالما خرج المستر هوب لتناول العشآء وبما ان الشخص الذي اخذ الرسالة كانت غايتهُ ولا بد ان يسرع في ايصالها الى من تهمهم وقد مضى على ذلك الوقت الكافي لارسالها فلا بد ان تكون قد صارت خارج انكلترا . ومع ذلك فلا اقطع الامل بالكلية لان المستر هوب يؤكد ان خادميه في منتهى الامانة وانهُ يتعذر الوصول الى غرفته من الخارج فلا بد ان الشخص الذي اخذ الرسالة هو من نفس البيت اغراهُ احد ذوي الغايات باخذها لهُ . وبما انهُ لا يوجد في انكلترا سوى ثلاثة اشخاص من الجواسيس السياسيين وانا اعرفهم فسأبحث عنهم فاذا وُجد احدهم غائباً اوقعنا الشبهة عليه فلا ارجع عن متابعته والا الرسالة في يدي . فنهض الوزير وقال انني لم اغلط في تسليم الامر ليدك يا مستر شرلوك وانا واثق بعلو همتك ومقدرتك فنحن ذاهبان الى

اعمالنا ملقيان اتكالنا عليك فاذا جدّ لدينا شيء عرّفناك واذا علمت ما تهمنا معرفتهُ فلا تتأخر عن مفاوضتنا ثم ودّعنا الاثنان وخرجا

وجلس شرلوك بعد خروجها على كرسيهِ يدخن كعادتهِ وقد غاص في بحار من التأملات . اما انا فاخذت جريدة الصباح اتصفحها فاستوقف نظري خبر مقتل غريب جعلت اقرأهُ واذا بشرلوك قد وثب بغتةً فقال ان الامر في غاية الصعوبة ولكنهُ غير مستحيل ولو علمت الآن مَن من الجواسيس الثلاثة استولى على الرسالة لتمكنت من الحصول عليها لان هؤلاء يعملون رغبةً في المال فكنت اشتريها منهم باي ثمن كان فان خزينة الدولة البريطانية لا تتأخر عن تحويلي عليها لمشترى مثل هذه السلعة . اجل ان الامر لا يخرج عن واحدٍ من أولئك الثلاثة وهم اوبرشتين ولاروذيير وادواردو لوكاس فيجب ان اتصدهم واحداً واحداً وبما ان الاخير هو اقربهم الينا فلنذهب اليه في الحال . فلما سمعت ذلك قلت لهُ لكن المذكور قتل ليلة امس في منزلهِ وقد رأيت تفاصيل ذلك في هذه الجريدة . وما كدت اتم كلامي حتى جحظت عينا شرلوك وتغير لونهُ فاختطف الجريدة من يدي وقرأ فيها ما يأتي

« حدث ليلة امس مقتل فظيع وهو مقتل المستر ادواردو لوكاس الشهير في منزلهِ بشارع جودولفين والمذكور غير متزوج ولهُ من العمر اربع وثلاثون سنة تسكن معهُ خادمة طاعنة في السن تدعى مسس برنكل وخادم فتى يسمى ميتون . ومن عادة الخادمة ان تذهب بعد العشاء الى غرفتها لتنام في اعلى المنزل واتفق الليلة البارحة ان استأذن الخادم لزيارة صديق لهُ وبقي المستر لوكاس وحدهُ في المنزل . وعند نصف الليل رأى شرطي الناحية ان باب المنزل لا يزال مفتوحاً خلافاً للاصول فقرعهُ لينبه ارباب المنزل فلم يجبهُ احد ثم رأى نوراً في الغرفة الداخلية فدخل وقرع باباً ثانياً فلم يجبهُ احدٌ ايضاً فدفع الباب ودخل فرأى في الغرفة ما يدل على حدوث معركة ورأى جثة صاحب المنزل وقد قبضت يدهُ على كرسي كانهُ يدافع بهِ عن نفسهِ وكان في صدرهِ الخنجر الذي طعن بهِ وقد أُخذ من بين عدة اسلحة قديمة معلقة على الحائط للزينة . ولم يستدل على قصد سرقة في ذلك العمل لانهُ لم

يؤخذ من الغرفة شيء . وقد بلغ الامر دار الشحنة والمأمول انها تهتم بالبحث عن القاتل ومعاقبته بما يستحق »

ثم طرح شرلوك الجريدة جانباً وقال ماذا تظن يا وطسن . قلت لا شك ان مقتله في هذا الوقت من الاتفاقات التي تقف في طريق بحثك . فقال بل الذي اراهُ ان هذا ليس من باب الاتفاق فقد قتل الرجل بعد حدوث سرقة الرسالة فلا بد من وجود علاقة بين الامرين وعلينا ان نجد الحلقة التي تصل بينهما . قلت واذا فعلت علمت رجال الشحنة السر الذي وعدت بالمحافظة عليهِ . قال كلا فان رجال الشحنة ستهتم بمعرفة القاتل ونهتم نحن بالبحث الذي يهمنا واری ان في المسئلة سرًّا عظيماً من الاسرار التي يلذ لي البحث عنها وفي صدري ما يوحي اليَّ اني سأفوز باذن الله . . وقطع حديثهُ دخول الخادمة تتبعها سيدةٌ من اجمل واشهر نسآء انكلترا عرفناها للحال انها مسس تريلوني هوب كاتب اسرار وزارة الخارجية ولكننا عجبنا من امتقاع لونها وهيئة القلق البادية على وجهها فاستقبلها شرلوك بمنتهى الاحترام اما هي فدخلت واجتازت الغرفة الى احدى زواياها وجلست ثم سألتهُ هل زارهُ زوجها في ذلك الصباح . قال نعم وقد خرج بصحبة الوزير . قالت ارجو ان تعدني قبل كل شيء ان لا تذكر لهُ مجيئي اليك . قال كيف تشترطين عليَّ يا مولاتي قبل ان اعلم سبب تشريفك منزلي . قالت نعم بلغني في هذا الصباح ان زوجي فقد امس اوراقاً اقلقهُ فقدها الى الغاية ولكنهُ لم يطلعني على مضمونها ولا على مقدار اهميتها فكان ذلك داعياً لقلقي وانزعاجي ولعلمي بأنك مطلع على الامر اتيتك راجية ان تعرّفني جلية الواقع . فقال شرلوك ان ما تطلبينهُ يا مولاتي ليس في امكاني ان اجيبك اليه لانهُ اذا كان زوجك نفسهُ قد اخفاهُ عنكِ فكيف يجوز لي ان اطلعك عليه ولاسيما بعد ان اقسمت على كتمانه ولذلك فالاولى ان تسألي زوجكِ رأساً لعله يخبرك بالامر . قالت قد سألتهُ بالحاح فلم يجبني فان كنت لا تستطيع ان تخبرني بهذا السر فاتوسل اليك ان تعلمني هل منصب زوجي في خطر . قال ان لم نجد المفقود فستكون النتيجة مصيبةً عظمى . فشهقت وغطت وجهها بيديها ثم قالت لكن هل لك ان

تلمّح لي الى نوع المصيبة التي ستترتب على ذلك . قال هذا ايضاً من السر الذي وعدت بكتمانهِ . قالت لا الومك يامولاي على كتمانك كما انك لا تلومني على رغبتي في مشاطرتي زوجي همومهُ ومسرّاتهِ ولكنني اكرر رجآئي ان لا تذكر لهُ شيئاً من زياتي هذه . ثم نهضت فحيَّت وخرجتْ

ولما انصرفت تناول شرلوك لفافة فاشعلها ثم هز رأسهُ وقال يظهر ان للجنس اللطيف بعض الدخل في سياسة البلاد فهل رأيت يا وطسن اضطراب السيدة وقلقها والحاحها وكيف اختارت لجلوسها مكاناً محجوباً عن النور اخفآء لما يبدو على وجهها من الآثار فما معناها يا ترى وماذا تريد وما هو مقدار تداخلها في الامر . والآن فمن الواجب ان اذهب الى شارع جودولفين لعلي ارى في جثة القتيل وما حولها ما يفيدني دليلاً اجمعهُ الى سائر الادلة في خطة البحث التي عزمت على انتهاجها

وعاد شرلوك في المسآء فلم ارَ على وجههِ علامات الفوز التي كانت تظهر عليهِ لو توفق الى اكتشاف امر مهمّ وغاية ما فعلهُ في تلك الزيارة انهُ رأى المفتش لستريد يوالي البحث فكان مرافقاً لهُ يسمع ويرى . وقد وجدوا ان غرفة القتيل لم يفقد منها شيء وكانت اوراقهُ ايضاً لا تزال حيث هي مما يدل على ان القاتل انما فعل ذلك انتقاماً ليس الا . واتهم رجال الشحنة خادمهُ ميتون غير ان هذا احضر البينات المقنعة انهُ كان بعيداً عن البيت في تلك الليلة واثبت انهُ كان اميناً في خدمة مولاهُ وقد خدمهُ عدة سنين لم يكن يفارقهُ فيها سوى ثلاثة اشهر في كل سنة كان يذهب فيها لوكاس وحدهُ الى باريس فأطلق سراح الخادم وابقى لستريد شرطياً يحرس المنزل

ولما كان الصباح التالي اخذت الجريدة فقرأت فيها خبراً من باريس مفادهُ ان سيدة في تلك المدينة تدعى مادام هنري فورناي اصابها اختلال في عقلها وعند الفحص وجد ان جنونها حصل على اثر عودتها من انكلترا وان صورة زوجها هنري فورناي هي نفس صورة ادواردو لوكاس المقتول مما دل على ان المذكور كان لهُ اسمان وصفتان يعيش في كل بلاد باسم وصفةٍ منهما . وظهر ان زوجة لوكاس كانت

تغار عليه جدًّا وكانت متضايقة من سكناهُ في انكلترا وتركهِ اياها وحدها في باريس وانها سافرت من ثلاثة ايام الى لندن وعليها آثار الكآبة والغم ولما رجعت وجدها خدمها في حالة اختلال عظيم حتى اضطروا ان يبلغوا امرها الى رجال الحكومة . ويظن انها انما قصدت زوجها واشعلتها نار الغيرة فتنازعا فاخذت الخنجر من الحائط وطعنتهُ بهِ فقتلتهُ ولم يعلم هل الجنون ساقها الى هذه الفعلة او ان هول القتل افقدها رشدها . ولم يتمكن رجال الشحنة من استنطاقها في تلك الحال فنقلت على المستشفى لعلها تسترد رشدها فتسأل عما جرى

ولما فرغت من قراءة الجريدة أطلعت شرلوك على ما جاء فيها وسألتهُ عن رأيهِ فقال ان كل ذلك لا يهمني يا وطسن فقتل الرجل ومعرفة قاتله من الامور التي يسعى لستريد في استثباتها اما انا فغرضي الرسالة لا غير . والى الآن ما زلت استخبر الحكومة فيرد عليَّ ما يفيد انهُ لم تظهر اقل حركة في دولةٍ من الدول يستنتج منها وصول الرسالة اليها فلا بد ان الرسالة لا تزال محفوظة هنا ولكن اين وهل لمقتل لوكاس علاقة بالرسالة وهل هو السارق . اننا لم نجدها بين اوراقهِ فهل اخذتها زوجتهُ بعد قتلهِ ولكن من اين علمت بها وماذا تفيدها . وبينما هو يكلمني دخلت الخادمة فدفعت اليهِ رسالة قرأها فاذا بها من لستريد يطلب اليهِ موافاتهُ الى محل الجناية فقال تعالَ معي يا وطسن فعسى ان نعثر في هذه الزيارة على ما يفيدنا

وما صدَّق شرلوك ان بلغنا منزل لوكاس وكان لستريد في انتظارنا فادخلنا الى الغرفة التي حصل فيها القتل ولم يبقَ في الغرفة من اثر الجريمة والعراك سوى بقعة من الدم على البساط وكان البساط من صوف يغطي ارض الغرفة الا نحو متر عن جوانبها . فقال لستريد لم يكن من سبب لاستدعائك ايها العزيز لانهُ بعد الخبر الوارد من باريس لم يبقَ في الامر ما يحتمل الشك ولكنني رأيت امراً غريباً في هذه الغرفة وهو مع عدم اهميتهِ اعلم انك تهتم انت بمثلهِ فاستدعيتك لاريكهُ . وهو اننا عند ما حضرنا لمشاهدة القتيل تركنا كل شيء في مكانهِ ولما رفعنا الجثة اليوم ورأيت هذه البقعة من الدم على البساط خطر لي ان ارفع البساط فوجدت ان

الدم قد اخترقهُ الى قفاهُ وكان من الضروري ان يظهر اثرهُ على الارض الخشبية البيضآء ولكن لم يظهر له اقل اثر . فبانت على وجه شرلوك علامات الاهتمام العظيم وقال لا شك انهُ كان يجب ان يترك الدم اثراً على الخشب بعد ان تشرَّبهُ البساط . فتبسم لستريد كانهُ اعجب بنفسهِ وقال ولكننا وجدنا الاثر على الخشب في الجهة الثانية . ولما قال ذلك اسرع الى الطرف الآخر من البساط ورفعهُ فبان على الخشب بقعة كبيرة قرمزية كالتي على البساط تماماً ثم قال أرأيت اين اثر الدم وهذا يدل على ان البساط قد نقل من موضعهِ بعد حدوث الجناية . ومع ان ذلك لا يهمني ولا تعلق له بما وصلنا اليهِ فلعلمي ان مثل هذه الطفائف تشغل عقلك كثيراً احببت ان اطلعك عليهِ ويجب ان تعلم ايضاً انهُ منذ اتينا الى محل الجناية اول مرة لم يزل الشرطي الذي اقمتهُ يحرس الباب ملازماً لهُ فمن المؤكد انهُ لم يدخل الغرفة انسان

وكانت تظهر في وجه شرلوك آثار التهيج والانفعال الداخلي ثم نظر الى لستريد وقال لهُ لا بد ايها العزيز من دخول شخص الى هذه الغرفة ولو انكر الحارس فاذهب وخذهُ الى آخر غرفة في المنزل واستنطقهُ سرًّا وعدهُ بالصفح عنهُ اذا اعترف بالحقيقة ولا تتركهُ حتى يعترف لك . فلبَّى لستريد للحال وخرج وما كاد يترك الباب حتى صرخ بي شرلوك قائلاً اسرع يا وطسن اسرع ولما قال هذا رفع البساط بتمامهِ وجثا على ركبتيهِ فجعل يقرع على قطع الخشب المربعة في ارض الغرفة وما زال كذلك حتى بلغ قطعةً منها احتال عليها فرفع جانبها فانفتحت كانها غطآء صندوق وتحتها فراغ فاسرع وادخل يدهُ في ذلك الفراغ ولكنهُ لم يلبث ان اعادها وقد ظهرت عليهِ علامات اليأْس وقال عجّل يا وطسن قبل ان يعود لستريد ثم اطبق الخشب وارجعنا البساط . وما كدنا نتم ذلك حتى عاد لستريد يقود الشرطي فقال قد اعترف واودّ ان تسمعا اعترافهُ . فقال الشرطي انني لم اذنب بشيء يا مولاي وانما جآءتني مسآء امس سيدة وقالت انها تبحث عن محل تعمل فيهِ على الآلة الكتابية وقد غلطت عن البيت الذي تقصدهُ فدخلت الى هنا ولما علمت بحدوث الجناية طلبت اليَّ ان تنظر الغرفة التي حصل فيها القتل فلم ارَ موجباً لمنعها فاذنت

لها ان تلقي بنظرها من الباب ففعلت وما رأت اثر الدم حتى اصفرّ لونها وسقطت الى الارض في وسط الغرفة مغمًى عليها . فاسرعت الى اقرب صيدليةٍ فاحضرت لها شيئاً من المنعشات ولما عدت وجدتها قد ملكت روعها فاعتذرت اليَّ ثم شكرتني وخرجت . وكان البساط قد تجعد حيث سقطت فاصلحتهُ وانا اؤكد لكم انني لا اعرفها ولم ارَها قبلاً ولم يحصل غير ما ذكرت ؟ فقال شرلوك للشرطي هل استثبتَّ منظر تلك السيدة . فقال نعم فهي آية في الجمال . قال وهي طويلة القامة وعليها رداء طويل . قال نعم . قال وفي اية ساعة جاءت . قال بعد الغروب بقليل . فقال شرلوك لا اظن ان في الامر شيئاً يستوجب الاهمية واني اشكرك ايها العزيز لستريد على كل حال . ولما قال هذا خرج فتبعتهُ وبقي لستريد في البيت

ولما خرجنا كان الشرطي سائراً معنا فاخذ شرلوك من جيبهِ صورة اراها لهُ فما وقع نظرهُ عليها حتى شهق وقال هي هي بعينها . فأعاد شرلوك الصورة الى جيبهِ ثم سار بي وهو لا يكاد يطأ الارض برجليهِ من شدة سرورهِ ثم قال لي اذا عرفت كيف اتصرف ونجحت في مسعاي فاننا نسترجع الرسالة ونخلص المستر هوب من المشكل ونمنع حدوث الحرب فهلمَّ بنا . اما انا فكنت اعجب من هذا الرجل الغريب وزاد عجبي عند ما رأيتهُ اخذ عربةً ركبناها وقال للسائق خذنا الى منزل المستر هوب كاتب اسرار وزارة الخارجية . فلما بلغنا البيت المذكور دخلنا غرفة الاستقبال وطلب شرلوك مواجهة اللادي هوب فجاءت في الحال وقد صُبغ وجهها بلون قرمزي فقالت لم اكن اعهدك يا مستر شرلوك كما اراك الآن فقد توسلت اليك ان لا تعلم زوجي بزيارتي لك وها انت قادم اليَّ ليعلم من ذلك ان بيني وبينك علاقة . فقال شرلوك بمنتهى الرزانة والادب اعذريني يا مولاتي على هذه الزيارة الاضطرارية فانني قد كلفت ان ابحث واجد الرسالة المفقودة فأجبرت على المجيء اليكِ وارجو منكِ ان تكرمي باعادتها اليَّ . فوثبت السيدة على رجليها كمن لدغتها افعى وكادت تسقط الى الارض مغمىً عليها ولكنها تجلدت فقالت لهُ انك تهينني يا هذا . ثم تقدمت لتقرع الجرس وتنادي الخادم ليخرجنا فاستوقفها شرلوك وقال اذا فعلتِ

يا مولاتي فلا يعود في امكاني كتم الامر فالاصلح ان تساعديني على كتمان السر وان تعطيني الرسالة في الحال . فتوقفت السيدة حيناً بين اليأس والرجآء ثم قالت انك تحاول ان تخيفني بكلامك فقل لي ماذا تعلم من الامر . قال تفضلي بالجلوس يا مولاتي لئلا يهولك سرد ما اعلم فتسقطي الى الارض . انني علمت بزيارتك للوكاس وتسليمك اليهِ الرسالة ثم عودتك امس الى غرفتهِ لاسترجاعها من مخبإها تحت البساط . فاكفهرَّ لون السيدة وجحظت عيناها وفتحت فاها مرتين لتتكلم فلم تستطع ثم قالت انك تهذي بهذا او انك فقدت عقلك . قال لا هذا ولا ذاك ثم اخرج من جيبهِ صورتها التي كان قد اراها للشرطي قبلاً وقال قد اريتُ هذه للشرطي الحارس فعرفها ولكنهُ لا يزال يجهل الاسم فلا يزال معنا وقت لتلافي ما حصل بدون ظهور شيء . وكانت اللادي هوب مع كل ذلك ومع ما ظهر عليها من الارتعاش والخوف لا تزال تجاهد في امتلاك قواها فقالت اني اؤكد لك انك واهم يا مستر شرلوك فانصح لك ان تقلع عن عملك هذا وان تغادر البيت حالاً . ولما رأى شرلوك منها ذلك الاصرار وقف وقال قد بذلت جهدي يا مولاتي فلا تلوميني على ما سأفعل . ثم اقترب من الجرس فقرعهُ فدخل الخادم فسألهُ هل عاد مولاهُ . فقال لا وسيعود بعد ربع ساعة . فقال شرلوك متى عاد فاعلمهُ انني اودّ مواجهتهُ . وما كاد الخادم يخرج من باب الغرفة حتى نهضت اللادي هوب وهي ترتعش فلم تقوَ رجلاها على حملها فسقطت جاثية امام شرلوك ورفعت يديها مستغيثة بهِ والدمع يترقرق في مآقيها وقالت بربك ساعدني وارشدني ماذا يجب ان افعل فاني لا احب ان اكسر قلب زوجي . فأمسك شرلوك بيدها وانهضها قائلاً عجلي يا مولاتي قبل عودتهِ فانهُ لا يزال لنا وقتٌ لتدارك الامر . فنهضت الى مكتبها الصغير ففتحتهُ واخرجت منهُ الرسالة بظرفها الازرق ودفعتها الى شرلوك فكاد يجنّ فرحاً وقال ينبغي ان نسرع في ردّها الى مكانها . قالت نعم وان صندوقهُ لا يزال في غرفتهِ فانهُ لم يأخذهُ معهُ اليوم . قال ان التقادير تساعدك يا مولاتي ولكن هل عندك مفتاحهُ . قالت نعم ثم اندفعت بسرعة البرق الى غرفة زوجها فاحضرت الصندوق

واخرجت من صدرها مفتاحاً صغيراً فاخذهُ شرلوك وفتح الصندوق واعاد اليهِ الرسالة فوضعها بين الاوراق الاخرى ثم اقفلهُ وردّتهُ اللادي الى مكانهِ

ورأى شرلوك ارتباك اللادي هوب واضطراب افكارها فقال خفي عنكِ يا مولاتي فلن يعلم احد بما جرى غير اني ارجو منكِ ان تتلي عليَّ قصة اخذ هذه الرسالة فاني مع اطلاعي على اكثرها احب ان اسمعها منْ فيك بالتفصيل . فتنهدت وقالت انني شاكرة لك ايها الصديق ولااستطيع ان اخفي عنك شيئاً فاسمع . انني كتبت في حياتي رسالة حبية املاها عليَّ الجهل وشن الصغر ولا اعرف باية طريقة وصلت تلك الرسالة الى اللعين ادواردو لوكاس فحفظها عندهُ . وقد اخبرني من مدة انها موجودة عندهُ فطارت نفسي شعاعاً ورغبت اليهِ ان يردها اليّ مخافة ان يطلع عليها زوجي فابى وابتهلت اليهِ في ذلك مراراً فلم يجب واخيراً قال لي انهُ يردها اليَّ اذا دفعت اليهِ رسالةً وصفها لي موجودة في صندوق زوجي بين اوراقهِ . وكان لهُ جاسوس بين كتبة الوزارة علم منهُ صفة الرسالة ومحل وجودها واكد لي ان فقدان تلك الرسالة لا يهمّ زوجي على الاطلاق . فلو كنت في مكاني ماذا كنت تفعل يا مستر شرلوك . قال كنت اطلع زوجي على هذا الطلب . قالت لم يمكني ذلك لاني لو فعلت لعلم برسالتي وهذا ما كنت اجتنبهُ . ولما زاد بي خوف الفضيحة اخذتُ رسم المفتاح بالشمع فعمل لي لوكاس مفتاحاً نظيرهُ ومنذ يومين فتحت الصندوق واخذت الرسالة واخبرت زوجي اني ذاهبة الى الملهى ولكنني ذهبت في الحقيقة الى شارع جودولفين الى بيت لوكاس ولما قرعت بابهُ فتح لي فدخلت ورأيت امرأةً عند باب المدخل فلم اهتم بها وما صدقت ان بلغت غرفتهُ فدفعت اليهِ الرسالة المذكورة واعاد اليَّ رسالتي فما صدقت ان حصلت عليها . وفي تلك الساعة سمعنا وقع اقدام في الممرّ فاسرع لوكاس ورفع جانب البساط ففتح في الارض صندوقاً خفيًّا وضع فيهِ الرسالة واعاد البساط الى ما كان عليهِ . اما انا فحاولت الخروج واذا بامرأة قد دخلت وهي غضبى فجعلت تكلمهُ بالفرنسوية وتقول لهُ لقد صدق ظني فقد علمت انك تتركني في فرنسا لتخلو بعشيقاتك هنا ثم هجمت عليهِ فتناول

كرسيّاً ليدافع بهِ عن نفسهِ واخذت هي خنجراً معلقاً على الحائط . وكان ما اراهُ كحلم هالني فاسرعت للخروج وما صدقت ان بلغت الشارع وعدت الى البيت فنمت براحة لحصولي على رسالتي ولكنني لما قمت في الصباح قرأت في الجرائدعن نهاية تلك المأساة التي حضرت اول تمثيلها ثم علمت انني خلصت نفسي من ورطة فوقعت في اعظم منها . وكان قلق زوجي لفقد تلك الرسالة يمزق احشآئي فكدت اجثو تحت اقدامهِ واطلعهُ على الحقيقة ولكن خانتني شجاعتي فلم استطع وظننت ان الامر لا يهمهُ كما تصوّرت وقد تصدتك بالامس في منزلك لاعرف اهميتهُ ومن تلك الدقيقة صممت على ارجاع الرسالة بنفس اليد التي اخذتها وكنت قد رأيت المخبأ الذي وضعها فيهِ لوكاس قبل دخول تلك المرأة التي لولا قدومها الفجآئي لما كنت عرفتهُ قط . وكنت ارقب الفرص وادبر الطرائق التي تمكنني من دخول البيت حتى اهتديت الى الشرطي فكلمتهُ وفعلت ما عرفتموهُ ولما سقطت الى ارض الغرفة وظنني مغمى عليَّ خرج ليحضر لي شيئاً من المنعشات فرفعت البساط واخذت الرسالة وما صدقت ان حصلت في يدي فمدت بها الى هنا.... وهاءنذا اسمع عربة زوجي فقد اتى فبربّك يا شرلوك استر عليَّ يغفر الله لك

و بعد دقيقتين دخل المستر تريلوني هوب وكانت لا تزال آثار الاهتمام على وجههِ فحالما وقع نظرهُ علينا قال هل من جديد يا مستر شرلوك . فقال لي بعض الامل يا مولاي . فقال المستر هوب لك الشكر يا امني وانا قد دعوت حضرة الوزير لتناول الغدآء معي فهل تريد ان استدعيهُ الى هنا لكي نتمتع معاً بسماع ما ستبشرنا بهِ . ثم انتبه هوب الى وجود زوجتهِ فقال ان كلامنا فيما يختص بالسياسة ايتها الحبيبة ولا اظنهُ يهمك فاسبقينا وسنوافيكِ الى غرفة المائدة

و بعد هنيهةٍ دخل الوزير فقال بلغني ان لديك ما تبشرنا بهِ يا مستر شرلوك . فقال قد بذلت غاية الجهد يا مولاي فتحققت انهُ لم يبقَ من خطر يخشى منهُ على الرسالة . فقال الوزير ان هذا لا يكفي يا عزيزي لاننا لا نستطيع البقاء على فوَّهة بركان القلق بل يجب ان نحصل على الرسالة . فقال شرلوك ولهذا السبب قد أتيت

الآن لانني مؤكد انها لم تفارق هذا البيت بل لم تفارق صندوق المستر هوب ولا بدَّ انها لا تزال فيهِ . فقال المستر هوب ان كنت مازحاً يا مستر شرلوك فليس الوقت وقت مزاح فقد بحثت في صندوقي ورقة ورقة قبل ان تحققت فقدها ولم اعد افتح الصندوق من ذلك الوقت لعدم احتياجي اليهِ . فتبسم شرلوك وقال لا يشق عليك يا مولاي فانهُ قد يحدث مثل ذلك وانا اعتقد تمام الاعتقاد ان الرسالة لا تزال في صندوقك . فقال الوزير ان الحكم في ذلك من اسهل الامور فهات صندوقك يا مستر هوب لنفحصهُ جميعنا . فنادى المستر هوب خادماً فاحضر لهُ الصندوق من غرفتهِ فوضع فيهِ المفتاح وقال اننا نضيع الوقت سدًى ولكن لا بدَّ من اقناعكم فان هذا المفتاح لا يفارقني لحظة . ولما فتح الصندوق جعل يأخذ منهُ الاوراق ويقول هاكم ما فيهِ فهذه الرسالة من اللورد مارو وهذا تقرير من السير شارلس هاردي وهذه مذكرة من بلغراد وهذه من مدريد وهذه من اللورد . . . . ثم وقف لحظةً وحملق بعينيهِ فشهق وقال يا سيدي الوزير ها هي ها هي . ومدَّ الوزير يدهُ فاخذ الرسالة المفقودة بغلافها الازرق فقلّبها في يديهِ ثم قال نعم هي هي بعينها ولم يُفَضّ غلافها فانا اهنئك يا عزيزي هوب . اما المستر هوب فانهُ تعلق بشرلوك وجعل تارةً يقبلهُ وتارةً يصافحهُ وهو يقول اشكرك من صميم قلبي ولكن هذا لا يُعقل ولا يمكن ان يكون فانت ساحر يا شرلوك وانت احضرت الرسالة من حيث كانت واعدتها الى مكانها واكاد لا اصدق ما انظر بعيني . ثم اندفع الى الباب وهو يصيح منادياً زوجتهُ لكي يبشرها بانهُ كان في مصيبة عظيمة وقد فرجت . فلما خرج من الغرفة نظر الوزير الى شرلوك وقال لهُ لا ريب ان في الامر غير الظاهر الذي رأيناهُ فقل لي كيف ارجعت الرسالة الى مكانها . فتبسم شرلوك وقال اننا نحن ايضاً يا مولاي لنا اسرارٌ لا نستطيع ان نبوح بها . ولما قال هذا اخذ قبعتهُ فحيّا باحترام وخرج فتبعتهُ وما بلغنا البيت حتى وجدنا رسالة شكر قد سبقتنا اليهِ بتوقيع الوزير المذكور والمستر هوب وفيها ثناء استحقهُ شرلوك . انتهى